

دورية دولية محكمة

# مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية



ISSN: 2625-8943



العدد الرابع والثلاثون- كانون الأول- ديسمبر 2024م المجلد 8



مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

المركز الديمقراطي العربي

**Journal of**  
**cultural linguistic and artistic studies**  
**International scientific periodical journal**



رقم التسجيل

VR.3373.6326.B



Germany: Berlin 10315

Gensinger- Str: 112

<http://democraticac.de>

# المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

Democratic Arabic Center  
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة

الدراسات الثقافية

واللغوية والفنية

دورية علمية محكمة فصلية

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

برلين - ألمانيا

ISSN : 2625-8943

*JOURNAL OF  
CULTURAL LINGUISTIC  
AND ARTISTIC STUDIES*

*An International scientific  
Periodical Quarterly Journal  
Issued by*

*The Democratic Arabic Center*

© Democratic Arabic Center

Germany - Berlin

ISSN: 2625-8943

E-MAIL

[culture@democraticac.de](mailto:culture@democraticac.de)

مجلة

الدراسات الثقافية

واللغوية والفنية

تعنى المجلة بالبحوث والدراسات  
الأكاديمية الرصينة التي يكون  
موضوعها متعلقا بجميع مجالات علوم  
اللغة والترجمة والعلوم الإسلامية  
والآداب، والعلوم الاجتماعية  
والإنسانية، وكذا العلوم الفنية  
وعلوم الآثار، للوصول إلى الحقيقة  
العلمية والفكرية المرجوة من البحث  
العلمي، والسعي وراء تشجيع  
الباحثين المقيام بأبحاث علمية رصينة

الهيئة المشرفة على المجلة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان



مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

دورية علمية دولية محكمة

تصدر عن

المركز الديمقراطي

العربي

ألمانيا – برلين

وتعنى بنشر الدراسات والبحوث في التخصصات التالية

- الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
- اللغات والترجمة والآداب والعلوم الإسلامية
- العلوم الفنية وعلوم الآثار

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد جودات

جامعة محمد الخامس بالرباط / المغرب

أ.د. الفالي بن لباد

جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. ضياء عني العبودي

جامعة في قار / العراق

د. أحمد حسن إسماعيل المسن

الجامعة الهاشمية / الأردن

د. جمال ولد الخليل

جامعة حائل / المملكة العربية السعودية

د. رسول بلاوي

جامعة خليج فارس – بوشهر / إيران

د. محمود خليف خضير العباني

الجامعة التقنية الشمالية / العراق

نائب رئيس التحرير

أ.د. عبد الكريم حمو

باحث بالمركز الوطني للبحث

في الأنثروبولوجيا الاجتماعية - وهران

رئيس التحرير

أ.د. سالم بن لباد

مساعد رئيس التحرير

أ.د. بدرالدين شعباني

جامعة قسنطينة 2 / الجزائر

التصميم والإخراج الفني

أ.د. بدرالدين شعباني

# شهادة تمكيم المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

بناءً على تقرير السادة الخبراء؛ يشهد مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بأن:

مجلة ( لدراسات ثقافية واللغوية والفنية )

الحاملة للترقيم المعياري:

ISSN: 2625-8943

قد نحتلت على درجة 100/57

وعليه فهي حسب مؤشر (AIMQSJ) نعتبر من المجلات الحسنة؛ فئة (B+)



Arabic Index of Measuring the Quality of Scientific Journals



مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

د. محمد الحاج

مركز مؤشرات

**أ.د/ بدرالدين شعباني**  
**جامعة قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري**

**رئيس**  
**اللجنة العلمية**

**اللجنة العلمية والاستشارية**

- د. جمال ولد الخليل جامعة حائل / المملكة العربية السعودية
- أ.د. أرزقي شمون جامعة بجاية / الجزائر
- د. نصيرة شيادي جامعة تلمسان / الجزائر
- د. رشيدة بودالية جامعة البويرة / الجزائر
- أ.د. كمال علوات جامعة البويرة / الجزائر
- د. طه حميد حريش الفهداوي كلية الامام الاعظم جامعة بغداد / العراق
- أ.د. سعدي الدراجي المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة / الجزائر
- د. مالكي سميرة جامعة وهران 2 / الجزائر
- د. حسام عزمي العفوري أكاديمية مينيسوتا لتعليم اللغات / تركيا
- د. هدية صارة باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران / الجزائر
- د. محمد بن لباد المركز الجامعي مغنية / الجزائر
- د. محمود خليف خضير الحياني الجامعة التقنية الشمالية / العراق
- د. علي مولود فاضل مدرس في علوم الاتصال والإعلام كلية الإسراء الجامعة / العراق
- د. محمد ياسين عليوي الشكري كلية التربية للبنات جامعة الكوفة / العراق
- د. ليلي كواكي مركز البحث العلمي والتقني في علم الإنسان
- أ.د. الغالي بن لباد جامعة تمنغاست / الجزائر
- أ.د. ضياء غني العبودي جامعة ذي قار / العراق
- أ.د. عبد الحليم بن عيسى جامعة وهران 1 / الجزائر
- أ.د. محمد أحمد سامي أبو عيد جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن
- أ.د. عبد الكريم حمو باحث بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهران / الجزائر
- أ.د. الزاوي لعموري جامعة الجزائر 2 / الجزائر
- أ.د. سالم بن لباد جامعة غليزان / الجزائر
- أ.د. بدرالدين شعباني جامعة قسنطينة 2 / الجزائر
- أ.د. جميلة ملوكي جامعة تمنغاست / الجزائر
- أ.د. الزهرة قريصات جامعة تيارت / الجزائر
- أ.د. صديق بغورة جامعة المسيلة / الجزائر
- أ.د. نعيمة بن علية جامعة البويرة / الجزائر
- أ.د. ليلي مهدان جامعة خميس مليانة / الجزائر
- م.أ.د. علي عبد الأمير عباس الخميس جامعة بابل / العراق
- أ.د. حبيب بوسغاي جامعة عين تيموشنت / الجزائر
- د. رجاء أبو علي جامعة طهران / إيران
- د. مناد لطيفة جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

د. عبد القادر قدوري جامعة الأغواط/ الجزائر  
د. رسول بلاوي جامعة خليج فارس - بوشهر/ إيران  
د. بابو سقال مريم جامعة سعيدة/ الجزائر  
د. فاطمة الزهراء نهمار جامعة البليدة 2/ الجزائر  
د. أحمد حميد أوغلو جامعة إبراهيم جاجان/ تركيا  
د. بوزياني فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر  
د. صليحة لطرش جامعة البويرة/ الجزائر  
د. نسيمه بغدادي جامعة المسيلة/ الجزائر  
د. هبيري فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر  
د. علاء الدين عبد اللطيف عبد العاطي محمد أبو العينين جامعة القاهرة/ مصر  
د. كاهية باية جامعة محمد بوضياف المسيلة/ الجزائر  
د. نبيل أحمد عبد العزيز رفاعي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج/ مصر  
د. عبد القادر عوادي جامعة سيدي بلعباس/ الجزائر  
د. علي ساهي جامعة الأغواط/ الجزائر

د. نورالدين بن نعيجة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط/ الجزائر  
د. فاتح كرغلي جامعة البويرة/ الجزائر  
د. سليم مزهود المركز الجامعي ميله/ الجزائر  
د. محمد أحمد محمد حسن مخلوف جامعة الأزهر/ مصر  
د. روح الله صيادي نجاد كاشان/ إيران  
د. فاطمة الزهراء ضيفاف جامعة بومرداس/ الجزائر  
د. سمية قندوزي جامعة/ الجزائر  
د. فتيحة بوشان جامعة البويرة/ الجزائر  
د. محمد بوعلاوي جامعة المسيلة/ الجزائر  
د. أمينة شنتوف مركز تطوير اللغة العربية وحدة تلمسان/ الجزائر  
أ.د. بن عزوز حليلة جامعة تلمسان/ الجزائر  
د. بن عطية كمال جامعة الجلفة/ الجزائر  
د. خالد حوير شمس جامعة بغداد/العراق  
د. كاتب كريم جامعة وهران 1/ الجزائر  
د. حميدش مونيعة جامعة الجزائر 2  
د. محمد رزق الشحات عبد الحميد شعير جامعة هيتت/ تركيا  
د. أمينة بن قويدر جامعة تيارت/ الجزائر  
د. سوسن بوزيرة جامعة تيارت/ الجزائر  
د. محمد بلحسن المركز الجامعي مغنية/ الجزائر

## مقاييس وشروط النشر

### الهوامش

#### تكتب بنظام

#### APA

على الشكل الآتي:  
في المتن يكتب  
بين قوسين: لقب  
الكاتب والسنة  
والصفحة (اللقب:  
السنة، ص ..)

### المراجع

تكتب المعلومات  
الكاملة في آخر  
المقال على هذا  
النحو:  
إسم ولقب الكاتب،  
عنوان الكتاب،  
الجزء، دار النشر،  
الطبعة، بلد النشر،  
سنة النشر،  
الصفحة.

تخص البحوث المرسله الى المجلة الى مجموعة من الشروط تتمثل فيما يلي

1. يجب أن تتوفر في البحوث المقترحة الأصالة العلمية الجادة وتتسم بالعمق.
2. على صاحب البحث كتابة إسمه وعنوانه الالكتروني والجامعة والبلد الذي ينتمي اليه أسفل عنوان البحث، مع إرفاق سيرة ذاتية وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.
3. ترتب المراجع والهوامش في نهاية المقال حسب الطرق المنهجية المتعارف عليها ووفقا للتسلسل العلمي المنهجي وبطريقة يدوية.
4. ترفق المقالات بملخص لا يتجاوز 10 أسطر باللغة العربية ويترجم الملخص الى اللغة الانجليزية أو العكس مع التطرق الى الكلمات المفتاحية.
5. حجم البحث لا يقل عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة.
6. تكتب المقالات بحجم 16 بصيغة Traditional Arabic بالنسبة للمتن وبحجم 12 بصيغة Times New Roman بالنسبة للهوامش، أما بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى يكون بحجم 12 بصيغ Times New Roman بالنسبة للمتن و10 بالنسبة للهوامش وبنفس الصيغة.
7. إرفاق البحث بملخص باللغتين العربية والانجليزية.
8. على البحوث المقترحة أن تراعي القواعد المنهجية والعلمية المتعارف عليها.
9. ترسل المقالات المقترحة لهيئة أمانة التحرير لترتيبها وتصنيفها، كما تعرض المقالات على اللجنة العلمية لتحكيمها.
10. يجب ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم الى مجلة أخرى.
11. ترسل المقالات الى البريد الالكتروني للمجلة.
12. تمتلك المجلة حقوق نشر المقالات المقبولة ولا يجوز نشرها لدى جهات أخرى الا بعد الحصول على ترخيص رسمي منها.
13. لا تشر المقالات التي لا تتوفر على مقاييس البحث العلمي أو مقاييس المجلة المذكورة.
14. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة الى أصحابها.
15. تحتفظ المجلة بحق نشر المقالات المقبولة وفق أولوياتها وبرنامجه الخاص.
16. البحوث التي تتطلب تصحيح أو تعديل مقترحا من قبل لجنة القراءة تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
17. ألا تكون البحوث المرسله مستلة من مطبوعة، او جزء من أطروحة.
18. أن تتضمن البحوث المرسله على قائمة المراجع تدرج في الأخير.

### التحكيم

- تخضع كل البحوث المقترحة للتحكيم العلمي المزدوج من طرف لجنة القراءة وبسرية تامة، بحيث
- يحق للمجلة اجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على البحوث المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.
  - يقوم الباحث بتصحيح الأخطاء التي يقدمها له المحكمين في حال وجودها وإعادة ارسالها للمجلة.
  - لغات المقالات: العربية، والأمازيغية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية.

### - المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي المجلة -

ترسل البحوث المقدمة للنشر عبر البريد الالكتروني

[culture@democraticac.de](mailto:culture@democraticac.de)

الفهرس		
الصفحة	العنوان	الرقم
12	كلمة العدد	1
41-13	الجماليات المثالية والرومنسية في الرواية الجزائرية الحديثة -دراسة في الأبعاد التاريخية وآليات التطور- The Aesthetics of Idealism and Romanticism in the Modern Algerian Novel -A Study of Historical Dimensions and Mechanisms of Development- أ.د. فتحي بوخالفة - جامعة المسيلة (الجزائر)	2
58-42	الصناعة الثقافية ومقتضيات السوق: انفتاح واستقطاب لدول الأطراف The Cultural Industry and Market Demands د- رياض بنالحاج أحمد- أستاذ محاضر، جامعة قرطاج- تونس	3
77 -59	أحكام الإسلام بين ضرورات الأمن ومدافعة الإرهاب The Provisions of Islam Balancing the Necessities of Security and Combating Terrorism د. عبد الرحيم محمد علي، الهيئة الليبية للبحث العلمي	4
88-78	سؤال البلاغة-مقال نقدي غير بريء، قراءة في كتاب "أساليب الحجج والإقناع من البلاغة اليونانية القديمة إلى البلاغة العربية المعاصرة" للدكتور رضوان بليب Read the book "Methods of Pilgrims Rhetoric Question - An innocent critical article By From ancient Greek rhetoric to contemporary Arabic rhetoric and Persuasion" Dr. Radwan Balibit د.نور الدين الناصري، دكتوراه في النقد الأدبي، المغرب	5
103 -89	اسهامات اللغويين الغربيين في تطوير اللغويات المعرفية CONTRIBUTIONS OF WESTERN LINGUISTS O THE DEVELOPMENT OF COGNITIVE LINGUISTICS أحمد غربا، Federal University of Kashere, Gombe State Nigeria Department of Arts and Social Science Education	6
117-104	التباين والتعدد اللغوي في السودان وإشكالية الهوية الثقافية The Diversity and Linguistic Plurality in Sudan and the Issue of Cultural Identity مهند هارون هارون موسى، محاضر بجامعة النيلين -السودان	7
139-118	تقويم الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية في اللغة العربية بين الواقع والمأمول Evaluating the Cognitive, Skillful, and Emotional Aspects in the Arabic Language:	8

	Between Reality and Aspiration نحضر ذيب، أستاذ التعليم العالي، جامعة عمار ثليجي الأغواط - الجزائر	
154-140	التربية الدامجة في النظام التعليمي التونسي من المساواة إلى العدالة الإشكاليات و الحلول. Inclusive education in the Tunisian educational system, from equality to justice, problems and solutions د. كمال بالهادي، باحث وزارة التربية تونس	9
168-155	الخطاب السياسي بالمغرب- دراسة معجمية للخطاب الملكي 08 ماي 2012 the Political Discourse in Morocco-A Lexical Study of the Royal Discourse 08 May 2012 عز الدين القدري، طالب باحث بسلك الدكتوراه، الدكتور عبد القادر حمدي، أستاذ التعليم العالي، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب	10
183-169	المستكشفة الهولندية (ألكسندرينا تينا): دراسة في رحلتها وظروف مقتلها في الصحراء الليبية (1868 - 1869) The Dutch Explorer (Alexandrine Tinné):A Study of Her Journey and the Circumstances of Her Murder in the Libyan Desert (1868 - 1869) عبدالله ابراهيم الشاعث - جامعة عمر المختار - البيضاء / ليبيا	11
195-184	المنسوج الأمازيغي التونسي: حكايات تراثية بلهجات تشكيلية Tunisian Amazih tissue :traditional tales with plastic touches د. عمر عياد جامعة قابس الجمهورية التونسية	12
214-196	الدور الوسيط للقيادة الإدارية في العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري المتغير المعدل ظروف العمل بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان. The mediating role of administrative leadership in the relationship between work motivation and voluntary turnover, moderated by the variable of working conditions, applied to private hospitals in North Kordofan State, El Obeid, Sudan * د. محمد مختار إبراهيم أحمد- أ. مشارك-جامعة كردفان - كلية الاقتصاد والدراسات التجارية - قسم إدارة الأعمال - السودان- د. صديق عبد الرحمن شعيب صالح -جامعة البطانة، كلية علوم الإدارة والاقتصاد (السودان)، أ. مجاهد سيف الدين محمد سعد- باحث-جامعة كردفان - كلية الاقتصاد والدراسات التجارية - قسم إدارة الأعمال - السودان-	13
233-215	الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي في رواية "المحدد بقي بن يقظان" ل- عبد الرشيد هميسي- The Semantic Dimensions of the Desert Space in the Novel "The Atheist Baki ben Yakdhan" by -Abde Rrachid Hemici-	14

	شهرزاد بنت محمد بن الطيب حامدي الديبلة-الوادي- الجزائر	
245-234	تجليات البلاغة في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان The Manifestations of Rhetoric in the Philosophical Discourse of Taha Abderrahmane	15
	منير بوردي، باحث في البلاغة وتحليل الخطاب، جامعة محمد الخامس بالرباط - المغرب	
261-246	منجزات الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية وإشعاعها في أوروبا Pharmacy in the Arab-Islamic civilization and its impact on Europe	16
	الناصر الهمامي/دكتوراه في اللغة والأدب والحضارة العربية/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس	
292-262	معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية Challenges of Marketing Electronic Banking Services in Commercial Banks	17
	عبدالسلام سالم مسعود البوسفي، كلية التقنية الطبية صرمان - جامعة صبراتة- ليبيا	
318-293	مستقبل المنظمات في سياق ما بعد الحداثة-أولويات في المنهج وطرق الاستشراف The Future of Organizations in the Context of Postmodernism Priorities in Methodology and Foresight Approaches	18
	د.لطفني بن لعوج / تخصص علم الاجتماع والأنثروبولوجيا/ جامعة محمد بن أحمد - وهران 02. سعودي لزهاري/ المركز الجامعي نور البشير / البيض - طالب دكتوراه, تخصص علم الاجتماع التربوية	
328-319	ظاهرة الوحي في فكر محمد شحرور The phenomenon of revelation according to Shahrour	19
	د/ راقية بنزيح المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بسيطة/تونس	
360-329	دور القنوات الفضائية في تعزيز حقوق الإنسان وحياته الأساسية (دراسة وصفية تطبيقية على قناة العربية) The Role of Satellite Channels in Promoting Human Rights and Basic Freedoms (An Applied Descriptive Study on Al-Arabiya Channel)	20
	د/ عبدالمولى موسى محمد موسى، أستاذ الاعلام المشارك، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان بدور عبد الوهاب المنير، طالب باحث في الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان	
372-361	حجاجية المجاز في المقامة الفزارية لبديع الزمان الهمداني The argumentation of trope in the fazari Maqamah of Badie Al Zaman Al hamadani	21
	د. سعيد السعدي، باحث في البلاغة وتحليل الخطاب جامعة شعيب الدكالي، المغرب	
385-373	بعض إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس على نهضة أوروبا Some contributions of the Arab-Islamic civilization in Andalusia to the renaissance	22

	of Europe	
	مرابط محمد، قسم الرياضيات، جامعة الشلف، الجزائر شِعْرِيَّةُ الفَجْوَةِ شِعْرِيَّةٌ لِلْمُمْكِنِ: كَمَالُ أَبُو دَيْبٍ مُؤَدِّجًا	
399-386	"The Poetics of Gap as a Poetics of the Possible : Kamal Abu-Deeb as a Model" الأستاذ قايل مسعدي، أستاذ في المعهد العالي للغات/ جامعة قابس/ الجمهورية التونسية	23
413-400	جوانب إصلاحية في جهود الشيخ مصطفى ماء العينين. Reformative Aspects in the Efforts of Sheikh Mustafa Ma'al-Aynayn د. الطاهر لمزيري، - أستاذ العلوم الشرعية بمعهد العرفان للتعليم العتيق بأسفي - حاصل على الدكتوراه في القرآن وعلومه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - ابن زهر/ أكادير/ المملكة المغربية.	24
434-414	شعرية الأوريغامي في القصة العربية الحديثة The poetics of origami in the modern Arabic story د. أحلام الطويل، الدكتوراه في اللغة والآداب والحضارة العربية من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس	25
451-435	العلاج بالفن: رحلة ابداعية نحو الاستشفاء الاجتماعي "الفن التشكيلي من التعبير إلى العلاج، وصولاً إلى التغيير السلوكي" Art therapy : A creative journey towards social healing "Visual arts from expression to therapy, leading to behavioral change" أريج ذبيبي/ باحثة في الفنون التشكيلية - جامعة صفاقس، تونس	26
462-452	تماهي مصطلح الشعرية اللسانية مع مصطلحات النقد العربي الحديث (الشاعرية والأدبية والجمالية، نماذج) The convergence of the linguistic poetic term with modern Arabic criticism terms (poetic, literary, and aesthetic, examples) ميلود المطك، أستاذ اللغة العربية بالتعليم الثانوي المغرب، باحث وناقد، دكتوراه: تخصص النقد الحديث	27
475-463	أشكال التمثيل الثقافي في رواية "العجيرة" لوثام المدي "Forms of Cultural Representation in the Novel 'The Gypsy' by Weam Al-Maddadi" لحسن مفيد (طالب دكتوراه)، الجامعة: مولاي إسماعيل - مكاس، المغرب	28
498-476	صورة الرجل في الأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية المغربية: الواقع وآليات التجويد - في الفترة ما بين 1919م إلى 2023م - The Portrayal of Men in Moroccan Cinematic Films and TV Series: Reality and Improvement Mechanisms - From 1919 to 2023 البصري سليمان: أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي بوزارة التربية الوطنية والتعليم والرياضة - المغرب	29
509-499	الايقونة المعاصرة بين الابداع الفني والتكنولوجيا	30

	The contemporary icon between artistic creativity and technology صبرين سهلاوي: طالبة دكتوراه، المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل، تونس	
521-510	Interactive Narratives and Non-linearity: Bridging Ergodic Literature and Video Games السرد التفاعلي وعدم الخطية: ربط بين الأدب الإرجوديكي وألعاب الفيديو Dr. Rym GRIOUI, University of Carthage, Republic of Tunisia	31
561-522	The historical, ideological, economic, financial dimensions their impact on public education and higher education A realistic study of Sudan during the period 1956-2022 الأبعاد التاريخية، الأيديولوجية، الاقتصادية، المالية وتأثيرها على التعليم العام والتعليم العالي دراسة واقعية للسودان خلال الفترة 1956-2022 Prof.Dr. Salah Mohamed Ibrahim Ahmed, Professor of Economics, Dean of the Faculty of postgraduate studies and scientific research, White Nile University, Kosti, Sudan.	32
577-562	Book review: Translation, and the Manipulation of Difference: Arabic Literature in Nineteenth Century England by Tarek Shamma مراجعة كتاب: الترجمة والتلاعب بالاختلاف: الأدب العربي في إنجلترا في القرن التاسع عشر، تأليف طارق شمة Tarik ElFalih, Abdelmalek Essaadi University, Faculty of letters and Human Sciences Tetouane, Morocco	33
598-578	Unveiling Eugene O'Neill's Long Journey into Night and John Millington Synge's The Well of the Saints: A Comparative Examination through Julia Kristeva's Concepts of Abjection and Melancholia كشف رحلة يوجين أونيل الطويلة في ليلة واحدة وبئر القديسين لجون ميلينجتون سينج: دراسة مقارنة من خلال مفاهيم جوليا كريستيفا للذيلة والكآبة By Arezki KHELIFA/Associate-Professor at the Department of English, Faculty of Letters and Languages, Mouloud MAMMERI University of Tizi-Ouzou, Algeria	34

## كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام، على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى وآله  
وصحبه أجمعين وبعد،

تعود مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، لتنشر مولودا جديدا، وجاء هذا العدد  
متنوعة الأبحاث العلمية، ذات رؤى واعية وبلغات متعددة ومجالات متنوعة، وفق قواعد  
علمية ومنهجية مضبوطة، كما يحمل دراسات علمية قيمة ومتنوعة، تسير مجال اختصاصها  
واهتماماتها.

ولقد تلقينا الكثير من البحوث، التي تعد من المواد العلمية والمعرفية المهمة في مجال  
الدراسات اللغوية والثقافية والفنية، وكالعادة خضعت لتحكيم علمي موضوعي، مما صعب  
علينا انتقاءها واختيارها.

ومن هذا المنبر نعتذر من الذين لم يتسن لهم نشر ورقتهم البحثية في هذا العدد،  
ونضرب لهم موعدا في الأعداد المقبلة بحول الله تعالى.

في الأخير نجدد الشكر لكل من ساهم في اصدار هذا العدد، وشكر خاص للسيد  
رئيس المركز الديمقراطي العربي.

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور سالم بن لباد

## الجماليات المثالية والرومنسية في الرواية الجزائرية الحديثة

### -دراسة في الأبعاد التاريخية وآليات التطور-

## The Aesthetics of Idealism and Romanticism in the Modern Algerian Novel

### -A Study of Historical Dimensions and Mechanisms of Development-

أ.د. فتحي بوخالفة / قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات - جامعة المسيلة (الجزائر)

Fethi.boukhalfa@univ-msila.dz

#### \*ملخص:

يناقش البحث موضوعاً أساسياً من المواضيع الفكرية والفلسفية، التي شهدتها الرواية الجزائرية الحديثة، خلال مسارات تطوراتها الفنية والتاريخية، وهو موضوع القيم المثالية والرومنسية. وطبيعي جداً أن هذا الموضوع ينافي إلى حد ما، الخصائص الجمالية الواقعية وغيرها من الرؤى الجمالية والفنية الأخرى، ذات التوجهات الموضوعية المجردة.

تم معالجة الموضوع من خلال خصائص الأبعاد التاريخية وآليات التطور، التي شهدتها الرواية الجزائرية الحديثة، في توظيفها للقيم المثالية والرومنسية، من خلال نماذج روائية جزائرية حديثة، مع الإشارة إلى مدى استجابة التوجهات المثالية والرومنسية، لطبيعة الواقع الجزائري، الذي عرف الكثير من الصراعات والتحويلات، على امتداد مساراته التاريخية. \*الكلمات المفتاحية: الرومنسية، المثالية، الواقعي، الموضوعي، التطورات الاجتماعية، الجمالية المثالية، التحويلات الجدلية.

#### Abstract:

The research paper discusses a fundamental topic of the intellectual and philosophical themes that the modern Algerian novel focuses on during the paths of its artistic and historical developments, which is the theme of ideal and romantic values. It is evident that this topic contradicts to some extent the realistic aesthetic characteristics and other aesthetic and artistic visions with abstract objective orientations. The topic is addressed through the characteristics of the historical dimensions and mechanisms of development that the modern Algerian novel witnessed in its employment of ideal and romantic values in its use of the two types of values through some modern Algerian novels. Focus will be on the extent to which ideal trends they respond due to the nature of the Algerian reality, which has known many conflicts and transformations throughout its historical paths.

**Keywords:** Romanticism, idealism, realism, objectivism, social developments, ideal aesthetic, Dialectical

صاحبت الحركة "الرومنسية" منذ نشأتها عدة مفاهيم، لكنها بقيت ذات ماهية جوهرية واحدة، هي أن وجودها ارتبط بالإطار الفلسفي والسياسي الذي ساد الظروف التاريخية للقرن التاسع عشر. ف"مدام دوستايل" Madame de Stael تطرح تعريف الرومنسية انطلاقاً من العلاقة القائمة بين الشعر والحركة الرومنسية، وتقصد بذلك الشعر الذي يتضمن حياة الماضي الوطني، الذي هو أدب الملاحم و الفروسية في الأدب الرومنسي.

نقلت كلمة "رومنتيك" Romantique بداية عن كتابات الكاتب والفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو" Jean.J.Rousseau وكان تعريف الكلمة ذا صلة وثيقة بالمنظر والأشخاص، أكثر من صلته بالأحداث ذات العلاقة المباشرة بالقصص والحكايات.

استمر التطور الاشتقاقي للكلمة ليدل بعد ذلك على كل الأشكال التعبيرية الأدبية و الجمالية. ثم اتسع مدلول الكلمة بعد انتقالها إلى "إيطاليا" عام 1815م، ثم إلى "إسبانيا" لتدل على « الإنسان الحالم ذي المزاج الشعري المنطوي على نفسه» (غنيمي هلال، 1973، ص:06).

اندمج المعنى مع تطور الحركة الفكرية والأدبية والفلسفية، بمعاني أخرى، كملك المتعلقة بالاضطراب النفسي والفردية، والإغراق في الهموم والذاتية ذات الأبعاد المحدودة. فتشكل النمط الجمالي لتعريف الحركة الرومنسية، بعدد الكُتاب والشعراء الرومنسيين. انطلقت تعاريف الرومنسية من منطلقين أساسيين هما:

-المنطلق الأول أخذ بالمعيار الاجتماعي، على أساس أن الرومنسية هي نتاج الثورة البرجوازية بكل سلبياتها وإيجابياتها التاريخية. وهي نتاج الصدمة التي فاجأت الكُتاب والشعراء والمفكرين والفنانين، عندما انقلبت الأفكار البرجوازية على الآمال والطموحات الجماهيرية. فدفعتهم هذه الصدمة إما إلى الثورة ضمن الحدود التي يتيحها الوعي الرومنسي، أو إلى الانقباض الذاتي، والانكفاء على العيش ضمن الزوايا المظلمة أو المغلقة.

-المنطلق الثاني هو المنطلق الذي عزل الحركة الرومنسية عن الحركة التاريخية، وسائر المعارف الإنسانية السابقة لها. واعتبر هذا المنطلق وجود الرومنسية، نتيجة الإرادات الفعالة للأفراد.

ومؤكد أن التعاريف التي تدخل ضمن هذه الرؤية المثالية، تكون بعيدة عن المنظور العلمي المحدد، لأنها لا تستطيع التكفل بمعالجة الانشغال المتعلق، بدواعي ظهور الحركة الرومنسية بداية بـ"فرنسا"، مع

البدایات الأولى لسقوط العلاقات الإنتاجية والاقطاعية؟.. ولماذا تطورت الرومنسية بعد انقلاب البرجوازية واستئسادها على مناحي الحياة الاجتماعية في أوروبا بشكل واضح جلي؟.. سيطرت موضوعات مختلفة على الاتجاه الرومنسي في الأدب، حيث تم طرح عدة قضايا إنسانية مختلفة، وفق وجهات نظر عديدة، بغرض دراستها ومناقشتها، في جوهر الأعمال الإبداعية للرؤية الرومنسية. فنشأت من أجل ذلك نوادي أدبية وفكرية عديدة منها: نادي "مدام دي لومبير" Madame de Lambert. وقد كانت الأعمال الفكرية والأدبية لهذه السيدة، تركز أساسا على دور القيم الروحية والعاطفية، في تنمية ذوق الإنسان، حيث لوحظ هذا بوضوح في كتابها الشهير، "انطباعات جديدة عن النساء" Réflexions nouvelles sur Les femmes، علما بأن رواد الكتابة الكلاسيكية في ذلك الوقت، كانوا يعتبرون أكثر بالإرادة والعقل لدى الإنسان، من أجل تحقيق السمو الروحي المنشود لديه. لكن بجي المذهب الرومنسي تغير المفهوم، حيث صارت العاطفة والعقل، الأتموجان الأساسيان لإدراك مكان الحياة، السامية لدى الإنسان (غنيمي هلال، 1973، ص:23).

من هنا كان إعجاب الرومنسين بالطبيعة، وبالإنسان الغابي الذي يعيش في أوساط الطبيعة الغابية، لأنه من منظورهم يشكل الصورة الحقيقية، للإنسان الطبيعي كما نشأ لأول مرة في الوجود. مما جعل الحركة الرومنسية الحديثة، تبتعد عن المنحى الثوري التغيير، عندما نشأت لأول مرة، وإبعادها عن أداء دورها الاجتماعي والتاريخي المنوط بها. لذلك كان أديبا أرسطوقراطيا، رغم احتجاجاته على التوجهات الكلاسيكية إلا أنه اكتفى بإصلاح الفوارق الاجتماعية في ظل الأنظمة الاجتماعية القائمة.

مثل هذه الطروحات كرسست الرؤية الفردية لدى الرومنسين، إلى جانب تكريسها لظاهرة الاستسلام والسلبية إزاء المشاكل الاجتماعية المطروحة، والتي صعب على الوعي الرومنسي مواجهتها بقوة آنذاك. استفاد المذهب الرومنسي من النظريات الفلسفية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وكذا القرن التاسع عشر. وهما القرنان اللذان ظهرت فيهما بقوة، التحولات الطبقيّة والاجتماعية في المجتمعات الأوروبية الحديثة. وفي معظم النظريات الفلسفية التي نظرت للرومنسية، كانت العاطفة هي الطريق الفعلية لكشف الحقيقة، وخاصية من خصائص التفكير العقلي للإنسان آنذاك. تعود تنظيرات الرومنسية القديمة، إلى تنظيرات فلسفة "أفلاطون" المثالية، في مجال الحب والعاطفة. وانعكست هذه الرؤية أكثر على كتابات "جون جاك روسو"، أحد أبرز الفلاسفة والكتاب الرومنسين في

أوروبا. حيث يؤمن بقيمة وأهمية الحب والعاطفة في النموذج الإنساني، والإعلاء من شأن الطبيعة. وكان "روسو" بذلك يمارس انتقادات قوية ضد المذهب الكلاسيكي الأرستقراطي، في توجهاته الجمالية العتيقة. وقد ظهرت الرؤية ذاتها في الكُتاب الأدبية لـ"غوته"، و"شيلر"، اللذان حاولا في كتابتهما تجاوز المنظومة الفكرية لطبقة النبلاء.

وقد كانت كُتاب كل من "روسو" و"غوته" و"شيلر" على اختلاف ما هو سائد لدى الرومنسيين في معالجة ظاهرة الحب، تنطلق من رؤية محدودة لا تستطيع تجاوز الوقائع والحيثيات الاجتماعية الماثلة أمامها. وحتى ظاهرة الحب في منظور الرومنسيين التقليديين، ظاهرة قدرية غالبا ما تنتهي نهاية مأساوية، ويبقى المحبين دائما على درجة من اليأس والطهارة والعفة... وغيرها من القيم التي اعتمدها الرومنسية. واضح أن الرومنسيين اهتموا كثيرا بأحاسيسهم الفردي لمداراة قصورهم الذهني والفكري، وفراغهم الذي يعيشونه باستمرار والذي يجد تفسيره اجتماعيا. هذا الضعف الذي لازمهم دفعهم أحيانا لاتخاذ مواقف ضد الفئات المسحوقة اجتماعيا، وأحيانا يتعاطفون مع هذه الفئات، لكن دون تقديم اقتراح رؤية واضحة تسهم في تغيير أوضاعهم. وواضح أن الرومنسيين في حال فشلهم في تقديم رؤية إصلاحية معينة، فإنهم غالبا ما يلجئون إلى الأمنيات المثالية، كحل جاهز يحقق هروبهم من الواقع الاجتماعي المعقد، الذي لا يفضلون الخوض في تعقيداته وتناقضاته.

ومثل هذه الظاهرة موجودة بقوة لدى كبار الكُتاب الرومنسيين أمثال "فيكتور هيغو" Victor Hugo ، و"شاتو بريان" Château Brian وغيرهما من الكُتاب الرومنسيين المعروفين. حيث آثروا البقاء في الفضاءات المثالية الفسيحة، مبتعدين عن الواقع وتداعياته بمختلف تعقيداته وتشابكاته. لأن التعقيدات الاجتماعية في نظر الرومنسيين، جوانب حياتية مليئة بالقيود ومعاناة الناس، وتقزيم الإرادة. فـ"بايرون" Byron مثلا يعتبر الشعب "قطيعا"، وهو موقف يجسد رؤية كاتب أوروبي، من خلال التعالي عن الواقع الاجتماعي، حيث يبدو هذا الموقف معزولا عن الأطر الاجتماعية والتاريخية بكل تعقيداتها، والتي أنتجت هذا الوعي المحدود، والذي أسهم بوضوح في تطور المذهب الرومنسي. «وتعالى الرومانتيكي على الجماهير لا يعني أنه عدو لهم، بوصفهم من الناس، لأن شغله الشاغل هو العطف على مظلوميهم والثورة من أجلهم، ولكن العبقرية لا يلائمهما أن تلتبس في سواد الناس» (غنيمي هلال، 1973، ص: 42). رأي كهذا بحاجة إلى المزيد من الإقناع والتدليل على أهميته. لأن المسألة تتجاوز مجرد العطف على الجماهير. فلا يمكن للرومنسي في هذه الحال أن يكون بديلا عن رغبة الجماهير، في تغيير واقعها

الاجتماعي والتاريخي. لأن وعي الرومنسي دون قدرة هذه الجماهير على التغيير، ودون مدها الثوري الكامن في أفرادها، لا يمثل شيئاً ذا قيمة. لذلك بقيت الرومنسية عاجزة عن فهم ذاتها، وفهم طبيعة الواقع وقيمه. ولم تتمكن من تطوير ذاتها، وإدراك طبيعة العلاقة الجدلية، التي ينبغي أن تربطها بالجماهير الشعبية الواسعة، التي من شأنها إحداث، التغيير اللازم وفق مقتضيات التحولات التاريخية القائمة. إن الفشل في هضم العلاقة الجدلية القائمة بين الرومنسيين والواقع الاجتماعي، هو ما دفع بالرومنسيين إلى إفراغ كافة سلبياتهم، ونقاط ضعفهم على أبناء المجتمع، واعتبارهم السبب في البؤس القائم، وأنهم لم يتمكنوا من فهمهم. وهذا ما يفسر انكفاء الرومنسيين على ذواتهم، وإحساسهم المزمّن بالحزن والفراغ، وقصور الحياة على احتواء أحلامهم. ومؤكّد أن مثل هذه الظواهر السلبية التي شاعت لدى الكُتاب والشعراء الرومنسيين، هو نتيجة الانفصال عن انشغالات أبناء المجتمع، وغياب العلاقة الطبيعية التي تربطهم بهم.

ومع ذلك تستثني بعض التجارب التي هي تجارب رومنية متقدمة، وذات طروحات اجتماعية موضوعية. فتجربة الكاتب "فيكتور هيجو" مثلاً تنصّر لفكرة خدمة الإنسانية؛ فدافع الكاتب عن صغار الناس في المجتمع وضعفائهم، وتعزية بؤسهم ومعاناتهم الدائمة، هي محاولات جادة لضرب الاقطاعية وإزالة تقاليد البائدة. فقد توصل الكاتب مع بعض التحفظ، إلى إيجاد وفهم العلاقة المتجانسة بينه وبين جماهير الشعب، صاحبة المصلحة الفعلية في التغيير الاجتماعي.

تبحث الرومنسية دائماً عن الراحة النفسية، ونتيجة لقصورها النظري لا تبدو دائماً كما ينبغي أن تكون بكل مثالياتها، إلا في حالات الانتحار التي تراها تخلصاً من الحياة التي لا تستحق المعاناة والكفاح من أجلها. ففي بعض شخصيات "جوته" مثلاً، تبدو الشخصية اليأسية مبرزة للضعف الذي صاحب الحركة الرومنسية، إلى جانب الفشل في فهم الواقع بمتغيراته وتجاوزه.

ومن الممكن أن يوجد العكس؛ ففي حال فهم الكاتب أو الشاعر الرومنسي، عدم جدوى الانتحار، فإنه يلجأ إلى الأحلام والأخيلة، تعويضاً عن القصور الذي يعانیه في واقعه الحيّاتي.

هذه الأخيلة المتوقّدة كما يراها "شاطو بريان"، تسمح له بخلق شخصية امرأة مثالية، بصفات متعالية، يتخيل هذه الصفات من بين صفات جميع النساء، اللواتي يعرفهن.

بهذا المعنى يكون الخيال الجالح للرومنسي، مجرد نظرة "دنكيشوتية" سلبية، أو استجابة ملحة في نفس الرومنسي ناتجة عن قصور وعي في فهم الواقع؛ فيتخيل عالماً وهمياً خارج الأطر الزمانية والمكانية.

ومن منظور الرومنسية العالم الواقعي الموضوعي، عالم يتسم بالنقائص والتناقضات، لذلك يجب الابتعاد عنه، واللجوء إلى عوالم الأخيلة والعواطف والأحاسيس والطبيعة. وربما صعب هذا الفهم المحدود للأطر الواقعية والاجتماعية والتاريخية، نظرة دينية لدى بعض الرومنسيين، بحيث يتم طرح الماضي والحاضر كأهم عناصر الوجود الإنساني، ويبقى المستقبل للأقدار هي التي تحدده. ومثل هذه النزعة القاصرة، يمكنها التمهيد لصياغة واقع، يبقى على أنظمة اجتماعية برجوازية واقطاعية، ولا يمكنه وضع التحولات الاجتماعية ضمن أطرها الاقتصادية والتاريخية المناسبة.

مثل هذه الأفكار والرؤى، أدت إلى اغتراب فعلي للإنسان الرومنسي، فهو لا يرى في الحياة الجوانب التغييرية التي يمكن أن تمنح الأمل، إنما يرى فيها مظاهر البؤس والشقاء أو العكس، فتصبح الحياة بالنسبة له سعادة وهمية.

هذا التفاؤل لا يمنح المنظور الرومنسي أبعاده التاريخية، ولا يعتمد للارتكاز على معطيات موضوعية. مما ينتج هروبا إلى الأمام، ينفي تماما العملية التاريخية، وجعلها شرطا أساسيا من شروط، إحداث التغيرات التاريخية اللازمة.

كما أن ارتكاز الرومنسيين على الجوانب اللاشعورية، والأحلام، وترك الأحاسيس تحدد منظور الفهم والوعي، أسباب مباشرة في وجود المفاهيم الخاطئة لطبيعة الوجود الاجتماعي والتاريخي للإنسان. وظهور الرؤية "الكهنوتية" في آداب الرومنسيين، جعل المنظور الفني والأدبي في أعمالهم، يأخذ آفاقا أبعد ما تكون عن الخصوصية الموضوعية، التي ينبغي أن تنظر بها تلك الأعمال لطبيعة الواقع الاجتماعي والتاريخي. وجعل التصورات الفكرية، ومختلف الأفعال ضمن سيرورة الحركة التاريخية، وتبعاً للشروط التي تقتضيها التحولات الجدلية للواقع الاجتماعي. فلا يمكن في هذه الحال، أن تكون الأحلام مثلاً، نافذة مطلة على عالم الخلود الأبدى.

عاج الكتاب الرومنسيون القضايا الاجتماعية لشعوبهم وجماهيرهم، وكادوا إلى حد ما أن يلامسوا جوهر الصراع الاجتماعي القائم. لكنهم بإدانتهم للمجتمع وأفراده، جعلهم يحيدون إلى حد بعيد، عن المسار التاريخي والموضوعي، الذي ينبغي على آدابهم التطور ضمن مساره، وهذا نتيجة قصورهم عن إدراك طبيعة الصراعات الاجتماعية والطبقية، ضمن الظروف التاريخية الموضوعية.

وعدم معالجتهم لحقيقة التركيبة التي تتحكم في العلاقات الإنتاجية السائدة، أضاع منهم إمكانية فهم التاريخ، وتحديد موقفهم بشكل واضح من عملية التطور التاريخي. فلم يتوصلوا ل طرح البدائل الموضوعية،

التي تحدد موقع أفكارهم من العملية التاريخية، نتيجة عجز وعيهم الرومنسي المتأثر بتقاليد الفكر البرجوازي. ورغم وجود طروحات أقرب من الموضوعية في أعمال "فيكتور هيجو"، و"جورج ساند" Georges Sand إلا أن هذا التوجه لم يكن كافياً، لمعالجة مختلف التناقضات الاجتماعية القائمة. وهذا نتيجة توجههم لمعالجة الظواهر الاجتماعية، ككائنات تفرض وجودها بقوة، لكنهم لا يتوجهون لمعالجة الأسباب الحقيقية التي أدت لوجود، مثل تلك الظواهر الاجتماعية المتناقضة. وهذا من مظاهر القصور الموجودة، في الإيديولوجيات والأفكار، التي تعتمد المرتكزات والدعائم المثالية.

إن دعم الرومنسية لجهود الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة 1789م، والتي أحدثت تغيرات اجتماعية هائلة في البنى التركيبية والطبقية للمجتمع الفرنسي. والتي أسست في الآن ذات لبدائيات حقيقية وفعالية للعصر الحديث، وقدمت للعالم مبادئ إنسانية سامية؛ حيث اتضح هذا من خلال مناداة بعض روادها أمثال "دانتون" Danton بقتل الملك وعدم الاكتفاء بحاكمته فقط، لكن يبقى الضعف قائماً في خصوصية المذهب الرومنسي في حد ذاته، كونه يؤسس لرؤية مستقبلية تضيع في ثنايا الماضي والحاضر، لتصور هذا المذهب، عن فهم القوانين التي تتحكم في تأسيس وسير المجتمعات الإنسانية.

فلم يكن بإمكان الكاتب أو الشاعر أو الفنان الرومنسي، تكوين وعي يمكنه من فهم مقتضيات البديل الاجتماعي، الذي ينبغي النضال من أجله. فقد أحس الرومنسيون على اختلاف أنواعهم، ببدايات سقوط تقاليد المجتمع البرجوازي وإفلاسه، إلا أنهم فشلوا في تصور طبيعة العلاقات الإنتاجية، التي يمكن أن تتأسس كبديل، لما كان سائداً من قبل، وتعالج المشاكل الاجتماعية المستعصية. وهذا لا ينفي دائماً وجود عناصر تقدمية ضمن التوجه الرومنسي، قدمت طروحات موضوعية، هي من صميم القراءة السليمة للتاريخ، وفهم مقتضياته الجدلية. لكن هذه الطروحات بقيت دائماً محدودة، لأنها لم تتضمن عملاً ثورياً، يسهم في تطويرها، ويمكنها من تقديم البدائل الاجتماعية الموضوعية. فقد أكد الرومنسيون « على ضرورة النظرة للواقع بدلا من الماضي الموروث. وعلى الحرية الفردية بدلا من الخضوع للتقاليد، وعلى الخلق والابتكار ودور الخيال في مقابل المحاكاة» (طه بدر، 1971، ص: 06). وهذه بدائل تغييرية جديدة رغم محدوديتها، في إحداث العلاقة بينها وبين طبيعة الصراعات الطباقية في المجتمع.

إلى جانب اهتمام الرومنسية بالفرد، اهتمت كذلك بالدين، وحاولت من خلاله التمرد على الواقع المعاش، بشكل يحدث تغييراً فعلياً. غير أن تمرداً كان تمرداً "ميتافيزيقياً"، بعيداً عن مقتضيات

التحولات الاجتماعية والتاريخية. وتلك مسألة موضوعية، بحكم أن المسائل المتعلقة بالغيب والقدر، على مفاهيمها السلبية لا تحل مشاكل واقعية، ولا تقدم حلولاً للمشاكل الاقتصادية للفرد. هذا الفشل الذي جوّهت به الرومنسية، جعلها تعتبر الإنسان مصدر الشر. وأن "الله" هو الذات العلوية المنزهة عن كل جوانب النقص، متجاوزة بذلك قدرات الإنسان المحدودة. ويبقى "الله" دائماً مصدر الخير ومثال العفة والكمال، وتصورات "فولتير" Voltaire الفكرية هي من ضمن هذه التصورات الرومنسية. ومن الرومنسيين من جعل قدرة "الله" مرتبطة بالطبيعة؛ إذ تطور المفهوم لدى البعض منهم، وجعل "الله" هو الطبيعة كما هو الحال، عند "شيلي" Shelley، و"ألفريد دوفيني" Alfred de Vigny. « وقد كان الرومانتيكيون أول من أكثروا الحديث عن روح الشر والشيطان في أدبهم، وصوروا فيه جانبا هاما من ذات أنفسهم، فهو حامل آرائهم فيما يعتورهم من قلق وشك، وضيق بالخلقية» (غنيمي هلال، 1973، ص:186).

وجد من الرومنسيين من يقف على طرفي نقيض تماما، من الطروحات "الميتافيزيقية" التي جاءت بها الرومنسية في بعض توجهاتها. لكن محاولات هؤلاء الرومنسيون لم تخرج عن التفكير العام للرومنسية، من حيث طبيعة الفكر، وهي الاهتمام بالطبيعة في مختلف مظاهرها، ومحاولة استلها مكنوناتها، والاهتمام بعاطفة الحب، التي أدت دورا رئيسا في أدب الرومنسيين وفنونهم بشكل عام. وأصبح معنى الحب لديهم، أكثر شمولية. أو إنه طريق يوصل إلى الفضيلة، بعدما كان في نظر الكلاسيكيين، مجرد هوى من الأهواء ناتج عن الغريزة الإنسانية. وقد كان الكلاسيكيون ينظرون إلى الأعمال الأدبية التي تجد المرأة وتمنحها مكانتها وسط المجتمع الإنساني، وتنادي بتحريرها، كأعمال لا تستحق الاهتمام. في حين أخذت الرومنسية تسمو بالحب عاليا، باحثة عن الجهات المحظورة، ليمارس فيها المبدع الرومنسي وحدته "الكهنوتية"؛ إذ أن عاطفة الحب بالنسبة للرومنسيين «لا تتقد إلا في الخلوة» (غنيمي هلال، 1973، ص:186). وأخذ الرومنسيون يبحثون في جوانب العفة والطهارة، مبتعدين بذلك بعاطفة الحب، عن مظاهر التفسخ والانحلال الخلقي. وجعل المرأة أنموذجا للحياة المثالية التي لا ينبغي أن يصيبها الدنس الإنساني.

من هذا المنطلق طرح الحب من منظور المذهب الرومنسي لذاته. وهي فكرة لا تجد لها مبررات واقعية واجتماعية. حيث لا يبدو المنظور هنا، ليس أكثر من محاولة هروب إلى الأمام، من تناقضات الواقع، كون المبدع الرومنسي لم يتمكن من فهم طبيعة تلك التناقضات الواقعية.

والحب بهذا المعنى، إمكانية مشروعة إلى حد ما ، للهروب من تعقيدات الحياة الواقعية، وما اشتملت عليه من تحولات جدلية مستمرة. فهو بذلك يكون عملية تعويضية عن نقص، لم يتوصل المبدع الرومنسي من فهم طبيعته، ضمن القنوات الرومنسية ذاتها. وهناك من الرومنسيين أيضا من ينظر للمرأة، النظرة ذاتها التي نظر بها الكلاسيكيون. على أساس أنها نموذج الشر في العالم، ومصدر معاناة الإنسان في الكثير من الأحيان. لذلك يلجأ المبدع الرومنسي لوصف غدرها ومكرها وخيانتها، وأنها قرينة الشيطان في الآن ذاته. وهذا يثبت مجددا التناقض الواضح للفلسفة المثالية التي هر المرتكز الأساسي للرومنسية، والتي تبدو نبيلة من حيث مبادئها وقيمها، لكنها تقف عاجزة عن تفسير مختلف مظاهر التناقضات الاجتماعية المعقدة، بمجرد اصطدامها بالواقع. لذلك فلكل المظاهر التي لازمت الرومنسية، مبررات اجتماعية يمثّلها أساسا العجز عن فهم الواقع، والوقوع دون وعي من الحركة الرومنسية، تحت ضغط القيم البرجوازية بمختلف علاقاتها الإنتاجية السائدة.

إن انحراف الوعي لدى المبدعين والمفكرين الرومنسيين، هو نتيجة لمحدودية قدراتهم على فهم طبيعة وأنماط العلاقات الاجتماعية، التي ميزت الظروف التاريخية للقرن التاسع عشر في أوروبا، بعد سقوط البرجوازية كطبقة طليعية. فكان المسار الإبداعي للحركة الرومنسية رغم جودته، إلا أنه كان محدودا، من حيث الفاعلية. وهذا نتيجة الحماس الذي تميز به مبدعو المذهب الرومنسي وكذا مفكروه، الشيء الذي لم يمكنهم من فهم وتفسير الحثيات الاجتماعية والتاريخية، لطبيعة العلاقات الإنتاجية السائدة، التي ميزت المجتمعات الأوروبية، خلال القرن التاسع عشر.

كما أن الوضوح في المسائل الظاهرية التي تميز الوجود، لا يمكن فهمها إلا من خلال رؤية فكرية واضحة، أقرب ما تكون من الموضوعية، باستطاعتها تجاوز ما هو ظاهري من الأشياء، إلى كنه هذه الظواهر. لذلك تحرك الوعي الرومنسي في اتجاهين محددين هما: «الظاهر في وضوحه، والواقع الموضوعي في تعقده. وهو في تحركه هذا، ملتزم بالظاهر، متحمس له، عاجز عن فهم الواقع، يتحسس عجزه في استمرار الظاهر مطروحا كمشكلة» (العيد، 1979، ص 14).

مع أن المنظور الحماسي الذي ظهر في الأدب العالمي، يحمل خصائص الإخلاص، في منافاة صريحة للتوجهات الرجعية، إلا أنه بقي ضمن حدود الوعي الرومنسي لا يتجاوزه. فقد كان الأدب الرومنسي الحماسي، يتضمن في ثناياه موضوعات رفض الواقع القائم، ولكنه لا يصل إلى كشف جذور هذا

الرفض. والحياة الواقعية لا تمثل انعكاساً له بشكل جلي. لذلك فالتناقض الداخلي الذي نما وتطور في هذا الأدب، دفعه في أحيان كثيرة للسقوط في حبال التناقض، التي لا تعكس صورة موضوعية يمكن أن تقدم لجمهور القراء.

لوحظ على امتداد تطور الاتجاه الرومنسي، رفضه المطلق لقيم اللامساواة، والظلم، والاستبداد. والبحث عن قيم العدالة داخل البنى الاجتماعية البرجوازية للمجتمعات التي نما وتطور فيها. وطالب بتحرير المرأة من كافة القيود التي فرضت عليها من لدن الأنظمة الاقطاعية. كما منحها إمكانية، تطهير الإنسان والسمو به.

هذا الموقف التقدمي من لدن الاتجاه الرومنسي، كان الهدف من ورائه، إحداث وعي نوعي في الأوساط الاجتماعية البرجوازية؛ إلا أن سقوطه في السوداوية والتشاؤم والتعميم لدواعي تاريخية، أضعف منه إمكانية خدمة الإنسان الحديث، وإمكانية فهم الواقع المعقد، وجعل الإنسان مصدر كل الشرور، إلى جانب لجوئه إلى الطبيعة للبحث عن البدائل النوعية للتحويلات التاريخية للواقع الاجتماعي. وكذا تمسكه بالتقاليد "الكهنوتية" الغيبية؛ مثل هذه القيم، جعلت من الاتجاه الرومنسي، مجرد تصور مثالي، لا يقوى على فهم، مجمل المتغيرات الاجتماعية، الخاضعة لطبيعة البنى الاقتصادية السائدة، ذات العلاقات الإنتاجية المعقدة.

من الممكن جداً أن تكون الحركة الرومنسية ذات أبعاد ثورية تغييرية في أعماقها. ومن الممكن كذلك أن تكون هذه الحركة، سعت لكشف طبيعة العلاقات البرجوازية، والعلاقات الاقطاعية، ساعة بذلك لنقد هذه العلاقات الإنتاجية السلبية. لكن في الآن ذاته عجزت عن تقديم بدائل مثلى، وإدراك طبيعة المجتمع الإنساني الأفضل.

كانت الرومنسية « في محاربتها الظواهر الاجتماعية المعيقة، تقف إلى جانب حركة النمو، والتطور وتدفع هذه الحركة في طريقها، وهي بهذا المعنى، ضد ما هو قائم، ومع ما هو يتكون، وبذلك تظهر في هذا الظرف التاريخي، كحركة تقدمية، دون أن تعني تقدميتها، قدرتها على رؤية طبيعة التناقضات المطروحة على أرض الواقع» (العيد، 1979، ص: 22).

ومن أجل تحقيق العدالة والمساواة في الواقع أو الفشل في تحقيقها، يلجأ الرومنسي إلى قوى غير واقعية لا تحقق علاقات طبيعية مع الواقع، كالجوء إلى القوى الغيبية الماورائية مثلاً، أو اللجوء لسلطات حاكمة عليا. وفي كلتا الحالتين فهو يلجأ لقوى لا تثبت وجوداً فعلياً، ضمن سيرورة التاريخ. لأنه في الغالب الأعم

هذه القوى التي يتم اللجوء إليها، هي قوى عليا ولا تسهم في العلاقات الجدلية المتحولة للمجتمع والتاريخ. الشيء الذي يجعل الرومنسي، يصل إلى نتيجة حتمية، هي أن كل المشاكل التي ثبت وجودها الاجتماعي والتاريخي، تأخذ فيما بعد أبعادا "قدرية" بعيدة عن العلاقات الاجتماعية. ولا تعني "القدرية" هنا الحتمية التاريخية، لأن الحتمية التاريخية تحكمها قوانين اجتماعية واقعية معروفة، لذلك فهي لا ترتبط بـ"القدرية"، لأنها لا تتحكم لأسباب تاريخية واجتماعية معروفة، بل تخضع على الدوام لقدرات فوقية، تتحكم في توجيه حركتها. ومن هنا يصير التاريخ في وعي الرومنسيين مجرد حركة مرتبطة ببحوثات لا تجد لها تفسيراً، في جدلية الواقع المتحول.

وهذا ما يفسر مجددا الانهزامية والاستسلام، التي عرف بها الأدب الرومنسي، وسقوط الإرادة البشرية، ومصادرة فعاليتها، وانتظار الحل من لدن قوى خارجة عن نطاق العلاقات الاجتماعية والإنسان.

لذلك من الممكن أن تساهم الرومنسية في تكريس اللامساواة واللامساواة، وقد تعمل على الحفاظ على الأنظمة الاجتماعية السائدة بخلاف بناها التحتية والفوقية. «إن عجز الوعي الرومانتيكي، عن أن يدرك، بواسطة العلم، المنطق الفعلي والداخلي للتاريخ، هو بقاؤه في نقطة الصفر التي أراد تجاوزها في محاولته فهم علمية التطوير، وإن عجزه هذا ليس إلا يأسه» (العيد، 1979، ص:43).

وزوع الأدب الرومنسي لليأس وترك الصراع، تبرره عوامل العجز، حيث يبدو الموت الحل الأفضل بالنسبة لأبطال رواياتهم؛ إذ يبدو التسرع في إنهاء وجودهم من ساحة الأحداث الروائية، ربما حتى قبل أن يرفض هذا النوع من النهايات نفسه، كضرورة فنية في العمل السردي.

إن التعامل مع الواقع بجوانبه الظاهرية، دون النفاذ لجوهره وخصوصياته، أنتج حالة نفسية واجتماعية يأس لدى الرومنسيين. وحالات اليأس هذه غالبا ما كانت تنعكس، على كتاباتهم الأدبية منها على وجه الخصوص. فميزة اليأس في الأدب الرومنسي، هو الوجه الآخر للعلاقة القائمة بين الوعي، والواقع في ظاهره. من هنا يبدو للرومنسيين أن حالات اليأس ومظاهر التشاؤم والهروب، هي حالات للوصول إلى هدف ما؛ مع أن هذه المظاهر ليست غرائز تلازم الإنسان منذ اللحظات الأولى لميلاده، إنما هي نتاج طبيعة العلاقة، التي تربط المبدع الرومنسي بالواقع.

وعادة ما يأتي اليأس بعد تجارب واقعية عديدة فاشلة، نتيجة مواجهة الواقع بمختلف تناقضاته وتعقيداته. وهي العوامل التي يسقط أمامها الوعي الرومنسي، دون تقديم بدائل أو مبادرات.

وهذه المواقف تدفع بالتناقضات الداخلية للنمو في وعي الرومنسي، ثم تظهر بعد ذلك من خلال الانتصار للقيم الإيجابية في الحياة، كالحب، والعدالة، والخير، والجمال... رغم كل هذا لا يلبث الوعي الرومنسي من السقوط، تحت مخاطر ضغط البرجوازية، لتصير الرومنسية بعد ذلك مجرد حركة، غارقة في مثالياتها الاجتماعية والكونية.

وكل هذا ناتج عن غياب الوعي، بطبيعة العلاقات الاجتماعية، كعلاقات متناقضة محددة وفق أسس موضوعية.

رغم الموضوعات الهامة والتجارب الإنسانية العميقة، التي تناولتها الحركة الرومنسية في مختلف آدابها، بقيت عاجزة عن تناول هذه الموضوعات والتجارب، بشكل موضوعي. فقد كانت الحركة الرومنسية تستسلم بوعي منها أو دون وعي، حتي في معالجاتها لقضايا إنسانية سامية، كالعدل والمساواة والديمقراطية. حيث تبقى دائماً على معطيات التفاوت الطبقي، وبقاء التوجهات البرجوازية كحتمية اجتماعية وتاريخية، نتيجة لفشل هذه الحركة في خوض الصراع الطبقي والاجتماعي.

هذا الطرح يمكنه تقديم تفسيرات اجتماعية-طبقية لطبيعة الحركة الرومنسية، ويصير من السهل على القارئ لأعمال المبدعين الرومنسيين، فهم توجههم لأصحاب الثروة والمال، ودعوتهم لعدم التمسك بالثروات وبذخ العيش، وبذل ما لديهم أو حتى جزء منه، في سبيل رفاهية المجتمع وأبنائه، وتيسير سبل العيش على الناس.

هذه التوجهات الإيجابية، لا تفسر مدى قناعة الرومنسية بقيمة وأهمية الصراع الطبقي. حيث تبقى مواقفها هذه مجرد مواقف نظرية ليس إلا، لأنها في جوهرها تعترف بالفوارق الطبقيّة، وتقر ضمناً بالأتمات القطاعية السائدة. لذلك تبقى مواقفهم مجرد محاولات إصلاح، في ظل التفاوت الاجتماعي والطبقي.

لذلك فالرومنسيون « ليسوا ضد هذه البنية بذاتها، بل ضد نتائجها الخطيرة، ضد تعميق وتوسيع الهوة التي تفصل بين الفقر والغنى» (العيد، 1979، ص: 47).

إن المبادئ والقيم التي دعت إليها الرومنسية، وعرفت انعكاساً على الأعمال الأدبية والفكرية والفنية، للكاتب والشعراء والفنانين الرومنسيين، لم تمثل أكثر من أحلام تخیلية، يعجز الوعي الرومنسي على إيجاد أساليب فهمها. فتحقيق المبادئ والقيم الرومنسية التي دعت إليها، لا يتأتى إلا من خلال تحطيم البنى الفكرية البرجوازية، والتي تمثل العائق الأول، ضد قيم العدالة والمساواة وتطور الشعوب. لذلك فما يمكن

التأكيد عليه، أن رسالة الأدب الرومنسي، ليست أكثر من إنجازات نظرية، تحمل في ثناياها أحياناً، مظاهر نقد الواقع، غير أنها لا تلبث أن تكون مساندة، للأنظمة الاقطاعية التي تسهم بشكل كبير، في توسيع الهوة بين البنى الطبقية في المجتمع الإنساني الواحد.

لم يكن الواقع الثقافي والأدبي الجزائري بعيداً، عن الفلسفات المثالية، التي كانت سائدة على الساحة الثقافية العالمية. ولم تخرج الحركة الرومنسية في الأدب الجزائري، عن حلقاتها المفرغة التي ظلت تدور فيها، كما لم تخرج حتى عن حالات اليأس والاستسلام، التي ورثتها بداية عن واقعها. فالفكر البرجوازي الفرنسي، الذي لم يساند في أوانه طموحات الطبقات المسحوقة اجتماعياً في "فرنسا"، كان من السهل عليه أن يمارس العمل ذاته في "الجزائر"، وعلى كافة أبناء الشعب الجزائري، من عمال وفلاحين ومثقفين الذين رفضوا الاحتلال الفرنسي "للجزائر" منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وسقط بذلك زيف الحضارة الغربية، التي دخلت التراب الجزائري، مدعية القيم الإنسانية والحضارية، ومبادئ الإخاء والعدالة والمساواة.

في ظل الواقع الاجتماعي والثقافي الصعب، الذي كان نتاج التحول التاريخي السلبي، وبداية تأسيس دعائم المجتمع الاقطاعي، وفق العوامل التاريخية التي أملاها الاحتلال الفرنسي، بغرض تحقيق مصالحه الاقتصادية وطموحاته الطبقية، بقي الشعر الجزائري الحديث، محافظاً على مفاهيمه وتقاليدته القديمة، باعتباره النموذج اللغوي الفني المعبر عن آلام وجراحات وآمال الأمة.

لم تتمكن الثقافة الفرنسية بداية، من إحداث النموذج الرومنسي في الجزائر، بتقاليدته الفكرية والمثالية، كما هو معروف في "فرنسا" وسائر الدول الأوروبية الأخرى. لأن البرجوازية الفرنسية أعاقت مثل هذه التوجهات في "الجزائر" بشتى الوسائل المتاحة لها؛ إذ كانت البداية بالقضاء على البنية الاقتصادية في "الجزائر"، بإعادة تفتيت النظام الزراعي الجزائري السائد آنذاك، ثم القضاء عليه بعد ذلك. ثم محاربة اللغة العربية كوسيلة تعبيرية ناجعة، وقادرة على خلق إمكانات فكرية تستجيب لطبيعة الأنماط الذهنية الجزائرية في علاقاتها بواقعها الاجتماعي والاقتصادي. إضافة إلى ذلك فالظروف التاريخية التي كان يحيي ضمنها الفرد الجزائري، لم تكن تؤهله لفهم وبلورة، الإنجازات التي حققتها البرجوازية الغربية في أوروبا. كما أن البنى التحتية القديمة، التي ورثها الاستعمار الفرنسي غداة احتلاله "للجزائر"، مكنته من صياغة نمط اقطاعي مكون من أقليات برجوازية جزائرية صغيرة موالية، ساعدته على تحقيق طموحاته الطبقية.

تسجل الوقائع التاريخية، أن القوانين المحضفة التي كانت تصدر ضد الجزائريين، من لدن سلطات الاحتلال الفرنسي، دفعت بالجزائريين إلى العيش الحتمي على الهامش، وتغييب أية محاولة للوعي، كانت تبدأ بالطفو على السطح، مهما كانت طبيعتها.

ففي المجال التعليمي لم ينل الجزائريون حظهم المطلوب من الثقافة والتعليم، حتى لو كان هناك نظاما تعليميا فرنسيا، فإنه كان مقصورا على أبناء الذوات من المجتمع الجزائري، كأبناء الاقطاعيين، والتجار، و"القياد" Les Caids، و"الأغوات"، و"الباشاغوات" لظروف اجتماعية معروفة، أو أبناء "الكولون" بالدرجة الأولى. وتقف وراء كل هذا، محاولات الإخضاع الإيديولوجي لمختلف الفئات الاجتماعية الجزائرية، للرؤية الكولونيالية. وحتى خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وبالتحديد خلال فترة الثلاثينات من القرن الماضي، لم يتطور النظام التعليمي في "الجزائر"، إلا وفق الشروط التاريخية والاجتماعية التي أرادت "فرنسا". رغم البدايات المشجعة لظهور الحركة الوطنية والإصلاحية، والتي بدأت تغير تدريجيا من تاريخ "الجزائر".

في ظل هذه الظروف المشوبة بالتحويلات التاريخية، نتيجة التحويلات الطبقيّة والاجتماعية والاقتصادية، بدأت تظهر أولى بوادر الحركة الرومنسية، بمظاهرها الجديدة البعيدة نسبيا عن الملل، والبؤس والاختناق، لكن هذا الظهور كان في الإبداع الشعري على وجه الخصوص. لكن هذه الكتابات الشعرية، كانت متخلفة إلى حد بعيد، نتيجة تمسكها بالأطر التقليدية المتجاوزة، ولم تتمكن وقتها من طرح التغيير الثوري، كبديل عن الأوضاع التاريخية والاجتماعية الصعبة. وعلى النقيض من ذلك، ونتيجة سيادة الرؤية الدينية، كان اللجوء إلى المعطيات الغيبية وسيلة مثلى، للهروب من تداعيات الواقع الصعب، وتجاوز الضعف الاجتماعي.

فقد أخذت التوجهات الغيبية تسيطر بشكل كلي، على الكتابات الشعرية التي اعتبرت ما يعيشه الإنسان الجزائري، من مظاهر الفقر والبؤس والتخلف، إنما هو من إرادة "الله"، ولا يمكن الاعتراض عن هذه الإرادة، الشيء الذي برء البرجوازية الفرنسية من كل تجاوزاتها التاريخية. حيث أصبحت بعيدة كل البعد عن كافة مظاهر النقد والإدانة.

هذا الوضع المتردي من الناحية الفكرية والجمالية، كشف ضعف الرومنسية في مواجهتها للواقع، فهي حتى عندما تفرض بعض قيمها ومبادئها، تبقى عملية الفرض هذه محدودة إلى حد بعيد، نتيجة محدودية وعيها؛ إذ أنها كانت تقبل بوجود الأنظمة الرأسمالية الطبقيّة ذات التوجهات الاستغلالية، دون أن

تدرك بعمق وعي، أن الرفض الحقيقي المؤدي للتغيير، يكمن في مواجهة هذه البنى الرأسمالية الاقطاعية، التي رسخ وجودها الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله أرض "الجزائر"، حيث مكن لأقليات اقطاعية برجوازية فرنسية، استغلال الأراضي الزراعية، وإدارة رؤوس الأموال الناتجة عن علاقات إنتاجية غير متكافئة. لذلك كان لزاما انتظار، نمو وعي وطني، مدرك لطبيعة الواقع الاستعماري، ضمن حدود العلاقات الإنتاجية التي بدأت تعرف تطورات كثيرة لتحويل "الجزائر"، على قطعة أرض فرنسية متمثلة لكافة الجوانب الحضارية والتاريخية للمجتمعات الأوروبية، ليتحول بعد ذلك الشعر الجزائري، من أطره الكلاسيكية التقليدية المحافظة، إلى الأطر التقدمية، لكن دون وصوله إلى خلق قوالب إبداعية جديدة، تمكنه من صياغة شعرية أكثر حداثة. إلا أنه تخلص إلى حد ما، من بعض مظاهر التعقيد اللغوي، والزخرفة اللفظية، والحشو الزائد للمفردات والجمال، التي تعيق القصيدة الشعرية، عن أداء وظيفتها الفنية والجمالية.

كان للانتفاضات الشعبية التي عرفتها "الجزائر" منذ البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي، دورا هاما في تنمية الوعي الفكري والجمالي، في الساحة الثقافية الجزائرية، حيث عرفت "الجزائر" نماذج للانتفاضات هامة، مثل انتفاضة 1859م، وانتفاضة "الهدنة" عام 1860م، هذه الأخيرة التي ألحقت دمارا كبيرا بالقوى الوطنية الجزائرية، التي كانت آنذاك في بدايات نموها وتطورها؛ إذ كانت هذه الانتفاضة بمثابة للبوادر الأولى لثورة الفلاحين (ثورة الشيخ المقراني) التي اندلعت سنة 1871م. ونتيجة للزخم الثوري الذي أفرزته انتفاضة "الهدنة"، استطاع الشعر الشعبي الجزائري، تحقيق رواج هام، بتصوير وقائع هذه الانتفاضات والثورات، بحسب نمط الوعي الذي أنتجته تلك الوقائع التاريخية. وأكد أن الكثير من تلك القصائد، لم تخرج عن الأطر الرومنسية، التي تبكي واقع الجماهير الشعبية الصعب، والتي كانت ضحية القمع الاستعماري، الذي لم يمكنها حتى من حق الدفاع المعنوي عن نفسها.

بالإضافة إلى انتفاضة "الهدنة" سنة 1860م، كانت هناك انتفاضة سنة 1864م. حيث أخذت قوى وطنية هذه المرة زمام المبادرة، من أجل الحصول على حقوق إنسانية من "فرنسا". لكن عوامل التناقض التي صاحبت طبيعة هذه الانتفاضة، عصفت بوحدتها الداخلية. لكن استطاع جزء من هذه الانتفاضة أن يطور مطالبه، ليضمن استمراره في النضال، بينما وقع الجزء الثاني في حبال اللعبة الاستعمارية، حيث ظهرت على مستواه مصالح اقتصادية انتصر لها، مع أن هذه المصالح ساهمت فيها

أكثر رؤوس الأموال الفرنسية، الشيء الذي أنتج المزيد من البرجوازيات الجزائرية المهجينة، والتي دعمت أكثر النظام الاقطاعي للمعمرين في "الجزائر".

والسيطرة الاقتصادية الاستعمارية وفق هذا المفهوم، لا تعني مفاهيم ذاتية تنافي الموضوعية، ومشحونة بمضامين عاطفية وانفعالية تحركها نماذج شعاراتية معينة، إنما يمثل هذا المفهوم استغلالا وسيطرة مدروسة، لا تعمل إلا على إحداث الهوة السحيقة، بين البنى الطبقية والاجتماعية الجزائرية، تصوغها منظومة التحالفات الممنهجة بين البرجوازية الفرنسية، والبرجوازية الجزائرية المهجينة.

أسهمت هذه الانتفاضات على محدوديتها في كشف تلاعبات البرجوازية الفرنسية على وجه الخصوص، كما ساعدت أكثر على بلورة الوعي الشعبي، وتطوير قناعاته. وجهود هذه الانتفاضات الوطنية، هي إضافة نوعية للرصيد النضالي للشعب الجزائري، حيث مكنت من دعم وبلورة آليات الصراع الطبقي، في المجتمع الجزائري من أجل الانتصار لحقوق الفئات المحرومة من أبنائه.

ولم يكن الإنتاج الأدبي ضمن هذا الوعي التاريخي، أكثر من إسهام هذا الوعي ذاته، رغم بعض التطورات الهامة في الإنتاج الأدبي، لاسيما على مستوى الشعر الشعبي الجزائري، الذي عبر بصدق عن الأوضاع الطبقية في "الجزائر" وأنماط تركيبها البنيوية آنذاك، بقيت الأبعاد التقليدية الجمالية، هي السائدة، نتيجة سيطرة النبرة الخطابية، وكثرة المترادفات اللفظية، التي تعبر عن الغموض والتناقض في رؤية الشاعر.

وبعض قصائد الأمير "عبد القادر الجزائري" مالت إلى نوع من السوداوية والتشاؤمية، والهروب إلى الطبيعة، بغرض إيجاد بدائل بداخلها، لتجاوز موهوم للحظات التاريخية الصعبة، والتي كانت أكثر ضعفا بالنسبة للخطاب الأدبي الرومنسي، الذي ارتكز في بداياته على دعائم مثالية، ووقت القيم الدينية بمفاهيمها "الطوباوية" في مقدمتها.

والأمير "عبد القادر الجزائري" رغم ما عرف عنه من بطولات نادرة في مواجهاته العنيفة للاحتلال الفرنسي، منذ بداية المقاومة الشعبية في "الجزائر"، ثم وصوله بعد ذلك لتوقيع معاهدة الاستسلام مع الفرنسيين، نتيجة لظروف تاريخية قاهرة معروفة، لا يجد في العديد من قصائده غير تكريس الأبعاد الرومنسية، بإدانة بعض الفئات الاجتماعية ممن هم عملاء للاستعمار، وتحميلهم مسؤولية الفشل التاريخي لمقاومته، يقول في هذا الصدد: «... وقد علمت أيها السادة، تكاثر المظالم وتواطؤ العمال، ومن وافقهم على ارتكاب المآثم، انتقم الرب العلي منهم، وعمنا ذلك معهم، قال تعالى: ﴿ واتقوا فتنة لا

تصيين الذين ظلوا منكم خاصة» (٠٠٠) فسلط الله علينا عدو ديننا، فتكالب على بلادنا، واستولى على مراسينا، واستبدل مساجدنا فيها بالكأئس» (بن عبد القادر الجزائري، 1964، ص:274). ومع فشل كل ثورة، أو أية محاولة تغييرية، يبدأ وعي جديد في التشكل، مقابل ذلك يحدث شيء من التحول المربك في أكثرية الطروحات القديمة، ضمن المقاومة الشعبية ذاتها. وقد انعكس هذا التحول الجدلي، على الإنتاج الأدبي لتلك المرحلة بعينها. حيث « تدهورت الخطابة، وضعفت لظروف تتصل بالحياة الأدبية، والثقافية، والفكرية، والسياسية، فقد هيمن الاستعمار على الواقع وأثر في مجرياته» (الركيبي، 1978، ص:21).

من هنا يبدو ضعف الوعي الرومنسي، المرتكز على معطيات، تعمل على تكريس الوضع السلبي الاستسلامي. فحدودية هذا الوعي وسقوطه، هما نتاج طبيعي للرؤية الضيقة التي لم تستند مطلقاً على الوعي العلمي والموضوعي. وعجز الرومنسية عن إدراك التناقضات الاجتماعية، ضمن شروطها التاريخية المتشابكة، هو نتاج أيضاً لتحولاتها المأساوية و"الطوباوية". لأن الشعور بالرفض لمختلف الظواهر الاجتماعية السلبية، نتج عن وعي مصدوم بأفق مغلق، عاجز عن كشف وإدراك حيثيات الواقع، وآليات تغييره. هذا الوعي المتأزم كان يدفع باستمرار المبدع أو الفنان، للبحث عن متنفسات ممكنة، حتى لو كان ذلك يتنافى مع طبيعة الطروحات التي دعا إليها من قبل. أو حتى على حساب الطموحات، التي سعى لتحقيقها. لذلك لا يستغرب لجوء الرومنسيين للقوى الغيبية في الأطر السلبية "الطوباوية"، كما هو الشأن في بعض قصائد، الأمير "عبد القادر الجزائري". وهذا يعود إلى عجز الشاعر الرومنسي عن تفسير الواقع، وضعفه في فهم تناقضاته الحاصلة. ف« قسوة الرأسمالية، وفوضى التنافس وتدمير الصغير على يد الكبير، والحط من شأن الثقافة بتحويل جميع الأشياء إلى بضائع، كل هذا يقابل بأسلوب، هو بصورة عامة رجعي من حيث اتجاهه» (لو كاتش، 1979، ص:21). وحتى من حيث الجوهر، يبقى الأسلوب الرومنسي، على درجة من التأرجح نحو التقليدية الساكنة، حتى لو تبدت مظاهر التقدمية، في بعض الأعمال الإبداعية الرومنسية.

يمكن الفهم مما سبق أن الرومنسية، تجد مشروعيتها تفسيرها الموضوعي، كتيار أدبي جديد بدأ ينمو على مستوى الأدب الجزائري الحديث، في خصوصية الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه "الجزائر" آنذاك. هذا الواقع الذي كان ينذر، ببداية تحول "الجزائر" نحو رأسمالية أجنبية، بأبعاد اقطاعية أوروبية، تأخذ

تقاليد ممارساتها، من تنظيرات الطبقة البرجوازية للقرون الوسطى، مما يؤكد الخاصية التبعية لهذه الرأسمالية للقوى الاقطاعية الكبرى.

وقد جسد الأدب الشعبي الجزائري، هذا التحول بشكل أكثر وضوحا. حيث أدى دورا مهما، لكن دون إبراز طبيعة التحول، نتيجة لمحدودية وعي الشاعر الشعبي آنذاك.

وحتى الرؤية الثقافية، لدى الجيل التأسيسي الممثل لجيل الرواد في الأدب، لم تكن مستوعبة بشكل جيد. مما يثبت أن الواقع الثقافي وقتها، كان يتجاوز حدود التصورات المحدودة لجيل التأسيس، وإن شملت هذه التصورات الكثير من الزخم الثوري، الذي فرضته طبيعة الحياة المتحولة في ذلك الوقت، مع العلم أن الثقافة الأوروبية أصبحت « مادة أساسية من مواد تركيب الفكر العربي» (ياغي، 1972، ص:61). وحتى ثورة الفلاحين التي اندلعت سنة 1871م، والتي أنتجت زخما ثوريا كبيرا، على الساحة الوطنية الجزائرية، لم تتمكن من تحقيق المطالب الثورية التاريخية، التي طرحها الفئات الشعبية في "الجزائر" على اختلاف حساسياتها وتوجهاتها. ومع ذلك فقد أسهمت هذه الثورة، في تنمية الوعي الوطني، من خلال تأسيس علاقات إنتاجية جديدة في الوسط الاجتماعي والاقتصادي، كان لها فيما بعد الانعكاس الأمثل على مختلف التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية الجديدة، والتي أدت إلى تفكيك البنى الاستعمارية في "الجزائر".

وقد صاحبت هذه الفترات التاريخية، مرحلة تطوير الزراعة في "الجزائر" بداية من سنة 1880م، وتوسع زراعة "الكروم" على حساب الأنواع الزراعية الغذائية، إلى جانب المزروعات الاقتصادية الأكثر مردودا، مقابل ذلك تم طرد الفلاحين الجزائريين من أراضيهم الأصلية، إلى الأراضي الجرداء والصخرية.

قام الشعر الشعبي الجزائري، بعد سنة 1871م، بتجسيد مختلف مظاهر البؤس التي عانى منها الشعب الجزائري. حيث أنه بعد القضاء على ثورة الفلاحين من لدن الاستعمار الفرنسي، وتفكيك البنى الاجتماعية للمجتمع "القبائلي" في "الجزائر" (يقصد بالمجتمع القبائلي القبائل الصغرى، والقبائل الكبرى)، قام الشعر الشعبي بتجديد بناه الفنية، واستحداث موضوعات جديدة، تتحدث عن الشعور القومي الجزائري، والإحساس بمأساة أبناء المجتمع.

إضافة إلى ذلك أسهمت القوى الاستعمارية في عهد الجمهورية الثالثة، بشكل كبير في القضاء على البنى الاجتماعية القديمة وتفكيكها، حتى يتسنى لها السيطرة على القوى الاجتماعية الجزائرية، والقضاء على

طموحات الفلاحين المشردين. ويتعلق الأمر هنا بإطار استعماري مؤسس، يهدف للقضاء على الشروط الموضوعية لمعيشة أبناء المجتمع، وتهيئة علاقات الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. هذه الظروف الاقتصادية، هيئت لنشوء قوى إنتاجية استعمارية، هدفها توسيع نطاق الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والتي كانت قائمة قبل مجئ الاستعمار الفرنسي، وتحويل الأراضي الفلاحية إلى مجرد سلعة، حيث يصير بالإمكان فيما بعد، نشوء استثمار متزايد لجميع أشكال العمل، من قبل القوى الرأسمالية الأوروبية. وهذا يهيئ الظروف أكثر لتوسيع الأنظمة الرأسمالية، بإلحاقها بالأسواق الاستعمارية، من خلال القوانين الخاصة بهذه الأنظمة الرأسمالية، التي بدأت تتسع هيمنتها من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، بعد تطوير الأنظمة القطاعية في أوروبا، وتنظيم الملكيات.

كانت المصالح الاستعمارية تقضي بالحفاظ على علاقات إنتاجية قطاعية، ووجود قوى "عشائرية"؛ هذا الوضع المتناقض يزيد حتما، من قوتها وسيطرتها على "الجزائر". كما عملت هذه المصالح على عرقلة وتأخير وجود قوى عمالية وطنية، تكون منقطعة عن أصولها الريفية المتعددة. إضافة إلى ذلك فالحفاظ على القوى العمالية المنتجة، والتي كانت جاهزة، هو في نظر الرأسمالية الفرنسية، "صمام" أمان لقوة العمل. وهذا كله يثبت الاستحالة التاريخية لتنمية القوى الإنتاجية الوطنية، من لدن الاستعمار الفرنسي، مع أن وجود قوى عمالية شيء ضروري وهام بالنسبة لأي اقتصاد في العالم. ويلاحظ أن بداية نشوء القوى العمالية في "الجزائر"، كان بعد سنة 1880م، إلى غاية سنة 1890م، حيث ظهرت الطبقة العمالية في "الجزائر" وتبلورت رؤيتها، وتكون وعي طبقي محدد إلى حد بعيد (ابن حسين، 1980، ص: 221).

صاحب كل ذلك تفكك في الأشكال والمنظورات التقليدية للوعي الروماني، الذي تمكن من التقدم بخطوات إلى الأمام، دون الوصول إلى رؤية واضحة. فتطورت الأساليب الأدبية ضمن الوعي الروماني، الذي لم يخرج عن تجسيد إنجازات الأمير "عبد القادر الجزائري"، والإشادة ببطولاته العسكرية، والمطالبة بالهاتمة ببعض الحقوق. مما مكن الوعي الروماني إلى حد ما، من إيجاد رؤية توافقية بينه وبين القوى الاستعمارية في "الجزائر"، والحصول على بعض الحقوق للجزائريين، الذين حرّموا من كل شيء غداة احتلال البلاد.

وإذا كان بالإمكان القول، بأن الحركة الرومسية في "الجزائر"، كانت ضعيفة من الناحية الفكرية، ومتناقضة، وذات نزعة تقدمية في الكثير من المنجزات الشعرية والخطابية خصوصا، فعارضتها للبنى السياسية والاقتصادية والفكرية القائمة وقتها، ودعوتها للتغيير، والبحث عن الشروط التاريخية والموضوعية

التي تمكن من الانتقال، إلى بنية اجتماعية جديدة، مسألة في غاية الأهمية. غير أن ضعفها المستمر بقي على حاله، ولم يمكنها من ملامسة حقيقة الصراع الفعلي، بين مختلف القوى الاجتماعية والاقتصادية. من الممكن جدا أن ينظر الشاعر الروماني في "الجزائر"، لثورة 1871م، كثورة مثلت بالنسبة إليه، كما مثلت لسائر أبناء الشعب الجزائري، إمكانية للخلاص من ربقة الاحتلال الفرنسي. لكن بعد قمع هذه الثورة، من لدن الاحتلال وانتهائها، فقد الشاعر الروماني الأمل في الخلاص، وسقط في سوداوية قائمة مستسلما للمصير المحتوم. هذا الاستسلام هو نتاج رؤية وعيه المحدودة، التي لم تمكنه من الوصول إلى تحقيق المجتمع المثالي الذي يصبو إليه. ومن الطبيعي جدا، ألا يتضح تعقد العلاقات الإنتاجية الكولونيالية لهذا الوعي الروماني، الذي بقي دائما حبيس الأوهام البرجوازية الصغيرة، التي لا تستطيع الإسهام في تطوير التحولات التاريخية، كما أن أحداثها لا تتدرج ضمن وعي تاريخي معين. عكس الوعي الجدلي، الذي يتوخى المعرفة العلمية الموضوعية، للكشف عن حركة التاريخ.

تظافت الظروف الاقتصادية التي صنعتها القوى الكولونيالية في "الجزائر"، من أجل شل وعي الإنسان الجزائري، وثبیط قدراته الإبداعية، كحاربة مقومات الهوية الوطنية، وفي مقدمتها اللغة العربية، ومنع تداولها بحرية في الأوساط الاجتماعية والثقافية. وحتى الكتاب الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية، كانوا ضحايا هذه الحرب الحضارية غير المتكافئة.

وخلال الفترة التاريخية نفسها، صدرت القوانين الفرنسية ببناء المدارس الأجنبية في "الجزائر"، بهدف تعليم وتعلم اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية. ومن الطبيعي جدا أن تقابل هذه القوانين، بأحكام استثنائية تؤكد القاعدة ذاتها. فهذه الظروف أنتجت حالات يأس حقيقة من منظور الروماني. في الآن ذاته كانت تنمو الحركة الواقعية بتردد، إلى جانب الحركة الرومانيّة، ثم خطت خطوات هامة، أمام بدايات تراجع البرجوازية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد كانت أحداث الحرب العالمية الثانية، ضمن الشروط الاقتصادية و التاريخية "للجزائر"، كما للعالم بأكمله، والتي أسست بدايات فعلية لتيارات واقعية، تجد جذور امتدادها في الثورات والانتفاضات التي خاضها الشعب الجزائري، على مختلف الصعدة والجبهات، وخلال حقبة تاريخية متعاقبة.

فكان من نتاج ذلك أن تشكلت نخبة ثقافية جزائرية، تكتب باللغة الفرنسية لكن بتوجهات حضارية جزائرية أصيلة. فأخذت على عاتقها مهمة تأسيس الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. أما الرواية الجزائرية العربية، فقد وجدت مع نهاية الأربعينات من القرن الماضي، وضمن شروط تاريخية صعبة، لم

تجد فيها اللغة العربية حرية نموها، سواء بحكم العامل التاريخي الذي صنعتته ظروف الاحتلال، أم بحكم هيمنة الخطاب الإصلاحية التربوي، المدرج ضمن قوالب مشروطة مسبقا. من هنا حملت رواية "غادة أم القرى" ضعفها الفني، وكذا ضعفها على مستوى الوعي، نتيجة ضعف الحركة الإصلاحية التي سارت خلف خطاباتها، في أواخر الأربعينات من القرن الماضي، على نقيض الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، التي وجدت عوامل نمو هامة، فظهرت فيها توجهات واقعية أكثر وضوحا، وأكثر تقدما، من تلك التي ظهرت في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.

برز في هذا الصدد العديد من الكُتاب الجزائريين، الذين كتبوا الرواية باللغة الفرنسية، ومنهم من نال شهرة عالمية مكنت من إيصال موضوعات الثورة التحريرية خارج الوطن، فتمكن بذلك الكُتاب الجزائريون من تحقيق شرطهم التاريخي المنوط بهم. «فأصبح هؤلاء الكُتاب جزءا من الثورة الجزائرية، وبجدارة شغلوا جبهة الفكر فيها، وعلى هذه الجبهة ناضلوا بالكلمة نضالا مستمرا، نضالا قتاليا أديبا، موضوعه الرئيس حرب التحرير ومقاومة الاستعمار الفرنسي، نضالا بالشعر، والقصة والمسرحية والرواية» (مينة، العطار، 1979، ص: 195).

مقابل هذا التطور وهذه المواكبة للتطورات التاريخية، كانت رواية "غادة أم القرى"، لا تزال غارقة في طروحاتها الإصلاحية، وتناقش مواضيع تربوية، حول حرية المرأة، وتنتقد بعض التقاليد الاجتماعية البالية. مع أنها من جانب آخر، كانت بداية فعلية لتطور الفن القصصي في "الجزائر" باللغة العربية. غير أن الرؤية التقليدية التي سيطرت على البناء الروائي، كان لها كبير الأثر في ظهور النزعة الهروبية من حيثيات الواقع، ومواجهة تناقضاته الجوهرية.

إن الظروف التاريخية والاجتماعية التي ساهمت في ميلاد الرواية الجزائرية باللغة العربية، هي ذاتها الظروف التي ساهت في ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وأسهمت أكثر في بلورة اتجاهاتها وخصائصها الفنية. فقد تمكن الكاتب الجزائري "محمد ديب" وبعض من رفاقه من الكتب الجزائريين، من جعل اللغة الفرنسية لغة مساعدة «على التعبير عن قيمهم وأفكارهم وتقاليدهم، بدلا من أن تسلب منهم شخصيتهم وقيمهم كما أرادت لها فرنسا. ذلك وبدلا، من أن تكون أداة لتشويه تلك القيم والتقاليد، أصبحت معهم لغة قادرة على التعبير عن تلك الشخصية الجزائرية، وعن تلك القيم الجزائرية والتقاليد الجزائرية نفسها» (محمد خضر، 1964، ص: 86).

واستطاعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، أن تخطو خطوات تقديمية هامة، عكس ما أراده لها الاحتلال الفرنسي، الذي كان يتوقع أن تكون الأقلام الجزائرية، آلية "دعائية" لتقديم صورته على الوجه الحضاري الذي أراده. لكن ما هو مثبت أن هذه الأقلام، قدمت منظورا جماليا عن الواقع الحقيقي للشعب الجزائري، وما كان يحياه جراء تعسف البرجوازية الفرنسية في حقه، ومصادرة كافة مقومات الحياة التي هو بحاجة ماسة إليها. حتى مقومات الهوية الوطنية، لم تكن بمنأى عن السلوكات التعسفية، لتلك البرجوازية.

الملاحظ أن الحركة الرومنسية تأخذ توسعاتها الفكرية والخطابية، قبل اندلاع أية ثورة تهدف إلى تغيير الواقع الاجتماعي. لكن في حال هزيمة تلك الثورة، تتراجع الرومنسية، وتعود للتقوقع على ذاتها، باحثة عن أشكال تعبيرية جاهزة ومستهلكة، وموضوعات كلاسيكية تكون جميعها عاجزة عن مواجهة التحولات التاريخية والاجتماعية الطارئة. وكل الممارسات الاستعمارية التي أدانتها الرومنسية، لم تكن محكومة بعلاقات الصراع الطبقي، بل حكمت بعلاقات التفاوت الاجتماعي، بمعناها الأخلاقي المحدود، وهذا ما أسهم في تشكيل الحقل التاريخي للوعي الرومنسي.

بقي التيار الرومنسي محافظا على وجوده الفكري والفلسفي والفني، حتى مع ظهور التيارات الواقعية الأخرى. كما بقي خاضعا للنمطية الفكرية والتقليدية نفسها، ضمن ظروف تاريخية متداخلة وسريعة. حيث وجد هذا التيار نفسه في النهاية، في مؤخرة التحولات التاريخية والاجتماعية السريعة، يدعو لقيم مثالية، هي أقرب ما تكون إثباتا لعجز هذا التيار، عن فهم طبيعة العلاقات الجدلية، ذات الاتصال المباشر بطبيعة الوعي الإنساني، الذي هو نتاج التناقضات الحاصلة، على مستوى البنى الاجتماعية والاقتصادية. لأن طبيعة الوعي الإنساني، وسائر مناحي الحياة والأشياء المحيطة به، هي كلها حقائق معروضة، من زوايا موضوعية جادة ومتناقضة، « تعكس رغبة الرومانتيكية في النفاذ إلى الحقيقة المطلقة، من خلال مواقف مفردة، معزولة من شأنها أن تؤدي إلى حجب، الخصائص المركبة للحياة» (الخطيب، 1975، ص:60).

بحلول السبعينات من القرن الماضي، اتخذ الاتجاه الرومنسي في الأدب الجزائري الحديث، منحى شكليا آخر، لا يختلف من الناحية الجوهرية عن سابقه. فقد ظهرت علاقات إنتاجية جديدة، إضافة إلى وجود تحولات جذرية في الحياة الاجتماعية والواقعية، لم تتمكن الحركة الرومنسية من فهمها والإحاطة

بها. مع أن الموقف التاريخي يحتم فهم هذه التحولات الجدلية، ذات البنى والمرتكبات الجديدة، بكافة تناقضاتها التي تبررها المشروع التاريخية الجديدة.

فالملاحظ أن الروائيين الجزائريين لمرحلة ما بعد الاستقلال، وقعوا في كافة المفارقات التي لازمت الوعي الروماني خلال مراحل تطوره التاريخية. فبدلاً من تناول موضوعات الساعة، وما تمليه التحولات التاريخية المستحدثة والمستجدة، لجئوا في محاولات هروبية، إلى موضوعات تقليدية قديمة إلى حد ما، التي ثبتت محدودية وعيهم بطبيعة التحولات التاريخية القائمة، من ذلك موضوع الثورة التحريرية.

ولا تتعلق المسألة هنا بتقييد حرية اختيار الكاتب لموضوعات أعماله الروائية، إنما تختص المسألة بمحدودية الرؤية الروماني في تناول موضوعات الثورة التحريرية، كحدث تاريخي مكن من إيجاد التحولات التاريخية الضرورية. وألا تكون موضوعات الثورة التحريرية، سبباً مباشراً للهروب من معالجة قضايا واقعية معاشة.

وبتتبع مسار تطور الرواية العربية الجزائرية الحديثة، يلاحظ أن أكثرية الأعمال الروائية، التي كتبت عقب مرحلة الاستقلال مباشرة، كانت حول موضوعات الثورة التحريرية، ربما عاد هذا إلى طبيعة الزخم التاريخي، الذي تميز بها حدث اندلاع ثورة التحرير. لكن ليس هذا دائماً، هو التقييم الصحيح، حيث أن أكثرية هذه الأعمال التي تناولت موضوعات الثورة التحريرية، كانت بدافع الهروب من مواجهة تعقيدات الواقع الاجتماعي المعاش؛ إذ أن موضوعات الصراع ضد الاحتلال الفرنسي، لا تلزم النص الروائي بالضرورة، باتخاذ موقف معين من الواقع القائم. فكانت مثل هذه التجارب الروماني، بعيدة عن المصادقية الفنية الفعلية، إضافة إلى اتصافها بالقصور الفني والفكري، في طرق القضايا الواقعية، ذات الخصوصيات التاريخية والاجتماعية.

وإذا كانت مثل هذه التجارب السردية الروماني، ظهرت خلال حقبة زمنية متأخرة نسبياً؛ فقد كانت التوجهات الروماني تمارس وجودها في الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة الفرنسية، قبل ظهور هذه التجارب الكلاسيكية. حيث مثلت هذه الكتابات الفرنكفونية الوجه الآخر للثقافة الجزائرية التقدمية، التي قمعها الاستعمار الفرنسي. فرغم أزمة التعبير اللغوي والفني آنذاك، بقيت هذه الأعمال السردية، تنتمي لواقع الثقافة الجزائرية، وثبتت انتماءاتها الحضارية لمقومات الأمة الجزائرية العميقة.

يمكن تصنيف ستة أعمال روائية جزائرية عربية تنتمي للاتجاه الرومنسي، في الكتابة السردية الجزائرية الحديثة (الأعرج، 1986، ص:229). البعض منها يتناول قضايا الثورة التحريرية هروبا من الواقع المعقد أحيانا، وأحيانا تلبس بتجارب إنسانية تعتقد أنها واقعية من حيث الجوهر، مع أنها في الأصل غير ذلك.

فرواية "ما لا تذروه الرياح" للكاتب "محمد العالي عرعار" تسقط في تناقضات عديدة، وصعوبات فكرية وجمالية، لم تتمكن نتيجة وعيها القاصر من تجاوزها. ففي الوقت الذي يسعى فيه النص الروائي، إلى جعل شخصياته المحورية شخصيات ثورية، يلاحظ بأنه يقف عاجزا، من أجل تحقيق هذا المسعى؛ إذ يتضح أن النص لا يستطيع خلق أنموذج ثوري، لأنه لا يمتلك هذا الوعي.

من هنا تبدو شخصيات الرواية رغم محاولات النص تضخيمها، ضعيفة إلى حد ما على المستوى العملي، وليس باستطاعتها امتلاك مقومات بقائها تاريخيا، وإنتاج الفعل التغييري المطلوب. وأكثر من هذا فهي لا تلبث أن تقع في الانتهازية عن حسن نية. فعلى ضخامتها، فهي لا تنتج شيئا واقعيا ملموسا.

فشخصية "البشير" تبدو من خلال النص، على درجة من النمطية، لا تعرف إمكانية التطور. تتعامل مع الواقع بشئ مشوب بالضبابية، هي ذاتها الضبابية التي يعاني منها الوعي الذي أنتج النص. وهذا ما يبرر المواقف المثالية، التي تبديها شخصيات الرواية، والتي غالبا ما تتميز بالفشل والعجز.

وتعاني شخصيات رواية "نهاية الأمس" للكاتب "عبد الحميد بن هدوقة"، من الضعف ذاته المميز لشخصيات رواية "ما لا تذروه الرياح". حيث يلاحظ بداية أن رواية "نهاية الأمس"، لم تكن في مستوى الطرح الذي طرحته رواية "ريح الجنوب" للكاتب.

ورواية "دماء ودموع" للكاتب "عبد الملك مرتاض"، ورواية "حب أم شرف" للكاتب "الشريف شناتلية"، لم تخرجا كذلك عن الضعف والعجز الفعلي، الذي يميز الرؤية الرومنسية في تعاملها مع طبيعة الوقائع اليومية للحياة. ويبقى الرفض الذي يبديه أبطال هذه الروايات رفضا محدودا عن أن يتحول إلى عمل ثوري فعلي. فالثورية هنا تنساق وراء حيثيات المغامرة والارتجال، والعاطفة الحماسية كما هو الحال، في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة". مع أن الرواية كروية سردية، هي « أبعد الأشكال الأدبية عن مركز العواطف والانفعالات الطارئة» (عزيز الماضي، 1978، ص:23). فالرواية على النقيض من ذلك ترسم باستمرار نماذج تجاوزها، في المعالجة الجدلية والواعية للواقع، الذي يمثل العامل

الأساسي في خلقها وتشكيلها. بالإضافة إلى الفهم العميق، لطبيعة السياقات التاريخية التي حددت أنماط تشكيل الخطاب السردية، ليتمكن من أداء دوره الاجتماعي والجمالي بشكل كامل. ما يلاحظ على الروايات الرومنسية، أنها حين تفشل في التلازم مع الواقع، ومواجهة سلبياته وتناقضاته، تقطع صلتها بكل ما هو اجتماعي على وجه التحديد، معبرة بذلك عن عجزها الفعلي في التعامل مع خصوصيات المجتمع، ضمن أطرها وعلاقاته المتشابكة. ولجوء هذا النوع من الروايات إلى المثاليات والأوهام، يمثل العجز الفعلي للوعي الرومنسي في تحديد علاقاته المختلفة بالواقع. وهو العجز الذي ميز أكثرية الروايات التي سارت وفق الاتجاه الرومنسي، الذي أثبت فشل وعيه في الخروج من عوامل، اليأس والقلق والفوضى. الشيء الذي دفع هذه الأعمال السردية، للبحث عن الحرية، من خلال الانتصار للذات الفردية، والتوجه نحو تجاوز العالم تجاوزاً وهمياً. تبقى مشكلة الوعي في الرواية الرومنسية مشكلة ملحة، رغم جراءة بعض الأعمال الروائية أحياناً على طرح مشاكل اجتماعية، هي نتاج الإنجازات التاريخية الجديدة.

فقد طرحت بعض الأعمال الروائية الجزائرية، موضوع التسيير الاشتراكي للمؤسسات، وضرورة تطبيق مثل هذا النوع من الأنظمة التقدمية، في المؤسسات التعليمية والجامعات. غير أن مظاهر التخلف، والممارسات "البيروقراطية" في الإدارة، كانت تعيق تجسيد مثل هذه التطبيقات الجديدة. وهذا ما لوحظ في رواية "الشمس تشرق على الجميع"، ورواية "جغرافية الأجساد المحمومة" للكاتب الجزائري "إسماعيل غموقات". حيث مثل النصان تجسيدا فعلياً للمعوقات التي ذكرت آنفاً، والتي صاحبت التحولات التاريخية الجديدة، "الجزائر" الاستقلال، التي جسدت "ديمقراطية" التعليم، كأهم محور تغييري لإحداث القطيعة التاريخية، مع العهد الاستعماري.

رغم ضخامة الطرح الذي ميز الروائيتين، بشأن هذا الموضوع، فقد لوحظ عجزهما في طريقة المعالجة الواقعية، للإشكالات المطروحة، إلى جانب السقوط في ضعف التقييم.

يتجسد مجدداً بؤس الرؤية الرومنسية، ومحاولاتها اليائسة للخروج من حدود وعيها المثالي. فالتعامل مع الوعي الاجتماعي والتاريخي من الناحية الظاهرية فقط، يضع الذات السردية خارج حدود الصراعات الواقعية القائمة. فعلاقات الصراع من منظور الرومنسيين تنتقل من كونها صراعات ترتبط بطبيعة بنية العلاقات الإنتاجية الخاصة بالمجتمع، إلى صراع الفرد ضمن أطر وحدته الاجتماعية وعزله التاريخية، وبين المجتمع في معناه التجريدي. فلا يمكن للرومنسيين بهذه الرؤية فهم طبيعة الصراع، الذي يعد ثمرة

للتناقضات الطبقية المحركة للتاريخ. هذا العجز في فهم طبيعة العلاقة التي تربط الكاتب بالواقع، هو السبب المؤدي للفردية والانزيمية، التي تجعل جهود الكاتب الرومنسي تسقط من الإطار التاريخي. وهذا يؤدي حتما إلى رفض فهم الواقع والابتعاد عنه كلية، دون حتى التعرض لخصوصية بنيته، وأنماط العلاقات الإنتاجية السائدة فيه.

لا يمكن التكرار - رغم هذه التحفظات - لمواطن الجمال والتقدم والإضافات، التي قدمتها روايات الاتجاه الرومنسي في الكتابة السردية. غير أن ما تقدم تقديمه ليس كافيا لجعل من هذه الأعمال الأدبية، في مستوى المرحلة التاريخية. ومعروف جدا أن مستوى المرحلة التاريخية، غالبا ما يرتبط بالوعي، أكثر منه بالموضوعات. والقارئ لا يقف ضد موضوعات الثورات التحريرية على سبيل المثال. ولكن قد لا تلمس هذه الأعمال جوهر هذه الثورات، إلا بنزير يسير مخجل، بحكم محدودية معاشتها للوقائع الثورية، الشيء الذي يؤكد عدم أصالة، مثل هذه الأعمال في معالجتها للمواضيع الثورية، نتيجة سقوط العلاقة بين الكاتب وواقعه الاجتماعي والتاريخي.

ظهر موقف الوعي الرومنسي من مختلف القضايا الاجتماعية، في مقدمتها قضية المرأة، التي تناولتها الكثير من أعمال هذا الاتجاه بهالة كبيرة من التقديس، وأحيانا ككائن من الدرجة الدنيا. ففي حالة سقوط الشخصية الرئيسة، قد تعود إلى ذاتها، في ممارسة طقوسية لفرديتها وانعزاليته. هذه العودة السلبية التي غالبا ما تقطع الصلة الظاهرية بين الشخصية والواقع، لتنتقل التناقض بين الذات والمجتمع، إلى تناقض في الذات بعينها. وقد تجسد هذا التناقض الناتج عن الاحباطات الاجتماعية، في أعمال الكاتب "إسماعيل غموقات"؛ فهي وإن تميزت بتطلعات واقعية، لم ترق إلى مستوى طرح المشاكل والتناقضات الاجتماعية برؤية واقعية مميزة. حيث اكتفت بملامسة ظاهرية فقط للموضوع، وهو منطق التوجهات الرومنسية، التي غالبا ما تقود إلى العجز والسقوط.

وحتى في معالجة الرومنسيين لمسألة التفاوت الطبقي، في نماذج الأعمال السردية التي ذكرت، وانتقادهم للعلاقات الإنتاجية السائدة وبنائها الفوقية الاستغلالية، بكل قيمها وتوجهاتها الإيديولوجية، كان خطأ جوهريا، يخدم التوجهات الطبقية الضيقة، والذي انعكس بشكل جلي على المستوى الجمالي. ربما تمكنت الرومنسية إلى حد ما من تجاوز القيم الكلاسيكية القديمة، على الصعيد الفني والجمالي، لكنها لم تكن قادرة على تقديم البديل الاجتماعي والواقعي، بشكل يمكن من إدخال حركية إبداعية تحدد طبيعة استيعاب العمل الأدبي، للخصوصية التاريخية للواقع الاجتماعي المتحول. وهذا هو الإشكال

الأساسي الذي رافق الوعي الرومنسي في أكبر الأعمال الأدبية العالمية، مع الإشارة إلى أهمية نضج هذا الوعي من بيئة اجتماعية إلى أخرى، بحسب طبيعة التفاوت الطبقي الاجتماعي، وتطور علاقات الإنتاج وأنماط التوزيع. وهي العوامل التي غالباً ما تؤدي إلى تفاوت، مستوى الوعي الاجتماعي، وتباين المستويات الثقافية والأدبية في مختلف المجتمعات.

\*الهوامش:

- 1- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار العودة، -بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1973، ص:06
- 2- ينظر في ذلك المرجع نفسه، ص:23
- 3- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص:42
- 4- عبد المحسن طه بدر: الروائي والأرض، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1971، ص:06
- 5- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص:186
- 6- المرجع نفسه، ص:186
- 7- يعنى العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان بين الحربين، دار الفارابي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1979، ص:14
- 8- المرجع نفسه، ص:22
- 9- المرجع نفسه، ص:43
- 10- المرجع نفسه ، ص:47
- 11- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر -بيروت/لبنان، الطبعة الثانية 1964، ص:274
- 12- عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب-ليبيا، الطبعة الثانية 1978، ص:21
- 13- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون-بغداد، الطبعة الأولى 1979، ص:21
- 14- عبد الرحمان ياغي: في الجهود الروائية، دار العودة، -بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1972، ص:61

- 15-المقصود هنا المجتمعات الجزائرية "القبائلية"، التي تتحدث باللغة الأمازيغية، والقاطنة بشمال "الجزائر". وهي تنقسم إلى قسمين: القبائل الكبرى وتمثلها منطقة "تيزي وزو" وما جاورها. والقبائل الصغرى، وتمثلها منطقة "البويرة" وما جاورها.
- 16- ينظر في ذلك : م.ل. ابن حسين: نظرات حول الشروط الاقتصادية لنشوء الطبقة العاملة في الجزائر، مجلة الطريق اللبنانية، عدد 04/03، سنة 1980، ص: 221
- 17- حنا مينة ، نجاح العطار: أدب الحرب، دار الآداب، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية 1979، ص:195
- 18- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، -صيدا/ لبنان، الطبعة الأولى 1964، ص:86
- 19- حسام الخطيب: الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية -القاهرة/مصر، الطبعة الأولى 1975، ص: 60
- 20- يراجع في ذلك واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،-بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص:229
- 21- شكري عزيز الماضي: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1978، ص:23

## \*المراجع العربية:

- 1-حسام الخطيب: الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية -القاهرة/مصر، الطبعة الأولى 1975
- 2-حنا مينة ، نجاح العطار: أدب الحرب، دار الآداب، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية 1979
- 3-سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، -صيدا/ لبنان، الطبعة الأولى 1964
- شكري عزيز الماضي: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1978
- 4-عبد الرحمان ياغي: في الجهود الروائية، دار العودة، -بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1972

- 5- عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب-ليبيا، الطبعة الثانية 1978
- 6- عبد المحسن طه بدر: الروائي والأرض، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1971
- 7- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت/لبنان، الطبعة الثانية 1964
- 8- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار العودة، -بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1973
- 9- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،-بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، الطبعة الأولى 1986
- 10- يميني العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان بين الحربين، دار الفارابي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 1979
- \*المراجع المترجمة:
- 1- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون-بغداد، الطبعة الأولى 1979
- \*المجلات:
- 1-ل. ابن حسين: نظرات حول الشروط الاقتصادية لنشوء الطبقة العاملة في الجزائر، مجلة الطريق اللبنانية، عدد 04/03، سنة 1980

## الصناعة الثقافية ومقتضيات السوق: انفتاح واستقطاب لدول الأطراف

### The Cultural Industry and Market Demands

د- رياض بنالحاج أحمد- أستاذ محاضر

جامعة قرطاج- تونس

riadhbelhajahmed@yahoo.fr

ملخص: أسعى من خلال هذا البحث الذي عنوانته "الصناعة الثقافية ومقتضيات السوق" إلى تبيين الثبّت الاصطلاحي لمفهوم المعاصرة وتأثيراتها في الحركات الفنية، وما أسست له المؤسسات الراعية للفن، والتجاذبات السياسية في إنتاج صناعة ثقافية تُسوّق للفنان وأثره عالمياً. وفي هذا السياق سأتطرق إلى أمثلة لمجموعة من الفنانين من أصل عربي وإيراني، وهم من الذين لقوا الحظوة الجيدة نظراً لإقامتهم في المهجر واستقطابهم من قِبَل دول المحور المسيطر على سوق الفن العالمية، وبيان كميّات وطرق الاستقطاب والتسويق للفنان، وأساليب انخراطه في منظومة السوق والمزادات العالمية، منهج بحثي ينطلق من تبيين البعد المفهومي للفترة المعاصرة ومدى اسهامات التكنولوجيات الحديثة في إنتاج صناعة ثقافية تحفز الفنانين وتستقطبهم في منظومة السوق الفنية العالمية، تلك التي تؤسس للمضاربة في أسعار الأعمال الفنية وفي ترتيب الفنان وطرق تموضعه.

الكلمات المفتاحية: المعاصرة - العولمة - السوق الفنية - الاستقطاب - المضاربة الفنية - صناعة ثقافية.

**Summary :** In this research, titled "Cultural Industry and Market Imperatives," I aim to explore the conceptual foundation of contemporaneity and its impact on artistic movements, as well as the role of art institutions and political dynamics in shaping a global cultural industry that markets and elevates artists. I will focus on several Arab and Iranian artists who gained prominence through diaspora residency and their alignment with key players in the global art market. The research will examine recruitment and marketing strategies, and how artists integrate into international markets and auctions. My approach highlights the role of modern technologies in creating a cultural industry that fosters artist engagement and influences global art market dynamics.

**Key Words :** Contemporary – Globalization - Art Market – Polarization - Art Speculation - Cultural Industry.

## مقدمة

شهدت الفترة المعاصرة تحوُّلاً وسيلانا جارفاً لنسج الحياة ليشمل "الاختراق" معظم الأطر الجمالية والمذهبية والأخلاقية والقانونية... إن ذلك ما أسس لقدم عصر جديد بشرٍ باستقلاليةً جديدة للفن، وهو ما نوه به "أرتير دنتو" (Arthur Danto) في كتابه "الفن المعاصر ونهاية التاريخ" قائلاً بما معناه: "إن الفن المعاصر إيذانٌ بقدوم عصر جديد في الفن يتخلّى عن السرديات الكبرى، إنه الوعي بعدم الانتماء إلى حكاية كبرى هو ما يميّز الحساسي التاريخي للحاضر". (دانتو: 200، ص 29). فغداً فن "مابعد الحداثة" مُتاح للجميع، وفي هذا السياق يقول "مارك جيمناز" بما معناه "نصف حركات أو عمل فني بأنه معاصر هو ذلك الذي لا ينتمي لحركات أو تيارات مُدرجة في تاريخ الفن الحديث. فالأعمال الفنية السابقة في سنوات العشرينات نادراً ما يكون لها موضع في الأماكن المخصصة للفن. فالتجديد، الملكية، التهجين، وخط المواد والأشكال والأنماط والأساليب يكون استخدامها بحرية دون الحاجة إلى القلق حول التصنيف لتلعب كلها دوراً رئيسياً في هذه المعاصرة". (جيمناز: 2005، ص 152). إن هذه الطفرة والزخم الهام للتحوُّل الزماني والمكاني أعاد تحويل الخارطة الجغرافية، إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية والصين وبريطانيا من أهم الأقطاب الثقافية، وهو ما أسس لنعرة التسابق بين الفن الأوروبي والفن الأمريكي التي باتت جليّة وواضحة. وبالتالي أسهمت التكنولوجيا الحديثة في تغيير القوى العالمية السياسية منها والثقافية. فلحسب رهان القوة والريادة كان حرياً المراهنة على التكنولوجيا، ممّا أسس لسلطة جديدة للصورة وذلك في أغلب المجتمعات، فبات الفن المعاصر على هذا النحو يخوض في ثنايا المادّي والافتراضي، المرئي واللامرئي، الظاهر والباطن، وذلك من خلال منطلقات حرة ومتفرّدة يعبر من خلالها الفنان عن إرهاباته الفنية وتطلّعاته الفكرية والجمالية، تكون منطلقاته ذاتية فردية، تحبوه في ذلك نزعة التمرد. لتكون الأعمال إذّاك منظوية على أبعاد مادية ضُمّحت بمضامين ورسائل مفاهيمية، تؤسّسها بأكثر اتساع الصورة الافتراضية وطريقة التسويق لها بطرائق مختلفة ضمن ما تمتلكه من سطوة وقوة في التأثير. إن ذلك ما يدفعنا للتساؤل عن دور التكنولوجيا الحديثة وطرق استغلالها في دفع الصنّاعة الثقافية زمن المعاصرة؟ وعن كيفية استقطاب وانخراط فنّاني دول الأطراف في منظومة سوق الفن العالمية؟

## التكنولوجيا الحديثة والصنّاعة الثقافية

لقد لعبت التكنولوجيا الحديثة دوراً ريادياً في دفع الصنّاعة الثقافية زمن المعاصرة، إذ استندت بعض المؤسسات الرأعية إلى هذا التوجّه من أجل التعريف بالفن والفنّان انطلاقاً من "صناعة ثقافية" جديدة تعتمد على التكنولوجيا الحديثة كوسيط. وإن ذلك ما تمثّل من خلال فترة الستينات التي

شهدت وقوع تغييرات في المجتمعات الغربية مع تحوّل في التعبير الفني والأدبي، تمثّلت التعبيرات الأولى في ظهور ما بعد التصنيع والهيمنة المتزايدة للتكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية المتسعة وانتشار تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال و"صناعة المعرفة". إن ذلك ما حدا إلى ظهور فنّ ديمقراطي كما تحدّث عنه "ليسلي فيدلر" «Leslie Fiedler» فنّ جديد يقاوم نخبوية الحداثة العليا ويزدريها، ويروم الفجوة بين الثقافتين، الرفيعة والشعبية، ويقوّض الاستقلالية المزعومة والمتعالية لجماليات الحداثة. "وقد مثل ذلك بزوغ عهد جديد يتحدّ فيه الواحد مع الكثير كما يقول "إيهاب حسن" عهد قد شهد اتساعا هائلا للوعي من خلال منجزات التكنولوجيا التي أصبحت بمثابة حجر الأساس في المعرفة الروحية (روز:1994، ص65-66). لتؤسس على هذا النحو لظهور ما بات يُعرف "بالعولمة" التي تجاوزت استعمالاتها جميع المجالات الاقتصادية والسياسية، لتتسلّل وتطال حياتنا الاجتماعية. وبالتالي فقد بات التحكم في التقنيات الحديثة والذكاء الإلكتروني سبيلا للسيطرة على المجال الاقتصادي والسياسي وغيره، إذ اكتسح حياتنا اليومية وجعلنا لصيقي الصلة به، فغدا المحرك الأساسي لنواميس علاقاتنا الاجتماعية عبر شبكات الاتصال الافتراضي المتفرّعة. إن هذه الطفرة في التعامل قد حوّرت في التداول الاصطلاحي من فنون تشكيلية إلى فنون مرئية ورؤاها الجمالية. وفي هذا السياق يوضّح "دومنيك شاتو" «Dominique Chateau» التحوّل الاصطلاحي من فنون تشكيلية إلى فنون مرئية بأنه نابع من الرؤى الجمالية المعاصرة، التي صارت لصيقة بتطور الأترنات وشبكاتها، وإن ذلك لم يؤثر فقط على نوعية الإنتاج الفني، بل أنه غير في علاقتنا بواقعنا الذي أضحي أسير شاشات الحاسوب واقرن بالتكنولوجيات الحديثة التي بنتنا نلج عبرها إلى فترة " ما بعد البصري " «Le Post visuel». لقد سعت العديد من المؤسسات الثقافية وغيرها إلى استغلال التكنولوجيا الحديثة من أجل تقريب الفن من الجمهور عبر التعريف بالفنان وبفنه، لتصبح إمكانية متاحة للتلقي من أجل التعامل والتفاعل مع جميع الأعمال وزيارة دور العرض وغيرها. وإن ذلك ما فتح السبل نحو تقريب الفن من الجمهور، ولو بطريقة افتراضية. ولقد استغلّت بعض المؤسسات هذه الوسيلة الجديدة من أجل مزيد التعريف بالفنانين ومن أجل الترويج لآثارهم ممّا أتاح لها دورا رياديا في النهوض بمنظومة "دمقرطة الفن" التي تبنتها جلّ الدول الغربية بدرجات متفاوتة، وأفرزت مجموعات متداخلة من التقنيات والوسائط التي تُباع وتُشترى في سوق شاسعة ومفتوحة. وأصبحت التغطية الإعلامية والاشتغال على الآليات التواصلية جزءا لا يتجزأ من الشبكة الفنية العولمة التي تنغذى بما تُثمره "دمقرطة الفن" من مبدعين. فتمّ استثمار هذه التكنولوجيات وذلك من أجل تقليص الهوة بين الجمهور، ممّا فتح المجال نحو رؤى علائقية جديدة، وهو ما لفت "والتر بنيامين" (Walter Benjamin) نظرنا إليه، ضمن مقاله الشهيرة الصادرة سنة 1936، بعنوان: "العمل الفني في

زمن إعادة إنتاجه التقني". إذ يتأمل "بنيامين" على حدّ تعبيره "تقلّص" و"ذبول" و"تدمير" ما يسمّيه بهالة الفن، أو الإحساس بخصوصية وتفرد العمل الفني، مُفترضاً أنّ هذه الهالة لا يمكن فصلها إطلاقاً عن كونها جزءاً لا يتجزأً من نسيج التقاليد الفنية والحضارية، فأبي تمثل قديم لـ"غينوس" يمثل للإغريق الذين يرون فيه رمزا للجمال، سياقاً تراثياً، يختلف لدى رجال الدين في العصور الوسطى ممن كانوا ينظرون إليه باعتبارهِ وثناً يُندَرُ بالشُّوم، إلاّ أنّ كلي الفريقين لم يكن يُنكر ما له من تفرد أو "شذى" (بنجامين: 2008، ص39). وعلى هذا الأساس أصبحت التغطية الإعلامية والاشتغال على الآليات التواصلية جزءاً لا يتجزأً من الشبكة الفنية المعوِّمة التي تُتغذى بما تُثمِّره "دمقرطة الفن" من مبدعين. إن ذلك ما حاولت المؤسسات الراعية للثقافة وكبرى دور العرض العالمية استغلاله، ومن أبرز هاته المؤسسات نذكر: مؤسّسة "Christie's" ومؤسّسة «Sotheby's» ومؤسّسة «Bouhou's».

حيث قامت هاته المؤسسات بمعية الدول الكبرى وضمن غطاءها المالي والاقتصادي بالمسك بعوالم السوق الفنية. فاستثمرت هذه الدول الكبرى ومؤسّساتها الصانعة للثقافة و(الراعية لها) هذه "القوة الجديدة"، وذلك ما يؤكّده "فرد فوراست" «Fred FOREST» قائلاً بما معناه أنّ الفن المعاصر هو "حقل مُراقَب، مُدبر، ومدروس بحنكة، ومنضوي ضمن قرارات نابعة من متحكّمي السوق وعالم الفن المعاصر والذين لديهم السلطة المتحكّمة في هذا القطاع الإبداعي" (فورست: 2000، ص54) وبالتالي فقد باتت القوة التقنية واللهاث نحو امتلاك التكنولوجيا الحديثة هو هدف هذه الدول، ممّا خلق شرخاً وتقسيماً جديداً بين الدول، فأسهّم في أن يطفو على سطح الساحة العالمية كتلتين وقطبين عالميين، وهما كتلة بلدان المحور، والكتلة الثانية هم بلدان الأطراف. وفي إطار مشروع "دمقرطة الفن"، سعت بلدان المركز إلى السيطرة على المجال الثقافي على نحو تحكّمها وتغييرها للخارطة الجغرافية السياسية، وتحديد الخارطة الجغرافية للعالم، لتعرّف إثرها بفنانيا وتروج لهم، كما استقطبت البعض من فناني دول الأطراف وذلك ما إذا كانوا من قاطني دول المحور الذين انخرطوا وتماهوا مع سياساتهم الخارجية. ليتم استقطابهم في دروب العالمية، فتماهى خطاب هؤلاء مع واقع الأزمات العالمية وخاصة منذ قصف برج التجارة العالمية في سبتمبر 2001. لتتحور الصور من حينها ولتنتعق قريحة هؤلاء في رحاب سماءات التشكيل، فتبدّى الخطاب متحوّلاً ومنفتح الأبواب على مصراعيه أمام أشكال التعبير العربية وغيرها. وذلك ما أسهمت فيه الصورة الإعلامية الدعائية التي استندت إليها بعض المؤسسات الراعية للثقافة، لتسهم تلكم الأخيرة ضمن الزخم التكنولوجي الموجه في تسويق الصورة ضمن "الواقع الافتراضي" الذي ظهر وتنامى بشكل كبير في فترة "مابعد الحداثة". فباتت الصورة الزائفة أو "السيمولاكر" معه تعيد حياكة واقع الصورة، لتمتلك قوة الأصل ذاته، بل تفوقه من حيث القوة والإبهار والتأثير،

ويذهب "بيزنيه" (J.M.Besnier) إلى أن الجهاز المفاهيمي الذي نحتة كل من "جيل ديلوز" (Gilles Deleuze) و"جاتاري" (Guttari) يمنح للتكنولوجيات الجديدة بُعداً فلسفياً غير متوقع، سواء تعلّق الأمر بمفهوم "انحاء المكان والزمان" المرتبط بالسرعة الفائقة التي يتم فيها تبادل المعلومات أو "مضاعفة السيمولاكرات" بواسطة التقنيات الرقمية، أو تعلّق الأمر بمفهوم "الواقع الافتراضي" (سبلا:200، ص43). نتحدث في هذا السياق عن غزو الصورة ضمن سياقات العولمة الموجهة نحو القرية الكونية، فتتصل العمل الفني من الحدود المادية، نحو صيغ مباشرة مختلفة ومتحوّلة، إذ لا تسمح طبيعته التركيبية التواصلية بأيّ تحقّق ثابت في مكان بعينه. ليغدو العمل زئبقياً مخترقاً للحدود الجغرافية، يستغلّ في ذلك آليات التعبير والتأثير الإنساني الثلاثة والمتمثلة في (الصورة، الكلمة، الصوت) وإعادة صياغة المعادلات الرقمية كمواد جديدة تتحوّر وتطوّر وتؤثّر وتسوّق الصورة. وإن ذلك ما يمكن أن نستشفّه مع التجارب الفنية التي سنحيطها بالتحليل والتي تركت مسألة هويّتها الذاتية لتبحث عن أناها الكوني، فكان الانخراط في دروب الإشكاليات الراهنة العالمية هي من مقتضيات السوق والتسويق التي راهن عليها بعض الفنانين والمؤسسات الصانعة للثقافة. ويُعتبر الفنان المغربي "منير الفاطمي" والفنان الجزائري "عادل عبد الصمد" والفنانة الإيرانية "شيرين نشأت" من الفنانين المنخرطين في هذا السياق، إذ عمدوا إلى الانغماس في مجرى الأحداث العالمية ومهاجمة معالم الحكم والتطرّف والإرهاب بكل أشكاله، سواء فيما يتعلّق بالفن والدين والسياسة... فاستندوا إلى تشكيلات متعدّدة بحثوا من خلالها عن إحداث الرجة البصرية للمشاهد عبر شدّه بأساليب على نحو من الجدّة والطرافة، مستعملين في ذلك التوليف بين تقنيات وأساليب متعدّدة تؤلّف هجانتها مؤالفة غزلية، تكون فائضة وحمالة للمعنى، فكيف ذلك؟ وكيف تمّ استقطابهم وانخراطهم في مجريات السوق الفنية العالمية؟

#### التسويق ومقتضيات السوق: الاستقطاب/ الانخراط

شهدت السوق الفنية استقطاب العديد من الفنانين العرب وإدخالهم في منظومة الدائرة التسويقية يمكن أن نذكر عدداً من الفنانين الصاعدين المنخرطين في هذا التوجه: الفنان الجزائري "عادل عبد الصمد"<sup>1</sup> الذي استفاد من انتمائه إلى دول المحور وانخراطه في مواكبة الأحداث العالمية خدمة لمصالح تلك الدول

<sup>1</sup> عادل عبد الصمد: فنان جزائري من مواليد سنة 1971 بمدينة قسنطينية، هاجر إلى فرنسا أثناء الأحداث الأليمة في الجزائر فصعد نجمه في فرنسا وأوروبا في السنوات الأخيرة، وأقام معارض في أميركا وبريطانيا وكندا، وله أعمال تُعرض بشكل دائم، في كثير من المتاحف الفنية الدولية، مثل مركز "جورج بومبيدو"، بفرنسا سنة 2012 وبينالي ساوباولو سنة 2006 وبينالي اسطنبول 2007 سنة والدورة 52 من بينالي البندقية من السنة ذاتها، وبينالي فنون المغرب لسنة 2009 بالإضافة إلى المشاركة في العديد من المعارض مثل "متحف الفن الحديث والمعاصر" في جنيف، ومؤسسة "فرنسو بينو" في فينيسيا، ومؤسسة "ياز" في "هونغ كونغ"...

وعيا منه بدور المؤسسة التي ترعى مثل هذه النشاطات، ضمن ما تساهم فيه من ضخ إعلامي وصناعة ثقافية، فباتت أعمال هؤلاء الفنانين تقوم على أنقاض جيل الرواد، ليرتقي خطابهم إلى مناص العولمة، ولتقوم أعمالهم على أزمت القرن الواحد والعشرين. وقد استند الفنان "عادل عبد الصمد" إلى تقنيات ووسائل ووسائط مختلفة يرتتها سبيلا، والتي تنطوي في الغالب على تمرير الصدمة أو الرجة للمشاهد، فلئن استند إلى الأفلام المصورة أو الصور الفوتوغرافية أو تنصيباته أو منحوتاته... فإنها في الغالب أتت حاضنة للعنف المشهدي المضمخ بالأبعاد الدلالية والمقرنة في الحين ذاته باستراتيجية الإثارة. ولئن لاقى الفنان الجزائري نجاحا في فرنسا إلا أن هذه الخطوة وهذا النجاح قد تعزز تحديدا بعد الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية أثناء أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي استقطب وانخرط فيها الفنان بسرعة في سياقات السوق الفنية العالمية ضمن دروب ومقتضيات العولمة، فلعب "عبد الصمد" على واقع السياسات المتحوّلة مستفيدا من الأيقونة الإعلامية المستقطبة للمبدعين المساهمين في إظهار "سياسة المؤامرة" ضمن الحرب الإرهابية عبر "سياسات توافقية"، يتم فيها استقطاب أجناس مختلفة ناهيك العرب منهم.

استفاد "عبد الصمد" من واقع الدمار المُفرز وركام الحطام والحراب، ليعيد النّسج من الرّكام، ( ركام الطائرتين) محييا الذاكرة الفردية والجماعية ضمن عمل ضخم، اختار له عنوانا " كما الأمّ كما الابن " «Telle mère, tel fils» والذي عُرض "بغرونوبل" في إطار معرض بعنوان "الرسم من أجل منتزه إنساني" « Drawing for Human Park » في سنة 2008. وبالتالي لكأنا "بعبد الصمد" من خلال العنوان وفعل الضفر في ركام الحطام وإعادة تشكيله، إنما أتى مُعيدا ومحيا صورة المرأة بخصائلها المضفورة بما تحتمله من معاني العطاء. هي صورة الأم، الوطن، يحاكيها ويحيك ضفائرنا نسجا في الفراغ عبر الحطام، ليكون إذاك صورا عن أمه الولادة



Adel Abdessemed, Telle mère, tel fils, installée au Magasin à Grenoble dans le cadre de l'exposition intitulée "Drawing for Human Park", (fev-mars 2008)

عادل عبد الصمد، كما الأمّ كما الابن، تركيبة عُرضت لأول مرّة في مخزن بغرونوبل في إطار معرض بعنوان الرسم من أجل منته إنساني، امتدّ المعرض من شهر فيفري إلى شهر مارس 2008. وبالتالي إن الفنان الجزائري "عبد الصمد" من منطلق انخراطه في مجريات الأحداث العالمية أصبح يلاقي بالخطوة والرعاية والتسويق لفنه، وهو ما حدث مثلاً ضمن معرضه الذي احتضنته قطر والذي امتدّ من 10-06 إلى غاية 05-01-2014 حيث عرض خلاله عمل نحتي تحت عنوان "ضربة رأس" انتصب على كورنيش الدوحة، تأهباً لاستقبال ألعاب كأس العالم في قطر عام 2022. لم تكن تلك المنحوتة لتمثّل إلا ذكرى رياضية سيئة من مونديال عام 2006. يومها ضرب "زين الدين زيدان"، اللاعب الفرنسي من الأصل الجزائري، خصمه. حادثة أعاد تجسيمها، "عبد الصمد" في تمثال عملاق بطول (خمسة أمتار) ليكون في ما بعد جزءاً من معرض يحمل عنوان "العصر الذهبي" تحتضنه العاصمة القطرية الدوحة، والتي دفعت خمسة ملايين دولار لاستئجار التمثال حتى عام 2022، موعد استضافتها بطولة كأس العالم لكرة القدم. لقد تم الترويج لذلك العمل من خلال دفع بعض الأموال لمركز بوميديو تمهيداً لاستدراج القطريين إلى الفخ... وقد عرض وانساق مركز بوميديو وراء هذه الحملة الدعائية الضخمة رغم دقّة اختياراته السابقة، للخروج من الضائقة المالية التي يعاني منها، وبالتالي تمّ الاستفادة من أثر الصورة ومن تواترها المتزامن وتأثيراتها المباشرة المتكرّرة وما تُحدثه من اختلال في المعادلة التمثيلية، فالصورة هنا باتت كوسيط بين الموضوع والذات التي تمثله، وبالتالي إن الضخّ الإعلامي الموجه والمدرس جعلنا نتحدّث عن مفاهيم "السلطة والسّطوة والتكريس والتأثير الذهني"، لتتخلّى الصورة من هذا المنطلق ضمن طرق استغلالها عن جانب الحياد، وهناك مبدأ في الإعلام المعاصر يقول "ليس المهم أن تنقل الحدث ولكن المهم كيف تنقل الحدث"<sup>2</sup> ليتحوّل الحدث أو الواقعة من الطابع المباشر الحيادي مع المتلقّي، إلى كونها واقعة مجسّدة في صورة تحمل بداخلها رسالة، وتكون هذه الرسالة فاعلة ومؤثرة في تشكيل الواقع.

<sup>2</sup> <https://www.aljazeera.net/opinions>



Adel Abdessemed, le coup de tête de Zinedine Zidane, bronze, devant le Centre Pompidou, Paris le 30 septembre 2012

عادل عبد الصمد، ضربة رأس زين الدين زيدان، برونز، أمام مركز جورج بومبيدو، باريس في 30  
سبتمبر 2012

وهو ما استثمرته المؤسسات الراعية للثقافة ضمن الضخ الإعلامي الهائل لتمثال "عبد الصمد"، ليغدو لتكرار الصورة أثر بليغ على الذائقة، إنَّ طريقة الانخراط والاستقطاب ضمن دائرة السوق العالمية هو ما يمكن أن ندينه مع تجربة الفنانة الإيرانية "شيرين نشأت" وساندها في ذلك مؤسسات إعلامية كبرى لتعرف بقضية المرأة الإيرانية، فانهجت التشكيل بالجسد سبيلا، مستندة إياه مطية، لتؤسس الرهانات من خلاله على سبر راهنية الفعل فيه وتناول مختلف مراميه المقامة على جدلية المتناقض، بين السفور والحجب، التنيكل والاحتفاء به. إن أصل الجسد تجسيد وفعل لكننا نجده في منزلة بين المنزلتين المتنازعتين (الفعل وعدمه) أو أدناهما. وإن ما وصل إليه الجسد ضمن بعض المجتمعات هو ما أثار الفنانة الإيرانية "شيرين نشأت"<sup>3</sup> لتلج من خلاله إلى متاريس الاجتماعي عبر التشكيلي، وتحديدًا عبر إعادة

---

3 شيرين نشأت فنانة إيرانية ولدت بقزوين في إيران، وغادرتها في عام 1974 وهي في السابعة عشرة من العمر، للدراسة في الولايات المتحدة. لتندلع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، فلم تتمكن من العودة إلا عام 1990 إلى الجمهورية الإسلامية، لكي تلقي نظرة على أوضاع ما بعد الثورة. فلاقته في إيران مجتمعا متغيرا إلى أبعد الحدود، متأثرا بالتشريع الإسلامي والفصل بين الجنسين، ويعاني الرجة التي خلفتها حرب الخليج الأولى التي دامت ثمانية أعوام. لتصبح هاته القضايا هاجسها الفني. حيث استكشفت إثر ذلك مفارقة كونها تمثل صوتا لشعبها، بعيدا عن ديارها. فبين الوطن الأم و الوطن الملجأ يقوم فنّها تماما على الحد الفاصل بين الغريب والذاتي.

إظهاره، باعتبار أن الجسد هو وليد المجتمع وإحراس لجسدها الذاتي ضمن ماضيها المقموع وحاضرها المتغرب، فاستندت على الصور الفوتوغرافية والعلامة المشومة على الجسد لتوشمه بها ولتجعل منه: جسدا يشير ويؤشّر، وشما يحكي الشواغل والهوامش. "فشيرين نشأت" التي تعمل من منطلق خلفيتين ثقافيتين متفرعتين تماما تركّز في الإطار البصري لمشروعاتها على التطورات الاجتماعية للإسلام المعاصر أو بالتحديد على أوضاع الحياة في إيران. وبالرغم من أنها تقدّم ظواهر ثقافية محدّدة في أعمالها الفوتوغرافية المشحونة بالإيحاءات، والذي يعرضها باستمرار لمأخذ العمل بالصور النمطية التي تعكس بدورها نمطية العيش التي اجتاحت إيران منذ عهد خاتمي، إلا أنها تنجح في أن تحترق مضمون لغة عالمية وليس فقط تقديم صورة عن بلد منشأها بل أيضا تقدّم في نفس الوقت نظرة ثاقبة عن خبايا نماذج الإدراك الغربية. وبالنسبة لها من المهم أن تكون أصول الفكرة مستوحاة من الداخل كي تتمكن من خلق شيء نقي، بدلا من الاستسلام لضغوط رسم ما هو مواز للثقافتين، وبهذه الطريقة لا تصل إلى جمهور بعينه فقط. فيأتي عملها "نساء الله"/"حراس الثورة" مشحون بالاستنادات المتضاربة. حيث وثّقت وجوه وأيدي وأرجل نساء إيرانية بكتابات وكانت هي من بينهنّ حملتهنّ الكتابة رمزا ومعنى، وحملنا السلاح عزمًا في توجيهه مباشر إلى المشاهد، كاسرين بذلك الانطباع الذي تنضوي عليه الصورة النمطية للثورة المحاربة.



SHIRIN NESHAT, SPEECHLESS, 1996, Encre sur tirage gélatine au bromure  
d'argent, 152,4 x 101,5 cm

شيرين نشأت، الأخرس، 1966، حبر على مطبوعة جيلاتين ببروميد الفضة، 152.4\*101.5صم  
فكانت هذه الفترة معها قائمة على نحو من الصرامة والدقة عبر المعالجة الخطية، مما أتاح لها كسر الحدود المكانية والثقافية ليغدو العمل زئبقي القراءة منفتحا على المتعدد في التأويل، وبالتالي لئن تحمّلنا الصورة إلى أنساق رمزية ودلالية مختلفة، إلا أنّ عناوينها المتناولة على سبيل الذكر "الأخرس"، "المنهوب"، "همسات"، "قصص استشهاد"، أتت مُفصّحة عن سجل انطباعي مباشر لتوجهاتها المعلنة دون مواراة أو تملّق للوضع السائد في إيران، وضمن ذات الموقف نجد "شيرين نشأت" تنتقل من الصورة الفوتوغرافية، إلى الفيلم المصور، لتكسر الحدود الجغرافية وتفوز بجائزة الأسد الفضي وذلك في كبرى الملتقيات الدولية ضمن مهرجان البندقية في دورته 66 ضمن أول عمل إخراجي لها، والفيلم مأخوذ أصلا عن رواية للكاتبة الإيرانية "شهرنوش بارسبيور"، الصادرة سنة 1989. حاولت نشأت من خلال فيلمها "نساء بدون رجال" أن تطرح قضية المرأة المهشمة التي يلتبس فيها النفسي بالجسدي ضمن أحداث يلتبس فيها بدورها الواقعي بالمتخيّل، وتداخل فيها الأزمنة والأحداث، إذ تصوّر "نشأت" نساء فيلها الخمس أحيانا هاربات في حديقة سرية نائية يلجأن إليها بأحاسيسهن. هو عالم سحري، سرعان ما ينفصّ، لتعيد الحفر استرجاعا في الذاكرة ضمن أزمنة تاريخية كثورة 1953 التي أطاحت بحكومة رئيس الوزراء الإيراني "محمد مصدّق" بسبب تدخل القوى الأجنبية والتي تمّ إجهاضها وتلاشت معها أحلام تلك الفترة، ومن الخمسينات إلى الثمانينات تنتقل في الزمن، حيث يتظاهر النساء والرجال جنبا إلى جنب ضد القمع الذي تمارسه السلطات، لتأتي بذلك فاضحة لمعالم القمع وجذور الصراع السياسي. إن هذا التشابك والتواشج في تناول، عبر التباس الأزمنة والأحداث والوقائع، هو ما أعادت ترجمته "نشأت" في سلسلة أعمال "فائزة و مينيس" لسنة 2008 لتتشابك الكتابة بالكتابة في زخم الخط، "لغة" عسرت معها القراءة مما فكّ رباطها من حدود محملها ليطفو على فضاء محله.



SHIRIN NESHAT, FAEZEH, 2008, Encre sur tirage couleur marouflé sur aluminium, 155x 124,5 cm

شيرين نشأت، فائزة، 2008، حبر على مطبوعة ملونة تمّ إصاقها على ألومنيوم، 155\*124.5 صم

لتعود في أعمالها الأخيرة من خلال سلسلة فوتوغرافية جديدة بعنوان "كتاب الملك" سنة 2012 والتي تمثل عود على بدء أي رجوع لسلسلة نساء الله. حيث نجد من جديد الكتابة الموشحة على الوجه عبر استغلال القيم الضوئية الأبيض والأسود ضمن تباين الظل والضوء، إذ تستند الفنانة إلى نفس الأسلوب، مع تغيير في طريقة التنفيذ، فتعسر الكتابة عبر الصغر في الحجم والتكاثف المتواتر، لتصبح الكتابة على هذا النحو هي قراءة للوضع الراهن الذي يأتي على نحو من الالتهاس والعسر، هو مخاض تجربة مجتمعية أجهضتها الفنانة على أعتاب شخوص مختلفة عربية منها وغربية، لتكون القضية واحدة مهما اختلفت الأجناس والأعراق، لتتشد على هذا النحو أرضية تعايش جديدة بين الشرق والغرب لا تتركس إلا لهوية كونية منفتحة على كل الحضارات. وتجلّى ذلك من خلال تلبسهم بنفس الخطوط. فنجد عمل عنوانه "داوود" "روجا" "شارمان" "نيجين" "سارة" "أحمد" "نداء"



SHIRIN NESHAT, AHMED, 2012, Encre sur tirage numérique exposé laser,

152,4 x 114,3 cm,

شيرين نشأت، أحمد، 2012، حبر على مطبوعة رقمية ليزيرية، 152.4\*114.3 صم

وإننا إذ ننكر في هذا الجرد والتحليل لأعمال الفنانة الإيرانية "شيرين نشأت" اهتمامها والتزامها بقضية المرأة ونقدها للمجتمع، لكننا لا نُخفي انتقادنا للتحوّلات الثقافية الغير بريئة للمجتمعات الغربية خدمة لمصالح أجندات سياسية تسويقية بغلاف ثقافي، مما يضع قضية الالتزام بمثل هذه المواضيع محلّ تساؤل، وذلك في ظلّ التحوّلات المعاصرة لصورة المجتمع الإسلامي والعربي وما شهده من وجهات نظر غربية نقدية عبر الاهتزاز والتداخل في الرؤى والمفاهيم ك مفهوم الهوية والمرأة والتطرّف الديني الذي بات يختر ويهدّد أوصال المجتمعات الغربية، ألا يمثّل هذا الطابع النقدي لمثل هذه المقاربة التشكيلية ترجمة لمصالح إيديولوجية وسياسية تدعمها مثل هذه المؤسسات وتكون وسيطا في ذلك ضمن غلاف ثوري تقدّمي؟

كما يمكن أن تبيّن تجربة الفنان المغربي "منير الفاطمي"<sup>4</sup> التي تتحدر ضمن نفس هذا التوجّه، تلك التي قامت على تشكيلات متعدّدة، بحث من خلالها عن إحداث الرجة البصرية للمشاهد عبر شدّه بأساليب على نحو من الجدّة والطرافة، مستعملا في ذلك التوليف بين تقنيات وأساليب متعدّدة يؤلّف هجاءتها في مؤلفة غزلية، تكون فائضة وحاملة للمعنى، لقد بينت الناقدة الفنية الأميركية "ليليان دايفيس" حول دراسة لها عن تجربة "منير الفاطمي" ضمن كتاب بعنوان "مفردات مربية" ضمن سلسلة الكتب التي تصدرها دار "سكيرا" الدولية للتعريف بوجه الفن العربي المعاصر، وتحلّل "دايفس" في الكتاب الظروف الثقافية والسياسية التي اختار هذا الفنان استكشافها وتبيّن التحوّل الذي شهده منذ بداية الألفية الثانية، تلاحظ الناقدة تركيز الفنان في عمله على الجوانب السياسية والدينية والثقافية للمواجهة المفترضة بين شرق

<sup>4</sup> ولد منير فاطمي في طنجة بالمغرب سنة 1972. زاول دراساته في الفن التشكيلي في الدار البيضاء إلى غاية 1989 ثم تابعها في روما (إيطاليا) حتى سنة 1991، وهو يشتغل ويعيش حاليا باريس (فرنسا) لقد خلقت التركيبات والمنحوتات والفيديوهات والصّور والرسومات التي أنجزها منير فاطمي جدلا كبيرا. ويساءل الفنان بسخف لاذع، لتكون تلك من ميزته ويهاجم معالم الحكم والتطرّف بكل أشكاله، سواء فيما يتعلق بالفن والدين والسياسة أو الهندسة والإعلام بكل وسائله. إن أشكال المستعملة على غاية من البساطة بل هي في بعض الأحيان مبهمة (مثل الشرطة). (VHS) ولكن اختيارات منير فاطمي ليست اعتباطية. فإن هذه الأغراض تكشف دائما عن دلالة خاصة وقد عرضت أعمال منير فاطمي في متاحف عديدة في العالم بسويسرا وألمانيا وفرنسا وطوكيو... كما شارك منير فاطمي في عدة بيناليات منها بينالي غوانغي في كوريا، اشبيليا، والشارقة....

وغرب، كما في التجهيزات الثلاثة التي رصدها لأحداث 11 سبتمبر 2001<sup>5</sup> يتنزل في نفس هذا السياق مشروع الفنان منير الفاطمي الذي يحمل عنوان إنقاذ منهاتن « Save Manhattan » والذي يرتبط مباشرة بأحداث 11 سبتمبر لييسط أمامنا على نحو مختلف ملابسات المعاصرة العربية في اقترانها بحيثيات الوضع العالمي منذ ذلك التاريخ . تم إنجاز هذا المشروع على ثلاث مراحل، ويتكون من ثلاث تنسيبات أنجزت على فترات متباعدة. عرضت التنسيبة الأولى سنة 2003 وكانت عبارة عن كتب مرصوفة عموديا فوق طاولة كُتبت بعد الواقعة لتوسطها نسختان كبيرتان من القرآن الكريم متجاورتان أفقيا، لتتكفل الإضاءة بعكس ظلها على الحائط راسمة أطراف برجى التجارة العالمية. وأنجزت التنسيبة الثانية في آخر 2005 وهي مركبة من أشرطة فيديو VHS منضدة فوق بعضها البعض على نحو يوحي بطيف أفق مدينة "منهاتن" قبل الكارثة. ويشير الفنان في اختياره لأشرطة الفيديو إلى وسائل الإعلام وعنّف الصور التي تبثها دوريا وبلا انقطاع بعد الأحداث، وقد أنجز هذا المشروع الثاني برعاية مؤسسة « LOMBARD FREID PROJETS » التي تأسست في سنة 1995 بنيويورك، والتي نظمت على مدى 17 سنة معارض فنية تركز على أبعاد مفاهيمية، وتكفل المؤسسة بخفضها. ويُعتبر "منير الفاطمي" من بين فنّاني هذه المؤسسة الأمريكية. تُعرض التنسيبة الثالثة في سنة 2007 بينالي البندقية في دورته 52، وهي استرجاع لنفس الهيئة التي توحى بها سابقاتها عبر انعكاس ظلها على الحائط، ولكن طبيعة الأشكال التي تعكس ظلها مختلفة هذه المرة: إنها ظلال تسعين مضخم صوت ذي أجام مختلفة. وتشغل مضخمات الصوت كلها في نفس الوقت وتوحى بالمناخ الكارثي للأحداث عبر أصوات سيارات الإسعاف ونزول الطائرات وزفير الرياح... إنها تنسيبة يمتزج فيها تراوح بين الأصوات المسجلة ونظيرتها المفبركة . وبالتالي ما يمكن أن تبيّنه أن الفاطمي قد انخرط في سعي دؤوب للتفاعل مع الأحداث العالمية، عبر إنجاز أعمال تخصّ كبرى القضايا العالمية ومن أهمها 11 سبتمبر والتي نالت إعجاب ورضى أصحاب القرار وأصحاب الأروقة والسلطة فبات من الأبناء المدللين، وإن ذلك ما أسهم في مشاركته في كبرى المعارض والبيناليات العالمية.

<sup>5</sup> <http://www.awassim.com>



منير الفاطمي إنقاذ منهاتن 1، 2003، تنصيبة ذات مقاييس متغيرة، كتب، مصحفين، ضلال وإضاءة اصطناعية



منير الفاطمي إنقاذ منهاتن 2، 2005، تنصيبة بمقاييس متغيرة، أشرطة VHS، لصق، طاولة



منير الفاطمي إنقاذ منهاتن 3، 2007، تنصيبة، 500 صم\* 250 صم\* 100 صم، 90 مضخم صوت بأحجام مختلفة تُصدر أصواتا مسجلة وأصوات مصطنعة، 2007

وبالتالي من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نبيّن أن هذه التجارب التشكيلية قد استندت إلى رهان التشكيل مطيّة ورفعته راية أمام شوائب مجتمعية - لكن - هذه التجارب بدورها تشوبها بعض الشوائب حول المنهج الإملائي، وطريقة الاستقطاب وطرق التسويق، التي اقتضت من الفنان المنتمي إلى بلدان إسلامية تحديد الهوية وسبب الوجود، لتكون صكّ العبور للانخراط في السوق العالمية، لتساءل بالتالي: ألا يمثل هذا الاستقطاب والتسويق طريقة مغلفة لإعادة تسويق صورة العالم العربي الإسلامي وتضخيم الهوية المجتمعية لتكون خدمة لمخططات سياسية استشرافية فتكون مثل هاته التعلات سبيلا نحو مزيد تقسيم المقسم والاحتكار والسيطرة والنّفوذ؟

### علامة مسجلة ومضاربة في السوق

إن الفنان المعاصر بتبنيه مبدأ الثورة على القيم، والاشتغال خارج كلّ معيار، قد تحوّل إلى فاعل مخترق «Transgresseur» بإطلاق لكل الحدود، وبالتالي "إن حالة التمرد التي يبدئها الفنان الطلائعي، تتخذ من الاستفزاز مدخلا إلى الفعل تماما كما كان الفيلسوف "نيتشه، يبعث الاضطراب في القيم العليا، ليثبت عدم جدارتها، وليثبت أن ماهو جدير ليس قيمة مطلقة أو المعنى في ذاته، بل هو اللامعنى أو العدم فهما الجديران بالتقدير" (الزارعي:2007، ص21). إن هذا الفعل المتجاوز قد انطافت لشمائله العولمة وسياقات الإنتاج الآلي وهو ما أكد عليه "والتر بنجامين" منوها بأهمية الإنتاج الآلي الذي أثر في العلاقة القائمة بين الفن والجمهور من حيث الإنتاج والتناول والانتشار، فزاد في استهلاكه من قبل الحشود مما دفع بتحوّل وتقدّم الفنون البصرية على نظيراتها الغير بصرية، وإن ذلك لتأكيد على ثقافة العين وهو ما يؤكده "بنجامين قائلا" العين أسرع إدراكا مما ترسمه اليد" وبالتالي إن هذا التحول الذي شهده الفن المعاصر من زمن المعاشة إلى "الحقبة" التي اتسعت لتشمل القرية الكونية، ولتفتح إثرها الحدود لتغدو "العولمة" كإحدى ثوابت هذه الفترة التي يندس ويتلبس فيها التجاري بالجمالي ضمن عوالم التجارة والاستهلاك ووسائل الاتصال التي تحتكرها كبرى شركات الاتصالات والمعلومات والمؤسسات الداعمة والمسوّقة للفنان. لتقبله أحيانا في سياق فكر جمالي، تسوقه إليها وينساق إثرها، وليغدو على ضوء ذلك طابعه الذي يتطبع به، "كعلامة مسجلة" يسوق بها أثره، وهو ما يتماشى مع جلّ التجارب المختارة، التي تم احتضانها بدعوى الاحتواء الثقافي للآخر الذي ينقاد وراء راية "الانفتاح الثقافي" و"الثاقف" والتحاور والحريّة" و"دمقرطة الفن" وغيرها من الشعارات التي انساق فيها العديد من الفنانين وساقته ليلج من خلالها إلى كبرى المعارض والأروقة في العالم التي أتت لتعنون من الرموز المختارة عنوانا وئمة لأعمالهم، فتغيّرت المنظومة الأيقونية والتميزية نحو أسلوب خاص، تم إثرها الالتزام بمسرحة حدث أو أحداث بعينها، إن ذلك ما حدا إلى تسويقه في سياق معين وتصبح بذلك تلك الرموز والأيقونات العلامة التي تميزهم. وهو

ما تجلّى مع الفنّانة الإيرانيّة "شيرين نشأت" التي سعت إلى أن توثّق الكتابة المسربلة على تقاسيم الجسد ومعالم الحركة فيه (الوجه، اليدين...) فنحت نحو إثارة مجموعة من المؤثرات البصريّة، لتغدو الكتابة عبر المقروء منها واللامقروء، الظاهر والخفي، الأبيض والأسود هي جملة من الصيغ الجمالية التي انتهجتها لتشدو من خلالها شدو الحياة في كفن الموت. هي جملة من المتضادّات الصارخة التي بنت عليها الفنّانة أطروحاتها. وإن تلبّس أسلوبها على جملة هاته التناقضات هو ترجمان لبس القائم على فحوى طبيعة مجتمعها ضمن ازدواجيات أنطولوجيّة، لتعيد مسرحة الجسد نحو أفق انتظاري مفتوح، تعيد مسرحته في أمكنة موحية بالإنعتاق والانفلات والهروب كالبحر والصحراء وغيرها، كما يأتي الجسد محفوفًا بهالات الصدام عبر أنّات السلاح المتحف بالحجاب والملتحم بالجسد الخضّب بالدم والحناء والمعتق لعقب التراب.. فالجسد الأنثوي صار يتوق للتّنصّل من تلايب ماضيه وحاضره، وهي نفس الميزة التي ارتهن عليها الطابع التشكيلي للفنان الجزائري "عادل عبد الصمد" والفنان المغربي "منير الفاطمي" الذين انخرطوا في مجريات الأحداث العالميّة خاصّة المتعلقة بأحداث 11 سبتمبر 2001، وبالتالي إن القوّة الاقتصادية والسياسية ناهيك منها التكنولوجية هي التي حوّرت في مجريات طريقة تسويق الفنان والأثر. فالقوى السياسية والاقتصادية العالميّة منها هي التي أصبحت الماسكة بزمام مجريات ومسالك تسويق الأثر، إن ذلك ما جعل الفنان العربي ينساق لإرضاء هاته القوى العالميّة من أجل أن تفتح له الأبواب وتحتضنه ليتحوّل الاختيار الموجه إلى أسلوب يلتزم به الفنان وليتحوّل هذا الأسلوب بمثابة "العلامة المسجّلة" أو "الماركة"، والتي تؤهّله لاحتلال موقع ضمن سوق الفن وترتيبها العالمي، وعلى هذا النحو إن هذا التكرار والالتزام مع المساهمة الإعلامية الهامة هو ما جعل "نشأت" تصبح من أكثر الفنانات شهرة في إيران وفي العالم أيضًا، إذ أصبحت أعمالها تحظى بالحظوة والقبول والترحيب ضمن أهم دور العرض، لتبوّب في كبرى المزادات العلنية، وهو ما قامت به مثلاً دار "سوزيز" للمزادات المقام في الدوحة في شهر أكتوبر 2014 وقد طرح في هذا المزاد، عمل فيديو، بعنوان "المعبر" والذي قدرّت قيمته ما بين 200000 و300000 دولار، وقد تم عرض هذا العمل في عدة معارض دولية، وتوجد نسخ منه في المجموعة الدائمة في متاحف "سولومون ار"، وتحديدًا "متحف غوغنهايم" و"متحف الفن المعاصر"، و"متحف نيويورك" و"متحف سان فرانسيسكو للفن المعاصر".<sup>6</sup> وقد احتلّت الفنّانة "شيرين نشأت" الترتيب 254 من بين ترتيب 500 فنان الأكثر مبيعا في العالم وذلك ضمن الإحصائيات التي تقوم بها مؤسّسة «Artprice» لسنة 2015، إذ باعت "نشأت" في الفترة المتراوحة من جويلية 2014 إلى جوان 2015 بمبلغ يناهز 769.414 دولار وبلغ أعلى سعر لأعمالها 220000 دولار. أما الفنان الجزائري "عادل عبد

<sup>6</sup> <http://www.artsgulf.com/609312.html>.

الصمد" فقد جاء ليحتلّ الترتيب 263 بعد أن كان في السابق في المرتبة 326، وقد باع في نفس الفترة (جويلية 2014 وجوان 2015) بمبلغ قدره 713.616 دولار، وبلغ السعر الأقصى لأغلى عمل له 272221 دولار. من خلال ما تقدّم، يمكن أن نتبيّن الأهميّة الكبرى لدور الدعاية الإعلاميّة والمؤسّسات "الراعية للثقافة" المساهمة في تسويق الفنان وأثره، وطرق الانخراط والاستقطاب ضمن سوق الفن التي تبدو مسالكها حسب رأينا تشوبها العديد من الشوائب والتحفّظات، فالسوق الفنية تبقى رهينة التحوّلات الاقتصادية والسياسية لكبرى الدول، ويبقى الفنان العربي والمسلم رهين هذه التجاذبات والتحوّلات ينساق نحو هذه المجريات ليواكبها علّه يظفر بصكّ العبور ليلج هذه السوّق الفنية العالميّة

### قائمة المراجع

#### مراجع بالعربية

- مارغريت روز: ما بعد الحداثة، ترجمة احمد الشامي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص66،65.
- محمد محسن الزارعي، السجال الجمالي في الفن المعاصر، مطبعة التفسير الفني صفاقص 2007، ص21.
- محمد سبلا، مشهد الفلسفة الفرنسية المعاصرة بين ازياح الصورة وصيرورة المفاهيم، مجلّة مدارات الفلسفة، العدد15، 2000، ص43.

#### مراجع بالفرنسية

- BENJAMIN Walter, L'œuvre d'art à l'époque de sa reproductibilité technique, Version 1939, Editions Gallimard, 2008,p39.
- DANTO Arthur: *l'art contemporain et la clôture de l'histoire*. Tr Claude Harry Schaeffer, Ed Seuil,2000,p29.
- FOREST Fred, *Fonctionnement et dysfonctionnement de l'art contemporain*, L'Harmattan, Paris, 2000,p54.
- JIMINEZ Mark, *La querelle de l'art contemporain*, France, Éditions Gallimard, 2005,p152.
- <http://www.artsgulf.com/609312.html>

## أحكام الإسلام بين ضرورات الأمن ومدافعة الإرهاب

## The Provisions of Islam Balancing the Necessities of Security and Combating Terrorism

د. عبد الرحيم محمد علي، الهيئة الليبية للبحث العلمي

( (abduhrahimali309@yahoo.com) )

## ملخص الورقة.

تناقش الورقة البحثية جزئية مهمة تتعلق بالحكم الشرعي لقضيتي الأمن والإرهاب، والقيمة المقاصدية للأحكام الشرعية في التوازن ما بين ضرورة طلب الأمن وتحقيقه، والحاجة إلى دفع الإرهاب، ورد العدوان، ومدى تأثير هاتين القضيتين على الشخصية الإسلامية، حيث إن اهتمام الدين الإسلامي ببناء الشخصية الإسلامية هو اهتمام ببناء المجتمع المسلم في إطار التحولات الدولية المعاصرة التي بنت الدول على الهوية الوطنية.

وفي إطار الاستدلال بالنصوص الشرعية، تم التركيز على بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت صريحة في ضرورة طلب الأمن، ودفع الخوف وأسبابه، ودلّ بعضها الآخر على تحريم الاعتداء على الآخرين، وسلب حقوقهم، في حين حثّ بعضها على أهمية الأخذ بأسباب القوة والاستعداد للعدو، ومدافعتة بشتى الطرق في حال اعتدائه، وأن الأعمال الإرهابية التي يحاول الغرب إلصاقها بالشخصية الإسلامية، هي أعمال لا تمت للإسلام بصلة، وأن أخطر أنواع الإرهاب هو الإرهاب الفكري الذي يستهدف إفساد العقول.

**Abstract:** This research paper addresses a critical issue related to the Islamic rulings on security and terrorism. It explores the maqasid (objectives) of Shariah rulings in balancing the necessity of achieving security and the need to combat terrorism and repel aggression. It also examines how these two issues influence the Muslim identity, as Islam's focus on building the Muslim character reflects its broader goal of building a Muslim society. This takes place in the context of contemporary global transformations, which have redefined national identity as the foundation of state-building.

Relying on Quranic verses and Prophetic traditions, this study highlights texts that emphasize the importance of security and the elimination of fear and its causes. It discusses texts that prohibit aggression against others and the usurpation of their rights, while urging preparation and defense against aggression in case of attack. Furthermore, the study argues that acts of terrorism often falsely attributed to the Islamic identity are unrelated to Islam. Among the most dangerous forms of terrorism, intellectual terrorism is particularly harmful as it aims to corrupt minds.

## التمهيد

الحمد لله رب العالمين الذي تفضل علينا بنعمة الإسلام، فجعله دين الأمن والسلام، وبعث رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - لينشر في الأرض ثقافة العفو والتسامح، واحترام حقوق الإنسان. الدين الإسلامي هو دين الله الذي ارتضاه للناس كافة؛ لما فيه من أسس وقواعد متينة صالحة لبناء مجتمع إنساني متطور وبنّاء، وتعاليم الإسلام ليست خاصة بقوم، أو لون، أو جنسٍ معين، أو إقليم جغرافي محدد، إنما هي تعاليم لعموم الناس كافة، وبهذا جاءت رسالة الإسلام وبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الخاتم لفترة طويلة من الرسل، أما الأنبياء الذين بعثوا من قبله فقد بعثوا لقومهم خاصة، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أُعْطِيتُ نَحْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نَصَرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً "[صحيح البخاري، ط2، مكتبة الرشد، الناشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ج1، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً" رقم (438)، ص: 67، وصحيح مسلم، ط1، 1419هـ - 1998م، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث (521) ص: 265].

فعمومية رسالة الإسلام وشموليتها أعطتها قوة في ملامستها لحياة الناس، ومعالجتها لكثير من القضايا التي تؤثر في حياتنا بشكل عام، فنحن أمام دين يشكل باقتناع تام أنه صالح لكل زمان ومكان، وملائم بمرورته المنضبطة لمصالح المجتمعات الانسانية، ولا نقول ذلك مزايده، ولا تعصباً، إنما حقيقة واقعة قبل بها أعداء الإسلام أم رفضوا، فقوة الدين الإسلامي ليست في عدد أتباعه فالعدد عدد سواء كثر أم قل، لكن قوة الأحكام الشرعية وقيمتها المقاصدية هي التي جعلت سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ومناخاً مفعماً بالعطاء والحب والسلام.

وإذا أردنا أن نقدم لأحكام الشريعة الإسلامية فعلياً أن نبرهن على شمولية هذه الأحكام للحياة بشكل عام، وبخاصة تلك الأحكام التي تتعلق بمسألة بناء المجتمع المسلم وتنظيم علاقاته مع المجتمعات غير الإسلامية، كما أنه من الواجب علينا أن نبين ماهية بعض المفاهيم التي نص عليها القرآن الكريم وأكدتها سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقف على ذلكم الخيط الرفيع الذي يفصل بين تلك المفاهيم والأسس، وبين ما يظن أنه تابع لها أو نتيجة من نتائجها.

إن مما يعانیه أغلب المسلمين اليوم هو عدم قدرتهم على تقديم أحكام دينهم بالشكل الذي ارتضاه وأراده الله، فالذين أرادوا بالإسلام والمسلمين كيداً وجدوا في اختلاط المفاهيم فرصة سانحة لوصم المسلمين بالتخلف والغلظة والعنف، وأن دينهم الإسلامي هو سبب ما هم فيه من تفرق بينهم، وضعف في قوة صفهم، وسفك لدماء بعضهم بعضاً، وتدمير لبيوتهم بأيديهم، وخلل كبير في منظومة التفكير لديهم، فقولهم باتت مرتبة المناهج دينية تدور بين التعطيل والتجسيم، وتخوض في جزئيات لا تلامس متطلبات حياتنا بالمثل، ولا يفيد البحث فيها قيد أنملة.

إن أحكام الدين الإسلامي كانت ولا زالت مصدراً للخير والنماء للإنسانية قاطبة، وعنواناً للتجدد الفكري والعطاء الإنساني، وهي البراح الكبير الذي يجد فيه الإنسان حقوقه وحرياته وكل ما من شأنه يعزز قيمة وجوده في الحياة، ويكبح جماح نفسه وهواه في أن يعتدي على حقوق الآخرين وحرياتهم، كما أن أحكام هذا الدين تعدّ أساساً متيناً من أسس التنمية المكانية والاجتماعية، ومرشداً مهم في الاهتداء إلى طرق النجاح، وولوج المسلمين إلى دائرة الفعل الإنساني إيجابياً.

وفي هذا الإطار تقدم الشريعة الإسلامية رؤية لبناء الشخصية الإسلامية القوية في تفكيرها وانضباطها، وقدرتها على فهم رسالة الإسلام فهماً صحيحاً.

وإن اهتمام الدين الإسلامي ببناء الشخصية الإسلامية هو اهتمام ببناء المجتمع المسلم في إطار التحولات الدولية المعاصرة التي قسمت العالم اليوم إلى دول وطنية وليست دينية، أي على أساس المواطنة وليس الانتماء الديني، ومع ذلك يظل الفرد المسلم هو محل الخطاب الإلهي، وإن أغلب الأحكام الشرعية تدور حول مسؤولية الفرد على تصرفاته، وإن كان لفروض الكفاية مجال واسع في القيام بها وما يلحق الأمة من إثم في عدم القيام بها غير أن لفرض العين أولوية.

ونحن اليوم أمام كم هائل من الانتقادات والطعون التي توجه للفرد المسلم ومن ثم للمجتمعات الإسلامية، وقد تعرضنا لهذا الكم من الاتهامات والانتقادات بعد أن هيئنا - سواء عن قصد أو غير قصد - المناخ المناسب لذلك! فعلى المستوى الديني هناك انقسام كبير بين المسلمين في المناهج العقديّة والتيارات الدينية، وعلى مستوى التقدم العلمي والتقني يعيش أغلب المسلمين حالة من الفقر والتخلف، بل إن بعض علماءهم قد أسهموا في هذا التأخر والتخلف بسبب الجمود الفكري لديهم، وعدم فهمهم للنصوص القرآنية والنبوية على حقيقتها، وعلى مستوى التآزر والترابط والتآخي بين المسلمين فإن الاقتتال بينهم هو سيد الموقف، وعلى مستوى توظيف أحكام الشريعة الإسلامية في إطارها الصحيح لدى الدول المسلمة فإننا نرى أن تعاليم الدين الإسلامي في الغالب لا تتجاوز فناء المساجد.

هذا المناخ الذي هيأناه للأعداء هو ما جعلهم يوصمون الإسلام والمسلمين بالإرهابيين المتخلفين، وأنهم أعداء الحضارة الإنسانية، وأن الدين الإسلامي دين هدم وحرب واقتتال، وحب انتقام، فكيف لنا أن نلوم غير المسلمين في تهجمهم على الإسلام ونحن من سببنا في ذلك؟، ولسان حال الآخر: فلا تلووموني ولوموا أنفسكم!

### مشكلة البحث

إن من أخطر الانتقادات وأشدّها وقعاً على المسلمين تلك المتعلقة بمسألة السلم والأمن الدولي والمجتمعي، فلا أسوأ من أن يكون المسلم مصدر خوف وفزع وقلق لمن حوله، ولا أخطر من أن يحارب المسلم في دينه بحيث يوصم الإسلام واتباعه بكل ما من شأنه يشكل خطراً على الحياة بشكل عام، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة الأمن بمفهومه الشامل، سواء الأمن العقدي، أو الأمن في السرب، أو الأمن الغذائي والمائي.

إن هذه المحاولة البحثية التي بين أيديكم ركزت فيها على الأحكام الشرعية المتعلقة بمسألة الأمن وضرورته من خلال الاستدلال بالنصوص الشرعية، وآراء المدارس الفقهية، كما أكدت في دراستي على الفصل بين ضرورة الأمن، وضرورة مدافعة الإرهاب، حيث إن الإرهاب أسلوب قديم جديد وخطير وظف بشكل سيء لمحاربة الإسلام والمسلمين، وقد دخلت حرب الإرهاب في فن صناعة الحروب في العالم بشكل قوي حتى صارت الحروب الدائرة في العالم اليوم أغلبها تحت ذريعة محاربة الإرهاب الذي لبس ثوبه الشباب المسلم بفعل عوامل شتى، بعضها تتحملها النظم السياسية القائمة، وبعضها يثقل كاهل العلماء المسلمين، وبعضها يدخل تحت وطأة الوضع الاقتصادي، كل تلك العوامل وغيرها استغلها أعداء الإسلام، والقوى المتصارعة في العالم ووظفوا فيها شباب المسلمين في حروبهم.

### أهداف البحث

تهدف هذه المحاولة البحثية إلى تحديد مصطلحي الأمن والإرهاب، وبيان آلية ضرورة طلب الأمن، وضرورة مدافعة الإرهاب، بما يضمن تصحيح المفاهيم، والأحكام الخاطئة التي تستهدف الشخصية الإسلامية، ومن قبل ومن بعد الدين الإسلامي، وإن مهمة مثقفي الأمة الإسلامية وعلمائها يجب أن تنصدي في الأساس لمدافعة خطر الإرهاب عن شخصية الإنسان المسلم، وينبغي أن تكون المدافعة قائمة على الحجة والدليل لا على التعصب وبناء الأحكام المسبقة فذلك هو الإرهاب بعينه.

وإني إذ أقدم هذه المحاولة الفكرية أمل أن يجد القارئ ما يجيبه على بعض التساؤلات، وما يشعره بأن في هذا العمل شيء جديد ومفيد ولو من حيث طريقة الطرح، وفي الجملة يظل هذا العمل وغيره كثير من الأعمال البحثية التي يقدمها بعض المؤلفين جهداً نسعى من خلاله إلى رضى الله أولاً ثم إلى تكلمة

نقص، أو تصحيح تخطئة وردت من اجتهادات غير دقيقة، أو بيان وشرح ما هو مغلق، أو تفصيل ما هو مجمل، وهذا كله يعدّ من جملة مقاصد البحث العلمي والتأليف.

### منهج البحث

إن المنهج العلمي الذي أراه خادماً لهذا العمل هو المنهج التكاملي؛ لما لموضوع البحث من زوايا مختلفة، وجوانب عديدة لكل منها طابعها الخاص في النقل والعرض والجمع والتحليل والمناقشة. إن الكتابة في مسألة توظيف الأحكام الشرعية في تحقيق الأمن، وتوظيفها في مدافعة الإرهاب بمفهومه الشامل أيضاً تتطلب منا عرضاً موجزاً للتعريف بالمصطلحات التي يدور حولها النقاش وتستهدفها هذه الدراسة بالبحث والتحليل وهذا ما تتضمنه الجزئية الأولى من هذه الورقة، أما الجزئية الثانية فقد خصصتها لمناقشة الأحكام الشرعية وضرورات الأمن، ومدافعة الإرهاب، ثم ختمت الورقة بالإشارة إلى أهمية الجانب المقاصدي في الشريعة الإسلامية حول طلب الأمن ومدافعة الإرهاب.

أولاً: التعريف بالمصطلحات التي يتركز عليها مضمون البحث.

#### 1 - الحكم الشرعي.

الحكم الشرعي في اصطلاح الأصوليين: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين، طلباً أو تخيراً، أو وضعاً. فقوله تعالى: (أوفوا بالعقود) [المائدة: 1]، هذا خطاب من الشارع متعلق بالإيفاء بالعقود طلباً لفعله. وقوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم) [الحجرات: 11]، هذا خطاب من الشارع متعلق بالسخرية طلباً لتركها، وقوله سبحانه: (فإن خفتم ألا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) [البقرة: 229]، هذا خطاب من الشارع متعلق بأخذ الزوج من زوجته نظير تطليقها تخيراً فيه. وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: " لا يرث القاتل" [رواه النسائي في السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق، حسن عبد المنعم شلبي، ط1، 1421هـ - 2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 4/79، كتاب الفرائض، باب توريث القاتل، رقم الحديث، 6335، ج6، ص: 121] هذا خطاب من الشارع متعلق بالقتل وضعاً له مانعاً من الإرث.

فنفس النص الصادر من الشارع الدال على طلب أو تخيير أو وضع هو الحكم الشرعي في اصطلاح الأصوليين، وهذا يوافق اصطلاح القضائيين الآن، فهم يريدون بالحكم نفس النص الذي يصدر من القاضي، ولهذا يقال في الأحكام القضائية: منطبق الحكم كذا يقولون: أجلت القضية للنطق بالحكم.

وأما الحكم الشرعي في اصطلاح الفقهاء: فهو الأثر الذي يقتضيه خطاب الشارع في الفعل، كالوجوب والحرمة والإباحة.

فقوله تعالى: (أوفوا بالعقود) [المائدة: 1]، يقتضي وجوب الإيفاء بالعقود. فالنص نفسه هو الحكم في اصطلاح الأصوليين، ووجوب الإيفاء هو الحكم في اصطلاح الفقهاء. وقوله تعالى: (ولا تقربوا الزنى) [الإسراء: 32]، هو الحكم في اصطلاح الأصوليين، وحرمة قربان الزنا هو الحكم في اصطلاح الفقهاء. [علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف - ط - مكتبة الدعوة، ص: 100].

## 2 - الأمن

الأمن في اللغة: "من آمن يأمن أمنًا، فهو آمن، وآمن أمنًا وأمانًا، اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن أمين، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، نقول: أمن منه أي سلم منه، وأمن على ماله عند فلان أي جعله في ضمانه، والأمان والأمانة بمعنى واحد، فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والمأمن الموضع الآمن". [لسان العرب لابن منظور، ط1، دار صادر بيروت، مادة "أمن" ج1، ص: 163].  
وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ومن آيات القرآن الكريم يظهر معنى الأمن المنافي للخوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]، ومن الأمن ما يتعلق بسلوك الإنسان الفرد، "فلان أمنة أي يأمن كل أحدٍ ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته" [أساس البلاغة، للزمخشري، دار الفكر ص: 21، 22].

ويعرفه الفيروز آبادي بقوله: "الأمن والأمن، كصاحب، ضد الخوف، أمن كفرح أمنًا وأمانًا بفتحهما، وأمن وأمنة محركتين، وإمنا بالكسر، فهو أمنٌ وأمينٌ، كفرح وأمير، ورجل أمنة كهزمة ويحرك يأمنه كل أحد في كل شيء" [القاموس المحيط، الفيروز آبادي، بيروت مؤسسة الرسالة، 197/4].

يختلف تعريف الأمن في اصطلاح العلماء والكتّاب وفقاً لتنوع النظرة والتصور، وتباين المشارب، وإن المستقرئ لتلك التعريفات سيجد التأثير النسبي من حيث الزمان والمكان والأشخاص، واختلاف المدارس بين غربية وشرقية وعربية، ناهيك عن اختلاف المذاهب بين فلسفية وواقعية، واختلاف المنظور الشرعي والقانوني والاجتماعي والعسكري، لذلك يصعب علينا في ورقات محددة أن نأتي على

كل تلك التعريفات، لكن يمكن أن نذكر بعض التعريفات التي تلتقي في مجملها على صيغة واحدة لتعريف الأمن بمفهومه العام.

- عرف الجرجاني في كتابه "التعريفات" الأمن بأنه: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي" [التعريفات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3 ص: 37].

- وقد ذهب الماوردي إلى أن أساس بناء الدول وقوتها في وجود الأمن وتحققه في نفوس الناس، حتى أنه جعله من قواعد صلاح الدنيا وانتظام العمران فقال: "وأما القاعدة الرابعة فهي أمن عام مطمئن لإليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس نخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش، لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم،.... والأمن المطلق ما عمّ والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال، وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال" [الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ص: 119].

- عرفه ابن عاشور - رحمه الله - "بأنه حالة اطمئنان النفس وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يُخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك". [التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 118/12].

- ويمكن تعريف الأمن بأنه: "شعور الإنسان فرداً أو جماعةً، في الوطن وخارجه، بطمأنينة الحياة والعيش، وانتفاء الخوف.

- الأمن هو التحرر من أو مقاومة ضد أي ضرر محتمل (أو تغيير قسري غير مرغوب فيه) من قوى خارجية. قد يكون المستفيدون من الأمن هم الأشخاص والمجموعات الاجتماعية، والأشياء والمؤسسات، والنظم البيئية، وأي كيان آخر أو ظاهرة أخرى قد تكون عرضة لأي تغيير يطرأ في أي بيئة.

إذن من الواضح جداً أن الأمن يشمل الفرد والأسرة والجماعة، والدولة والعالم بأسره، وقد تطور مفهوم الأمن واتسع بتطور واتساع التفاعل الإنساني بشكل عام، وخاصة العلمي منه.

### 3 - الإرهاب.

إن عدم الاتفاق على تحديد مفهوم معين للإرهاب يعد من الأسباب الرئيسة في فشل معالجة ظاهرة الإرهاب المتنامية، غير أنني سأحاول أن أحدد هذه المفهوم من زاوية اللغة واصطلاح الفقهاء، وما استقر عليه الفهم في القانون الدولي.

الإرهاب في اللغة " رهب: رهب بالكسر، يرهَب رُهْبَةً ورُهْبًا بالضم، ورهبًا بالتحريك، أي خاف، ورهب الشيء رهباً ورهبة: خافه.

والاسم: الرهب، والرهبى، والرهبوت، والرهبوتى، ورجل رهبوت، يقال: رهبوت خير من رحوت، أي لأن ترهب خير من أن تُرحم.

وترهب غيره أي توعده، واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسره قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116]. أي أرهبوهم. [لسان العرب، لابن منظور، باب الرء، مادة "رهب" ج 4، ص: 529].

وفي مقاييس اللغة مادة "رهب" الرء والهء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة، فالأول: تقول: رهبت الشيء رهباً ورهباً ورهبةً، والترهبُ التعبُد، ومن الباب الإرهاب، وقوع الإبل من الحوض وزيادها. [مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق، أنس الشامي، 1429 هـ - 2008 م، دار الحديث، القاهرة، كتاب الرء، باب الرء والهء وما يثبتهما، مادة رهب، ص: 356].

أما في الاصطلاح، فإنه بالنظر في تراثنا الفكري والعقدي والفقهي والسياسي، يمكن القول بأن التراث الإسلامي خلا من التعرض لذكر أي تعريف محدد لمصطلح الإرهاب، بل إن النصوص القرآنية، وما صحَّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحاديث نبوية، تجاوزت صياغة أي تعريف منضبط له، وقد ورت مادة رهب ومشتقاتها (استرهب، أرهب، ورهب) في عدد من آيا القرآن الكريم، نذكر منها:

- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40].

- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ط وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154].

- ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

- ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

- ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: 32].

- ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13].

غير أنه لم تشتمل أياً من هذه الآيات ولا غيرها، على تعريف محدد لمصطلح الإرهاب، بل إنه جاء وفق سياقات متعددة المعاني، ونتيجة لذلك لم يعن الفقهاء والمفسرون بوضع تعريف محدد للإرهاب. [الإرهاب ومدافعتة في الإسلام، عبد الرحيم محمد، منشورات مجلة جامعة الزيتونة، العدد 17، 2016م، ليبيا. ص: 98].

وإن ما نجده في بعض الكتب المعاصرة، لا يعد كونه اجتهادات فردية أفضت كلها إلى تجريم الإرهاب، بوصفه سلوكاً وعملاً لا ينبغي للمسلم أن يتخلق به. ومن تلك التعريفات:

- التعريف الذي انتهى إليه عدد من أهل العلم في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في الآونة الأخيرة، بأنه: "ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحياتهم وكراماتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض". [مصطلح الإرهاب، لقطب مصطفى، ص: 9].

- ورد في قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أن الإرهاب: "الممارسة المنهجية المنظمة للرعب، والرعب هو حالة شعور بالخوف الجماعي الذي يثيره أعمال عنف واغتيال يمكن أن تصيب أياً كان، ويمارس الإرهاب ليس فقط باستخدام وسائل يمكن أن تصيب حياة وأمن الأشخاص، بل أيضاً هي تدمير عنيف لدوائر الخدمات العامة أو الخاصة، أو المنشآت الجماعية". [للؤلف سامي ذبيان وآخرون، رياض الريس للكتب والنشر، لندن 1990م، ص: 34].

وبالنظر في هذا التعريف نلاحظ أن مفهوم الإرهاب بدأ يرتبط بالمواقف السياسية الأمر الذي يصعب معه إلى درجة كبيرة تحديد تعريف معين للإرهاب في أروقة الأمم المتحدة، بسبب تباين المواقف، واختلاف التوجهات، وتعدد المصطلحات ما بين دول العالم.

- الإرهاب: "محاولة نشر الذعر والفرع لأغراض سياسية، والإرهاب وسيلة تستخدمها حكومة استبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام لها". [القاموس السياسي، لأحمد عطية، دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، القاهرة 1980م ص: 60].

ويعدّ العنف من المصطلحات التي ارتبطت بالإرهاب من حيث الاعتداء على ملكية الآخرين، وحرمتهم، وينبغي عدم المساواة بين من يمارس العنف، وبين من يتكبد العنف، ومن هنا تأتي ضرورة أخلاقية ومنهجية، وهي التفريق بين الإرهاب وبين الدفاع المشروع للرد على مصدر العنف والإرهاب. ثانياً: النصوص الشرعية الدالة على طلب الأمن، وضرورة مدافعة الإرهاب.

إن من أهم مصادر الحكم الشرعي الأساسية، القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الفائدة بمكان أن نذكر بعض النصوص القرآنية والنبوية التي انبنت عليها الأحكام الشرعية الدالة على ضرورة الأمن وطلبه، وتحقيقه، وضرورة مدافعة الإرهاب.

وحيث أن مسألة طلب الأمن، وضرورة مدافعة الإرهاب ارتبطت بمسائل أخرى تشكل في مجملها توفر المناخ المناسب للحياة المستقرة للفرد والأسرة والمجتمع والعالم بأسره، فلا يتحقق الأمن بدون العدل، ولا يمكن أن يتحقق العدل في ظل فوضى ازدواجية المعايير في تحديد مفهوم الإرهاب، خاصة على مستوى العلاقات الدولية، وما يعرف بالقانون الدولي، فالأمن والإرهاب مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بمسألة العدل، وحقوق الإنسان، والأمانة، والغذاء، والدواء، والماء، والحريات، وسيادة الوطن، فالنصوص الشرعية توجه الإنسان المسلم إلى ضرورات نشر الأمن، والأمان، والسلام، والعدل، والله حرم الظلم على نفسه وجعله بين المسلمين حراماً، ومن باب الأولى أن لا يظلموا غيرهم من أصحاب المعتقدات والملل الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

ولكن ليس على حساب كرامة الإنسان، أو المساس بوطنه، أو دينه، أو الاعتداء على الحرمات، والممتلكات، فالمساس بذلك يعني ضرورة المدافعة، قال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة: 194].

ويقول أيضاً: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]. وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُدْفَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 19].

وحيث إن الأمن نقيض الخوف والخيانة، وأن صون الأمانة باب كبير من أبواب الأمن، فقد أكد النص القرآني على ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

وقد أشار القرآن إلى الأمن في المعاملات المالية بين الناس، كترك توثيق الديون بالكتابة، والإشهاد، والرهن. حال ما يأمن الناس بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 283].

ومن سماحة الإسلام وعظيم تكريمه للإنسان، أن أعطى للمشرك حق الاستئجار وطلب الأمن، لعله يسمع كلام الله وأوامره ونواهيته، فإن قبل الإسلام فذلك هو، وإن أبي ورفض فينبغي رده إلى مأمته،

أي إلى المكان الذي يأمن فيه، قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6].

وفي إطار التعامل بالحسنى مع الآخرين من ذوي المعتقدات الأخر أمرنا الله أن نحسن جوارهم، ونبرهم، ونقسط إليهم قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8].

وطلب الأمان يتحقق باتباع الإسلام فهو مصدر الأمان والأمان، ومن يتبع غيره فقد خسر الدنيا والآخرة فقد جاء في الآية: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]. ومن الأمان ألا نخلط الحق بالباطل، ولا نكتم الحق، وأن نوفر مناخاً مناسباً للعقل حتى لا يفقد قيمته الفكرية، فهو مناط التكليف، والإنسان العاقل هو محل خطاب الله تعالى، من خلال النصوص القرآنية والنبوية.

وإن ما سبق ذكره من آيات القرآن الكريم هو على سبيل الاستدلال فقط، أما الحصر فيصعب بسبب شمولية مفهوم الأمان، وما تتضمنه قضية مدافعة الإرهاب من تفرعات. ولأهمية عناية السنة النبوية بمسألة نشر الأمان والأمان في المجتمع، نذكر بعض الأحاديث النبوية التي دلت على طلب الأمان، وضرورة مدافعة الإرهاب.

- فقد أخرج الترمذي في سننه: عن سلمة بن عبيد الله بن مخصن الخطمي عن أبيه - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا). [الراوي، عبيد الله بن مخصن | المحدث: الألباني | المصدر: سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وأثاره، العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، كتاب الزهد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - الرقم 2346، ص: 529، حكم المحدث: حسن التخریج أخرجه الترمذي (2346) واللفظ له].

- أنهم كانوا يسرون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبلٍ معه فأخذه ففزع فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروَعَ مسلماً). [سنن أبي داود، عناية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، كتاب الآداب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، رقم الحديث، 5004، ص: 541].

- وقد اعتبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - إجارة وأمان أم هاني لرجلين من أقاربها من المشركين أماناً وإجارة لا يجوز التعدي عليها، حصل هذا أثناء الحرب، إن موافقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما

قامت به أم هاني بنت أبي طالب - رضي الله عنها- فيه تكريماً وتشريفاً للمرأة فضلاً عن تقديم مبدأ السلام عن الحرب، فقال - صلى الله عليه وسلم - :قد أجزنا من أجرت، وأمنا من أمنت [صحيح بن حبان، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ط2، 1414هـ - 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، الرقم 1188، ج3، ص: 461].

يعني: الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بإجارة أم هاني في اثنين كانا يقاتلان المسلمين، ومع ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يجير من أجارت السيدة أم هاني رضي الله عنها وأرضاها). [الكتاب: السيرة النبوية المؤلف: راغب الحنفي راغب السرجاني مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٤٦ درسا].

- لقد نظّم الإسلام أمور السلم والحرب، وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم آداب الحرب، وبين أن القتال والجهاد في الإسلام يكون لنشر الدين وإعزازه كما يكون للدفاع عن الأنفس، وليس للاعتداء على أحد، وأمرنا بعدم قتل من لم يشارك من الكفار في قتل المسلمين كالنساء والصغار والأجراء، وقد جاء في الصحيحين عن نافع أن عبد الله - رضي الله عنه- أخبره: أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله النساء والصبيان، وفي لفظ: "فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان". ومثله ما أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة غزاهما، وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، ويتعجبون من خلقها، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فانفجروا عنها، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما كانت هذه لتقاتل"، فقال لأحدهم: "الحق خالدًا فقل له: لا تقتلوا ذرية، ولا عسيفًا". [سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، رقم الحديث، 2842، كتاب الجهاد، باب الغارة والبيان وقتل النساء والصبيان، ص: 482].

وقد جاء في وصية أبي بكر لجيش أسامة بن زيد: "ولا تقتلوا راهباً في صومعته"، ومن وصاياها لأمرأ الجند: "لا تقتلوا امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطعوا شجراً مُثمراً، ولا تُحزبنَ عامراً، ولا تعقرنَ شاةً ولا بغيراً إلا لما كلة، ولا تُغرِقنَ نخلاً ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن"، وهي الوصية التي بناها عمر بن الخطاب رضي الله كما أخبرنا ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: كتب عمر رضي الله

عنه إلى الأجناد: "لا تقتلوا امرأة ولا صبياً". [إرشاد الفقه إلى معرفة أدلة التنبيه، لإسماعيل بن كثير الدمشقي، مؤسسة الرسالة، ج2، ص:320، وقال: روي هذا عن أبي بكر من وجوه كثيرة].  
وقد ذكر علماء الإسلام الأصناف التي لا يجوز قتلها وهي: النساء، والأطفال، والرهبان ورجال الدين، والشيوخ كبار السن، والعُسفاء - وهم الأجراء والفلاحون، وأصحاب الأمراض المزمنة. [المغني، لابن قدامة، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد القادر محمد الحلوة، ط3، 1417هـ - 1997م، دار عالم الكتب، الرياض، رقم المسألة 1679، ج13].

هذه بعض النصوص من القرآن والسنة التي دل بعضها على الحكم الشرعي الذي يلزم منه ضرورة تحقيق الأمن ونشره، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع، أو حتى على مستوى الدول، من جانب المسلمين، وبعضها دلّ على ضرورة مدافعة العدوان والإرهاب بكل السبل المتاحة لذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].  
ثالثاً: الجانب المقاصدي حول طلب الأمن، وضرورة مدافعة الإرهاب.

المقاصد لغة: جمع مقصد من قصد، قصده، قصداً ومقصداً، وجمع المقصد موقوف على السماع. [المصباح المنير، الفيومي، مكتبة لبنان، ص: 192، مادة (قصد)].

واصطلاحاً: إن العلماء السابقين لم يحددوا تعريفاً مضبوطاً جامعاً مانعاً للمقاصد رغم استعمالها في مؤلفاتهم بكثرة، وقد أكد هذا بعض المحققين حيث صرح أن استعمال الفقهاء الأصوليين القدامى تظهر بوضوح في جوانب مختلفة ومن أهمها قاعدة كلية معروفة ((الأمر بمقاصدها)) حيث يراد بالمقاصد هنا ما يبتغاه المكلف ويضمه في نيته ويسير نحوه في عمله. [قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، ط1، 2000م، ص: 45].

ومن أهم التعريفات للمقاصد أنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة. [مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح، محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس الأردن، ط2 2001م، ص: 251].

نهدف من عرض هذه الجزئية إلى بيان الدور الذي تقوم به الشريعة الإسلامية في حماية المجتمع، والحفاظ على استقراره من خلال المحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والنفوس، والعقل، والنسل، والمال؛ فهي أساس حفظ الوجود الإنساني، ولا يتحقق الأمن، ولا تستقيم الحياة إلا بحفظها، من خلال محاربة الإرهاب بكل صوره سواء أكان اعتداءً على الدين، أم النفس، أم العقل، أم النسل، أم المال. [مقاصد الشريعة الضرورية ودورها في مكافحة الإرهاب، وسام محمد سعد محمد، مجلة البحوث الفقهية

والقانونية، كلية الشريعة والقانون دمنهور، فرع جامعة الأزهر، العدد 42، 7- 2023م، ص: 969 - [1052].

قد يظن البعض أن مسألة حفظ الأمن، ومدافعة الإرهاب من القضايا التي تمس المجتمع الدولي - في الغالب -، وإن النظر فيها يكون عن طريق القانون الدولي، أو ما ترتبه الدول من تدابير أمنية لتحقيق ذلك، لكن واقع الحال يقرر أن طلب الأمن والحفاظ عليه من أهم مقاصد الشريعة، وأن الأمن وضرورة حفظه مسألة تمس الإنسان الفرد بالدرجة الأولى، وأن العقل الذي هو مناط التكليف لا يكون محل خطاب الشارع ما لم يكن المناخ الأمني مناسب للتفاعل مع الأوامر والنواهي وفق مقاصد الشرع الحكيم، وقد رفع الله الحرج عن المسلم الذي يُمارس عليه الإكراه بالتهديد والتخويف والترهيب يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: 106].

ويعد الأمن من أجلّ وأخطر وأعظم النعم، وعند العلماء وأهل العقول لا توجد نعمة بعد الإسلام أجلّ من نعمة الأمن، فهو يشمل كل مجالات الحياة وتطورها التقني، بما يعرف بأمن المعلومات، والأمن السيبراني وهما نظامان تقنيان يعنيان بالإبلاغ عن محاولات الاختراق الإلكتروني للمنصات والبيانات، وتبع المتسلل الإلكتروني ومعرفة هويته، فضلاً عن الأمن الاجتماعي، والأمن الدولي، والأمن الوطني، والأمن الغذائي، والأمن المائي والبيئي، وإن كل ما يمكن أن يشكل خطراً على حياة الفرد والمجتمع والدول فهو بحاجة إلى ضرورة مدافعتة، وتوفر الأمن وتحققه بدلاً عنه، وهنا تكمن عناية الشريعة الإسلامية بمسألة الأمن ومدافعة الإرهاب الذي يشكل وجوده خطراً على الحياة بشكل عام، فالإرهاب لا يمكن اختزاله في عمليات تفجير الطائرات والمباني التجارية، واستهداف المدنيين من مسلمين وغير مسلمين، وقتل الحقوقيين والقضاة، ورجال الجيش والشرطة فهذا على الأغلب نتيجة لفكر إرهابي استهدف العقول وسيطر عليها ووجهها إلى ارتكاب تلك الجرائم المروعة، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمقاصدها الكبرى لحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال والحاجيات والتحسينات.

وفي معادلة السلام والجهاد يأتي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يسمي لنا نفسه أسماءً، فقال: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ. [الراوي: أبو موسى الأشعري المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم 2355: خلاصة حكم المحدث: صحيح] التخریج: أخرجه مسلم (2355) .

فالأصل في علاقة المسلمين بغيرهم (السلام)، وأن الحرب شرعت بقصد حماية نشر الدعوة الإسلامية، وصون الدعاة إلى دين الإسلام، وردّ اعتداء الآخرين، وهي ضرورة يلجأ إليها في حدود الحق والعدل. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]. فالإسلام جاء بقصد نشر الأمن وضرورة المحافظة عليه، ونزل القرآن المكي معظمه مؤكداً على أهمية تأمين العقل، وتوجيهه إلى التدبر والتفكير وتشغيل آتته بشكل سليم للغوص في أسرار الكون لأجل معرفة الخالق، والآيات القرآنية التي دلت على هذا كثيرة جداً، فالتكرار دليل على أهمية تأمين العقل من الأفكار الهدامة والمتطرفة، التي قادت العقل في فترات سابقة إلى عبادة الأوثان، وعبادة الشمس والقمر، وهي ذاتها التي ساقت عبدة التقاليد الخاطئة إلى وأدي بناتهم وهن أحياء بدون أدنى ذنب ارتكبهن، ونفسها التي جعلت من أقوام وقبائل وشعوبٍ تتقاتل عشرات السنين لأجل ثاراتٍ وأطماعٍ وأسبابٍ غير منطقية بالمطلق، وحين يتعطل التفكير السليم يصدر رجال الدين فتاوى التكفير في علماء الأمة الذين يحاولون أن يتعمقوا ويدرسوا علوم الفضاء، وما وصل إليه التقدم العلمي والتقني من تطور متساقق تماماً مع أهمية العلاقة بين الإنسان والكون، فقد جعل الله تعالى هذه العلاقة دليلاً قوياً للتعرف على عظمة الخالق، ومن ثم عبادته وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أوامر ونواهي، ومصالح ومقاصد.

وإن تضليل العقل البشري هو بيت الداء فيم تعانیه البشرية من خرابٍ ودمارٍ وقتل للحياة بشكل عام، وإن محاولات وصم المسلمين بالإرهابيين جاءت نظير فكر خاطئ لفئة تدعي أنها على الإسلام والإسلام منها براء، فديننا الحنيف حرم قتل الناس أو محاربتهم تحت أي حجة كانت إلا إن انسلخوا عن مدينتهم وراحوا ليحاربوا أهل الدين، ويقاتلوهم ويظاهروهم على أوطانهم وبلدانهم ودينهم، وهم بهذا أصلاً لم يعودوا مدينين قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

وفي رأيي - المتواضع - يعدّ الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب، وهو نوع من أنواع الأيديولوجية التي تؤمن بعدم احترام الرأي الآخر وتسلبه حقه في حرية التعبير - غير المضر بحالة الأمن والاستقرار في البلد - وحرية العقيدة، وهو يحجر على العقول والحريات ويحرم عليها التعبير عن ذاتها بحجة أن هذا مخالف لثقافة أو لمذهب أو عقيدة أو رأيٍ ما.

ويحمل الإرهاب الفكري مفاهيم مثل التعصب والتطرف والتكفير، وقد عانت بلادنا الإسلامية ليبيا جراء الإرهاب الفكري المتطرف فترة كالحلة السوداء من القتل والاعتقالات والدمار الهائل للمؤسسات التعليمية والحيوية، ونشر ثقافة الرعب والتخويف، ورفع شعارات لا تمت للحياة والتقدم بصلة، وفي

حال انعدام ترسخ حالة الفكر الديني المستنير في عقول الشباب المسلم، ووجود مؤسسات توجيهية وسطية، غير متعصبة، تعطي للحوار والاختلاف في الرأي قدراً طيباً من التفاعل الإيجابي معه، إذا لم يتوفر ذلك عندها سيفتح الباب على مصراعيه للمتعصبين لآرائهم، والمتطرفين في أفكارهم، والرافضين لقبول الرأي الآخر دون نظرٍ في قيمة الطرح، ومضمون المسألة محل النقاش، ذلك هو الإرهاب الفكري الذي يؤدي في الغالب إلى ما نعرفه من أعمال إرهابية.

وإن مسألة تصحيح مسار فكر الوعي الديني لا ينبغي أن تستورد من خارج دائرة الثقافة الإسلامية، كما يقول الجابري: "أن المثقف لا ينسب إلى ثقافة معينة إلا إذا كان يفكر داخلها، والتفكير داخل ثقافة معينة لا يعني التفكير في قضاياها، بل التفكير بواسطتها" [محمد عابد الجابري المحنة والنكبة بداية أزمة المثقف العربي، ربيع العايب، كاتب وباحث، الحوار المتمدن العدد 6859، 4. 4. 2021م، المحور، الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع].

إن مقاصد الشريعة الإسلامية في ضرورة حفظ الأمن وطلبه، ومدافعة الإرهاب تبن قيمة التوازن العقلي والروحي الذي ينبغي أن يعيشه الإنسان المسلم، وتتميز به الشخصية الإسلامية، فالسلام والعدل والرحمة والتسامح، واحترام الآخر، ومناقشة الأفكار وتطويرها، وطلب العلم، والعمل على تسخير كل إمكانيات الكون لخدمة الإنسان، ونبد الحروب والقتال إلا للضرورة التي تقدر بقدرها، وحب العمل، وبذل الجهد والسعي في طلب الرزق، والشجاعة والجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الدين، والعرض والوطن، والنفس كلها قيمٌ يتطلب أن تتوفر في شخصية الإنسان المسلم، إلى آخر ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الإسلامية من توازن عقلي وروحي ومادي، لأجل القيام بعبادة الله وتنوعاتها، فلا يتوفر الأمن بغير القيم الإسلامية السامية، ولا يمكن لنا أن نكون أقوياء ومؤهلين لدفع الإرهاب والاعتداء، إذا لم نكن أهل للسلام والتسامح.

ومن خلال ما تقدم عرضه يمكن أن نخلص إلى أن أحكام الشريعة الإسلامية جاءت متوازنة في مسألة ضرورة طلب الأمن وتحقيقه، وضرورة مدافعة الإرهاب، فلا يُستَبَّ الأمن دون الأخذ بالأسباب في دفع الخوف والاعتداء، ولا يمكن أن نتصور أحد المصطلحين بمعزلٍ عن الآخر، فالأحكام الشرعية المتعلقة بهما بينت تلك المعادلة بما يتناسب وما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الإسلامية على مستوى الأفراد والجماعات من توازن أخلاقي يضمن قيام الشخصية الإسلامية بدورها على أكمل وجه في نشر الأمن والحفاظة عليه، وأن تتحمل مسؤولية تقديم صورة المسلمين هلال للسلام، والاستقرار، والتقدم العلمي والمعرفي، وعنواناً للتسامح، والعدل، واحترام حقوق الإنسان، وركناً شديداً في الدفاع عن الحقوق والمقدسات، والجهاد في سبيل الله بالكلمة الطيبة والحسن قبل الجهاد بالسيف.

## الخلاصة:

- إن الدين الإسلامي دين حياة متكامل، وأحكامه الشرعية في العبادات والمعاملات، وتنظيم العلاقات كلها مترابطة، ومكاملة لبعضها، ومتوازنة.
- الظن بأن الأحكام الشرعية متعلقة بمسائل فقهية محددة، هو ظن لا يغني من الحق شيئاً في أن الأحكام الشرعية متعلقة بجميع مناحي الحياة للإنسان المسلم.
- إن الحاجة إلى تصحيح النظرة الخاطئة حول الشخصية الإسلامية صارت ضرورة ملحة، عن طريق تقديم أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بقضايا العلاقة مع الآخرين من غير المسلمين كما أرادها الله تعالى، لا كما تراها وتفسرها الأيدولوجيات المتطرفة.
- إن حق الدفاع المشروع عن الأرض والعرض والمقدسات، لا يمكن قبول وصفه بأنه عمل إرهابي، وإن قتل وتفجير، وتدمير ممتلكات كل من هو غير مسلم مجرد الاختلاف في العقيدة أمرٌ لم يقره الشرع الحكيم، ولا يستقيم مع ما يجب أن تكون عليه الشخصية الإسلامية من خلق حسن.
- إن التطرف الفكري في العقيدة هو بيت الداء فيم لحق المسلمين من اتهامات باطلة بأنهم أهل للقتل والتشريد، والتفجير، والغلظة والاعتداء.
- إن الأحكام الشرعية في طلب الأمن وضرورة مدافعة الإرهاب، لها مقاصدها في حفظ النفس والعقل والدين والمال كما مرَّ معنا.

## التوصيات.

إن التصديّ لحملات التشويه ضد المسلمين، واستهداف الشخصية الإسلامية ووصمها بالتخلف، والشدة والغلظة، وعدم احترام حقوق الإنسان، لهُو عمل مهم جداً، وينبغي أن يتسابق عليه الباحث والمفكرين الإسلاميين بالحجة والبرهان، والتعمق في أسباب ما لحق الشخصية الإسلامية من ضرر، والتفكير بموضوعية في إيجاد آليات تقدم النموذج الذي أراده الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [ النحل: 125 ] .

وإني أدعو كل المدارس الفقهية والعقدية أن تتحمل مسؤوليتها في ضرورة إيجاد أرضية للتقارب فيما بينها، ونبذ خطاب التكفير الذي يوجهونه لبعضهم، وأن يرتقوا جميعاً بمستوى التفكير العقلي السليم بما يضمن تأمين الشخصية الإسلامية من الاتهامات التي تلحقها بسبب ما نحن فيه من فرقة واختلاف، وتعصب للأراء، فالختلف فيه لا ينكر عليه. [كتاب الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية،

للأمام جلال الدين للسيوطي، القاعدة الخامسة والثلاثون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط2، 1997، ج1، ص: 255].

### قائمة المصادر والمراجع.

- 1- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني.
- 2- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للإمام جلال الدين السيوطي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض المكرمة.
- 3 - إرشاد الفه لابن كثير، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 4 - الإرهاب ومدافعتة في الإسلام، د. عبد الرحيم محمد علي، منشورات مجلة جامعة الزيتونة، العدد 17، 2016م ليبيا.
- 5 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سخنون للنشر والتوزيع، تونس.
- 6 - التعريفات للجراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 7 - الدنيا والدين للهاوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 8 - أساس البلاغة للزمخشري، دار الفكر.
- 9 - السنن الكبرى للنسائي، تحقيق، حسن عبد المنعم شلي، ط1، 1421هـ - 2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 10 - المحنة والنكبة، بداية أزمة المثقف العربي، محمد عابد الجابري، ربيع العايب، كاتب وباحث، الحوار المتمدن، العدد (6859). 04.04.2021م
- 11 - القاموس السياسي لأحمد عطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط4، 1980م.
- 12- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 13- المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان.
- 14- المغني، لابن قدامة، "تح" عبد الله عبد المحسن التركي، عبد القادر الحلو، ط3، 1417 هـ - 1997م، دار عالم الكتب، الرياض.
- 15- دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة.
- 16 - سنن أبي داود، عناية بيت الأفكار الدولية، الرياض.
- 17 - سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- 18 - سنن الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

- 19 - صحيح البخاري، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- 20 - صحيح بن حبان، "تح" شعيب الأرنؤوط، ط2، 1414هـ - 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 21 - صحيح مسلم، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- 22 - علم أصول الفقه، عبد الوهاب حلاف، مكتبة الدعوة.
- 23 - قاموس المصطلحات السياسية، سامي ديبان، رياض الريس للكتب والنشر، لندن.
- 24 - قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م.
- 25 - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- 26 - مصطلح الإرهاب، لقطب مصطفى. سانو، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات.
- 27 - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار النفائس، الأردن.
- 28 - مقاصد الشريعة الضرورية ودورها في مكافحة الإرهاب، وسام محمد سعد، مجلة البحوث الفقهية والقانونية، كلية الشريعة والقانون، دمنهور، فرع جامعة الأزهر، العدد 42، 2023 م.
- 29 - مقاييس اللغة، لابن فارس، "تح" أنس الشامي، 1429 هـ - 2008م، دار الحديث، القاهرة.

سؤال البلاغة-مقال نقدي غير بريء  
قراءة في كتاب "أساليب الحجج والإقناع"  
من البلاغة اليونانية القديمة إلى البلاغة العربية المعاصرة"  
للدكتور رضوان بليب

Rhetoric Question - An innocent critical article

Read the book "Methods of Pilgrims and Persuasion"

From ancient Greek rhetoric to contemporary Arabic rhetoric

By Dr. Radwan Balibit

د. نور الدين الناصري، دكتوراه في النقد الأدبي، المغرب

البريد الإلكتروني: acha3ir11@gmail.com

الملخص (بالعربية)

يسعى هذا العرض إلى الكشف عن قيمة البلاغة عموماً في المباحث المعاصرة، وعن وجوه الاختلاف والائتلاف القائمة بين البلاغتين الغربية والعربية قديماً وحديثاً. وقد اتخذنا من كتاب الدكتور رضوان بليب المسمى (أساليب الحجج والإقناع من البلاغة اليونانية القديمة إلى البلاغة العربية المعاصرة)، منارة نهتدي بها لسبر أغوار موضوعة "البلاغة" ما لها وما عليها. وذلك، في أفق التماس ما تستبطنه من فوائد معرفية جمّة.

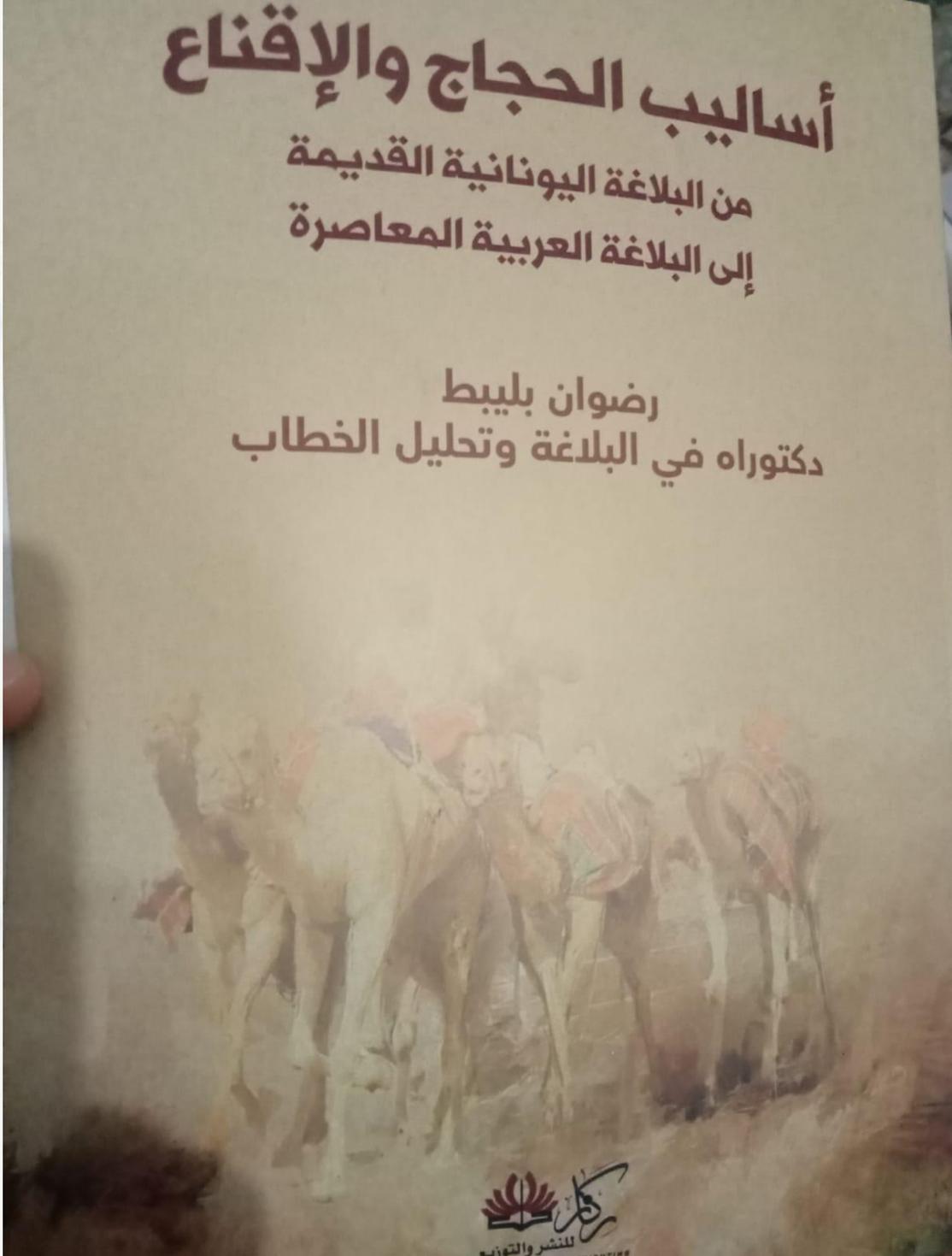
الكلمات المفتاحية

-بلاغة-حجاج-إقناع-مقارنة-

#### ABSTRACT

This presentation seeks to reveal the value of rhetoric in general in contemporary investigations, and the differences and coalitions that exist between Western and Arab rhetoric, ancient and modern. We have taken Dr. Radwan Balibit's book called (Methods of Pilgrims and Persuasion from Ancient Greek Rhetoric to Contemporary Arabic Rhetoric) as a beacon by which we can be guided to explore the depths of the topic of "rhetoric", its pros and cons. This is in the context of seeking the great cognitive benefits it contains.

صورة لغلاف الكتاب الموضوع للتحليل للدكتور: رضوان بلييط



أما قبل ,  
إشكالات لا بد منها:

ككل موضوع معرفي مطروح للنقد ومغر بالفائدة ومعد سابقا للجدال ، لا بد بغية الانفتاح عليه وقطف اليانغ منه من تحييصه بجملة تساؤلات تعقبها ملاحظات قيينة بوضعه الموضوع الصحيح الذي يليق به في درب المعرفة. وأولى تكمُّ الإشكالات الملازمة للبلاغة بتلوناتا وتبلوراتها هي:

لم هذا الانجذاب المعرفي نحو العب من معين "البلاغة" اليونانية من لدن البلاغة العربية القديمة والحديثة، مع العلم أن ثمة بلاغات أخر أقرب في بنيتها إلى بلاغتنا العربية ألا وهي البلاغة الهندية؟ إنه تساؤل مستفز يجد متركه في بعض الدراسات الحديثة كقول الناقد المغربي: "لماذا اعتنى الباحثون بالعلاقة بين البلاغة العربية والبلاغة اليونانية، ولم يستدعوا البلاغة الهندية إلى حقل المقارنات، خصوصا أن أوجه الشبه بين البلاغة الهندية والبلاغة العربية كثيرة و متنوعة؟" (كيليطو، 2006، ص64).

بطبيعة الحال، لم يكن للناقد رضوان بلييط أن يغفل -بدوره- عن هذه الحقيقة ولا عن هذا العرف الموروث وهو يخوض غمار منجزه/مشروعه غداة مقارنته بين البلاغتين اليونانية القديمة والعربية المعاصرة.

وهي التفاتة لها وزنها الاعتباري في حقل الدراسات البلاغية الحديثة والمعاصرة ، خصوصا، أن البلاغة العربية تعرضت مثل نظيرتها اليونانية للاضمحلال والأفول لفترات طويلة قبل أن تستجمع قواها في نهضتها الأخيرة.

وما بين بلاغة جديدة وأخرى حجاجية، وبلاغة موسعة، وأسلوبية منبثقة تطفو أسئلة وتوالد أخرى:

\* هل إحياء البلاغة (العمرى، 1991، ص12/11 بتصرف) وبعثها من شأنه أن يضخ دماء جديدة في النقد الأدبي الحديث والمعاصر وفي المشهد الثقافي عموما؟ أم أن الأمر لا يعدو ترفا فكريا لاح في الأفق؟

\* ثم هل يمكننا الحديث -حاليا- في بلاغتنا العربية عن البلاغات المتشكلة في الغرب، نقصد "بلاغة الأسلوب وبلاغة الحجاج"؟ (العوادي، 2014، ص242).

إن البحث في "ابستيم" البلاغة ملقى في الطريق ومنفتحة أبوابه في أية لحظة ومع أية دراسة وموازنة. فما مرد ذلك؟ وبأي معنى يمكن للمتلقي/المخاطب أن يمتص رحيق هذا "الابستيم" وما يتصل به من علوم وآداب ومصطلحات (تحتاج هي نفسها إلى مقارنة متفردة)، وما يحتزله ويحتزنه من أسرار؟ وهل لنا -بهذا الطرح المبدئي- أن نبسط حوارا نقديا حراً- عن بعد- مع صاحب الكتاب حتى لا نضعه موضع المحاكمة المجانية ودون أن نرتن بإجابات جاهزة؟

لعل اختلاف مقصدية/هدف كل من البلاغة اليونانية والبلاغة العربية -في نشأتها- أفضى و يفضي حذو النعل بالنعل إلى اختلاف في طريقة اشتغال بنية الخطاب في كل منهما، بل واختلاف حتى في رؤيتهما لطبيعة الخطاب وللغة المُعدة للتحليل وللعلوم الدائرة تحت كنفهما. ف"من له أدنى اهتمام

بالبلاغة اليونانية-المذكورة-يعرف أن المقصد منها لم يكن هو المقصد الذي وجه عمل البلاغيين العرب، وإذا اختلف المقصد فان الظاهرة المشتركة (مثلا المجاز) تأخذ معنى وبعدها فريدين في كلتا البلاغتين" (كيليطو، 2006، ص62).

ويتجلى مقصد البلاغة اليونانية في البحث عن وسيلة للتحكم في الخطاب من لدن الخطيب، فأني له أن يكون بمستطاعه التأثير في الجمهور وبالتالي استمالاته وإقناعه (سواء أكان صادقاً في دعواه أم كاذباً) حتى لو كانت القضية المعروضة غير عادلة؟

إذن ثمة وسائل لغوية وأخرى حركية على الخطيب والبلاغي سلوكها كإرشادات خاضعة لترتيب منطقي تنصحه بالأساليب الكلامية الواجب توظيفها في مفتح خطبته ووسط عرضه ونهاية تحليله، بل حتى الإيماءات الممكن إبرازها أو إخفاؤها -بحسب الحاجة- أثناء تقديم العرض. وإن كان التركيز أكثر قد شمل الوسائل اللغوية.

في مقابل محاولة إبراز قوانين إنتاج الخطاب من لدن اليونانيين، سعى أئمة البلاغة عندنا- بدءاً بالجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني والسكاكي والقرطاجني دون أن ننسى علماء الكلام من رواد المعتزلة- إلى الكشف عن قوانين تفسير الخطاب أي الخطاب القرآني مدعماً بما يناسب هذا الكشف بشواهد من الشعر القديم، قبل أن يتحول هذا النوع بدوره إلى بلاغة مستقلة.

أما بعد،

لتمحيص بعض الإشكاليات -أكثر فأكثر- ستمر قراءتنا عبر النقط التالية:

- 1- أهداف الكتاب ومراميه.
- 2- منهجية الكتاب وتصوره المعرفي وطريقة اشتغاله.
- 3- القيمة المضافة المتمخضة عن ترجمة البلاغة اليونانية إلى الثقافة العربية.

\*\*\*

#### 1- أهداف الكتاب ومراميه:

يعلن الناقد في مفتح كتابه-ودون تردد أو موارد- عن الأهداف المتوخاة من منجزه حاصراً إياها في أربعة أهداف بالتمام والكمال :

أ- "البحث في تاريخ البلاغة من أجل الكشف عن الأساليب والتقنيات والاستراتيجيات والوجوه البلاغية." (بليط، 2023، ص5 بتصرف).

ب- ثم "فهم خصائص البلاغة، ومصادرها وخصوصيات توظيفها."

ج- إضافة إلى "هتك القناع عن أساليب التأثير و الإقناع منذ البلاغيين اليونان الذين سيؤثرون في البلاغيين العرب الأوائل بفضل الترجمة والمثاقفة".  
د- ناهيك عن هدف رابع -غير مباشر- وهو مدى تفرد البلاغة العربية بخصائص وأساليب تميزها عن بلاغة اليونان رغم المحاكاة الظاهرة بينهما.  
إضاءة 1:

أ- ننبه ابتداء من الهدف الأول من الكتاب المحتفى به ،أن صاحبه لا يقع في شرك القراءة التصنيفية- التحقيقية برغم ورود عبارة (تاريخ البلاغة). فسلوكه طريق البحث والاستقصاء معززين بالمقارنة بين ما كانت عليه البلاغة وما أصبحت تعنيه ،يخرجها-أي قراءة الناقد- من القراءة المعيارية إلى القراءة الوصفية العلمية عبر خطوات التحليل البلاغي.

ب- ثمة هدف آخر خفي غير معلن عنه نستشفه من الخلاصة التي يتسيجها الفصل الثالث المعنون بـ (أساليب الحجاج والإقناع في البلاغة العربية الحديثة)، وبالتحديد في عبارة للناقد جد مؤثرة وهي: "لكننا سنلاحظ أن معظم البلاغيين الغربيين لا يهتمون بمظاهر تلاحق البلاغة الغربية مع الجهودات البلاغية المهمة التي أنتجتها البلاغة العربية القديمة في عصرها الذهبي الذي ارتبط بسيطرة العرب على المسار الثقافي العالمي، لاسيما أن الثقافة العربية القديمة اعتبرت بمثابة حلقة وصل بين الفكر اليوناني والفكر الغربي الحديث" (نفسه، 155/156).

فالدارس بكلامه هذا يلحح إلى إمكانية أن نعثر على أثر عكسي في ما يستقبل من البحوث حول تأثير البلاغة العربية في البلاغة الغربية- وبخاصة- بعد ترجمة كثير من المنجزات العربية والثقافة الإسلامية في القرون الوسطى من طرف قساوسة ومفكرين غربيين. دون أن ننسى ما تعرضت له مصنفاتنا القديمة في الفترة نفسها من سرقة وانتحال.

2- منهجية الكتاب وتصوره المعرفي وطريقة اشتغاله:

تُرى ما المنهجية النقدية التي سيختارها الناقد لتيسير بحثه والدفاع عن أطروحاته وأهدافه السالفة الذكر؟  
-تقتضي الإجابة عن مثل هذا السؤال :

أ- فرز المصطلحات ب- فرز الخلفية النقدية ج- فرز النتائج

أ- فرز المصطلح/ات:

أبرز مصطلح ألفيناه مبثوثا في المقدمة هو مصطلح "الاستمرارية" بوصفه مبدأ/خيطة ناظما يؤث لموضوعة "البلاغة" وسط السياق التاريخي والفني، ويلم -من ثم- شتات موضوع المقارنة بين البلاغتين اليونانية والعربية؛ وما تستتبعه من جزئيات هي مدار فصوله الأربعة.

وقد عرّفه صاحبه على هامش مقدمة الكتاب بقوله: " أن الفكر الإنساني لم يتوقف عن التطور منذ بدء خلق الإنسان. وبهذا المعنى استمر الفكر البشري في النضج، وتعلم الإنسان طرق الإقناع في سياقات مختلفة؛ حتى ظهرت بلاغة الحجج واستوت على ما هي عليه اليوم.."(نفسه، ص، 5 بتصرف) ويضيف: "و نحن اليوم ندرس ما بلغنا عن البلاغة، ونقلته لنا المصادر القديمة على أساس انه أول ما كتب في موضوع البلاغة، بحثا عن مظاهر التفاعل فيه"(نفسه، ص، 5 بتصرف) فموضوع البلاغة عند الدارس "سيرورة من المعارف التي استمرت في الارتقاء من خلال التلاحق الثقافي.."(نفسه، ص5)، وقد "عرفت توسعا ونماء وخصوبة في سيرورتها هذه، ومن خلال ورودها من أمة إلى أخرى ومن لغة إلى لغة على اختلاف مصادر هذه اللغة ما بين الهنود واليونان والفرس والعرب."

فن خلال هذا التعريف يمكن تسجيل جملة من الملاحظات والتأملات على النحو الآتي:  
\* أن التعريف/التحديد المقدم حول "الاستمرارية" مرهون بالسياق التاريخي للفكر البشري وبالتلاحق الثقافي، مما يحفز على البحث الدؤوب لاصطياد تجليات ذلك التفاعل المستمر لموضوع/ة البلاغة ما لها وما عليها.

\* أن ماهية مصطلح "الاستمرارية" حتى لها أن تُصدر متن مقدمة الكتاب لا أن تُذيل على الهامش.  
ب- الخلفية النقدية:

لا تفصل هذه الخلفية عن الجهاز المفاهيمي السابق والمختزل، ولا عن الأسلوب أو الطريقة المعتمدة في التحليل ولا حتى عن المنهج/المقارنة المختارة(ة) للدراسة.  
إن دراسة الناقد/البلاغي تتأرجح بمرونة عبر خطابين:

\* خطاب موصوف يدل على موضوع الخطاب وهو هنا علم "البلاغة".  
\* خطاب واصف يهتم بوصف الخطابات وتحليلها وإظهار كيفية تأثيرها بناء على آليات نظرية مختلفة باختلاف النظريات النقدية القديمة منها والحديثة. "(بقشي، 2015، ص25).

بأي معنى إذاً "ستتحول البلاغة الغربية من بلاغة إنتاج النصوص وقوانين الخطاب كما كانت عند أرسطو إلى بلاغة تهتم بتحليل الخطابات المختلفة ووصف آليات اشتغالها؟"(نفسه، ص26 بتصرف).

إنه نمو وتوسع في طريقة اشتغال الخطابات يؤدي لا محالة إلى تنوع أساليب وتقنيات الحجج والإقناع في الخطابات الموصوفة، وبالتالي إلى تحديث المنهج البلاغي المتجه وتمطيط دائرة الرؤية عند البلاغيين المحدثين والباحث في مستويات التأثير والإقناع وطرق تحققهما في الخطاب، كما أنها بلاغة تتجدد باستمرار. وهذا التجدد يلخص طموحات البلاغيين الغربيين الجدد، وتطلعاتهم إلى توسيع مجالات

اشتغال البلاغة، وفي انفتاحها على نظريات تحليل الخطاب المعاصرة، وربطها بالمنجزات التراثية التي أنتجتها البلاغة اليونانية القديمة.. (بليط، مذكور، 2023، ص155).

والدرس البلاغي العربي - بدوره - لم يشُد عن هذا التوسع، وإن بطريقة عكسية. أي أن البلاغة العربية - بما هي بلاغة تهتم بقوانين تفسير الخطاب - كانت منذ البدء بلاغة وصفية تطبيقية "ترجم انشغالات المثقف العربي وتبحث في قضايا الخطاب العربي وانشغالات الأمة العربية" (نفسه، ص73). مما حول لها المزج بين وظيفتي الإنتاج والتفسير مع ميلها الواضح إلى الجانب التطبيقي المرتكز حول الكشف عن أوجه البيان والبديع في الخطابين القرآني والشعري.

إضاءة (2):

أ- لقد حافظت البلاغة العربية على خصوصياتها وأصالتها ولم تتأثر تأثراً سلبياً بكتابات أرسطو المترجمة بحذق إلى الثقافة العربية، بل أخذت منها ما يهيم البعد التقني في التحليل، نقصد به ما يقترن بتوظيف بعض العناصر والمصطلحات المنهجية مع إعادة التنصيص على أهمية الجانب الإقناعي في الخطاب الأدبي والبلاغي. مما مكّنها من "توسيع مجال اشتغالها بأن جعلتها مفتاحاً لعلوم الأدب." (نفسه، ص74).

و " كشف علاقة الأساليب البيانية بالأساليب المنطقية " (نفسه، ص74). كما حدث مع السكاكي في كتابه الذائع الصيت (مفتاح العلوم)، وقبله مع عبدالقاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز)، وبعدهما مع حازم القرطاجني في (منهاج البلغاء).

ب- " لا وجود لتحليل بلاغي ما لم نسلم بأن كل خطاب وكل نص هو جزء من فعل تواصلٍ.. يتضمن مراسلاً وامتقياً ورسالة." (بقشي، مذكور، ص30) وهي أدنى شروط التواصل المُحدث لذلك التفاعل المستهدف بين المتلقي والخطاب المنشود.

و مادامت البلاغة هنا تتربع على عرش الموضوعات كآلية من آليات التحليل المقدم من لدن صاحبنا وبوصفها علماً " يتيح للدارسين قراءة الخطاب وتحليله وفهمه وتأويله والحكم عليه" (بليط، مذكور، ص198) ، وكذا باعتبارها " علماً كلياً للخطابات اللغوية" (نفسه، ص198) ، فإننا سنتوقع من الناقد أن يختبر أسسه النظرية على صعيد الممارسة النقدية البلاغية تجاوزاً منه لمرحلة التحصيل الدقيق للدراسات البلاغية القديمة والحديثة، وإضافة نوعية منه تهم متناً<sup>1</sup> معيناً من نصوص الماضي .

3- القيمة المضافة المتمخضة عن ترجمة البلاغة اليونانية إلى الثقافة العربية؟

<sup>1</sup> نقصد هنا كتاب بليط حول حجاجية الأساليب في الأنساق السياسية الشعرية 2023 عند كل من الكميت وجريد

ويقتضي منا هذا السؤال اقتترانه بما يعادله ويوازيه من القضايا، بل ويكمله وهو: "ما القيمة المضافة التي ستمنح عن استنطاق آثار/أعمال شعراء النقائض الضاربة في القدم؟ وما هي الرؤية التي حكمت منجزهم الإبداعي وجعلت المجالين من النقاد خاصة المتأخرين منهم يحتكمون إليها في بلاغاتهم؟" (الناصر، 2024، ص309).

"لا غرو، أن انفتاح الكُتاب على نصوص الماضي من شأنه أن يُشعر القارئ إما بخيبة أمل وإما بتعديل في أفقه وإما بتزكيته." (نفسه، ص312، بتصرف) وما دمننا لم نتصفح متن الكتاب الثاني، فسيتبقى كل كلام سابقاً لأوانه وقابلاً للدحض في أية لحظة. وهو ما من شأنه أن يبعد هذه القراءة عن اللذة المتبغاة والموضوعية المرتقبة، ويقربها أكثر من الأحكام النقدية المتسرعة.

#### ج- فرز النتائج:

خرج صاحبنا بعيداً انتهائه من كل فصل من فصوله الأربعة بجملة من الاستنتاجات نراها جديرة بالذكر:  
الاستنتاج الأول:

تحقيق رواد الفكر البلاغي في الحضارة اليونانية للفرد حريته الفكرية واستقلاله الذاتي "عبر دراسة اللغة وعلومها المتعددة وتأسيس علم الخطابة القائم على تلقين مبادئ اللغة والأسلوب وكيفية استخراج البراهين واستعمال الصور البيانية." (بليبط، مذكور، ص26) بالإضافة إلى إيلاء أرسطو أهمية كبيرة لبلاغة السوفسطائيين باهتمامه بدور العواطف في العملية الإقناعية مع التركيز أكثر على الحجج العقلية المنتمة لمجال اللوغوس.

#### الاستنتاج الثاني:

له علاقة بالبلاغة العربية القديمة، حيث ركز الناقد اهتمامه فيها بكلمات خمسة رواد هم: الجاحظ الذي لم يكن يُنظر للخطابة على غرار أرسطو، بل تحدث عن الخطب الشائعة بين العرب، وسبل تحقيق الإقناع المؤسس على الفهم والإفهام وما يتاح للخطيب وما يكون عليه من أحوال حسية وحركية. ثم ذكر ابن المعتز "الذي أكد على قيمة الأساليب والوجوه البلاغية المسماة بالمحسنات البديعية." (نفسه، ص74).

وبعدها تطرق إلى أعمال الشهير عبد القاهر الجرجاني الذي وسع من القضايا البلاغية وقاربها مقارنة شمولية تناول فيها علاقة نظام الخطاب بنظام العقل مع إبراز الطابع الاستدلالي لأساليب التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل. نفس الطرح سار مع السكاكي الذي درس العلاقة بين نظام الخطاب ونظام العقل، بل جعل البلاغة مفتاحاً لعلوم الأدب.

أما عن القرطاجني فإنه من جهة كشف في "منهاج البلغاء" عن النظام التخيلي المميز للشعر، ثم درس علاقة هذا الخطاب بالمتلقي من جهة أخرى.

ونسجل هنا تغاضي الدكتور رضوان بلييط عن جهود قدامة بن جعفر. هذا التجاوز برره بقوله "وقد ركزنا على التصورات التي تنسجم مع غاية بحثنا في أساليب الحجاج والإقناع". (نفسه، ص75) وقوله: "ولا شك أن هناك العديد من الدراسات.. التي عنيت في البحث في الاستراتيجيات والتقنيات والأساليب والوجوه البلاغية التي تسهم في تحقيق التأثير والإقناع في الخطابات الشعرية والنثرية." (نفسه، ص199). وهما مبران بحاجة إلى تبرير أكثر و حجة أبلغ، خاصة أن كتاب نقد الشعر "محاولة منهجية لتطبيق معطيات الفكر المنطقي على الشعر العربي." (الناقوري، 1982، ص9)

الاستنتاج الثالث: ويختص بالفصل الثالث المقترن ب "البلاغة الغربية الجديدة" التي انطلقت بشرارتها مع كشوفات برلمان وتيتيكا المتمحورة حول اللوغوس ومنطق القيم، برغم أنهما- كما يشير الناقد- قد أهملتا دور السيرورة اللغوية في الإقناع و"لا يلتفتان إلى البعد العاطفي الناتج عن التفاعل بين سجلات الإقناع الثلاثة (الايثوس، الباتوس، اللوغوس)". (بلييط، 2023، ص153 بتصرف).

بعدها يشير إلى كشوفات نظرية الحجاج اللغوي مع ديكر و انسكومبر واسترفادها بعلم التداولية بغية تجاوز عجز اللسانيات والتحليل المنطقي عن بناء نظرية لتأويل الملفوظات. فاعتبرت هذه النظرية الحجاج نشاطا تلفظيا يندرج ضمن بنية اللغة.

وساقت دراسة الحجاج الناقد إلى أن يعتبر مهمته هي تجاوز تحليل الأساليب اللغوية إلى تحليل الخطاب الإشهاري والسردي الروائي والرسائل المكتوبة والمحادثات اليومية والممارسات الاجتماعية.

كما لم يغب عن الدارس جهود روث اموسي التي جمعت بين العقلي والعاطفي في مقاربتها لمنتوج الحجاج كتوظيف خطابي يوجه طرائق التفكير والنظر ويقارب النصوص في تفاعل مكوناتها اللغوية والسياقية، حيث الحجاج مع الناقدة فرع من فروع تحليل الخطاب، وبذلك، فإن أعمالها تتأطر ضمن نظرية الحجاج الموسعة.

ولا ننسى قيمة العواطف في ما سمي ببلاغة الحجاج العاطفي كفن يتسم بقدرته على ملامسة القلوب، بل إن العواطف هي قاعدة لتأسيس الخطاب الحجاجي وتوجيهه إلى غايته وهي التأثير والإقناع.

الاستنتاج الرابع:

ويتعلق بالفصل الرابع الخاص بأساليب الحجاج والإقناع في البلاغة العربية المعاصرة، حيث انتقى منها أربعة أعلام جدد وهم: محمد مشبال، كمال الزماني وسامية الدريدي و محمد عبدالباسط عيد. فبينما اهتم الأول بالانتقال من البلاغة الأدبية إلى البلاغة الحجاجية، بوصف هذه الأخيرة تعنى بالمقومات الخطابية

وتحليل الخطاب. قام الثاني برصد وظائف الصور البلاغية وكشف الوظيفة الحجاجية للبديع في الخطابة. أما البلاغية سامية الدريدي فقد بحثت - من جهتها- عن وظائف الأساليب البديعية مطعمة إياها بالحجاج اللغوي. بينما ركزت جهود محمد عبدالباسط عيد على دور الإيقاع في المقاربة الحجاجية، مع إسقاط المفاهيم السردية على النص الشعري.

المحصلة:

نختم ورقتنا هذه ببعض التساؤلات المشروعة التي تفتح على كتابات الناقد/النقد المستقبلية لنفس الموضوع :

أين "تجلى فعالية البلاغة حقاً؟ هل في حذق البلاغيين القدامى والمتأخرين أم في خصوصية نصوص الماضي من منتجي الخطابات الشعرية؟" (نفسه، ص313 بتصرف).

أم تخضع البلاغة " لتأويلات المستهلك بحسب حاجياته منها أو بحسب وعيه بتلك الحاجيات" (بلكبير، 2011).

ثم ما طبيعة العلاقة بين نسق الشعر ونسق البلاغة كما تم تسطيرها وتدوينها في كتب الأوائل؟  
وما دامت البلاغة تسعى لتجديد شكلها وتوسيع مقصديتها، وتسترفد مناهج علوم أخرى ، أفلا يمكننا عدها منهجية متعددة المناهج تهدف لِم شمل البلاغة القديمة، والاهتمام الحثيث بما أهملته عبر مراحل تطورها من أرسطو إلى الآن؟

### المراجع

- إدريس الناقوري. المصطلح النقدي في نقد الشعر. جدار النشر المغربية. 1982
- الطاهر لبيب. سوسولوجيا الثقافة. ط2-1986
- سعيد العوادي. حركية البديع في الخطاب الشعري من التجنيس إلى التكوين. كنوز المعرفة العلمية. ط1-2014
- رضوان بليط. أساليب الحجاج والإقناع من البلاغة اليونانية القديمة إلى البلاغة العربية المعاصرة. ركاز للنشر والتوزيع. 2023
- - حجاجية الأساليب في الأنساق السياسية الشعرية. الايدولوجيا والسلطة في شعر الكهيت وجريز مثالا- مقارنة بلاغية حجاجية. دار ركاز للنشر. 2023
- عبدالصمد بلكبير. جريدة المساء المغربية. ع-2601-2011
- عبدالفتاح كيليطو. الأدب والغربة- دراسات بنيوية في الأدب العربي. دار توبقال للنشر. ط2-2006
- محمد العمري. المقام الخطابي والمقام الشعري. مجلة (سال) ع5-1991

محمد بقشي. البلاغة التطبيقية. ضمن مجلة البلاغة والنقد الأدبي. ع2-2015  
نورالدين الناصري. حركية البديع بين مكر البلاغة وبلاغة المكر. ضمن مجلة دراسات ثقافية. ع33-2024  
ه. ر. ي. ا. وس. جمالية التلقي. تر. وتقديم رشيد بنحدو. مطبعة النجاح الجديدة. 2003

## اسهامات اللغويين الغربيين في تطوير اللغويات المعرفية

### CONTRIBUTIONS OF WESTERN LINGUISTS O THE DEVELOPMENT OF COGNITIVE LINGUISTICS

أحمد غربا

Federal University of Kashere, Gombe State Nigeria

Department of Arts and Social Science Education

[Ahmadgarba315@gmail.com](mailto:Ahmadgarba315@gmail.com)

#### مستخلص البحث

اللغويات المعرفية هي فرع متعدد التخصصات من اللغويات، يجمع بين المعرفة والبحث من العلوم المعرفية وعلم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي واللغويات. تعد النماذج النظرية لللغويات المعرفية حقيقية من الناحية النفسية، ويهدف البحث في اللغويات المعرفية إلى المساعدة في فهم الإدراك بشكل عام ويُنظر إليه على أنه طريق إلى العقل البشري. تكمن جذور اللغويات المعرفية في المراجعة النقدية التي أجراها نعوم تشومسكي عام 1959م لكاتب ب. ف. سكينر "السلوك اللفظي"، اعتبر تشومسكي اللغويات مجالاً فرعياً من العلوم المعرفية في السبعينيات ولكنه أطلق على نموده اسم القواعد التحويلية أو التوليدية. ولكن نشوء علم اللغة المعرفي ارتبط بعمل عدد من اللغويين الذين اهتموا بالبحث في العلاقة بين اللغة والعقل والذين انحرفوا عن الاتجاه السائد خلال سبعينيات القرن الماضي في تفسير الأنماط اللغوية لأن ذلك الاتجاه اكتفى بدراسة الخصائص البنيوية للغة، لذلك ركز اللغويون المعرفيون على العلاقة بين بنية اللغة والأشياء خارجها، وكان تركيزهم على تلك العلاقة وراء دحض الادعاء بأن مكون النحو منفصل عن المكونات الأخرى للغة ويحكمه مبادئ خاصة به. ومن أكثر الأعمال تأثيراً في هذا الاتجاه المعرفي دراسات جيل فوكونيه وراي جاكندوف وتشارلز فيلهور وجورج لاكوف ورونالد لانجركر. فقد عمل كل منهم على تطوير منهج الخاص في وصف اللغة من خلال التركيز على جهاز محدد. إن علم اللغة المعرفي ليس نظرية مغلقة بل هي نظرية مفتوحة تكتسب قوتها وتماسكها من انفتاحها على كثير من العلوم، ومنها: علم النفس، وعلم الإنسان، وعلم الحاسوب، والعلوم التربوية، وغيرها. وعلى هذا الأساس تهدف هذه الورقة الكشف عن ماهية علم اللغة المعرفي، نشأته وتطوره، ومدى إسهامات اللغويين في تطور هذا المجال. استخدم الباحث المنهج الوصفي، وذلك بمتابعة المواد العلمية والأدبيات تتعلق باللسانيات المعرفية.

الكلمات المفتاحية: لغة، بنية، مقارنة، مجال، تطور.

## ABSTRACT

Cognitive Linguistics is a branch of linguistics that combines knowledge and research from cognitive science, psychology, neuropsychology, and linguistics, the theoretical and models of cognitive linguistics are purely psychological, in cognitive linguistic research aims to contribute to the general understanding of cognition and is seen as a path to the human mind. foundation of cognitive linguistics lies in Noam Chomsky's 1959 critical examination of B. F. Skinner's Speech Behavior. Chomsky considered linguistics as a branch of cognitive science in the 1970s but called his model transformational or generative grammar. However, the emergence of cognitive linguistics was linked to the work of a number of linguists who were interested in researching the relationship between language and mind and who deviated from the prevailing trend during the seventies of the last century in explaining linguistic patterns because that trend was satisfied with studying the structural characteristics of language. Therefore, cognitive linguists focused on the relationship between the structure of language and things outside of it, and their focus on that relationship was behind refuting the claim that the syntax component is separate from the other components of language and is governed by its own principles. Among the most influential works in this cognitive trend are the studies of Gilles Fauconnier, Ray Jakendoff, Charles Fillmore, George Lakoff, and Ronald Langacker. Each of them worked on developing his own approach to describing language by focusing on a specific device. Cognitive linguistics is not a closed theory. Rather, it is an open theory that gains its strength and coherence from its openness to many sciences, including: psychology, anthropology, computer science, educational sciences, and others. On that basis this paper tends to highlight on the concept of cognitive linguistic, its emergence and development, as well as the contributions of western linguists on the subject matter, the researcher used descriptive research design.

**Keywords:** language, structure, approach, field, development.

## مقدمة:

علم اللغة المعرفي هو ذلك الاتجاه اللغوي الذي نشأ في ثمانينات القرن الماضي، ويعرف بأنه الدراسة العلمية للغة من خلال الوحدات المسؤولة عن تنظيم العمليات المعرفية والبحث في الظواهر اللغوية ضمن سياقاتها، ويهتم بالمعرفة اللغوية من أجل فهم طبيعتها وخصائصها، أو بعبارة أخرى: ماذا يعرف متحدث اللغة أثناء استخدامها، يشكل موضوع العمليات العقلية وفهم اللغة الموضوع الرئيسي لعلم اللغة المعرفي، ويناقش ما يتعلق بالهندسة البنيوية والوظيفية للمعرفة اللغوية التي تشكل القوة اللغوية، مثل العلاقة بين اللغة والخصائص الرمزية للعقل كالذاكرة والتفسير... وتفسير طرق اكتساب اللغة وتعلّمها عند الأطفال، ودراسة الأخطاء في التحصيل اللغوي واضطرابات اللغة. وبناءً على أن البنى اللغوية تقوم على نفس المبادئ التي يقوم عليها النظام المعرفي العام عند البشر، فقد أصبح يُنظر إلى اللغة باعتبارها نظاماً معرفياً لا يمكن تناوله إلا في علاقته بالمكونات المعرفية الشاملة للعقل. بعبارة أخرى، تُعتبر اللغة ظاهرة نفسية وعقلية تُدرس في علاقتها بالظواهر العقلية الأخرى والاستراتيجيات المعرفية المختلفة التي تربط البشر بعالمهم. فهي ليست قدرة معرفية مستقلة عن القدرات الأخرى، وهي تنشأ أيضاً من الاستخدام.

## مفهوم اللسانيات المعرفية

عرّف (Han Luo, 2021: pp56) علم اللغة المعرفي بأنه هو دراسة العمليات المعرفية التي تشكل أساس اللغة، إنه مجال متعدد التخصصات يجمع بين عناصر علم اللغة وعلم النفس والعلوم المعرفية لاستكشاف كيفية تمثيل اللغة في العقل، وكيفية استخدامها، وكيفية اكتسابها. وتضمن فوائده علم اللغة المعرفي ما يلي:

- 1- فهم استخدام اللغة: يساعدنا علم اللغة المعرفي على فهم كيفية استخدام الناس للغة في سياقات مختلفة وكيفية معالجة اللغة وتفسيرها.
- 2- اكتساب اللغة: يمكن أن تساعدنا دراسة علم اللغة المعرفي على فهم كيفية تعلم الأطفال للغة وكيف يختلف تطور اللغة بين الأفراد.
- 3- اللغة والفكر: يستكشف علم اللغة المعرفي العلاقة بين اللغة والفكر، ويشرح كيف يمكن للغة أن تؤثر وتنعكس على العمليات المعرفية.
- 4- اللغة والثقافة: يمكن أن يساعدنا علم اللغة المعرفي على فهم كيفية تأثير الثقافة على استخدام اللغة وكيف تختلف اللغة عبر الثقافات.
- 5- اللغة والمرض العقلي: يمكن استخدام اللغويات المعرفية لدراسة ضعف اللغة المرتبط بالمرض العقلي، مثل فقدان القدرة على الكلام، وكيف تؤثر هذه الضعفات على العمليات الإدراكية.

وأما عند بيتر ستوكويل (2017م، ص 12) اللغويات المعرفية هي فرع من فروع اللغويات يدرس العلاقة بين اللغة والفكر والإدراك والتعلم، وطريقة تعامل المتحدثين مع اللغة في المعنى والتفاعل والإدراك. تتضمن اللغويات المعرفية عدداً من الميزات.

بشكل عام، يوفر مجال اللغويات المعرفية رؤى قيمة حول طبيعة اللغة ودورها في الإدراك البشري وعلاقتها بالثقافة والعمليات العقلية. ويبدو للباحث أن اللغويات المعرفية هي فرع من فروع اللغويات يدرس اللغة من منظور عقلي وإدراكي. يركز هذا الفرع على فهم كيفية تكوين المعلومات اللغوية ومعالجتها وتفسيرها في العقول البشرية. يعتبر اللغويون المعرفيون اللغة ليست مجرد أداة للتواصل بل نظاماً معرفياً متعدد الأبعاد يؤثر على تفكيرنا وسلوكنا وتفاعلاتنا مع العالم من حولنا. تسعى اللغويات المعرفية إلى فهم كيفية تخزين المعرفة اللغوية وتطبيقها في العقل وكيفية استخدامها في التواصل والتفاعل الاجتماعي. والعلاقة بين اللغويات المعرفية واللغويات العقلية هي أنهما مجالان يدرسان نفس الموضوع وهو طبيعة اللغة وعلاقتها بالعقل البشري. تركز اللغويات المعرفية على العمليات المعرفية التي تشكل أساس استخدام اللغة، مثل الذاكرة والانتباه والمعالجة. من ناحية أخرى، تركز اللغويات العقلية على التمثيلات والعمليات العقلية التي تشارك في فهم وإنتاج اللغة. كلا المجالين متعدد التخصصات ويعتمدان على الأبحاث من علم النفس وعلم الأعصاب وعلم اللغة.

#### اللغة من المنظور المعرفي:

من منظور معرفي، توصف اللغة بأنها مجموعة من البنيات العقلية التي تربطنا بالعالم الذي نعيش فيه بأبعاده المادية والمعنوية. وهي جسر تواصل بين الفرد والكون من منظور أن الفرد لا يستطيع أن يتخيل العالم إلا وفقاً للصورة التي ترسمها له اللغة، وأن الحقائق التي يمتلكها الفرد هي حقائق ذات طبيعة لغوية في المقام الأول. فاللغة مرتبطة بالإدراكات أكثر مما ترتبط بالحقائق المادية في العالم المرئي. ومن هذا المنظور، يؤدي تحليل اللغة إلى التوصل إلى نتائج مهمة حول المعنى اللغوي، وخاصة العوامل غير اللغوية التي تساهم في تكوينه، مثل الخلفية المعرفية وإدراك السياق المادي والاجتماعي واللغوي، مما يعني أن اللغة تفرض بناء محددًا يعكس مخرجاً واحداً فقط من بين طرق لا حصر لها لتخيل الموقف المعني. والبنيات العقلية هي التي تمكننا في النهاية من التعامل مع العالم الذي نعيش فيه والتحدث عنه (لانغرك، 2018، ص 18-19).

إن طبيعة اللغة ديناميكية من حيث أنها شيء يفعلها الناس وليس شيئاً لديهم، وهذا واضح في ديناميكية الكلام، التي تستمد مظاهرها من مجموعة واسعة من الموارد وتطلب مجموعة متطورة من القدرات العامة والخاصة، لأن معرفة لغة ما تعني التحكم في مجموعة واسعة من المهارات التي تستخدم في مختلف البيئات

الاجتماعية والثقافية. وبناءً على المنظور السابق، إذا تحولنا إلى قضية التواصل اللغوي بين الناس، نجد أنها تحكمها آليات استدلالية وحسابات تركيبية، لأن معرفتهم "تختلف عن معرفة الآخرين، وما نراه واضحاً ومفهوماً يراه الآخرون غامضاً ومعقداً، وما هو صحيح عندنا خاطئ عند الآخرين". "لذلك فإن عملية إعادة التخطيط ليست مجرد أخذ الشيء وإعادةه كما هو، بل هي عملية إعادة خلق الخطاب من خلال ملئه بأشياء وصور أخرى غير الصور التي قدمها المتكلم في البداية، وذلك بتحميله بالصور الاستدلالية والمعرفة اللغوية والإدراكات الحسية والنفسية التي يتفاعل معها المخاطب للوصول إلى قصد المتكلم". (حجيل، 2017م، ص 56). وقد اعتمد هذا النهج على مجموعة من المقدمات الأساسية، والتي مثلت السمات التي بنيت عليها المناقشات المختلفة ذات الصلة، فالرؤية المعرفية لا ترى اللغة كقوالب محددة تنسم بالجمود - وهو نهج اللغويات الشكلية - بقدر ما تراها نشاطاً ذهنياً متسقاً مع ديناميكية العقل البشري في تعامله مع أنظمة المعرفة المختلفة. ومن هذه المقدمات نجد أن: (ستوكويل، 2017م، ص 109).

- 1- اللغة ليست جزءاً منفصلاً عن التجربة الإنسانية، بل هي جزء لا يتجزأ منها.
- 2- اللغة مجسدة، أي أن جزءاً كبيراً منها يعتمد على حقيقة أننا جميعاً نشترك في الأصل في نفس الشكل البشري، ونفس الحالة الإنسانية، ونفس التجربة الإنسانية.
- 3- إن اللغة مبنية على أساس القدرات المعرفية الحسية، مثل: السمع، والبصر، والتذوق، واللمس، والشم، وإحساس المكان المادي والحركة الجسدية (أو الجسدية)، وأن اللغة تتكيف مع تلك القدرات الحسية.

#### قضية المعنى من منظور اللغويات المعرفية:

إن النظرة المعرفية للغة ترى المعنى كسألة تتعلق بالإدراك من خلال الخبرة المادية وكذلك التفاعل الاجتماعي، مما يجعل المعرفة المكتسبة متسقة مع البيئة الاجتماعية والثقافية التي نعيش فيها. لذلك فإن المفاهيم التي تؤسسها، وإن كانت عقلية، فهي مرتبطة بعوالم خارجية، حيث أن كل مفهوم هو مفهوم لجانب من جوانب العالم. ولتبسيط هذه المسألة، من المناسب أن نعرض وجهة نظر رونالد لانجاكر. وهل تتركز المعاني في الرأس؟ سؤال طرحه رونالد لانجاكر في كتابه "مقدمة في النحو المعرفي" حيث يقول "إن الجواب من منظور لغوي معرفي هو أن المعاني تتركز في أذهان المتكلمين الذين ينتجون ويفهمون التعبيرات، ومن الصعب إيجاد مكان آخر حيث يمكن أن تكون تلك المعاني، -على النقيض من النظرة الأفلاطونية التي ترى اللغة- كوحدة مجردة منفصلة عن الجسم ولا يمكن تحديدها. وتعتبر المعاني اللغوية، مثل الأشياء والقوانين في الرياضيات، متعالية وتوجد بشكل مستقل عن العقول والإرادة

البشرية" (لانجاكر، 2018، ص 57). كما أن معنى العبارة من منظور معرفي يتطلب أرضية مفاهيمية واسعة ومتعددة الأوجه تدعمها وتشكلها وتجعلها متماسكة. ومن جوانب هذه الأرضية: (لانجاكر، 2018، ص 79).

### وظائف المركزية لعلم اللغة المعرفي:

ينكر علماء اللغويات المعرفية أن العقل لديه أي وحدة لاكتساب اللغة، والتي تكون فريدة ومستقلة. وهذا يتناقض مع الموقف المتخذ في مجال القواعد النحوية الإنتاجية أو التوليدية. وعلى الرغم من أن علماء اللغويات المعرفية لا ينكرون بالضرورة أن جزءاً من قدرة اللغة البشرية فطري، إلا أنهم ينكرون أنه منفصل عن بقية الإدراك. كما يرفضون مجموعة من وجهات النظر في العلوم المعرفية التي تشير إلى وجود أدلة على وحدات اللغة. وفي قطيعة مع تقليد دلالات الحقيقة الشرطية، ينظر علماء اللغويات المعرفية إلى المعنى من حيث المفاهيم. وبدلاً من النظر إلى المعنى من حيث نماذج العالم، ينظرون إليه من حيث المساحات العقلية. وهم يزعمون أن معرفة الظواهر اللغوية - أي علم الأصوات والصرف والنحو - هي في الأساس مفاهيمية بطبيعتها. ومع ذلك، فإنهم يؤكدون أن تخزين واسترجاع البيانات اللغوية لا يختلف كثيراً عن تخزين واسترجاع المعرفة الأخرى، وأن استخدام اللغة في الفهم يستخدم قدرات معرفية مماثلة لتلك المستخدمة في المهام غير اللغوية الأخرى. (Vyvyan Evans, 2007, pp 154).

### مجالات الدراسة لعلم اللغة المعرفي:

- تتقسم اللغويات المعرفية إلى ثلاثة مجالات رئيسية للدراسة:
- الدلالات المعرفية، التي تتعامل بشكل أساسي مع معاني الكلمات المعجمية، وفصل الدلالات (المعنى) إلى بناء المعنى وتمثيل المعرفة.
- المناهج المعرفية، والنحوية وتتعامل بشكل أساسي مع بناء الجملة والصرف وغيرها من مجالات القواعد ذات التوجه التقليدي.
- علم الأصوات المعرفي، الذي يتعامل مع تصنيف المراسلات بين التسلسلات الصرفية والفونولوجية المختلفة.

بعض جوانب الإدراك التي تهتم اللغويات المعرفية:

- قواعد البناء والقواعد المعرفية.
- الاستعارة المفاهيمية والمزج بينهم.
- مخططات الصور وديناميكيات القوة.
- التنظيم المفاهيمي: التصنيف، والكناية - دلالات الإطار.

- الذاتية.

- الإيماءات ولغة الإشارة.

- النسبية اللغوية.

- اللغويات الثقافية.

وقد تسعى اللغويات المعرفية أكثر من اللغويات الإنتاجية، إلى دمج هذه النتائج معاً في كل متماسك. وينشأ المزيد من التعقيد لأن مصطلحات اللغويات المعرفية ليست مستقرة تماماً، سواء لأنها مجال جديد نسبياً أو لأنها تواجه عدداً من التخصصات الأخرى. وأصبحت الأفكار والتطورات من اللغويات المعرفية طرقاً مقبولة لتحليل النصوص الأدبية أيضاً. أصبحت الشعرية المعرفية، كما أصبحت معروفة، جزءاً مهماً من الأساليب الحديثة.

لمحة موجزة عن نشأة وتطور علم اللغة المعرفي عند الغربيين:

أشار رونالد لانفاكر (2018م، ص 78) أن هذا المجال- اللغويات المعرفية - نشأ نتيجة لعمل عدد من الباحثين في سبعينيات القرن العشرين الذين كانوا مهتمين بالعلاقة بين اللغة والعقل، والذين لم يتبعوا الاتجاه السائد لتفسير الأنماط اللغوية من خلال الاستعانة بالخصائص البنيوية الداخلية والخاصة باللغة. وبدلاً من محاولة فصل بناء الجملة عن بقية اللغة في "قالب نحوي" يحكمه مجموعة من المبادئ والعناصر الخاصة بهذا القالب أو المكون، كان خط البحث المتبع بدلاً من ذلك هو فحص العلاقة بين بنية اللغة والأشياء خارج اللغة: المبادئ والآليات المعرفية غير الخاصة باللغة، بما في ذلك مبادئ التصنيف البشري، والمبادئ البراجماتية والتفاعلية؛ والمبادئ الوظيفية بشكل عام، مثل الرمزية والاقتصاد. وكان أكثر علماء اللغة تأثيراً الذين عملوا على هذا المنوال وركزوا بشكل أساسي على المبادئ والتنظيم المعرفي هم والاس تشافي، وتشارلز فيلهور، وجورج لاكوف، ورونالد لانجاكر، وليونارد تالمي. بدأ كل من هؤلاء اللغويين في تطوير نهجه الخاص لوصف اللغة والنظرية اللغوية، والذي ركز على مجموعة معينة من الظواهر والاهتمامات. أحد الاقتراضات المهمة التي يتقاسمها كل هؤلاء العلماء هو أن المعنى يشكل أهمية مركزية للغة لدرجة أنه يجب أن يكون محوراً أساسياً للدراسة. تستخدم البنى اللغوية وظيفته التعبير عن المعاني، وبالتالي فإن التطابقات بين المعنى والشكل هي موضوع رئيسي للتحليل اللغوي. في هذا الرأي، ترتبط الأشكال اللغوية ارتباطاً وثيقاً بالبنى الدلالية التي صُممت للتعبير عنها. يمكن وينبغي التحقيق في البنى الدلالية لجميع الوحدات اللغوية ذات المعنى.

كما قدم تشومسكي خلال سبعينيات القرن العشرين ادعاءً قوياً بأن القدرة اللغوية فطرية، مما أدى إلى جدال كبير في مجال الاكتساب لا يزال يتردد صدها حتى اليوم. وقد رفض الباحثون الموجهون وظيفياً

وإدراكياً، وبشكل عام أولئك الذين يدرسون الاكتساب تجريبياً، فكرته عن الاكتساب باعتباره "مشكلة منطقية" وليس مشكلة تجريبية، ونظرته إليه باعتباره مسألة تتعلق بعمليات تحديد المعايير الثانوية على مجموعة فطرية من القواعد، حيث اعتبروا المشكلة مشكلة تعلم، لا تختلف جوهرياً عن أنواع التعلم الأخرى. وبحلول أواخر الثمانينيات، كان من الممكن رؤية أنواع تطوير النظرية اللغوية التي قام بها على وجه الخصوص فيلمور، ولاكوف، ولانجاكر، وتالمي، على الرغم من أنها تبدو مختلفة جذرياً في الآليات الوصفية المقترحة، على أنها مترابطة بطرق أساسية. وقد تطورت أفكار فيلمور إلى دلالات الإطار، وبالتعاون مع آخرين، إلى قواعد البناء.

كان لاكوف معروفاً بعمله في الاستعارة والمجاز (لاكوف 1981م، ص 67) تطورت أفكار لانجاكر إلى نظرية صريحة عُرِفَتْ أولاً باسم قواعد الفضاء ثم قواعد المعرفة. ونشر تالمي عدداً من الأوراق البحثية المؤثرة بشكل متزايد حول أنظمة التصوير اللغوي (تالمي 1985م، ص 134). وبحلول هذا الوقت أيضاً، طور جيل فوكونير نظرية المساحات العقلية، متأثراً بآراء أوزوالد دوكروت. تم تطوير هذه النظرية لاحقاً بالتعاون مع مارك تورنر إلى نظرية المزج المفاهيمي، والتي تتشابك بطرق مثيرة للاهتمام مع قواعد المعرفة لانجاكر ونظرية لاكوف في الاستعارة.

كما شهدت ثمانينات القرن العشرين تطوير نماذج اتصالية لمعالجة اللغة، مثل تلك التي طورها جيف إلمن وبريان ماكوين، حيث كان التركيز على نمذجة التعلم، وتحديدًا اكتساب اللغة، باستخدام الشبكات الاتصالية. ارتبط هذا العمل بشكل طبيعي بمشكلة الاكتساب، وبرنامج البحث الخاص بإليزابيث بيتس التي أظهرت الطبيعة المكتسبة للمعرفة اللغوية للأطفال، وأساسها في التطور المعرفي والاجتماعي. تدريجياً، ظهر إطار مفاهيمي متماسك كشف عن عيوب النزعة الأهلانية اللغوية ووضع التعلم التجريبي في مركز فهم كيفية اكتساب الأطفال للغة. كان هذا المفهوم هو الأساس لبرنامج البحث الخاص بمايكل توماسيلو، الذي بدأ في تسعينيات القرن العشرين في تولى زمام المبادرة في دراسة الاكتساب في سياقاته الاجتماعية والمعرفية والثقافية.

خلال ثمانينات القرن العشرين، بدأ عمل لاكوف ولانجاكر، على وجه الخصوص، في اكتساب أتباع. خلال هذا العقد، بدأ الباحثون في بولندا وبلجيكا وألمانيا واليابان في استكشاف المشاكل اللغوية من منظور معرفي، مع الإشارة الصريحة إلى عمل لاكوف ولانجاكر. وشهد عام 1987م نشر كتاب لاكوف المؤثر "النساء والنار والأشياء الخطيرة"، وفي نفس الوقت تقريباً، نشر لانجاكر عام 1987م كتاب "أسس القواعد المعرفية المجلد الأول"، والذي كان يتداول فصلاً تلو الآخر منذ عام 1984م.

كان الإنجاز التالي في النشر هو مجموعة "مواضيع في اللغويات المعرفية"، التي حررتها بريجيذا رودزكا-أوستين، ونشرتها دار موتون عام 1988م. يحتوي هذا المجلد الضخم على عدد من الأوراق البحثية الرائدة التي كتبها لانجاكر وتالمي وآخرون، مما جعله مؤثراً على نطاق واسع، بل ومستمراً في التأثير حتى يومنا هذا. وفي عام 1989م، تم تنظيم أول مؤتمر حول اللغويات المعرفية في دويسبورغ، ألمانيا، بواسطة رينيه ديرفين. وفي ذلك المؤتمر، تقرر تأسيس منظمة جديدة، وهي الجمعية الدولية للغويات المعرفية، والتي ستعقد مؤتمرات كل عامين لجمع الباحثين العاملين في مجال اللغويات المعرفية. وقد تم إعلان مؤتمر دويسبورغ بأثر رجعي باعتباره أول مؤتمر دولي للغويات المعرفية، كما تم تصور مجلة اللغويات المعرفية في منتصف الثمانينات، وظهر أول عدد منها في عام 1990م تحت اسم موتون دي جرويتز، وكان ديرك جيراريس محرراً لها.

وخلال تسعينيات القرن العشرين، أصبح علم اللغويات المعرفية معترفاً به على نطاق واسع باعتباره مجالاً مهماً للتخصص في علم اللغويات، مما أدى إلى ظهور العديد من المؤتمرات بالإضافة إلى اجتماعات ICLA. شكلت أعمال لاكوف ولانجاكر وتالمي الخطوط الرئيسية للنظرية، ولكن تم إنشاء روابط مع نظريات ذات صلة مثل قواعد البناء من قبل العديد من اللغويين المعرفيين العاملين، الذين كانوا يميلون إلى تبني الانتقائية التمثيلية مع الحفاظ على المبادئ الأساسية للإدراك. بدأت كوريا والمجر وتايلاند وكرواتيا ودول أخرى في استضافة البحوث والأنشطة اللغوية المعرفية. يمكن رؤية اتساع البحث في مجلة Cognitive Linguistics التي أصبحت المجلة الرسمية لـ ICLA. تولى آري فيرهاجن منصب المحرر، وقاد المجلة إلى مرحلتها الثانية. وبحلول منتصف تسعينيات القرن العشرين، تميزت اللغويات المعرفية كمجال بمجموعة محددة من المساعي الفكرية التي يمارسها أتباعها، والتي تم تلخيصها في كتاب دليل البراجماتيات تحت مدخل اللغويات المعرفية. (الشمري 2013م، ص 112).

على باب الاختصار يمكن رؤية الروابط القوية بين اللغويات المعرفية ومجالات البحث في اللغويات الوظيفية، والوصف اللغوي، وعلم النفس اللغوي، والبراغماتية، ودراسات الخطاب. بالنسبة للعديد من اللغويين المعرفيين، يكمن الاهتمام الرئيسي في اللغويات المعرفية في توفير نهج أفضل ومجموعة من الاقتراحات النظرية للنظرية النحوية والدلالية مما توفره اللغويات التوليدية. ومع ذلك، بالنسبة للآخرين، فإن الجاذبية المهمة هي الفرصة لربط دراسة اللغة والعقل بدراسة الدماغ.

في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بدأت الجمعيات اللغوية المعرفية الإقليمية والموضوعية، التابعة لـ ICLA، في الظهور. تم تشكيل إسبانيا وفنلندا وجمعية لغوية معرفية باللغة السلافية، ثم أصبحت بولندا وروسيا وألمانيا مواقع لجمعيات لغوية معرفية تابعة حديثاً. ولقد تبع ذلك انضمام كوريا وفرنسا

واليابان وأميركا الشمالية والمملكة المتحدة والسويد (التي توسعت سريعاً إلى رابطة اسكندنافية)، ومؤخراً الصين وبلجيكا. وكانت بعض هذه الجمعيات قائمة قبل الانضمام، في حين تشكلت أخرى على وجه التحديد كجمعية تابعة إقليمية.

بدأت مجلة المراجعة، المراجعة السنوية للغويات المعرفية، عملها في عام 2003، وتبعتها مجلات جديدة أخرى. وبعد تحرير مجلة اللغويات المعرفية من قبل ديرك جيريرتس ثم آري فيرهاجن، تولت المحررة أديل جولدبرج في عام 2003م، وتبعتها المحررة الحالية إيوا دابروفسكا التي تولت القيادة في عام 2006م. وعلى مدار الوقت، استمرت المجلة في زيادة شهرتها وشهرتها في اللغويات. وتستمر مؤتمرات اللغويات المعرفية في تنظيمها في العديد من البلدان، إلى الحد الذي يصعب معه تتبعها جميعها. انعقد المؤتمر الدولي للغات الإدراكية لأول مرة في آسيا، وتحديدًا في سيول بكوريا في يوليو 2005م. والآن أصبحت آسيا تتمتع بقاعدة عضوية كبيرة جدًا. وفي عام 2005م، صوت مجلس الإدارة على نقل المؤتمر إلى الصين، وتمت الموافقة على مكان محدد لمؤتمر عام 2011م في عام 2007م: شيآن، الصين. يواصل المؤتمر الدولي للغات الإدراكية تعزيز تطوير اللغويات الإدراكية كتخصص عالمي، وتعزيز ارتباطها بتخصصات علم النفس وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وعلم الإدراك بالطبع. (نادية و آخر 2018م، ص 48).

بعض الأعمال البارزة في اللغويات المعرفية من قبل الغربيين:

وقد ذكر (Mandler Jean M, 2014: pp 20) بعض الأعمال المنتشرة من الغربيين الذين أسهموا في هذا المجال ومنها:

- 1- فوكونيه، جيل 1994م، مع عمله بعنوان؛ Mental spaces. يطور هذا العمل نهجاً لغوياً معرفياً لبناء المعنى ودلالات الخطاب. كان هذا المنظور أساساً للتطور اللاحق لنظرية التكامل المفاهيمي. نُشرت أصلاً بواسطة مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في عام 1985م.
- 2- فيلمور، تشارلز 1982م، مع عمله بعنوان، (Frame semantics): أفضل عرض مبكر لدلالات الإطار. كان هذا بمثابة الأساس للمناهج الموسوعية لدلالات المعجم والتطور اللاحق لقواعد البناء.
- 3- فيلمور، تشارلز، وبول كاي، وكاثرين أوكونور 1988م، مع عملهم بعنوان؛ الانتظام والتعبير الاصطلاحي: حالة "دعنا وحدنا". اللغة (Regularity and idiomaticity). تقدم هذه الورقة بياناً أساسياً حول قواعد البناء.

- 4- جونسون، مارك 1987م، مع عمله بعنوان؛ (The body in the mind: the bodily basis of meaning, imagination and reason). يطور هذا العمل البناء النظري لمخطط الصورة، أحد أهم الأفكار في اللغويات المعرفية.
- 5- لاكوف، جورج 1987م، مع عمله بعنوان؛ (Women, fire and dangerous things: what categories reveal about the mind) والنماذج الأولية على الدلالات اللغوية والقواعد والاستعارة.
- 6- لاكوف، جورج، ومارك جونسون 1980م، مع عملهما بعنوان؛ (Metaphors we live by). أحد أكثر الكتب تأثيراً في اللغويات في أواخر القرن العشرين. يدافع هذا العمل عن أساس مفاهيمي للاستعارة والمجاز ويطور إطار نظرية الاستعارة المفاهيمية. كان هذا أحد أقدم الأعمال التي دافعت عن أساس مجسد للتنظيم المفاهيمي واللغوي.
- 7- لانجاكر، رونالد دبليو 1987م-1991م، مع عمله بعنوان (Foundations of cognitive grammar). يقع في مجلدين. تطوّر هذه المجلدات الافتراضات الأساسية (المجلد 1) والتطبيقات (المجلد 2) للنهج المميز للبنية النحوية والتمثيل والمعنى الذي يُعرّف بالقواعد المعرفية.
- 8- تالمي، ليونارد 2000م، مع عمله بعنوان؛ (Towards a cognitive semantics) ويقع في مجلدين. هذه مجموعة من المقالات الرائدة التي كتبها تالمي والتي نُشرت في الأصل في سبعينيات وثمانينات وتسعينات القرن العشرين والتي كانت مؤثرة للغاية في تطوير اللغويات المعرفية.
- انتقادات بين العلماء فيما يتعلق بعلم اللغة المعرفي:
- أورد راجح إبراهيم (2019م، ص 59) بعض التناقض بين اللغويين وموقعهم في اللسانيات المعرفية: لقد تم التشكيك في المعنى المحدد لعلم اللغة المعرفي، والعنوان الصحيح للاسم، والوضع العلمي للمشروع. وتشمل الانتقادات الاعتماد المفرط على البيانات الاستبطانية، والافتقار إلى الاختبار التجريبي للفرضيات وقلة التكامل بين النتائج من مجالات أخرى من العلوم المعرفية. ويذهب بعض الباحثين إلى حد اعتبار تسمية المجال "معرفياً" تسمية خاطئة على الإطلاق. ويرى لبيرت بيترز (2001م، ص 83) "يبدو لي أن اللغويات المعرفية هي نوع من اللغويات التي تستخدم النتائج من علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب وما شابه ذلك لاستكشاف كيفية إنتاج الدماغ البشري للغة وتفسيرها. بعبارة أخرى، فإن اللغويات المعرفية هي علم معرفي، في حين أن اللغويات المعرفية ليست كذلك. في رأيي، فإن معظم اللغويات التوليدية ليست معرفية حقاً أيضاً".

وقال غيبس ريموند (2013م، ص 45) كانت هناك انتقادات فيما يتعلق بالادعاءات المتعلقة بالدمغ لكل من قواعد اللغة التوليدية لتشومسكي، واللغويات المعرفية لاكوف. يقال إن هذه تدافع عن وجهات نظر متطرفة للغاية على محور المعالجة المعيارية مقابل المعالجة العامة. تشير الأدلة التجريبية إلى أن اللغة متخصصة جزئياً وتفاعل مع أنظمة أخرى. ومع ذلك، لمواجهة السلوكية، افترض تشومسكي أن اكتساب اللغة يحدث داخل وحدة مستقلة، والتي يطلق عليها كلية اللغة، مما يشير إلى درجة عالية جداً من تخصص اللغة في الدماغ. ولتقديم بديل لوجهة نظره، افترض لاكوف بدوره العكس من خلال الادعاء بأن اكتساب اللغة ليس تخصصياً على الإطلاق لأن اللغة لا تشكل قدرة معرفية في حد ذاتها ولكنها تحدث في المجالات الحسية مثل الرؤية والحركة. ووفقاً للرأي النقدي، لم تكن هذه الأفكار مدفوعة بأبحاث الدماغ ولكن بصراع على السلطة في علم اللغة. ويقال أيضاً إن أعضاء مثل هذه الأطر استخدموا نتائج باحثين آخرين لتقديمها على أنها عملهم الخاص. وفي حين يتم قبول هذا الانتقاد في معظمه، فن المزمع أن بعض الأبحاث أنتجت مع ذلك رؤى مفيدة.

#### خاتمة:

ومن خلال المعطيات السابقة أدركنا أن اللسانيات مرت بعدة محطات حرجة في تطورها التاريخي، وقد تشكل اللسانيات المعرفية تياراً متعدد الأبعاد والرؤى، يستمد قوته وحضوره من التقاطعات المعرفية التي يحددها، وأيضاً من النتائج المثمرة التي يقدمها، وخاصة في الجانب المتعلق بتعلم اللغة. وقد حاول اللغويون الغربيون وضع هذا التيار المعرفي في سياقه الفكري العام، وفي سياقه الخاص داخل منظومة تعلم اللغة. وقد انطلق التيار المعرفي في اللسانيات من النظر إلى العقل كوحدة شاملة لا يمكن تقسيمها، وتقع اللغة ضمن هذه الوحدة التي لا يمكن دراستها بمعزل عن هذه المنظومة الشاملة. ومن هذا المنطلق تفرعت الدراسة في هذا الجانب إلى نماذج مترابطة، مستخدمة آليات تعمل في سياق بنية العقل وحدوده، ومنها: الاستعارة، والمجاز، ومسارات العبارة، وجوانب الإدراك في أبعادها الحسية والحركية. وقد حاول اللغويون تقريب هذا الاتجاه وبلورة رؤية نظرية وتطبيقية تمكن من تحقيق أهداف هذا التيار المعرفي. وبعد هذا العرض الموجز لأهم القضايا الأساسية في علم اللغة المعرفي، نخلص إلى النتائج العامة والخاصة التالية:

- لا يمكن فصل اللغة في الدراسة عن الجوانب الذاتية والنفسية، وكذلك انعكاس التجربة النفسية في ذات الفرد الممارس للغة.
- إن التجربة الجسدية والاجتماعية لها دور مهم وأولي في بناء الإدراكات العقلية، حيث أن البنى المستخدمة لإضفاء الانسجام على أنظمتنا المفاهيمية تتولد من تجربتنا الجسدية.

- إن المعنى العقلي يتميز بالحركة، ويتبلور من خلال التجارب الجسدية ومن خلال التفاعلات الاجتماعية.
- إن البحث في النشاط المعرفي اللغوي ومحاولات فهمه وتفسيره، هو في صميم البحث في آليات عمل العقل في التعامل مع أنواع المعرفة المختلفة.
- إن اللغة تشير إلى الإدراكات أكثر مما تشير إلى الحقائق، والمعاني مرتبطة في المقام الأول بالإدراكات قبل أن ترتبط بالكلمات.

### المراجع والمصادر:

- إزابيل أوليفيرا، (2017م) الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية، فصول (المجلد 4 / 25 ) العدد 100).
- باتريك شارودو و دومنيك منغون، (2008م) معجم تحليل الخطاب: ترجمة (عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، المترجمون) تونس: المركز الوطني للترجمة.
- بيتر ستوكويل (2017م) الأسلوبية العرفانية، فصول (المجلد 4 / 25 ) العدد 100)، الصفحات 106-122.
- جورج لايكوف، (2012م) نساء ونار وأشياء خطيرة، ما تكشفه المقولات حول الذهن، جيل فوكوناي، (2012م) الفضاءات الذهنية". ترجمة (عز الدين المجذوب، وأخرون)، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (منصور الميغري، المترجمون، الإصدار 1، الصفحات 387-416). تونس: بيت الحكمة.
- رونالد لانقار، (2018م) مدخل في النحو العرفي (الإصدار 01)، الأزهر الزناد، المترجمون-تونس: المركز الوطني للترجمة.
- يسر حبيّل، (2017م) الإحالة بين اللغة و الخطاب. تونس: الدار التونسية للكتاب.
- راجح إبراهيم محمد علي، (2019م) نظرية تشومسكي وتفسير القضايا الإدراكية دراسة لسانية إدراكية بينية. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. ع2. م5.
- الشمري غسان إبراهيم (2013م) عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة. مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس.

- نادية دادبور وسيد محمد رضى (2018م) أفعال الحركة في القرآن الكريم من واجهة اللسانيات الإدراكية - "أتى" نموذجاً. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ع26.

- Carnie Andrew, (2013). Syntax A Generative Introduction. Third Edition. Wiley-Blackwel.
- Hampe Beate, (2005). From Perception to Meaning Image Schemas in Cognitive Linguistics. Mouton De Gruyter.
- Mandler Jean M, (2014). On defining image schemas. Language and Cognition. UK Cognitive Linguistics Association.
- Han Luo, (2021). Cognitive Linguistics and Second Language Acquisition, Researchgate.
- Fischer Martin H, (2024). The embodied cognition approach Principles and research questions. Experimental Methods in Embodied Cognition How Cognitive Psychologists Approach Embodiment. Arianna Felisatti and Martin H. Fischer First published by Routledge.
- Mayu Shintani. Kazumasa Mori .Takuya Ohmori, (2015). Image Schema-Based Instruction in English Grammar. Apan Association for Language Teaching.
- Robert St. Amant, Clayton T. Morrison, Yu-Han Chang Paul R. Cohen and Carole Beal, (2006). An Image Schema Language. Researchgate.
- Vyvyan Evans, (2007) A Glossary of Cognitive Linguistics. Edinburgh University Press.
- Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen and Jörg Zinken, (2015). The cognitive linguistics enterprise: an overview.
- Peeters Bert (2001). Does cognitive linguistics live up to its name, language and ideology, Vol 1; Theoretical Cognitive Approaches, John Benjamins.
- Gibbs, Raymond W (2013). The Real Complexities of Psycholinguistics Research on Metaphor, Language Sciences.



## التباين والتعدد اللغوي في السودان وإشكالية الهوية الثقافية

### The Diversity and Linguistic Plurality in Sudan and the Issue of Cultural Identity

مهند هارون هارون موسى، محاضر بجامعة النيلين -السودان

Mohand3479@gmail.com

الملخص:

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى التطرق لمسألة التعدد والتنوع اللغوي وتأثيره على الهوية الثقافية، فالهوية تعتبر أساس التماسك للدولة، فكل ما يؤثر على الهوية يؤثر مباشرة على اللغة. تأخذ الدراسة دولة السودان كدراسة حالة نتيجة للتعدد والتباين اللغوي المتحدث به في هذا القطر الشاسع، حيث يتكلم سكانه أكثر من مائة لغة، إلا أن عدم الاستغلال الأمثل لهذا التنوع أصبح مصدراً للاشكالات، وقاد القطر إلى نعرات قبلية توجت بانفصاله إلى دولتين، كما يهدد ذلك التعدد إلى مزيداً من الانفصالات مستقبلاً، نتيجة للسياسات الغير حكيمة تجاه ذلك التعدد، كما تأخذ الدراسة في ذلك منحى التحليل الوصفي والتحليلي النقدي، ومن أهم نتائج الدراسة:

اللغة عامل مهم في تحديد الهوية الاجتماعية

الهوية هي أساس التماسك للدولة

لا يوجد استغلال أمثل للتعدد اللغوي في السودان مما قاد للعديد من الاشكاليات

الكلمات المفتاحية: الهوية - العلاقة الوشائحية - تفصيح العامية- تلهيج الفصحى

#### Abstract:

In this study, the researcher aimed to examine the multi-touch and linguistic diversity and its effect on cultural identity, as identity Basis of cohesion for the country, and everything that affects it directly effects on language. The study of the State of Sudan was taken as a case study cause of pluralism and linguistic variation in this Country, as its population speaks more than a hundred languages, but the lack of optimal exploitation of this diversity became a source of problems, and this lead the country to tribal strife that culminated in its separation into two states. This multiplicity also threatens to lead to more separations in the future, as a result of unwise policies towards that multiplicity. The study also takes the approach of descriptive and critical analysis, and **the most important results of the study are:**

Language is an important factor in determining social identity

Identity is the basis of cohesion for the state

There is no optimal exploitation of linguistic diversity in Sudan, which has led to many problems.

**Keywords:** Identity-Dialectical relationship- Standardization of the Arabic vernacular - Vernacularisation of standard Arabic.

## المقدمة:

في هذه الدراسة، يقوم الباحث بمقاربة تحليلية ونقدية للعلاقة الجدلية المفترضة بين اللغة والهوية والتنوع الثقافي، حيث تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على التباين والتعدد اللغوي في السودان، ودوره في إعادة تشكيل الهوية الثقافية السودانية، نسبةً للكُم الهائل من اللغات الذي يذخر به السودان، ومما لا شك فيه، قد يلعب دوراً محورياً في إعادة تشكيل الهوية الثقافية للسودان، تعتمد الورقة في جمع البيانات على مجموعة من المصادر مثل الكتب والصحف اليومية والمجلات العلمية المحكمة والأوراق التي قُدمت في المؤتمرات والندوات، تهدف الدراسة الى تسليط الضوء على العلاقة بين اللغة والهوية، وتأثير اللغة على الهوية، كما تطرح سؤال رئيسي مفاده: هل التباين والتعدد اللغوي يؤثر على الهوية والثقافة السودانية؟. بالإضافة للعديد من الاسئلة الفرعية من شاكلة: هل اللغة ساهمت في إعادة تشكيل الهوية والثقافة السودانية؟. وماهية مميزات التعدد والتباين اللغوي في السودان؟. وهل هذا التعدد والتباين مصدر إثراء ثقافي أم سبب في الصراعات وتشردم الدولة؟. ولمناقشة الأسئلة أعلاه؛ سنتناول أولاً تعريف اللغة ومن ثم الهوية والثقافة كل على حدا، كمدخل للإجابة على هذه التساؤلات المطروحة.

## المحور الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة (تعريف اللغة والهوية والثقافة):

موضوع اللغة والهوية والثقافة من المواضيع المعقدة التي تحتاج منا إلى بحوث ودراسات موسعة ومعقدة، فهذه البحوث وجدت اهتمام كبير من كثير من الباحثين في هذا المجال، فقد تناول الكاتب بسام بركة، الموضوع في دراسته التي تحمل عنوان: "اللغة العربية والهوية" فأشار في دراسته إلى أنه لا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، لأن اللغة تحمل هموم متكلميها، وتنظم سلوكهم وتفاعلهم وتوحد انتمائهم. أيضاً هناك دراسة قام بها الكاتب الأمين أبو منقعه بعنوان: "اللغة والثقافة والهوية في السودان"، أشار فيها الكاتب الى التعدد والتباين اللغوي الذي يذخر به السودان وأثره على الهوية، حيث حدد الكاتب تصورات لحل أزمة التعدد اللغوي والهوية في السودان.

## أولاً: تعريف اللغة:

اختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها، فلا يوجد اتفاق شامل لمفهوم محدد للغة، ويرجع ذلك إلى كثرة التعريفات التي قُدمت للغة، إضافة إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم، إلا أنه من المتفق عليه بين اللسانيين أن تعريف اللغة يشير إلى أنها: "نظام تواصلية ذو ألفاظ وقواعد خاصة مستقلة تصلح وسيلة للتخاطب والتفاهم بين أي عدد من الجماعات تعيش في مكان واحد، أو متفرقة في أجزاء مختلفة من العالم، سواءً أكانت تعيش في زمن واحد أو عاشت في أزمان مختلفة" (العتباني، 2005، ص53). في المقابل يعرف ابن جني اللغة بأنها: "أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وجفونز يقدم تعريف لها

بأنها: "وسيلة للتواصل واداة للتسجيل ومساعد للتفكير" (جفونز، 1980، نقلًا عن ابومنقة والخليفة، 2006، ص2). وقد أكدت كل التعريفات القديمة والحديثة الطبيعة الصوتية للغة ووظيفتها الاجتماعية، وارتباطها بالتفكير إلى جانب تنوع بنائها وتراكيبها من مجتمع إنساني لآخر (أبومنقة والخليفة، 2006، ص2). بناءً على ما سبق، تعتبر اللغة وسيلة تواصل بين الافراد، ولها دلالات، وهي تختلف من مجتمع لآخر.

### ثانياً: تعريف الهوية:

"الهوية" من الضمير "هو"، يتحول إلى اسم، ومعناه أن يكون الشخص هو. "هو" اسم إشارة يُحيل إلى "الآخر"، لا إلى "الأنا". وهو ما يعادل الحرفين اللاتينيين ID. ومنها اشتق أيضاً لفظ identity. أما لفظ "الإنية" فيعادل الحرف اللاتيني ipse، ومنها اشتق اللفظ ipseity. وبالتالي تمنع كل أنانية وخصوصية، لأن الهوية تُثبت الآخر قبل أن تُثبت الأنا. لا يشتق لفظ "الهوية" من ضمير المتكلم المفرد "الأنا" إلا بمعنى الانانية في مقابل الغيرية. أما لفظ "الإنية" فمشتق من "إن"، حرف توكيد ونصب، ومعناه أن يتأكد وجود الشيء وماهيته من خلال التعريف (حنفي، 2013، ص185). "الهوية" في المعجم الوجيز تعني الذات والدلالة الذاتية للهوية تعني الإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي الفرد خصائص منفردة. وتقول الموسوعة الفلسفية العربية إن كلمة الهوية اشتقتها المترجمون القدامى من ال "هو" لينقلوا المعنى إلى العربية، وبذلك فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح يدل على كون "الشيء نفسه" (العتباني، 2005، ص23).

تأصيلاً لمصطلح الهوية يستلزم الامر الرجوع إلى بعض الكتاب الذين تطرقوا الى المفهوم، نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت "التعريفات" يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب (الجرجاني، 1987، ص314). ويشير هذا التعريف إلى أن الهوية ترمز إلى فضاء الممكن والمُحتمل وأن ما تشتمله أغنى بكثير مما تشير إليه بشكل مباشر، وهي تشتمل على كل ما يمكن أن تسمح به الكيانات الذاتية والجماعية، كاشتمال النواة على الشجرة (الزاوي، 2014، ص13-14). يعرف قاموس "وبستر" الهوية باعتبارها: "تمثال الخصائص الجينية الأساسية في عدة أمثلة أو حالات" أو "تمثال كل ما يحدده الواقع الموضوعي للشيء المعين"، أيضا يعرفها فرانسيس دينق أن الهوية تُعبر عن الطريقة التي يُعرف بها الافراد والمجموعات ذواتهم أو تعريف الآخرين لهم، استناداً على العرق أو الإثنية أو الدين أو اللغة أو الثقافة (العتباني، 2005، ص24).

### ثالثاً: تعريف الثقافة:

الثقافة هي نتاج التفاعل الإنساني مع بيئتها الجغرافية والاجتماعية عبر القرون، أو خلاصة لتجارب الأمة عبر التاريخ من خلال بيئتها الجغرافية والاجتماعية، والثقافة دائماً ما توجد في هئتين:

1- ثقافة مادية وهذه تضم كل ما هو محسوس وملهوس في نشاط الإنسان وأسلوب حياته في مجتمعه، فكل شيء نراه أمامنا يتعلق بالإنسان داخل مجتمعه يعتبر جزءاً من الثقافة المادية.

2- الثقافة غير المادية وهي عبارة عن الأفكار والقيم والمعتقدات والعادات والتقاليد واللغة وكل الأشياء التي تكون مشتركة أو يشترك فيها أفراد المجتمع المعين (كوش، 2007، ص 15).

عرف الأنثروبولوجي البريطاني "إدوارد بارنات تايلور" نقلاً عن دنيس كوش الثقافة بأنها: الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع (كوش 2007، ص 15).

عندما نتفحص مجمل تعاريف مفهوم الثقافة المتداولة حالياً بين الباحثين في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية، سنقف على كون التعريف المحال إليه أكثر من غيره، إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو تعريفها بوصفها وسيلة ضرورية لاكتساب صفة الانتماء الفعلي إلى كيان اجتماعي متميز ومحدد؛ ومؤسسة رمزية للحفاظ على تراث هذا المجتمع وتقاليد ونقلها إلى الأجيال الجديدة. نحن هنا أمام دلالة حديثة نسبياً، تسمح بالنظر إلى الثقافة على أنها: واحدة من العناصر والمكونات الأساسية لتحديد الهوية الاجتماعية للأفراد، لكونها كيفية خاصة لرؤية الوجود والحياة، واسلوباً في العيش والسلوك والإحساس والإدراك والتعبير والإبداع، يتميز به مجتمع بشري معين فيما يملكه من أصالة عربية ومُتجذرة في تاريخه، فضلاً عن ذلك، هي نابعة من ظروفه وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي والحضاري، وبصفة خاصة من لغته باعتبارها عنصراً، متميزاً، مستمراً، موحداً، وحاملاً ناقلاً للتراث الثقافي (الدواي، 2013، ص 229).

المحور الثاني: (العلاقات الوشائحية بين اللغة والهوية والثقافة):

أولاً: العلاقة بين اللغة والهوية:

إن انعطاف الهوية على اللغة في عبارة تركيبية واحدة يتضمن تبايناً في الجوهر، أعانت على إخفائه العادة من حيث هي طبعاً ملازم، وأكدته الأعراف البحثية في معظم تجلياتها، فاللغة ظاهرة اجتماعية، وهي اصطلاحية بامتياز، تستند إلى مكونين متلازمين؛ مكون مادي حسي، ومكون ذهني غير مادي. أما الهوية، فظاهرة رمزية مجردة ليس لها أي تحقق مادي يربطها بعوالم الحس الوجودية. الهوية انتماء، بينما اللغة اكتساب، والهوية تتوارثها وليس في اللغة -أصواتها وألفاظها ودلالاتها- شئٌ ينقله المولود عن أمه أو أبيه مجرد أنهما أمه وأبوه. فلا أثر للغة في الخزينة الوراثية (المسدي، 2013، ص 283). ومن

المعروف أن الدراسات الحديثة في مجال اللسانيات والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية توصلت إلى توضيح التأثير المتبادل بين اللغة والهوية، والمقصود باللغة هنا اللغة الأم، والهوية الفردية والاجتماعية على حدٍ سواء (بركة، 2013، ص 21).

درج القول إلى أن اللغة أقدم تجليات الهوية، وهي بهذا المعنى مرآة عاكسة للهوية الاجتماعية، ومقوم أساسي ضامن لوحدها واستمرارها، ومن هنا نشأة فكرة أن كل جماعة بشرية تنتمي، إن واقعياً أو افتراضياً، إلى تراث ثقافي متميز ينتقل من أجيال الجماعة عبر اللغة؛ كما يتوارثه جميع أفرادها باعتباره هبة فطرية من لغتهم الخالدة (الدواي، 2013، ص 230). فإذا كانت هناك ثمة علاقة بين اللغة والهوية، فإن هذه العلاقة ستؤثر في تشكيل موقف الناس من لغتهم ومن لغة الآخرين. إن الافتراض الضمني لهذه الرؤية يتلخص في الآتي: في أي مجتمع تكوّن المجموعات العرقية أو الاجتماعية مواقفها بعضها تجاه بعض اعتماداً على اختلاف أوضاعها الاجتماعية في ذلك المجتمع (وربما في العالم). وهذه المواقف تؤثر في مواقف الناس من الأبعاد الثقافية والخصائص التي تُميز كل مجموعة من الأخرى، كاللغة مثلاً، ثم تتجاوز ذلك إلى تشكيل مواقف نحو الأفراد داخل كل مجموعة (النجار، 2013، ص 204). مما لا شك فيه أنه لا غنى عن اللغة لتشكيل هوية اجتماعية وثقافية، ولضمان الاندماج والتماسك الاجتماعي بين أفراد مجموعة بشرية معينة؛ وفي نهاية المطاف للحفاظ على مشاعر التضامن الوطني والانتماء إلى تراث ماضٍ مشترك. ولا جدال في أن اللغة، وفي ظروف تاريخية واجتماعية خاصة، تقوم فعلاً بدور الممثل البارز والمرجعية الأساسية للهوية الاجتماعية والوطنية، بالنسبة إلى المنتمين المفترضين إلى هذه الهوية. يمكن الوقوف على ذلك عن كثب في كل مرة تشعر فيها جماعة بشرية ما بأنها مهددة في كيانها. وفي تاريخنا الحديث والمعاصر أمثلة كثيرة على ذلك (الدواي، 2013، ص 231).

مما سبق، يتضح الجدال الدائر بين اللغة والهوية، فاللغة تُشكل الهوية الاجتماعية للأفراد، وهي المرجع الأول للهوية، كما في المقابل، اللغة تتأثر تأثيراً مباشراً عندما تصاب الهوية بالشرح أو الانزياح.

#### ثانياً: علاقة اللغة بالثقافة:

إذا كانت اللغة عنصراً مستمراً وموحداً وحاملاً للثقافة، فإن الثقافة بعناصرها المتنوعة هي المكون الأساس للهوية الاجتماعية (الدواي، 2013، ص 225). بالرغم من أن اللغة جزءاً من الثقافة، وأحد مكوناتها إلا أنها تعدى ذلك، وتخدم كمرآة تعكس ثقافة المجتمع المعين، وكما ذكرت سابقاً في تعريف ابن جني بأنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وتتشرك الثقافة مع اللغة بأن كليهما ظاهرتان اجتماعيتان تكتسبان ولا تورثان بيولوجياً، فالإنسان إذا نشأ في أية بيئة لغوية، فإنه يتحدث لغة تلك البيئة كما يتحدثها أهلها، بغض النظر عن جذوره العرقية.

إذا هنالك سؤالاً مطروحاً في هذه السطور، ما الذي يؤثر في الآخر؟ هل اللغة تؤثر على الثقافة أم الثقافة تؤثر على اللغة؟ أيهما يؤثر على الآخر؟ كل يؤثر في الآخر، يقول الكاتب أبو منقعة: إن الثقافة تشكل اللغة وتلونها، فإذا تناولنا اللغة العربية في السودان-مثلاً- نجد أنها تتميز عن اللغة العربية في البلاد العربية الأخرى من حيث بعض ألفاظها وبعض مدلولاتها، وحتى عامية وسط السودان اليوم قطعاً تختلف عن اللغة العربية التي جاء بها العرب إلى السودان قبل 15 قرناً، لأن تلك كانت تعبر عن حياة البداوة وعن بيئة الصحراء، أما هذه فتعبر عن حياة الحضر والمجتمع الزراعي... إلخ (أبو منقعة 2002، ص 97).

دخلت قضية التنوع والتعددية الثقافية والدينية دائرة الجدل الفكري والسياسي في السودان، منذ ستينات القرن الماضي، وبلغت أوجها في سبعيناته، ولا شك أنه قد زاد من ذلك الجدل تشابك قضايا السودان المعقدة، خاصة القضايا السياسية، مما جعل الصراع يتحول إلى صراع هوية حول الدين والعرق واللغة، وبقدر ما يثير التنوع الثقافي بعض مظاهر الحيوية والحراك المجتمعي، بقدر ما إنّه لم يتم التعامل معه بوعي، مما أدى إلى التمزق والشتات، ولعل بروز حالة التخوف من التنوع الثقافي تنبع من السلبات التي تلازم الواقع التعددي، والتي تحدث نتيجة للنعرات العرقية والتحيز للعشيرة والقبيلة، أو التعقيدات الناتجة من التفاوت الطبقي والتمهيش التنموي (العباني، 2012، ص 381).

علاوة على ما سبق، تمر الأمة العربية اليوم في المسألة اللغوية بامتحان تاريخي خطير وعسير، وتواجه إشكالات لا تقف عند حدود الشأن السياسي الثقافي، وما يلازمه من شؤون اقتصادية، بل تواجه الأمة وضعاً يمكن في كل لحظة أن ينفجر تحت واقع تناقضاته، ويكون انفجاره هدية ذهبية على طبق فضي تلتقفها القوى الدولية لقمة سائغة بلا عناء، سبق للعرب أن استشعروا هذه الظاهرة عندما أقروا في إطار منظمة العمل الثقافي المشترك (الألكسو) الخطة الشاملة للثقافة العربية (1982)، غير أن الحقيقة الأعمق هي أن صوغ مشروع ثقافي سيظل متعذراً على العرب ما لم يصوغوا لأنفسهم مشروعهم اللغوي الذي يكون أرضاً صلبة عليها يشيدون معمار هويتهم الثقافية (المسدي، 2013، ص 306).

لقد ظل التنوع الثقافي- في معظم الأقطار الإفريقية- يرتبط بالنزاعات الداخلية، خاصة عندما تكون المجموعات الأثنية والعرقية واللغوية في حالة صراع ونزاع، فالثقافة بطبيعتها هي مزيج مركب من موروثات المجتمع وتاريخه وعاداته ولغاته وتقاليدته، وهنالك، على أي حال، مزايا وخصائص إنسانية أخرى في داخل التركيب الاجتماعي الثقافي والسياسي للمجتمع، بعضها قد يعمل كعوامل مساعدة على المصالحة أو النزاع في مجتمع معين، وفي السودان ظلت الثقافة تلعب دوراً كبيراً في النزاع الجاري في داخله طوال العقود الخمسة التي أعقبت الاستقلال في مطلع 1956م (يوه، 2016، ص 247).

المحور الثالث: اللغة والهوية الثقافية في السودان:

كما ذكرنا سابقاً، موضوع التعدد والتنوع اللغوي والهوية من البحوث المعقدة التي تحتاج منا إلى بحث عميق ودقيق في الآونة الأخيرة في ظل التداخل الثقافي بين الدول والحراك والنزوح الداخلي بين القبائل داخل الدولة الواحدة وبين حدود الدول، لذلك الأمر ليس في غاية السهولة في ظل المستجدات الدولية مثل ظاهرة "الربيع العربي" التي أنتجت تحدياً للعلوم الاجتماعية والإنسانية لتطوير لغة مشتركة وأدوات ومفاهيم أكثر حساسية تراعي خصوصية هذا الحراك السياسي والاجتماعي (عبد الحى، 2017، ص1).

كلما بحثنا في موضوع اللغة والهوية كلما تبينت لنا العلاقات والوشائج التي تربط بين هذين المفهومين، إنَّ العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخالص بالعام، فالهوية أعم من اللغة. إنَّ من أهم مقومات القطر كوحدة سياسية وجود قدر معين من التجانس الاجتماعي الذي يميّز سكان هذا القطر من غيره. والسودان قطر واسع المساحة ومترامي الأطراف يحتاج إلى تخطيط سليم في الجوانب الاقتصادية جنباً إلى جنب مع الجوانب الاجتماعية، وذلك أن لكل منهما مكل للآخر، ولما كانت اللغة تمثل أهم العناصر في التشكيل الثقافي للمجتمع، وفي تحديد هوية الفرد ومسارات تفكيره وشعوره بالانتماء إلى مجتمعه، يصبح من الضرورة أن نعي أن التخطيط الذي لازم السياسات اللغوية في السودان، كان وراء كل من المشاكل التي أعاقت مسيرة التنمية والتقدم في القطر (أبومنقة والخليفة، 2006، ص1). إذا كانت اللغة لا تنفصل عن هوية أهلها- لان الهوية تقع في صميم ما تعنيه اللغة، وفي آلية عملها، وكيفية تعلمها، وكيفية استعمالها كل يوم، من كل شخص، في كل وقت- فإنها، بلا شك، تتأثر تأثيراً عميقاً بما يصيب هذه الهوية من تغير أو تبدل أو انزياح، بسبب عوامل مختلفة كثيرة قد يتعرض لها الفرد، لكنها كما تتأثر تؤثر أيضاً في تشكل الهوية وتبدلها؛ فاكتماب اللغة أو تعلمها يختلف عن تعلم أي نوع آخر من المعارف والعلوم، فهو تعلم غير موضوعي، وغير محايد، وغير منفصل عن عوامل أخرى تشكل وعي الفرد وميوله (النجار، 2013، ص 202).

#### أهم مميزات الوضع اللغوي في السودان:

بوسعنا القول إن المجتمعات البشرية كلها، ولا تُستثنى منها المجتمعات العربية، هي مجتمعات مركبة، بدرجات متفاوتة طبعاً، من مجموعات ثقافية ولغوية مختلفة، تتعايش وتتساكن على الأرض نفسها، كما نتعارف في الشتات. بل هي تنحو باستمرار لان تتقارب أكثر، نتيجة تعاظم موجات الهجرة، وانبعاث النزعات الثقافية الخصوصية، في عصر يوصف بكونه عصر حقوق الإنسان وتكنولوجيا الإعلام والتواصل الجديد (الدواي، 2013، ص233). فالوضع اللغوي في السودان يتميز بالتعدد والتباين من حيث التوزيع الجغرافي وعدم الاستقرار على حال، وهذا الوصف ليس غريباً في بلد تبلغ مساحته 967,000

ميل مربع، ويجاور 9 دول إفريقية (قبل انفصال جنوب السودان)، ويتكلم سكانه أكثر من مائة لغة، وكان يعاني من حروب أهليه امتدت لأكثر من أربعين سنة (منذ 1955)، وضربته مجاعة في فترتين متقاربتين (1983 و1985)، أضف إلى كل ذلك لجوء أعداد كبيرة من البشر، وبالأخص من الدول الأربعة المجاورة (يوغندا، اثيوبيا، اريتريا، تشاد) إلى السودان نتيجة للحروب الأهلية والمجاعات التي شهدتها أيضاً في عقد الثمانينات من القرن الماضي (أبومنقة والخليفة، 2006، ص 6).

فالسمة المركزية للوضع اللغوي في السودان هي التعددية: لغات وطنية عديدة، ونسب بالغة التفاوت فيما يتعلق بالمتحدثين بها، ولغة وافدة -الإنجليزية- مرتبطة بالتعليم وأداء الدولة والاتصال بالعالم (إبراهيم، 2001، ص 26)، فيعترف المشتغلين بقضايا اللغة في السودان بعجزهم عن تحديد عدد اللغات حتى الآن لكثير من الصعوبات التي أهمها صعوبة رسم الخط الفاصل بين اللغة واللهجة، ومنها أيضاً أن اللغة الواحدة قد تتخذ أسماء مختلفة في أماكن مختلفة، ومنها كذلك قلة العلماء المتخصصين في هذا المجال، ولكن أهمها عدم اهتمام الدولة بقضايا اللغة بصورة عامة ومسألة تحديد لغات السودان بصورة خاصة (أبومنقة والخليفة، 2006 ص 6-7). كما أن السياسة اللغوية للاستعمار الإنجليزي، وللطبقات والفئات الاجتماعية التي تعاقبت على الحكم فاقمت من فداحة هذا الوضع البالغ التعقيد، وأضافت لما هو إشكال طبيعي مردود للتكوين البشري لبلادنا إشكالات سياسية إدارية، وزاد الأمر سوءاً السياسة التي اتبعتها الطبقات والفئات الحاكمة بعد الاستقلال باعتمادها التعريب، أي فرض اللغة العربية لغة رسمية للدولة، أي لغة جهاز الدولة من برلمان ومحاكم ومكاتب وفي التعليم والثقافة... الخ، وبالحق فقد بدأت هذه السياسة منذ أن تسنى لقسم من الحركة الوطنية أن يساهم في مشاريع الاستعمار الإنجليزي للتدرج الدستوري، وقد انطوت هذه السياسة على إنكار مستقيم لحقيقة التكوين البشري المتباين للبلاد ولاختلاف الموضوعي لخصائصه التاريخية والثقافية (إبراهيم، 2001، ص 26-27).

وبسبب فشل الحكومات الوطنية في إدارة هذا التنوع الثقافي واللغوي والعرقي والديني، والتوافق على هوية سودانية جامعة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد وتيرة النزاعات التي أهدرت الكثير من موارد البلاد المادية والبشرية؛ وعجزت تلك الحكومات في أحداث تنمية مستدامة، وفي التوزيع العادل للثروة وتوفير الخدمات الضرورية للمواطنين، كل ذلك أدى إلى انفصال جنوب السودان في يوليو 2011 دون أسف من حكومة الإنقاذ على فشلها (زين العابدين، 2017، ص 121). ويرجع الاكاديمي السوداني النور حمد السبب وراء الانفصال في اتباع الحكومة السودانية للهوية المشرقية الزائفة؛ بعلتها المتمثلتين في التعالي العرقي والعقدي، هي التي فرقت أهل السودان وبددت جهودهم وفصلت الجنوب (حمد، 2017، ص 247)، كما أن الاستعمار تفنن في تعقيد هذه الإشكالية، فقد كان التباين اللغوي نصب

عين الإدارة الاستعمارية وقد التوت به لفصم الوطن، واتجهت لتكريسه عنصرياً وأثروبولوجياً بدلاً عن أن تعالجه بإمكانات متنوعة قابلة للانفتاح والتواصل والتطور في إطار الوطن الموحد، وقد توسلت إلى ذلك بسياسة لغوية مخططة ضمن أساليب أخرى (إبراهيم 2001، ص 27).

مما سبق، اتضح جلياً بأن الاستعمار الإنجليزي، والحكومات الوطنية التي جاءت إلى السلطة بعد الاستعمار لعبا دوراً جوهرياً في تعقيد الوضع في السودان، وإدخاله في نزاعات وإشكاليات بسبب عدم التعامل الأمثل مع التباين والتعدد اللغوي الذي من المفترض أن يكون مصدر إثراء ثقافي في هذا القطر الشاسع.

بحسب إحصاء 1956 فإن اللغات التي يتحدث بها أهل السودان حوالي خمسين لغة، ويتحدث 51% من جملة السكان (البالغة آنذاك 10,262,536) اللغة العربية، ويتحدث 12,1% بلغات غير العربية في شمال ووسط السودان، وبناءً على ذلك فإن السودان منطقة تعدد لغوي (إبراهيم، 2001، ص 26).

أمّا من ناحية التباين أو التنوع اللغوي، فنجد أن السودان يقع جغرافياً في ما يسميه ديفد دالبي (1970) نقلاً عن أبو منقة والخليفة ب"الحزام شبه الصحراوي للتفتت اللغوي Sub-Saharan (Fragmentation Belt)"، وهو حزام يمتد في محاذة الصحراء الكبرى من ناحية الجنوب عبر القارة الإفريقية من المحيط الأطلسي شرقاً حتى المرتفعات الأثيوبية ويبلغ حوالي 3500 ميلاً في الطول و700 ميلاً في العرض، ويعتبر أكثر مناطق العالم تعقيداً من حيث التباين اللغوي، ويعتقد دالبي أن جزاء الشمالي الشرقي (ويقع معظمه في النصف الجنوبي لجمهورية السودان) يجب أن يكون نقطة انطلاق للدراسات التاريخية للعلاقات اللغوية في إفريقيا (أبومنقة والخليفة، 2006، ص 7)، كل ذلك التباين اللغوي أصبح منتشرًا في الوسط "العاصمة القومية الخرطوم"، فكل هذه اللغات منتشرة في أنحاء الخرطوم التي يسكنها حوالي 8 مليون نسمة من إجمالي 40 مليون عدد سكان السودان، هؤلاء الثمانية مليون يمثلون كافة ألوان الطيف الإثني والسياسي والاجتماعي والثقافي بالسودان، هذا الزخم السكاني في العاصمة أدى إلى تداول جميع اللغات في العاصمة، حتى يشاع بأنه هناك حي سكني يسمى ب"التكامل" في منطقة "الحاج يوسف" بالخرطوم، ومساحة هذا الحي حوالي 10 كيلو متر مربع، رُصد أن في هذا الحي يتم تداول 56 لغة يومياً، وهذا مما يشكل خطراً على اللغة العربية الأم.

إذن، يمكن القول أن هنالك تهديداً واضحاً على اندثار الهوية العربية بالنسبة للسودان في ظل ذلك التباين والتعدد اللغوي الذي انتشر من أطراف البلاد إلى الوسط، يقول صمويل هنتجتون: "أصبحت قضايا الهوية تأخذ شكلاً حاداً، وبخاصة في البلاد ذات الصدع التي يوجد بها جماعات كبيرة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة" (هنتجتون، 1996، ص 204)، وأيضاً يقول: "الهوية هي التي تشكل

أنماط التماسك" ( هنتجتون، 1996، ص204)، إن إشكالية الهوية ليست همًا جديدًا، فقد واجهت أجيالًا متعاقبة من السودانيين منذ أن بدأ السودان الحديث يتخذ شكله الحالي تحت الحكم البريطاني في نهاية القرن التاسع عشر، فقد كان الانجليز يحملون مشروع فرض إرادة غير عربية على المجتمع السوداني. (الافندي، 2000). ولوجود حل لهذه الجدلية، يرى كثير من المفكرين السودانيين المختصين بأوضاع اللغة، أن السودانيين هم هجين من العرب والأفارقة، وأطلقوا عليهم أفرو عرب Afro - Arab والسؤال الخاص بهوية السودانيين ظل يشكل، على الدوام، جزءًا من أزمة الدولة والهوية الوطنية السودانية، حيث ظل الذين يعتبرون أنفسهم عربًا يسيطرون على الدولة، ويصرّون على فرض الهوية العربية، كتعبير عن الروابط الثقافية الوطنية على بقية مكونات المجتمع السوداني. (يوه، 2016، ص249).

علاوة على ما سبق، هنالك سؤال مُشاع بين عامة الناس، مفاده، أيُّعدّ التعدد والتنوع اللغوي بين لغة أم ولهجات تدور في فلكها وتنازعها البقاء والاستعمال، عاملاً من عوامل الثراء اللغوي الذي ينعكس انعكاساً موجباً على الهوية، فيزيدها خصوصاً وثراءً، أم يُعدّ عاملاً سالباً لأنه يزيد في هلهلة النسيج الاجتماعي وانغلاق المجموعات اللغوية في البلد الواحد، فتتقوى خصائص القبلية والانعزالية والانغلاق، ويُضعف التماسك والثقافة والتواصل، وتُتأثر النزعة القومية والهوية الوطنية بما تفرضه اللهجة الفرعية المغلقة؟.

إذا طُرح هذا السؤال لمواطن يعيش في العالم المتقدم، بلا شك سوف تكون الإجابة بأنّ التعدد اللغوي والثقافي مصدر إثراء ثقافي، والسبب وراء هذه الإجابة، في وجهة نظري، هو الاهتمام والاكتراث الذي يحظى به هذا التنوع من قبل الدولة، وتوظيفه في تلك الدول، فيصبح هذا التعدد والتنوع مصدر إثراء ثقافي ويزيد الثقافة خصوصاً وثراءً فينعكس في نهاية المطاف في الهوية الوطنية للدولة وتقوية النسيج الاجتماعي، وتعميق الولاء للوطن، ولكن الأمر عكس ذلك في كثير من الأقطار العربية والأفريقية أو العالم النامي، نسبة لعدم الاكتراث بهذا الأمر.

مما لا شك فيه، بأن تعدد اللهجات التي تدور حول قطب لغوي رسمي واحد، أمرٌ لا يخلو من مخاطر وسلبياتٍ على التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وليس معنى الحذر من مخاطر التعدد أن يتخلى المجتمع العربي على وجه العموم والمجتمع السوداني خاصة عن لهجاته العامية المتعددة، لكن الحل الأنسب يكمن في الرفع من شأنها لتقترب من العربية الفصحى، وهو ما دعاه الباحثون بـ"تفصيح العامية"، بدلاً من "تلهيج الفصحى"، ويحصل هذا التقريب بتقريب الفجوة بين قاعدة الهرم الاجتماعي وقيمتها، وإعداد برامج مضبوطة لتفقيه العامة وثقيف الحرفيين وتمدين الأرياف (بودرع، 2013، ص113). فإذا كانت الهوية متعددة الدوائر ذات المركز الواحد مهددة بخطر الانقسام أو الاغتراب،

فقد تكون اللغة أيضاً متعددة في الوطن الواحد، تهدد وحدة الأوطان، وقد تمتد التعددية اللغوية إلى مستوى الثقافة، فتصبح التعددية الثقافية أساساً ومقدمة لتفتيت الأوطان، فالوحدة والتنوع قانون طبيعي في الحياة الإنسانية، بل وفي الطبيعة.

بخصوص الوطن العربي فهو واحد باسم اللغة والثقافة والتاريخ المشترك والأرض المتواصلة، يتهده التنوع اللغوي في الأطراف، الكردية في الشمال، والبشتون والهندية في الخليج في الأسواق، وأخيراً الهندية في دوائر رجال الاعمال، واللهجات السودانية في الجنوب، والأمازيغية في جنوب المغرب العربي تتآكل في الأطراف، وهي خطوة نحو سقوط الأوطان، دولة كردية في الشمال، ودولة شيعية في الخليج، ودولة أفريقية في جنوب السودان تنضم على الكومنولث وتعامل مع إسرائيل، ودولة أمازيغية في المغرب العربي (حنفي، 2013، ص 196).

يشير إدوار نقلاً عن حلیم بركات فيما يتعلق بالتنوع اللغوي والثقافي "في هذا التنوع عنصر إثراء، لا عنصر تشتيت أو تفرقة" (بركات، 2000، ص 62). إن مطلب الحفاظ على التنوع الثقافي والتعددية الثقافية، يحتل مكانة ممتازة ضمن اهتمامات الدول في عالم اليوم، ولا نغالي إذا أشرنا إلى أن اغلب مجتمعات الألفية الثالثة سائرة قُدماً في اتجاه الاعتراف بالتعددية الثقافية، فالمطالبة بحق "التنوع والتعدد الثقافي" أصبحت مشروعة أخلاقياً وقانونياً في سياقات النضال الذي تخوضه الشعوب المضطهدة، وتلك التي لا تزال تعيش تحت نيران الاحتلال والهيمنة، دفاعاً عن استقلالها وهوياتها الثقافية، إلا أنه في سياقات أخرى محددة، هل تحقق المبالغة في تضخيم هذا المبدأ على حد أن يجد المنتمون على ثقافة ما أنفسهم متمسكين على قيم خصوصية مرفوعة إلى درجة المطلق، وفي نهاية المطاف مصابين بحالة من الفصام الثقافي؟ (الدواي، 2013، ص 235). بالنسبة للسودان فإنه يتمتع بتعدد لغوي نادراً ما يوجد في كثير من الدول فهم يتكلمون أكثر من مائة لغة، فهنا يبرز الإثراء اللغوي والثقافي ويبرز جمال السودان، لكن هذا التعدد اللغوي لم يعالج من قبل الدولة بالشكل الصحيح، ولم يُخطط للغة تخطيطاً جيداً في هذا القطر، وهناك فشل في مخاطبة تلك المسألة الأساسية بصورة مناسبة.

يوضح الكاتب أبو منقّة أنّ التعدد اللغوي في السودان يمكن أن يكون نعمة علينا ويمكن أن يكون نقمة، ويحدد سياسيات لغوية متزنة يجب أن تُبنى وهي في تصوره: أولاً، أن تكون اللغة العربية لغة رسمية للبلاد كافة، ثانياً، يمكن تطوير عدد من اللغات الإقليمية للاستخدام المحلي (لأغراض محو الامية، وبث الوعي الصحي، وحل النزاعات الإقليمية)، ولا مانع من بثها في الإذاعة المحلية والتلفزيون المحلي. وثالثاً، بقية اللغات يجب أن يدون موروثها الأدبي والتراثي لها جميعاً، والتصدي لدراساتها للأغراض العلمية والأكاديمية، وهي تخدم كثيراً في الدراسات اللغوية (أبو منقّة، 2002، ص 96).

علاوة على ما سبق، يؤمن بعض الكتاب بأن الحل المعقول والحكيم هو الإقرار بأن الاختلافات الثقافية طبيعية وتاريخية، ويلزم إيجاد آليات لتدبيرها سلمياً داخل مناخ القبول بالتعددية وحق الاختلاف الذي تنظمه قواعد الديمقراطية، ويستمر في إطار وفاق يتجدد بواسطة تلك القواعد ذاتها (الدواي، 2013، ص235). فالدولة التي تصلح سياستها، واقتصادها، وتعليمها، وتصلح تجارتها، ولا تفكر في إصلاح أوضاعها اللغوية وترشيد لغاتها، هي بلد يُعرض هويته للتفكك والاضمحلال (بلحبيب، 2013، ص280). إلا أنه نسبة لعدم تطبيق هذه المقترحات، وغيرها الكثير على أرض الواقع ولعدم الاهتمام بهذا التنوع اللغوي، وعدم التخطيط له، أدى ذلك إلى عدم قبول الأخر، وأدخل الدولة في خضم مجموعة من الصراعات وصولاً إلى انقسام الدولة إلى دولتين وفتح جبهة صراع أخرى في غرب السودان، إلا أن المشكلة المعقدة تكمن في أنه عندما تتفصل هذه المجموعة المطالبة بالانفصال نسبة للاختلاف اللغوي والتهميش، تبرز مجموعات صغرى أخرى تطالب أيضاً بالانفصال من الدولة الوليدة، ودولة جنوب السودان خير مثال لذلك.

الخاتمة: ناقشت هذه الدراسة العلاقة الجدلية والشائعية بين اللغة والهوية والثقافة عموماً، ثم في السودان على وجه الخصوص، فتطرقنا للدراسة للجدال بين اللغة والهوية والثقافة، حيث تبين لنا أن اللغة هي عامل مهم في تحديد الهوية الاجتماعية وتعمل كمرآة لها، واتضح لنا أن الهوية هي أساس التماسك للدولة، وكلما حدث تبديل أو إزاحة للهوية، ينعكس الأمر مباشرة على اللغة، ثم سلطنا الضوء على أهمية اللغة في الثقافة، واتضح جلياً أن الثقافة تشكل اللغة وتلونها، فهذه العلاقة الجدلية كثيراً ما تبرز في الدول المتعددة لغوياً والمتعددة الثقافات، كدولة السودان وهي دراسة الحالة في هذه الورقة، فقد برز لنا التعدد والتباين اللغوي الذي يذخر به هذا القطر الشاسع، حتى سُمي بـ "أفريقيا المصغرة"، إلا أن المعضلة تكمن في عدم الاستغلال الأمثل لهذا التنوع والتباين، وتوظيفه توظيفاً أمثلًا.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- أشرف عبد الحي، نحو سوسيولسانيات الربيع العربي. ورقة بحثية نشرت في أعمال المؤتمر الدولي السادس للغة العربية، دبي: الامارات، 2017، ص1.
- الأمين أبو منقعة، ويوسف الخليفة، أوضاع اللغة في السودان، المكتبة الوطنية، الخرطوم، 2006، ص6.
- الأمين أبو منقعة، اللغة والثقافة والهوية في السودان محاضرة أقيمت بمركز البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة أفريقية العالمية، الخرطوم، 30 يوليو 2002.
- الحسين الزاوي، الهوية وفلسفة اللغة العربية، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2014، ص13-14.
- الشريف الجرحاني، التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، 1987، ص314.

- الطيب زين العابدين محمد علي، دراسات في السياسة السودانية في عهد سلطة الإنقاذ، نور نشر، الخرطوم، 2017، ص 121.
- النور حمد، لماذا يصحو ماردا الهضبة ويغفو ماردا السهل؟، دار المصورات، الخرطوم، 2017، ص 247.
- جون قاي يوه، مخاطر بناء الأمة، ترجمة محمد جادين، ريفيقي للطباعة والنشر، ط 1، جوبا، 2016، ص 249.
- بسام بركة، الترجمة إلى العربية دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط 1، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، 2013، ص ص 21-50.
- بسام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002، ص 84.
- حسن حنفي، الهوية والاعتراب في الوعي العربي، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت: المركز العربي للأبحاث والسياسات، ط 1، بيروت، 2013، ص ص 185-200.
- حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 62.
- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، السعيداني، منير (ترجمة)، بيروت: المنظمة العربية للتنمية، بيروت، 2007، ص 15.
- رشيد بلحبيب، الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط 1، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، 2013، ص ص 247-280.
- صمويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، الشايب، طلعت (ترجمة)، القاهرة: دار سطور للنشر، ط 2، القاهرة، 1999، ص 204.
- عبدالرحمن بودرع، اللغة العربية وسؤال الهوية في سياق تحقيق التنمية نحو منهج لابتعاث اللغة، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط 1، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، 2013، ص ص 79-126.
- عبدالله علي إبراهيم، الماركسية ومسألة اللغة في السودان، دار عزة للنشر، ط 1، الخرطوم، 2001، ص 26.

عبدالسلام المسدي، الهوية واللغة في الوطن العربي بين أزمة الفكر ومأزق السياسة، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث والسياسات، ط1 بيروت، 2013، ص ص 283-310.

عبدالرزاق الدواي، في إشكالية اللغة والهوية والتنوع الثقافي، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث والسياسات، ط1 بيروت، 2013، (ص ص، 225-246).

عبدالوهاب الأفندي، الهوية السودانية والصراع المتجدد حولها، الازمة داخل حركة التمرد، القدس العربي، العدد، 3491، 1 آب/اغسطس، 2000.

لطيفة النجار، اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشكالية الاختيار، في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث والسياسات، ط1، بيروت، 2013، ص ص 201-224.

هويدا صلاح الدين العتباتي، الهوية والتعدد الإثني في الصراع بين شمال وجنوب السودان، المكتبة الوطنية، الخرطوم، 2012، 382.

## تقويم الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية في اللغة العربية بين الواقع والمأمول

### Evaluating the Cognitive, Skillful, and Emotional Aspects in the Arabic Language: Between Reality and Aspiration

لخضر ذيب، أستاذ التعليم العالي، جامعة عمار ثليجي الأغواط - الجزائر

البريد المهني: la.dib@lagh-univ.dz

الملخص :

إن المهمة الكبرى للتربية هي تجويد العملية التعليمية التعلمية لإعداد جيل من المتعلمين إعدادا متميزا يمكنهم من القدرة على التعامل مع متغيرات، وتعقيدات هذا القرن، الذي يطبعه التطور التكنولوجي المتسارع، والانفجار المعرفي، وثورة المعلومات. يعد التقويم عنصر أساسياً في منظومة العملية التعليمية فهو يؤدي دوراً فاعلاً في إنجاحها بما يحدثه من توازن وتكامل بين مختلف عناصرها، وقد تم في هذه المداخلة تناول موضوع التقويم التربوي البديل، حيث تم التطرق إلى تعريف التقويم بصفة عامة ثم الانتقال إلى تناول مفهوم التقويم التقليدي والإشارة إلى أساليب التقويم البديل ( الجانب المعرفي ، الجانب المهاري ، الجانب الوجداني ) .  
الكلمات المفتاحية : التعليم ، التقويم ، أساليب ، المعرفي ، المهاري ، الوجداني .

#### Abstract:

The major mission of education is to improve the teaching-learning process in order to prepare a generation of learners properly in which they are able to handle the changes and complexities of this century that is characterised by rapid technological development ،the widespread of knowledge ،and the revolution of information.

The evaluation is an essential element in the educational process, it plays an active role in its success in its balance and integration between its various components. In this intervention, the subject of alternative educational evaluation was discussed. Referring to alternative assessment strategies (the cognitive side, the skill side, the emotional side).

**Keywords:** education, evaluation, methods, cognitive, skill, emotion

يعتبر التحصيل الدراسي من المؤشرات المهمة التي تؤثر في حياة الفرد وتبني قدراته العقلية مما يعمل على الانسجام بين سلوك الفرد وانفعالاته و يتبين ذلك من خلال درجة التحصيل لدى الفرد . التحصيل الدراسي يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة الطالب وما لديه من خبرة ومهارة وتدريب، وما يحيط به من الظروف، حيث لا يمكن أن نؤتي ثمارها ونتائجها في ميدان التحصيل والإنجاز والأداء إلا إذا اقترنت بدوافع قوية، فالدافع القوي يستطيع أن يدفع الطالب نحو تحقيق أعلى درجات من الإنجاز والتحصيل ولأهميته فقد ظل الاهتمام عليه مركزاً لفترات طويلة لأنه ( أي التحصيل ) لا يتعلق بالمؤسسات التربوية فحسب؛ بل يرتبط بالفرد ارتباطاً وثيقاً لما له من دور في تقييمه من الناحية الاجتماعية والعلمية، وهو يؤمن له الارتقاء العلمي والاجتماعي، ويحقق له تقدراً مهماً للذات؛ مما يدفعه للزيد من المعرفة العلمية التي تعد أساس تقدم الأمم والمجتمعات البشرية. لكن التحصيل الدراسي لا يمكن أن يثبت نجاحه إلا بعد أن يتبعه تقييم سليم يبنى على بيانات ومعلومات فالتقييم مقوم أساسي من مقومات العملية التربوية والتعليمية، كما أنه يمثل نمط سلوكياً للإنسان في نواحي حياته المختلفة، فالإنسان يقوم أعماله وسلوكياته، ويقوم أوضاعه وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والنفسية.

وحيث إن مجالات تقييم المتعلم تتسع لتشمل جميع جوانب النمو في الأبعاد الجسمية والصحية والعقلية والمعرفية والاجتماعية ، فإن أدوات التقييم والقياس التي تستخدم في تقييم المتعلم لا بد أن تتنوع بحسب أغراض التقييم وتعدد مجالاته .

- أهداف البحث : تنحصر أهداف الدراسة في التعرف إلى:

- التعرف إلى درجة استخدام معلمي اللغة العربية لاستراتيجيات التقييم وأدواته.
  - تحديد درجة استخدام معلمي اللغة العربية لاستراتيجيات التقييم وأدواته تبعاً لعدد من المتغيرات كاللتنوع، وسنوات الخبرة، والدورات التدريبية.
  - مدى فاعلية استخدام استراتيجيات التقييم وأدواته.
- أهمية البحث : تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي :
- تنفيذ الدراسة الحالية المعلمين عامة ، ومعلمي اللغة العربية خاصة، وذلك بتحديد أهم استراتيجيات التقييم وأدواته التي يستخدمونها في تقييم العملية التعليمية التعلمية، وانعكاس ذلك على درجة استخدامهم لها .
  - تزويد الجهات المختصة في وزارة التربية والتعليم (المشرفين، إدارة المناهج، إدارة الاختبارات والتقييم) بصورة واضحة وحقيقية عن واقع استخدام معلمي اللغة العربية لاستراتيجيات التقييم وأدواته

في الجزائر، وتحديد الاستراتيجيات الأقل استخداما ليلم التركيز عليها، وأخذها بعين الاعتبار في برامج تدريب المعلمين.

- استقصاء أثر عدة متغيرات خاصة بالمعلمين حول درجة استخدامهم لاستراتيجيات التقييم ومنها: التخصص، سنوات الخبرة، والدورات التدريبية. ولما هذه المتغيرات من علاقة حول درجة استخدام المعلمين لاستراتيجيات التقييم وأدواته.

- عناصر البحث :  
ماهية التقييم .

العلاقة بين المتعلم والتقييم .

استراتيجيات التقييم المعتمدة في مناهج اللغة العربية : استراتيجيات التقييم التقليدية - استراتيجيات التقييم الحديثة

أدوات التقييم المعتمدة في مناهج اللغة العربية  
واقع تنفيذ استراتيجيات التقييم في الميدان .

الإطار النظري:

مقدمة :

يدرك المختصون في الشأن التعليمي والتربوي أن عملية التعلم لا تتم فقط عن طريق الاستماع أو المشاهدة أو الإحساس وإنما عن طريق تطوير البنى المعرفية للمتعلم التي تتغير على أساس تطوره وتطور خبراته فما يتعلمه الطالب يتركز بشكل نهائي على البيئة التعليمية التي يتعلم بها وعلى صفة المعلومة الجيدة أو طبيعتها. ولذلك لا بد أن نصل إلى طريق للحياة، التي تهتم بقيمة الأفراد الذين نعلمهم ونحترم مقدراتهم على النمو والنضج وعلى التفكير في مستقبلهم.

ومعنى ذلك أن المستخدم للوسيلة التعليمية عليه الإلمام الجيد بالأهداف ومحتوى المادة الدراسية وطريقة التدريس وطريقة التقييم حتى يتسنى له الأنسب والأفضل للوسيلة الناجحة لإحداث تغييرات هيكلية وإيجاد آليات فاعلة لإشراك المجتمع بكامله في عمليات التقييم والتطوير المحققة للآمال والتطلعات وذلك بوضع منهج واضح للمتابعة والتقييم ، من خلاله يمكن معرفة مدى ومستوى نجاح أو فشل العملية التعليمية ، وذلك بهدف إصلاح التعليم وتحسين منتجه والعمل على تطويره.

ولأن العملية التعليمية التعليمية مجموعة من العناصر المرتبطة والمتفاعلة يؤثر بعضها في بعض وأي خلل في أحد العناصر يكون له أثره في المكونات الأخرى، فإن التقييم في إستراتيجية التعليم يعد عنصرا من عناصر النسق التربوي لفعل التعليم والتعلم بل بمثابة جهاز التحكم في المنظومة التعليمية كلها ، والتي تتركز

بدورها على التنمية الشاملة للمتعلم ولا تكتفي باكتساب المعارف فحسب ، بل تعتمد بيداغوجيا اندماجية تكسب المتعلم كفاءات مستدامة يستخدمها في حياته لمواجهة الوضعيات المشككة .  
مفهوم التقييم :

التقييم عند ( كرونباخ Cronbach ) هو عملية الحصول على المعلومات بالاستفادة منها في عملية اتخاذ القرار المناسب فيما يتعلق بالبرنامج التعليمي والتربوي. ( كرونباخ ، 1983 ، ص 163 ) .  
وعرفه (غرونلند، Grondlund ) بأنه عملية منهجية ، تحدد مدى ما تحقق من الأهداف التربوية من قبل الطلبة ، وأنه يتضمن وصفا كليا وكيفيا ، بالإضافة إلى إصدار حكم على القيمة . (مصطفى نمر دعمس ، 2008 ، ص 12 ) .

وقيل أن التقييم هو عملية إصدار حكم على الشيء أو الشخص في ضوء درجة القياس وفي ضوء الأهداف المحددة ، وفي ضوء المعلومات الأخرى التي يتم الحصول عليها من مصادر مختلفة . (نوار الشاخي ، 2018 ، ص 08) .

وهناك من عد التقييم هو تلك العملية المنظمة التي يتم فيها جمع البيانات سواء كانت كمية أم كيفية باستخدام الأدوات المناسبة ، بهدف تحديد نقاط القوة والضعف في الشيء المراد تقييمه ، لعلاج نقاط الضعف وتنمية نقاط القوة . (عصام محمد عبد القادر ، 2017 ، ص 286) .

ويرى آخرون أن التقييم هو : " تحديد ما بلغناه من نجاح في تحقيق الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها بحيث يكون عوننا لنا على تحديد المشكلات و تشخيص الأوضاع ومعرفة العقبات والمعوقات بقصد تحسين العملية ورفع مستواها وتحقيق الأهداف " . (رشيد أحمد طعيمة ، 2008 ، ص 64) .

وفي مجال التربية والتعليم يعتبر التقييم هو العملية التي ترمي إلى معرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة للمنهج ، وكذلك نقاط القوة والضعف به ، حتى يمكن تحقيق الأهداف المنشودة... لاتخاذ قرارات موجهة بالمعلومات عن عمليات التعليم والتعلم . (نوار الشاخي ، 2018 ، ص 08) .

وأيا : " التقييم يقصد به تلك العملية المنهجية التي تتضمن جمع المعلومات عن سمة معينة بالقياس الكمي أو غيره ، ثم استخدام تلك المعلومات في إصدار حكم على تلك السمة في ضوء أهداف محددة سلفاً للتعرف على مدى كفايتها" . (عزيز سمارة وآخرون ، 1988 ، ص 12 )

من خلال التعريفات السابقة الذكر ، يتبين لنا أن مصطلح التقييم من المصطلحات التي يصعب وضع تعريف محدد لها، لما يثار حولها من الجدل بسبب ارتباط الكلمة بالعديد من فروع المعرفة فالتقييم مفهوم

مفتوح ، كما أن الأعمال سواء كانت فكرية أم مهارية أم مرتبطة بالجانب الوجداني تختلف عن بعضها البعض وتتغير من جيل إلى آخر .

العلاقة بين المتعلم والتقييم : يعد المتعلم محور العملية التعليمية التي تتوجه إليه عملية التعليم وفقا لخصائصه المعرفية والوجدانية والفردية ، بحيث يشارك فيها بفعالية، والتقييم يشكل قوة محرّكة لنشاط التلاميذ من خلال تعريفهم بمدى التقدم الذي حققوه مما يقدم لهم تغذية راجعة تفيدهم في المستقبل، كما أن للتقييم أهمية كبرى في توجيه وإرشاد التلاميذ في حياتهم الدراسية واختيارهم المجال المهني أو العلمي طبقاً لقدراتهم وميولهم واتجاهاتهم، وكذلك مستوى الطموح لديهم .(أمين علي محمد سليمان ، 2010 ، ص101)

من خلال التقييم التربوي يستطيع كل متعلم معرفة مستوى أدائه الدراسي، فيقارن بين هذا المستوى، وما بذله من جهود خلال فترة معينة، مما قد يدفعه إلى المزيد من التحصيل والتقدم في المجال المعرفي والسلوكي، فالتقييم يمثل للمتعلم حافزاً يدرك من خلاله موقعه بين زملائه في القسم، وقد يدفعه هذا إلى تحسين عمله الدراسي وتنظيمه أكثر، خاصة إذا كان التقييم يتصف بالصدق والموضوعية من طرف واضعيه من خلال أدوات القياس كالاختبارات مثلاً. رفيق ميلود ، 2012 ، ص 21).

يبدو أن عملية تقييم المتعلم ذات أهمية خاصة من بين باقي العناصر المكونة للعملية التعليمية من عناصر مادية وبشرية إذ بالرغم من أن المتعلم أحد هذه العناصر إلا أنه في واقع الحال محور العملية التعليمية بأجمعها وأساسها وغايتها ويجب أن يكون التقييم مرتبطاً بأهداف العملية التعليمية ولذلك أصبح التركيز ليس فقط على الجانب المعرفي وإنما الاهتمام بالجوانب الأخرى ، ولكن السؤال الأكثر دورانا فيما يتعلق بهذا العنصر خاصة هو الآتي :

ما الذي نقوم به لدى المتعلم ؟

والإجابة هي كالتالي : نقوم ما يلي :

1. المجال الانفعالي الوجداني : (الاتجاهات والميول والقيم).
- 2 - المجال النفسي حركي: المهارات العملية (اليدوية) التي أتقنها المتعلم نتيجة التعلم.
- 3 - المجال المعرفي: اختبارات التحصيل بأنواعها.

استراتيجيات التقييم المعتمدة في تقييم تعليم اللغة العربية:

استراتيجيات التقييم التقليدية : لقد ظلت التربية في العصور القديمة تنظر إلى اللغة على أنها مادة دراسية تعلم لذاتها، وقد غالت تلك التربية القديمة التقليدية في هذه النظرة وأهملت كثيرا من النواحي الوظيفية للغة ، وقد نشأ عن هذه النظرة القديم كثير من الأخطاء يرجع بعضها إلى المناهج الدراسية وبعضها إلى

طرائق التدريس ، وبعضها إلى تحديد الغاية من درس اللغة ، فضلا عن كون المعلم هو مركز أو محور الدائرة في العملية التعليمية، أما موقف المتعلم فهو سلبي للغاية ، وهذا النظام يخضع لمنظومة خطية ، فالمكون الأول وهو الأهداف التعليمية يتلوه مكون تنفيذ العملية التعليمية ثم مكون الحكم على نجاح العملية التعليمية بالنجاح أو الفشل ، وهذا يجعل التقويم لا يحقق أهدافه في تحسين التعليمية، لكونه يقتصر على الامتحانات النهائية أو الاختبارات والحكم عليه ، ونظم الامتحانات أصبحت بالية وقديمة حيث أنها تقيس قدرات الطالب في لحظة معينة أو تقيس قدرة واحدة من قدراته ، أو جانب واحد من جوانب التعلم ( المعرفي : تذكر - حفظ ) وتتجاهل أنواع وجوانب وقدرات أخرى لدى المتعلم ( قدرة المتعلم على تطبيق فهمه ومعارفه ومعلوماته في مواقف حياتية ) ، لأن اللغة العربية كمادة دراسية تهدف أساسا إلى الوصول بالمتعلم إلى الأداء اللغوي السليم تعبيراً وفهماً بما يتضمنه من مهارات سواء أكانت قراءة أم كتابة أم حديثاً أم استماعاً وتوظيف هذه المهارات في الحياة العملية توظيفا موفقا، وقد أثبتت الدراسات أن الثبات على الأساليب التقليدية في التقويم، والركون إلى الأنماط الشائعة من الاختبارات المقالية وحدها، والعجز عن وضع تصور متكامل لقياس مختلف أهداف منهج اللغة العربية عن الطلاب ... كل هذا كان كفيلا بأن يحد من فعالية التقويم كبعد رئيسي من أبعاد المنهج، وكأداة رئيسة من أدوات التطوير" (طعيمة، رشدي أحمد ، 2003 ، ص24) .

وبذلك فإن الاعتماد على استراتيجيه الورقة والقلم في التقويم اللغوي غير مجد لا سيما مع بعض المهارات التي تتطلب توظيف الجانب الأدائي فيها ، كالاستماع والتحدث والقراءة وبعض مهارات الكتابة. فما " يجري في المدارس الجزائرية من اختبارات وامتحانات ، وما يسمى فروضا ليست تقويما نظرا لما يخضع إليه التقويم من شروط أولها الانطلاق من الأهداف العامة للبرنامج المدرسي ، وتحديد الهدف من عملية التقويم ، و ليست مراقبة بالمعنى الصحيح نظرا لغياب الهدف الدقيق من إجراءاتها ، ونظرا لغياب أهم عنصر فيها وهو تحديد العجز أو النقص، وبناء استراتيجيه خاصة لعلاجه حسب الفروق الفردية " (محمد مقداد وآخرون ، 1998 ، ص299) .



فالمتعلمون أثناء فترة الامتحانات يعتمدون على قدرتهم الفائقة على الحفظ ، وهذه الطريقة قد تؤدي إلى توتر المتعلم وأولياء الأمور والمجتمع مما يؤدي إلى ظهور ممارسات غير مشروعة منها غش المتعلم ( لأن الامتحان هو الذي يحدد مصيره) وهذا ينجم عنه نتائج اجتماعية مدمرة.

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	33	%98
لا	3	%02
المجموع	36	%100

الاحتمالات في الجدول هي إجابات لسؤال طرح على عينة من المعلمين ( 33 معلما ) .  
التكرار في الجدول بمعنى عدد المعلمين .

السؤال مفاده : هل يعتمد المتعلمون على الحفظ أثناء فترة الامتحانات ؟

من خلال الجدول تبين لنا أن نسبة التلاميذ الذين يعتمدون على الحفظ أثناء فترة الامتحانات بلغت %98 وهي نسبة مرتفعة جدا ومرددا إلى طبيعة الأسئلة التي تتطلب استظهار المعلومات والمعارف وذكر المكتسبات القبلية التي تلقاها المتعلم أثناء التحصيل الدراسي.

الحقيقة أن الاختبارات التقليدية، تتلاعب بثقافة التعليم ، لأنها تركز مبدأ التنافسية ، فيصبح الشغل الشاغل للمعلم هو رفع مستوى المتعلم لاجتياز الامتحانات المعيارية بدلا من تطوير مهارات التفكير

النقدي لديه وتشجيعه ليغدو عضوا منتجا في المجتمع ، وبالتالي يتحول الامتحان إلى معول هدم للإبداع والعطاء .

استراتيجيات التقييم الحديثة:

تبنّت التربية الحديثة معطيات مفادها أن عصرنا هو عصر تفجر المعرفة ، عصر العلم والتكنولوجيا ، فعمدت إلى استخدام الوسائل المعينة في تدريس اللغة ، وذلك بتدريب المتعلم على فنون اللغة الأربعة : التحدث والكتابة والاستماع والقراءة ، فيصبح المتعلم بذلك قادرا على الكلام للتعبير عما في نفسه تعبيرا صحيحا ، و محسنا للاستماع لفهم ما يلقي عليه ، و متمكنا من آليات التعبير الكتابي السليم بغية الإفهام ، وقادرا على القراءة للفهم ونشر هذا الفهم في أدب الحي . (حسيب عبد الحليم شعيب ، 2015 ، ص 17) .

وعلى ضوء هذه التغييرات شهدت السنوات الأخيرة ثورة في مفهوم التقييم وأدواته ، إذ أصبح للتقييم أهدافا جديدة ومتنوعة ، فقد اقتضى التحول من المدرسة السلوكية - التي تؤكد على أن يكون لكل درس أهداف عالية التحديد مصبوغة بسلوك قابل للملاحظة والقياس - إلى المدرسة المعرفية التي تركز على ما يجري بداخل عقل المتعلم من عمليات عقلية تؤثر في سلوكه ، والاهتمام بعمليات التفكير وبشكل خاص عمليات التفكير العليا مثل بلورة الأحكام واتخاذ القرارات ، وحل المشكلات باعتبارها مهارات عقلية تمكن الإنسان من التعامل مع معطيات عصر المعلوماتية ، وتفجر المعرفة ، والتقنية المتسارعة التطور . وبذلك أصبح التوجه للاهتمام بنتائج تعلم أساسية ، من الصعب التعبير عنها بسلوك قابل للملاحظة والقياس يتحقق في موقف تعليمي محدد . ( عبد السلام الشيباني خليفة ، 2014 ، ص 485) . ولم يعد التقييم مقصورا على قياس التحصيل الدراسي للمواد المختلفة، بل تعداه إلى قياس مقومات شخصية الطالب من شتى جوانبها، وبذلك اتسعت مجالاته وتنوعت طرقه وأساليبه واستراتيجياته، وأصبح التقييم مهتما بالعمليات العقلية العليا والتفكير الناقد والإبداع.

وفي ضوء هذه الانتقادات والاتجاهات وفي ضوء ما توصلت له العديد من الدراسات في مجال تقييم الطالب إلى قناعة بأن أسرع السبل إلى تغيير عمليات التعلم وتطويرها هو السعي إلى تغيير وتطوير نظام التقييم ، الأمر الذي سيؤدي حتما وبالضرورة إلى تطوير عمليات التعلم وطرق التدريس وتمتد إلى تطوير أهداف العملية التعليمية ، وقد دعت التوجهات الحديثة في مجال القياس والتقييم التربوي إلى نوع من التقييم يعرف بالتقييم البديل يتم فيه استخدام الأساليب غير التقليدية في الحكم على إنجاز الطالب وأدائه، ويعتمد على مجموعة من الاستراتيجيات نذكر منها :

استراتيجية تقييم الجانب المعرفي:

ويشمل الأهداف التي تعبر عن الجوانب المعرفية التي تتضمنها العملية التعليمية التعلمية في التدريس و تمثل نتائج التعلم المعرفية أهم الجوانب التي تسعى التربية إلى تعهدها وإثرائها في شخصية المتعلم لذلك فقد تم التركيز عليها بصورة ملحوظة في الممارسات التربوية منذ القدم بل إن أقدم المناهج الدراسية و هو منهج المواد الدراسية قائمٌ عليها محتفى بها ، وقد ترتب على هذا الاهتمام أن ابتكر لها التربويون أدوات و أساليب عديدة لقياسها و تقويمها و متابعة نموها في المتعلم .ومن أهم الأساليب التقييمية وأكثرها ممارسة و شهرة في مدارسنا الاختبارات التحصيلية بأنماطها المتعددة وندلخصها في المخطط الآتي :



تعد الاختبارات التحصيلية Achievement test من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المعلمون لتقويم التحصيل الدراسي و هي الوسيلة الأكثر شيوعا وانتشارا من بين تلك الوسائل المستخدمة في عملية التقويم ، فهي أداة للقياس للتحقق من وجود السلوك المتوقع واكتشاف درجة إتقان هذا السلوك، وتمثل في مجموعة من الأسئلة تقدم للطلبة ليجيبوا عنها، وتنقسم إلى:

الاختبارات الشفهية oral Tests:

تعد وسيلة تقييمية لا غنى عنها في تقويم التحصيل، وتستخدم لتقوم قدرة المتعلم على القراءة الصحيحة، والنطق السليم لجميع المواد الدراسية ، والتعبير والمحادثة ، كما أنها تستخدم بعد الانتهاء من مرحلة العرض لكل درس للسؤال عن جوانب الدرس المشروح وكذلك في مجال الحكم على مدى استيعابه للحقائق والمفاهيم، كما يمكن عن طريق الاختبارات الشفهية

الكشف عن أخطاء المتعلمين وتصحيحها في الحال ويستطيع المتعلمون الاستفادة من إجابات زملائهم ، لأن الأسئلة فيها توجه إلى المتعلم مشافهة وتستعمل في مجالات معينة من التحصيل .

الاختبارات التحريرية : تقدم الأسئلة للمتعلم مكتوبة ويجب عنها كتابة ، وتنقسم بدورها إلى نوعين :

الاختبارات المقالية Essay Tests : فهي نوع من الأسئلة التي تعتمد على الإجابة الحرة للطالب ، تتطلب الإجابة عن السؤال كتابة فقرة أو عدة فقرات ، ويسمح للمتعلم الاسترسال في الإجابة .

الاختبارات الموضوعية Objective Tests : وسميت كذلك لأن تصحيحها يتم بطريقة موضوعية، فلا تؤثر ذاتية المعلم في تصحيحها لأن إجاباتها محددة ومعروفة، وبالتالي لا تختلف الدرجة التي يحصل عليها الطالب باختلاف المصححين، وتطلب الإجابة على الأسئلة الموضوعية أن يقوم الطالب باختيار الإجابة الصحيحة من بين عدة بدائل أو يضع إشارة على العبارة الصحيحة أو يكمل جملة أو عبارة ناقصة ، ومن أمثلة الاختبارات الموضوعية ، نذكر :

أسئلة الاختيار من متعدد : وهذه الطريقة من أكثر الطرق الموضوعية انتشارا واستخداما من المعلمين لأهميتها ، وتكون من :

المتن ( الأرومة- الأصل ) : ويكون على شكل سؤال أو جملة ناقصة .

الموهات ( البدائل ) : وتكون البدائل ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

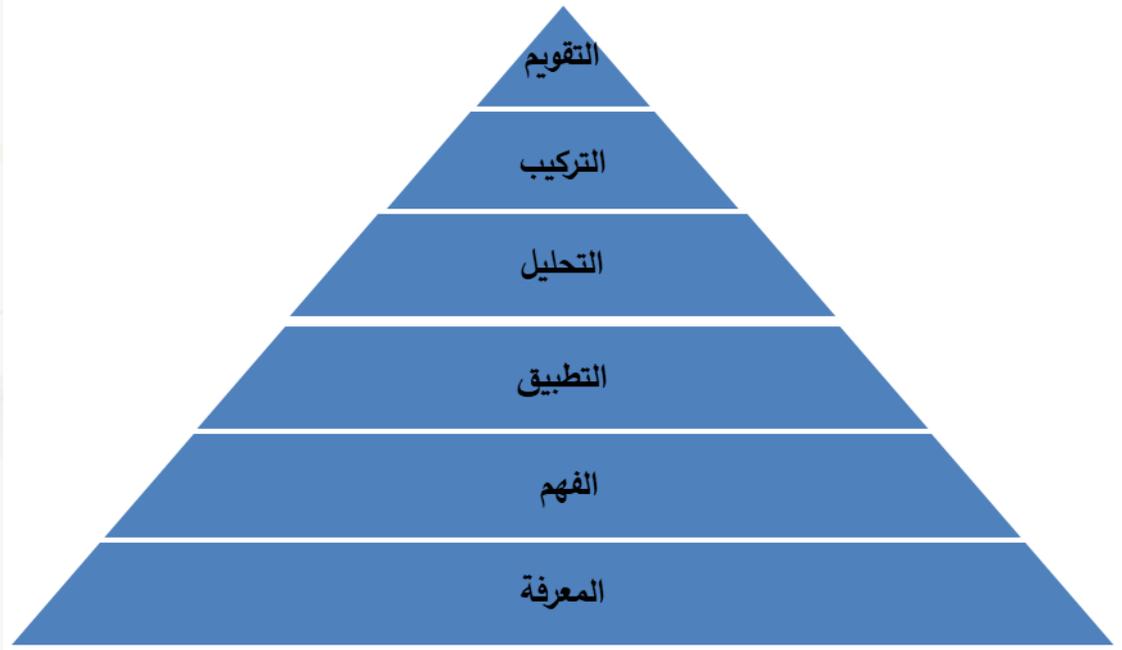
أسئلة الصواب و الخطأ : تقدم للمتعلم مجموعة من العبارات ويطلب منه ، تحديد ما إذا كانت المعلومة صحيحة أو خاطئة ، بوضع إشارة معينة في المكان المناسب ، وأحيانا يطلب منه تصحيح الإجابة الخاطئة .

أسئلة المزوجة ( المقابلة ) : يقدم للمتعلم قائمتين تتضمن كل قائمة مجموعة من البنود ويطلب منه ربط كل بند في القائمة الثانية بالبند الذي يناسبه في القائمة الأولى .

أسئلة التكملة ( الفراغات ) : يقدم للمتعلم عبارة ناقصة ويطلب منه تكملة العبارة بالكلمة المناسبة .

وحسب تصنيف بلوم للأهداف في المجال المعرفي والتي تتكون من ستة مستويات ، فإن هذه المستويات تشبه السلم ، فعلى المتعلم أن يمر عليها تصاعديا من درجة إلى أخرى ، لأن كل مستوى يفرض وجود المستوى الذي يسبقه :

• وهي كالآتي



- مستوى المعرفة ( الحفظ والتذكر ) : بمعنى التأكد من تنمية قدرة المتعلمين على استرجاع كل من الكلمات، والجزيئات والعمليات، والأنماط وكافة النشاطات الذهنية التي نتمتع بالحفظ والتذكر. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69).
- و يقتضي على الطالب في هذا المستوى استرجاع المكتسبات القبلية ( المعلومات التي درسها سابقا)، هناك بعض الأفعال السلوكية التي تدلل على هذا المستوى : أن يعرف أن يصف ، أن يحدد ، أن يذكر ، أن يعدد ، أن يصف ، أن يسترجع ..
- مستوى الفهم : أي استيعاب المحتوى التعليمي أو الموضوع الدراسي و تنمية القدرة على إعطاء تفسيرات وتعريفات للمفاهيم و الأفكار التي يتعامل معها المتعلم ...أي النشاط الذهني الذي يعبر عن إدراك المتعلم. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69) .
- يقوم المتعلم في هذا المستوى بترجمة المعلومات المقدمة له وتفسيرها واستنتاجها بالاعتماد على بعض الأفعال السلوكية: أن يفسر ، أن يشرح ، أن يلخص ، أن يترجم ، أن يوضح ، أن يفرق ، أن يميز ، أن يعلل ، أن يمثل ، أن يلخص.
- مستوى التطبيق : وهو النشاط الذهني الذي يعبر عن القدرة في توظيف النظريات والأفكار المجردة في مواقف مادية محسوسة. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69) .

بمعنى استخدام وتوظيف المعلومات والنظريات التي تلقاها في مواقف جديد، ومثال ذلك أن يطلب من الطالب إعراب جمل جديدة اسمية أو فعلية لم يتعرض لها من قبل ، بعد أن تعلم قاعدة الإعراب ، يريد أن يطبق ويوظف القاعدة الإعرابية.

ومن الأفعال السلوكية التي تستخدم في هذا المستوى ، نذكر : أن يطبق ، أن يستخدم ، أن يحسب ، أن يبرهن ، أن يستخرج ، أن يعرب ، أن يبين ، أن يرسم .

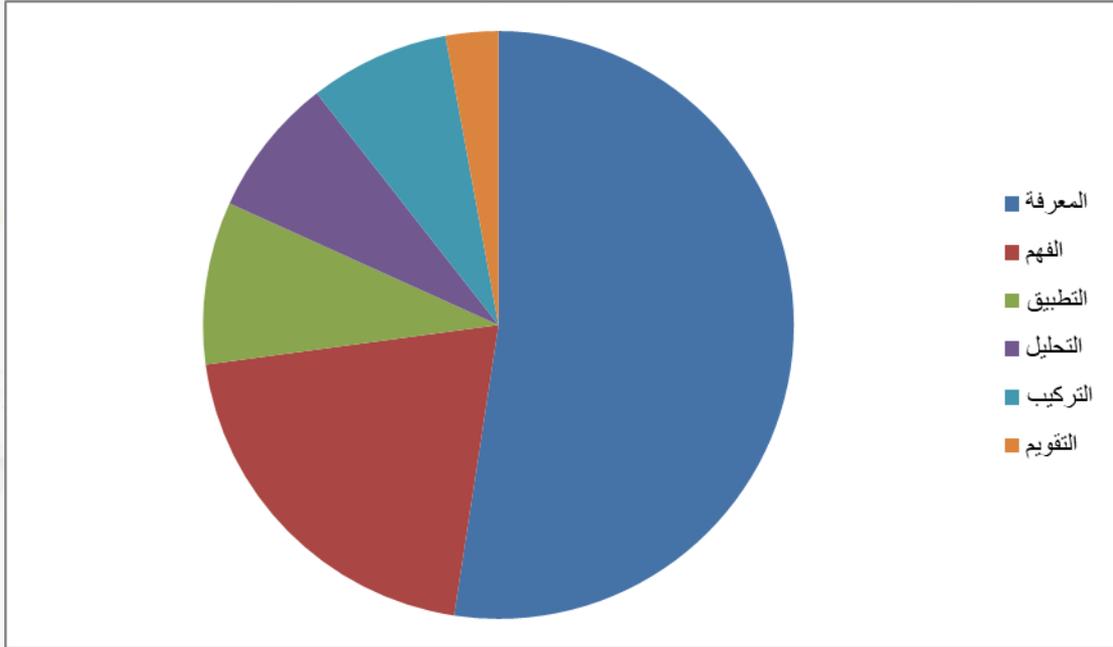
• **مستوى التحليل :** أي القدرة على تجزئة المركب والمعرفة أو الموقف إلى عناصره وتحميل الكل إلى الأجزاء التي يشتمل عليها ، مع إدراك العلاقة بينها والقدرة على رؤية التفاصيل والعلاقات التي تربط فيما بينها ، كأن يحلل مكونات موقف تعليمي معين إلى عناصره الأولية ، أن يبين بعض الخصائص لأفعال معينة ، أن يحقق القصيدة إلى أفكار . (أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563) .  
ومن الأفعال السلوكية التي تستخدم في هذا المستوى ، نذكر : أن يحلل ، أن يدعم ، أن يستشهد ، أن يحدد النتائج والأسباب....

• **مستوى التركيب :** وهو عكس التحليل ، وهو القدرة على تجميع الأجزاء في كل متكامل وفق مبدأ معين ، ورؤية النسق الذي يحكم بين الأجزاء في وحدة . (أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563) .  
وفي الغالب يأتي المتعلم في هذا المستوى بأفكار أو خبرات جديدة ، كأن يقدم حلا لمشكلات مختلفة ، أو أن يركب ، أو يقترح .

• **مستوى التقويم :** وهو أعلى مستويات المعرفة عند بلوم حيث يكون المتعلم قادرا على وصف الأشياء ، وتقييمها ، وتقويمها والحكم عليها ، وإبداء الرأي فيها ، من خلال الرجوع إلى محكات و معايير معينة صادقة وموضوعية ، ومن ثم اتخاذ القرار بشأنها . (أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563) .

ومن الأفعال السلوكية التي تستخدم في صياغة أسئلة التقويم : أن ينقد ، أن يقترح ، أن يقدم ، أن يعبر عن وجهة نظر .....

وتمثل نواتج التعلم لهذا المجال أعلى مستويات التعلم في المجال المعرفي ، لأنها تتضمن عناصر من كافة المستويات السابقة .



يمثل الشكل متوسطات المستويات العقلية التي يراعيها المعلمون لدى وضعهم الأهداف المعرفية في خططهم الدراسية .

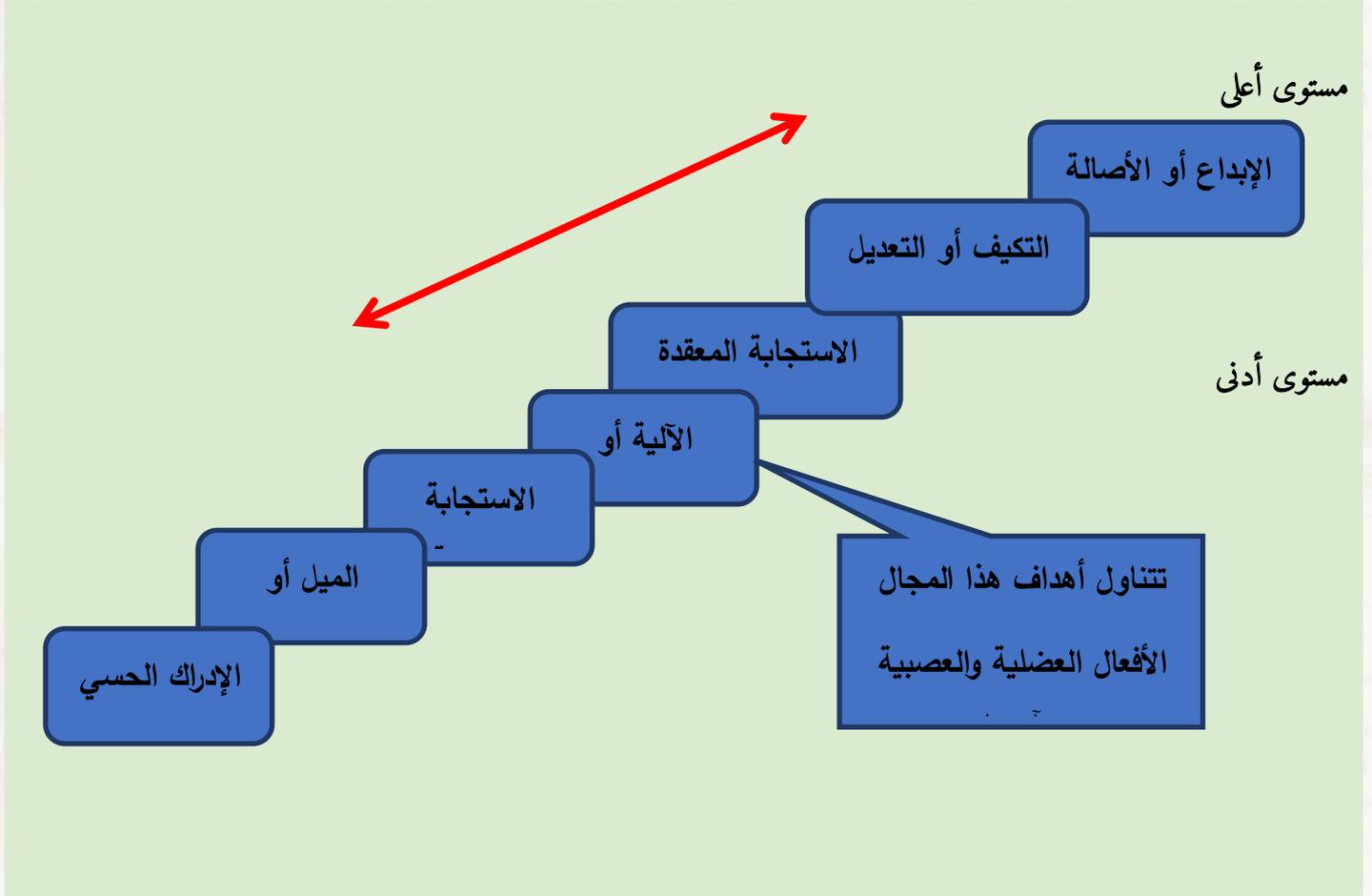
ويظهر الشكل، أن أكثر الأهداف التي يراعيها المعلمون أثناء تخطيطهم للدروس هي أهداف المعرفة ويلها أهداف الفهم ، فأهداف التطبيق ، ثم أهداف التحليل والتركيب على التوالي ، وأخيرا أهداف التقويم.

إستراتيجية تقويم الجانب المهاري (النفسحركي) :

وتشمل هذه الإستراتيجية الأهداف التي تعبر عن الجوانب المرتبطة بالعمل والمهارات اليدوية والحركية ، وهي تعالج المهارات التي تتطلب استخدام عضلات الجسم في العمل والبناء ، كالسباحة والرمي، والقدرة على تناول الأدوات واستخدام الأجهزة ، كاستخدام الكمبيوتر وتصميم الأجهزة ، فالمهارة : هي القدرة على أداء معين يتطلب التناسق الحركي والنفسي والعصبي بدقة وسرعة، وفي وقت محدد بدون أخطاء، و تحوي هذه الإستراتيجية سبعة مستويات حسب تصنيف إليزابيث سمبسون (Simpson Elizabeth) ،

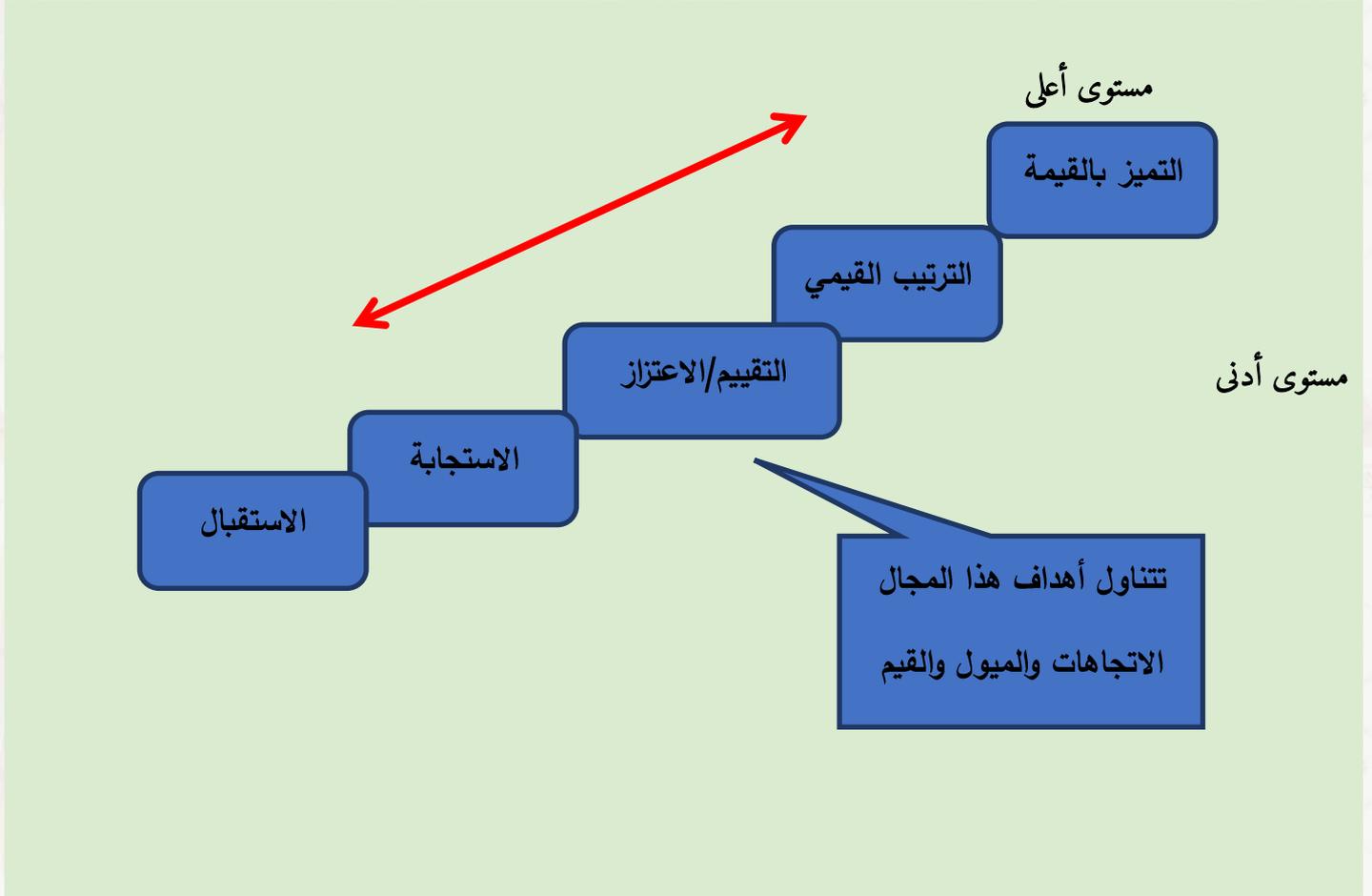
لنخصها في الشكل الآتي :

مستويات أهداف المجال المهاري



### إستراتيجية تقييم الجانب الوجداني ( الانفعالي):

يمثل الجانب الوجداني أحد الجوانب المهمة في شخصية الفرد بشكل عام وشخصية المتعلم بشكل خاص، مما يستدعي التركيز عليه في العملية التعليمية، وتهتم الأهداف في هذا المجال بتطوير الجوانب الانفعالية والاجتماعية لدى المتعلم والمتمثل في القيم و المشاعر والاتجاهات والميول والاتجاهات والعادات والتقاليد. وقد صنف كراثول (Krathwohl) أهداف المجال الوجداني أو الانفعالي في خمسة مستويات في ترتيب هرمي، تبدأ بالسهل اليسير وتنتهي بالمعقد والصعب. والشكل الآتي يظهر تصنيف كراثول لمستويات المجال الوجداني.



### تصنيف كراول لمستويات المجال الوجداني

- أدوات التقييم المعتمدة في مناهج اللغة العربية :
- يوجد أدوات تقييم مختلفة ومتنوعة يتم من خلالها تقييم التحصيل الدراسي للمتعلم ، ويعتمد اختيار الأداة المناسبة على أسلوب التقييم المتبع ن ويعتمد أيضا على المعلم نفسه (نورا الشاخر ، 2018 ، ص 10 ) ، ويمكن تصنيف التقييم إلى فئتين :
- الفئة الأولى: تضم أدوات التقييم الاختبارية التي تستند إلى الاختبارات بكافة أنواعها في عملية القياس، وتشمل هذه الفئة الاختبارات المقننة ، مثل: الاختبارات التحصيلية.
- الفئة الثانية : تضم أدوات ووسائل التقييم غير الاختبارية ، أي التي لا تستند على الاختبارات في عملية القياس. وتشمل هذه الفئة أدوات التقييم التقديرية التي تعتمد على التقدير في عملية القياس ،

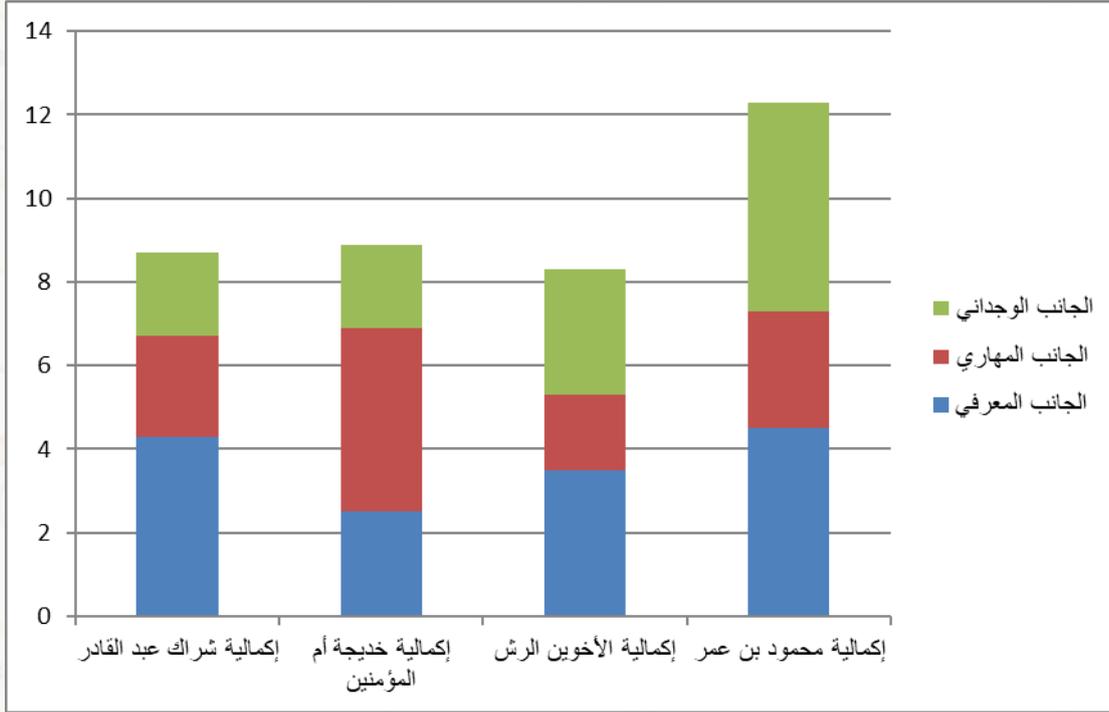
- ومن أهمها: قوائم الملاحظة ، قوائم الرصد ، قوائم التقدير ، السجل القصصي ، سجل وصف سير التعلم ( نورا الشاخر ، 2018 ، ص 10 ) .
- فالمقررات الجديدة في اللغة العربية تؤكد على أهمية تنوع أدوات التقويم وتعددتها ، لأن ذلك على قياس مستوى تفاعل الطالب وردود فعله وسلوكه أثناء المواقف التعليمية وبالتالي تقديم التوجيه المناسب له، غير أن أبرز أدوات التقويم المعتمدة في مناهج اللغة العربية القائمة على اقتصاد المعرفة فهي :
  - قائمة الرصد ( الشطب ) : Check List
  - وتعد من الأدوات المناسبة لقياس مدى تحقق النتاجات التعليمية لدى الطلبة ويستجاب على فقراتها باختيار أحد التقديرين من الأزواج الآتية : ( صح - خطأ ) ، ( مرض - غير مرض ) ، ( نعم - لا ) ، ( موافق - غير موافق ) .
  - سلم التقدير Rating Scale :
  - من الطرق التحليلية في تقدير مكونات الأداء كل على حدة ، بحيث لا يؤثر تقدير أي مكون من مكونات الأداء على تقدير بقية المكونات . ويتم تقدير كل مكونة على متصل أو سلم تقدير يشتمل على أقسام أو نقاط متدرجة وليست ثنائية كما في قوائم الشطب ، وهو عبارة عن أداة مؤلفة من عدة فقرات ، كل فقرة تعبر عن سلوك بسيط يخضع إلى تدرج من عدة مستويات ، يتم تحديدها مسبقا بما يتلاءم مع السمة المقاسة والمرحلة العمرية للملاحظة، ومصادر الأخطاء المحتملة ، ويستجاب على فقراتها برقم أو لفظ يعبر عن مدى تدني أو ارتفاع مهارة التحصيل ، وتوجد أنواع متعددة من سلم التقدير.
  - سجل وصف سير التعلم Learning Log :
  - عبارة عن سجل يكتبه الطالب خلال فترة من الزمان أثناء قيامه بواجب محدد ( مواضيع إنشائية ، عبارات حول بعض الأشياء التي قرأها وتعلمها أو شاهدها أو مر بها خلال دراسته لمساق دراسي أو في حياته الخاصة ) ويمكنه التعبير عن آرائه بكل حرية في هذا السجل ، ويتطلب من الطالب أن يكون عمله منظما وأن يقوم بإدخال المعلومات في هذا السجل بانتظام، ليتسنى لكل من المعلم والطالب ملاحظة التقدم الحاصل .
  - السجل القصصي (سجل المعلم) :
  - السجل القصصي: وهو يشبه إلى حد ما سجل وصف سير التعلم، ولكنه سجل يحتفظ به المعلم ( ويكون لديه سجل خاص منفرد لكل متعلم ) ، ويسجل فيه ما يفعله المتعلم والحالة التي تمت عندها الملاحظة، ويحتوي السجل على ملاحظات المعلم عن سلوك المتعلم وفروضه المدرسية وملاحظاته عن

الأنماط المتكررة لديه مبيّنة بالمكان والتاريخ، ويتم تسجيل الأحداث فيه بطريقة وصفية. ويُعدّ السجل القصصي أداة تقويم حديثة تساعد على تقويم المتعلم تقويماً واقعياً وشاملاً لجميع النواحي المختلفة لتحصيله المعرفي، ويمكن استخدامه لأغراض تنبئية أو إرشادية أو غيرها من الأغراض. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا السجل يأخذ وقتاً في الإعداد حيث يتم عمله على مدى فصل دراسي كامل ولا يمكن استخدامه في عمل تقويم سريع وآني للمتعلم.

- ولاستخدام أدوات التقويم- السالفة الذكر- بأفضل طريقة ممكنة، يجب على المعلم أن يجزئ المهارة أو المهمة إلى مجموعة من المهارات أو المهام الأصغر حيث يتم تقويم وقياس كل منها على حدة بشكل دقيق.

- واقع تنفيذ استراتيجيات التقويم في تعليم اللغة العربية:
- تم إجراء البحث على عينة قوامها 36 أستاذاً وأستاذة في مادة اللغة العربية يختلفون باختلاف جنسهم ونوع تكوينهم. سحبت من مجتمع قدره 545 أستاذاً للتعليم المتوسط.
- أجريت الدراسة بأربع إكاليات تربوية ( للتعليم المتوسط) تقع بولاية الأغواط وهي إكالية شراك عبد القادر، إكالية الإخوة الرش، إكالية محمود بن عمر، إكالية خديجة أم المؤمنين. وقد تم اختيار هذه الإكاليات بطريقة عشوائية، حيث شملت مجموعة من أساتذة اللغة العربية والذين يمثلون عينة البحث للإجابة عن السؤال الآتي .

- ما هو الجانب الذي يحظى باهتمام كبير أثناء عملية التقويم من بين الجوانب الآتية
- الجانب المعرفي - الجانب النفسحركي - الجانب المهاري ؟
- نجاءات النتائج على الشكل الآتي :



الغرض من السؤال : معرفة مدى تنفيذ استراتيجيات التقييم الشامل ( الجانب المعرفي - الجانب المهاري - الجانب الوجداني ).

التحليل : يتبين من خلال الجدول أن هناك تفاوت بين الإكاليات التربوية ( عينة البحث ) في تنفيذ استراتيجيات التقييم الشامل ، فقد حظي تقييم الجانب المعرفي بنسبة عالية في إكمالية شراك عبد القادر وإكمالية محمود بن عمر ثم تليهما إكمالية الأخوين الرش وفي الأخير إكمالية خديجة أم المؤمنين ، ويرجع ذلك إلى أن الجانب المعرفي غالبا ما يقاس بالامتحانات الكتائية والتي تساعد المعلم على رصد التطورات اللغوية والفكرية للمتعلم ، أما الجانب المهاري (النفس حركي) فقد حصد نسبة عالية لدى أساتذة إكمالية خديجة أم المؤمنين ، ومرد ذلك إلى أن أساتذة اللغة العربية في هذه الإكالية من حملة شهادة علم النفس التربوي ويدركون أن الجانب المهاري من الجوانب الهامة التي تساهم في النمو السليم والصحيح للمتعلم فضلا عن علاقة هذا الجانب بالتحصيل الدراسي.

أما المفاجئة الحقيقية فهي التي ظهرت في متوسطة إكمالية محمود بن عمر حيث بلغت نسبة الاهتمام بالجانب الوجداني نسبة كبيرة مقارنة بالجانبين الآخرين ، مع أن هذا الجانب - عادة - ما لا يلقى اهتماما ملحوظا لدى المعلمين لاعتبارات خاطئة ، مع أنه لا يقل أهمية عن الجانب المعرفي والجانب المهاري بل حتى يفوقهما ، ومرد هذه النسبة الكبيرة للجانب الوجداني في هذه الإكالية كون أساتذة

اللغة العربية هم أساتذة الشريعة الإسلامية ، والتعليم في بلادنا قائم على أسس متينة مستمدة من شريعتنا الإسلامية السمحاء ( شريعة تخاطب العقل والقلب معا ) .

- توصيات البحث :
- في ضوء ما تم عرضه فإن الباحث يقدم مجموعة من التوصيات التي من شأنها أن تفيد صناع القرار في المجال التربوي لاتخاذ القرارات من أجل أغراض التحسين والتطوير للأفضل فيما يتعلق بعملية التقييم والعملية التعليمية بصفة عامة ، لتواكب التطورات العالمية المعاصرة :
- نوصي الخبراء والمختصين بضرورة الاهتمام بالتقييم التربوي في مؤسساتنا التربوية بشكل أكبر باعتباره ركنا أساسيا من أركان العملية التعليمية.
- إعادة النظر في النظام التقليدي للتقييم الذي تبين عدم كفايته في تقييم تعلم المتعلم ، وفي تشخيص أدائه والحكم على كفاءاته.
- إعادة النظر في أغراض وأدوات التقييم وربط التقييم بالحياة من خلال تبني أساليب التقييم الحديثة.
- تبني تقييم بديل و جديد متعدد الأبعاد لتقييم المتعلمين ، يركز على جميع الجوانب ( المعرفية - المهارية - الوجدانية ) ، والتي من شأنها أن تكشف عن قدرة المتعلم على ابتكار نتاجات واقعية .
- إعداد دليل للمعلم لاستخدام أساليب التقييم الحديثة في جميع المراحل التعليمية .
- ضرورة تكوين المعلم في مجال التقييم التربوي ، وكيفية التطبيق الجيد لاستراتيجيات التقييم الحديثة.
- إعداد المعلم فنيا من خلال عقد المزيد من الدورات و الندوات للتعريف بأساليب التقييم الحديثة ، والتعاون مع مؤسسات التعليم العالي في هذا المجال خاصة في كليات وأقسام التربية .
- ضرورة تقليص عدد المتعلمين في الصف المدرسي ليتمكن المعلم من تطبيق هذه الأساليب التقييمية الحديثة بأريحية ، وحتى يكون عندها أكثر مصداقية ، لأن طريقة التقييم الجديدة تتطلب الكثير من الجهد والوقت.
- ضرورة تحويل التقييم إلى عملية ممتعة وعادلة وشمولية تختبر ما يعرفه المتعلم فعلا كما تختبر كيفية أدائهم وتعمل على تنمية مهارات التعلم وتحقيق الذات.
- خاتمة :
- يعتبر التقييم التربوي من المواضيع المهمة جدا في ميدان التربية والتعليم ، ونظرا لأهمية أساليب التقييم يظهر تأثيرها على تحصيل التلاميذ، والأساليب التقييمية متنوعة لكن المعلم هو الذي يمتلك

المهارات والقدرات التي تؤهله لاختيار الإستراتيجية الأنسب لتقويم تحصيل تلاميذه ومعرفة نقاط ضعفهم وقوتهم، في جانب من جوانب التقويم الشامل ( الجانب المعرفي ، الجانب المهاري ، الجانب الوجداني).

- نسبة كبيرة من المعلمين لا تزال تطبق استراتيجيات التقويم القديم القائم على تشخيص الجانب المعرفي وإهمال الجوانب الأخرى ، وذلك بالتركيز على الامتحانات الكتابية .
- تركيز المعلمين على المجال المعرفي و السلوكي دون غيرها أدى إلى خلق فجوة بين المجالات الثلاث.
- اكتظاظ قاعات الدرس بالمتعلمين ، وكثافة البرنامج الدراسي تمنعان المعلم من تطبيق استراتيجيات التقويم الحديثة و التي تتطلب جهدا كبيرا ووقتا طويلا.
- قلة الخبرة ، هذه الأخيرة تؤدي دورا مهما في تطبيق استراتيجيات التقويم الحديثة فضلا عن عدم خضوع المعلمين لدورات تكوينية في هذا المجال .
- قلة توفر الوقت الكافي لمعلم اللغة العربية لتنمية الجوانب الوجدانية داخل الفصل . حيث أن عدم توفر وقت غير وقت الحصة يؤدي إلى إهمال هذه الجوانب الوجدانية.
- خلو المفاهيم الحديثة في عصر العولمة من القيم الوجداني، لكونها مرتبط بالجانب العقائدي.

#### الهوامش :

- ( كرونباخ ، 1983 ، ص 163 ) .
- (مصطفى نمر دعمس ، 2008 ، ص12 )
- (نوار الشاخش ، 2018 ، ص08).
- (عصام محمد عبد القادر ، 2017 ، ص 286).
- ( رشيد أحمد طعيمة ، 2008 ، ص 64 ) .
- (نوار الشاخش ، 2018 ، ص08).
- (عزيز سمارة وآخرون ، 1988 ، ص 12 ) .
- (أمين علي محمد سليمان ، 2010 ، ص101).
- (رفيق ميلود ، 2012 ، ص 21).
- (طعيمة، رشدي أحمد ، 2003 ، ص24)
- (محمد مقداد وآخرون ، 1998 ، ص299).

- (حسيب عبد الحليم شعيب ، 2015 ، ص 17)  
( عبد السلام الشيباني خليفة ، 2014 ، ص 485).  
(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69).  
(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69) .  
(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ، 2005 ، ص 69) .  
(أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563).  
(أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563).  
(أفنان دروزة ، 2011 ، ص 2563).  
(نورا الشاخش ، 2018 ، ص 10) .  
(نورا الشاخش ، 2018 ، ص 10) .

#### قائمة المصادر والمراجع :

##### الكتب :

- إسماعيل ، كمال عبد الحميد ، رضوان ، محمد نصر الدين (1994). مقدمة التقويم في التربية الرياضية. القاهرة ، دار الفكر العربي .
- خليفة ، عبد السلام الشيباني (2014) . الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي و دورها في تطوير العملية التعليمية . مصر ، دار المنظومة .
- دعمس ، مصطفى نمر (2008). استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته . عمان ، الأردن ، دار غيداء للنشر والتوزيع .
- سليمان ، أمين علي محمد (2009). القياس والتقويم في العلوم الإنسانية ، أسسه وأدواته وتطبيقاته . القاهرة ، دار الكتاب الحديث .
- سمارة ، عزيز (1988) . مبادئ القياس والتقويم في التربية ، الأردن ، دار الفكر للنشر .
- الشاخش ، نوار (2018) . التقويم في التعليم . المملكة العربية السعودية ، شبكة الألوكة ، قسم الكتب .
- شعيب ، حسيب عبد الحليم (2015). مرجع المعلم في طرائق تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية والمتوسطة . دار الكتب العلمية .

- طعيمة ، رشيد أحمد (2008). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية ، مفهومه ، أسسسه ، استخداماته . القاهرة ، دار الفكر العربي .
- عصام ، محمد عبد القادر(2017) . مناخ تعليمي فعال: الحقيبة التدريسية السادسة . الإسكندرية ، القاهرة ، دار التعليم الجامعي.
- الفتلاوي ، سهيلة محسن كاظم (2005). المنهاج التعليمي والتدريس الفعال ، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- مقداد ، محمد وآخرون (1998). قراءات في التقويم التربوي. الجزائر، جمعية الإصلاح .
- ميلود ، رفيق(2012).التقويم التربوي وعلاقته بالتحصيل الدراسي. الجزائر ، منشورات أنوار المعرفة.

#### المجلات والدوريات :

- دروزة ، أفنان نظير(2011) . درجة مراعاة المعلمين في محافظة قلقيلية لمستويات بلوم للأهداف المعرفية لدى تخطيطهم للتدريس . مجلة النجاح للأبحاث في العلوم الإنسانية ، المجلد 25 ، العدد 10 .

التربية الدامجة في النظام التعليمي التونسي من المساواة إلى العدالة الإشكاليات و الحلول.

Inclusive education in the Tunisian educational system, from equality to justice, problems and solutions

د. كمال بالهادي، باحث وزارة التربية تونس

[Belhedi18@gmail.com](mailto:Belhedi18@gmail.com)

ملخص

تستأثر إشكالية التربية الدامجة باهتمام متزايد من قبل الأطراف الفاعلة في الحقل التربوي على مستويين عالمي ومحلي، بل إنها أضحت ملفا عابرا للاختصاص، بتشعب المتدخلين والمشرفين. ما جعل قيادة هذا الصنف من التربية متشعبة وفاقدة للفاعلية في تحقيق مفهوم العدالة التربوية بين جميع التلاميذ مهما كانت انتماءاتهم أو أوضاعهم الاجتماعية و الصحية. ولعلنا لا نجانب الصواب عندما نقول إن هذه "القيادة التربوية" المتشعبة وإن نجحت في ضمان المساواة بين التلاميذ "الأسوياء" ونظرائهم من التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، فإنها لم تدرك بعد مرحلة النجاح في تحقيق "العدالة" ، ولنقل أيضا إن الجهود التي بذلت منذ انطلاق تجربة الدمج في النظام التربوي التونسي لم تنجح في تحطيم "المساواة العرجاء" وهذا ما يجعلنا نهتم في مشروع الإصلاح التربوي بهذه النقطة المفصلية.

الكلمات : الدمج / العدالة / المساواة/ التعليم

summary :

The problem of inclusive education is receiving increasing attention from actors in the educational field at both the global and local levels. Indeed, it has become a cross-disciplinary issue, with the interventionists and supervisors becoming more diverse. This has made the leadership of this type of education fragmented and ineffective in achieving the concept of educational justice among all students, regardless of their affiliations or social and health conditions. Perhaps we are not far from the truth when we say that this complex "educational leadership.

Although it has succeeded in ensuring equality between "normal" students and their counterparts with special needs, it has not yet reached the stage of success in achieving "justice." Let us also say that the efforts made since the beginning of the integration experience in the Tunisian educational system have not succeeded in overcoming "Lame equality." This is what makes us care about this pivotal point in the educational reform project.

**Keywords:** inclusion / justice / equality / education.

## المقدمة

إنّ من المفيد في تقديم هذه الورقة العلمية الإشارة إلى منطلقات تجربة التربية الداجمة و أهدافها والتشريعات التي أسست لها ، ثمّ من المفيد أيضا معرفة الأطراف المتدخّلة في هذا الصنف من التربية داخل فضاء المدرسة التونسية، فضلا عمّا يمكن تسميته "حواجز" تمنع التلميذ من فئة ذوي الاحتياجات الخاصة من الحصول على تعلّيات تمكّن من تأهيله تأهيلا علميا ملائما يسمح له مستقبلا بالنّفاذ إلى سوق الشغل . ولكنّ تشخيص الصعوبات أو "الحواجز" ، لن يفيدنا إن كان غير مسند بحلول منطقية وقابلة للتطبيق وفق إمكانيات المؤسسة التربوية التونسية.

ولعلنا في هذه الورقة لن نتمكّن من الإتيان على كلّ عناصر هذه الإشكالية ، غير أنّنا سنسعى إلى دراستها من منطلقات تشريعية و حقوقية و من ناحية واقعية مستأنسين في ذلك بتجربة ميدانية في تدريس التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة تعود إلى نحو عشر سنوات ، مكنتنا من تكوين رؤية نعتقد أنّها قادرة على تفكيك الإشكالية و بيان أسباب إخفاقها و تقديم حلول عملية. و سنبني قراءتنا على ثلاثة مرتكرات نوجزها في ما يلي:

- تجربة الدمج، المنطلقات و هدف المساواة
- واقع تجربة الدمج، الحواجز وغياب العدالة
- من المساواة إلى العدالة، الطريق والحلول.

## 1- تجربة الدمج المنطلقات و هدف المساواة

لا بدّ من الاعتراف أولا بأنّ المشرّع التونسي قد أنجز ترسانة قانونية تهدف إلى رفع مكانة الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، و تحقيق المساواة بينهم و بين المواطنين العاديين، ولم تكتف تونس بإصدار التشريعات المحليّة بل إنّها صادقت على القوانين و الاتفاقيات الدولية التي تنص على منع كافة أشكال التمييز ضدّ الأشخاص الحاملين لأيّ نوع من الإعاقات ، وعلى سبيل المثال صادقت تونس على الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة بمقتضى القانون عدد 4 لسنة 2008 المؤرخ في 11 فيفري 2008 الواقع نشرها بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية بمقتضى الأمر عدد 1754 لسنة 2008 المؤرخ في 22 أفريل 2008 كمحاولة جادة لحماية حقوق وكرامة الأشخاص ذوي الإعاقة. و ينصّ القانون التوجيهي الذي أصدرته تونس ( رائد، 2005 ، ص19) و الخاصّ بالنهوض بالأشخاص ذوي الإعاقة و حمايتهم في فصله الأول، على " أنّه يهدف إلى هذا ضمان تكافؤ الفرص بين الأشخاص ذوي الإعاقة و غيرهم من الأشخاص و النهوض بهم و حمايتهم من أي شكل من أشكال التمييز.

وإذا نظرنا في هذا القانون من حيث بنوده التي تخصّ الجانب التربوي فإننا سنجد مجموعة من التشريعات الضامنة لتكافؤ الفرص و المساواة لهذه الفئة من الأطفال، إذ "تضمن الدولة للأطفال ذوي الإعاقة حق التربية والتعليم والتأهيل والتكوين بالمنظومة العادية في المجال وتوفر لهم فرصا متكافئة للتمتع بهذا الحق" ( رائد، 2005، ص19). و يدعم هذا القانون المساواة في الحق التعليمي حتى في الفترة ما قبل المدرسية، إذ نجد فيه "يتم التعهد المبكر والتأهيل اللازم وكل ما يتعلق بالإعداد والتحضير للمرحلة قبل المدرسية من قبل الدولة والمجتمع حسب الحاجيات الخصوصية للطفل المعوق" ( رائد، 2005، ص20). وهذه مبادئ غير مختلف في شأن أهميتها، لأنّ وظيفة المدرسة هي ضمان المساواة بين كلّ التلاميذ وتوفير ما يضمن تحقيق تلك المساواة، إذ ينصّ القانون التوجيهي للنهوض بالأشخاص ذوي الإعاقة على أن " تؤمّن المدرسة للتلاميذ ذوي الإعاقة تكوينا متوازنا ومتعدد الأبعاد حسب ما تسمح به قدراتهم الذهنية والبدنية والحسية بما يساعدهم على امتلاك المعارف واكتساب الكفايات والتكنولوجيات الحديثة التي تؤهلهم للاعتماد على الذات والمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وذلك بالتعاون مع الأولياء والجمعيات ذات العلاقة" ( رائد، 2005، ص20). ولا يقتصر الأمر على المؤسسات التربوية بل إنّ هدف المساواة يشمل أيضا مؤسسات التكوين المهني إذ ينص القانون على " تؤمن مؤسسة التكوين للأشخاص ذوي الإعاقة تكوينا مهنيا ملائما ضمن المنظومة العادية للتكوين المهني قصد إكسابهم كفاءات ومعارف مهنية تيسر إعدادهم للحياة النشيطة والاندماج الاقتصادي والاجتماعي" ( رائد، 2005، ص22). ويضمن القانون ذاته فرص تكوين معقولة لهذه الفئة إذ " تخصص لفائدة الأشخاص ذوي الإعاقة نسبة لا تقل عن 3% من مواطني التكوين بالمرکز العمومية للتكوين المهني. ويتم العمل عند الاقتضاء على تهيئة موقع التكوين حسب الحاجيات الخصوصية للمبتكّن". ( رائد، 2005، ص23) بل إنّ هذا القانون قد ذهب بعيدا في تأمين تكافؤ الفرص لهذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة. إذ " تسهر الدولة على توفير ظروف ملائمة لتمكين الأطفال ذوي الإعاقة غير القادرين على مزاولة التعليم والتكوين بالمنظومة العادية من متابعة التعليم الملائم والتربية المختصة والتأهيل المهني وفقا لحاجياتهم الخصوصية". (رائد، 2005، ص24)

ولتجسيد هذه المبادئ الواردة في القانون المتعلق بالنهوض بالأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، وقعت عدة تنقيحات للقانون التوجيهي المتعلق بالتربية والتعليم المدرسي الصادر في سنة 2002 ليتلاءم مع الالتزامات الدولية لتونس في ما يتعلق بحقّ الأطفال الحاملين لإعاقة في الدمج في المؤسسة التربوية العادية ضمانا للمساواة التامة بين كل التلاميذ ومنعا لكلّ مظهر من مظاهر التمييز ضدهم. و هذه الغايات و المقاصد تمّ إطلاق "البرنامج الوطني للإدماج المدرسي للأطفال المعوقين وجها آخر من

وجوه تكافؤ الفرص أمام الجميع للالتحاق بالمدرسة. ويقوم هذا البرنامج على تمسك تشاركي أسهمت فيه كل القطاعات والهياكل ذات العلاقة. وقد تم بداية من مفتح السنة الدراسية 2003/2004 إرساء عدد من " المدارس الدامجة" داخل جل الجهات مع العمل على توسيع خارطة هذه المدارس وفق نسق مرحلي يقوم على الشراكة بين مختلف الأطراف ( القطاع العمومي/ المجتمع المدني / الهياكل المختصة ... ) . كما شمل الإدماج في مرحلة لاحقة أقسام السنة التحضيرية التي غدت مفتوحة داخل المدارس الدامجة لاستقطاب الأطفال المعوقين في سن الخامسة" (تربية، 2013 ص 12) . ويهدف هذا البرنامج أساساً إلى:

- "العمل على توفير الظروف الملائمة للأطفال من ذوي الاحتياجات الخصوصية للتمتع بحق التعليم مثل غيرهم من الأطفال وذلك من خلال إرساء شبكة للمدارس الدامجة وتوسيعها تدريجياً.
- مزيد الإحاطة بالمعلمين في المدارس الدامجة والرفع من كفاءتهم الصناعية وتزويدهم بمجموعة من الأدلة المرجعية والفنية التي تم إعدادها لمساعدتهم على التعامل الناجع مع كل حالات الإعاقة.
- تطبيق برنامج لتكوين المعلمين بالمدارس الدامجة ينجح بالتعاون مع الوزارات المعنية (وزارة الشؤون الاجتماعية والتضامن والتونسنيين بالخارج ووزارة الصحة العمومية) بغاية إكسابهم الخبرة الصناعية اللازمة لاعتماد " المشروع التربوي الإفرادي".
- إعداد مجموعة من الأدلة الموجهة للولي وللمختلف الأطراف المعنية بإدماج الأطفال المعوقين في المسار العادي للتعليم.
- توفير الظروف المادية اللازمة لهذه الشريحة الحساسة من التلاميذ بمزيد بناء وتجهيز القاعات متعددة الاختصاصات وتهيئة ممرات وبناء مركبات صحية خاصة بهم." (تربية، 2013، ص 13)
- و دعماً لهذه المكتسبات لفئة " ذوي الاحتياجات الخاصة / الخصوصية ، كرس القانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي لسنة 2008 ، مبدأ الحق في التعلم ومبدأ المساواة بين جميع التلاميذ، إذ نصّ على أنه " تضمن الدولة حق التعليم مجاناً بالمؤسسات التربوية العمومية لكل من هم في سن الدراسة وتوفر لجميع التلاميذ فرصاً متكافئة للتمتع بهذا الحق طالما أن الدراسة متواصلة بصورة طبيعية وذلك وفق الترتيب الجاري بها العمل. وتسهر الدولة على توفير الظروف الملائمة للأطفال من ذوي الاحتياجات الخصوصية للتمتع بحق التعليم." (تربية، 2002، فصل 4) وينصّ الفصل التاسع من قانون سنة 2008 ، على أن " المدرسة، تعمل في إطار وظيفتها التعليمية على ضمان تعليم جيد للجميع يتيح اكتساب ثقافة عامة ومعارف نظرية وعملية ويمكن من تنمية مواهب المتعلمين وتطوير قدراتهم على التعلم الذاتي والانخراط في مجتمع المعرفة." (تربية، 2002، فصل 9)

وبناء عليه يمكن أن نستخلص أن تكريس المبادئ العامة لحقوق الإنسان تبدو جلية من خلال النص القانوني التربوي (القانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي). حيث تستمد المدرسة التونسية أهم ملامح مشروعيتها من المبدأ العام المتمثل في "المساواة الفعلية بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات". وهو مبدأ تركزه البرامج والآليات التربوية عبر تجسيدها لمفهوم المساواة والعدالة الاجتماعية التربوية وتكافؤ الفرص التعليمية النجاح والتميز التعليمي". (تربية ، 2013 ، ص4)

الحقيقة أن المبادئ المعلنة، والتي ساهمت دون شك في اتخاذ خطوات عملية وفعالية لتطوير عملية الإدماج المدرسي، لا يمكن أن بأي حال تجسيدها وإن كانت تشوبها العديد من النقائص والإخلالات. فالأرقام والإحصائيات تشهد على تطور عدد التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين وقع إدماجهم في المرحلتين الأولى والثانية من التعليم الأساسي، حيث سجلنا تدرس 4766 تلميذا في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي (الابتدائية) منهم 1648 فتاة، بالنسبة للسنة الدراسية 2022-2023. (تقرير، 2023، ص53) وسجلنا أيضا تدرس 789 تلميذا منهم 347 فتاة في المرحلتين الإعدادية والثانوية، بالنسبة لذات السنة الدراسية. (تقرير، 2023، ص166) وتم التحقق من التحاق 40 تلميذا من ذوي الاحتياجات الخاصة، منهم 6 فتيات، بالمدراس الإعدادية التقنية خلال نفس السنة الدراسية" (تقرير، 2023، ص123).

إن ما يمكن أن نخلص إليه مما تقدم، هو أن هدف "المساواة" التامة بين جميع أصناف التلاميذ كان هو الغاية الأسمى والمقصد المنشود، للنظام التربوي التونسي وللقيادة التربوية التونسية التي أعلنت التزاماتها الدولية للنهوض بالأشخاص الحاملين لإعاقة عضوية. وفي هذا الشأن لا بد من الإشارة إلى أن دولا أخرى كثيرة نحت نفس هذا المنحى وعدلت قوانينها التربوية من أجل إنجاح عمليات الإدماج. فعلى سبيل الذكر لا الحصر، اعتبرت دولة المغرب أن "الرهان على إرساء مقاربة تربوية داخلة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة داخل المنظومة التربوية المغربية، تحديا من تحديات أعمال حقوق الإنسان ضمن المؤسسات التربوية والسياقات الاجتماعية المغربية، وبالتالي فهو هدف من أهداف التنمية البشرية التي تتجه مساراتها إلى تفعيل برامج إصلاح وتطوير فرص حياة الأفراد في وضعية إعاقة، وتمكينهم من الفرص الكفيلة بضمان انخراطهم في مجتمع المدرسة، ومتابعة مساهمهم الدراسي بنجاح" (تربية ، 2019، ص5).

وعلى هذا الأساس أصبحت المدرسة المغربية " ملزمة بتوفير عرض تربوي وخدمات تربوية داخلة، تمكن الأطفال في وضعية إعاقة من أن يجدوا مقعدهم الدراسي ضمن الفرص الممنوحة لباقي الأطفال / التلاميذ، سواء كان ذلك على مستوى الإطار المادي من بنيات تحتية ولوجيات وميسرات، أم كان

على مستوى الإطار التربوي من برامج ومضامين دراسية، أم كان على مستوى صيغ التنظيم التربوي والزمني المكيفين مع خصوصيات الإعاقة، وكذا المقاربات البيداغوجية الملائمة لقدرات هؤلاء الأطفال وإمكاناتهم في التعلم". (تربية، 2019، ص5).

إنّ السؤال الملحّ الذي يجدر بنا أن نطرحه هنا، هل أن مسار المساواة في الحقوق التربوية، بين جميع التلاميذ كما تنص على ذلك كل النصوص القانونية التربوية التونسية، قد حقّق العدالة بين التلاميذ، أم أنّ العدالة مازالت غاية بعيدة المنى؟ حريّ بنا أن نفكّك مسار تجربة الإدماج تفكيكا علمياً دقيقاً انطلاقاً من التجارب الميدانية و من خلال النصوص والتراتيب القانونية التي تنظّم عملية الإدماج، ومن خلال الفاعلين الحقيقيين المباشرين للعملية الإدماجية داخل الفصل المدرسي، وبعيدا عن كلّ الشعارات التي ترفع خارج ذلك الفصل.

## 2 - واقع تجربة الدمج، الحواجز و غياب العدالة

قد يبدو في الأمر ريبية و شكّ عندما نتحدث عن مفهومي المساواة و العدالة و كأنهما ملكان مختلفان، والحقيقة أنّهما كذلك ، فلا يعني ضمان المساواة تحقيق العدالة التربوية لفئة التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، ذلك أنّ معنى العدالة هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقه ، وإعطاء كلّ ذي استعداد ما هو مستعدّ له من الكمالات ، و العدالة التربوية تقتضي أن يكون ثمة تمايز في التعامل على ضوء التمايز و الفروقات الفردية و المراحل العمرية بين الأطفال، وبناء عليه لا تتحقّق العدالة التربوية بالمساواة بين الأطفال". ( الهندي، 2023، ص251) و تعني العدالة التربوية لدى اليونسكو، في تعريفها للتربية الدامجة هي أنّها "تربية مبنية على حق الجميع في تربية ذات جودة تستجيب لحاجات التعلّم الأساسية و تثري وجود المتعلّمين و لأنّها تتمحور حول الفئات الهشة ، فهي تحاول أن تطوّر بالكامل إمكانات كلّ فرد، ولذلك يكون الهدف النهائي للتربية الدامجة هو إنهاء كلّ أشكال التمييز و تعزيز التماسك الاجتماعي"، ( ابعيزة و مستغفر، 2023، ص257). وهكذا فإنّ هذا النوع من التربية لن يكون ناجحاً إن لم يحقّق مبدأَي العدالة و الإنصاف لهذه الفئة من المتعلّمين. وهذا لا يتحقّق إلاّ في ظلّ جملة من الشروط المتعلّقة بالمتدخلين في العملية التربوية. و "لقد فرض نزوع المجتمع الدولي بكل هيئاته الأمامية و مؤسساته الحقوقية، وإقراره بالمواثيق الضامنة لحقوق الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم، إسوة بأقرانهم من المتعلّمين و المتعلّمت، و حسب و تيرتهم الخاصة، إعادة النظر في أدوار المؤسسات التعليمية، و تغيير تمثلاتها و مواقفها و ممارستها اتجاه المتعلّمين ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي هذا الصدد تحدت الأدوار الجديدة للمؤسسات التعليمية فيما يأتي" ( ابعيزة و مستغفر، 2023، ص257). و عليه فإنّ من شروط تحقّق العدالة التربوية هو ضرورة توفير التمايز الإيجابي لهذه الفئة من

التلاميذ، حتى لا تكون المساواة هي مجرد "حجاب أوهام"، أو "مساواة عرجاء" ذلك أن تحقيق رهان العدالة التربوية ودمقرطة العملية التعليمية التعليمية، وتقليص الفوارق بين المتعلمين والمتعلمات، (الأسوياء وذوي الاحتياجات الخاصة) المختلفين في القدرات الفكرية والمهارات السيكوحركية، والمنتمين إلى فصل دراسي واحد، يبقى رهينا بالتنوع في استراتيجيات التدريس وأساليب التقويم (التقويم التشخيصي، التقويم التكويني، التقويم الإجمالي) أثناء تدبير السيناريوهات البيداغوجية. (ابعيزة ومستغفر، 2023، ص 260). وحتى نوجز القول في مفهوم العدالة التربوية التي اتضح أنها أكثر عمقا من مفهوم المساواة، يجب أن نتجاوز قصر فهم الحق في التعلم في مفهوم الوصول/ مجرد الالتحاق بالمؤسسة التربوية، إلى ما هو أعمق. ذلك أن الاقتصار على فهم جزئي لمسألة الدمج التربوي، يجعلنا نفشل في تحقيق العدالة التربوية. إذ "لا تدل العدالة التربوية على حق الأطفال بشكل عام والأطفال في وضعية إعاقة بشكل خاص إلى ولوج المؤسسات التعليمية فقط، ولا تشير إلى حق الجميع في ذهابهم لهذه المؤسسات فقط، بل أن العدالة التربوية تتجاوز ذلك من خلال حق جميع الأطفال في الحصول على تعليم يوفر جميع الظروف والشروط المناسبة من جودة، وأمان، وعدالة ومساواة وعدم التحيز والإنصاف وتوفير طرق ومناهج تدريسية تستجيب لجميع اختلافات المتعلمين وذلك لتطوير مهاراتهم حسب حاجياتهم وقدراتهم الذاتية طيلة مسارهم الدراسي. بالإضافة إلى حق المتعلم في النجاح الدراسي وفق قدراته الخاصة، ولكي تكمل العدالة التربوية أهدافها فينبغي على هؤلاء المتعلمين الحصول على مناصب شغل في المستقبل والمساهمة في تنمية المجتمع وفق قدراتهم وإمكانياتهم من خلال مبدأ تكافؤ الفرص" (نظير، 2023، ص 278).

ويرتبط مفهوم العدالة التربوية، من جهة أخرى بالمواع أو الحواجز التي تحول دون تحقيقه، ويمكن تصنيف هذه الحواجز في مستويات عدة، تقودنا حتما إلى ربط مفهوم العدالة بواقع التجربة التونسية في الإدماج المدرسي. ولنا أن نحدد هذه الحواجز في:

- الإقرار بعدم القدرة على الاندماج والمسيرة بسبب قصور معين.
  - غياب الولوجيات داخل المؤسسة التعليمية بالنسبة للأطفال ذوي قصور حركي.
  - جمود ونمطية التنظيمات والتصورات التربوية وقصورها عن التخطيط للأنشطة التربوية بما يراعي حاجات الأطفال في وضعية إعاقة.
  - عدم وجود مناهج تربوية مكيفة والملاءمة لجميع فئات الأطفال.
  - غياب تقويم يلائم خصوصيات الأطفال في وضعية إعاقة، (تربية، 2019، ص 13)
- أ- حدود التجربة التونسية

عند النظر في التجربة التونسية في عملية الإدماج المدرسي، سنجد أنّ الحواجز المذكورة آنفاً قد جعلتها محدودة وقاصرة عن تحقيق العدالة التربوية. بل عن حقّ الوصول إلى المدرسة العمومية في المرحلة الابتدائية، إذ يشير تقرير لوزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكرار السنّ إلى أنّ الجهود المبذولة مازالت محدودة، و" يتّضح أن عدد المتدربين من ذوي الإعاقة، محدود جداً مقارنة بالآلاف الذين لا يشملهم حق التّمدد سواء لعدم توفر المدرسة الدامجة أو لعدم تحقق الظروف المراعية لأنواع الإعاقات أو البعد الجغرافي خاصة بالنسبة إلى المدارس المختصة مثل مدارس الكفيف. وتمثّل الفتيات نسبة أقل من الفتيان، لا تتجاوز ثلث مجموع المدمجين في التعليم الابتدائي وذلك لأسباب ثقافية واجتماعية مما يعمّق حرمان الفتيات من ذوات الإعاقة من حقهن في التعليم" (تقرير، 2021، ص 35).

ويثبت ذات التقرير أنّ "حاجز الوصول إلى المؤسسة التعليمية، يتكرر أيضاً في المرحلة الإعدادية، فبالنسبة للمرحلة الثانية من التعليم الأساسي فقد بلغ عدد التلاميذ من ذوي الإعاقة 1120 موزعين على 400 مؤسسة من مجموع 918 مدرسة إعدادية، بما يعني أن أغلب المدارس الإعدادية لا تتوفر بها أقسام داخجة، وبالتالي يُحرم الراغبون في مواصلة الدراسة الإعدادية في عديد المناطق من التعليم الإعدادي فيعزّزون مضطرين، صفوف المنقطعين عن الدراسة، بسبب غياب المؤسسة الدامجة أو المدرسة المختصة أو لعدم توفّر الشروط المساعدة. وتمثّل الفتيات ضمن هذا العدد المحتشم حوالي ثلث مجموع المدمجين % 38.21 إذ لا يتجاوز عددهن 428 تلميذة ذات إعاقة (تقرير، 2021، ص 35). ويزداد الوضع صعوبة في المرحلة الثانوية، إذ " لا يتجاوز عدد التلاميذ ذوي الإعاقة المدمجين 671 تلميذاً موزعين على 270 معهداً وهو عدد ضعيف جداً في ظل تزايد الضغوطات والصعوبات وتناقص الفرص المتاحة والظروف المساعدة"، (تقرير، 2021، ص 35) ويخلص التقرير إلى أنّ الطريق مازالت طويلة، حتى يتمكّن التلميذ الذي يصنّف من ذوي الاحتياجات الخاصة، من التمتع بكلّ الحقوق التي تنصّ عليها التشريعات والقوانين، فمع الإقرار " بحق ذوي الاحتياجات الخصوصية بكلّ فئاتهم في التعليم، إلا أن هذا الحق لا يشمل كلّ الفئات المعنية بالدمج. ولا تتحقق لهم - أي ذوي الاحتياجات الخصوصية - المساواة وتكافؤ الفرص مع بقية التلاميذ من ذلك اقتصر التوجيه في معاهد الكفيف مثلاً على شعبة الآداب دون غيرها"، (تقرير، 2021، ص 35).

إنّ هذا الواقع الذي تؤكّده مؤسسات سيادية في الدولة، يثبت الحاجة المتزايدة والمؤكّدة للنظر إلى مسألة الإدماج المدرسي من زاوية العدالة التربوية لا من زاوية المساواة، لأنّ الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة يحتاج نظرة أكثر شمولية، حتى تتحقق المقاصد العميقة من عملية الإدماج. وهذا يفرض في نظرنا تمثّل الدولة مسؤولياتها تجاه هذه الفئة من خلال تجاوز النقائص التي وقع رصده، إذ يثبت التقرير

الخاص بوضع الطفولة " ويسجل في هذا الخصوص غياب استراتيجية وطنية لمرافقة العائلات التي يكون أحد أفرادها من ذوي الإعاقات يُضاف إليها صعوبة الولوج واستحالتها أحيانا إلى المؤسسات التربوية والرياضية والترفيهية خاصة بالنسبة إلى ذوي الإعاقات العضوية، بينما تشهد الساحات الرياضية العالمية حصول بناتنا وأبنائنا على ألقاب أولمبية تعكس ما يتمتعون به من مؤهلات وإمكانات غير مستغلة وغير مُثمّنة"، ( تقرير، 2021، ص 35). إنّ الحواجز التي تحول دون تحقيق تجربة الدمج لأهدافها متعددة كما يؤكد التقرير الذي يشير " إلى أن الاهتمام بدمج ذوي الاحتياجات الخصوصية لا يُولي أهمية تُذكر لفئات أخرى تتطلب إحاطة ورعاية خاصتين مثل الأطفال الذين يعانون من اضطرابات التعلم وصعوباته وكذلك الشأن بالنسبة إلى الأطفال ذوي القدرات العالية"، ( تقرير، 2021، ص 36).

ونحن إن استندنا إلى التقارير الرسمية لدراسة تجربة الإدماج، فإنّ ذلك لا يلغي ما تؤكده التجارب الميدانية التي باشرت عملية تدريس التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، فمن خلال الممارسة نتضح جملة العوائق أو الحواجز التي تمنع الوصول إلى مبدأ العدالة التربوية.

#### ب - قصتي مع الإدماج المدرسي

بدأت تجربتي في تدريس التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة منذ نحو ست سنوات، حينما علمت أنّ قسم السابعة أساسي بالمدرسة الإعدادية عبد الرزاق الشرايبي (مندوبية تونس 1)، يكون من بين تلاميذه هذه الفئة التي لم تتلق أي تكوين طيلة سنوات التدريس الطويلة نسبيا، يخص كيفية التواصل معهم، خاصة أن التجربة الأولى كانت مع تلاميذ متنوعي الإعاقات (إعاقة ذهنية/إعاقة سمعية خفيفة / الصم..)، وكانت الحيرة الكبرى فلهدرس اللغة العربية وهي مادة ذات تفرعات كثيرة / وثقيلة من حيث التزمين المخصص لها) فكان التساؤل الأول حول كيفية التواصل معهم، وكيفية تمكينهم من حقهم في التدريس أسوة بزملائهم، مع الإقرار بوجود اختلافات جوهرية من حيث القدرة على التركيز والتواصل وتقبل "المعلومات الغزيرة" التي توفرها مادة اللغة العربية ذات البرامج الثقيلة جدا في المستويات الثلاثة من المرحلة الإعدادية. وهنا كان لا بد من التواصل مع إطار الإشراف البيداغوجي، الذي لم تكن له الدراية بتحويل قسم من قسم عادي إلى قسم دمج، وما يفترضه ذلك مسبقا من إجراءات "الحد الأدنى" المتمثلة في الإعلام. والحقيقة ان بدايات التجربة كانت متعثرة لكلّ الاساتذة الذين باسروا تدريس هذه الفئة الجديدة من المتعلّمين. مع غياب كلٍّ للتواصل مع سلطة الإشراف التي اقتصر دورها على الإعلام اللاحق ( أحيانا يأتي الإعلام بحالة التلميذ الصحية بعد أشهر من انطلاق السنة الدراسية)، أو مع الجمعيات العاملة في تأطير هذه الفئة من التلاميذ ورعايته وتلك حكاية أخرى سنأتي عليها لاحقا. ونخلص في النهاية إلى أنّ عملية الإدماج اقتضت على "الزج" بتلاميذ

يستحقون رعاية أكبر في مؤسسات تربوية وفي قاعات مكتظة و أمام مدرسين لم يقع تكوينهم و أطر مشرفة ربما يكون كثير منهم غير مقتنع بالتجربة أو لم يقع استشارتهم البتة في عملية الإدماج. وهذا يتأكد طبعا من غياب لدليل بيداغوجي أو إداري ينظم عملية الدمج عدا تلك المنشور التي يقع إصدارها لكيفية التعامل مع هذه الفئة من التلاميذ عند التقييمات، وهذا أمر آخر يحتاج أن نتحدث عنه لاحقا. من الطبيعية أن تتطور التجربة بعد ذلك و يقع تجاوز الكثير من الصعوبات اعتمادا على الذات أولا و أخيرا، لأنّ تدريس هذه الفئة صار تحديا أخلاقيا وحقوقيا إنسانيا قبل ان يكون مجرد توجيهات بيداغوجية او مهمة تربوية تقتضي بانقضاء السنة الدراسية. و الحقيقة أنّ تراكم التجارب يسمح بمقاربة أفضل وأشمل في التعامل مع هذه الفئة تواصلًا و تدريسًا وهذا رأي يشترك فيه الكثير من المدرسين الذين يباشرون هذه المهمة. و نخلص من خلال هذه التجربة إلى رصد جملة من الحواجز التي مازالت تحول دون تحقيق مقاصد تجربة الإدماج المدرسي.

- تفرّع الإشراف على عملية الإدماج بين عدة وزارات (التربية، الصحة، الشؤون الاجتماعية، الأسرة والمرأة، الرياضة ن التكوين المهني..) وهذا التفرع يجعل تحديد المهمات لكل طرف صعبة ويفقد عملية الإدماج فاعليتها.

- غياب دليل توجيهي وطني خاص بهذه الفئة، ينقل عملية الإدماج من سقف "المساواة" إلى سقف العدالة التربوية.

- تعطيل العمل بمنشور تربوي يقضي بمراعاة القسم الدامج لإشكالية الاكتظاظ، في المرحلة الإعدادية وهو معمول به في المرحلة الابتدائية فقط ، وكان التلميذ ذاته الذي ينتقل منة السنة السادسة إلى السنة السابعة ، يصبح قادرا على الاندماج في قسم مكتظ. وتكون الإجابة من سلطات الإشراف حول هذه المسألة ، أن ذلك المنشور هو خاص بالمرحلة الابتدائية دون غيرها.

- غياب التمييز الإيجابي في البرامج المدرسية وفي عمليات التقييم عدا تمتيع التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة بوقت إضافي أو تكبير الخطّ، ( ملحق، ص 17) . فعند هندسة المواد او إنجاز الاختبارات الجهوية على سبيل المثال، لا يقع الأخذ بعين الاعتبار هذه الفئة، فلا نجد اختبارات موحدة تخص هؤلاء التلاميذ، وربما يكون ذلك مفهوما لأنّ ذوي الاحتياجات الخاصة هم أفراد مختلفو الإعاقات ويفترض ذلك أن يقع إنجاز التقييمات بطريقة تلائم كل إعاقه، و هكذا يتم تحميل الاستاذ (الذي لم يقع تكوينه، والذي لا يعلم أحيانا طبيعة الإعاقة خاصة في تقييمات الثلاثي الأول) مسؤولية التدريس والتقييم.

- التداخل غير الناجع بين الصحي والتربوي، مما يؤثر على عمل المدرس، فعلى سبيل المثال لا توجد توصيات بيداغوجية من قبل الإدارة العامة للامتحانات، حول طبيعة الاختبارات والتقييمات الخاصة بالتلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، فيما تأتي توصيات من الطبيب النفسي على سبيل المثال، وتتحول إلى ما يشبه سلطة بيداغوجية على المدرس، والحال أنّ تلك التوصيات غير ملزمة قانونياً، وهذا يحدث إرباكاً في واقع الأمر.

- تعمل بعض الجمعيات على توفير وسائل مساعدة للتلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، لتدارك النقص الحاصل في تملك المدرس أو حتى في مرافقتهم اثناء التقييمات، ولكن في كثير من الأحيان يكون المرافقون غير مختصين في تدريس هذه الفئة فضلاً عن أشكال التشغيل الهش التي يعانون منها، وغياب الاختصاص، يقود حتماً إلى جعل عملية المرافقة غير ناجعة ( على سبيل الذكر لا الحصر، مرافق غير مختص في اللغة العربية، وغير مختص في التربية الدامجة، يرافق تلاميذ متنوعي الإعاقات، ولنا أن نسأل عن نتائج تلك المرافقة، وقس على ذلك في مواد أخرى على غرار اللغات الأجنبية و الرياضيات و العلوم ..، وطبعاً توجد مواد أخرى لا يوجد فيها مرافقون).

- ثقل البرامج المدرسية وتشعبها وهي لا تراعي بتاتا هذه الفئات من التلاميذ، فضلاً عن تزمينها الذي لا يتلاءم، وخصوصية التلميذ المتلقي لتلك المواد ومعرفها. وهذا يطرح أكثر من إشكال حول مدى جدية عملية الإدماج و تطورها خاصة أن تجربة الإدماج المدرسي في تونس تناهز الآن العقدين من الزمن؟

- عدم الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأسرية الضاغطة التي تحول دون قدرة الأسرة على مرافقة ابنها والاهتمام به وهنا نقرّ بأنّ أولياء التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة، يكابدون من أجل عدم انقطاع أبنائهم عن الدراسة ويفترض إجراء استبيان حول موقفهم من عملية الإدماج ومدى نجاعتها.

- صحيح أنّ نسب الانقطاع المدرسي ضعيفة في صفوف هذه الفئة من التلاميذ وهذا مؤشر جيد، ولكن علينا أن نسأل أنفسنا بروح علمية صرفة عما إذا كانت نسب النجاح تلك تعكس مستوى المكتسبات الحقيقي التي تملكها الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة، أم أنّ هناك عناصر أخرى (غير علمية بكل تأكيد) تتدخل في هذه النسب، وهذا يفترض أيضاً مراجعة جذرية.

- في حديثي إلى طلبتي في المعهد العالي للعلوم الإنسانية بجنوبة اختصاص علوم تربية، اتضح لي أنّ التكوين الجامعي لا يولي اهتماماً كبيراً للتربية المختصة، ففي مستوى السنة الأولى يدرسونها ضمن مسألة حقوق الطفل، وفي مستوى السنة الثالثة "سنة التخرج" يدرسون مادة التربية المختصة وهم يقرون أنها غير كافية لتمكينهم من آليات التواصل مع الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.

خلاصة القول هي أنّ برنامج الدمج المدرسي ما زال يتطلب بذل المزيد من الجهد، ولم يرتق إلى الاستجابة لحاجيات الأطفال ذوي الإعاقة وانتظارات أوليائهم، فلم يستوعب الحد الأدنى من التلاميذ المعنيين بسبب اعتماده على صيغ التدرّج في عملية الدمج، وبالتالي لم ينجح في تحقيق مقاربة حقوقية شاملة تقوم على مبدأ أن يتمّ كل أصحاب الحقوق بحقوقهم في نفس الوقت. (تقرير، 2021، ص 36)

3 - من المساواة إلى العدالة، الطريق والحلول.

إنّ نجاح عملية الإدماج وجعلها أكثر نجاعة، يستوجب تقييم هذه التجربة ووضعها أمام مشرحة النقد من قبل المختصين والمباشرين أساساً لعملية التدريس لأنهم الأكثر قدرة على تبيين إشكالياتها ونقائصها. وتقديم الحلول أيضاً. ونحن على يقين أنّ أيّ إصلاح تربوي قادم لا يأخذ عملية الإدماج على محمل الجدّ، فإنّه سيكون قاصراً بل سيكون إصلاحاً يحمل في باطنه بذور التمييز ضدّ فئة التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة وهذا يتناقض طبعاً مع القيم الإنسانية ومع المعاهدات التي وقعت عليها تونس في هذا الشأن، ونعتقد أنّ طريق الإصلاح التربوي في هذا الشأن يمرّ حتماً عبر مجموعة من الحلول من قبل :

- ضرورة وضع دليل تربوي شامل مبني على قواعد علمية صارمة وبمشاركة كل الأطراف ذات العلاقة بمشروع الإدماج المدرسي. ويكون هذا الدليل التربوي هو المنهاج الذي تسيّر عليه القيادة التربوية، من الوزارات المشرفة إلى التلميذ الذي يجب أن يكون هو أيضاً "محور العملية التربوية". وهذا الدليل هو الذي سيخرجنا من دائرة "المبادرة الذاتية"، ومن دائرة القرارات الاعتبائية، ويضع طريقاً واضحة لمجمل الحقوق والواجبات الموكلة لكل طرف متدخل في العملية التربوية الخاصّة.
- لا بدّ من وضع برامج دراسية ونظم تقييمات خاصّة بهذه الفئة، ممّا يعطي عملية الدمج فاعلية ونجاعة، تؤهل الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصّة، وتستثمر مواهبه وطاقته، وتعدّه ليكون مستقبلاً عنصراً فاعلاً في المجتمع وعنصراً منتجاً شأنه شأن كلّ التلاميذ الأسيوياء، ذلك أنّ مبدأ تكافؤ الفرص يجب أن يبنى على قاعدة المؤهلات والكفاءة، لا مجرد مبدأ نظري يتحوّل إلى حجاب أو هام يخفي النقائص الكثيرة التي تشكو منها عملية الإدماج.
- ضرورة مراعاة العوامل الاجتماعية والجغرافية للأسر التونسية، خاصّة في المرحلتين الإعدادية والثانوية، حتى يكون للأسر التونسية حقّ الوصول والولوج إلى المؤسسات التربوية دون عناء، ودون الحاجة إلى التنقل بصفة يومية لمسافات تزيد أحياناً عن السبعين كيلومتراً و لفترة سنوات متعددة ( حالات واقعية أدّرسها).

- ضرورة التكوين الجيد للمدرسين المباشرين وخاصة في المعاهد العليا التي توجد فيها شعبة علوم التربية، وضمان أن يكون المعلمون الجدد حاملين لمهارات معرفية و تواصلية تمكنهم من الإحاطة بهذه الفئة من التلاميذ.

- من الواجب أن تكون حلقات الدعم المدرسي التي تخصص لهؤلاء التلاميذ مؤمنة من مرافقين وقع تكوينهم تكويننا علميا مختصا في المجال حتى تكامل حلقات الدرس مع حلقات الدعم والمرافقة.

- ضرورة تجهيز المؤسسات الدامجة بما يسهل عملية الإدماج ويمتدح الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة بكامل حقوقه.

- من المهم جدا التشجيع على إنجاز تطبيقات تكنولوجية، وتوفير حلول رقمية مساعدة لهذه الفئة من التلاميذ لتملك المعارف و العلوم بطريقة أكثر يسرا. ويجب هنا توجيه البحوث التربوية نحو هذه المشارب البحثية حتى تكون المدرسة مجددة و جاذبة لهذه الفئة.

- ضرورة تحفيز هؤلاء التلاميذ، و استثمار كل مواهبهم من خلال تشريكهم في النوادي و الجمعيات المدرسية، و التعريف بمواهبهم و الاستفادة منها، فهؤلاء لهم طاقات هائلة غير مستثمرة.

الخاتمة

إنّ عملية الإدماج المدرسي، هي سيرورة ومسار طويل، يجب أن تكون نهايته تحقيق العدالة التربوية وضمان حق هذه الفئة من مسار تعليمي يبنى شخصيتهم ويؤهلها لسوق العمل بعديا عن منطق "الشفقة"، فهؤلاء لهم ذات الحقوق التي لغيرهم، وما على الدولة إلا العمل على الاستجابة لاستحقاقات هذه الفئة من التلاميذ. ونحن علي يقين أن تحقيق العدالة التربوية في برنامج الإدماج المدرسي، يجب أن يكون جهدا مشتركا، يوفر كل الظروف الملائمة للمدرّس والتلميذ، لأنّ الغاية هي أن يتلقى التلميذ تعلّيات تناسب إمكاناته و استعداداته. و لئن كان الكثيرون يرون أنّ عملية الإدماج تسير في طريق فاشلة، فذلك لأننا لم نوفر لها مميزات النجاح، ولكن تبقى المدرسة التونسية خلافة و قادرة على تلافي النقصان ، من اجل عدالة تربوية حقيقية بين كلّ التلاميذ.

ملحق

## بعض التوصيات الخاصة بالاختبارات

السنة الدراسية: 2024/2023

الحالات الخاصة

الملاحظات	نوع الإعاقة	القسم
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	صعوبات التعلم	7 أساسي 1
	إعاقة ذهنية	7 أساسي 1
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	صعوبات التعلم	7 أساسي 1
إضافة ثلث الوقت	إعاقة سمعية	8 أساسي 2
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	صعوبات التعلم	8 أساسي 2
" "	إعاقة عضوية	8 أساسي 2
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	صعوبات التعلم	"
إضافة ثلث الوقت	إعاقة سمعية	"
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	صعوبات التعلم	8 أساسي 3
إضافة ثلث الوقت	إعاقة سمعية	9 أساسي 2
" "	" "	"
" "	" "	"
" "	" "	"
" "	" "	"
إضافة ثلث الوقت	إعاقة سمعية	9 أساسي 3
" "	" "	"
" "	" "	"
إضافة ثلث الوقت	" "	"
إضافة ثلث الوقت+تضخيم الكتابة	إعاقة ذهنية	9 أساسي 3
✓ ✓	صعوبات التعلم	3

## بعض التوصيات الخاصة بالاختبارات

الصراع الغيابي وهو ما ينجر عنه عدة صعوبات دراسية، ويظهر في الفهم والتركيز و كتابياً وشقوياً مما يحول دون لحاقها بالنسق العادي للتعلم، وعليه نوافيكم بالتوصيات

- قراءة النصوص وأسئلة الامتحان شقوياً بقا أكثر من مرة.
- تجنب الأسئلة التحريرية...
- تمكينها من وقت إضافي أثناء الامتحان.
- قبول بطئ إنجازها للتمارين والفروض.
- تشجيعها وتحفيزها أثناء القوس وفي الامتحان.
- تمكينها من المقعد الأول أثناء سير الدرس.

ندعو الإطار التربوي إلى الالتزام بتطبيق التدابير المنصوص عليها حفاظاً رسالتكم النبيلة على أتم وجه.

تمكين أساتذة التلميذة من نسخة من المراسلة .

لفظ نسخة من المراسلة بملف التلميذة.

تم توجيه نسخة إلى المنادة المتفقدين المعنيين

وزارة التربية والتعليم  
قابس

## قائمة المراجع

- إبراهيم نظير ، مقال "التربية الدامجة ، وإكراهات تحقيق العدالة التربوية التعليمية" ، من كتاب العدالة التربوية - التعليمية دعامة لمؤسسة نموذجية مستقبلية، المركز الديمقراطي العربي، برلين 2023.
- التقرير الإحصائي حول مؤشرات العودة المدرسية لسنة 2023- 2023 ، الخاص بالمرحلة الابتدائية، موقع وزارة التربية .

- التقرير الوطني حول وضع الطفولة بتونس لسنتي 2020-2021 ، وزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن .
- الرائد الرسمي ، القانون التوجيهي عدد 83 لسنة 2005 مؤرخ في 15 أوت 2005 يتعلق بالتهوض بالأشخاص ذوي الإعاقة وحمايتهم ، تونس، المطبعة الرسمية، سنة 2005 .
- القانون التوجيهي عدد 80 لسنة 2002 المؤرخ في 23 جويلية 2002 المتعلق بالتربية والتعليم المدرسي، قانون عدد 9 مؤرخ في 11 فيفري 2008 يتعلق بتنقيح وإتمام القانون التوجيهي عدد 80 لسنة 2002 المؤرخ في 23 جويلية 2002 المتعلق بالتربية والتعليم المدرسي .
- زهير ابعيزة ونورة مستغفر ، مقال "التربية الدامجة ورهان العدالة التربوية" ، من كتاب العدالة التربوية - التعليمية دعامة لمؤسسة نموذجية مستقبلية. المركز الديمقراطي العربي، برلين ، ماي 2023 .
- عدنان فضل الهندي، مقال "العدالة التربوية على فئة المراهقين و علاقتها بالصحة النفسية" من كتاب العدالة التربوية - التعليمية دعامة لمؤسسة نموذجية مستقبلية، وقائع المؤتمر الدولي الافتراضي ، المركز الديمقراطي العربي، برلين ، ماي 2023 .
- مقال الحق في التعلم ، تونس، ورقة صادرة عن الإدارة العامة للدراسات والتخطيط ونظم المعلومات ، وزارة التربية 2013 .
- [http://www.education.gov.tn/article\\_education/planification/droit\\_education\\_tuni\\_si.pdf](http://www.education.gov.tn/article_education/planification/droit_education_tuni_si.pdf)
- وزارة التربية الوطنية و التكوين المهني و التعليم العالي ، دليل مديري المؤسسات التربوية ، التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة ، المملكة المغربية، 2019 .

## الخطاب السياسي بالمغرب- دراسة معجمية للخطاب الملكي 08 ماي 2012

the Political Discourse in Morocco-A Lexical Study of the Royal Discourse 08 May 2012

عزالدين القدري، طالب باحث بسلك الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

AZEDINE EL KADIRI, Doctoral research student, Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco

[elkadiri.azedine@gmail.com](mailto:elkadiri.azedine@gmail.com)

الدكتور عبد القادر حمدي، أستاذ التعليم العالي، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

Dr. Abdelkader Hamdi, Professor of Higher Education, Cadi Ayyad University, Marrakech,

Morocco

### ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى دراسة الكلمات والألفاظ في متن الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012، من خلال النظر في وظائف هذه الألفاظ والكلمات في بنية هذه الخطاب؛ ذلك أن دراسة أي خطاب تقتضي دراسة اللغة التي يوظفها لا سيما في جوانبها المعجمية. وتتمثل أهمية هذه الدراسة في الكشف عن طبيعة المعجم الموظف في الخطاب الملكي، وتهدف إلى إعطاء أهمية للدراسة المعجمية في تحليل الخطاب السياسي، وسنعمد في إنجازها على منهج وصفي تحليلي في جرد وتصنيف وتحليل مفردات المعجم في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، وكذا في متن الخطاب الملكي. الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي، الخطاب الملكي، الدراسة المعجمية.

### Abstract

This study aims to study the words and expressions in the text of the royal speech on the occasion of the inauguration of the members of the Supreme Authority for National Dialogue on Reforming the Justice System 05/08/2012 by examining the semantic commonality or semantic difference, as well as examining the functions of these words and expressions in the structure of this speech; since studying any speech requires studying the language it employs, especially in its lexical aspects. The importance of this study lies in revealing the nature of the lexicon employed in the royal speech, and aims to give importance to the lexical study in analyzing the political speech. In completing this study, we will rely on a descriptive analytical approach in inventorying, classifying and analyzing the vocabulary of the lexicon in linguistic and technical dictionaries, as well as in the text of the royal speech.

**Keywords:** political discourse, royal discourse, lexical study.

## مقدمة

يعد الخطاب السياسي وسيلة تواصل بين الحاكمين وأفراد المجتمع وهذا بهدف تمرير أفكار أو برامج سياسية، حيث يعتمد من خلاله رجال السياسة إلى استمالة الرأي العام بخصوص أمور معينة لها علاقة بصفة مباشرة بكل ما هو سياسي واجتماعي واقتصادي، وثقافي، ولأهمية هذا الخطاب أصبح يستعمل بشكل كبير في الحياة السياسية لتحقيق أهداف وتمرير أفكار وإيديولوجيات معينة، لذلك أصبح موضوعا للدراسة والتحليل بغاية فهم معانيه، ودراسة كلماته وألفاظه المعجمية، خاصة أنه مرتبط بكل الشعوب والأمم على اختلاف ألسنتها وثقافتها.

وما دامت اللغة مادة جوهرية في أي خطاب؛ إذ بها يمارس التأثير والإقناع، فإن هذه الدراسة تسعى إلى مقارنة الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012 مقارنة معجمية.

## أهمية الدراسة

تمثل أهمية هذه الدراسة في:

- إبراز أهمية المعجم في الخطاب السياسي.
- تحليل محتوى الخطاب الملكي للكشف عن دلالاته، والتعرف على أهم المعاني الواردة فيه.

## أهداف الدراسة

تستهدف هذه الدراسة بيان أهمية الدراسة المعجمية في تحليل الخطاب الملكي.

## إشكالية الدراسة

إذا كانت اللغة هي المادة الجوهرية التي يوظفها الخطاب السياسي للتأثير في الجمهور وإقناعه، فما طبيعة المعجم الذي تم توظيفه في الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012؟

وتدرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي خصائص الخطاب السياسي؟
- ماذا يقصد بالدراسة المعجمية للخطاب؟
- ما هي دلالة مفردات المعجم اللغوي في الخطاب الملكي السامي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012؟

## منهج البحث

سنعتمد في إنجاز هذه الدراسة على منهج وصفي تحليلي في جرد وتصنيف وتحليل مفردات المعجم في الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012، ورصد دلالاتها في المعاجم اللغوية، والاصطلاحية، وفي متن هذا الخطاب.

المحور الأول: ماهية الخطاب السياسي وخصائصه  
أولاً- مفهوم الخطاب

لقد ورد مصطلح الخطاب في لسان العرب لابن منظور كما يلي: "خطب: الخطبُ، الشأنُ أو الأمرُ، صَغَرَ أو عَظَّمَ، وقيل هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، ومنه قولهم: جل الخطب أي عَظَّمَ الأمرُ والشأن (ابن المنظور، د.ت، ج 1، ص 360). ويعرف الآمدي الخطاب بقوله: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متيئ لفهمه (الآمد، 1980، ص 136)؛ أي هو الكلام المتفق عليه من طرف المخاطب والمخاطب وهدفه التأثير في المتلقي.

والخطاب هو "كل كلام تجاوز حدود الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً" (الرويلي والبازعي، 2002، ص 155). ولا يكفي أن يقال إن الخطاب يتشكل من أكثر من جملة، فيإراد عدد من الجمل بصورة اعتباطية مثلاً لا يصنع خطاباً، "فأي نسق من الجمل لا بد أن يترابط لكي يصنع خطاباً" (برهومة، يوليو-سبتمبر 2007، ص 121).

عرف ميشال فوكو الخطاب بالقول: "هو أحياناً يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات وأحياناً أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات وأحياناً ثالثة ممارسة لها قواعد تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها" (ميلز، 2016، ص 78).

وعرفه هارتمان وستروك أنه نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغة تعبيرية متوالية عن متحدث، فرد يبلغ رسالة ما (الديمي، 2015، ص 32).

#### ثانياً- مفهوم الخطاب السياسي وخصائصه

قبل التطرق إلى مفهوم الخطاب السياسي ومعرفة خصائصه ونشأته ومميزاته، وُجِبَ علينا أن نعرف السياسة؛ والسياسة لغة من: (سَاسَ) الرعيةَ يَسُوسُهَا (سياسةً) (الرازي، 1986، ص 135)، وقال ابن الأثير: "وهو من سَاسَ الناسَ يَسُوسُهُمْ، وَالْهَمْزَةُ فِيهِ زَائِدَةٌ، وَيُرْوَى: آسٍ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْمُوَاسَاةِ" (ابن منظور، لسان العرب، 7/6)، والسياسة هي فن الحكم أي هي الرئاسة وهي فن التعامل مع الناس أو فن صياغة العلاقات بين الناس (عبد الكافي، 2012، ص 8).

ويعرف عبد العليم محمد الخطاب السياسي بأنه "تصور الواقع وتمثله على الصعيد العقلي - أي نظرياً - في نظام من المفاهيم التي تأخذ طابعاً عاماً ومجرداً ولكن بالمعنى غير العلمي للتجريد النظري، إلا أنه بين تصور الواقع والواقع ذاته، أو بين الحقيقي والطريقة التي يتم بها تصوره نظرياً ثمة مساحة كبيرة تتداخل فيها جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية بل والمعرفية ترتبط بوضع اقتصادي واجتماعي ومحتوى طبقي معين يحول دون التعرف على الواقع كما هو أو تلمس قوانينه الموضوعية الفاعلة فيه والتي يتقرر على ضوءها حركته ونموه" (محمد، 1990، ص 28).

ويراد بالخطاب السياسي خطاب السلطة الحاكمة في شائع الاستخدام وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود، بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكاراً سياسة، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسياً، والخطاب السياسي يهتم بالأفكار والمضامين (عكاشة، 2005، ص 45 - 46).

وموضوع الخطاب السياسي، منطوقاً أو مكتوباً، الواقع السياسي القائم محالاً تغييره أو تشكيله، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بعوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية في المجتمع. وتختلف الخطابات السياسية باختلاف مرسلها، كما أن الخطاب السياسي رهين الظروف التي صنع لأجلها، ثم يفتقد فاعليته بغياب تلك الظروف، فالخطاب القومي والاشتراكي فقدتا قيمتهما وأصبحت جزءاً من تاريخ حقبة سياسية (عكاشة، 2001، ص 347-349).

يتميز الخطاب السياسي بأنه خطاب يقوم على عملية الإقناع للجهة الموجه لها الخطاب، بالإضافة إلى تلقي القبول والاقتناع بمصداقيته من خلال العديد من الوسائل اللغوية والمنطقية الصحيحة، وجمل تعبيرية تناسب مع طريقة التواصل مع الأفراد.

ويحظى الخطاب السياسي بجمهور كبير، ويختلف المتلقي لهذا الخطاب، من حيث كونه متلق مقصود من الخطاب أو مستمع للخطاب، أو مباشر أو غير مباشر، أو داخلي أو خارجي بحسب الشأن الذي قيل فيه الخطاب (بوبكري، 2013، ص 98-100).

وتعتبر الخطب والرسائل الملكية بمثابة خارطة طريق للسياسة العامة والسياسات العمومية بالمغرب، باعتبارها توجيهات صادرة عن رئيس الدولة، فالخطب الملكية تصريف لمضامين الدستور، منها ما هو موجه إلى الأمة مباشرة، ومنها ما هو موجه إلى أعضاء مجلسي البرلمان، أو إلى جهة بعينها.

المحور الثاني: دراسة معجمية للخطاب الملكي 08 ماي 2012

أولاً- مفهوم الدراسة المعجمية

المعجم لغة مشتق من مادة (ع ج م)، والعجمة هي عدم الفصاحة وعدم البيان، والأعجم هو من لا يفصح ولا يبين، وأعجم الكلام جعله مشكلا لا بيان له، أو أتى به أعجميا فيه لحن (الفيروز آبادي، 2009، ص 844).

وجاء في كتاب الصحاح للجوهري وناس يجعلون المعجم بمعنى الأعجم مصدر مثل المخرج والمدخل؛ أي من شأن هذه الحروف أن تُعجم (هلال، 2010، ص 137)، وفي قاموس المحيط للفيروز آبادي أعجم فلان الكلام ذهب به إلى العجمة والكتاب نقطه كعجمه وأعجمت الكتاب نقطته وشكلته (آبادي، د.ت، ج 4، ص 145).

وعرف إميل يعقوب المعجم بأنه هو كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع (يعقوب، 1985، ص 9). كما أنه "قائمة بمفردات اللغة أو مورفيمات" أو بتعبير بلومفيلد "المخزون الكلي لمورفيمات اللغة" (عبد الدايم، 2006، ص 246).

وتعني الدراسة المعجمية دراسة معنى "المصطلح" لغة واصطلاحاً، مرتكزة في ذلك على مصادرها التي تتوزع بين المعاجم اللغوية والمعاجم الاصطلاحية، وما في حكمهما، وأكد الدكتور الشاهد البوشيخي: "أنها دراسة لمعنى المصطلح في المعاجم بشقيها اللغوي والاصطلاح، تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، إلى أحدثها مسجلة أهم ما أضاف" (البوشيخي، 2004، ص 23-24). ويقصد بالدراسة المعجمية دراسة الألفاظ وترتيبها في نسق معين، ولها مصدران أساسيان هما المعاجم اللغوية، والمعاجم الاصطلاحية.

### ثانيا- الدراسة المعجمية لمتن الخطاب الملكي 08 ماي 2012

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة ليست دراسة استقصائية؛ وإنما دراسة في نماذج من الألفاظ الواردة في الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب أعضاء الهيئة العليا للحوار الوطني حول إصلاح منظومة العدالة 08 ماي 2012 حسب الحقل الدلالي الذي تنتسب إليه.

#### 1. الحقل السياسي

##### • الإصلاح

الإصلاح: نقيض الإفساد. والمصلحة: الصلاح. والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح: نقيض الاستفساد. وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت. وفي التهذيب: تقول أصلحت إلى الدابة إذا أحسنت إليها (لسان العرب، ج 2، د.ت، ص 517).

أصلح في عمله أو أمره أتى بما هو صالح نافع والشيء أزال فساده وبينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما أزال ما بينهما من عداوة وشقاق وفي التنزيل العزيز ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا وَفَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وَاللَّهُ لَفَلَّانٍ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَوْ مَالِهِ جَعَلَهَا صَالِحَةً وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي (المعجم الوسيط، ج 1، ص 520).

الإصلاح هو تحسين وضع أو تعديل ما هو خطأ، أو الفاسد، أو غير المرضي، وما إلى ذلك. تم استخدام المصطلح بالسياق السياسي في أواخر 1700 من قبل حركة كريستوفر ويفل التي سعت للإصلاح البرلماني. ويتميز الإصلاح عن الثورة كون هذه الأخيرة تسعى للتغيير الشامل والجذري، في حين أن الإصلاح يهدف لمعالجة بعض المشاكل والأخطاء الجادة دون المساس بأساسيات النظام، وبهذا فإن الإصلاح يسعى لتحسين النظام القائم دون الإطاحة به بالمجمل، ويعد الإصلاح ضرورة في البلدان النامية لتحسين مستوى المعيشة ويتم غالباً بدعم من المؤسسات المالية الدولية ووكالات المعونة، ويمكن أن يتضمن إصلاح السياسات الاقتصادية، والخدمات المدنية، والإدارة المالية العامة (بنيس، 2019، ص 46).

ويعني الإصلاح في مدلول الخطاب الملكي التعديل الجوهري لمنظومة العدالة من خلال تجاوز النواقص الظاهرة في هذه المنظومة ومعالجة الاختلالات المرصودة فيها؛ لأن العدل هو قوام دولة الحق والمؤسسات وسيادة القانون.

#### • العدالة

العدل "مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ. عَدَلَ الْحَاكِمُ فِي الْحُكْمِ يَعْدِلُ عَدْلًا وَهُوَ عَادِلٌ مِنْ قَوْمٍ عُدُولٌ وَعَدْلٌ؛ الْأَخِيرَةُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ كَتَجَرٍ وَشَرْبٍ، وَعَدَلَ عَلَيْهِ فِي الْقَضِيَّةِ، فَهُوَ عَادِلٌ، وَبَسَطَ الْوَالِي عَدْلَهُ وَمَعْدَلْتَهُ. وَفِي أَسْمَاءِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: الْعَدْلُ، هُوَ الَّذِي لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فَيَجُورُ فِي الْحُكْمِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ سَمِّيَ بِهِ فُضِعَ مَوْضِعَ الْعَادِلِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُسَمَّى نَفْسَهُ عَدْلًا، وَفَلَّانٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْدَلَةِ أَيِّ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ. وَالْعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالْحَقِّ، يُقَالُ: هُوَ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَيَعْدِلُ. وَهُوَ حَكْمٌ عَادِلٌ: ذُو مَعْدَلَةٍ فِي حُكْمِهِ. وَالْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: الْمَرْضِيُّ قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ. وَقَالَ الْبَاهِلِيُّ: رَجُلٌ عَدْلٌ وَعَادِلٌ جَائِزُ الشَّهَادَةِ (لسان العرب، ج 11، د.ت، ص 430).

ورجل عدل بين العدل والعدالة: وُصِفَ بِالْمَصْدَرِ، مَعْنَاهُ ذُو عَدْلٍ. قَالَ فِي مَوْضِعَيْنِ: وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ، وَقَالَ: يُحْكَمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ؛ وَيُقَالُ: رَجُلٌ عَدْلٌ وَرَجُلَانِ عَدْلٌ وَرَجَالٌ عَدْلٌ وَامْرَأَةٌ عَدْلٌ وَنِسْوَةٌ عَدْلٌ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى رَجَالٍ ذَوُو عَدْلٍ وَنِسْوَةٌ ذَوَاتُ عَدْلٍ، فَهُوَ لَا يُنْتَى وَلَا

يجمع ولا يؤنث، فإن رأيتَه مجموعاً أو مثنى أو مؤنثاً فعلى أنه قد أُجْرِي مجرى الوصف الذي ليس بمصدر، وقد حكى ابن جني: امرأة عدلة، أنثوا المصدر لما جرى وصفاً على المؤنث وإن لم يكن على صورة اسم الفاعل، ولا هو الفاعل في الحقيقة، وإنما استهواه لذلك جرّيها وصفاً على المؤنث؛ وقال ابن جني: قولهم رجل عدل وامرأة عدل إنما اجتمعا في الصفة المذكورة لأن التذكير إنما أتاها من قبل المصدرية (لسان العرب، ج 11، د.ت، ص 430).

والعدالة: في الفلسفة إحدى الفضائل الأربع التي سلم بها الفلاسفة من قديم وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة (المعجم الوسيط، ج 2، ص 588).  
والعدل: الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه ويقال امرأة عدلة أيضاً والمثل والنظير والجزاء والفداء وفي التنزيل العزيز "ولا يقبل منها عدل" (ج) أعدل (المعجم الوسيط، ج 2، ص 588).

وتعني العدالة عدم الانحياز في محاكمة أي إنسان لأي أمر، وهي رؤية إنسانية للمحيط الذي يعيش فيه كل فرد شرط أن ينظم هذه الرؤية قانون وضعي يشارك في صياغتها الكل بعيداً عن التحكم. والعدالة عكس الظلم والجور والتطرف أهداف العدالة الإنصاف والمساواة والتوازن وعدم التعدي وحماية المصالح الفردية والعامّة وهي مفهوم أخلاقي يقوم على الحق والأخلاق والعقلانية والقانون، والقانون الطبيعي والإنصاف. نظريات العدالة لا تختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع إلى آخر، ولكن تطبيق مفاهيمها يختلف وعند اختلاف المفاهيم لا يمكن أن نتواجد العدالة فالعدالة هي القوانين الطبيعية التي وجدت مع وجود الكون وتحقيقها فيما يتعلق بالبشر يرتبط بمدى إدراكهم وفهم للرسالات السماوية التي توضح ما أراد منهم خالقهم. والعدالة سبب تعايش الفقير والثري في مجتمع واحد وهي حق يتمتع به الفقير والثري، وليس بالضرورة لتحقيقها في المجتمع أن يطبق القوانين الموجودة في المحاكم لأنها من صنع البشر وتخدم مصالح الأقوى ومصلحة من يضعها، فالقانون يختلف عن العدالة بأن العدالة هي القانون الإلهي أما القانون فهو من صنع البشر وقد ينسجم مع العدالة وقد لا ينسجم معها. تعتبر العدالة قاعدة اجتماعية أساسية لاستمرار حياة البشر مع بعضهم البعض، فالعدالة محور أساسي في الأخلاق وفي الحقوق وفي الفلسفة الاجتماعية وهي قاعدة تنطلق منها بحوث إيجاد المقاييس والمعايير الأخلاقية والقانونية (بنيس، 2019، 257).

وتعني هذه الكلمة في مدلول الخطاب الملكي منظومة العدالة من قوانين ومؤسسات، بما في ذلك ضمان استقلال القضاء عن السلطين التشريعية والتنفيذية ورفع المستويات الأخلاقية داخل

منظومة العدالة، وتقوية وسائل حماية حقوق الإنسان والحريات، بالإضافة إلى تحسين فاعلية وكفاءة الآلة القضائية وتوسيع الصلاحيات المؤسسية للنظام القضائي وتحديث إدارة العدالة.

#### • الدستور

الدستور هو الميثاق الأساسي الذي يحدد في بلد معين طبيعة السلطة ودورها، وكذلك مجموع الحقوق والواجبات الأساسية للمواطنين. وهو يضبط نمط ممارسة السيادة أو تخويلها، أي شكل الحكم، والحكومة، واختصاصات سلطات الدولة وعمل وظائفها، والحقوق الأساسية للأفراد، وأخيراً، مشاركة المواطنين في ممارسة السلطة بواسطة حق الانتخاب "لاروس القرن العشرين" (ذبيان وآخرين، 1990، ص 226).

الدستور هو القانون الأعلى الذي يحدد القواعد الأساسية لشكل الدولة، والدستور عبارة عن مجموعة قواعد مكتوبة وغير مكتوبة تحمل المبادئ والقيم المنظمة للمجتمع، وتحدد صلاحيات وحدود السلطة السياسية، كما تنظم السلطات وعلاقتها ببعضها البعض، مع الحفاظ على حقوق وواجبات الأفراد، وينظم الدستور الأمور الداخلية والخارجية للدولة، كما يحدد شكل الدولة وحكومتها، وهو الذي يمثل قوة المجتمع، وأي وثيقة أخرى تتعارض مع الأحكام الواردة فيه تعد باطلة. يقوم الدستور على تحديد طبيعة، الدولة وما هو نظام الحكم فيها، كما يقوم على تناول السلطات الثلاث من حيث اختصاصها، وتشكيلاتها، وطبيعة علاقتها بالدستور، كما يقوم الدستور بتحديد شكل العمليات السياسية وتفاعلاتها مع الديمقراطية، ويقوم برسم الهيئة الإدارية للدولة، وفلسفة الحكم المحلي. ينص الدستور على حريات الأفراد الدينية والسياسية، والمدنية، والفكرية، وعلى كافة حقوقهم (بنيس، 2019، ص 199).

دستور مجموعة القواعد القانونية المكتوبة أو العرفية التي تبني شكل الدولة ونظام الحكم فيها واختصاصات السلطات العامة والعلاقة فيما بينها، وتبني الحقوق والحريات العامة والواجبات. ويعد الدستور أبا القوانين وأعلى التشريعات حيث هو املوجه للسلطات العامة التي ينشأها (معجم المصطلحات السياسية، 2014، ص 36).

وتعني الكلمة في الخطاب الملكي المعنى نفسه، أي الدستور باعتباره تشريعا رئيسا يتضمن مجموعة من القواعد القانونية العامة التي تبين الحقوق والحريات والواجبات وشكل نظام الحكم وتنظيم السلط والعلاقة بينها إلخ.

#### • الدولة

دَوْلَ: الدَّوْلَةُ والدَّوْلَةُ: العُقْبَةُ فِي الْمَالِ وَالْحَرْبِ سَوَاءً، وَقِيلَ: الدَّوْلَةُ، بِالضَّمِّ، فِي الْمَالِ، وَالدَّوْلَةُ، بِالْفَتْحِ، فِي الْحَرْبِ، وَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ فِيهِمَا، يُضْمَانِ وَيُفْتَحَانِ، وَقِيلَ: بِالضَّمِّ فِي الْآخِرَةِ، وَبِالْفَتْحِ فِي الدُّنْيَا، وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِيهِمَا، وَاجْتَمَعَ دَوْلٌ وَدَوْلٌ. قَالَ ابْنُ جَنِّي: مَجِيءُ فَعْلَةٍ عَلَى فِعْلِ يَرِيكَ أَنَّهَا كَأَنَّهَا جَاءَتْ عَنْدَهُمْ مِنْ فَعْلَةٍ، فَكَانَ دَوْلَةٌ دَوْلَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاوَ مِمَّا سَبِيلُهُ أَنْ يَأْتِيَ تَابِعًا لِلضَّمَّةِ، وَهَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ عِنْدَكَ ضَعْفَ حُرُوفِ اللَّيْنِ الثَّلَاثَةِ، وَقَدْ أَدَّاهُ الْجَوْهَرِيُّ: الدَّوْلَةَ، بِالْفَتْحِ، فِي الْحَرْبِ أَنْ تُدَالَ إِحْدَى الْفَتَّيْنِ عَلَى الْآخَرَى، يُقَالُ: كَانَتْ لَنَا عَلَيْهِمُ الدَّوْلَةُ، وَاجْتَمَعَ الدُّوْلُ، وَالدَّوْلَةُ، بِالضَّمِّ، فِي الْمَالِ؛ يُقَالُ: صَارَ الْفَيْءُ دَوْلَةً بَيْنَهُمْ يَتَدَاوَلُونَهُ مَرَّةً لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا، وَاجْتَمَعَ دَوْلَاتٌ وَدَوْلٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الدَّوْلَةُ، بِالضَّمِّ، اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَتَدَاوَلُ بِهِ بَعِيْنُهُ، وَالدَّوْلَةُ، بِالْفَتْحِ، الْفِعْلُ. وَفِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: إِذَا كَانَ الْمَغْمُ دَوْلًا جَمَعَ دَوْلَةً، بِالضَّمِّ، وَهُوَ مَا يَتَدَاوَلُ مِنَ الْمَالِ فَيَكُونُ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ. الْأَزْهَرِيُّ: قَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ؛ قَرَأَهَا النَّاسُ بِرَفْعِ الدَّالِ إِلَّا السُّلَيْمِيَّ فِيمَا أَعْلَمَ فَإِنَّهُ قَرَأَهَا بِنَصْبِ الدَّالِ، قَالَ: وَلَيْسَ هَذَا لِلدَّوْلَةِ بِمَوْضِعٍ، إِنَّمَا الدَّوْلَةُ لِلْجَيْشِيْنَ يَهْزِمُ هَذَا هَذَا ثُمَّ يَهْزِمُ الْهَازِمُ، فَتَقُولُ: قَدْ رَجَعَتِ الدَّوْلَةُ عَلَى هَؤُلَاءِ كَأَنَّهَا الْمَرَّةُ؛ قَالَ: وَالدَّوْلَةُ، بِرَفْعِ الدَّالِ، فِي الْمَلِكِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَغْيِرُ وَتُبَدِّلُ عَنِ الدَّهْرِ فَتَلْكَ الدَّوْلَةُ وَالدُّوْلُ (لسان العرب، ج 11، ص 252).

الدولة: الاستيلاء والغلبة والشئ المتداول ومجموع كبير من الأفراد يقطن بصفة دائمة إقليمًا معينًا ويتمتع بالشخصية المعنوية وبنظام حكومي وبالاستقلال السياسي (المعجم الوسيط، ج 1، ص 305).

الدولة هي التنظيم السياسي للجماعة التي تكونت تاريخياً، أي للأمة. ويؤدي مفهوم الدولة عدداً من المعاني، فهو قد يعني شكل الحكم أو النظام السياسي، فنقول دولة ملكية أو دولة جمهورية. وقد يعني أيضاً الإدارة العليا لأمة من الأمم. مثلما قد يعني مساحة خاضعة للسيادة السياسية نفسها. وقد يعني أخيراً مجموعة المواطنين مأخوذ من زاوية تكوينهم لجسم سياسي (ذبيان وآخرين، 1990، ص 230).  
الدولة هي مجموعة من الأفراد يمارسون نشاطهم على إقليم جغرافي محدد ويخضعون لنظام سياسي معين متفق عليه فيما بينهم يتولى شؤون الدولة، وتشرف الدولة على أنشطة سياسية واقتصادية واجتماعية الذي يهدف إلى تقدمها وازدهارها وتحسين مستوى حياة الأفراد فيها، وينقسم العالم إلى مجموعة كبيرة من الدول، وإن اختلفت أشكالها وأنظمتها السياسية (نيس، 2019، ص 205).  
وتعني الدولة في مدلول الخطاب الملكي التنظيم السياسي للأمة بما فيه شكل نظام الحكم، باعتبار الدولة الجهاز الساهر استقلال الوطن وازدهاره وتطوره.

• السلطة

"السُّلْطَةُ: الْقَهْرُ، وَقَدْ سَلَّطَهُ اللَّهُ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ، وَالْإِسْمُ سُلْطَةٌ" (لسان العرب، ج 7، ص 320).

السلطة التسلط والسيطرة والتحكم (المعجم الوسيط، ج 1، ص 443).  
والسلطة "المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ، أو الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى، بحيث تعترف الهيئات الأخرى لها بالقيادة والفصل وبقدرتها وبحقها في المحاكمة وإنزال العقوبات وبكل ما يضيف عليها الشرعية ويوجب الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقراراتها. وتمثل الدولة السلطة التي لا تلوها سلطة في الكيان السياسي. ويتجسد ذلك من خلال امتلاك الدولة لسمعة السيادة، لأنها مصدر القانون في المجتمع. وبالإمكان تعريف السياسة على أنها علم السلطة" (بنيس، 2019، ص 232).

وتعني السلطة في مدلول الخطاب الملكي مختلف السلط في الدولة؛ التنفيذية والتشريعية والقضائية.

#### • استقلال القضاء

استقلال القضاء هو مبدأ من المبادئ التي تقرها الدساتير الحديثة لحماية القضاء حتى يتمكن من القيام بمهمته على نحو يحمي حقوق المتقاضين ويشيع العدالة في نفوسهم وحتى يكون للقاضي الاستقلال في الرأي والحيادية في الحكم. ويمثل استقلال القضاء أحد صور مبدأ الفصل بين السلطات والضمانات الهامة للحقوق والحريات العامة بحيث تكون السلطة القضائية مستقلة عن السلطين التشريعية والتنفيذية، ولا سلطان على القاضي في قضائه، مع كفاية كافة الضمانات التي تضمن حياد القاضي. ويمتد هذا الاستقلال للنياحة العامة باعتبارها شعبة أصيلة للسلطة القضائية (بنيس، 2019، ص 40).

وتعني في مدلول الخطاب الملكي استقلال القضاء عن السلطين التنفيذية والتشريعية والذي تم التنصيص عليه في الدستور الجديد، ويشكلا مدخلا رئيسا لتحقيق العدالة، ويلتزم رئيس الدولة بضمان استقلاليتها.

#### • دولة الحق والقانون

دولة الحق والقانون هي عبارة عن دولة فيها حق وقانون يُسَيَّران المنتسبين إلى تلك الدولة، من خلال مراعاة عددٍ من المبادئ القائمة على ضرورة احترام الحريات الشخصية، من خلال ضمان الحريات الفردية والتشبت بالقيم الإنسانية، مع ضرورة احترام القوانين التي تم وضعها لتسيير الأفراد والجماعات، بهدف تمكينهم من العيش وفق نهج يسوده العدل الجماعي، إضافةً لحمايتهم في حالة وقوع أي

ظرف قد يلحق الأذى بهم أو بإنسانيتهم دون النظر إلى الأيدولوجية، وتطبيق مبدأ فصل السلطة للعمل بمقتضيات الحق والقانون، إضافةً لتحديد مهمة وماهية كل سلطة على حدة، حتى لا تتحول ممارسة تلك السلطات إلى فوضى (بنيس، 2019، 204).

وتعني الكلمة في مدلول الخطاب الملكي دولة الحق والمؤسسات وسيادة القانون، التي تنضبط فيها ممارسة المسؤولين للسلطة بناء على مقتضيات القانون، كما تعمل على صيانة حقوق المواطنين وضمان ممارستها.

## 2. الحقل الاجتماعي

### • التنمية

نمي "النماء: الزيادة. نَمِيَ يَنْمِي نَمِيًا وَنُمِيًا وَنَمَاءً: زَادَ وَكَثُرَ، وَرَبَّمَا قَالُوا نَمُو نَمُونُ، أَمَّيْتُ الشَّيْءَ وَنَمَيْتُهُ: جَعَلْتُهُ نَامِيًا. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنْ رَجُلًا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى تَبُوكَ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ أَوْ امْرَأَتُهُ كَيْفَ بِالْوُدِيِّ؟ فَقَالَ: الْغَزْوُ أَمَّنِي لِلْوُدِيِّ أَيِ يُمِّيهِ اللَّهُ لِلْغَزَايِ وَيُحْسِنُ خِلَافَتَهُ عَلَيْهِ. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَامٍ وَصَامِتٌ: فَالنَّامِيُّ مِثْلُ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَنَحْوِهِ، وَالصَّامِتُ كَالْحَجَرِ وَالْجَبَلِ وَنَحْوِهِ" (لسان العرب، ج 15، ص 341).

نما الشيء نماء ونمو زاد وكثر يقال نما الزرع ونما الولد ونما المال ويقال هو ينمو إلى الحسب ونما الخضاب في اليد أو الشعر ازداد حمرة وسوادا والحديث أسنده ونقله على وجه الإصلاح (المعجم الوسيط، ج 2، ص 956).

نمي الحديث نماء ونميا شاع والماء طما والحيوان سمن والدواب تباعدت تطلب الكلاء والصيد غاب عن الصائد والسهم في جسمه والشيء رفعه وأعلى شأنه يقال فلان ينمي حسبه والحديث إلى قائله رفعه في الإسناد إلى قائله وفلانا إلى فلان نسبه إليه والمال ونحوه زاده وكثره (المعجم الوسيط، ج 2، ص 956).

والتنمية بمعناها البيولوجي والأخلاقي تفيد معنى الازدياد والتكاثر والتطور. وفي هذا الإطار نقول: إن الشمس تمي المزروعات والإنسان ينمي ذاكرته أو يطورها. أما في الاقتصاد فإن تعبير النمو يستعمل بعمومية، وأحياناً بطريقة غير دقيقة، لوصف التطور الاقتصادي العضوي والمنسجم أي التقدم الاقتصادي المدرج في التقدم الإجمالي للمجتمع. ولكي يكون بلد من البلدان في حالة نمو إجمالية يجب أن يكون في حالة تقدم اقتصادي، وأن يكون هذا التقدم في خدمة التقدم الاجتماعي والإنساني عموماً (ذبيان وآخرين، 1990، ص 164).

وتعني التنمية في مدلول الخطاب الملكي مجموعة من البرامج المتكاملة، والتي تهدف إلى تحسين ظروف عيش المواطنين والاستجابة لمتطلباتهم.

### 3. الحقل الإداري

#### • القضاء

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ؛ أَي أَعْلَمْنَاهُمْ إِعْلَامًا قَاطِعًا، وَمِنْهُ الْقَضَاءُ لِلْفَصْلِ فِي الْحُكْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: (لَوْلَا) كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى (أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَضِي بَيْنَهُمْ؛ أَي لِفَصْلِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قَدْ قَضَى الْقَاضِي بَيْنَ الْخُصُومِ أَي قَدْ قَطَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْحُكْمِ، وَمِنْ ذَلِكَ (لسان العرب، دت، 187/15).

القضاء: الحكم والأداء وعمل القاضي ورجال القضاء الهيئة التي يوكل إليها بحث الخصومات للفصل فيها طبقاً للقوانين ويقال وقع هذا الحادث قضاء وقدرا لم ينسب إلى فاعل أحدثه وعقيدة القضاء والقدر عقيدة من يرى أن الأعمال الإنسانية وما يترتب عليها من سعادة أو شقاء وكذلك الأحداث الكونية تسير وفق نظام أزلي ثابت (ج) أفضية (المعجم الوسيط، 2004، 2/743).

وتعني هذه العبارة في مدلول الخطاب الملكي القضاء كسلطة مستقلة قائمة الذات عن السلطين التشريعية والتنفيذية.

#### خاتمة

يتضح مما سبق أن الألفاظ والعبارات في هذا الخطاب توزعت بين الحقل السياسي والحقل الاجتماعي والحقل الإداري، وكل هذا الحقول لها ارتباط بحقل إصلاح منظومة العدالة الذي يتقاطع فيه ما هو سياسي بما هو اجتماعي بما هو إداري، فبين الخطاب أن إصلاح منظومة العدالة يعد من الأوراش الإصلاحية الكبرى التي تم إطلاقها، انسجاماً مع مقتضيات الدستور الجديد 2011، نظراً لكون العدل هو أساس دولة الحق والمؤسسات وسيادة القانون، وهو الضامن لاستقرار المجتمع، والمحفز للاستثمار والتنمية، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال السهر على استقلال القضاء وتكريسه سلطة مستقلة قائمة الذات عن السلطين التشريعية والتنفيذية، وإحداث المجلس الأعلى للسلطة القضائية باعتبارها مؤسسة دستورية تتولى تعيين القضاة والمسؤولين القضائيين وتدير وضعياتهم المهنية، والنص على حقوق المتقاضين وقواعد سير العدالة، ودور القضاء في حماية حقوق الأشخاص والجماعات وحررياتهم.

#### لائحة المصادر والمراجع

• اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، أسس ومجالات العلوم السياسية، مركز الإسكندرية للكتاب مصر، 2012.

- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بيروت، لبنان، دار العلوم للملايين، 1985.
- جمال الدين ابن المنظور، معجم لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- سارة ميلز، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
- سيف الدين الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ترح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، مجلد 1، ط1، 1980.
- الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج: دراسات مصطلحية 2، مطبعة آنفو- برانت، فاس، ط 2، 2004.
- طارق سيد احمد الخليلي، معجم مصطلحات الإعلام الإنجليزي عربي، دار المعرفة الجامعة، مصر، ط1، 2008.
- عبد العليم محمد، الخطاب الساداتي: تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب الساداتي، كتاب الأهالي 27، أغسطس 1990.
- عبد الغفار هلال، مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم، دار الكتاب الحديث، 2010.
- عيسى عودة برهومة: تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 1 المجلد 36، يوليو-سبتمبر 2007.
- الفيروز آبادي، مجلد الدين قاموس المحيط، ج 4، دار الفكر، بيروت (د.ت).
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، 2009.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الارزي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986.
- محمد بن سعود البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، ط1، 1997.
- محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، مصر، 2006.
- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005.
- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، 2001.
- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002.
- زهت محمود الديلمي، الخطاب الدعائي، دار النفائس، الأردن، ط1، 2015.



المستكشفة الهولندية (ألكسندرينا تينا):

دراسة في رحلتها وظروف مقتلها في الصحراء الليبية (1868 - 1869)

The Dutch Explorer (Alexandrine Tinné):

A Study of Her Journey and the Circumstances of Her Murder in the Libyan Desert

(1868 - 1869)

عبدالله ابراهيم الشاعث - جامعة عمر المختار - البيضاء / ليبيا

ملخص البحث:

تعتبر الهولندية (ألكسندرينا تينا 1835 - 1869) حالة فريدة من بين كل الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في أفريقيا خلال القرن التاسع عشر، سواءً بسبب كونها امرأة اقتحمت مجالاً يعتبر حكراً على الرجال؛ أو بسبب عفوية نشاطها وغرابة سلوكها، يضاف إلى ذلك نهايتها المأساوية في الصحراء الليبية في الأول من أغسطس سنة 1869م، وما أحاط بهذه النهاية من ظروف ومُلاسات.

كلمات مفتاحية:

ألكسندرينا - رحلة - التوارق - مرزق - غات

#### Abstract:

The Dutchwoman (Alexandrine Tinné: 1835 - 1869) is considered a unique case among all European travelers and explorers in Africa during the nineteenth century, both because she was a woman who broke into a field considered exclusive to men; Or because of the spontaneity of its activity and the strangeness of its behavior, in addition to its tragic end in the Libyan desert on August 1, 1869 AD, and the circumstances and circumstances surrounding this end.

#### Key Words:

Alexandrine - Journey - Tuareg - Morzuk - Ghat

## مقدمة:

لقد شهد القرن التاسع عشر نشاطاً ملحوظاً للرحالة والمستكشفين الأوروبيين في قارة أفريقيا، فبعد استكشاف سواحل القارة خلال القرون السابقة؛ بدأت مرحلة جديدة وهي استكشاف الدواخل، وكان الهدف الأساسي هو تتبع منابع ومجاري الأنهار وقياس مساحات البحيرات والصحارى، ومعرفة المزيد عن سكان دواخل القارة، وبرزت العديد من أسماء الرحالة الأوروبيين مثل (فردريك هورنيمان) و (ألكسندر لاينج) و (ليفنغستون) و (هاينريش بارت) وغيرهم من الرحالة، والذين تعددت اهدافهم (سياسية - اقتصادية - دينية - علمية) وكانت أوروبا تتابع اخبار هؤلاء الرحالة اثناء وجودهم في افريقيا وتنتظر بشغف صدور كتبهم وتقاريرهم عن رحلاتهم، والجدير بالذكر أن كثير من هؤلاء الرحالة قد لقوا حتفهم اثناء هذه الرحلات؛ إما بالقتل على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، أو من قبل بعض الحكام والقبائل التي تشككت في نواياهم، وبعضهم ماتوا بسبب الأمراض والابوثة.

ومن بين هؤلاء الرحالة يبرز اسم الهولندية (ألكسندرينا تينا) والتي كانت حالة فريدة ومميزة، سواءً بسبب كونها امرأة اقتحمت مجالاً ظل حكراً على الرجال لفترة طويلة، أو بسبب طبيعة رحلاتها العفوية التي لا ترتبط بأية جهة علمية أو سياسية، ثم نهايتها المؤسفة في أعماق الصحراء الليبية، وقد بدأت نشاطها الاستكشافي في مصر والسودان خلال الفترة ما بين 1855 - 1862م، لتنتقل بعد ذلك إلى جنوب السودان وشمال أوغندا لتسجل اسمها كأحد مستكشفي منابع النيل ما بين سنتي 1862 - 1864م، ثم نقلت نشاطها إلى صحراء شمال أفريقيا اعتباراً من سنة 1867م لتقوم برحلتها الأخيرة عبر الصحراء الليبية حيث قتلت على أيدي قطاع الطرق في أقصى جنوب غرب ليبيا، في الأول من أغسطس سنة 1869م، في حادثة أثارت كثيراً من التساؤلات حول دوافعها وظروفها.

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى كونه يتطرق إلى اقتحام المرأة لمجال الرحلة والاستكشاف، ومدى الصعوبات والتحديات المترتبة على ذلك، كما إن مقتل (ألكسندرينا) وما صاحبه من ظروف ثم ما تلاه من مواقف وإجراءات يشير إلى مدى حساسية المنطقة التي كانت هي بصدد استكشافها.

ونهدف من هذا البحث إلى التعريف بالمستكشفة ورحلاتها المبكرة في منطقة حوض النيل، ثم الكشف عن ظروف ودوافع مقتلها في رحلتها الأخيرة في الصحراء الليبية، والإجراءات الرسمية بخصوص تلك الحادثة.

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج السردى التاريخي القائم على التسلسل الزمني للأحداث وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

وينقسم هذا البحث إلى تمهيد يتناول نشأة (ألكسندرينا) ورحلاتها المبكرة في مصر والسودان، وأربعة مباحث: يتناول الأول مسيرة رحلتها عبر الأراضي الليبية من العاصمة طرابلس إلى مدينة مرزق ثم مقتلها في الطريق ما بين مدينتي مرزق و غات، ويختص المبحث الثاني بدراسة الإجراءات التي اتخذتها حكومة طرابلس والقنصلية الهولندية إزاء حادثة مقتلها، فيما يتناول المبحث الثالث ظروف ودوافع مقتل المستكشفة، أما المبحث الرابع فهو يتابع توسع دائرة الاتهامات بشأن الحادثة، وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص النقاط الأساسية في مسيرة المستكشفة (ألكسندرينا تينا).

### تمهيد: ألكسندرينا تينا: نشأتها ورحلاتها 1835-1868م

ولدت (ألكسندرينا تينا) في لاهاي في 17-10-1835م، وكان والدها من كبار التجار في هولندا، كما إن والدتها (هنرييت فون كاييلين) هي ابنة أميرال البحرية الهولندية، وتعتبر ضمن وصيقات ملكة هولندا، ولهذا يمكننا القول إن (ألكسندرينا) تنحدر من أصول أرستقراطية من جهتي الأب والأم، وعلى الرغم من أن أسرة (تينا) تعود إلى جذور فرنسية قديمة - كما إن الأسرة قد انتقلت إلى بريطانيا بعد اجتياح قوات فرنسا الثورية لهولندا سنة 1795م، (Willink, 2011, 36 - 37)، إلا أن هذا لا ينفى انتسابها إلى هولندا بحكم المولد والانتماء.

وفي سن مبكرة أظهرت (ألكسندرينا) تفوقاً علمياً وميولاً نحو دراسة الجغرافيا وتعلم اللغات، كما إنها قد رافقت والدها في رحلات إلى فرنسا وإيطاليا، وبعد موت والدها سنة 1844م رافقت والدتها إلى الدانيمارك والنرويج والسويد، وبجرد بلوغها سن الخامسة عشرة كانت تجيد الإنجليزية والألمانية والفرنسية (Posthumus, 1874, 9 - 10) والواقع أن (ألكسندرينا) قد ورثت عن والدها ثروات طائلة قررت أن تستغلها في القيام برحلات إلى أفريقيا، وكانت تبدي اهتماماً أكبر نحو المناطق التي لم تستكشف بعد وتعرف ب(المساحات البيضاء) والتي تقع في وسط أفريقيا بصورة أساسية، ويمكن الاختلاف بين (ألكسندرينا) وغيرها من الرحالة الأوروبيين في استقلاليتها وعدم تبعيتها لأية جهة سياسية أو علمية، وذلك بسبب ثروتها التي مكنتها من تمويل رحلاتها دون الحاجة إلى جهات داعمة، كما إنها تختلف عن غيرها من الرحالة في دوافع رحلاتها؛ إذ يبدو أن الدافع الشخصي هو الغالب على هذه الرحلات، دون الارتباط بمشاريع سياسية أو تبشيرية، ومما يؤكد هذا الجانب هو عدم اهتمامها بتسجيل أحداث رحلاتها أو تدوين كتب و مذكرات شخصية (Andriessen, 1893, 35) كما يفعل بقية الرحالة.

وقد انطلقت أولى رحلاتها إلى مصر سنة 1855م صحبة والدتها، ومن (القاهرة) واصلت الرحلة إلى (الخرطوم)، ثم عادت إلى القاهرة لتغادر مصر نحو بلاد الشام، حيث تجولت ما بين (القدس -

دمشق - بعلبك - بيروت)، لتعود مجدداً إلى مصر استعداداً لرحلة جديدة، ولكن هذه المرة توغلت جنوباً حتى أقصى جنوب السودان، حيث انتهت رحلتها في (غندوكرو) والتي هي موطن قبائل (الدينكا) و(النوير) و كان الأوروبيون يطلقون على هذه القبائل اسم (نيام نيام) معتقدين بأنهم من أكلة لحوم البشر، ثم عادت إلى هولندا في سنة 1858م، عبر بلاد الشام والأناضول والبلقان والنمسا وألمانيا (Linden, 2021, 11 - 13).

وبعد ثلاث سنوات قررت القيام برحلة مجدداً إلى نفس المناطق التي زارتها في رحلتها السابقة، مع العزم على التوغل جنوباً هذه المرة، وفي السودان التقت ببعثة ألمانية مكونة من (تيودور فون هيوغلن) و(هيرمان ستودنز)، وقد جرى اتفاق بين الطرفين الألماني والهولندي على تنظيم رحلة مشتركة لاستكشاف منابع النيل، و من الواضح أن سعي الألمان إلى مرافقة (ألكسندرينا) كان بهدف الاستفادة من الدعم المالي، في حين إن الأخيرة ستحصل على مرافقين وأدلاء لهم خبرة بهذه المناطق، وقد وصلت البعثة المشتركة إلى منابع بحر الغزال حيث تم استكشاف مناطق شمال البحيرات الكبرى وذلك خلال الفترة ما بين 1862-1864م ، غير إن الحمى قد داهمتهم هناك، مما أدى إلى موت والدة (ألكسندرينا) واثنتين من مرافقاتها، بالإضافة إلى موت الألماني (ستودنز) مما استوجب إيقاف الرحلة والعودة إلى مصر (Budge, 1907, 13 - 16)، عندما وصلت إلى الخرطوم توفيت خالتها أيضاً، فانطلقت من الخرطوم شرقاً إلى ميناء سواكن على البحر الأحمر، ثم اتجهت شمالاً في رحلة بحرية إلى خليج (العقبة) حيث سلمت جثمان والدتها إلى أخيها لكنها رفضت مرافقته إلى هولندا، (Willink, 159 - 158, 2011)، وقررت الإقامة في مصر، حيث عملت على شراء قطعة أرض في ضواحي (القاهرة) لبناء قصرٍ تقيم فيه بشكلٍ دائم، غير إنها قوبلت بعدة عراقيل من طرف الحكومة المصرية، لتغادر مصر سنة 1865م (Roselli, 1914, 209).

### 1-رحلة ألكسندرينا تينا في الأراضي الليبية 1868-1869

عندما غادرت (ألكسندرينا) الأراضي المصرية فإنها لم تعود إلى هولندا؛ بل ظلت تنتقل ما بين إيطاليا وفرنسا حتى أواخر سنة 1866م، ومن هناك أخذت تخطط للقيام برحلة إلى مملكة (كانم - برنو) الواقعة شمال وغرب بحيرة تشاد، ويبدو أن ذلك بسبب اصداء الرحلة التي قام بها الألماني (غيرهارد رولفس) إلى تلك المملكة سنة 1865م، وقد اختارت عبور الصحراء من خلال الأراضي الجزائرية، ولهذا فقد توجهت إلى الجزائر العاصمة، وقد تصادف وصولها مع الزلزال الذي ضرب البلاد في يناير 1867م مما أدى إلى تعطل رحلتها، وخلال اقامتها بالجزائر فقد اطلعت على كتاب الرحالة الفرنسي (هنري دوفيرييه) (Les Tuarg de Nord) - توارق الشمال - ، والذي صدر سنة 1864م،

وكان قد تناول فيه فترة اقامته بين قبائل (التوارق) (Willink, 2012, 178) ولهذا فقد قررت (ألكسندرينا) المرور بأراضي قبائل (التوارق) قبل التوجه إلى مملكة (كانم - برنو)، حيث انطلقت رحلتها من الجزائر العاصمة إلى (الاغواط) باتجاه (ورقلة)؛ غير إن الظروف الأمنية السيئة والمتمثلة في اضطرابات القبائل قد اجبرتها على قطع رحلتها والعودة إلى (قسنطينة) ومنها إلى (عنابة)، حيث فكرت في تغيير طريقها عبر الأراضي الليبية - كانت ليبيا في ذلك الوقت تابعة للدولة العثمانية وتعرف باسم ولاية طرابلس الغرب- (Roselli, 1914 A, 210) ولهذا فقد توجهت إلى مالطا ثم طرابلس والتي وصلتها في أكتوبر 1868م، وقد اقامت في مدينة طرابلس حتى اوائل يناير 1869م، حيث التقت بعدد من الرحالة الألمان مثل (غوستاف ناختيجال) والذي كان في طريقه إلى مملكة (كانم - برنو) الواقعة على ضفاف بحيرة تشاد، و (غيرهارد رولفس) الذي جاء للترتيب لرحلة (ناختيجال) ثم التوجه شرقاً إلى مصر عبر برقة، و (غوتلوب ادولف كراوزه)، الذي كان شاباً في مقتبل العمر يرغب في اقتحام عالم الرحلة والاستكشاف، وقد انضم هذا الأخير إلى (ألكسندرينا) (Rohlf, 2001, 64 - 65).

وقد حصلت على دعم من حاكم طرابلس الغرب (علي رضا باشا) والذي زودها برسائل توصية إلى موظفيه في مدينة (مرزق)، وعلى الرغم من أن مدينة (غات) ومناطق قبائل (التوارق) كانت حتى ذلك الوقت خارج حدود ولاية طرابلس الغرب (ليبيا حالياً)؛ إلا إن الباشا قد أعرب عن ثقته بأن الزعيم (اكنوكن) سيقوم بحمايتها على أكمل وجه، كما إن الباشا قد استمر بمراسلة (ألكسندرينا) حتى بعد مغادرتها مدينة طرابلس ووصولها إلى مدينة (مرزق)، ويدل كم الرسائل المتبادلة بينهما على مدى اهتمام الباشا بسلامتها ونجاح رحلتها (Bollitino Della Societá Geografica, 1870, 171- 179).

وقد انطلقت (ألكسندرينا) من طرابلس إلى مرزق في يناير 1869م، حيث حرص القنصل الهولندي (ايمل تيستا) على توديعها ومرافقتها حتى ضواحي العاصمة، وقد مرت عبر مناطق: (بني وليد - الجفرة - وادي الشاطي - سبها)، ووصلت إلى مدينة (مرزق) في مارس، حيث اعربت بأن رحلتها قد مرت دون أية عوائق، وقد تم استقبالها من قبل متصرف (مرزق) بشكل جيد، وكذلك من قبل شيخ البلد (ابراهيم بن علوة) والذي قدم لها الكثير من الخدمات والنصائح (El- hachaichi, 1903, 237)، والواقع إن إقامتها بمرزق قد امتدت أربعة أشهر بسبب تأخر وصول بعض الأغراض التي كان المنتظر وصولها من مالطا، وفي (مرزق) التقت مرة أخرى بالألماني (ناختيجال) والذي كان يريد القيام برحلة أولاً إلى (تبيستي = جنوب ليبيا و شمال تشاد)، ثم يعود إلى (مرزق) ليواصل بعدها رحلته إلى (كانم - برنو)، وقد قررت (ألكسندرينا) التواصل مع (اكنوكن) للتنسيق معه لمرافقتها إلى مدينة

(غات)، وقد تم اللقاء بينهما خارج مدينة (مرزق) بسبب تردي العلاقة بين (اكنوكن) ومتصرف المدينة، وقد تعهد الزعيم التارقي بتأمين وصول الرحالة الهولندية و حمايتها طيلة فترة اقامتها في مدينة (غات)، وطلب منها التوجه بصحبته فوراً؛ لكنها لم تكن على استعداد في تلك اللحظة، وقبل أن يغادر (اكنوكن) فقد اتفق معها على تكليف شخص من طرفه ينوب عنه في مرافقتها وهو (احمد ابو صلاح) والذي تربطه صلات قرى مع (التوارق) ويتمتع باحترام سكان المنطقة كونه حفيد أحد (الأولياء) الذين يجلبهم السكان (Russelli, 1914, 212 B) وبعد أيام وصلت مجموعة من (التوارق) والعرب وادّعوا أنهم مكلفون من قبل (اكنوكن) لحمايتها، وقد صدقت ذلك لأنه كان من بينهم (حاج الشيخ) وهو ابن اخ (اكنوكن)، كما قامت باصطحاب ثلاثة مرافقين من مدينة (مرزق)، وحوالي عشرة من سائبي الجبال من عرب (أولاد بوسيف)، و(توارق (تين الكوم)، كما أرسل معها متصرف (مرزق) أحد (الظابطيه = شرطي) كنوع من الحماية الرسمية، بالإضافة إلى مرافقين هولنديين اثنين (Nachtigal, 1870, 94).

كان موكب (ألكسندرينا) يضم حوالي خمسين شخصاً، حارسان هولنديان، سبعة خدم، خمسة نساء، وعدد من العمال العرب و(التوارق) الذين استأجرتهم، وبالتالي كان هذا الموكب أشبه بقبيلة متنقلة ومتعددة الاعراق أيضاً، في حين إن مجموعة (التوارق) المكلفة بالحماية كانت تسير بمحاذاة الموكب وبشكل منفصل، وقد مرت الرحلة عبر طريق (حاسي شربة) ثم اتجهت إلى وادي (برجوج)، حيث تقرر نصب الخيم للمبيت والانطلاق في اليوم التالي؛ غير إنه في صباح اليوم التالي الأول من أغسطس 1869م قامت مجموعة (التوارق) والعرب بالهجوم على مخيم (ألكسندرينا) وقتل مرافقيها الهولنديين، وبجرد خروجها من خيمتها للاستفسار عما يحدث فقد هاجمها إثنان من الرجال وقاما بقتلها، وتمت سرقة كل محتويات خيمتها، ثم سمح المهاجمون لبقية أفراد القافلة بالعودة إلى مدينة (مرزق) (Nachtigal, 1974, 4 - 8).

## 2-التحقيقات والإجراءات المتبعة تجاه مقتل ألكسندرينا

بجرد وصول أفراد القافلة إلى مدينة (مرزق) فقد تم التحفظ عليهم إلى حين استجوابهم بخصوص الحادثة، في حين أرسل المتصرف مجموعة من الجنود إلى وادي (برجوج) حيث تم دفن جثث القتلى وهم (ألكسندرينا تينا) ومرافقيها الهولنديين (كيس اوستمان) و (آري جاكوبسي) (Von Bilguer, 1915, 759) وبعد عودة (ناختيجال) من تيبستي فقد تم تكليفه رسمياً من قبل القنصلية الهولندية في العاصمة طرابلس بإجراء تحقيق مستقل، حيث قام باستجواب الشهود عدة مرات لكشف أي تناقض في اقوالهم (Nachtigal, 1879, 467- 468)، وفي طرابلس فقد تقرر الشروع في

التحقيق بهذه الحادثة بناءً على طلب القنصل الهولندي، فتم نقل الشهود إلى العاصمة طرابلس لاستجوابهم (Von Bilguer, 1915, 760)، وقد تأخر وصولهم إلى العاصمة طرابلس حتى نوفمبر؛ وذلك بسبب تهديدات قبائل منطقة (الشاطي) باعتراض أي شخص مُتجه إلى طرابلس للإدلاء بشهادته خوفاً من تورط افراد من قبائل المنطقة في الحادثة (Nachtigal, 1971, 11)، وكان الشهود شبه مجمعين على رواية واحدة مفادها إنه في وقت مبكر من صباح الأول من أغسطس وبينما كانت الاستعدادات تجري للانطلاق إلى (غات) فقد وقع شجار بين إثنين من سائسي الجمال العرب - من الواضح إنه مفتعل - وعند تدخل الحارسين الهولنديين لفض الشجار فقد تمت مهاجمتهما وقتلهما والاستيلاء على اسلحتهما، أما (ألكسندرينا) فقد تلقت ضربة سيف من أحد (التوارق) لمنعها من استخدام مُسدسها، وأدت الضربة إلى قطع يدها بشكل شبه كامل، مع جرح آخر في رقبته، في الوقت الذي حرص فيه المهاجمين على احتجاز أفراد القافلة ومنعهم من الهرب، ثم قام أحد المهاجمين وهو عربي يدعى (عثمان البوسيفي) بإطلاق رصاصة على صدر (ألكسندرين)، وبدأ المهاجمون بتفتيش خيمتها، واصيبوا بخيبة أمل لعدم العثورهم على أي شيء ذي قيمة، ثم اخذوا بتخميم براميل المياه اعتقاداً منهم بأنها مليئة بالقطع الذهبية فلم يجدوا فيها شيئاً، والواقع أن (ألكسندرينا) لم تكن تحمل أموالاً فقد ارسلت قبل أيام إلى أخيها أن يقوم بتحويل مبلغ مالي إلى القنصلية الهولندية في طرابلس بسبب نفاذ اموالها (Willink, 2011, 180)، وعندما تملك اللصوص الغضب بسبب عدم حصولهم على الأموال التي كانوا يتوقعونها فقد قاموا بانتزاع الحلي التي كانت ترتديها، كما قاموا أيضا بتجريدتها من ملابسها (Rizzetto, 1890, 911 - 912) ودخلوا في مشاجرات فيما بينهم حول تقسيم الغنائم، والتي استمرت حتى منتصف النهار، وخلال كل هذا الوقت فقد منعوا مرافقي (ألكسندرينا) من تقديم أية مساعدة لها حتى وهي تطلب بعض الماء في لحظاتها الأخيرة، ويجمع الشهود على أنها رغم اصابتها بالليغة إلا إنها لم تمت إلا بعد الظهر، عندها سُح لأفراد القافلة بالعودة إلى (مرزق)، باستثناء طفلة سوداء احتفظ بها اللصوص (Nachtigal, 1870, 98).

ومن الواضح أن هذه التحقيقات لم تأتِ بجديد إذ إن أقوال الشهود أمام محكمة طرابلس كانت هي نفس الاقوال التي سبق وأن أدلوا بها في (مرزق) أمام (ناختيجال)، كما فشلت كل جهود الحكومة لإقناع (التوارق) بتسليم الجناة، غير إنهم اذعنوا بشأن تسليم بعض المسروقات، كما قاموا بإعادة الطفلة السوداء التي سبق وأن احتفظوا بها (Nachtigal, 1879, 475) أما عن المتهمين العرب فقد ارسلت حكومة طرابلس في فبراير 1870م قوة مسلحة إلى (وادي الشاطي) للقبض عليهم، غير إن شيوخ القبائل قد تدخلوا لإقناع هذه القوة بالعودة إلى العاصمة طرابلس بعد أن احسنوا استقبالها

(Nachtigal, 1974, 12)، وقد استغرقت التحقيقات والإجراءات الرسمية بخصوص هذه الحادثة ثمانية أشهر، ثم بدأت الأمور تسير نحو إغلاق ملف القضية.

### 3- دوافع وظروف مقتل ألكسندرينا تينا

إن أولى التفسيرات التي قيلت بشأن هذه الحادثة هي أن مقتل (ألكسندرينا تينا) يرجع إلى التعصب الديني، حيث إن استهداف المهاجرين للمسيحيين فقط، وعدم تعرضهم لأي مسلم من أفراد القافلة قد أعطى انطباعاً عن الصفة الدينية لهذا الهجوم، وكان الفرنسي (دوفيرييه) من أبرز القائلين بهذا الرأي، وهو يتهم (السنوسية) تحديداً (Duveyrier, 1884, 15, 41)، وهي حركة دينية تأسست في منطقة (الجبل الأخضر) شمال شرق ليبيا في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، على يد رجل الدين الجزائري الأصل (محمد بن علي السنوسي)، والذي نجح في كسب ثقة سكان منطقة (برقة) وحصل على تأييد شيوخ قبائلها، وتمكنت (السنوسية) من مد نفوذها إلى واحات جنوب ليبيا وشمال تشاد (Pritchard, 1949, 11 - 12, 21 - 22) وباتت تشكل قوة موازية لسلطة حكومة طرابلس الغرب، وحتى بعد الاستدلال على القتل، فقد أصّر (دوفيرييه) على تحميل (السنوسية) مسؤولية خلق الظروف التي أدت إلى مقتل (ألكسندرينا تينا) (Casajus, 2007, 163 - 164).

ويرى الباحث أن محاولات (دوفيرييه) المستميتة لإدانة (السنوسية) يمكن إرجاعها إلى كراهيته الشخصية للحركة حيث سبق أن تم منعه من دخول مدينة (غات) سنة 1861م من قبل أفراد الزاوية السنوسية بالمدينة، يضاف إلى ذلك أن (دوفيرييه) ومن منطلق أنه فرنسي كان يرى أن (السنوسية) باتت تشكل منافساً شرساً لبلاده في الصحراء الكبرى، دون أن يغفل الإحراج الذي وقع فيه بعد أن تعرض للوم من قبل الرحالة الأوروبيين وأيضاً من زملائه في الجمعية الجغرافية الفرنسية؛ حيث اتهم بأنه قد غرّب (ألكسندرينا)، عندما صوّر (التوارق) على أنهم شعب ودود ومضياف وإنهم أفضل من العرب بكثير؛ غير أن سير الأحداث قد أثبت عدم دقة أحكامه.

أما الألماني (ناختيجال) فيرى إن عملية القتل قد تمت على الهوية الدينية، وإن المهاجرين قد اعلنوا صراحة أنهم لا يستهدفون سوى المسيحيين (الكفار)، كما إنهم قد شعروا بالخرج من جراء قتلهم لامرأة، وهو أمر مستهجن اجتماعياً، فحاولوا اضاءاً شرعية دينية لتبرير الجريمة التي اقدموا عليها (Nachtigal, 1971, 7)

أما السرقة وهي الاحتمال الأكثر ترجيحاً، فنذ وصول (ألكسندرينا) إلى طرابلس فقد انتشرت بين الناس أخبار ثروتها الكبيرة، لدرجة أن سكان مدينة طرابلس الغرب قد أطلقوا عليها اسم (بنت الري) أي ابنة الملك، بل إن (رولفس) يقول بأن اخبارها قد وصلت إلى سكان (برقة = شرق ليبيا)،

كما إن (ناختيجال) يقول بأن قبائل (التبو) في تيبستي (جنوب ليبيا وشمال تشاد) كانوا ينتظرون مرورها بمناطقهم في طريقها إلى (برنو)، وكانوا ينوون اعتراضها والاستيلاء على اموالها، خاصة بعد أن علموا بأنها تحمل هدية قيمة إلى حاكم (كانم - برنو)، وعندما علموا بتوجهها إلى مدينة (غات) فقد شعروا بالأسف لأن اموالها ستكون من نصيب (التوارق) (Nachtigal, 1870, 95) ومما يؤكد دافعية السرقة هو أن المهاجمون قد شرعوا بتفتيش الخيام بحثاً عن النقود، ثم تحطيمهم لبراميل المياه اعتقاداً منهم باحتوائها على الأموال، ومن خلال روايات الرحالة المعاصرين لهذه الحادثة فإنه يبدو بوضوح إهمال (ألكسندرينا) للإجراءات الأمنية الاحترازية، فقد نصحتها (رولفس) مثلاً بعدم حمل المياه في براميل معدنية؛ لأن هذا يجعلها هدفاً للصمصوم الذين يعتقدون أن هذه البراميل تحتوي على الاموال (Guenther, 1912, 104).

كما يلاحظ أن (ألكسندرينا) قد أهملت مسألة الحراسة حيث اكتفت بحارسين هولنديين فقط، ومن أخطر ما قامت به هو مرافقة مجموعة (التوارق) دون التأكد من إنهم مرسلون من طرف (اكنوكن)، بالإضافة إلى إنها قد ضمت لموكبها عمالاً وخدم دون التأكد من هويتهم، وأيضاً اصطحابها لعدد من النساء والرقيق المحررين، بل وحتى الرقيق الهاريين الذين احتموا بها للوصول إلى بلدانهم في وسط افريقيا، ومن الواضح إن هؤلاء النسوة والرقيق كانوا هدفاً للصمصوم من أجل الاستيلاء عليهم وإعادة استرقاقهم وبيعهم.

ومن الواضح أن الاوضاع الأمنية والسياسية التي تمر بها منطقة (فزان = جنوب غرب ليبيا) لم تكن مواتية للترحال؛ إذ إن منطقة التوارق كانت حتى ذلك الوقت خارج سيطرة حكومة طرابلس الغرب، بالإضافة إلى وجود اطماع فرنسية بضم المنطقة، فضلاً عن الحروب الداخلية بين قبيلتي (توارق الهقار) و(توارق الأزرق)، وكذلك حروب (الأزرق) فيما بينهم، مثل حرب (الامغساتن) ضد (الامنان) و (الاوراغن)، وكان المهزومون في هذه الحروب يلجؤون إلى مدينة (مرزق) و(وادي الشاطي) (Krause, 1912, 89- 94) وقد نتج ذلك ظهور عصابات مختلطة من التوارق والعرب، تمتهن السرقة وقطع الطريق، كما إن الزعيم (اكنوكن) كان لديه اعداء كثيرين يعملون على استهداف أي رحالة تحت حمايته؛ نكايته به وإحراجاً له أمام أصدقاءه الأجانب، ولهذا فقد كان واضحاً منذ البداية أن رحلة (ألكسندرينا) إلى مدينة (غات) كانت مخاطرة غير مأمونة، لدرجة أن الشيخ (ابراهيم بن علوة) وهو أحد أعيان مرزق، وكان يتولى وظيفة (شيخ البلد)، قد حاول اقناع (ألكسندرينا) بعدم المغامرة بالقيام برحلة إلى مدينة (غات) محذراً من احتمال تعرضها للهجوم في الطريق، كما إن (محمد القطروني) وهو من أشهر الأدلاء الصحراويين الذين عملوا مع الرحالة وأكثرهم خبرة بشعوب وقبائل

المنطقة قد قال بعد وداعه ل (ألكسندرينا) "سوف لن نراها مرة أخرى" (Nachtigal, 1974, 195; Russell, 1914, 216)

#### 4- توسع دائرة الاتهامات بشأن الحادثة

بمجرد وقوع حادثة اغتيال الرحالة (ألكسندرينا تيني) كان المتهم الأول هو (اكنوكن)، على اعتبار إنه قد استدراجها إلى صحراء التوارق ثم قتلها للاستيلاء على أموالها، غير أنه بعد التحقيقات فقد تم التعرف على القتلة وهم مجموعة من التوارق والعرب، كان من المفترض أن يتولوا حمايتها حتى يوصلوها إلى غات، إلا إنهم قد غدروا بها طمعاً في أموالها، ويعتبر القاتلان المباشرين هما (بوبكر التارقي) الذي طعنها أولاً، ثم (عثمان البوسيفي) الذي وجه لها الرصاصة القاتلة (Von Bilguer, 1915, 759) غير أن سير الأحداث بعد عملية الاغتيال وما تبعها من سرقة ثم الطريقة التي قُسمت بها المسروقات، توجي بضلوع آخرين في التخطيط لهذه الجريمة، فقد كان واضحاً أن الجمالون العرب كانوا متواطئين مع المجموعة المهاجمة بدليل افتعالهم للشجار لاستدراج الحارسين الهولنديين للتدخل ومن ثم قتلها، كما إن أحد مرافقي (ألكسندرينا) وهو تونسي يُدعى (محمد الكبير) كان يختلي بمجموعة التوارق قبل الهجوم ويعقد معهم مناقشات جانبية، وحتى عندما استشعرت (ألكسندرينا) بالخطر في اليوم السابق وقررت العودة إلى مدينة مرزق فقد الح عليها (الكبير) للاستمرار في الرحلة، وكان يحظى بثقتها، غير أن سلوكه الأخير يوجي بخيانتة لسيدته (Nachtigal, 1870, 96, 98)، أما (احمد ابو صلاح) وهو المكلف من قبل (اكنوكن) بمرافقة (ألكسندرينا) وحمايتها فإن موقفه يثير كثيراً من الشكوك، إذ إنه قد اختفى تماماً عند اقتحام المهاجمين للمخيم، ولم يُد أي ردة فعل بعد علمه بمقتل (ألكسندرينا)، كما إنه لم يجرؤ على العودة إلى مرزق بعد الحادثة وظل محتبئاً في غات (Nachtigal, 1879, 475) وتأتي عملية توزيع المسروقات لتبين وبوضوح أن (ألكسندرينا) كانت ضحية مؤامرة واسعة النطاق، حيث اشترك الجميع في المطالبة بنصيبهم من الغنائم، سواءً من اللصوص أو من حراسها، بل أن (محمد الكبير) و (أحمد ابو صلاح) أيضاً قد أخذوا حصتهم، ويبدو أن القتلة قد أوردوا توريط أكبر عدد من الأشخاص، حيث أرسلوا خيمة (ألكسندرينا) هدية إلى (اكنوكن)، وبذلك فقد بات متورطاً بشكل غير مباشر، كما إن الظروف التي تمر بها مدينة غات وماحولها ربما توجي بوقوف بعض الزعماء خلف هذه الحادثة وذلك بتحريض اللصوص لارتكاب هذا العمل، وفي مقدمتهم (حاج الشيخ) ابن اخ (اكنوكن) والذي كان على خلاف مع عمه، وسبق أن قام بمحاولة للإطاحة به، ومما يلاحظ هنا أن الاتهامات باتت مفتوحة ولم يستثنى منها أحد من الأشخاص الذين تعاملوا مع (ألكسندرينا)، ومن الواضح أن الأغراض الكيدية كانت حاضرة، إما للتوصل من الجريمة أو للانتقام من اللصوص، أو لتشتيت جهود التحقيق، فحتى

(ابراهيم بن علوة) شيخ البلد في مدينة مرزق و الذي ارتبط بالقتيلة بعلاقة ودية، وشهد له كل الرحالة الأوروبيين بحسن المعاملة وتقديم الخدمات والتسهيلات، فقد تم اتهامه أيضا واستدعي للمثول أمام محكمة طرابلس هو وأحد أبنائه (Nachtigal, 1971, 11).

ويرى الباحث أن اتهام (ابراهيم بن علوة) ثم وفاته المفاجئة هو وابنه بعد أيام من وصولهما إلى طرابلس يثير كثيراً من التساؤلات، إذ رغم تأكيد السلطات أن سبب وفاتهما هو التسمم، إلا إن هذا لا يمنع احتمال أن يكون موتهما مذبذباً؛ إما لمنعهما من الإدلاء بأية أقوال أو لتسهيل ادانتهم.

ويذكر انه بعد مرور بضع سنوات من هذه الحادثة، فإن الألماني (أدولف كراوزه) قد أضاف اسماً آخرًا إلى قائمة المتهمين، حيث ذكر أن مقتل (الأكسندرينا) قد جاء بتخريض من تاجر إيطالي، كان يقيم في مدينة (غات)، وإن هذا التاجر قد عرض عليها مرافقتها وتأمينها طيلة رحلتها مقابل مبلغ مالي كبير، غير أن (الأكسندرينا) قد رفضت عرضه، فاراد ذلك الإيطالي أن ينتقم منها بتخريض التوارق على قتلها، والواقع أن (الأكسندرينا) كانت قد ذكرت هذا العرض في إحدى رسائلها إلى القنصل الهولندي (Ruselli, 1914, 213)، ولكن كراوزه لم يقدم دليلاً على صحة ادعاءاته، ولماذا تأخر كل هذا الوقت، ولم يدي بهذه المعلومات في حينها.

كما أن ظروف هذه الجريمة وطريقة التعاطي معها تدعونا لتناول بعض الأطراف الأخرى، وخاصة الرحالة الألمان الذين تزامن وجودهم مع وجود (الأكسندرينا) في طرابلس ومرزق قبيل وقوع هذه الحادثة، يبدو موقف هؤلاء الرحالة مثيراً للشك؛ إذ إن (رولفس) رفض مرافقة (الأكسندرينا)، وتحجج بأنه مكلف برحلة إلى الحبشة، في حين إن (كراوزه) ينسحب من الرحلة في اللحظات الأخيرة ويغادر إلى طرابلس، ويعود بعد بضع سنوات ليتهم شخصاً إيطالياً بتدبير الحادثة، وقد قام الرحالة الألماني (هاينريش فون مالتسان) بنشر سلسلة من المقالات في المجلات الألمانية تناولت هذه المسألة، موجهاً كثير من الانتقادات والتساؤلات حول مواطنه (أدولف كراوزه) سواءً بخصوص عودته المفاجئة وتركه لسيدته في مدينة (مرزق)، أو بخصوص ادعاءاته الأخيرة، أما (ناختيجال) فقد صرح بأنه كان يعلم أن (الأكسندرينا) ستقتل، وإنه هو من نصح (كراوزه) بالعودة إلى ألمانيا (Sebald, 1972, 20) وكأنه قد أراد إنقاذ مواطنه من موت محقق، كما إن الرسائل المتبادلة بينه وبين الفرنسي (هنري دوفيرييه) كانت تدور حول اغلاق ملف القضية أكثر من العمل على كشف ملابساتها، بالإضافة إلى تناقض أقوال (ناختيجال)؛ حيث يقول في رسالة موجهة إلى (دوفيرييه) إنه قد علم بحادث مقتل (الأكسندرينا) عندما كان في (برداي - شمال تشاد) (Nachtigal, 1870, 100) وإن هذا هو سبب عودته إلى (مرزق)، وهذا يتناقض مع ما ورد في إحدى رسائله إلى زوجته والتي يقول

فيها بأنه كان محتجزاً في (برداي) (Berlin, 1887, 93 - 94)، وهذا يعني أنه لم يكن مقيماً إقامة طبيعية تسمح له بالعودة متى شاء، فبسبب عودته ببساطة هو تمكنه من الهرب وليس علمه بمقتل (ألكسندرينا)، وكيف اتصله أخبار وهو رهن الاحتجاز كما ادعى سابقاً.

خاتمة

إن رحلات (ألكسندرينا تينا) قد قوبلت بكثير من الحساسية، خاصة على الصعيد الأوروبي، فعلى الرغم من انفتاح المجتمعات الأوروبية؛ إلا إنه وبمعايير منتصف القرن التاسع عشر فإن اقتحام المرأة لمجال الرحلة والاستكشاف لم يكن موضع ترحيب، إذ إن بعض الرحالة قد أبدوا استغرابهم من وجود امرأة أوروبية تتجول في مجاهل أفريقيا، ويبدو عدم الارتياح الأوروبي لنشاط (ألكسندرينا) من خلال رفض الجمعية الجغرافية البريطانية الاعتراف بإنجازاتها الكشفية (Cardona, 2015, 115)

كما إن بعض الأوساط في أفريقيا كانت تشعر بالانزعاج من نشاط (ألكسندرينا) فيما يتعلق بحاربة تجارة الرقيق، حيث كانت تتجول في أسواق الرقيق وتنقل صورة قائمة عن المعاناة التي يلقاها آلاف الاطفال والنساء من جراء هذه التجارة (McFadden, 2014, 196) بل إنها بمجرد عودتها إلى القاهرة بعد رحلتها في جنوب السودان، فقد رفعت دعوة قضائية ضد عددٍ من تجار الرقيق، وقد شملت هذه الدعوة مسؤولين حكوميين في السودان المصري (Posthumus, 1876, 81).

والجدير بالذكر إنها قد اشترت اعداداً من الرقيق وقامت بتحريرهم، وبعضهم فضل البقاء معها، حيث كان موكبها يضم الكثيرين منهم، وكانت تعمل على عقد زيجات بين هؤلاء الخدم، وكانت تراعي أن تتم هذه الزيجات وفق الشريعة الإسلامية، نظراً لأن غالبية خدمها كانوا مسلمين، ولم تكن هذه الزيجات تستمر طويلاً؛ ما أعطى انطباعاً لكثيرين من الرحالة المعاصرين بوجود نوع من التهتك الأخلاقي بين مرافقي (ألكسندرينا)، (Rohlf, 1891, 203) وكان الرحالة الألماني (هاينريش فون مالتسان) قد وصف مرافقي (ألكسندرينا) بأنهم مجموعة من الرعاع غير المنضبطين (Von Bilguer, 1915, 759-760)، كما إن الألماني (ناختيجال) والذي ارتبط معها بعلاقة ودية خلال اقامتهما في مدينة مرزق وبحكم زيارته المتكررة لها في منزلها فقد انتقد الأشخاص المرافقين ل (ألكسندرينا) بقوله "إنهم قد دنسوا منزل سيدتهم بسلوكهم المشين" (Nachtigal, 1870, 96)

ويرى الباحث إن هذا يرجع إلى عدم تفهم هؤلاء الرحالة لطبيعة تعدد الزوجات ومشروعية الزواج والطلاق وفق الشريعة الإسلامية وهو أمر ساهم في رسم صورة سيئة عنها أمام الرأي العام الأوروبي الذي يتابع اخبارها عن بعد .

كما إن سلوك (ألكسندرينا) الخشن وامتزاجها بالسكان المحليين في مناطق مختلفة من أفريقيا، قد قوبل بشيء من الاستهجان أوروبا، ويذكر بهذا الصدد موقف القنصل الهولندي في تونس، والذي سارع إلى استقبلها بناءً على توصيات حكومة بلاده، غير إنه عندما رآها ترتدي ملابس عربية فقد رفض استقبالها وطلب منها القدوم في اليوم التالي مرتدية ملابس مناسبة، وقد قال لها: "لقد طلبت مني حكومة بلادي أن استقبل سيدة أوروبية، لكنني لا أرى أممي الآن إلا بدوية" (Von Maltzan, 1869, 105) كما إنها عند إقامتها في طرابلس لم تهتم بالاندماج في الجالية الأوروبية، وحتى عندما دُعيت لحضور أحد الاحتفالات بالقنصلية البريطانية فقد قوبلت باستغراب شديد من الحضور بسبب ملابسها ووضعها لمسدس في خاصرتها (Andriessen, 1893, 40)

إن هذه المواقف المسبقة تعطي تفسيراً للامبالاة التي تعاملت بها الحكومات والقنصليات الأوروبية مع مقتلها، وتبعاً لذلك فإن حكومة طرابلس الغرب سرعان ما تناست هذه الحادثة، وتغاضت عن ملاحقة الجناة الذين باتوا معروفين بالاسم، حيث ظل كل من (حاج الشيخ) و(ابوبكر التارقي) مقيمان في مدينة (غات) (Von bray, 1898, 30, 35) رغم دخول المدينة تحت سيطرة حكومة طرابلس اعتباراً من سنة 1875م، كما أن (عثمان البوسيفي) ظل حراً طليقاً في منطقة (وادي الشاطي) لعدة سنوات لاحقة (Von Bary, 1880, 61)

ويبقى أن نشير إلى إن أسرة (تينا) قد تكفلت برعاية الخدم الذين عملوا مع (ألكسندرينا)، حيث تم نقلهم إلى العاصمة طرابلس، وحصلوا على مساكن و مخصصات مالية مستمرة طيلة حياتهم (Buddy, 1885, 62)، أما فيما يتعلق بجثمان (ألكسندرينا) فلم يتم الاستدلال على مكانه؛ لأن عملية الدفن قد تمت على عجل، وفي منطقة رملية معرضة للعواصف، بحيث اختفى قبرها تماماً.

#### المصادر

- Andriessen, W.F. (1893), Een herinnering aan een bekend Hollandsch Afrika - reizigster, Amsterdam.
- Berlin, Dorothea. (1887), Erennerungen An Gustav Nachtigal, Berlin.
- Bollitino Della Societa Geografica Italiana, Vol 4,- Maggio, 1870, Ferenze.
- Buddy, Alexander. (1885), To Kairwän The Holy: Scene In Muhammedan Africa, London.
- Budge, Ernst Alfred Wallis. (1907), The Egyptian Sudan: It's History and Monuments, Vol 2, London.

- Cardona, Mylynka. (2015), The Six lives of Alexine Tinne: Gender Shift in the Atlantic World, PhD, Texas University.
- Casajus, Dominique. (2007), Henri Duveyrier: Un Saint Simonien Au Desert, Ibes Press, Paris.
- Duveyrier, Hinri. (1884), Confrérie Musulmane Di Sîdi Mohammed Ben 'Alî Es-Senoûsî Et Son Domaine Géographique en L'année 1300 de L'hégire, 1883 de Notre Ère, Paris.
- El hachaichi, Mohammed Ben Otsmen. (1903), Voyage au La Pay de la Sanussiya, Paris.
- Guenther, Konrad. (1912), Gerhard Rohlfs: Lebensbild Eines Afrika Forschers, Verlag Von Fredrich Ernst, Zwiter Auslage, Freiburg.
- Krause, Gottlob Adolf. (1912), La Citá Di Ghat Nel Deserto Sahara, Pionieri Italiani in Libia: 1880 – 1896, Editrice Francesco Vallardi, Milano.
- Lindon, Martin Van Der. (2021), Architecture Changing Spatial Transitions Between Context, Construction and Human Activities, Springer, Singapore.
- McFadden, Margaret. (2014), Golden Cables of Sympathy: The Transatlantic Sources of Nineteenth-Century Feminism, university of Kentucky press.
- Nachtigal, Gustav. (1870), Relation de la morte de la mademoiselle alexina Tinné, Letter au henri Duveyrier, Bulletin de Société Geographiqe, Paris.
- ----- (1879), Sahara und Sudan, Erster Theil, Berlin.
- ----- (1971), Sahara and Sudan, Vol 2, Translated by Alan and Humphrey Fishers, London.
- ----- (1974), Sahara and Sudan, Vol 1, Translated by Alan & Humphrey Fishers, London.
- Posthumus, N.W. (1874), Freule Tinne, de Nederlandsche Reizigster door Afrika, Amsterdam.

- ----- . (1876), Ferule Tinne Door Afrika, Tijdschrift van de Geografische, Amsterdam.
- Rizzetto, R. (1890), Alessandrina Tinne Vaggiatrice Africana, Bollitino Della Socita Geografica Italiana, Roma.
- Rohlf, Gerhard. (1891), Gustav Nachtigal's Abschied vor seiner Reise nach Bornu, Deutsche Rundschau, Vol 13, Leipzig.
- ----- . (2001), Exploration du Sahara, Tome2, translat Jaques Debetz, Paris.
- Russelli, Mario. (1914 A), L'angolo più remoto del Fezzan : Le Oasi di Uau, Rassegna Nazionale, Vol cxcvii, Firenze.
- ----- . (1914 B), Alessandrina Tinne: una Pioniera e una vittima di Libia, Nouva Antologia, Vol 5, Roma.
- Sebald, Peter. (1972), Malam Musa – Gottlob Adolf Krause 1850 – 1938, De Gruyter, Deutschland.
- Von bary, Erwin. (1880), Tagebuch des Verstorbenen, Gesslschaft fur Erdkunde, Band 15, Berlin.
- ----- . (1898), Le dernier rapport d'un européen sur Ghât et les Touareg le Dernier Rapport d'un Européen sur Ghat et les Touareg De L'aïr Journal de Voyage 'Erwin de Bary, 1876-1877 Traduit et Annote par Hinri Schirmer, Paris.
- Von Bilguer, Z. (1915), Wie Strab Alexandrine Tinne?, Naturwissenschaftliche Wochenschrift, Band 14, Leipzig.
- Von Maltzan, Heinrich. (1869), Fraulein Alexandrin Tinne, Globus Zeitschrift, Vol 16 , Braunschweig.
- Willink, Robert Joost. (2011), Fateful Journey, Amsterdam University press.

## المنسوج الأمازيغي التونسي: حكايات تراثية بلبسات تشكيلية

### Tunisian Amazih tissue :traditional tales with plastic touches

د. عمر عياد جامعة قابس الجمهورية التونسية

amorayed75@gmail.com

#### الملخص

يقدم هذا المقال الخصائص الدلالية للمنسج الأمازيغي بتونس من خلال الملامح التشكيلية وتاويلات الرمز، وما مدى تطويع الهوية لخدمة الابتكار والإبداع في الموروث النسيجي، وضرورة دراسة الأبعاد الجمالية والتشكيلية والدلالية للهوية في النسيج اليدوي، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي في تقديم بعض أنواع المنسوجات التقليدية الأمازيغية التونسية والدلالة الاجتماعية والجمالية في عملية الإبداع. وتبحث مخرجات هذه المقالة في أهمية توثيق المنتج الحرفي بالبلاد التونسية وفهم ومعرفة عناصر الفعل النسيجي وضرورة تأصيل الهوية في المنسج اليدوي. فالى أي مدى تمكن قراءة علاقة المنسوج الأمازيغي التونسي بالهوية من فهمه تشكليا وجمالياً؟  
الكلمات المفتاحية: عنصر بصري، المنسوج الأمازيغي، الهوية، التراث، رمز.

#### Summary:

This article presents the semantic properties of the amazih tissue in Tunisia through the shape features and the interpretations of the symbol, and the extent to which identity is adapted to serve innovation and creativity in the tissue heritage, and the necessity of studying the aesthetic, formative, and semantic dimensions of identity in the manual fabric, relying on the descriptive method in presenting some types of traditional Tunisian Amazigh tissue and the social and aesthetic significance of the process of creativity.

The findings of this article have shown the importance of documenting the craft product in the Tunisian country, understanding and knowledge of the elements of the tissue reaction, and the necessity of instilling identity in the hand-woven.

**Keywords:** Formative touches, Amazigh texture, identity, heritage

## مقدمة

تتميز عديد المناطق بالجمهورية التونسية بصناعاتها التقليدية وإن تشابهت في ماهيتها مثل النسيج والحرف وغيرها، لما لهذه الحرف والصنائع والفنون من خواص بنائية وهيكلية تعبر في مضمونها عن هوية جمعية تلخصها جملة الرموز والاشكال والعناصر البصرية. وقد برع الاهالي منذ القدم في صناعة النسيج لتتنوع اساليبها والوانها وتقنياتها ووظائفها. ونعددها في نوعين رئيسيين؛ الملبس والمفرش.

## 1- النسيج التقليدي التونسي ثقافة مجتمع

تعتبر صناعة النسيج التقليدي اليدوي في تونس منذ أقدم الحرف اليدوية كارث عريق، وهو ما تثبته الآثار واللوحات الفسيفسائية التي عثر عليها بمختلف المواقع الأثرية التي تشهد على عراقة الأرض التونسية ورسوخها من الحضارة القرطاجية. هذا، ويسبق الموروث الامادي في العادات والتقاليد والطقوس المنجز المادي التراثي ويمهد لكل عملية ابداع وخلق، ف "تاريخياً يلتقي مفهوم الفن مع ممارسة الإنسان للرسم والحفر والنحت في كهفه وكوخه، وهو المكان الذي وضع فيه بذور التقاليد الإنسانية، بعد أن تأثر بالبيئة وحوّل أحداثها الى ابصارات تعبيرية ودلالية.

انعكست التصورات الثقافية على الافراد ولاحت اثارها على ما أنتجه من رسم ونحت ونسيج... وهكذا كشفت الممارسات الثقافية التعبيرية عن محتواها الاجتماعي، فكان "فنًا" وظيفياً لتلبية حاجات اجتماعية مادية ومعنوية للعيش، وتأدية الطقوس، وطرد الأرواح الشريرة، وجلب الخصوبة التي من خلالها تتحقق مصلحة الجميع" (عطية، 1997، صفحة 13)، "ولد مع هذا كله مفهوم الفن واكتشفت العلاقة بين الشكل والوظيفة بهدف التكيف مع البيئة، وما زال التكيف هدف الفن والثقافة، فالتكيف عملية يتوافق بواسطتها الكائن الحي مع الأشياء المنفصلة عنه في البيئة" (ظاظا، عصام، فيصل الشناق، شعبان عبدالفتاح، 2004، صفحة 153-156)، وهذا ما نجد في فن النسيج اليدوي أو التقليدي. لتحضر النساجة المحددة لتوقيت فعلها ومكانه وتورث مكانا سبقها اليه العديد من قبلها، هذا الحيز الذي تحول من ظرف مكاني الى عنصر دلالي مفعم بالمفاهيم والتأويلات والصور والرموز واهمية اجتماعية، ونفسية، وتراثية مهدت لإنتاجات حرفية تقليدية مفعمة بجماليات هوية تشكيلية وعرقية، و"كان النسيج من أقدم الحرف التي عرفتها البلاد التونسية، والذي كان يميز هذه الحرفة بكل منطقة أو جهة هو صنف النسيج، واختصاصه، وأنواع المنسوجات المنتجة وتسمياتها. فالنسيج قد يكون أفقياً أو عمودياً، والحرفة قد تكون رجالية أو نسائية، أما المنسوجات فتتراوح بين الثياب والبسط والأغطية والمفروشات" (بوغلاب نجوى، أبريل 2016، صفحة 42).

يعبر المنسوج الامازيغي التونسي عن عناصر هامة من البيئة الثقافية. فالعلامات والألوان لها دلالتها، أرضيته بيضاء وخامته خشنة وسميكة، زخارفه مستوحاة من "الوشام" وألوانه طبيعية من صوف الخروف الأبيض والأسود والبنّي. ويعدّ المنسوج الامازيغي في بلاد المغرب ولاسيما التونسي من أشهر وأعرق أنواع النسيج في العالم. ويعود تاريخ بداية نسج الامازيغ لها في شمال افريقيا الى العصور القديمة ما قبل الميلاد حسب الباحث السويسري برونو بارباتي "Bruno Barbatti" في كتابه "Tapis berbères du Maroc" وهو بحث قيم حول المنسوجة الامازيغية عبر التاريخ بشمال افريقيا وتطورها من الشكل البسيط القديم الى شكلها الحالي.

يحمل المنسوج الامازيغي بتونس مزيجا من النسيج التقليدي وفن الرسم على الصوف، يستمد ألوانه الزاهية ونقوشه وزخرفه البديع، من الثقافة الأمازيغية وتراثها الشاهدين على "الرجل الحر" (أمازيغ) في تشكيل لوحات مبهرة مجللة برموز من حضارتهم وغطهم المعيشي. يعتبر "المرقوم" من أهم صناعات النسيج التقليدية التي تفترد بها تونس على صعيد المنطقة المغاربية، رغم أن الثقافة الأمازيغية المشتركة التي سادت المنطقة، ميزت شعوب شمال إفريقيا بقواسم مشتركة، إلا أن المرقوم التونسي بميزاته التقليدية وخصائصه ارتبط بالجنوب التونسي، جاعلا منه عنوان أصالة وعراقة وامتداداً بين التاريخ والجغرافيا.

## 2- المنسوج الامازيغي التونسي حاضن لثقافة مجتمع

تميز هذا الصنف من المنسوج الامازيغي التونسي التقليدي باصالته وبمئاته وبالمواد الطبيعية المستعملة في نسجها كالصوف الطبيعي وبالوانها المضيئة وبزخارفه الهندسية كالخطوط والمثلثات والمعينات وبالأشكال المستمدة من الطبيعة كشكل الجبال ولونالبحر والسماء، وتستخدم في نسجها قوام مميزة له، كل هذا يجعله مميز في تصميمه. وبذلك يعتبر المنسوج الامازيغي التونسي أحد مظاهر وتجليات الحضارة الامازيغية العريقة بشمال افريقيا. والمنسوج الامازيغي التونسي، أو سجاد البربر كما يسميه العرب هو نوع من المنسوجات اشتهرت به منطقة شمال أفريقيا قديما وحديثا. يسمى في المغرب بـ "الحنبل" اما في الجزائر فيطلق عليه "زربية القبائل" نسبة إلى القبائل الأمازيغية وفي ليبيا وتونس يسمى "المنسوج الأمازيغي". وقد أشار عدد من الباحثين الى أن الرموز والأشكال المستعملة في المنسوج الامازيغي التونسي انما هي سليلة عن حضارات ما قبل التاريخ. فصناعة النسيج من أقدم الحرف اليدوية التي نثقتها النساء الأمازيغيات بمهارة، ويورثتها لبناتهن. ويمكن التعرف عليها بسهولة، فهي تتميز بزخارف وأشكال هندسية بسيطة ومركبة في آن وبألوان مشعة مثل الأحمر والأزرق والأصفر.

يختلف المنسوج الأمازيغي التونسي من منطقة إلى أخرى فلكل منطقة في البلاد أشكالها وألوانها وقد يمتد الاختلاف والتنوع إلى القبيلة نفسها. أما الألوان المستعملة، فهي تعكس طبيعة هذه المنطقة أو تلك كما إن كل منطقة تستخدم أنواعا من الصوف العالى الجودة حسب خصوصيتها. وهو الأمر ذاته بالنسبة القبائل الأمازيغية الممتدة بكامل شمال افريقيا.

تم صناعة المنسوج الأمازيغي التونسي يدويا، وما تزال نشطة في العديد من المناطق المختلفة بالبلاد خصوصا حيث لا تزال النساء الأمازيغيات بإمكانياتهن الذاتية يتفنن في نسجها بالطريقة التقليدية اليدوية، لتحضر "جميع القدرات والعمليات المكتسبة الداخلة في الفن، والتقنية في صنع شيء معين تتضمن ما في المنتج من المهارات والنواحي الجمالية والنفعية وتشمل أيضا القدرة على الاختراع إن وجدت في أعمال الفكر"، (توماس مونزو، 1972، صفحة 62). وهناك اليوم أنواع عديدة من المنسوجات الأمازيغية الحديثة بتصاميم متنوعة ومصنوعة من مجموعة من المواد الأكثر شيوعا مع احتفاظها بمميزات الأصيلة، وتعد المنسوجة الأمازيغية التونسية نتاج أسابيع بل شهور عديدة من عمل المرأة النساجة خاصة أنها تقوم برسم العديد من الأشكال والتكوينات الفنية المثقلة بالمصطلحات التشكيلية، وهو ما يجعل منسوجاتها بمثابة لوحات فنية راسمة لصورة واقع التراث الأمازيغي التونسي الأصيل بأسلوب هندي دلالي اختزالي يمثل جزءا من هوية قبائل المنطقة ونشاط سكانها، الذين يستمدون خيوطها وألوانها ومفرداتها من التراث القديم. فيحمل صياغة النساجة لأشياء تصورها وتحفظها وهي يقوم بتركيبها تركيبا فنيا يمنحها ملامحا جماليا ودلاليا يستدعي التأمل والتساؤل. ولأن النساجة فرد ينتمي إلى مجتمعا، فإنها تباشر الاشتغال على عملها النسجي الإبداعي محملة بأفكار ورؤى خاصة ومحاطة بالإرث الرمزي والتشكيلية تحاول أن تنقسمها مع غيرها. وبذلك تصير المنسوجة التقليدية وسيطا يحمل خطابا معيناً بتقنيات وبصيغ تقتضيها الحرفة لتلحق عناصر جمالية والفنون التشكيلية حتى وإن لم تكن النساجة التقليدية واعية بها كل الوعي. فهما تعلق الأمر باختلاف أنواع ومجال المنسوج الأمازيغي التونسي الجغرافي، فمن شأنه أن ينشئ تواصلًا بين أنواعه وأصنافه المختلفة، وهنا تأتي أهميته - أي المنسوج الأمازيغي التونسي - من حيث اعتباره خطابا من الخطابات التي تتكلم بتنوعاته من أجل الجمال ومن أجل التعبير.

فلمنسوج الأمازيغي التونسي يحمل بين مفرداته وألوانه رسائل في قالب جمالي، رسائل تحمل جانبا من قدرات الإنسان على التعبير عن المعتاد بشكل مميز، يحمل عمقا وتصورا يبعث على التفكير وطرح الأسئلة مع استحضار التأويلات المرتبطة بخلفيات الاجتماعية والعرقية والتقنية، وهنا يتواصل المنسوج الأمازيغي التونسي وفق هذه المعطيات والخلفيات مع كل متلقي.

## 3-المضامين البصريّة في المنسوجة الامازيغيّة

تجاوزت شهرة المنسوج الامازيغي ربيع الدولة التونسية الى عموم شمال افريقيا وأوروبا لأصالتها ولما تتميز به اكثر من تحملها للاستعمال الطويل وجماليتها الفنية والتشكيلية التي ارتقت بها من مصاف المنتج الحرفي الى اللوحة التشكيلية بعناصرها ومكوناتها الفنية الاستيقية، وقد اعتمدت النساجة الامازيغية التونسية على العديد من تقنيات الصناعة والصبغة التقليدية اين احتفظت النساء الامازيغيات بالتقنيات القديمة في صناعة المنسوج الامازيغي التونسي لكن مع بعض التطوير وذلك يتجلى في السرعة أولا وتشكيل ألوان كثيرة في وقت قصير. نفس العملية كانت تأخذ وقتا أطول في السابق. تستعمل النساء الصوف الطبيعي لحياكته، ويتم تمشيط الصوف وغزله بأدوات تقليدية. أما الألوان فصدرها طبيعي حيث يتم استعمال أوراق الأعشاب، وقشور الرمان وأنواع من المعادن لتغمر خيوط الصوف في الماء الملون المغلي، وتترك لبعض الوقت ثم تسحب من الماء وتترك لتجف تحت أشعة الشمس قبل البدء في استعمالها لحياكة السجاد على المنسج اليدوي، الذي يتطلب دقة متناهية في وضعه حتى تنسج الزخارف بشكل متساو. من خاصيّات المصنوعات التقليدية أنها تنجز من خامه حية... بأشرفها الإنسان دون آية وساطة آية. فالتحف التقليدية إن صحّ التعبير... في آن واحد فريدة ومتعددة، ذلك أنّ الفن التقليدي يمتاز بالمحافظة وبالخلق الدائم، إذ يكرّر فيه النموذج الواحد دون الرجوع إلى معيار مضبوط يقاس عليه". (الناصر البقلوطي، 2005، صفحة 30.31).

يتميز المنسوج الامازيغي التونسي بخواص تشكيلية تبدأ من اختيار الألوان وتناسقها من خلال الحس الفني الاجتماعي لدى النساجات لتصبح في النهاية منسوجة ذات تعبير لها قراءات مختلفة، تعبر عن حياة وتقاليد منطقة أو قبيلة معينة. وهي مزينة بأشكال هندسية بسيطة مثل المعين والمثلث والمستطيل وكذا المربعات.

وعليه، يمثل المنسوج الامازيغي التونسي نسيجا من "الموتيفات" والزخارف فيه تعبير عن أشكال هندسية مستوحاة من دلالات ورموز ومعاني في علاقة مباشرة بالبيئة والثقافة البربرية المعيشة. فيمكن ملامسة إعادة تمثيل الخصائص الطبيعية للبيئة المحيطة المتميزة بالتضاريس والمنبسطات والحيوانات بأسلوب تعبيرى يعتمد على التجريد والتبسيط بأشكال الهندسية وظفت على فضاء القطعة المنسوجة في كل مرة بشكل روتيني نتيجة التكرار للشكل الواحد أو الوحدة الزخرفية الواحدة التي امتدت مكتسحة الأرضية بكاملها دون أن تكون الكثافة في الزخرف حاجزا للامتداد إلى أن تكتمل أبعاد القطعة ونرى المشهد في كليته كثيفا بالأشكال الهندسية من مربعات ومستطيلات وخطوط منكسرة ومتقاطعة ومنعرجة وخاصة المثلثات. هكذا تميزت نماذج منسوجات الثقافة الامازيغية التونسية عامة بارتكازها على

التشكيل التجريدي الهندسي، إضافة إلى تميزها بتزيينها بمجموعة من الألوان الزاهية وكثيرة التنوع لتتبع فيه تصاميم منتجاته المتميزة بعنصر "الرُقمة" المتوسطة لأرضيته، والمصمم بأنسجة وسطية تجمع بين الأشرطة ومساحات من النسيج المزركش بواسطة "الرُقمة".

تعتبر المنسوجة التونسية الأمازيغية من المنسوجات الفنية التي اشتهرت بها منطقة البحر المتوسط، فبالوانها المتنوعة والمزركشة والمفعمة بالحياة، وأنماطها الفريدة والمتناغمة، اين تميز بتناسق أشكالها الهندسية وألوانها الجذابة، ما جعلها مجال تثيرن وبحث للمهتمين بهذا الموروث الثقافي والتراثي والحضاري الدال عن الإبداع الفني للنساجة التقليدية التونسية. فهي تجسد إحدى تظاهرات تشبث الأيادي المبدعة للمرأة الأمازيغية بالتقاليد التونسية والعادات الشعبية في إعداد هذا المنتج الأصيل الذي يؤرخ لتاريخ وهوية قبائل الأمازيغية، "فالوحدة المادية هي بنيته المكانية، أما الوحدة الباطنية فهي بنيته الديمومية الحيوية بوصفه عملاً إنسانياً حراً" (جان ماري اوزياس، 1983، صفحة 158)، كما أشار باحثون أن المنسوج الأمازيغي هي لوحات فنية تعبر عن وعي الإنسان الأمازيغي مند مئات السنين. وهي تصنع بأشكال هندسية مزخرفة من صوف أصيل ابيض وملون، تزيينها "رقات" أمازيغية مختلفة فيما بينها من حيث الألوان المستعملة والأشكال الهندسية التي تزين واجهاتها، وتعبّر عن أحاسيس المرأة البربرية، انفعالاتها وأفكارها، فهي تفصح فيها عن رغبتها في العطاء وجلب الخير والسلام والصحة والتكاثر الذي يعتبر واجبا اجتماعيا لترسيخ العائلة والقبيلة.

تنقسم المنسوجة، إلى نوعين، منسوجات كبيرة الحجم بعرض يتراوح ما بين متر ونصف على متران تستعمل في تزيين الجدران وأرضية البيوت، ومنسوجات صغيرة الحجم بطول متر وعشرون سنتيمتر وعرض ثمانون سنتيمتر غالبا ما تستعمل كفراش أو تزيين غرف المنازل، وبما أن عالم الديكور المنزلي يتجدد باستمرار ويبحث عن كل ما هو جمالي نفعي يضيف لمسة تزيينية في البيت، ليجمع بين الإكسسوارات والقطع التقليدية والديكور العصري، فقد تنامي الاهتمام بالمنسوج الأمازيغي التونسي. فإلى جانب أنه خفيف سهل حمله وتنظيفه، بفضل وزنه وأحجامه المتباينة بين الصغير والمتوسط، ففي كل مكان يمكن أن يضفي مظهرا خاصا وجمالي. فلا يقتصر أمر توظيفه على فرشته على الأرضيات، بل يمكن تعليقه على الجدران أو استعماله كغطاء لتدفئة الجسم ووقايته من البرد.

تمثل المرأة الأمازيغية التونسية عماد صناعة المنسوج وحارسته، إذ تحولت مع مرور الزمن، إلى مبدعة بالفطرة في هذه الحرفة. تناقلت أسرارها من جيل لآخر. وهي تقوم برسم العديد من الأشكال الفنية والإبداعات التشكيلية، تعكس من خلالها هوية تلك المنطقة وتاريخها، وهو ما يجعل منسوجاتها تمثل لوحات تشكيلية رائعة، احتفظت بصورة لواقع التراث الأمازيغي الأصيل. فالمنسوجة الأمازيغية

لا تزال تعتمد على مفردات من التراث القديم. ويُستعمل في حياكتها المواد الطبيعية، التي عادة ما تعطى تلك الصبغة الترابية الممزوجة بمختلف ألوان الطبيعة، وترتبط صناعة المنسوجة الأمازيغية بعبادات وتقاليد المنطقة منذ القدم، بما لها من جماليات فريدة. وتعد من الحرف التي تجتذب الكثيرين لمعرفة تاريخها وأسرارها، والبحث عن كيفية إنجاز أشكالها الجميلة والمتعددة.



#### منسوج أمازيغي تونسي موظف كفرش على الأرضيات وعلى الجدران

تعتمد النساء الأمازيغيات التونسيات في العموم في نسج على أربعة ألوان رئيسة، هي الأحمر، والأصفر، والأزرق، والأخضر، وهي ألوان توارثتها جيلا بعد جيل، لكن ذلك لا يمنع من إضافة ألوان أخرى، كالألوان الترابية، والبرتقالي، فالإنتاج يتميز بوضوح كبير من مجموع الأنسجة البدوية هي "المرقوم"، متأثرة جدا بالمعجم ألتريني البربري ينسج المرقوم من قطعة قماش واحدة وقياسه 5.30 م و1.70 م. ويتكون الديكور من تناوب بين الأحزمة العرضية بألوان مختلفة (أبيض، أحمر، بني واسود) ومن ديكور مركزي معقد ينتج عن طريق تبادل النسج والرفع من جديد في الأرجواني، الأخضر والأصفر، ويغطي المرقوم الهودج وهي تصلح أيضا لمفروشات الأرض أو في تقسيم الخيمة." (18) .(A.Maurières, E. Ossart, C. Lapeyrie , 1996, Page

#### 4-الدلالة والتعبير في المنسوجة الامازيغية

لقد تطور المنسوج الامازيغي باستمرار بفضل خيال وإبداع النساء لمواكبة عصرنة الديكور الحديث، لكنها لا تنسلخ عن جذورها وأصالتها المنبثقة من تقاليد وثقافة الأمازيغ. إن النساء يشتغلن في صنع المنسوجة اعتمادا على حسابات رياضية، ووفق أشكال هندسية مضبوطة، تتراس بإتقان متناه، "فالتقنية هي أداء لفكر الإنسان في النمو والتطور" (أحمد فؤاد باشا، 2004، صفحة 3-4). ليكون لكل رمز معنى، يعكس عمق الثقافة، ويدل على جانب منها، بخطاب جمالي موعلا في الترميز مستغلة تراثا

شعبيا وذاكرة عاشتها واستحضرتها في أعمالها النسيجية من خلال الشكل والرقمة والرمز التي تترجم مشاعراً أحست بها في يوم من الأيام، أيقظ حواسها فالحضور استكان في جلاباب الذاكرة وأضحى يتلون بأصباغ وأشكال كشفت عمق الامرئي في الرمز، هو صوت وصورة حضر وتجلي فعانق ذاكرة فطرية وطفولية فأضحت تعيش زمن غير الزمن. فأصبح المنسوج من الحرف التي تزاوج بين الصنعة والتشكيل محور اهتمام وبحث عند الفنانين والحرفيين، كجزء من التجارب التي لا يزالون يقومون بها، بحثاً عن الاستشفاف والمعرفة الجديد في عالم الفنون التشكيلية وعلاقتها بالحرفة، وسعيًا إلى إثراء جماليات الحرف بتجربيتها ومزجها بعوالم فنية آخر مثل العمارة والديكور. إن المنسج التونسي فيه ما فيه من الانتماء للفن التشكيلي اين حقيق التواصل معه بوشائج قوية، وهو ما يفسر كون أغلب الذين مارسوا الفن التشكيلي عادوا الى الموروث النسيجي ثم استلهموا المفردات في إطار سعيهم للبحث عن الجديد الذي يرتبط بالأصالة والخصوصية والإبداع، ولا جدال في أن المنسوجة بعناصرها تحقق هذا الارتباط.

تنبتق تقاليد النسيج في تونس من تقاليد الفعل التقليدي ويعتد بدور القيمة الدلالية الكامنة في الرمز و"الرقمة" و"الموتيف" في إضافة جمالية روحانية وإنسانية على العمل النسيجي، ولهذا جاءت المنسوجات على شكل جمل وعبارات ودلالات، ونظروا إلى الشكل المجرد في كل سطح على انه تشكيلا وارتباطا دلالي، باعتباره شكلا قابلا للتأويل والتعبير، فتوازن أجزائه، وأطواله وحجم كتلته وتفصيله، كل ذلك يمثل لغة بصرية تشكيلية جمالية ظاهرة في تشكيلاته وتكويناته الفريدة وتشكيلاته الانهائية، لينهل من صفاء جماله وإيقاعه الهندسي المميز كل من يقع نظره عليه، مقدا لنا قراءة معاصرة للرمز والرقمة كمفردة بصرية مكتنزة بدلالاتها وحاملة للهوية والخصوصية الثقافية، فهو -أي الرمز- "مظهر الإبداع الفردي والجماعي، وهو أفضل تعبير عن الذاتية الثقافية وعن الهوية الحضارية الخاصة." ( بهنسي عفيف ، 1997 ، صفحة 52).



المنسوج الأمازيغي التونسي وثقافة تمثلات الدلالة من خلال الرمز

تجيا قوة البصيرة الفنية داخل النساجة التونسية داخل فكرها وخيالها وإدراكه، قوة مادية تشكل هي فطنة وتخيل ذهني أصيل، لا يرتن فكرها إلى ضجيج اليومي، بل هو مرتبط بذاكرة أمينة مثلت مختبر تشكيلي بالنسبة لها فأشكال التحضر تبلور في التوجيه الراقى نحو الذاكرة والتراث فهي تبين طرحها الحرفي بين الذاكرة والتراث بين مرجعية الذاكرة الشعبية وما اخترنته من صور اختزانها منذ الطفولة وذاكرة سلسلة عبرت عن تقاليد حياتية ومعتقدات وقناعات أخلاقية، فيصبح الفعل النسيجي وسيلة إمتاع واستمتاع عندما تؤث العلامة والرمز رؤاها فيكون التأويل فرصة للتأمل جماليا وفكريا، فهو نوع من الارتداد وعودة للوعي يترجم طاقة الدلالة الفنية من الشكل والمضمون، فالمنسوجة تجود وتكلم وتتجلى أمام الآخر فيكون شاهدا على ولادتها "فن ولادة المولود مثلا وخروجه من حيز القوة إلى حيز الفعل، من حيز الممكن إلى حيز الوجود، تكون شرارة لتصور ولادة الكون وخروجه من حيز الفكر إلى حيز الفعل وانتقاله من الأشكال المطلقة إلى أشكال المادة." (بيدة الحبيب، 2000، صفحة 2).

ويرى العديد من الدارسين أن دور وإسهام المنسوجة الامازيغية التونسية يتعدى حدود الحرفة والاتجاهي لغة تعبر من خلالها النساجة عن انتمائها وأصالتها داعية إلى التمسك بهذه الهوية المحلية الأصيلة وتوجيه القطع للنسجية الفنية التشكيلية لتعبر عن الحضارة التونسية معتبرين المنسوجة بمختلف أساليبها وإشكالها تعد هندسة تترافق مع الروح وتعبر عن العبقرية التشكيلية. مشيرين إلى القيم الجمالية فيها من الكتابة التشميلية والعناصر الفنية المستخدمة. فالقاسم المشترك لجميع الاصناف والانواع التي يضمها المنسوج الامازيغي التونسي هو الرقعة وتشكيلها ضمن موضوعات وتكوينات مختلفة يجمعها الجمال والإبداع والتشويق بهدف تقديمه إلى الأجيال الناشئة بطريقة صحيحة.

استلهم النساجون جماليات الرقعة وحوورها في أعمال فنية بشكل معاصر وحديث وهي تندرج اليوم ضمن الفن الحديث بالجمع بين التقاليد والحداثة، عمل هؤلاء الفنانون على تطوير لغة بصرية للمنسوجة الامازيغية، فالنسيج التقليدي التونسي مقيداً بقواعد صارمة، إنهم يفككون الفضاء ويستغلون الرقعة ويحولونها إلى علامة إشارية لخط سير الخيط والتقاليد والتراث الثقافي. لتفتح حتى الآن طرقاً غير مألوفة للتفسير، وتجتذب باحثين وفئات مختلفة، ومع ذلك لا تزال تحتفظ بثقافة الحرفي الخاصة، فالرقعة تصبح علامات خالصة، وتُفرغ مؤقتاً من معناها المرجعي، تصبح متاحة لمعاني جديدة مع المحافظة على الهوية التراثية الاصلية، فمسألة التراث مسألة واسعة ومعقدة قد تُختصر في المنتج المرئي والمادي المفصول عن مراحل بنائه وطقوسه والحال انه اشمل من ذلك بكثير فهو منهج ثقافي ونمط حياة يؤسس لهوية الشعوب، وليفهم هذا التراث ويدرس ويحيا "لا بدّ من إعادة قراءته وفقاً لأحد المناهج

العصرية والمحددة، ومن هنا فإن القراءة التي يمكن أن تبرز لنا فائدة حقيقية بعينها هي تلك القراءة التي تكشف عن الشروط الاجتماعية والثقافية والتشكيلية الخاصة بالتراث، مثال ذلك التراث الإسلامي الذي خضع إلى القراءة الفينومينولوجية والسانية والمادية بهدف توظيف التراث لخدمة قضايا العصر وأغراضه " (إحسان عرسان الرباعي ووائل منير الرشدان، 2003، صفحة 146). وبالتالي فإن طريقة تقديم التراث يجب أن تقوم على " إدراك القيم الجمالية والابتكارية وتذوقها في تلك الفنون، كما يجب تقديم تحليل القيم الرمزية فيها لتعرف ما بها من منظور وعلاقات قيمة، حتى يمكن إدراك العديد من العلاقات وإصدار بعض الأحكام الجمالية والفنية بهدف تذوق القيم الأساسية في فنون التراث" (سرية عبد الرازق صدقي، 1988، صفحة 113).

يسهل تحديد مفهوم التراث « Patrimoine » والثقافة « Culture » ضبط مصطلح "الموروث الثقافي" فيمكن القول في هذا الإطار أن الموروث الثقافي هو حصيلة خبرات أسالفنا الفكرية والاجتماعية والمادية، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب"، (محمد رياض وتار، 2002، صفحة 21)، "وموجود في ذاكرتنا يعيش معنا وهو يتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا ومهما حاولت القطيعة معه، أو إعلان موته نظرياً أو شعورياً، تظل أنساق وأمطاطه العليا محفوظة في الوجدان ومتمركزة في الخيالة" (سعيد يقطين، 2006، صفحة 220).

#### خاتمة

يعود المنسوج الامازيغي التونسي إلى تاريخ قديم، فهو الذي يزين به الريفيون بيوتهم ودوابهم واجسادهم منذ ان كان الناس يعيشون في حياة بدائية، ويقودنا هذا كله إلى أن هذا المنسوج ظهر في المجتمعات وقبائل وعشائر صغيرة لكل منها حلفيات خاصة، وهو عبارة عن نوع الرمز أو أحد مظاهره التي ترتبط به هذه العشيرة وتتخذها لتتفرد تونس بفضاء جغرافي متعدد ورحب ساهم في خلق فكر جماعي منتج ومبتكر وخلق بيئة ثرية حولت سلبية المكان إلى إيجابية عند الإنسان، وكانت حرفة النسيج من اهم الخصائص التقليدية فيهلّسّم هذا النشاط بالتنوع والكثرة وتميّز بالعديد من الخصائص الفنية التشكيلية على مستوى التركيب ومعالجة فضاء المنسوجة وتبعاً لذلك حضرت العديد من المفاهيم التشكيلية المبرزة لجمالية المنسوج الامازيغي التونسي من خلال ألوانه وبناءه لتتجه نساجة هذه الربوع الى البساطة في الأشكال عن طريق مساحات اللونية الواضحة للوصول الى شكل مكتمل والتعبير عن الفضاء والحركة والتأليف بين الحجم والخط فهي عندما تتحرى اللون فانما تتحرى الشكل. ومن ههنا تبني هذه

الحكايات التراثية بتفاصيلها المختلفة على شكل اعمال حرفية نفعية في الأصل جمالية تشكيلية دلالية في المظهر فهي سجل حرفي تاريخي يأرخ لهوية شعب راسما لهوية فنية جمالية تشكيلية.

### قائمة المراجع

- 1- محمد عطية، محسن، الفن والحياة الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997
- 2- ظاظا، عصام، فيصل الشناق، شعبان عبد الفتاح، المنسوجات، دار الباروني العلمية، 2004
- 3- بوغلاب، نجوى، النسيج التقليدي بالقلعة الكبرى، مجلة القلعة الثقافية الإلكترونية، أبريل 2016.
- 4 - توماس مونزو، التطور في الفنون، الجزء الثالث، ترجمة عبد العزيز وآخرون، الهيئة المصرية، القاهرة، 1972.
- 5- الناصر البلقوطي، مقولات في التراث الشعبي، منشورات تبر الزمان، تونس، 2005
- 6- جان ماري اوزياس، الفلسفة والتقنيات، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1983
- 7- A.Maurières , E. Ossart , C. Lapeyrie . Au fil du désert , tentes et tissages des pasteurs nomades de Méditerranée . Edisud . France . 1996
- 8- Jean Baudillard ،Le système des objects ،Gallmard ،Paris ،1968
- 9- أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلم والتقنية، محاضرة، بتاريخ الأربعاء، 13-4-2004
- 10- بهنسي (عفيف )، العمران الثقافي بين التراث والقومية، 1995.
- 11- بيده (الحبيب) ،مجلة الحياة الثقافية، السنة 25-العدد 119 نوفمبر 2000
- 12- إحسان عرسان الرباعي ووائل منير الرشدان، إشكالية التواصل مع التراث في الأعمال الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، 2003.
- 13- سرية عبد الرازق صدقي، الملاحظة كأساس للبحث في الفنون، مجلة دراسات وبحوث، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، 1988.
- 14- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة، 2002
- 15- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية، من أجل وعي جديد التراث، روية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006



الدور الوسيط للقيادة الإدارية في العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري المتغير المعدل ظروف العمل بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان.

The mediating role of administrative leadership in the relationship between work motivation and voluntary turnover, moderated by the variable of working conditions, applied to private hospitals in North Kordofan State, El Obeid, Sudan

\* د. محمد مختار إبراهيم أحمد - أ. مشارك - جامعة كردفان - كلية الاقتصاد والدراسات التجارية - قسم إدارة الأعمال - السودان - 00249918076250 [Dr.mohmukh@gmail.com](mailto:Dr.mohmukh@gmail.com)

د. صديق عبد الرحمن شعيب صالح - جامعة البطانة، كلية علوم الإدارة والاقتصاد (السودان)،

[siddignewsss@gmail.com](mailto:siddignewsss@gmail.com) 00249918380247

أ. مجاهد سيف الدين محمد سعد - باحث - جامعة كردفان - كلية الاقتصاد والدراسات التجارية - قسم إدارة الأعمال - السودان - 00249910965211 [mojahedsaif29@gmail.com](mailto:mojahedsaif29@gmail.com)

1446 هـ - 2024 م

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الوسيط للقيادة الإدارية في العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري المتغير المعدل ظروف العمل بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض، وتمثلت مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي: هل القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري في ظل وجود المتغير المعدل ظروف العمل، اعتمدت الدراسة على عينة قصدية وصممت استبانة لجمع البيانات، واتبع المنهج الوصفي، وتحليل البيانات واختبار الفرضيات تم استخدام أساليب الأحصاء الوصفي وتحليل المسار عبر برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، ولقد بينت نتائج الدراسة ان القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري، وان ظروف العمل تعدل العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري، وأوصت الدراسة: على إدارة المستشفيات تحسين ظروف العمل باستمرار مما يزيد من جودة أداء القيادة الإدارية ويساعد في تنفيذ البرامج التدريبية المخططة للعاملين.

الكلمات المفتاحية: دوافع العمل، القيادة الإدارية، ظروف العمل، دوران العمل الاختياري

**Abstract:**

The study aimed to identify the mediating role of administrative leadership in the relationship between work motivations and voluntary turnover, the modified variable of work conditions, applied to private hospitals in North Kordofan State, El Obeid. The study problem was represented by the following main question: Does administrative leadership mediate the relationship between work motivations and voluntary turnover in the presence of the modified variable of work conditions? The study relied on a purposive sample and designed a questionnaire to collect data. The descriptive approach was followed. To analyze the data and test the hypotheses, descriptive statistics and path analysis methods were used through the Statistical Package for the Social Sciences program. The results of the study showed that administrative leadership explains the relationship between work motivations and voluntary turnover, and that work conditions modify the relationship between work motivations and voluntary turnover. The study recommended: Hospital management should continuously improve work conditions, which increases the quality of administrative leadership performance and helps in implementing planned training programs for employees.

**Key Word:** Work motivation, managerial leadership, working conditions, voluntary job rotation

**المقدمة:**

يعد موضوع الدافعية من المواضيع المهمة والمحددة للسلوك الإنساني، فالدوافع محركات داخلية للفرد نفسه تجعله يسلك سلوك معين ويمكن أن تظهر على شكل سلوك ملموس وتبرز أهمية الدوافع باعتبارها أحد محددات السلوك ويساهم التعرف عليها بالتنبؤ بسلوكيات الأفراد ولو بشكل نسبي أو تفسيرها. إذ أن أي سلوك ممكن أن يعبر عن دافع معين لدى الفرد ومن ذلك جاءت النظريات المختلفة عن المحتوى الضمني للحاجات الإنسانية. (غني تناي دحام، 2010م، ص193) وتعد عملية القيادة من أكثر العمليات تأثيراً على دافعية الأفراد للأداء واتجاهاتهم النفسية ورضائهم عن العمل والقيادة الإدارية

الدور الأساسي والهام في العمليات الإدارية حيث أن القيادة الإدارية هي الرأس المفكر للمنظمة، أن القيادة الجيدة هي التي تسعى إلى بث روح الانتماء والولاء للمنظمة من قبل العاملين وبالتالي قيادة المنظمة إلى تحقيق أهدافها فهي في جوهرها عملية نثأثر باستخدام وسائل متعددة يمارسها القائد داخل المنظمة من أجل التأثير على المرؤوسين بما يحقق أهداف المنظمة.

وتعنى بيئة العمل الداخلية بأهمية وظيفة المدير في خلق جو يتلاءم مع طبيعة النشاط التنظيمي من المؤكد أن لبيئة العمل الداخلية تأثيراً أكبر من النموذج أو الشخصية القيادية في عملية توجيه السلوك نحو تحقيق الأهداف التنظيمية وكسب ولاء وانتماء العاملين والتصاقهم بالمنظمات.

من الضروري أن تحرص كل منظمة على بذل الجهد الممكن لتشجيع وتحفيز العاملين ولاسيما المتفوقين في الأداء على الاستمرار في أعمالهم لدى المنظمة وتشير الدراسات إلى أن تقليص نسبة دوران العمل في فئة العاملين متميزي الأداء يساعد على تحسين الأداء. حيث تسعى المنظمات بصورة عامة إلى تقليص معدلات دوران العمل الاختياري كذلك تحاول تجنب الحاجة إلى دوران العمل الاختياري ولاسيما بين فئات العاملين المتفوقة في الأداء أو ذوي التخصصات والمهارات النادرة وفي ظل سوق عمل ضيق ولتحقيق ذلك ينبغي على المنظمات بداية أن تتعرف بتعمق وبصورة دقيقة وعلمية على مسببات ومصادر دوران العمل. (احمد ماهر، 2010م، ص 383).

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: هل القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري في ظل وجود ظروف العمل كمتغير معدل في المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان؟ ويتفرع منه الآتي:

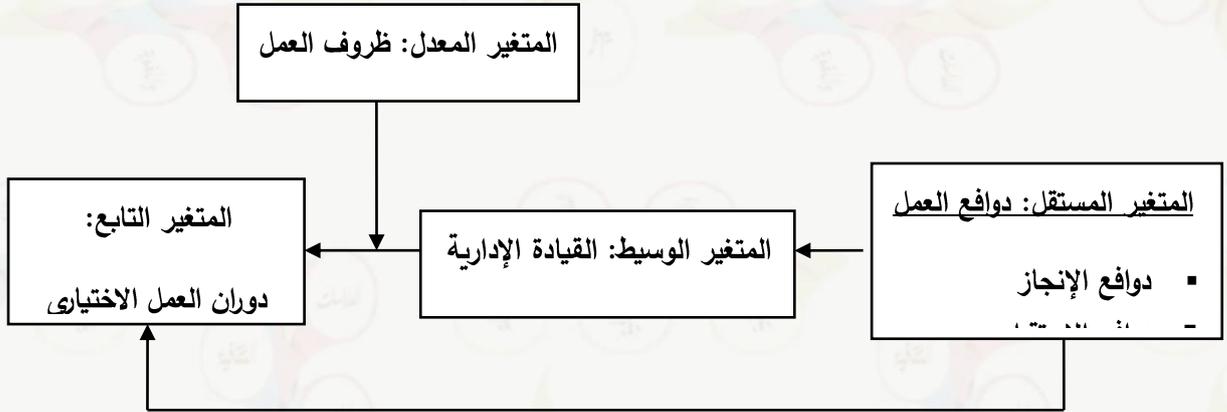
ما هو تأثير دوافع العمل بأبعادها (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) على دوران العمل الاختياري في المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان؟

ما هو تأثير دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) على القيادة الإدارية في المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان؟

ما هو تأثير القيادة الإدارية على دوران العمل الاختياري في المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض السودان؟

## نموذج الدراسة:

## شكل (1) يوضح نموذج الدراسة



المصدر: أدييات الدراسات السابقة (2024م)

## فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية الأولى: توجد علاقة معنوية بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض.

الفرضية الرئيسية الثانية: توجد علاقة معنوية بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) والقيادة الإدارية بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض.

الفرضية الرئيسية الثالثة: توجد علاقة معنوية بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض.

الفرضية الرئيسية الرابعة: القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض.

الفرضية الرئيسية الخامسة: ظروف العمل تعدل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض.

## أهداف الدراسة:

- التعرف على دور دوافع الإنجاز في دوران العمل الاختياري.
- بيان دور القيادة الإدارية في دوافع الاستقرار.
- معرفة دور القيادة الإدارية في دوافع الإنجاز.
- قياس دور دوافع الاستقرار في دوران العمل الاختياري.
- معرفة دور القيادة الإدارية في دوران العمل الاختياري.
- قياس دور ظروف العمل في دوران العمل الاختياري.

## الأهمية العلمية:

تأتي أهمية هذه الدراسة في إنها تساهم في توفير المعلومات المتعلقة بالقيادة الإدارية ودوافع العمل ودوران العمل الاختياري، وتساهم في إثراء المكتبات بشكل عام وإدارة السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية بشكل خاص، وهي استكمالاً للدراسات السابقة.

## الأهمية العملية:

تبرز أهميتها العملية في مساعدة إدارة المؤسسات العلاجية الخاصة بوزارة الصحة والتنمية الاجتماعية ولاية شمال كردفان والمؤسسات الخاصة بمدينة الأبيض في مدهم بالمعلومات التي تسهم في اتخاذ القرارات وحل المشاكل المتعلقة بالقيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري بطريقة علمية وذلك من خلال النتائج التي توصل إليها الدراسة في كيفية التقليل من دوران العمل الاختياري والتعرف على دوافع الإنجاز والاستقرار لدى العاملين مما يسهم في تقديم خدمات صحية ذات جودة أفضل.

## الإطار المفاهيمي للدراسة:

دوافع العمل: هي القوى او الطاقات النفسية الداخلية التي توجه تصرفات الفرد وسلوكه أثناء استجابته للمواقف ومؤثرات البيئة المحيطة به. (زكي مكي أسماعيل، 2005م، ص 99).

دوافع الإنجاز: هي ذلك الباعث الذاتي والمحرك الداخلي الذي من شأنه مشاهدة الأفراد على مواصلة أعمالهم، وتعزز من تحقيق الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها. (نادية محمد العميري، 2017م، ص 216).

دوافع الاستقرار: هي حالة مهنية مثالية تخلق شعوراً إيجابياً مؤثراً على نفسية الموظف في عمله وتعزز لديه الشعور بالانتماء والولاء المؤسسي. (دفع الله إبراهيم، 2021م).

القيادة الإدارية: هي النشاط الذي يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ القرار وإصداره، وإصدار الأوامر والإشراف الإداري على الآخرين باستخدام السلطة الرسمية وعن طريق التأثير والاستمالة بقصد تحقيق هدف معين. (بطرس حلاق، 2020م، ص5).

ظروف العمل: يقصد بها الظروف المادية للعمل وما تحتويه من عوامل مثل مستوى الإضاءة ودرجة الحرارة، طريقة تصميم المكتب وغيرها من العوامل التي يكون لها تأثير مباشر على العاملين ومستوى آدابهم وحبهم لعملهم أو النفور منه حيث أن ظروف العمل غير مناسبة تؤدي إلى نقص الرضا عن العمل والنفور. (إدريس بن رجم، 2018م، ص 11).

دوران العمل الاختياري: هو اختيار الموظف إنهاء ارتباطه بالمنظمة التي يعمل بها ومغادرتها بحيث تفقد المنظمة حينها موظفاً. (مجاهد وآخرون، 2020م، ص 359).

#### الدراسات السابقة:

دراسة (هنا سعيد، 2022م) بعنوان: واقع الإدارة الإلكترونية في مؤسسات الأيتام وعلاقتها بالدافعية للإنجاز للعاملين بها. وهدفت الدراسة إلى تحديد مستويات الإدارة الإلكترونية بمؤسسات الأيتام بأبعادها، تحديد مستويات الدافعية للإنجاز بمؤسسات الأيتام بأبعادها، تفسير العلاقة الارتباطية بين المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية لدراسة الإدارة الإلكترونية والدافعية للإنجاز، وتمثلت مشكلة الدراسة في السؤال التالي: ما العلاقة بين الإدارة الإلكترونية في مؤسسات الأيتام والدافعية للإنجاز كما يدركها العاملون بها؟ وأهم نتائج الدراسة: عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الموظفين الرجال والسيدات في كل من المثابرة والطموح والأقبال على العمل ودافعية الإنجاز، وجود فروق دالة إحصائية بين موظفين الريف والحضر في التنظيم الإلكتروني حيث بلغت 1.96 وهي قيمة دالة إحصائية، وأهم التوصيات: على مؤسسات الأيتام والقائمين عليها توظيف الموظفين ذوي الكفاءة العلمية والخبرة، عمل توعية عامة في المجتمع لدور مؤسسات الأيتام حتى تؤدي دورها بأكمل وجهه، متابعة الموظفين والقائمين على شؤون الأيتام باستمرار وعمل ورش عمل دورية لتزويدهم بأفضل سبل التربية.

ورقة علمية ( أبوذر عمر وآخرون، 2022م) بعنوان : أثر دوران العمل على أداء العاملين.هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم معدل دوران العمل، التعرف على العلاقة بين معدل دوران العمل وأداء العاملين، بيان كيفية تخفيض معدل دوران العمل داخل المنظمات، وتمثلت مشكلة الدراسة في: ما هو أثر دوران العمل على أداء العاملين، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: عدم الموازنة بين قدرات العاملين ومتطلبات الوظيفة يزيد من دوران العمل، ضعف الأجور وعدم مواكبتها لاحتياجات العاملين يسهم في انخفاض الرضا الوظيفي، عدم توفر العدالة عند تقييم أداء العاملين يزيد من دوران العمل، القصور في توفير معينات العمل زاد من دوران العمل، وجود اتجاه لإعادة هيكلة العمليات بالمؤسسة يزيد من دوران العمل، للنمط القيادي بالمؤسسة أثر في أداء العاملين، وأوصت الدراسة بضرورة وضع معايير لتقييم أداء العاملين والالتزام بها ومشاركة العاملين في تقييم الأداء، لزيادة الرضا الوظيفي للعاملين يجب منحهم أجور تغطي احتياجاتهم، على منشآت الأعمال العمل على إيجاد وصف وظيفي للعاملين يتلاءم مع قدراتهم، توفر المناخ الملائم للعاملين وتوفير مستلزمات العمل المطلوبة من قبل الإدارات المتخصصة، تهيئة العاملين ومشاركتهم في عملية إعادة الهيكلة لضمان تحقيق أهدافها، توفير نمط قيادي يسمح بمشاركة العاملين في حل المشكلات واتخاذ القرارات ووضع الخطط ويساهم في تحسين الأداء.

دراسة (حمزة وأحمد، 2018م) بعنوان: ظروف العمل وأثرها على الاستقرار الوظيفي. هدفت الدراسة إلى البحث عن أثر ظروف العمل على الاستقرار الوظيفي ببلدية عين الملح ولاية المسيلة، والكشف عن الظروف المادية والمعنوية المؤثرة على الاستقرار الوظيفي، ومحاولة التأكيد على أهمية الموارد البشرية وضرورة الاهتمام بسلويات ودوافع وحاجات الأفراد العاملين بالمؤسسات وهذا بوضع آليات ونظام للاستقرار الوظيفي لكي لا تفقد المؤسسة مواردها البشرية، حيث كانت مشكلة الدراسة تتلخص في السؤال التالي: ما مدى تأثير ظروف العمل المادية والمعنوية على الاستقرار الوظيفي؟، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى: هناك علاقة سببية بين ظروف العمل والاستقرار الوظيفي، توفير ظروف عمل جيدة وملائمة بالبلدية تشعر الموظف بالرغبة في العمل وتدفعه للتمسك بوظيفته وعدم التفكير في تغيير العمل.

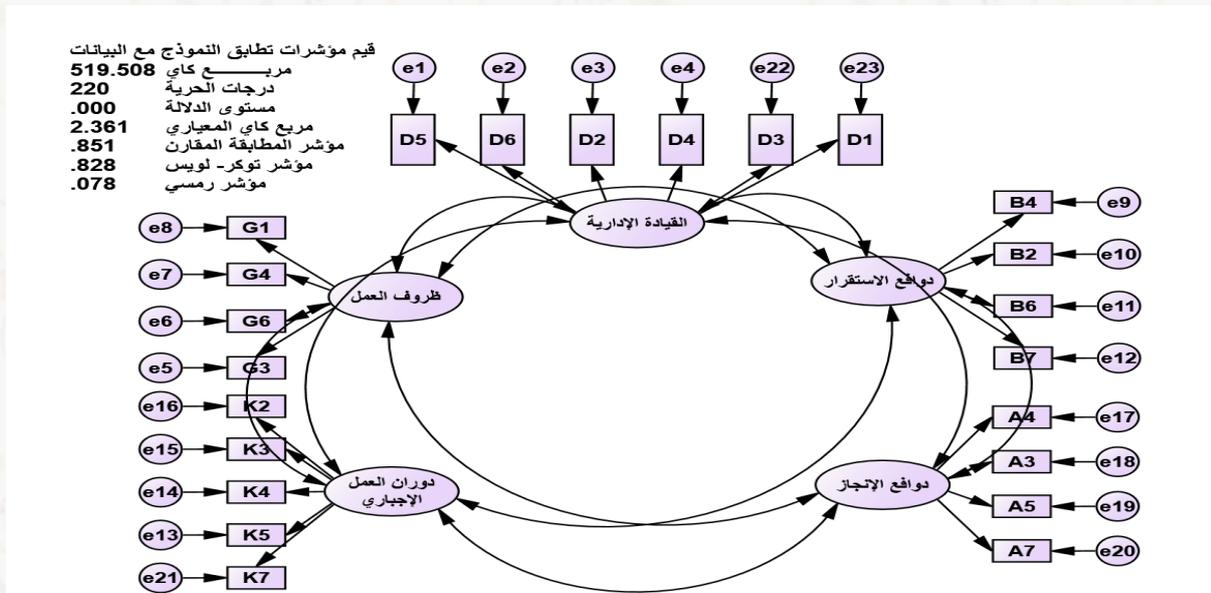
منهجية الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي يهدف إلى وصف طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة المتمثلة في المتغير المستقل دوافع العمل، المتغير التابع دوران العمل الاختياري، المتغير الوسيط القيادة الإدارية، المتغير المعدل ظروف العمل حيث لا يقتصر هذا المنهج على وصف الظاهرة

وإنما يشمل تحليل البيانات وقياسها وتغييرها والوصول إلى وصف دقيق للظاهرة أو المشكلة ونتائجها. ويتكون مجتمع الدراسة من الكوادر الطبية والإداريين العاملين بالمستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض. حيث تم اختبار عينة قصدية، وتم الاعتماد على الاستبانة كاداء لجمع البيانات.

### تحليل البيانات واختبار الفرضيات:

التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة: تم بناء النموذج الاول للدراسة والذي يتكون من أربعة متغيرات رئيسية مستقلة ، وسيطة ، معدلة، تابعة وتحتوي على خمسة محاور لجميع المتغيرات التي تقيسهم (35) عبارة حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، وتم التوصل من التحليل الي أن أبعاد متغيرات الدراسة تتكون من خمسة محاور تقيسهم (23) عبارة ، وتم اختبار هذا النموذج بتطبيق التحليل العاملي التوكيدي لبيانات الدراسة وتم قياس بناء النموذج لتوضيح أبعاد العلاقة بين محاور النموذج وكانت مقاييس جودة المطابقة التي تم ادخالها في النموذج الاولي قد اعطت مقاييس جودة ذات صلاحية مقبولة كما في الشكل (2)، جدول (1).

### شكل رقم (2) التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

الجدول رقم (1) مؤشرات جودة المطابقة لجميع متغيرات الدراسة

المؤشر	CMIN	DF	p	CMIN/DF	TLI	GFI	RMSEA
النسبة	512.508	220	.000	2.361	.828	.851	.078
التفسير	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

### تحليل المتوسطات والانحرافات المعيارية والاعتمادية والصلاحية لمتغيرات الدراسة:

يلاحظ في الجدول (2) أدناه الذي يبين أن المتوسطات لجميع متغيرات الدراسة اعلى من الوسط الفرضي، والانحراف المعياري أقرب إلى الواحد وهذا يدل على التجانس بين إجابات أفراد العينة عن جميع عبارات المتغيرات، يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من (0 إلى 1)، تم احتساب قيمة (ألفا كرو نباخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي اذا كالتقييم معامل ألفا كرو نباخ أقرب إلى (1) يعتبر الاتساق الداخلي للمتغيرات كبير، ولا يتخذ قرار بشأن قيمة ألفا كرو نباخ المطلوبة يتوقف ذلك على الغرض من البحث ففي المراحل الأولى من البحوث الأساسية تشير (Nunnally, 1967) إلى أن المصدقية من 0.50-0.60 تكفي وأن زيادة المصدقية لا أكثر من 0.80 وربما تكون إسراف، أما (Hair et al, 2010) اقترح أن قيمة ألفا كرو نباخ يجب أن تكون أكثر من 0.70 ومع ذلك، يعتبر ألفا كرو نباخ من 0.50 فما فوق مقبولة أيضاً في الأدب. (Bowling, 2009) ، وأيضا الجدول يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية لكل متغيرات الدراسة .

### الجدول (2) تحليل الاعتمادية والتحليل الوصفي بين متغيرات الدراسة

النوع	متغيرات الدراسة	ألفا كرونباخ	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الأهمية النسبية
مستقل	دوافع الإنجاز	.822	0.494	4.450	1=0.89%
	دوافع الاستقرار	.775	0.981	2.477	2=0.50%
الوسيط	القيادة الإدارية	.867	0.865	3.772	1=0.75%

المعدل	ظروف العمل	.776	0.945	2.637	1=0.63
تابع	دوران العمل الإجباري	.812	0.845	3.102	1=0.62

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

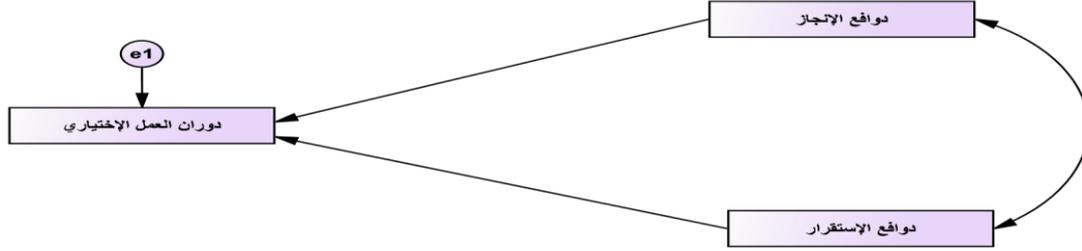
يتضح من نتائج الجدول أعلاه أن نتائج اختبار ألفا كرونباخ للعبارات مرتفعاً، أما الوسط الحسابي لجميع المتغيرات أكبر عن الوسط الفرضي 3 مما يدل على قوة وتجانس العبارات. أما الانحراف المعياري فنجد كل المتغيرات كانت مرتفعة مما يدل على وجود تجانس شبه تام بين إجابات الباحثين.

اختبار فروض الدراسة: لاختبار فرضيات الدراسة أعتمد الباحثين في عملية التحليل الإحصائي للبيانات على أسلوب نمذجة المعادلة البنائية (Structural Equation Modeling [SEM]) وهومت مفترض للعلاقات الخطية المباشرة و غير المباشرة بين مجموعة من المتغيرات الكامنة و المشاهدة، وبالتحديد استخدام أسلوب تحليل المسار لما يتمتع به هذا الأسلوب من عدة مزايا تناسب مع طبيعة الدراسة. (BarbaraFidell,1996) ويستخدم تحليل المسار فيما يمثل الأغراض التي يستخدم فيها تحليل الانحدار المتعدد، حيث أن تحليل المسار يعتبر امتداداً لتحليل الانحدار المتعدد، ولكن تحليل المسار، أكثر فعالية حيث أن يضع في الحسبان نمذجة التفاعل بين المتغيرات ، The Modeling of Interactions وعدم الخطية Nonlinearities وأخطاء القياس، والارتباط الخطي المزدوج Multicollinearity بين المتغيرات المستقلة (Jeonghoon ,2002).

اختبار الفرضية الأولى: توجد علاقة معنوية بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض. يتضح لك من خلال الشكل (2) والجدول (3) أدناه.

الشكل (2) العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري

قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات  
 .000 مربع كاي  
 0 درجات الحرية  
 \p مستوى الدلالة  
 \cmindf مربع كاي المعياري  
 1.000 مؤشر المطابقة المقارن  
 \tli مؤشر توكير- لويس  
 \rmsea مؤشر رمسي



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

الجدول (3) تحليل المسار من دوافع العمل إلى دوران العمل الإختياري

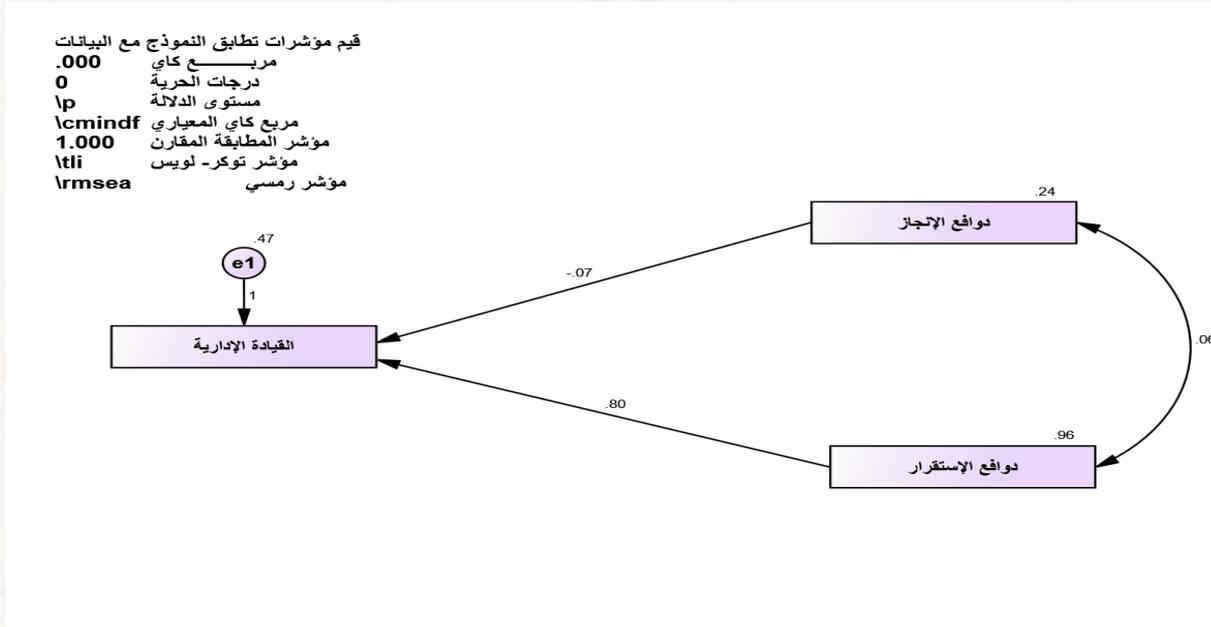
P	C.R.	S.E.	Estimate	الفروض		
***	16.856	.048	.802	العمل دوران الإختياري	<-	دوافع الإنجاز
.006	-.712	.095	-.067	العمل دوران الإختياري	<-	دوافع الإستقرار

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

يلاحظ من الشكل (2) والجدول (3) أعلاه أن المسار من دوافع الإنجاز إلى دوران العمل الإختياري حيث بلغت (.802) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (.000)، والمسار من دوافع الإستقرار إلى دوران العمل الإختياري حيث بلغ (-.067) وهو دال عند مستوى دلالة (.006)، مما يشير إلى أنه توجد علاقة إيجابية بين دوافع العمل ودوران العمل الإختياري.

اختبار الفرضية الرئيسية الثانية: توجد علاقة معنوية بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الإستقرار) والقيادة الإدارية بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض، يتضح لك من خلال الشكل (3) والجدول (4) أدناه.

## الشكل (3) اختبار العلاقة بين دوافع العمل والقيادة الإدارية



المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

## الجدول (4) تحليل المسار من دوافع العمل إلى القيادة الإدارية

P	C.R.	S.E.	Estimate	الفروض
***	10.536	.091	.958	دوافع الإنجاز <- القيادة الإدارية
***	10.536	.023	.243	دوافع الاستقرار <- القيادة الإدارية

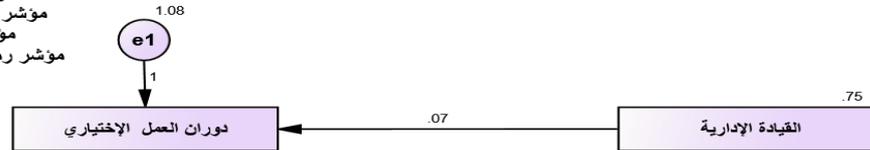
المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

يلاحظ من الشكل (3) والجدول (4) أعلاه أن المسار من دوافع الإنجاز إلى القيادة الإدارية حيث بلغت (958). وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.000)، والمسار من دوافع الاستقرار إلى القيادة الإدارية حيث بلغت (243). وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.000)، مما يشير إلى أنه توجد علاقة إيجابية بين دوافع العمل والقيادة الإدارية.

اختبار الفرضية الرئيسية الثالثة: توجد علاقة معنوية بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض، يتضح لك من خلال الشكل (4) والجدول (5) أدناه.

## الشكل (4) اختبار العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري

قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات  
 .000 مربع كاي  
 0 درجات الحرية  
 \p مستوى الدلالة  
 \cmindf مربع كاي المعياري  
 \cfi مؤشر المطابقة المقارن  
 \tli مؤشر توكير- لويس  
 \rmsea مؤشر رمسي



المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

الجدول (5) تحليل المسار من القيادة الإدارية إلى دوران العمل الاختياري

P	C.R.	S.E.	Estimate	الفروض	
***	13.032	.074	.969	<-	القيادة الإدارية دوران العمل الاختياري

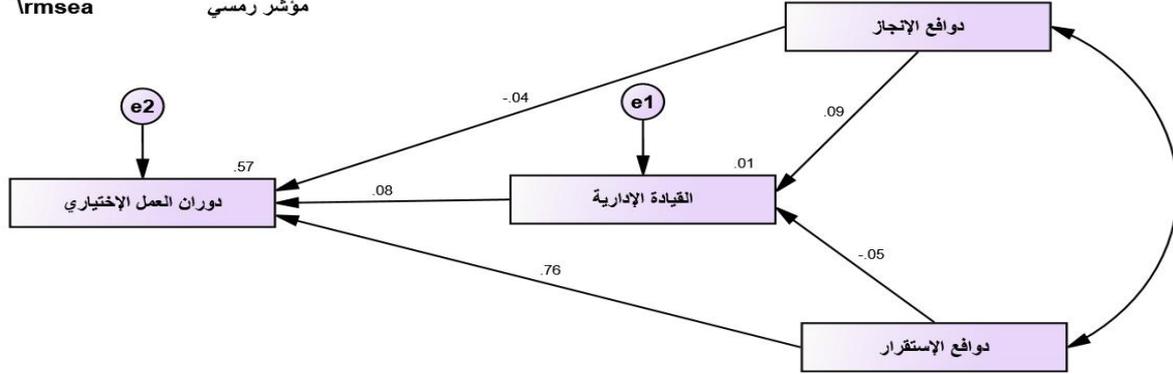
المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

يلاحظ من الشكل (4) والجدول (5) أعلاه أن المسار من القيادة الإدارية إلى دوران العمل الاختياري حيث بلغت (.969) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (.000)، مما يشير إلى أنه توجد علاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري.

اختبار الفرضية الرئيسية الرابعة: القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع العمل (دوافع الإنجاز، دوافع الاستقرار) ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض، يتضح لك من خلال الشكل (5) والجدول (6) أدناه.

الشكل (5) اختبار القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري:

قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات  
 .000 مربع كاي  
 0 درجات الحرية  
 lp مستوى الدلالة  
 \cmindf مربع كاي المعياري  
 1.000 مؤشر المطابقة المقارن  
 \tli مؤشر توكر- لويس  
 \rmsea مؤشر رمسي



المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

تم استخدام تحليل المسار (Path analysis) حيث يتم في البداية التحقق من بعض الشروط لاختبار الدور الوسيط والتي تتمثل في الخطوات التالية (1) وجود إثر معنوي ذو دلالة أحصائيا للمتغير المستقل على المتغير التابع (2) وجود إثر معنوي ذو دلالة أحصائيا للمتغير المستقل على المتغير الوسيط (3) وجود إثر معنوي ذو دلالة أحصائيا للمتغير المستقل والمتغير الوسيط على المتغير التابع.

الجدول (6) اختبار المتغيرات الوسيطة

الفرضيات	العلاقات المباشرة	العلاقات غير المباشرة	النتيجة
دوافع الإنجاز--> القيادة الإدارية --> دوران العمل الاختياري	***	.231	توسط كلي
دوافع الاستقرار--> القيادة الإدارية --> دوران العمل الاختياري	***	.517	توسط كلي

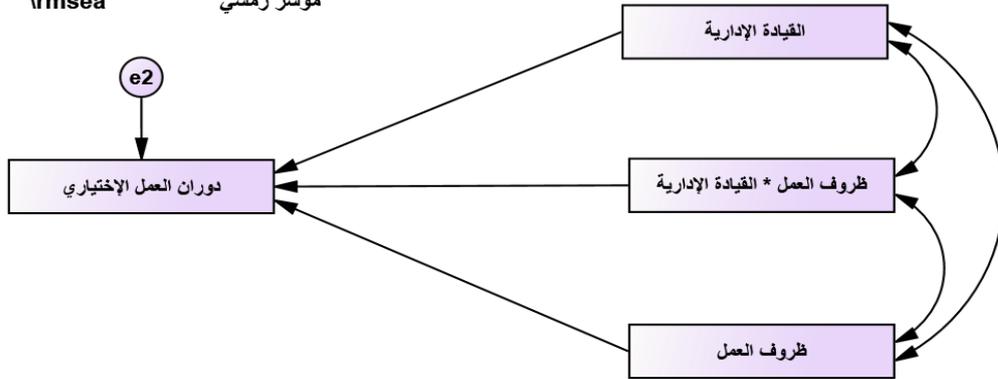
المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

يتبين من الجدول (6) ان مسار القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع الإنجاز الى دوران العمل الاختياري ان العلاقة المباشرة دالة عند مستوي معنوية (\*\*\*) والعلاقة الغير مباشرة غير دالة عند مستوي معنوية (231)، مما يشير الى انه يوجد توسط كلي وان القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع الإنجاز الى دوران العمل الاختياري الإحباط. وان مسار القيادة الإدارية تتوسط العلاقة بين دوافع الاستقرار الى دوران العمل الاختياري ان العلاقة المباشرة دالة عند مستوي معنوية (\*\*\*) والعلاقة الغير مباشرة غير دالة عند مستوي معنوية (517)، مما يشير الى انه يوجد توسط كلي وان القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع الاستقرار الى دوران العمل الاختياري الإحباط. على مستوي العلاقة الكلية يوجد توسط كلي، وان القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري.

اختبار الفرضية الرئيسية الخامسة: ظروف العمل تعدل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري بالتطبيق على المستشفيات الخاصة بولاية شمال كردفان الأبيض، يتضح لك من خلال الشكل (6) والجدول (7) أدناه.

الشكل (6) اختبار ظروف العمل تعدل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري:

قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات  
 مربع كاي .000  
 درجات الحرية 0  
 مستوى الدلالة |p  
 مربع كاي المعياري |cmindf  
 مؤشر المطابقة المقارن 1.000  
 مؤشر توكر- لويس |tli  
 مؤشر رمسي |rmsea



المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

لغرض التعرف على معنوية التأثير بين المتغيرات اعتمدت الدراسة على نمذجة المعادلة البنائية، حيث تم استخدام أسلوب تحليل المسار الذي يعني بدراسة وتحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة أو أكثر من المتغيرات المستقلة أو التابعة أو المعدلة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة ولاختبار الفرضية غير المباشرة تم الاعتماد على أسلوب (Plots two-way) الأثر المعدل.

الجدول (7) تحليل مسار ظروف العمل في تعديل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري

P	C.R.	S.E.	Estimate	الفروض	
.879	.152	.174	.027	دوران العمل الاختياري	<- القيادة الإدارية
.001	3.235	.236	.765	دوران العمل	<- ظروف العمل * القيادة

			الاختياري		الإدارية
				دوران العمل الاختياري	ظروف العمل <
.957	.054	.060	.003		

المصدر: أعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2024م)

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المسار الغير مباشر من القيادة الإدارية الى دوران العمل الاختياري هي غير دالة عند مستوى معنوية (0.879)، أن المسار المباشر لظروف العمل في تعديل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري هي دالة عند مستوى معنوية (0.001)، أن المسار الغير مباشر من ظروف العمل الى دوران العمل الاختياري هي غير دالة عند مستوى معنوية (0.957). مما يشير الى ان ظروف العمل تعدل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري.

نتائج الدراسة:

- توجد علاقة إيجابية بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري.
- توجد علاقة إيجابية بين دوافع العمل والقيادة الإدارية.
- توجد علاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري.
- القيادة الإدارية تفسر العلاقة بين دوافع العمل ودوران العمل الاختياري.
- ظروف العمل تعدل العلاقة بين القيادة الإدارية ودوران العمل الاختياري.

توصيات الدراسة:

- ضرورة ان تشعر إدارة المستشفيات الموظفين بروح الانتماء لها مما يوفر الرغبة في الاستمرار في العمل وعدم البحث عن فرصة بديلة.
- ضرورة ان تسم العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين بالثقة والتعاون حتى تحفزهم على تحقيق أهداف المؤسسة.
- ضرورة ان تتبع القيادة الإدارية بالمستشفيات تنمية روح العمل الجماعي وروح الانتماء والولاء، وكذلك العمل على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.
- على القيادة الإدارية بالمستشفيات ان تعمل على زيادة تشجع الأفراد على الإبداع الإداري، مما يشعرهم بالراحة في أداء أعمالهم في مواعيدها ويعمل ذلك على تحسين دوران العمل الاختياري.
- على إدارة المستشفيات تحسين ظروف العمل باستمرار مما يزيد من جودة أداء القيادة الإدارية ويساعد في تنفيذ البرامج التدريبية المخططة للعاملين.

قائمة المراجع:

1. أحمد ماهر، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الأسكندرية، مصر، 2010م
2. إدريس بن رحيم، بيئة العمل الداخلية وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى موظفي مديريات الشباب والرياضة، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية، جامعة محمد بوضياف، 2018م.
3. أبو ذر وآخرون، أثر دوران العمل على أداء العاملين، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal ISSN:(e)2709-0833,2022.
4. بطرس حلاق، القيادة الإدارية، الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، 2020م.
5. دفع الله أبراهيم، أثر الدوافع على أداء العاملين بالمنظمات، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، رسالة دكتوراه منشوره، 2021م.
6. هناء سعيد، واقع الإدارة الإلكترونية في مؤسسات الأيتام وعلاقتها بالدافعية للإنجاز للعاملين بها، مجلة البحوث في مجال التربية النوعية، المجلد الثامن، العدد 4، مايو 2022.
7. زكي مكي أسماعيل، السلوك التنظيمي، منشورات جامعة السودان المفتوحة، السودان، 2005م.
8. حمزة جعادي وأحمد منادي، ظروف العمل وأثرها على الاستقرار الوظيفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور الحلفة، رسالة ماجستير منشورة، 2018م.
9. مجاهد وآخرون، أثر المناخ التنظيمي على معدل دوران العمل في جامعة كردفان، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الثاني، 2020م.
10. منصور بن زاهي، الشعور بالاعتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات، رسالة دكتوراه منشورة، كلية العلوم الأنسان العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، 2007م.
11. غني دحام تناي، إدارة السلوك التنظيمي، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2010م.
12. Hair, J. f, Anderson, R.E, Tat ham, R.L and Black, w.c. (1998) "Multivariate Data Anal y sis"5thed, NJ :Prentice-Hall, Inc., p 10
13. Barbara G. Tabachnick and Linda S. Fidel, Using Multivariate Statistics, Third Edition, HarperCollins College Publishers, USA, (1996)
14. James Latin and Others, Analyzing Multivariate Data, Brooks/Cole, Thomson Learning, Inc., Canada,( 2014)



## الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد بقيّ بن يقظان" لـ عبد الرشيد هميسي-

The Semantic Dimensions of the Desert Space in the Novel "The Atheist Baki ben Yakdhan" by

-Abde Rrachid Hemici-

شهرزاد بنت محمد بن الطيب حامدي الديلة-الوادي- الجزائر

Chaha9dz@gmail.com

\*ملخص:

تُسلط الدراسة الضوء على كيفية تقديم رواية "الملحد بقيّ بن يقظان" للصحراء كمكان متعدد الأبعاد من خلال استكشافاتها السياحية والدينية والفلسفية. تعكس الرواية دور الصحراء كوجهة سياحية غنية بالموارد الطبيعية والثقافية، مما يعزز من مكانتها كوجهة جاذبة. من الناحية الدينية، تُبرز الرواية الصحراء كفضاء تأملي وروحي، حيث تُصوّر كمنطقة تعزز من التأمل الداخلي والبحث عن معنى أعمق للحياة. فلسفياً، تعالج الرواية تساؤلات حول الوجود والمعنى من خلال تصوير الصحراء كمكان يثير التأمل والتفكير، مما يساهم في خلق تجربة قراءة عميقة تربط بين البيئة والتجربة الإنسانية. بالإضافة إلى ذلك، تعرض الرواية كيفية تفاعل الشخصيات مع البيئة الصحراوية في سياق قضايا الهوية والإيمان، مما يعزز من التعقيد والتشويق في السرد.

\*الكلمات المفتاحية: الأبعاد الدلالية، الصحراء، الملحد بقيّ بن يقظان.

\*Abstract:

The study highlights how the novel "The Atheist by Baki ben Yaqzan" portrays the desert as a multidimensional space through its exploration of tourism, religious, and philosophical aspects. The novel reflects the desert's role as a tourist destination rich in natural and cultural resources, enhancing its appeal. Religiously, the novel depicts the desert as a contemplative and spiritual space, portraying it as an area that fosters internal reflection and a deeper search for meaning in life. Philosophically, it addresses questions of existence and meaning by depicting the desert as a place that provokes contemplation and thought, contributing to a profound reading experience that connects the environment with human experience. Additionally, the novel shows how characters interact with the desert environment in the context of issues of identity and faith, which adds complexity and intrigue to the narrative.

\*Keyword: Semantic dimensions, Desert, The Atheist Baki ben Yakdhan.

تجسد الصحراء في الأدب العربي المعاصر مسرحاً فريداً يعكس تنوع جمالها وغموضها وجاذبيتها الثقافية، وعلى الرغم من أن السياحة الصحراوية قد تأخرت نسبياً مقارنة بمقاصد سياحية أخرى مثل الشواطئ والجبال، فإنها نالت اهتماماً متزايداً بفضل تفردتها وجاذبيتها الخاصة. وتسلط رواية "الملحد" للكاتب عبد الرشيد هميسي الضوء على هذه الأبعاد المتعددة، متجاوزةً التصوير التقليدي للبيئة الصحراوية لتكشف عن تجارب شخصية وفلسفية تعكس عمق التجربة الإنسانية في هذا الفضاء الشاسع، من خلال وصف الحياة اليومية والعادات والتقاليد والأبعاد الروحية والفلسفية، تقدم الرواية نافذةً لتقدير الصحراء كوجهة سياحية ذات قيمة كبيرة، تسهم في تعزيز فهمنا لجمالها وثنائها الثقافي. ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الآتي: فيم تجلت دلالات الفضاء الصحراوي داخل الرواية؟ وتندرج تحت هذا الإشكال أسئلة فرعية تمثلت في: كيف يساهم وصف الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" لعبد الرشيد هميسي في تعزيز الصورة السياحية للمنطقة؟، ما الأبعاد الفلسفية التي تستكشفها الرواية، وما مدى تأثير هذه الأسئلة الفلسفية على تقديم الصحراء كفضاء مليء بالأسرار والتأملات العميقة؟، كيف يعرض الكاتب التجربة الدينية والروحية في الصحراء؟

#### 1. البعد السياحي:

تعد الصحراء منذ القديم محط أنظار الكثيرين، وذلك من خلال بيئتها الطبيعية الخلابة، وأيضاً بفضل نمط معيشة الإنسان فيها، ولقد انطلقت السياحة في الصحراء متأخرة مقارنة بالمقاصد السياحية الأخرى، كالسياحة الشاطئية أو الجبلية مثلاً، ولعل من أهم أسباب ذلك نقص البنى التحتية من جهة، والمخاطر الناتجة عن الصحراء من جهة أخرى.

وقبل الغوص في تحليلنا للبعد السياحي للفضاء الصحراوي في رواية الملحد، نتطرق أولاً إلى تعريف السياحة بشكل عام ثم السياحة الصحراوية بشكل خاص.

تعددت تعاريف السياحة وفقاً لآراء المهتمين بدراسة طبيعتها ومكوناتها وجوانبها، ووفقاً لآراء المنظمات العالمية والدولية المهتمة بالسياحة الدولية.

ومن بين التعريفات تعريف العالم الألماني "جويير فروبلير" الذي يرى السياحة «ظاهرة من ظواهر العصر التي تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة والتغيير وتساعد على الإحساس بجمال الطبيعة وبالراحة والبهجة مع الشعور بالمتعة، وذلك بالإقامة في المناطق لها طبيعتها الخاصة والخلابة». (خالد بن عبد الرحمن، 2014م، ص 13)

كما عرفتها "المنظمة العالمية للسياحة" بأنها: «مجموعة من النشاطات التي يقوم بها أشخاص مثل نشاط السفر والإقامة في أماكن بعيدة أو خارج البيئة الاعتيادية التي يعيشون بها لمدة لا تزيد عن سنة متتالية وذلك بهدف التسلية أو العمل». (مساوي مباركة، 2012م، ص50)

فالسياحة هي انتقال الشخص من محل إقامته الدائم إلى أماكن إقامة مؤقتة لأسباب مختلفة قد تكون ترفيهية أو تجارية أو دراسية أو دينية...

أما بالنسبة لمفهوم السياحة الصحراوية، فعرفت على أنها: «السياحة المكرسة لاكتشاف الصحراء وتستخدم فيها الواحات كنقطة للانطلاق وللوصول». (عدوكة عبد الوهاب، 2022م، ص33)

وفي تعريف آخر: «هي نوع من أنواع السياحة البيئية أو الطبيعية، مجالها الصحراء بما فيها من مظاهر طبيعية المتمثلة في تجمعات الكثبان الرملية والجبال والأودية والواحات الطبيعية، ومن مظاهر بشرية متمثلة في أسلوب حياة وثقافة الشعوب الصحراوية المتناغمة والمنسجمة تماما مع طبيعة الصحراء، لتشكل في تفاعلها الطبيعي والبشري نمط من أنماط الحياة المألوفة في المدن والأرياف...». (خليف مصطفى غرايبي، 2016م، ص22)

من خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن السياحة الصحراوية هي أحد أنماط السياحة التي ينتقل فيها السياح إلى مناطق صحراوية بهدف الاكتشاف وخوض تجارب جديدة والتمتع بمختلف مميزات المحيط الصحراوي (الطبيعية، التاريخية والأثرية، الثقافية والاجتماعية).

وتعتبر رواية الملحد من بين الروايات الجزائرية التي سيكون لها دور في الترويج للسياحة الصحراوية الجزائرية، وبالأخص السياحة في ولاية وادي سوف وتحديدا صحراء حاسي خليفة التي كانت مجهولة للعديد من الأشخاص، وهذا ليتعرفوا على جمالها ويتشوقوا لزيارتها من خلال أحداث هذه الرواية، كما جاء في تصريح الروائي "عبد الرشيد هميسي" من خلال إحدى منشوراته على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك حيث قال: «من الأشياء التي أفرحتني كثيرا عندما فازت روايتي بجائزة راشد بن حمد الشرقي للإبداع: أن أغلب أحداث الرواية وقعت في الجزائر وما أدراك ما الجزائر!، أن البيئة السوفية بكل تقاليد القديمة ماثلة في نص الرواية، أي أن القارئ العربي سيعرف أن هناك منطقة اسمها وادي سوف لها تقاليد خاصة ونكهة مميزة، وهذا شرف لي أن أعرف القارئ العربي بالبلد التي ربيت وأبنايتي. إن بلدي وعشقي (حاسي خليفة) حاضرة بقوة في هذه الرواية، ويهمني جدا أن تتحول بلدي إلى مدينة سردية كما تحولت مدن كبرى على يد بعض الروائيين العالميين إلى مدن سردية...». (عبد الرشيد هميسي، تصريح مكتوب عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك)

وقد تجلّى البعد السياحي للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد بقيّ بن يقظان" في الفصل الثالث بحديثه عن مدينة حاسي خليفة ومقوماتها السياحية والفصل الرابع بحديثه عن صحراء حاسي خليفة وما تخبئه من أسرار، يقول الراوي «كنت أفكر فيما قاله لي مختار، فقد أخبرني أنه سيخرج مع نفر من أصحابه إلى عرض الصحراء سياحة، ودعاني إلى الخروج معه ووعدني أنني سأرى في عرض الصحراء أشياء ليست في البادية ولن أراها ما عشت، إن لم أخرج معه في هذه السياحة...» (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص102)، وهذا المقطع يمثل دعوة للسياحة الصحراوية وما تخفيه الصحراء من جمالٍ وسحرٍ وطبيعة خلابة.

وما يلي مقومات السياحة الصحراوية الموجودة في الرواية:

#### ✕ المناطق الطبيعية:

بدأ الروائي "عبد الرشيد هميسي" الفصل الثالث لروايته بوصفه لطريق الصحراء الطويل ولزرقاة وصفاء سمائها ورمالها الذهبية، حيث قال على لسان "ميرسو": «أنهكتنا الطريق الطويلة، فكأن لا نهاية لها، تمددت على مقعد السيارة ونثاءبت، وسرحت عيني في بعيد السماء فإذا هي زرقاء لا يعكّر زرقها إلا غيمات متنافرات يمتنع بنور الشمس ودفتها. أما الأرض فكانت رملا أصفر يتكاثب بعضه على بعض، نقيًا يغريك بالعبث به وبالاستلقاء عليه» (مصدر سابق، ص69). كذلك وصفه لسماء الصحراء المضاءة بالنجوم في قوله: «كان الليل قد نشر سواده في الأرض وفي السماء... أراقب زخم النجوم، كأن أحدا رمى السماء بنثار مضيء». (مصدر نفسه، ص 108-109)

#### ✕ الأماكن الدينية:

في قوله: «أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صمعتان قصيرتان تتوسطهما قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهن قليلا، وفوق القبة هلال من حديد، أخبرنا أن اسمه 'المسجد الكبير'» (مصدر نفسه، ص71)، فهنا أخبرنا على طريقة بناء المساجد وهندسته المعمارية. وفي مقطع آخر وصفه للزاوية الموجودة في حاسي خليفة، في قوله: «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية وكان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرف شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره، الأصدقاء، والفقراء، والدرائش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...» (مصدر نفسه، ص 100)

إن سطوة المكان عند الروائي «واضحة فيبدو متأثرا ببعض الأماكن في الخارج مما ساهم هذا في ربط القارئ وإشراكه في عملية التأثير من خلال إثارة خياله بصورة فنية عن بعض الأماكن». (سارة دبله، 2015م، ص 46)

✕ التنوع البشري:

والمتمثل في تنوع العادات والتقاليد واللباس وأسلوب الحياة وتعدد الثقافات، والتشابه العمراني في المساكن وهذا ملوح من ملامح البساطة، وتمثل ذلك في الرواية في قول "ميرسو": «أثناء الطريق تأملت بيوتهم المبنية بالجبس، حيطانها قصيرة، أسقف غرفهم قباب، أكثر جدرانها غير مدهونة، لونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر، وكأن الشمس امتصت بياض الجبس، ملمسها خشن وكثير منها مشقق، أبوابها من خشب رديء وهي مفتوحة لا تقفل أبداً وكأن هذه البادية تصالحت مع شطارها، لا يكاد بيت يخلو من نخلة تتوسط الحوش وكأنها سيدة مطاعة، أو هي خارج البيت تحرسه من الأعداء...».

(عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 75)

فالروائي «يثيرنا ويمتحننا جمالياً في استحضار أماكن جمالية تساعد في بلورة نص سياحي أو بالأحرى خطاب سياحي فريد ومتميز». (سارة دبله، 2015م، ص 47)

أما بالنسبة للأكولات فقد وصف لنا خبزة الملة الأكلة المشهور في صحراء وادي سوف واللحم المشوي على الفحم في قوله: «عندها أخرج أحد القائمين على الطعام خبزة مستديرة من بين الفحم والرمل،...عندها أخبرني أحدهم بصوت خشن يثير الجوع في المعدة: إن هذه الخبزة تسمى خبزة (الملة) لأنها تمل في الرمل وأن الرمل لا يلتصق بها لأنه ساخن جداً، ثم ضرب الخبزة ضرباً خفيفاً ونفخ فيها جيداً بعد أن رشها بقطرات من الماء، ثم قسمها إلى قطع أربعة وناولني قطعة، شممت رائحة الشحمة والطماطم والبصل فانفتحت شهيتي أكثر، ذقتها... كانت هذه تجربتي الأولى مع خبزة الملة. بعد ذلك أكلنا اللحم المشوي على الحطب الزيتا حتى امتلأت بطوننا». (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 108)

صور لنا الكاتب هذه الأكلة الصحراوية تصويراً مفصلاً ودقيقاً وكأنها حُضرت أمام أعيننا، إضافة إلى حديثه عن المشروبات ومنها: التاي، والوزوازة. وهذه كلها حوافز غير مباشرة لجذب السياح وتجريب كل ما هو غريب وغير معروف لدى الإنسان المدني.

✕ التنوع البيولوجي:

تتمتع الصحراء بوجود نباتات وحيوانات وزواحف، وحشرات كيفها الخالق مع طبيعة الصحراء الجافة والحارة، مما يجذب السياح لرؤية هذه الأنواع من الحيوانات والنباتات، ففي هذا المقطع يصور لنا بستان البدوي وما يحتويه من خيرات متعددة، قوله: «في البستان نخل كثير، وخليط الروائح المنبعثة منه تنعش، البلح، القرع، والفلفل، والبطيخ، والعنب، والتفاح، والرمل المبلل» (مصدر سابق، ص 71). وفي قوله: «أمسكت جربوعاً وتأملته، كان لطيفاً، شعره رمادي، عيناه سوداء لا بياض فيها، له شعيرات

طويلة على جانبي أنفه يدها قصيرتان جدا، على عكس قدميه الطويلتين، وذيله الذي طوله ضعف جسده» (مصدر نفسه، ص 118)، هنا يصف لنا حيوان الجربوع المعروف بتواجده في الصحراء والذي يصطادونه ليكون وجبة صحراوية. وغيره من الحيوانات الصحراوية المعروفة مثل الخنفساء، الجمال، والعقارب، العناكب، السقنقور...

يمثل الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" بعداً سياحياً جذاباً، حيث تتضمن الأبعاد السياحية للفضاء الصحراوي في الرواية الاستكشاف الطبيعي والجغرافي للصحراء، وهذا من خلال وصف التضاريس الطبيعية والحياة الحيوانية والنباتية المتعددة في "حاسي خليفة"، كما يوضح المؤلف في روايته العادات والتقاليد لسكان المنطقة وأساليب الحياة التقليدية للبدو وما يتعلق بهم، وكذلك التجارب والمغامرات الفريدة التي يمكن للسياح الاستمتاع بها في هذه المنطقة الواسعة والجذابة.

## 2. البعد الديني:

يعد الإنسان أهم مخلوقات الله، فضله بالعقل، وميزه بالنطق، وخصه بالديانات السماوية، فكان الإنسان والدين، عنوانان لخطاب واحد، فالدين يجعل لوجود الإنسان قيمة وأهمية. والإنسان « كائن متدين، فطر على التوحيد، لكن الفطرة تغيرت، والديانات تعددت، ومظاهر التدين تشعبت، وأشكال الإلحاد اتسعت، وكل ذلك مرده إلى أن الإنسان لم يستطع أن يعيش خواء دينياً؛ إذ ارتبط الدين بحياته، ومصيره، ببدايته، ونهايته، بفكره، وشعوره، بنفسه، وجسده، فالدين إذن هاجسه الأول، تترجمه الأقوال والسلوكات، وثبته الطقوس والممارسات، لذلك الدين بالنسبة للإنسان نبض الحياة». (صياد مليكة، 2019م، ص أ)

فمصطلح الدين من المصطلحات التي صعب شرحها سواء عند العرب أو الغرب ومن تعريفاته أنه: «مجموعة العقائد التي انعقدت عليها نفس الإنسان وارتبطت بها روحه، فلا ينفصل عنها، وإن اختلفت درجة منحه لها واعانتها بها ورسوخه فيها» (مرجع نفسه، ص 49)، حيث شمل هذا التعريف علاقة الدين بالروح، والعقيدة التي هي ركن من أهم أركانه، والتمسك بالدين مهما كانت الظروف، دون تحديد لماهية الإله المتدين به، وبالتالي فهذا التعريف ينطبق على كل الديانات التي عرفها بنو البشر.

اهتمت الرواية العربية المعاصرة بالاشتغال على النص الديني بمختلف مصادره ومشاربه وذلك «بتوظيف نصوصه ومضامينه المختلفة، وجعلها آية من آياتها الإلهامية والاتصالية التي من شأنها الارتقاء إلى المتلقي كالنصوص القرآنية والتوراتية، والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف، والتراتيل الدينية، والفكر الديني، ولاسيما فكرة الخُلص، والفكر الصوفي، وغيرها من الأفكار الدينية» (مرجع سابق، ص.ن).

فالصحراء من المواطن التي طالما استخدمها الكتاب الجزائريون كإطار لإبراز البعد الديني في أعمالهم الأدبية، وذلك لأن الصحراء تمثل العزلة والتي تحدث معها تجربة دينية متميزة، من خلال النبوءات والتأملات الروحانية والأسرار الخفية، وهذا ما يمثل عنصراً أساسياً في الثقافة الدينية الجزائرية. وبجانب ذلك، يمتد الفضاء الصحراوي على مساحات غير محدودة وهذا يعكس غموض الدين وقدسيته، مما يؤسس لتجربة فريدة ومعقدة في علاقة الإنسان بربه، ومن هنا تظهر أهمية الفضاء الصحراوي كتجسيد للبعد الديني في الرواية.

وتعتبر الأبعاد الدينية للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" محوراً رئيسياً في دراسة هذا النص، حيث تبرز العديد من الرموز والأشكال الدينية خلال الأحداث تؤثر في شخصية "بقي" بطل الرواية، فالفضاء الصحراوي يمثل الوحدة مع الله والنفوس، فهو مكان الانعزال والتفكير والتأمل. ومن أهم هذه الأشكال الدينية هي شخصية "سي ملين" إمام المسجد الكبير، التي تمثل الرمز الديني الرئيسي في الرواية، فهو يمثل الأب الروحي الذي يساعد البطل على فهم العالم والنفوس، ويعينه على الطريق إلى الله والتقوى، ويمثل "سي ملين" أيضاً النموذج الصالح للحياة الروحية، الذي يتبع الطريق الواضح الممهد للإيمان واليقين.

ونجد أيضاً ذكر للأماكن المقدسة مثل: "المسجد الكبير" فهو دار عباده المسلمين، وهو مكان مقدس، وتقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها من الصلوات، سمي مسجداً لأنه مكان السجود لله، وكله "مسجد" توحى بالدلالة الدينية للفظ "الصلوة" التي هي فريضة على كل مسلم ومسلمة، ونجد في الرواية أن كلمه "مسجد" ذكرت في أماكن مختلفة وهذا لأن الإسلام يفرض وظائفه الدينية على المسلمين، باعتبار "المسجد" قبلة يومية يؤمها الناس في أوقات محدد كآداء الصلوات وقراءة القرآن، وفضاء لتبادل الأفكار وتلقي العلوم، ومثال ذلك ما جاء على لسان "بقي": «أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صمعتان قصيرتان تتوسطهما قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهن قليلاً، وفوق القبة هلال من حديد، أخبرنا أن اسمه "المسجد الكبير"، لم يدخلنا إلى فناء المسجد الداخلي ورضي لنا أن نرى الغرفة والباحة التي يتعلم فيها الأطفال القرآن، أراننا إياها فإذا أصوات الأطفال مثل دوي النحل...» (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 71-72)

بالإضافة إلى "الزاوية" فهي مكان للعبادة وأداء الطقوس الدينية والتضامن الاجتماعي، والاجتماع حول الفقهاء للأخذ من علومهم وأفكارهم... قول "بقي": «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية وكان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرف شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية

زواره، الأصدقاء، والفقراء، والدرائش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...» (مصدر نفسه، ص 100). إذن هما فضاءان للمعتقدات والعبادات التي تمارس فيهما الشعائر الإسلامية. كذلك نلح في الرواية أنّ الراوي استند على القرآن الكريم والقصص القرآني.

القران الكريم: وردت في الرواية آيات قرآنية وظفها "سي لمين" في حوارها مع "بقي" تلك الشخصية التي تبحث عن إجابة لأسئلة وجودية، ومن أمثلة ذلك ما يلي: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها» (مصدر نفسه، ص 96)، وقوله أيضا: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» (مصدر نفسه، ص.ن)، وفي موضع آخر: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها» (مصدر سابق، ص.ن)، وأيضا قوله: «والذين اهتدوا زادهم هدى» (مصدر نفسه، ص.ن) فهذه الآيات استشهد بها "سي لمين" كرد على سؤال "بقي" عن الأقدار. وقوله في موضع آخر: «في القرآن آية أحب أن أسمعك إياها فتلى بصوت هادئ: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه» (مصدر نفسه، ص 100) واستعماله لهذه الآية هو تذكير لـ "بقي" بأن يستعين ويتضرع بالدعاء لله عند الحاجة.

القصص القرآني: كذلك نجد توظيف الروائي "عبد الرشيد هميسي" القصص القرآني الذي يمثل سردا حكايا جاء في القرآن الكريم يروي لنا أخبار الأولين، وهم أقوام عاشوا منذ القدم على هذه الأرض. فلقد جاءت قصة "بقي" مع "سي لمين" مشابهة نوعا ما لقصة "سيدنا موسى" مع "سيدنا الخضر" عليهما السلام، حيث لازم "بقي" "سي لمين" وقرر الانتفاع منه ومن أفكاره وأن لا يتعصب لفلسفته القديمة فيأخذ ما يناسبه ويترك ما لا يعجبه، وتجلى ذلك في قوله: «بهتُ أمام هذا البدوي الذي يجد جوابا لكل سؤال. حقيقة لقد عراني أمام نفسي مرة ثانية، وأوقفني على حقيقتها. إن الأشياء في عالمه واضحة، ليست كالتي في عالمي مستترة وغبشة. لهذا قررت -مساء وأنا أنتظر خروج مريم من بيتهم- أن أتخلى عن ذاتي وهواي وأنصت لهذا الرجل كثيرا، وأفرز ما يقوله لي، آخذُ منه ما اقتنعت به وأترك ما لم يقنعني». (مصدر نفسه، ص 93)

وقوله في: «مشينا شرقا في شارع ضيق، فصادفنا صبيان سمر حفاة أقبلوا على سي لمين عندما رأوه فأعطاهم ما عنده من حلوى إلا طفلا داكن السمرة محلوق الرأس على قفاه خط عابث أبيض من أثر العرق الذي جف، لم يأخذ حظه من الحلوى، عبس لكن سي لمين كسر عبوسه بأن أشار إليه أن أحفر تحت أصل الجدار، وأراه موضع ذلك، فحفر فوجد بضع نقود أخذها وانطلقا في منحرجات الشارع. فتذكرت ما قاله لي المختار في شأن المال الذي يتزده منه سي لمين فيدسه في عمامته أو تحت الجدران!»

(مصدر نفسه، ص 99)، هنا نتذكر قصة الغلامين مع سيدنا الخضر عليه السلام الذي رأى جدارا لهما يريد أن ينقض فأقامه، لأنه يوجد تحته كنز أراد أن يبلغا أشدهما لكي يستخرجاه فيما بعد. وعليه فالرواية وإن كانت لا تتناول بشكل مباشر الأبعاد الدينية ولكنها تستخدم أسلوب الرموز والأشكال الدينية لتعكس مفهوم البحث عن الإيمان والسعي لتحقيقه، والسؤال عن هدف الإنسان في الحياة والدنيا...

### 3. البعد الفلسفي:

في هذا البعد تجدر الإشارة إلى الكيفية التي يبني من خلالها الروائيون أمكنتهم وربطها بكل ما هو فلسفي ذهني ومتخيل، وذلك من أجل إغناء وإثراء العمل الفني وشحنه بمعطيات فلسفية ذات عمق ودلالة، وتؤكد سيزا قاسم أن «التبادل بين الصور الذهنية والمكانية يؤدي إلى التصاق معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية نابعة من حضارة المجتمع وثقافته... كما أن الأشياء تتحول في الرواية من مجرد عناصر من العالم الخارجي إلى رموز» (سيزا قاسم، 2004م، ص 105)، كما أن الكاتب لا يكتفي بوصف عناصر الواقع كما هو بل يحوله إلى عمق فلسفي وذلك من أجل إكسابه صبغة جمالية فنية، وتعد رواية "الملحد" رواية فلسفية، إذ تتناول الرواية من خلال شخصية البطل "بقي" العديد من المواضيع الفلسفية، فقد اشتغل "عبد الرشيد هميسي" على فضاء الطبيعة، فأستعار مكوناتها ومظاهرها لتجسيد أسئلته وربطها بأسباب وجودها، فالطبيعة هي المهد الأول للإنسان وهي ملجأ "بقي"، وفيها وجد إيمانه، ومن بين الأفكار الفلسفية المذكورة في الرواية نجد:

يقول "بقي": «لقد عزمت على أن أتقصي خبر كل الهوام والزواحف التي في الصحراء، فلعل أسرارها خطيرة وراءها، ولقد رغبتني في ذلك ما رأيته من أمر الجربوع، ولأني أحب -أيضا- أن أقف على حقائق الأشياء وأسرارها، فالذي سأقوم به هو معرفة وتسليية معا» (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 119)، يعبر "بقي" عن إصراره على معرفة حقائق الأشياء وأسرارها، وذلك من خلال تأمله ودراسته لحيوانات الصحراء وزواحفها، كذلك تأمله في نفسه وتصوره لتوازن الإنسان مع العالم حيث يعتقد بأن الإنسان هو الجزء الأساسي من النظام الكوني، وأنه يتناسب بشكل تام مع الكون المحيط به؛ أي أن الإنسان والكون قد وجدا لبعضهما البعض، وأن هناك تناغم تام بينهما، يقول: «آخر شيء تأملته هو نفسي! لقد كانت أقرب الأشياء إلي، ولكنها كانت الأخيرة في التأمل. ولقد تأكد عندي يقين لا يقبل الشك أننا هيئنا في تناسق تام مع هذا العالم كأنه وجد لنا ووجدنا له». (مصدر نفسه، ص 128) يتساءل "بقي" حول مسألة العظمة والفناء، فيقول: «فلسفت المسألة سرا: «كيف تستحيل الأشياء العظيمة إلى الفناء؟! ما الذي يجعلها عظيمة وما الذي يفنيها؟! وهل تفنى الحقيقة؟! أم إننا واهمون؟! وإن

كانت ستفنى هكذا بكل هذه البرودة، لم وجدت؟! إما أن الحياة عابثة فهي تلهو بنا كما تشاء وما نحن إلا دمي، وإما أنها حكيمة ولكن القصور والعجز فينا نحن الذين لم نفهمها على حقيقتها» (مصدر نفسه، ص 113)، فهنا يتساءل، ما الذي يجعل الأشياء عظيمة؟ وكيف تفنى؟ وهل يمكن أن تفنى الحقيقة أم أنها باقية دائماً؟ ويشير أيضاً إلى التناقض بين فكرة أن الحياة عابثة ودون معنى، أو أننا نحن البشر الذين نفتقر إلى الحكمة والفهم الكافي لفهم الحقيقة كما هي، كذلك نجد يتطرق لفكرة الحياة والموت والبعث، يقول: «سمعت للجمل ثغاء عندما كنت أفكر في شيء خطير، وكأنه أحس بخطورة ما أفكر فيه، تساءلت: إن هذا الموجود الذي أوجدنا بكل هذه الحكمة، لن ينهي وجودنا هذا بموتة أبدية، فبعد أن عرفنا حكمة الموجود وسلطانه على الأشياء وعظمته، ينهينا بموتة تطفئنا وكأننا لم نكن يوماً موجودين في هذا العالم! إن الموت بهذا الفهم لا يتناسق مع حكمة الوجود. إن الذي أوجدنا أراد لنا أن نكون أبديين. حياة واحدة لا تكفيها؛ كيف يموت الظالم وهو قاهر للعباد دون أن يقتص منه، ويموت المظلوم مقهوراً دون أن يسترد حقه؟! ويموت منكر الموجود لهذا العالم، دون أن يتعرف إليه؟! لا بد أن هناك حياة أخرى تأخذ فيها الأشياء موازيتها، وإلا فإن حكمة هذا الوجود منقوصة ومشوهة» (مصدر نفسه، ص 131)، يعبر "بقي" عن قلقه حول خطورة الأفكار التي يفكر فيها، ويتساءل عن حكمة الخالق في جعل الموت نهاية حياة الإنسان، ففي اعتقاده الموت لا يتمشى مع حكمة الخالق، وأن الإنسان ينبغي أن يكون خالداً، ولا يجب أن ينتهي بالموت الذي يمسح كل وجوده مثلما لم يكن يوماً موجوداً، كما يجب أن تكون هناك حياة أخرى بعد الموت يتم فيها إصلاح الظلم واسترداد الحقوق.

كما نجد يثير العديد من الأسئلة، فيقول: «بقدر ما أعجبنى ذكاء الجربوع بقدر ما حيرني هذا السؤال: من أين لهذا الكائن الصغير بهذه الحيلة؟ من علمه؟ لو كان جربوعاً واحداً له هذه الحيلة لكان الأمر، وأدركت أنه اجتهد فبلغ هذه الحيلة، ولكن المعضلة هي أن كل الجربوع لها الحيلة نفسها، هل درست كلها عند جربوع معلم واحد؟!» (مصدر نفسه، ص 118)، وأيضاً قوله: «لكن الشيء الذي لم أجد له بياناً، هو من علم هذه العناكب غزل شبكتها على هذا النحو؟ فكل العناكب التي صادفتني تغزل بيتها بالطريقة نفسها. ومن أنبأها أن الشباك تترك الحشرات وتعطل حركتها؟ لماذا لم تسع في الأرض تطلب رزقها كالتملة أو كالعقرب؟!» (مصدر نفسه، ص 124)، وقوله: «السؤال الذي كان يلح علي باستمرار: من علم هذه الحيلة التخفي؟!» (مصدر نفسه، ص 121)، كذلك قوله: «ولكن الذي لم أفهمه: من الذي علم التملة أن تدفن أختها إذا ماتت؟!» (مصدر نفسه، ص 123)، استغراب "بقي" من المهارات الطبيعية للحيوانات والحشرات وذكائها، وكيف يمكن لهذه الكائنات الصغيرة أن تتصرف بطرق معقدة ومنتقنة في التخفي والصيد...، كما يتساءل عن الجهات التي قدمت المعلومات والخبرات التي

أتاحت لهذه الحيوانات استخدام هذه الحيل بطريقة فعالة ومناسبة لبيئاتها المتغيرة، وكذلك استغرابه من تناسق وجمال الألوان التي تم صبغ الحيوانات بها لتتناسب مع لون الصحراء، ويتساءل عن السبب وراء تلك الألوان ومن وراء القرار بصبغها بهذه الطريقة، ويعرض فرضية بأن هناك قوة حكيمة وراء هذا الأمر، ويرمز إلى وجود عظيم، خلق ونوع الكائنات على الأرض، كما يعبر عن دهشته من التناسق التناسق الذي يظهر في لون الحيوانات والبيئة التي تعيش فيها، فيقول: «بقدر ما أعجبي لونه الرمادي بقدر ما حير في سؤال فأسئلة: لم كان لونه رماديا؟ أجبت: لكي لا يكون وضاحا لمفترسيه، فاللون الرمادي قريب من ألوان الصحراء، ولم بقيّة الهوام والزواحف ألوانها ليست وضاحه؟! العقرب أصفر، والأفعى بني بارد، والعنكبوت والضب والورل كلها بين الأصفر والني البارد؟! أجبت: لكي لا ترى حين تصطاد أو تصطاد. ثم قلت: من الذي صبغها بهذه الألوان لكي يناسب لونها صحراءها؟! الصدفة؟ لم لم تلونهم الصدفة بالأحمر مثلا؟ لا بد هناك قوة حكيمة وراء هذا» (مصدر سابق، ص 118)، وأيضا قوله: «ولكن الذي لم أدركه، من الذي عوض ذلك النقص بهذا الكمال؟!». (مصدر نفسه، ص 124)

نجد "بقي" يصف تجربته في الصحراء، بعدما قضى شهرين يستكشف قوانين الطبيعة وأسرار الحشرات، فيقول: «طوال هذين الشهرين اللذين قضيتهما في الصحراء مستكشفا قوانين الطبيعة وأسرار الحشرات، كنت في كل ليلة قبل أن أنام تحاربني الأسئلة فتؤجل نومي إلى ساعات متأخرة من الليل، وإن أعظم سؤال استطعت أن أجيب عليه هو: هل كل هذه القوانين وهذه الأسرار وهذا التناسق العجيب بين الهوام وبيئتها وليد الصدفة؟! قلت لنفسني: «إن الصدفة وليدة الأسباب، وهي تكرر لا متناه من الاحتمالات حتى يستقر الشيء على أمر يتناسب مع طبيعة تكوينه ومع بيئته ولكن فرضية الصدفة هذه لا تسلم من أربعة اعتراضات: أولها لماذا تكرر الصدفة نفسها مع كل أجيال الهوام؟ فالصدفة لا تتكرر. ثانيها من أخبر هذه الصدفة العمياء أن سلوك هذه الحشرة متناسق مع طبيعة جسدها ومع بيئتها حتى تستقر تلك الحشرة على ذلك السلوك؟ ثالثها من أمد الصدفة بالاحتمالات، وكأنها تعرف سلفا هذه الاحتمالات؟ رابعها من أمد الصدفة بالقوة التي تتولى إيجاد الاحتمال أو عدمه، والتنسيق بين ذلك كله؟!» (مصدر نفسه، ص 125-126)، وقوله: «إن أعظم سر استنطقته الصحراء هو: «إن وراء كل شيء شيئا»،...أخذت أعيد اكتشاف الأشياء، وأرميها بالأسئلة فتجيبني بكل حكمة، كنت التلميذ وكانت المعلم» (مصدر نفسه، ص 126)، وكانت هذه التجربة ثمر الأستئلة في ذهنه قبل أن ينام، فكان أكبر سؤال يعترضه حول فكرة الصدفة ودورها في تناسق الكائنات الحية مع بيئتها، ومتسائلا عما إذا كانت هذه الأمور وليدة الصدفة أم هناك شيء آخر وراءها، كما أن أعظم سر استنطقته الصحراء هو وجود شيء وراء كل شيء، وأنا نحتاج إلى استكشاف الأشياء ورميها بالأسئلة للوصول إلى الحقيقة،

ويبدو أن الصحراء كانت مكاناً يساعده على الاسترخاء والتأمل والتفكير بعيداً عن صحب البادية، وقد وجد فيها المعلم الذي يجيب عن أسئلته ويعينه على فهم الحياة بشكل أفضل.

وصول "بقي" لحقيقة الوجود، أي أن وجود الكون، وتناسق كل مكوناته، يدل على وجود خالق واحد وحكيم وقادر على كل شيء، فيقول: «ومن التناسق أيضاً أني إذا جمعت سد الأكل جوعتي، وإذا عطشت أرواني الماء. أي أن الذي أوجد في الجوع أوجد الأكل ليشبع، وهو الذي أوجد في العطش، وأوجد الماء ليروييني. أي إن هناك تلازماً. وأوجد في البصر لأرى الأشياء، أشكالها وأحجامها وألوانها، وأوجد في الشم لأفرق بين الصالح من الأطعمة والفاسد، ولأتمتع بكل طيب. وأوجد الذوق والسمع واللمس...» (مصدر نفسه، ص 129)، يؤكد "بقي" بأن هناك تناسق وتلازم بين احتياجات جسده، فعندما يشعر بالجوع يحتاج إلى الطعام، وعندما يشعر بالعطش يحتاج إلى الماء، وهذا يدل على أن المنظومة الجسدية تعمل بشكل متناغم ومتكامل، كما يؤكد أن الجسم يحتاج إلى الحواس للتعرف على الأشياء ولاستيعاب العالم المحيط به، فالبصر يساعد على رؤية الأشياء وتمييز الألوان والأحجام، والشم يساعد على التفريق بين الأطعمة الصالحة والفاسدة...، وهذا يدل على عظمة الخالق الذي أوجد الجسم بمنظومته المتكاملة والمتناغمة، كما يقول: «إن الذي أوجدنا حفنا بكل شيء يكون به وجودنا ممكناً، وترك لنا حرية التصرف في هذا العالم» (مصدر سابق، ص 10)، ويعني بكلامه أن الذي خلقنا سخر لنا كل شيء وجعل وجودنا ممكناً في هذا العالم، كما أنه منحنا حرية التصرف في هذا الكون واختيار ما نزيد فعله وما لا نزيد.

ففي الصحراء أعاد "بقي" رسم مساره وأفكاره، فيقول: «استطعت أن أمحو كل شيء وأعيد رسم مساري من جديد، رسمته وأنا وحدي في الصحراء بعيداً عن الحضارة وعن الناس...، رسمته وأنا في كل حرتي، متجرداً من كل شيء قد يفرض علي فكرة أو توجهها، لقد نشرت قناعاتي تحت الشمس فما صلح منها إلا شيء واحد، وهو لهذا «الكون موجود واحد»» (مصدر نفسه، ص 130)، هنا لم يتأثر "بقي" بقناعات أو توجهات أخرى، فهو كان حراً في تفكيره دون أي قيود أو ضغوط خارجية، ليصل في الأخير إلى حقيقة أن لهذا الكون مُوجد واحد وهو الخالق والمدير لكل شيء، وكذا في قوله: «أنفقت أياماً أثور الأسئلة وأغربل كل شيء، ولقد كان ما غربلته كله يرخ عند شيء واحد وهو أن مُوجد هذا الكون واحد وحكيم وقادر وله مطلق الإرادة» (مصدر نفسه، ص 132)، فهنا يعبر "بقي" عن بحثه المتواصل عن الحقيقة والمعرفة، وأن كل الإجابات تصل في النهاية إلى وجود خالق واحد حكيم وقادر على كل شيء وبأن له السلطة المطلقة في الكون.

اهتم الكاتب بمعالجة المشكلات والقضايا المتصلة بطبيعة العالم والوجود، فالبطل في هذه المرحلة لا ينفك يتساءل عن مصدر المعرفة الإنسانية، أسئلة حائرة قلقة حيناً يثيرها على الرغم من عثوره على بعض الإجابات، وحيناً يتساءل أسئلة متخاذلة في شيء من التردد والخوف، لانعدام الإجابات أمامه، وتعثر الرؤية الداخلية لديه، إنها أسئلة يراجع بها مفهوم الصراع الأكبر لدى الإنسان مع ما قرأه وتعلمه وسمعه، صراع الوجود الإنساني بشكل خاص، والموجودات كافة بشكل عام، أسئلة تبدو ضبابية مستفزة تفوق التوقعات، وتنفوق على الحضور الإنساني في هذا العالم.

#### 4. البعد الصوفي:

إن التصوف من الكلمات الشائعة، تعددت مفاهيمه ودلالاته ورغم هذا الاختلاف القائم في تعريفه فقد اتفقت جل الآراء بارتباطه بالدين، واصطباعه بصبغة شرعية متمثلة في حب الله والتعلق به، ويعود سبب ظهوره إلى دخول أمم شتى وأجناس عديدة في حضرة الإسلام وديانات وحضارات مختلفة تمازجت وتداخلت...

والمذهب الصوفي هو: «الموقف الصوفي الخالص، إذ يتخلى الصوفي عن الواقع المادي ويبحث عن الحقائق المستقلة في الشعور من أجل الحصول على الماهية الخالصة دون شوائب وذلك عن طريق المجاهدة، حيث يستطيع أن ينتقل من عالم الظلمة إلى عالم النور وإخراج العالم المادي من دائرة الاهتمام، وقبول العالم العلوي الذي هو عالم الشعور بالنسبة للعالم الطبيعي». (آمنة بلعل، 2009م، ص 21)

فالتصوف هو عبارة عن محاولة للتسلح بقيم روحية عميقة والتي بدورها تساعد الإنسان على مواجهة الحياة المادية، ومن ثم تحقق التوازن النفسي، وهو سلوك إيجابي يساعد الإنسان في ربطه بمجتمعه، والابتعاد عن الشهوات والانغماس فيها وتحلية النفس بالفضائل، ويمثل «التصوف الإسلامي- فكراً، وتجربة، وممارسة طقسية- واحداً من أقوى مرجعيات الرواية الإبداعية الجديدة، باعتبار الصوفية نزعة روحانية تمارسها مجموعة بشرية، تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيوية ومغرياتها، وتنتمي الصحراء البدائية، وتمارس بساطة الحياة فيها وهو انتقاء إنساني، تميل إليه النفس بدافع اختياري لا قسري». (مقداس رزيقة، 2022م، ص 206)

فالرواية تدرس كل ما يتعلق بالإنسان وتساهم في توعية القارئ من خلال طرحه لمختلف القضايا الاجتماعية، والثقافية والتاريخية والدينية... ويعد لجوء الروائيين المعاصرين إلى التراث الصوفي، لتمثيل التجربة الصوفية كممارسة إبداعية من مظاهر الحدائث الروائية، «فانلطاب الصوفي في الرواية العربية ظاهرة لافتة وأحد أهم المواضيع التي حظيت باهتمام الأدباء والدارسين، فأخذت الرواية منحاً جديداً

يحمل في طياتها معاني ومواضيع ودلالات صوفية في مضامينها، ومنه أصبحت مظهرات التصوف وتجلياته ظاهرة بشكل واضح في الرواية العربية المعاصرة، حيث تجلى ذلك في توظيفها لمصطلحات صوفية دينية، ومفاهيم رمزية، وكذا في لغتها الإيحائية والسردية». (لعور إيمان، رتاب خولة، 2022م، ص 27)

فعلى مستوى اللغة الروائية يبدع الروائي المعاصر «توليفات لغوية ذات بعد صوفي اعتمادا على الألفاظ ومعجم الصوفيين، فنجد الكلمة تحمل ثقلا دلاليا وكثافة رمزية، كالحب والرؤيا والكشف والحلول... كما يقتبس نصوصا صوفية بهدف تأكيد رمزية الرواية وتكثيف رؤيتها، حيث تلجأ الرواية العربية المعاصرة في كثير من الأحيان إلى التناص مع الخطاب الصوفي عن طريق إيراد المقولات والأدكار الصوفية والآثار في بدايات النصوص أو ضمنها أو في خواتمها، مما يولد شعرية الكتابة الروائية الجديدة ويعمق الرؤية الفلسفية فيها، وهذا بخلاف الإبداعات المعالجة لقضايا الواقع، التي تلتزم بالرؤية العقلانية، فاعتماد الحدس هو الموجه للكتابة الجديدة» (كريمة بوكروش، 2017م، ص 4) التي تستدعي النص الصوفي وتعالق معه، فهو نص لغوي ودلالي له خصوصيته في الأدب العربي إذ ينزاح باللغة من معجمها إلى مستوى غني بالإيحاء، أما على مستوى الخطاب الروائي، فإننا نكتشف البعد الصوفي في «الخصائص المميزة للخطاب السردى كالزمن والمكان والشخصية...». (مرجع نفسه، ص.ن)

ومما سبق ذكره فالبعد الصوفي للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" لا تقصد به في هذا المقام الصحراء كإقليم جغرافي، لأن نصف أحداث الرواية تجري في منطقة حاسي خليفة، ولكننا نقصد بالصحراء الأرض، الفضاء، الواسعة، فقيرة الماء، قليلة النباتات، وللصحراء بهذا المعنى الأخير مكانة خاصة عند أهل التصوف، «فهي موطن الانعزال والبعد عن الناس وهي المكان اللامتناهي الذي لا تحده حدود ولا تكبله قيود، فهي المطلق الذي لا يخضع لسلطان أو رقابة أحد غير الخالق سبحانه وتعالى، وهي الأبدية والالانهاية والصفاء بعيدا عن عكارة الحضارة وفوضاها، ففيها يجد المتصوف السكينة والهدوء والبيئة المثلى للمناجاة الإلهية، لهذا اختارها الصوفية منذ القديم لبيتوا فيها مواجيدهم وأشواقهم وليقيموا فيها صلواتهم بعيدا عن أعين الرقباء والحساد والهازئين» (معمر معمري، 2017م، ص 106-107)، فالصحراء تمثل الفضاء الذي يطهر القلب من أدران الحياة وبهرجها وزيفها، فيتجه إلى توحيد الخالق وتقديسه بما هو أهله، وينزهه عن الند والشبيه، وتظهر الصحراء في بعدها الصوفي جلية في فضاء شخصية "سي لمن"، في قول "بقي": «فالتفت إلينا وأوقف بصره علي، عيناه كعين نبي حزين. فيهما شيء لم أره في

\* سي لمن: هو شخصية حقيقية وظفها الروائي كرمز في روايته، وقد ذكر الروائي ذلك في تصريح له، واسمه في الواقع سي لمن غمام: ولد عام 1920م الموافق ل1338هـ بحاسي خليفة، من عائلة حافظة لكتاب الله تعلم القرآن الكريم على يد والده "الإمام محمد بن جدير"، وهو في سن العاشرة، وأصول الفقه والأحكام والمواثيق. عرف عنه الطيبة والطهارة كان العلامة في كل يوم سبت وخميس يذهب راجلا من حاسي خليفة إلى "زاوية سيدي سالم" بالوادي واللقاء مع المشايخ: "المداني موساوي" و"الظاهر لعبيدي" و"أحمد لعبيدي" و"عثمان شريكة" للمعرفة والاجتهاد، أسند له والده الإمامة على

عيني مختار أو غيره من رجال البادية، لذلك لم أستطع أن أدفع عن قلبي شعور الانجذاب لهذا الرجل عند أول مرة رأيته فيها، قام ورحب بنا، صاحفنا وكنت الأخير، فأطال في مصاحفتي، يده ناعمة، وله عطر بدوي مميز تحدث مع مختار قليلا، فانشغلت أنا بتمليه. ما السر الذي يشدني إلى رجل بدوي لا أعرفه؟! للرجال مثل ما له من قسما، لكن له شيئا لا يملكه غيره من الرجال» (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 72)، وقوله أيضا: «... كلهم يجدون عند هذا البدوي بغيتهم، كأن قلبه واحة معطاءة لا ترد أحد» (مصدر نفسه، ص 100)، من خلال ما جاء في قول "بقي" نستنتج بأن "سي لمين" إنسان غير عادي فيه شيء ليس عند البقية، فهو ملجأ لكل محتاج ومضطر ولكل تائه وضال.

كما جاء في قول آخر لـ "بقي": «وجدت سي لمين جالسا قبالة الشرق مسندا ظهره على الحائط، وعيناه متلذتان بالقرآن الذي يتلوه على الصبية، كان سعيدا بما يفعل ومترعا بلذة قدسية تحيط به من كل جهة. كان كالذي أخذته لذة وطغت عليه فهو لا يستطيع أن ينفك منها» (مصدر سابق، ص 75)، وقوله: «بعد صمت ملأه بالذكر» (مصدر نفسه، ص 75)، وفي موضع آخر قوله: «كنا نمشي صامتين إلا من تلاوة سي لمين للقرآن سرا فلا أرى إلا شفتيه تتحركان، أو أسمع بين الفنية والأخرى كلمة يجهر بها أو يمدحها ثم يعود إلى تلاوته السرية، مغيبا عينيه في لذة سماوية، وخباء سقط سي لمين على الأرض ساجدا، ظننته...» (مصدر نفسه، ص 99-100)، وقوله أيضا: «...أما سي لمين فقد بقي مطرقا يسبح» (مصدر نفسه، ص 75)، فن المقاطع السابقة يتضح لنا أن "سي لمين" متلذذ في عبادته، كثير الذكر والتلاوة في كل الأوقات، وهذا ما يميز الرجل الصوفي المتعبد عن غيره.

وفي قوله: «فقال: «اسمك باقي! الله هو الباقي وما دونه فاني»» (مصدر نفسه، ص 100)، دلالة على تقديس "سي لمين" للذات الإلهية، وتذكيره لـ "بقي" بأن دون الله فإن وزائل وما البقاء إلا لله سبحانه وتعالى.

☒ العشق الإلهي: وهو عبارة عن علاقة روحية حميمة بين الإنسان وخالقه أي هو شعور الروح بالحب العميق والوجودي لله تعالى، في قوله: «...ثم سألته: «وهل وجدت تلك السعادة وأنت في شظف العيش وسط هذه الصحراء القاسية؟»، تنهد وأجاب: «الإنسان إذا عشق ربه حق العشق فإن كل الأشياء دون الله تغدو ترابا، وتستوي عنده الحياة بحلوها ومرها، فلا زيتنها تأخذها ولا هجتتها تصده. إن السعادة الحقيقية لا تؤخذ من الأشياء الفانية، وإنما تكون من خالقها»» (مصدر نفسه، ص 76)، وقوله: «...قال لي: «يا بقي، إنني أرى ربي في كل شيء؛ في نفسي وفي الأرض وفي الماء وفي السماء وفي

المسجد الكبير عام 1941م. وكان "سي لمين" الإمام والمدرس للقرآن الكريم والشرح وقواعد الأحكام والفقه، وافته المنية عام 1983م. (نقل عن: هاني عبد الملك، باحث في التاريخ).

الحيوانات وفي الحشرات، وفي الرياح وفي الأمطار، وفي البرد والحرف في الليل والنهار، وفي كل شيء يقع تحت حواسي» (مصدر نفسه، ص 90)، من خلال الاقتباسات تتجلى لنا حالة "سي لمن" ووصوله لما يسمى بالعشق الإلهي. وكذلك في قوله: «...فالدنيا لم تستطع أن تجد طريقاً إلى قلبه». (مصدر نفسه، ص 92)

☒ الكرامة: تعتبر الكرامة مفهوماً مركزياً في التصوف، وسبب ظهورها على يد الرجال هو الزهد والإخلاص، يقول الإمام ابن تيمية في تعريفه للكرامة: «فما كان من الخوارق من باب فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة يرى ما لا يراه غيره يقظةً ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره وحياً وإلهاماً...» (عبد الرشيد هميسي، 2018م، ص 98)، ويتجلى ذلك في قول "مريم": «...ثم جثا على ركبتيه لكي يكون طوله مثل طولي، ونظر في عيني: «سيكون من ابنتك هذه ما لن يكون من بناتك الأخريات». ثم انصرف سي لمن تاركاً أبي متهاوياً في حيرة سحيقة» (عبد الرشيد هميسي، 2020م، ص 85)، وأيضاً: «...أما نبوءة سي لمن فلا زالت لغزاً طائراً في السماء» (مصدر نفسه، ص 86)، وفي قوله: «أتذكر سي لمن وهو يقول لي: «لقد بشرت في المنام أنك ستأمن بعد أن يصيبك ظنك، لذلك ذكرت لك قول الله ﴿أمن يجب المضطر إذا دعاه﴾ لكي تكون مخرجك»» (مصدر نفسه، ص 101)، فهنا تظهر نبوءة "سي لمن" وتحقق في أرض الواقع، ففي المقطع الأول تفسيره لما رأت "مريم"، أما الأخيرة فتحقق من خلالها ما جاء في منامه، وحضور هذه المظاهر الصوفية، كانت سبباً في ثراء الرواية بالمفاهيم الفلسفية الوجودية.

ومنه نستخلص أن وصف مظاهر الطبيعة الصحراوية، ساهمت في تعميق البعد السياحي فكانت الصحراء مرتعاً للراحة النفسية والسكينة والتأمل، كما للإلهام والإبداع والطريق للإيمان بالنسبة للبطل "بقي"، وكذلك فالفضاء الصحراوي في عزلته، وهدوئه، واتساعه، هو أفضل مكان للعبادة، وطبيعة الصحراء تجعل الإنسان أقرب إلى الله سبحانه وتعالى من أي مكان آخر.

\*الخاتمة:

بناءً على التحليل المستفيض للأبعاد السياحية والدينية والفلسفية في رواية "الملحد"، يمكن استنتاج أن العمل الأدبي يقدم تصورات متعددة ومعقدة ومعقدة للفضاء الصحراوي وكيفية تفاعله مع الإنسان. أولاً، على الصعيد السياحي، تسلط الرواية الضوء على جماليات الصحراء وثناء تفاصيلها الطبيعية، الثقافية، والاجتماعية. فالوصف الذي قدّمه الروائي "عبد الرشيد هميسي" للصحراء وصور الحياة الصحراوية يفتح نافذة على عالم لم يكن معروفاً لكثير من القراء، ويشجع على استكشاف الوجهة الصحراوية كوجهة سياحية جذابة. من خلال تصويره للمناطق الطبيعية، الأماكن الدينية، العادات

والتقاليد، والمأكولات، ينقل لنا الرواية تجربة حقيقية لروح الصحراء ويحفز القارئ على تقدير جمالها الفريد.

ثانياً، على الصعيد الديني، توظف الرواية الفضاء الصحراوي تكلفية للتأمل الروحي والبحث عن المعنى، وتعكس الرواية العلاقة بين الإنسان والخالق من خلال الشخصيات والأماكن المقدسة التي تمثل نقاط ارتكاز أساسية في رحلة "بقي". واستخدام الرواية للرموز الدينية والنصوص القرآنية والقصص الدينية يعزز من الطابع الروحي للفضاء الصحراوي، ويبرز كيف أن الصحراء تعكس عمق العلاقة بين الإنسان ووجوده الديني.

ثالثاً، على الصعيد الفلسفي، تقدم الرواية تأملات عميقة حول الحياة والموت والوجود من خلال شخصية "بقي" وتسألاته الوجودية...، ينجح العمل في استكشاف الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والغاية، مما يعزز من البعد الفلسفي للفضاء الصحراوي كرمز للبحث عن الحكمة والتفاهم الأعمق للكون.

بالإضافة، رواية "الملحد" تعكس تعددية الأبعاد وتنوعها في استكشاف الفضاء الصحراوي، مما يجعلها عملاً أدبياً غنياً يقدم رؤية متكاملة للصحراء كمكان للتجربة البشرية والتفكير العميق، إن هذا العمل لا يقتصر على تقديم وصف بديع للصحراء، بل يعبر عن كيفية تفاعل الإنسان مع بيئته ومع ذاته من خلال أبعاد سياحية، دينية وفلسفية.

\*قائمة المصادر والمراجع:

\*المصادر:

القرآن الكريم، رواية ورش.

عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2020م.

\*المراجع:

1. آمنة بلعل، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الأول للطباعة والنشر، مدوحة، تيزي وزو، الجزائر، ط3، 2009م، ص 21.
2. خالد بن عبد الرحمان، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص 13.
3. خليف مصطفى غرايبية، السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2016م، ص 22.
4. سيزا قاسم، بناء الرواية -دراسة-، طبعة مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004م، ص 105.

## \*مذكرات ورسائل:

1. سارة دبلة، الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية - رواية ذاكرة الجسد ونسيان.com لأحلام مستغامي أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص لسانيات سياحية، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، 2014م/2015م.
2. صياد مليكة، المحضور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي آسيا جبار أنموذجا، أطروحة دكتوراه تدخل ضمن متطلبات شهادة الدكتوراه تخصص النقد الجزائري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2018م/2019م.
3. عبد الرشيد هميسي، حضور التصوف في الخطاب الروائي العربي المعاصر - بعض الروايات العربية أنموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في نظرية الأدب وقضايا النقد، جامعة الحاج لخضر - باتنة 01، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2017م/2018م.
4. عدوكة عبد الوهاب، بديدة محمد الحافظ، دور التسويق السياحي في ترقية السياحة الصحراوية (دراسة حالة ولاية الوادي)، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تخصص تسويق فندقي وسياحي، قسم العلوم التجارية، جامعة حمة لخضر بالوادي، 2021م/2022م.
5. كريمة بوكروش، الوظائف السردية والدلالية للخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة "شجرة العابد" لعمار علي حسن نمودجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص أدب عربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2016م/2017م.
6. لعور إيمان، رتاب خولة، تجليات الحضور الصوفي في رواية عزازيل ليوسف زيدان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي، 2021م/2022م.
7. مساوي مباركة، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك -دراسة حالة مجموعة من الفنادق لولاية "مستغانم"-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تسويق دولي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011م/2012م.
8. معمر معمري، الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردية عند الحبيب السائح، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث تخصص سرديات، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016م/2017م.

9. مقداس رزيقة، الصورة-الصحراء في الخطاب الروائي المغربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الأدب والدراسات النقدية المغربية، جامعة مولود معمري زيزي وزو، قسم اللغة العربية وآدابها، 2021م/2022م.  
\*المواقع الالكترونية:

1. عبد الرشيد هميسي، تصريح مكتوب عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك،  
[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=3032731626818159&id=100002440533367](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=3032731626818159&id=100002440533367)، 2020/02/27م.

## تجليات البلاغة في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان

The Manifestations of Rhetoric in the Philosophical Discourse of Taha Abderrahmane

منير بوردي، باحث في البلاغة وتحليل الخطاب، جامعة محمد الخامس بالرباط - المغرب

البريد الإلكتروني: [mounir.b2009@gmail.com](mailto:mounir.b2009@gmail.com)

## ملخص:

نهدف من خلال هذا المقال إلى بيان مظاهر الحضور البلاغي في الخطاب الفلسفي عند الدكتور طه عبد الرحمان، وقد اعتمدنا في ذلك على التصور الذي يقترحه الدكتور محمد العمري للبلاغة، بحيث يميز في تحديدها بين مفهومين أحدهما إنشائي والآخر وصفي، وعليه انقسم المقال إلى ثلاثة محاور أولها يعني بتحديد مفهوم البلاغة عند العمري، والثاني يكشف عن تجليات المفهوم الإنشائي عند طه عبد الرحمان من خلال الوقوف على أبرز الخصائص التي تتميز بها كتابته الفلسفية، بينهما يهتم المحور الثالث بتتبع المواضع التي مارس فيها طه عبد الرحمان التحليل البلاغي، وتنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يلفت الانتباه إلى جانب مهم في كتابات الدكتور طه عبد الرحمان لم يهتم به دارسوه ويتعلق الأمر بالجانب البلاغي ببعديه الإنشائي والوصفي، وهو ما يفتح آفاقاً جديدة لدراسة الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الفلسفة، خطاب، إنشاء، وصف

## Abstract:

The article at hand is an endeavor to highlight the aspects of rhetorical presence in the philosophical discourse of Dr. Taha Abderrahmane. We have based this on the concept proposed by Dr. Mohammed Al-Omari for rhetoric, in which he distinguishes between two concepts: written composition and descriptive. Accordingly, the article is divided into three sections. The first is concerned with defining the concept of rhetoric according to Al-Omari, the second reveals the manifestations of the written composition concept in Taha Abderrahmane's work by examining the prominent characteristics of his philosophical writing, and the third section traces the instances where Taha Abderrahmane engaged in rhetorical analysis. The importance of this topic lies in the fact that it draws attention to a significant aspect of Dr. Taha Abderrahmane's writings that has not been sufficiently addressed by scholars, which is the rhetorical aspect in both its written composition and descriptive dimensions, which opens new avenues for studying the philosophical discourse of Taha Abderrahmane.

**Keywords:** Rhetoric, Philosophy, Discourse, written composition, Description

## مقدمة

نتبعي من خلال هذا المقال الوقوف على مظاهر وتجليات التقاطع بين البلاغة والفلسفة في بعض أعمال الدكتور طه عبد الرحمان؛ إذ نرى أن جهوده تمثل مجالا خصبا لرصد هذا التقاطع الذي يتخذ مظهرين أساسيين؛ أولهما يرتبط بأسلوبه في الكتابة والاستدلال، فالتأمل لمؤلفاته سيلاحظ أنها تتميز بأداء بياني راق وقدرة عالية على الإقناع تعكس كفاءته المنهجية التي "استمدتها من عدة منطقية ولغوية وفلسفية أنفق جزءا ليس باليسير من عمره وجهده الفكري لتحصيلها، فولدت لديه قوة استدلالية وطاقة استشكالية عز أن نجد لها نظيرا في الثقافة العربية، وهو الأمر الذي يعترف به خصومه ويشيدون به قبل مؤيديه" (عبد الرحمان، 2015، صفحة 31).

ويرتبط المظهر الثاني بطبيعة الموضوعات التي عالجه في مؤلفاته خاصة تلك التي انشغل فيها بالخطاب الفلسفي العربي القديم؛ فن المعلوم أن طه عبد الرحمان دعا في هذه المؤلفات إلى توجيه العناية والاهتمام إلى مختلف الآليات التي يستعملها الفلاسفة لإنتاج خطاباتهم وتبليغها لا إلى مضامين هذه الخطابات وحدها، بحيث يرى أن تقدم النظر في الوسائل على النظر في المضامين هو الطريق السليم لتجديد فهمنا للتراث من جهة وبلوغ الإبداع الفلسفي من جهة ثانية، وقد قاده هذا الانشغال بالوسائل المنطقية واللغوية التي أنشئت بها المضامين الفلسفية وبلغت بها إلى الكشف عن جانب حضي باهتمام كبير في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة للخطاب، ويتعلق الأمر بالجانب الحجاجي. وقبل أن نشرع في بيان مظاهر الحضور البلاغي عند الدكتور طه عبد الرحمان، كان لزاما علينا أن نحدد مفهوم البلاغة من أجل تحديد الجوانب التي سنهتم بها في التعامل مع دراساته، وسنعمد في ذلك على التصور الذي اقترحه الدكتور محمد العمري.

## 1. مفهوم البلاغة

معلوم أن البلاغة العربية تداخلت منذ ظهورها مع مجموعة من المباحث والعلوم: علوم اللغة، علوم القرآن والتفسير، الفقه، النقد الأدبي... فتعددت بذلك روافدها وتنوعت أسئلتها وتشعبت اهتماماتها ولهذا اختلف البلاغيون في تحديد مفهومها؛ إذ ظل سؤال ماهية البلاغة مطروحا في كل مرحلة من مراحل تاريخها الطويل ومستمرا إلى اليوم بحيث "ما زلنا مضطرين لمواجهة غياب الوحدة في هذا المجال، كما لو أن الضبابية واللغة الأصليتين اللتين ألصقتا بها قديما ما زالتا تطاردانها" (العمري، 2017، صفحة 65).

والحق أنه منذ أخذ بعض الباحثين على عاتقهم مهمة إعادة قراءة التراث البلاغي العربي قراءة نسقية زال عن مفهوم البلاغة هذا الغموض الذي يكتنفه، وأصبحت الصورة التي تقدمها إلينا كتب البلاغة

واضحة ومتكاملة، ولعل أهم من اضطلع بهذه المهمة الدكتور محمد العمري، الذي عمل في مشروعه البلاغي على قراءة التراث البلاغي قراءة نسقية، تروم إعادة تعريف البلاغة تعريفا عاما يراعي الجهود الحديثة في مد سلطانها لاسترجاع ما ضاع منها في ظروف وهنأ، ويستوعب كل منجزات البلاغة العربية.

يرى الدكتور محمد العمري أن لفظ البلاغة يتسع لمفهومين اثنين: أولهما إنشائي ينصرف إلى النصوص البليغة المتميزة عن الكلام العادي بلغتها وشكلها وهي نوعان: نصوص بليغة ذات نزوع تخيلي كالنص الشعري وأخرى ذات نزوع حجاجي كالخطابة والرسالة، وتفرع عن هذين النوعين مجموعة من الأجناس الأدبية الأخرى كالمقامة والرحلة والقصة والرواية والمسرحية... وهكذا يفتح المفهوم الإنشائي للبلاغة على مختلف أصناف الخطاب بما في ذلك الخطاب الفلسفي؛ فهو صنف يدرج ضمن خانة النصوص الخطابية البليغة التي تعرض قضايا معينة وتدفع المتلقي إلى التسليم بصحتها.

وثانيهما وصفي وينصرف إلى جانبين: الأول، يمثل في العلم الذي يهتم بدراسة الكلام الإنشائي؛ أي تحليل مختلف أنواع الخطابات البليغة مع مراعاة خصوصيات كل نوع، ذلك أن هناك دائما مسافة بين النظرية البلاغية أي البلاغة باعتبارها مجموعة من المبادئ النظرية المتعالية وبين البلاغة بوصفها أداة لتحليل نصوص حية أي مقارنة علمية، والبلاغي هو الذي يستطيع التوفيق بين هذين المستويين فلا يبقى حبيس المنطلقات النظرية فيقع في آفة الإسقاط والتعسف ولا يتجرد منها فينخرط انخراطا كليا في عالم النص، ويصطلح الأستاذ العمري على هذا المستوى "البلاغة التطبيقية"، ويمثل الجانب الثاني في العلم الذي يصف هذه البلاغة التطبيقية ويستخلص منها مبادئ الخطاب الموصوف بهدف بناء نظرية بلاغية، ويمكن أن نصلح على هذا الجانب قياسا على الجانب الأول "البلاغة النظرية" لأنها تتجه إلى وضع قواعد ومبادئ نظرية تفسر الموضوع المدروس تفسيرا علميا. وبناء على هذا سنحاول فيما يلي الوقوف على مظاهر الحضور البلاغي في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان ببيان تجليات البلاغة بمفهومها الإنشائي والوصفي.

## 2. تجليات المفهوم الإنشائي للبلاغة في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان

معلوم أن الخطاب الفلسفي خطاب حجاجي يسعى إلى دفع المتلقي إلى التسليم بصحة الدعوى الفلسفية التي يقدمها بالاعتماد على مجموعة من الآليات الاستدلالية؛ ذلك أن "من شروط الادعاء أنه، لما كان المدعي يعتقد صدق دعواه، ويطلب مخاطبه بالتصديق بدوره فيها، لزم أن تتوافر له الحجة على ما يدعي، وأن يعتقد صحتها وصدق القضايا التي تتركب منها وأن يقصد بها إقناع المعارض على دعواه بالعدول عن اعتراضه" (عبد الرحمان، 2015، صفحة 202)، ويبدو أن طه عبد الرحمان يحرص بشكل

كبير في بناء خطابه الفلسفي على هذا النزوع الاستدلالي، الذي يتخذ مظاهر متعددة لعل أهمها "الكتابة النسقية" التي يحرص فيها على إقامة الشرائط العلمية والمقتضيات المنهجية، مستفيدا من المناهج العلمية في أصولها المنطقية وآلياتها الإجرائية ومراعيًا أصول التبليغ العربي السليم، وقد نبه الأستاذ طه عبد الرحمان في مناسبات عديدة إلى أهمية هذه الخصائص في الكتابة الفلسفية، بحيث يقول، على سبيل التمثيل لا الحصر، في مقدمة كتابه "تغور المرابطة، مقارنة أثمانية لصراعات الأمة الحالية": "أحرص على أن أستوفي شرطين مفقودين بصورة ملحوظة في الكتابة الفلسفية العربية، أحدهما؛ استثمار الطاقة البيانية للسان العربي، لا في تبليغ الأفكار فحسب، بل أيضا في تشكيل هذه الأفكار، إن إنشاء أو بلورة أو تطويرا... والشرط الثاني، التوسل بأدوات المنطق في تحليل الأفكار وترتيبها لوجود يقيني بأن الكتابة الفلسفية، متى خلت من هذه المنهجية صارت إلى الاضمحلال في الكتابة التاريخية أو السياسية أو الفكرانية على طريقة أربابها" (عبد الرحمان، 2019، صفحة 15).

وتتميز الكتابة الفلسفية عند طه عبد الرحمان بالبناء المنهجي، بحيث إذا عدنا إلى مقالاته ومؤلفاته سنجد أنه يسلك منهاجا واحدا رغم تعدد موضوعاتها وتنوع القضايا المدروسة فيها؛ فهو يبدأ بتحديد القضية التي يريد دراستها ثم ينتقي الآليات المناسبة لدراستها والتصميم المناسب لذلك، لينتقل بعد ذلك إلى تشرح القضية وتقويمها كمرحلة ثالثة، معتمدا في ذلك على الإكثار هذا إن لم نقل الإفراط في التأصيل والتفريع أو في التبويب والتقسيم أو في التعليل والتنظير، وقد كانت هذه الطريقة رائجة قبل العصر الحديث سواء في الثقافة الغربية أو العربية، ولهذا لا تنفع أبدا قراءة عمل ينحو هذا المنحى المنطقي الشكلاني بالتصفح أو بالقفز على فصوله ومباحثه وإنما "ينبغي قراءته من أوله إلى آخره والتدرج فيه خطوة خطوة، حتى تهتدي إلى طريقة توالد بعضه من بعض وتقف على الأدلة التي يبرهن بها على قضاياها انطلاقا من مقدماته" (عبد الرحمان، 2008، صفحة 48).

وقد انتبه مجموعة من الباحثين إلى هذه الميزة التي ينفرد بها الإنشاء الفلسفي عند الأستاذ طه عبد الرحمان، بل إن منهم وإن كان يخالفه الرأي وينتقد أعماله يشيد بهذا الجهد المنهجي الذي تتميز به أعماله، نذكر منهم المفكر والفيلسوف اللبناني علي حرب، الذي أعرب عن إعجابه الشديد بطريقة طه عبد الرحمان في الكتابة في معرض مناقشة مشروعه العلمي في فقه الفلسفة، وذلك في كتاب له بعنوان "الماهية والعلاقة: نحو منطق تحويلي"؛ فهو وإن كان يختلف معه في تصوره لفقه الفلسفة خاصة الجانب المتعلق بالترجمة يقر بإفادته من البناء المنهجي المميز لمؤلفاته، المتمثل في الكيفية التي يبني بها خطابه والقواعد الإجرائية التي يعتمدها في دراسة القضايا والمسائل الفلسفية والمفاهيم الجديدة التي يقترحها... يقول علي حرب: "ولا أخفي إعجابي بالقدرة الفائقة التي يمتلكها على ترتيب الكلام، نخطابه يؤلف عمارة معرفية هي

غاية في التناسق والنظام" (حرب، 1998، صفحة 163)، ذلك أن الطريقة التي يقدم بها الأستاذ طه عبد الرحمان القضايا والأفكار في مؤلفاته تتم عن إمام تام بالموضوع وما يدور عليه من قضايا، كما تكشف عن تخطيط مسبق وتصميم محكم، لذلك فهي لا تدع المجال للالتباس والإشكال أو التعليق والانتظار؛ فالأقوال في نظر طه عبد الرحمان إما أن تصدق وإما أن تكذب والكلام عنده يساق إما للعرض والبيان وإما للرد والاحتجاج معتمدا في ذلك على منهجية في القياس هي غاية في التنظيم والتنسيق والإحكام، وقد بلغ إعجاب الباحث علي حرب بقدرته طه عبد الرحمان على إنتاج خطاب فلسفي ينضبط لمقتضيات البناء المنهجي وقواعد الاستدلال العلمي درجة "الحسد" حسب تعبيره؛ إذ يقول في سياق اعتراضه على مشروع فقه الفلسفة الذي وضع أسسه طه عبد الرحمان وجعله دليلا لطلاب الفلسفة والمشتغلين بها على معالم الطريق الموصل للإبداع الفلسفي: "السؤال الذي يفرض نفسه: لماذا لم ينجح فقيه الفلسفة في فتح أبواب الاجتهاد والإبداع؟ ... مع أنه عقد العزم على ذلك وكرس له كتاب استغرق أكثر من خمسمائة صفحة. لماذا هذا الامتناع؟ مع أن عبد الرحمان يتمتع بما أحسده عليه من القدرة على البرهنة والاحتجاج، ويستخدم عدة منطقية بكل أجهزتها وآلياتها فضلا عن كونه يحشد ترسانة معرفية لا نظير لها عند سواه" (حرب، 1998، صفحة 158).

وعلى هذا الأساس يظهر أن المفهوم الإنشائي للبلاغة عند طه عبد الرحمان يتجلى في إنشائه خطابا يتميز بخاصيتين أساسيتين؛ أولاهما هي أنه خطاب فلسفي بليغ يعتمد على أصول التبليغ العربي السليم ويسلك مسالكه في التعبير، مستثمرا الإمكانيات الاشتقاقية والدلالية للسان العربي ومستوفيا للمقتضيات البيانية التي يختص بها. والخاصية الثانية أنه خطاب استدلالي بامتياز قوامه البناء المنهجي والدقة في تحديد الموضوع المراد معالجته ووضع التصميم المحكم له، وإظهار سؤاله الخاص بعد تحصيل عناصره تمام التحصيل، وهو ما يمكنه من دفع قارئ أعماله إلى التسليم بصحة دعاواه الفلسفية من جهة وإبطال ادعاءات الخصوم وبيان هشاشة استدلالهم من جهة ثانية، وفي هذا السياق يقول الأستاذ طه عبد الرحمان: "أقبلنا على تحصيل المناهج العلمية في أصولها المنطقية وآلياتها الإجرائية حتى تكونت لدينا القدرة على انتهاج طرق في البناء والترتيب تستوفي الشروط النظرية المطلوبة، وصار عندنا النهوض بإبطال أدلة خصوم العقيدة أمرا يسيرا هينا" (عبد الرحمان، 1987، صفحة 11).

### 3. تجليات المفهوم الوصفي للبلاغة في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان

ينصرف المفهوم الوصفي للبلاغة، كما سبقت الإشارة، إلى جانين اثنين؛ أولهما يهتم بدراسة الكلام البليغ تخييليا كان أم حجاجيا ويصطلح عليه الأستاذ العمري "البلاغة التطبيقية" ويقصد بها العلم الذي يتناول بالدراسة والتحليل الخطابات الاحتمالية المؤثرة تخييلية كانت أم تداولية، وثانيهما يهتم بوصف

البلاغة التطبيقية بهدف بناء نظريات بلاغية، ونرى أن الجانبين معا يحضران بشكل متفاوت في أعمال الدكتور طه عبد الرحمان، بحيث اهتم في بعض مؤلفاته بتحليل بعض المتون الفلسفية التراثية تحليلا بلاغيا، كما اهتم أيضا بمعالجة بعض الموضوعات البلاغية من قبيل: العلاقات المحجاجة في الخطاب، التداويات، التمثيل، الاستعارة...

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحضور البلاغي في جانبه الوصفي جاء في سياق مخصوص يرتبط بنظرة الأستاذ طه عبد الرحمان للتراث الفلسفي العربي، ومعنى هذا أن البلاغة كانت إلى جانب مجموعة من المباحث والعلوم الأخرى وسيلة لقراءة التراث الفلسفي، وهو ما يفهم من قول للأستاذ طه عبد الرحمان أورده في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: "ولما كان هذا العمل تتداخل فيه معارف ووسائل مختلفة: منطقية ولسانية ورياضية وبلاغية وأصولية وفلسفية، فإن قراءه ينبغي أن لا يحدهم اختصاص معلوم ولا أن يقيدهم اعتبار مخصوص دون طلب ضالتهم فيه والوقوف على ما تفرد به" (عبد الرحمان، 2016).

ولبيان موقع البلاغة في المشروع الفلسفي للدكتور طه عبد الرحمان نعرض بإيجاز الأركان الأساسية التي يقوم عليها هذا المشروع.

معلوم أن مؤلفات طه عبد الرحمان ومقالاته ومحاضراته محكومة برؤية واحدة وبمنهج منسجم؛ فهي تقوم على أنموذج نظر واحد واستشكال فلسفي أساسي يتجلى في البحث عن السبل والشرائط المنطقية والمقتضيات المنهجية لتحقيق الإبداع في النظر والحفاظ على الاستقلال التداولي، بحيث يرى الأستاذ طه عبد الرحمان "أن الأصل في فقه منهجية الإبداع المحررة لفكرنا هو تحصيل القدرة على الإحاطة بمقتضيات أنواع ثلاثة من المنهجيات: المنهجية التكاملية المميزة للتراث الإسلامي، والمنهجية التداولية المستخدمة في الصنعة الفلسفية، والمنهجية المحجاجة المتضمنة في الصنعة المنطقية" (عبد الرحمان، 2015، صفحة 16)<sup>1</sup>.

وبهذا يتضح أن البلاغة تحضر بمبحثين أساسيين؛ أولهما "التداولية" حيث هناك اهتمام بالخصوصيات التداولية للتراث الفلسفي العربي من جهة وبجهود الفلاسفة العرب في وصل المعارف المنقولة بهذه الخصوصيات التداولية من جهة أخرى، ويمثل المبحث الثاني في "الحجاج"، ويظهر بجلاء في

<sup>1</sup> . يحدد طه عبد الرحمان مجال كل منهجية على حدة، بحيث يرى أن المنهجية التكاملية "تقتضي بأن تقوم التراث الإسلامي العربي لا يصح إلا بفقه المنهاج التكاملية الخاص بهذا التراث"، أما المنهجية التداولية فهي "تقتضي بأن تقوم العمل الفلسفي لا يتوصل إليه إلا بفقه آليات التداول الخاصة بالفيلسوف"، بينما تقتضي المنهجية المحجاجة بأن تقوم المنطقي للتراث الإسلامي والخطاب الفلسفي لا يصح إلا بقانون المنطق الحجاجي"، ولزيد من التفاصيل حول خصائص ومقومات كل منهجية انظر طه عبد الرحمان، سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، ص: 16 - 17 - 18

الاهتمام بالآليات الاستدلالية التي أنشئت ونقلت بها مضامين الخطاب الفلسفي، ولما كان الوقوف على مظاهر الحضور البلاغي في جميع مؤلفات طه عبد الرحمان وبمستوياته المختلفة متعذرا في هذا المقام؛ فقد يطول الكلام في ذلك إلى ما لا يمكن أن يحيط به هذا المبحث ويحتاج إلى بحث مستقل، لأن البلاغة تعد من العلوم المركزية في دراساته، بل إن بعض هذه الدراسات يمكن عدها أعمالا بلاغية بامتياز كما هو الحال بالنسبة لكاتبه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، فهو كتاب في البلاغة يمثل التيار الحجاجي / المنطقي في الثقافة العربية. فإننا سنكتفي بتجليات الجانب الأول من المفهوم الوصفي بالتركيز على عمليتين اثنتين: الأولى بعنوان "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" والثاني بعنوان "تجديد المنهج في تقويم التراث".

فإذا عدنا إلى كتاب "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" سنجد أن الدكتور طه عبد الرحمان مارس التحليل البلاغي في الباب الثالث من الكتاب، وذلك ببيان خصائص ومقومات الخطاب الفلسفي العربي القديم مركزا على ثلاثة شواهد من التراث المنطقي اللغوي الإسلامي: شاهد رشدي، شاهد غزالي، وشاهد خلدوني، بحيث اهتم في الأول بتحليل لغة ابن رشد التي اعتمدها في معالجة كتاب المقولات لأرسطو مستخرجا السمات المميزة لمنهجتي الشرح والتلخيص اللتين اتبعهما، بينما اهتم في الشاهد الثاني ببحث الأسس المنطقية لمسألة السببية عند الغزالي، في حين اتجهت عنايته في الشاهد الثالث إلى البحث في أساليب الاستدلال التي اعتمدها ابن خلدون في مقدمته، وبين كيف أنه "أضف إلى الطريق البرهاني الطريق الحجاجي، مستثمرا في ذلك بعض الإمكانيات الاستدلالية الطبيعية الخاصة باللغة العربية" (عبد الرحمان، 2016، صفحة 20)، وسنركز هنا على الشاهد الثالث لأننا نرى أن عمل طه عبد الرحمان في هذا المستوى يندرج ضمن بلاغة الحجاج / الخطابية أي "العلم الذي يدرس الخطاب الهادف إلى الإقناع" (بنوهاشم، 2014، صفحة 149)، بحيث يرى أن ابن خلدون مطالب في مقدمته بالبرهنة على ما يورده من قضايا تاريخية وهو ما يجعل من نصوصه مجالا خصبا للتحليل الحجاجي.

وبناء على هذا يطرح الأستاذ طه عبد الرحمان الأسئلة التالية: "كيف تم البرهنة في النصوص الخلدونية؟ هل استمد ابن خلدون طريقته فيها من البرهان المنطقي المعهود؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإلى أي حد التزم بتطبيق قواعده؟ أم أنه اتخذ في هذه البرهنة سبلا حجاجة خاصة تجنح إلى الابتعاد عن الاستدلال البرهاني" (عبد الرحمان، 2016، صفحة 387).

تكشف هذه الأسئلة أن مقارنة طه عبد الرحمان للنص الخلدوني هي مقارنة بلاغية بالأساس تروم تحديد آليات الاستدلال التي اعتمدها ابن خلدون في حمل المتلقي على التسليم بصحة قضاياه التاريخية. وعليه يذهب إلى أنه سلك طريقين اثنين؛ أولهما برهاني ويتجلى في مجموعة من الخصائص المميزة للعلاقات اللغوية القائمة بين جمل هذا المتن، وتمثل في أربع خصائص (عبد الرحمان، 2016، الصفحات 388 -

(390): الترتيب المركب، الاستيفاء في المقدمات، اليقين في المبادئ، التوسل بالحد الأوسط، وثانيتها حجاجي وينطلق في بيان مظاهره من مفهومين: الأول هو مفهوم الحجاج باعتباره الأدوات الاستدلالية الطبيعية التي تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرة ما أو بموقف معين اعتماداً على المسلمات، والثاني مفهوم الحجاج التداولي ويقصد به "جملة الآليات الاستدلالية التي تعتمد الإمكانيات الاستدلالية الخاصة باللسان الذي يتداوله المستدل (وهو هاهنا اللسان العربي)" (عبد الرحمان، 2016، صفحة 393)، وعليه ينصرف الطريق الحجاجي إلى مسلكين: مسلك الاستدلال الحجاجي الطبيعي ويتجلى في خاصية الاستدلال المركب؛ حيث يتركز البناء اللغوي على توالي الجمل الشرطية حتى ينتهي إلى النتيجة المطلوبة، كما يظهر هذا النوع من الاستدلال في لجوء ابن خلدون إلى مجموعة من الأساليب من قبيل: الاستشهاد بالآيات القرآنية ومتون الأحاديث، وأمثلة الوقائع التاريخية، وبعض الأساليب الحجاجية المعتمدة عند علماء الكلام كأسلوب السبر والتقسيم. ويمثل المسلك الثاني في المسلك الحجاجي التداولي، ويتجلى في اتباع عادات العرب في التعبير وأساليبهم في التبليغ باعتماد مصطلحات مألوفة في المجال التداولي العربي. وبهذا يظهر أن دراسة الأستاذ طه عبد الرحمان للنص الخلدوني هي دراسة بلاغية، كشفت عن مختلف العلاقات اللغوية والآليات البلاغية / الحجاجية التي اعتمدها ابن خلدون لأجل الإقناع، مستثمرة في ذلك معطيات لغوية وأخرى منطقية.

وعليه يمكن القول إن هذه الدراسة تشكل مدخلا مهما لقراءة التراث المنطقي اللغوي قراءة حجاجية، بحيث يمكن الاعتماد على هذه المعطيات في التعامل مع متون فلسفية أخرى، إذ بالرغم من الإيجاز الذي اتسمت به هذه الدراسة فقد حددت مجموعة من السمات التي يمكن استثمارها في مقارنة الخطاب الفلسفي مقارنة بلاغية.

كما نجد حضوراً واسعاً لهذا التحليل البلاغي في كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث"، حيث اهتم طه عبد الرحمان في الفصل الثالث من الباب الثاني ببيان آليات الاستدلال التي اعتمدها ابن رشد في إثبات دعاواه ودحض دعاوى خصومه من المتكلمين خاصة الأشاعرة، غير أنه لا بد من التنبيه هنا إلى أن هذا التحليل البلاغي للتمن الرشدي لم يكن غاية في ذاته، وإنما جاء في سياق مخصوص يتجلى في الاشتغال بمبدأ من مبادئ التكامل التراثي؛ ويتعلق الأمر بمبدأ تداخل المعارف التراثية فيما بينها، إذ يرى الأستاذ طه عبد الرحمان أن "المعارف التي تضمنها التراث على اختلاف مجالاتها وأبوابها تشترك في الآليات التي أنشئت ونقلت بها مضامينها، فيكون الاشتغال بهذه الآليات التي أنتجت وبلغت هذه المضامين المعرفية، مؤدياً بالضرورة إلى العناية بكلية التراث الإسلامي العربي" (عبد الرحمان، 2015،

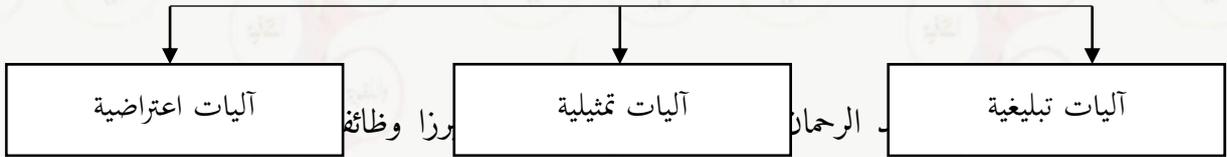
صفحة 64)، ويقوم "أصل التداخل" على ثلاثة أركان أساسية: ركن التداخل الداخلي، ركن التداخل الخارجي القريب، ركن التداخل الخارجي البعيد<sup>2</sup>. ويأتي التحليل البلاغي للخطاب الفلسفي عند أبي الوليد في سياق دراسته للتداخل الخارجي البعيد، المتمثل في دخول علم الكلام في الإلهيات عن طريق "نفوذ آليات الاستشكال والاستدلال الكلامية في العلم الإلهي، ومن آليات الاستشكال الكلامية طرق المتكلمين في وضع المفاهيم والتعاريف، ومن آليات الاستدلال الكلامية طرقهم في التبليغ والتمثيل والاعتراض" (عبد الرحمان، 2015، صفحة 27)، وهكذا يتداخل العلمان في مستويين أولهما مرتبط بآليات الاستشكال وثانيهما مرتبط بآليات الاستدلال، والذي يهنا هنا هو المستوى الثاني، حيث الاهتمام باستخراج وتخصيص مختلف آليات الاستدلال التي استخدمها ابن رشد في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" و"مناهج الأدلة في عقائد الملة"، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المتن يزخر بمظاهر استدلالية متنوعة، ويرجع ذلك إلى الغاية من تأليف الكتابين؛ فمن المعلوم أن الغرض من تأليف كتاب "الفصل" هو إثبات شرعية النظر وإعمال المنطق والقياس، في حين كان الغرض من تأليف كتاب "الكشف" هو الكشف عن مناهج الأدلة التي اعتمدها علماء العقيدة في إثبات عقائدهم من جهة، والكشف عن الطرق المزيفة التي تزيغ بسالكها عن المقصد الأساس من الشرع وهي طرق المتكلمين من جهة ثانية، والتعريف بالطريق التي سلكها الشرع في تعريف الجمهور بوجود الصانع لا باعتبارها من الطرق الأشعرية المتشعبة غير البرهانية وإنما باعتبارها من الطرق البسيطة المعترف بها عند الجميع من جهة ثالثة، وهذا يعني أن الباعث على تأليف الكتابين معا ذو طبيعة خطابية بالأساس تتجلى في إثبات دعاوى وإبطال أخرى، بالاعتماد على مجموعة من الأدوات الاستدلالية بعضها ينزع إلى البرهان وبعضها الآخر إلى الحجج، وهو ما يجعل الخطاب الفلسفي عند أبي الوليد من أنسب المجالات الخطابية للتحليل البلاغي في بعده الحجاجي. وعلى هذا الأساس يذهب الأستاذ طه عبد الرحمان إلى أن ابن رشد يسلك في إثبات دعاواه الفلسفية اتجاهين، أولهما تبليغي (خطابي) يراعي المجال التداولي للمتلقي العربي، ويوظف أدلة يشترك في فهمها الجمهور والفلاسفة، وثانيهما صناعي (برهاني) لا يأخذ بعين الاعتبار المناسبة التداولية ويستوفي

2 . تقوم النظرية التكاملية لقراءة التراث عند طه عبد الرحمان على ثلاثة أصول: أصل التداول، أصل التداخل، أصل التقريب، ويقوم أصل التداخل على ثلاثة أركان؛ أولها ركن التداخل الداخلي و"مقتضاه أن العلوم المأصولة قد تتداخل فيما بينها تداخلا يجعل العلوم العملية منها تأخذ بزمام هذا التداخل"، وثانيهما ركن التداخل الخارجي القريب و"مقتضاه أن العلوم المنقولة تدخل في العلوم المأصولة، طلبا للتأسيس" ومثال ذلك دخول الفلسفة اليونانية في علم الكلام ويتمثل الركن الثالث في التداخل الخارجي البعيد و"مقتضاه أن العلوم المأصولة قد تدخل في العلوم المنقولة، طلبا للتكميل" ومثال ذلك دخول علم الكلام في الإلهيات. انظر مقال "أصول النظرية التكاملية في الاشتغال بالتراث" ضمن سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، ص: 59 - 67

الشروط البرهانية والمعايير العلمية، وهكذا جاء خطابه موسوما بالتداخل بين الاتجاهين، بحيث يحضر التبليغ في مقام البرهان ويحضر البرهان في سياق الانشغال بالمناسبة التداولية ومقتضى التبليغ العامي، ولهذا فإن دراسة المتن الرشدي من زاوية الآليات الاستدلالية المعتمدة في بنائه، ينبغي أن تضع في الحسبان "حقيقة هذا الامتزاج بين التصنيع والتبليغ" (عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، 2016، صفحة 163).

من هذا المنطلق يرى طه عبد الرحمان أن ابن رشد اعتمد في بناء خطابه الثيولوجي ثلاثة أنواع من الآليات الاستدلالية، نوردتها على النحو الآتي

آليات الاستدلال عند ابن رشد



مدى التزام ابن رشد بخصائص ومقومات هذا الطريق الاستدلالي الذي يخالف طريق المتكلمين؛ من حيث التزامه بضوابط التبليغ المتبعة عند العامة من جهة، وبشروط الاستدلال المقررة في البرهان من جهة أخرى.

وتكشف دراسته للصف الأول عن مجموعة من العناصر المميزة للخطاب الفلسفي عند ابن رشد لعل أهمها وضوح المقدمات وبساطة مضامينها وقرب نتائجها، ما يجعلها في متناول بادئ الرأي، بينما كشفت دراسته للصف الثاني المتعلق بالتمثيل عن ثلاث زوايا نظر؛ أولاها نقد ابن رشد استعمال المتكلمين لآلية القياس التمثيلي، والثانية استعماله مختلف أشكال هذه الآلية في خطابه (قياس المساوي، قياس الأولى، قياس الأدنى)، والثالثة هي إشادته باستعمال الشريعة لهذه الآلية.

وقد اتجهت عنايته في الصف الثالث إلى دراسة مختلف أساليب الاعتراض التي اعتمدها ابن رشد في الرد على خصومه (النقض، المعارضة، التسليم الجدلي، التفريق، تقدير اعتراضات الخصم...) من السفسطائيين والحكماء والمتكلمين خاصة الأشاعرة وبالأخص الإمام الغزالي، ويركز طه عبد الرحمان على اعتراضاته على بعض أدلة المتكلمين لاستيفائها قواعد التناظر وآداب الاعتراض، وإن كان يرى أن "ابن رشد سلك في بعض اعتراضاته، لا مسلك التقيد بالآداب الجدلي، وإنما مسلك التشنيع الذي لا يتلاءم مع هذه الآداب، فقد استعمل في حق فلاسفة الإسلام والمتكلمين ألفاظا غير مسنونة ولا مقبولة وأوصافا لا تليق بمقام هؤلاء" (عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، 2016، صفحة 196).

ويبدو أن دراسته لهذه الأصناف الثلاثة لم تقف عند حدود بيان مظاهرها ودورها في بناء الأقاويل الفلسفية، وإنما تجاوزتها إلى التمهيد والتقويم وهو المنهج نفسه الذي سلكه في دراسته لمقدمة ابن خلدون، بل ويسلكه في الرد على الخصوم؛ بحيث يبدأ بعرض الموضوع المدروس ويثني بقواعده وضوابطه، لينتقل إلى تخيص هذه الضوابط والشروط وتقويمها والوقوف على مدى التزام المدعي بها، وعادة ما تكشف عملية التقويم هذه عن مجموعة من النتائج المخالفة لما قر في أذهان الدارسين من أحكام، ومثال ذلك دراسته لابن رشد فقد كشفت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الفيلسوف كغيره من الفلاسفة المسلمين ينزع إلى آليات الاستدلال الخطابي وعلى رأسها قياس التمثيل، ومن ثم فهو لا يمثل نموذج المفكر البرهاني كما شاع بين الباحثين.

### خلاصة

حاولنا في هذا الموضوع الكشف عن بعض مظاهر الحضور البلاغي في الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمان في ضوء التصور الذي يقترحه محمد العمري للبلاغة، وانتهينا إلى أن هذا الحضور يتخذ مظهرين أساسيين؛ أولهما يتجلى في إنشاء خطاب فلسفي بليغ، ينضبط لخصائص ومقومات الأسلوب العربي في التعبير والتبليغ، وينشد التأثير في قارئه، وثانيهما وصفي يظهر في تحليل مجموعة من النصوص التراثية والكشف عن الآليات اللغوية التي اعتمدها أصحابها في تبليغ أفكارهم ومواقفهم إلى القارئ وإقناعه بها، وقد أكد طه عبد الرحمان، في مناسبات عديدة، أهمية هذا المدخل في دراسة التراث الفلسفي العربي، بحيث يرى أنه ينبغي المزاوجة بين النظر في المضامين وفي الآليات اللغوية والحجاجية التي يعتمدها الفيلسوف في بناء هذه المضامين. ونرى أنه يجب ألا تقتصر هذه الدعوى على النصوص التراثية فحسب، بل ينبغي أن تعمم على سائر النصوص الفكرية والفلسفية المعاصرة ومن بينها نصوص طه عبد الرحمان.

### المراجع

- الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ورد ضمن البلاغة وتحليل الخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2014.
- طه عبد الرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1987؛
- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 2016؛

- طه عبد الرحمان، ثغور المرابطة مقارنة أثمانية لصراعات الأمة الحالية، مركز مغارب، الرباط، الطبعة الثانية، 2019؛
- طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، الكتاب رقم 13، الطبعة الثانية، 2008؛
- طه عبد الرحمان، سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، الطبعة الأولى، 2015؛
- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، 2016؛
- علي حرب، الماهية والعلاقة: نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998؛
- محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2017؛

## منجزات الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية وإشعاعها في أوروبا

### Pharmacy in the Arab-Islamic civilization and its impact on Europe

النّاصر الهمامي/دكتوراه في اللغة والأدب والحضارة العربيّة/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

Naceur Hammami/PhD in Arabic Language, Literature and Civilization/Faculty of Humanities and Social Sciences of Tunis

البريد الإلكتروني: [naceurhammami56@yahoo.ca](mailto:naceurhammami56@yahoo.ca)

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى فهم الإرث العلمي والثقافي للحضارة العربية الإسلامية، وتثمين الإسهامات القيمة التي قدمتها في مجال الصيدلة، مما يسهم في توسيع آفاق البحث العلمي ويساعد على تجلية الجهود الهامة التي أدت إلى تطور هذا الفن الطبي المهم. فقد تطورت الصيدلة بشكل كبير في الحضارة العربية الإسلامية خلال العصور الوسطى، حتى تحوّلت هذه الفترة التاريخية إلى محطة مفصليّة مهمة في تاريخ الصيدلة العالمي، إذ ساهم العلماء المسلمون في ترجمة الكتب اليونانية والهندية والفارسية إلى العربية، وتطوير العديد من التقنيات والصيدلانية، واكتشاف مرّبات كيميائية جديدة، واختراع أدوية فعّالة وناجعة. كما سنسعى من خلال هذه الدراسة إلى استكشاف مظاهر الإشعاع الحضاري للصيدلة العربية في أوروبا، وإلى إبراز قدرتها على تمهيد السبيل لتأسيس علم الصيدلة الحديث.

الكلمات المفتاحية: الصيدلة - الحضارة العربية الإسلامية - أوروبا

#### Abstract:

This study seeks to understand the scientific and cultural heritage of the Arab-Islamic civilization and to appreciate the valuable contributions it has made in the field of pharmacy, which contributes to expanding the horizons of scientific research and identifying the important efforts that led to the development of this important medical art. Pharmacy developed significantly in the Arab-Islamic civilization during the Middle Ages, making this historical period an important station in the history of pharmacy, as it contributed to the translation of Greek, Indian and Persian books into Arabic, the development of many pharmaceutical techniques, the discovery of new chemical compounds and the invention of effective medicines. We will also seek to explore the cultural influence of Arab pharmacy in Europe, paving the way for the establishment of modern pharmacology.

**Keywords:** Pharmacy - Arab-Islamic Civilization – Europe

## مقدمة:

تميزت الحضارة العربية الإسلامية بإسهاماتها الفعّالة في مجالات عدّة من العلوم والفنون، وكانت الصيدلة أحد تلك المجالات التي ازدهرت فيها، بفضل الجهود المبذولة والمعرفة الواسعة التي امتلكها العلماء والباحثون في تلك الحقبة. فقد كان لعلم الصيدلة دور بارز في الحضارة العربية الإسلامية، إذ أسهم العلماء العرب والمسلمون في تطوير هذا المجال بشكل كبير خلال العصور الوسطى. وقدّموا العديد من الابتكارات والتقنيات والاكتشافات في مجال صناعة الأدوية والعلاجات الطبية، وأسسوا للعديد من المفاهيم التي ما تزال مستخدمة حتى اليوم في مجال الصيدلة. وسنركّز في هذا البحث على استكشاف مظاهر تطور الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية، حيث سيتم تسليط الضوء على الإسهامات البارزة والابتكارات الفدّة التي قام بها علماء الصيدلة والأطباء في تلك الفترة. وسيتم استعراض والأدوية والمواد الطبية التي تم اكتشافها واستخدامها، إضافة إلى الأساليب والتقنيات التي تم تطويرها لتصنيع وتحضير الأدوية. كما سنسعى إلى إبراز الأثر الحضاري الخطير للصيدلة العربية الإسلامية في أوروبا، بصفة خاصّة، وفي مجرى تطوّر الفكر الصيدلي الإنساني بصفة عامّة.

## صلب الموضوع:

## 1- تعريف الصيدلة:

يعرّف طاش زادة كبرى علم الصيدلة بقوله: "إنّه علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل، ومعرفة منابتها بأنها صينيّة أو هندية أو رومية، ومعرفة زمانها بأنها صيفيّة أو خريفية ومعرفة جيدها من رديتها ومعرفة خواصّها، إلى غير ذلك، وغرضه وفائدته ظاهر لمن تأمّل، والفرق بين الصيدلة وعلم النبات أنّ الأوّل باحث عن تمييز أحوالها أصالة، والثاني باحث عن خواصّها أصالة. والأوّل بالعمل أشبه والثاني بالعلم أشبه، وكلّ منهما مشترك في الآخر." (زادة كبرى، 1985، ص 324) أمّا البيروني فيذكر أنّ علم الصيدلة هو: "معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدوّنة، بحسب ما يريد المرید المؤتمن الصّالح." (البيروني، 687هـ، ص 146). ويعرف هذا العلم في المؤلّفات الطّبيّة العربيّة باسم: الأقرباذين أو علم الأدوية (Pharmacology) وهو علم هامّ جدّاً، برع فيه الأطباء العرب، ولهم بحوث قيّمة واكتشافات رائدة في خصائص الأدوية وفوائدها وأضرارها وطرق استعمالها وأوقات تناولها وعمرها وأبدالها. (شخادة، ص 56) كما يعرف البيروني الصيدلاني بأنّه: "المحترف جمع الأدوية على أحمد صورها، واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركّبة على أفضل التراكيب التي خلّدها له مبرّزا أهل الطبّ." (البيروني، ص 163) ويعتبر أنّ لفظة الصيداني أو الصيدلاني معرّبة عن كلمة جنداني، وجندن أو جندل باللغة الهندية هو الصّندل، وهو نوع

من أنواع العطور يستعمله أهل الهند ويتداوون به بكثرة. ويعتبر أن كلمة الصيدلاني أصح من كلمة الصيدلاني باعتبار أن الأول مزاوول الأدوية والثاني مزاوول للعطور. (البيروني، ص 163) ويعتبر البيروني الصيدلة علما مستقلا. ويصفها وصفا عميقا بأنها آلة الطب، وقد آيده في ذلك العالم أبو المنى داود المعروف بالعطار، الذي عاش بمصر في القرن الحادي عشر ميلادياً بقوله: " كانت هذه الصناعة (الصيدلة) أشرف الصنائع بعد صناعة الطب ، إذ كانت آلة لصناعة الطب التي موضوعها النظر في بدن الإنسان، من حيث حفظ صحته، إذا كانت موجودة، أو ردّها إن كانت مفقودة، وذلك إنّما يكون بالأدوية المفردة والمركبة والأغذية المألوفة." (العطار، 1351هـ، المقدمة ) ومن مرادفات الصيدلة كذلك كلمة "أقرباذين" التي يعرفها حاجي خليفة بقوله: " هو لفظ يوناني معناه التركيب، أي تركيب الأدوية المفردة وقوانينها." (خليفة، ص 136) ثم استعملت هذه الكلمة فيما بعد للدلالة على معنى دستور الأدوية، وبالتالي يمكن تعريف الصيدلة تعريفاً مجملاً بأنها: " فنّ علميّ ، يبحث في أصول الأدوية، سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم معدنية، من حيث تركيبها وتحضيرها ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية وتأثيرها الطبي، وكيفية استحضار الأدوية المركبة منها." (جبرة، 2020، ص 8)

2- التطور التاريخي لعلم الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية:

كانت معرفة العرب بالصيدلة في الجاهلية محدودة ومقتصرة على بعض المعارف والمهارات المتوارثة حول التداوي بالأعشاب والحشائش، فقد قال ابن خلدون في مقدمته: "وللبادية من أهل العمران طبٌ يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارثٌ عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصحّ منه البعض إلا أنه ليس على قانونٍ طبيعي، ولا على موافقة المزاج، وكان عند الجاهلية كثير من هؤلاء العلماء كالحارث ابن كلدة، وخزيم من بني تميم." (ابن خلدون، 2004، ص 529) وعندما ظهر الإسلام أولى اهتماما كبيرا للصحة وحثّ على التداوي، فقد أشار القرآن إلى بعض العلاجات، ونورد في هذا الإطار قوله تعالى: " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون." (سورة النحل، آية 68، 69) فساهم بذلك في تحفيز العقول، بحثا عن أسباب المرض وسعيا إلى اكتشاف سبل العلاج. وقد وردت العديد من الأحاديث النبوية مؤكدة على ضرورة العلاج، والبحث عن الأدوية المناسبة لكلّ مرض. فعندما سأل الأعراب الرسول صلى الله عليه وسلم: أتداوى؟ فقال: "تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم." (الألباني، 1988، حديث رقم: 2930، ص 565) ولم يقف المسلمون عند حدود الطب النبوي، وما ورد فيه من وسائل علاجية ووقائية، بل أدركوا منذ وقت باكر أن علم الطب

والصيدلة يحتاج إلى دوام البحث والنظر والوقوف على ما عند الأمم الأخرى منه. ودفعهم إلى ذلك دعوة الإسلام إلى الاستزادة من كل ما هو نافع ومفيد، والبحث عن الحكمة أنى وجدت. وقد اشتهرت طائفة من علماء المسلمين بترجمة الكتب المتخصصة بعلم الطب، ومصادر الأدوية النباتية وخصائصها وطرق تركيبها، ومما تمت ترجمته كتب أرسطو (Aristote) وتلميذه ثيوفراستس (Theophrastus) المعروف بأبي علم النبات.

استفاد المسلمون من التراث الصيدلي اليوناني وخاصة كتاب: المادة الطبية في الحشائش والأدوية المفردة، الذي وضعه العالم اليوناني ديسقوريدس، وترجموه عدة مرات، ثم قاموا بتطوير هذا العلم والإضافة إليه، وقد ساهم تطور علم الزراعة في ازدهار الصيدلة، إذ زرعت النباتات الطبية بشكل منظم، وفق مقاييس علمية في حدائق خاصة، ورعاها الملوك والأمراء، وخاصة ببلاد الأندلس، وجلبوا لها البذور اللازمة من كل مكان. وقد استثمر علماء الصيدلة ماورد في المصنفات الفلاحية مثل، كتاب الفلاحة النبوية لابن وحشية (ت 318هـ/ 930 م) ومعجم النبات لأبي حنيفة الدينوري (ت 282هـ/ 895 م) وكتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي من وصف لنباتات طبية، وصنعوا منها أدوية ناجعة. (السرجاني، 2009، ص 114)

ترتبط الصيدلة بعدة علوم أخرى، مثل علم الطب، الذي يحتاج إليه من أجل تجربة فعالية الأدوية، وبعلم النبات الذي يعدّ التمكن منه ضرورياً، عند صنع الأدوية المفردة التي تستخرج عادة من النباتات. فقد كان علم الصيدلة يسمى بعلم العشابة، نظراً لارتباطه بالأعشاب. وترتبط الصيدلة كذلك بعلم الكيمياء، عند صناعة الأدوية المركبة التي تتركب من عدة عناصر كيميائية ونباتية في الآن ذاته. ونظراً إلى التكوين الموسوعي لعلماء المسلمين، فقد كان العالم في البداية طبيباً وصيدلياً، ولكن بسبب تعمق البحث في مجال الصيدلة فقد بدأ هذا العلم يستقل تدريجياً عن علمي الطب والكيمياء، ويظهر كعلم جديد له قواعده وأسس. ويعدّ يحيى بن ماسويه الخوزي (ت 242هـ) وهو شيخ حنين بن إسحاق أول من مارس مهنة الصيدلة. وأول من أطلق عليه لقب صيدلي هو أبو قريش عيسى الذي عاش في عهد هارون الرشيد، ورافق إحدى الحملات العسكرية بصفته تلك. وأول مصنف في الصيدلة هو: الأقرباذين الكبير لسابور بن سهل الكويج. (ت 255هـ).

يصف داود الأنطاكي تطور علم الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية قائلاً: "فقد أتقن السلف رحمهم الله تعالى ذلك (أي معرفة المفردات وتأثيراتها الطبية وصناعتها) حتى وجدناه مهذباً مرتباً. فنحن كالمقتسبين من تلك المصايح ذبالة والمعترفين من تلك البحور بلالة. وأول من ألف شمل هذا النمط ووسط للناس فيه ما انبسط ديسقوريدس اليوناني في كتابه الموسوم بالمقالات في

الحشائش، ولكنه لم يذكر إلا الأقل، حتى أنه أغفل ما كثر تداوله، وامتلاً الكون بوجوده، كالكمون والسقمونيا والغاريقون. ثم روفس، فكان ما ذكره قريباً من كلام الأول، ثم قوليس، فاقصر على ما يقع من الأحوال خاصة، على أنه أخلّ بمعظمها كاللؤلؤ والأثمد. ثم أندروماخس الأصغر، فذكر مفردات الترياق الكبير فقط. ثم رأس البغل الملقب بجالينوس، وهو غير الطبيب المشهور. فجمع كثيراً من المفردات، ولكنه لم يذكر إلا المنافع خاصة دون باقي الأحوال، ثم انتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى، فأول من هدب المفردات ونقلها إلى اللسان السرياني: دويدورس البابلي، ولم يزد على ما ذكره شيئاً، حتى أتى الفاضل المعرب والكامل المحرب إسحاق بن حنين النيسابوري، فعرّب اليونانيات والسريانيات، وأضاف إليها مصطلح الأقباط لأنه أخذ العلم عن حكام مصر وأنطاكية. واستخرج مضار الأدوية ومصطلحاتها، ثم تلاه ولده حنين، ففصل الأغذية من الأدوية." (الأنطاكي، 1008هـ، ص 6)

كانت الصيدلة والطب علمين متلازمين دائماً في جميع العصور الأولى. وكان الشخص الواحد يقوم بفحص المرضى، وتشخيص أمراضهم. ثم يقوم بنفسه بتحضير الأدوية الخاصة لعلاجهم. ولكن بفضل تقدّم العلوم والتفنّن في تحضير الأدوية وتنويعها والتشجيع الكبير الذي لقيه العلماء في العصر العباسي، بدأت الصيدلة تستقل تدريجياً عن الطب. فأُسست المدارس لتعليم الصيدلة في بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة والأندلس خاصة بقرطبة وطليطلة. ونتيجة لكثرة البيمارستانات (المستشفيات) في الأقاليم الإسلامية، أنشأ المسلمون بكل مستشفى صيدلية يهتم بها صيدلي كفاء. وكان إلى جانب قيامه بتحضير الأدوية المتنوعة يشرف على تدريب الطلبة، وتعليمهم طرق تحضير الأدوية. وكانت هذه الصيدليات مملوءة بأصناف الأدوية والأشربة الموضوعة في الأواني الصينية والمرتبّة ترتيباً جميلاً. وكانت الأدوية تصرف للرضى مجاناً. (ابن أبي أصيبعة، ص 279) وتعدّ أول صيدلية أنشئت في الحضارة العربية الإسلامية، هي التي أقيمت ببغداد سنة 766هـ. وقد اعتبر الباحث جورج تشرش (George Church) أنّ الصيدلية إنشأه عربي خالص، وأنّه كان من المشكوك فيه أن ترقى الصيدلة إلى مستواها الحالي، لو لم تتأثر دراسة الطب والصيدلة بالتعاليم العربية. (حسين، ص 315)

ذكر القفطي أنّ بداية من النصف الأول من القرن التاسع ميلادياً، ظهر أشخاص متعلّمون موثوق في كفاءتهم لقبوا بالصيادلة. وقد سنّت الدولة قوانين تفرض على الممارسين لمهنة الصيدلة الحصول على تراخيص معترف بها، بعد اجتياز امتحانات خاصة بمعرفة العقاقير وطرق تجهيزها وتحضيرها. وأول امتحان أجري لذلك الغرض، كان ببغداد سنة 221 هـ في عهد الخليفة المعتصم. كما عيّنت الدولة موظفاً مكلفاً بمراقبة تحضير الأدوية في الصيدليات والتثبت من نقاوة العقاقير المستعملة، ويعدّ بمثابة

عميد للصيدلة (القفطي، 2005، ص 286). "وتعدّ الصيدلة من العلوم التي ابتكرها المسلمون، وأسهموا فيها إسهامات واضحة يشهد العالم كلّها بها، حيث جعلوها علماً تجريبياً قائماً على الدّراسة والملاحظة، وتتصل الصيدلة، وهي علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلّق بها، اتّصالاً وثيقاً بعلمي النبات والحيوان، إذ أنّ معظم الأدوية ذات أصل نباتي أو حيواني، كما ترتبط ارتباطاً قوياً بعلم الكيمياء، لأنّ الأدوية تحتاج إلى معالجة ودراية بالمعادلات والقوانين الكيميائية، كما تكمل الصيدلة علم الطبّ الذي يشخص المرض، ويصف العلاج، ويحتاج إلى من يركّب له ذلك الدّواء ويصنعه." (السرّجاني، 2009، ص 111)

يعتبر العصر العربي الإسلامي أوّل عصر من عصور الحضارة، عرفت فيه المرّكبات الدّوائية بصورة علمية فعّالة، ومن أجل ذلك يمكن اعتبار علم الصيدلة اختراعاً عربياً أصيلاً. فقد أضاف العرب إلى الأدوية التي كانت معروفة قبلهم مرّكبات عديدة من اختراعهم. (لوبون، 2012، ص 494) ومما يجدر ذكره أن المسلمين يعدّون أوّل من أسّس الصيدليات العامة، وذلك إبان حكم أبي جعفر المنصور (ت 158هـ/775م)، إذ ألحقوا صيدليات خاصة بالبيمارستانات، فكانت تُمَلأ بأصناف الأدوية والأشربة الموضوعة في أنفر الأواني الصينية، وهي تضاهي في حسن ترتيبها صيدليات هذا الزمن، وكانت الأدوية تصرف منها للرضى مجاناً، بل جعلوا في بعض المستشفيات، حديقة لاستنبات الأعشاب الطبية، وكانت صيدلية البيمارستان تُنَاط بصيدليّ كفاء، إذ كان يقوم إضافة إلى إشرافه على الصيدلية، بتجهيز الأدوية، وتدريب الدارسين علمياً في مجال الدّواء. (لوبون، 2012، ص 495) كما قام المسلمون بتنظيم مهنة الصيدلة، إذ خضعت إلى مراقبة المحتسب، واشترطت الدولة الحصول على إجازة تسمح بممارسة هذه المهنة. ويعدّ نظام الحسبة نظاماً رائداً في المجتمع العربي الإسلامي، فهو يساعد القضاء على مراقبة الالتزام بالقوانين والأعراف المنظّمة للمجتمع، ويحثّ أرباب المهن والصناعات على إتقان أعمالهم وتجنّب الغش في آداءها، ونظراً إلى خطورة مهنة الصيدلة وكثرة تسرّب الغش إليها من المتطفّلين، فقد طبّق نظام الحسبة بصرامة على الصيدلة أثناء تأديتهم لوظيفتهم. "تدليس هذا الباب والذي بعده كثير، لا يمكن حصر معرفته على التّمام. فرحم الله من نظر فيه، وعرف استخراج غشوشه، فكتبها في حواشيه تقريباً إلى الله تعالى. فهي أضرّ على الخلق من غيرها لأنّ العقاقير والأشربة مختلفة الطّباع والأمزجة، والتداوي على قدر أمزجتها. فمنها ما يصلح لمرض ومزاج، فإذا أضيف إليها أحرفها عن مزاجها، فأضرت بالمريض لا محالة، فالواجب على الصّيدلة أن يراقبوا الله عزّ وجلّ في ذلك، وينبغي للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتّعزير، ويعتبر عليهم عقاقيرهم كلّ أسبوع." (المحتسب، 1968، صص 42-47) فأصبحت الصيدلة مهنة رسمية لها دستور منظّم وخاضعة لمراقبة الدولة.

وفرض دستور الصيدلة على الأطباء كتابة ما يصفون من أدوية للمريض غل ورقة، سماها أهل الشام بالدستور وأهل المغرب: النسخة وأهل العراق: الوصفة. (السرجاني، 2009، ص 116)

3- إنجازات المسلمين في مجال الصيدلة:

لم يكتف علماء الصيدلة المسلمون بنقل التراث الصيدلي للحضارات السابقة (كتب اليونان والفرس والهند) بل قاموا باستيعابه وتنقيحه والتعليق عليه وتطويره بالإضافة إليه، عبر اختراع أدوية جديدة لم يسبقهم إليها أحد. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال كتابا بعنوان: "مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس" الذي ألفه سليمان بن حسان بن جلجل (ت 277هـ) طبيب الخليفة الاموي هشام الثاني بالأندلس. وقد ركز المسلمون على الطب التجريبي عن طريق استعمال العقاقير وبعض النباتات والاستفادة من خصائصها في علاج الأمراض والجراح. وكانت دراسة الأدوية هي حجر الأساس لدى كل مهتم بالطب والعلاج، إذ لا نجد مصنفا من مصنفات كبار الأطباء العرب إلا أفرد فيه للأدوية المفردة والمركبة قسما خاصا. وقد اعتمد العلماء المسلمون أسلوب البحث الميداني على الأعشاب والنباتات والعقاقير الطيبة فطافوا في أرجاء البلدان المختلفة بحثا عنها، واستفادوا من الخبرات الصيدلية التي تمتلكها الشعوب المختلفة، وقاموا بوضع رسوم تفصيلية توضيحية ملونة لمختلف أنواع النباتات، وحرصوا على امتحان الأدوية لتبين جودتها وتحديد أعمارها ومدّة صلاحيتها. " فقد ساح الغافقي كثيرا في إسبانيا وشمال إفريقيا. فذكر في كتابه: الأدوية المفردة كلّ نبات وعقار باسمه العربي والبربري واللاتيني، ومن هؤلاء العلماء أيضا ابن رومية وتلميذه ابن البيطار الذي ألف كتابين في هذا المجال، أهمهما: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ذكر فيه المعلومات اليونانية والعربية في علمي النبات والأقربادين، ولا سيما معلوماته الخاصة المكتسبة من أبحاثه وتجاربه الشخصية ورحلاته في إسبانيا والمغرب وشمال إفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى." (حسين، ص 322) وقد اتبع الصيادلة المسلمون منهجا قائما على المشاهدة والملاحظة أولا. ثمّ اللجوء إلى التجربة ثانيا، وهي نفس مراحل المنهج العلمي التجريبي الحديث. ويؤكد ابن البيطار هذا الرأي بقوله: " فما صدق عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخبر لا المخبر، ادخرته كنزا سرّيا، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه، سوى الله، غنيا. وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق، أو أنّ ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهرياً وهجرته ملياً (٠٠) لم أحابّ في ذلك قديما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه." (ابن البيطار، 1992، ص 3)

يرى الرّازي ضرورة استقلال علم الصيدلة عن الطبّ واعتباره وحدة مستقلة. فهو يعتبر أنّ جهل الطبيب بمعرفة العقاقير، لا يحول دون ممارسته التّطبّ، وذلك في قوله عن امتحان من يطلب الرخصة

لمزاولة مهنة الطبّ: "أما امتحانه بمعرفة العقاقير، فأرى أنّها محنة ضعيفة. وذلك أنّ هذه الصّناعة هي بالصيدانيّ أولى منها بالطّيب المعالج، إلّا أن تقصر معرفته بالكثير الاستعمال منها، فيدلّ على قلة علمه ومزاولته ودربته، فأما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها، والفرق بين الجيد والرديء منها فليس ذلك خاصاً بصناعته. ويمكن أن يكون طبيبا فاضلا مقصرا عن كثير من خلال العقاقير." (الرازي، 1977، ص 44) كما يعتبر الرازي أنّ المشاهدة والتجربة هي الأساس في اختيار الأدوية، وذلك من خلال قوله: "ولا تلتفتنّ إلى الأدوية الغريبة والمجهولة ما أمكنك، إلّا أن يصبح عندك أمر أقوى بالتجربة والمشاهدة." (الرازي، 1977، ص 93)

رتبت أسماء الأدوية في المصنّفات الصيدليّة، إمّا بحسب الحروف الأبجدية، كما هو الحال في الكتاب الثاني من قانون ابن سينا وكذلك في كتاب: الجامع لأشتات النبات للإدرسي، وإمّا مرتبة حسب حروف الهجاء كما في كتاب الصيدنة للبيروني وكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار وكتاب الحاوي للرازي وتذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي، كما كانت الأدوية في بعض الأحيان تقسم إلى مجموعات حسب مفعولها وفوائدها، فهذه أدوية مسهّلة وهذه مقبّنة وتلك مسكّنة وأخرى مدرّة للبول، كما ورد في كتاب فردوس الحكمة لابن رين وكتاب الأدوية المفردة لابن الصلّ. وقد اهتمّ العلماء المسلمون بتصنيف الأدوية وانتقائها وتحديد مواصفاتها. وكان العرب يتحقّقون من أي الأجزاء من النبات يكون العقار أفيد وأقوم وأفضل، وكذلك مواعيد جمع العقاقير من النباتات وجنيها، أو قطفها منها، وكيفية ادّخارها محتفظة بفوائدها وقوتها أثناء خزنها دون أن يتطرق إليها الفساد، ومعرفة علامات فسادها، وكذلك انتقاء أجودها وفي أيّ المواطن تجود." (حسين، صص 327، 328) وقد صنف العلماء العرب الأدوية من حيث تركيبها وفعلها في جسم الإنسان وفي مجال تطبيقها إلى نوعين: أدوية مفردة وأدوية مركّبة.

#### 4- أنواع الأدوية:

أ- الأدوية المفردة: هي الأدوية التي تتكوّن من عنصر واحد وغالبا ما تكوم نباتيّة. وقد استفاد علماء الصيدلة في هذا المجال من المصنّفات الفلاحية العربية مثل: معجم النبات للدينوري (ت 282هـ) والفلاحة النبطية لابن وحشية (ت 218هـ) والفلاحة الاندلسية لابن العوامّ الإشبيلي. فقد اهتمّ علماء الزراعة المسلمين في العهد الأموي بالأندلس بإنشاء حدائق خاصّة لإنبات الأعشاب الطبية، وهو ما سهّل على الصيادلة دراسة الخصاص العلاجيّة لهذه النباتات. ومن أهمّ المصنّفات التي تناولت بالدرس الأدوية المفردة نجد: كتاب القانون في الطبّ لابن سينا الذي وصف فيه ستمائة دواء مفرد

وبين طرق تحضيره، كما ألف العالم رشيد الدين الصوري (ت 639هـ) كتابا بعنوان الأدوية المفردة، أما أهم عالم صيدلي متأخر برع في هذا المجال فهو ابن البيطار (ت 646هـ) من خلال مصنفه: الجامع في الأدوية المفردة، فقد استفاد استفادة كبيرة من التراث الصيدلي الإسلامي السابق له. وقام بتلقيحه. واستنبط طرقا جديدة في البحث الصيدلي تعتمد على الملاحظة العلمية والوصف الميداني، فقد قدم وصفا ميدانيا لألف وأربع مائة نبات طبي جمعه بفضل تطوافه في الأقاليم الإسلامية، وقام برسم كل نبات وتلوينه بدقة بالغة في مختلف مراحل نموه وذبوله. (الخويطر، 2004، ص 71)

قسم العلماء العرب الأدوية المفردة بحسب امزجتها إلى بسيطة ومركبة، فالبسيطة أمزجتها أربعة: حارة وباردة ورطبة ويابسة. والمركبة أمزجتها أربعة كذلك: حارة/رطبة وحارة/جافة وباردة/رطبة وباردة/جافة. كما قسموها، بحسب الأمزجة والطبائع إلى أربع درجات: دواء مفرد من الدرجة الأولى (لا يؤثر في البدن أثرا ملموسا) ودواء مفرد من الدرجة الثانية (يؤثر ولا يضر) ودواء مفرد من الدرجة الثالثة (يضر ولا يبلغ في ضره حدا خطيرا) ودواء مفرد من الدرجة الرابعة (يكون ساما). فالبابونج مثلا حار جاف يأخذ صفة النار. ويصنف في الدرجة الثانية، والقرع بارد رطب يصنف في الدرجة الثانية لأنه يجمع الحرارة، والقرنفل: حار يابس يصنف في الدرجة الثالثة، وصنفوها أيضا حسب تأثيرها في الجسم إلى عدة مجموعات، وأعطوا لكل مجموعة منها اسما تبعا لتأثيراتها. فمنها الأدوية الملطفة والمخسنة والمرخية والمنضجة والهاضمة والمقوية والمخدرة والمسهلة والمدررة والمحركة والمقيئة. ومن أجل تجنب المضاعفات الدوائية كان أطباء المغرب يفضلون الأدوية المفردة على الأدوية المركبة. (شخادة، ص 56)

ب- الأدوية المركبة: هي كل دواء يتألف من خليط أو مزيج من أكثر من مفرد دوائي واحد، ويختلف باختلاف أنواعه وغاياته. وقد اعتبر ابن سينا بالنسبة للأدوية المركبة أن الجرب منها خير من غير الجرب، وقليل الأدوية خير من كثيرها في غرض واحد، إذ أنه في حالة غير الجرب، فإنه لا يمكن التحقق فيما يوجهه مزاجه الكائن عن بسائطها، فهل هو زائد في معناها أو غير زائد وهو مناقض، أما الجرب فقد يحقق منه الأمان، ولربما كانت العائدة في صورته المزاجية أكثر من المتوقع من بسائطه. (ابن سينا، 1999، ص 319) وتكون الأدوية المركبة من أكثر من عنصر سواء أكانت عناصر نباتية أم كيميائية. ويعتمد تحضيرها على موازن دقيقة من أجل تحديد مقادير العناصر بدقة متناهية. وقد تميز العالم أبو بكر الرازي بابتكاراته المتنوعة في مجال الأدوية المركبة، إذ صنف الأدوية من حيث مصادرها إلى أربعة أصناف: مواد ترابية (معادن)، مواد نباتية، مواد حيوانية، عقاقير مولدة من عناصر كيميائية. وقد استنبط طرقا كيميائية جديدة لتركيب الادوية، منها: التقطير والتصعيد والترشيح والتكليس. وأدخل استعمال الرصاص الأبيض في المراهم. واستخدم التجارب الحيوانية لتحديد فعالية الدواء، إذ

استعمل مادة الزئبق في المسهل وقام بتجربته على قرد ليتعرف على فعاليته. واكتشف أول مضاد حيوي عندما أضاف عفن الخبز والعشب الفطري إلى الأدوية التي يعالج بها الجروح المتعفنة. واستعمل أبو الريحان البيروني طريقة مبتكرة في تركيب الأدوية ذكرها في مصنّفه: الصيدنة في علم الطب، تعتمد على التبدّل أو الحذف لعناصر الدواء المركّب، ممّا يمنح الصيدلي مرونة كبيرة عند صناعة الأدوية وإيجاد بدائل مناسبة للعناصر المحذوفة. وقد ترجم كتابه إلى الإنجليزية سنة 1572م وكان له أثر كبير في الصيدلة الأوروبية. (شحادة، ص 73)

تعامل علماء الصيدلة المسلمين مع الأدوية بحكمة. ودعوا إلى ترشيد استعمالها حتى تؤمن مضاعفاتها. فلقد كان من المأثور عندهم عدم التداوي بالأدوية إذا أمكن التداوي بالأغذية، وإذا اضطرّ المعالج إلى وصف الأدوية، فلا يرون التداوي بالمركّبة ما وجد سبيلا إلى المفردة، وحتى إذا اضطروا إلى استعمال الأدوية المركّبة، لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقلّ ما يلزم منه. فقد ذكر المجوسي (ت 994هـ) في كتابه كامل الصناعة الطبية: "إن أمكنك أن تعالج العليل بالغذاء فلا تعطه شيئا من الدواء، وإن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد، فلا تعالج بدواء قوي ولا بدواء مرّكّب، ولا تستعمل الأدوية الغريبة المجهولة." (المجوسي، مخطوط) كما ذكر الرازي في كتابه الحاوي بأنّ الحكيم، إذا استطاع أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة، وثمن قيمة نتائج التجارب العملية فقال: "أنّ العمر قصير عن الوقوف عن فعل كلّ نبات الأرض، فعليك بالأشهر ممّا أجمع عليه ودع الشاذ واقصر على ما جرب." (الرازي، 2000، المقدمة: ص 7) وقد رنّخ المسلمون منهج الصيدلة العملية التي تعتمد على النباتات والأعشاب المحليّة التي تعوّض ما ذكر في الكتب اليونانية والهندية والفارسية، وسوّها بأبدال الأدوية، إذ أنّ الحاجة للبدائل المحليّة من النباتات والأعشاب كانت ضرورة جغرافية واقتصادية، تعني الصيدلي من البحث عن الأدوية في أقاص بعيدة. وقد عبّر العالم البيروني عن هذا التوجّه من خلال قوله معاتباً لبعض الصيادلة: "لو كان منهم ديسقوريدس في نواحيننا، لصرف جهده على التعرف على ما في جبالنا وبوادينا، ولكانت تصير حشائشنا كلّها أدوية." (البيروني، 678 هـ، مخطوط رقم 3014، ص 88) وقد جمع كوهين العطار عمل ابن سينا في كتابه منهاج الدكان في فصل سمّاه: "امتحان الأدوية المفردة والمركّبة، وذكر ما يستعمل منها وما لا يستعمل". وأورد في هذا الفصل الطرق المستعملة في ضبط معايير جودة الأدوية، إضافة إلى المدّة الزمنية لصلاحيتها، والأوصاف المميّزة للأدوية وخصائصها وأنواعها. كما ساهم تطوّر علم الكيمياء واكتشاف مركّبات كيميائية جديدة مثل الكحول ومركّبات الزئبق وملح النشادر في ازدهار فنّ الصيدلة وصنع أدوية جديدة. وقام ابن سينا وصيدال آخرون بمزج الأدوية بالعسل تارة وبالسكر وعصير الغلال تارة أخرى ليصبح طعمها مستساغاً.

ويعتبر ابن سينا أول من استعمل طريقة تغليف حبوب الدواء بالذهب أو الفضة، ويعدّ الزهراوي أول من حضر أقراص الدواء عن طريق كبسها في قوالب خاصة. كما ابتكر المسلمون تقنيات كيميائية دوائية جديدة مازال معمولاً بها، من حيث المبدأ، إلى حدّ الآن مثل:

- التقطير: لفصل السوائل
  - التلغيم: لمزج المعادن
  - التنقية: لإزالة الشوائب
  - التّسامي: لتحويل المواد الصلبة إلى بخار
  - التّصعيد: لتكثيف المواد المتصاعدة
  - التّشوية: لتحضير بعض المعادن من خاماتها
  - التّشميع: لصهر بعض المواد وإضافة مواد أخرى إليها
  - التّكليس: لتحويل المواد المتبلورة إلى مساحيق
  - الترشيح: لفصل الشوائب والحصول على محلول نقي. (السرجاني، 2009، صص 116 - 119)
- ركّز العلماء المسلمون على استعمال الدواء المفرد لأنّه أخفّ على الطبيعة، وأقلّ ضرراً بجسم الإنسان، ولكن في بعض الحالات يضطرّ الطبيب إلى وصف الدواء المركب لعدّة أسباب: عند فقدان دواء واحد يفني بالمقصود أو من أجل إصلاح كيفية دواء مفرد لحدّة طعمه أو رائحته أو لتقوية قوّة أو إضعافها. ويقدم ابن النفيس أمثلة لذلك، ففي تقوية القوّة، كالتبريد، يضاف إليه الزنجبيل ليقوّي الإسهال ويخرج الخلط الغليظ، وفي مثال الرائحة كالخيار شبر يضاف إليه ماء الورد، لكي لا تنضّر المعدة من رائحته. (ابن النفيس، 1233هـ، ص 41) ويرى ابن سينا عدم الإثثار من التّركيب، إذ كلّما قلّت العناصر التي تدخل في تركيب الدواء. كان ذلك أكثر إفادة للصحة وجلباً للشفاء، إذ أنّ الإثثار من التّركيب قد تكون له عواقب وخيمة على صحّة الإنسان، ويؤكّد الطبّ الحديث هذا الرّأي، إذ نجده يقول: "إعلم أنّ كثيراً من التّركيب يؤدّي إلى مفساد، وقليل من التّركيب، يؤدّي إلى مزية أثر وفعل". (ابن سينا، 1999، الكتاب الخامس، ص 130) ومن إنجازات المسلمين الصّيدلية كذلك ما ذكره المستشرق غوستاف لوبون، أنّ الطبّ مدين للعرب باكتشاف عقاقير كثيرة، كالسليخة والسنامكي والرّاوند والتمر الهندي وجوز الطيب والقرمز والكافور والغول (الكحول) وما إلى ذلك، وهو مدين لهم بفنّ الصيدلة وبكثير من المستحضرات التي لا تزال تستعمل كالأشربة واللحوق واللزقات والمراهم والدهان والمياه المقطرة، والطبّ مدين لهم كذلك بطرق مبتكرة في المداواة، عاد الطبّ إليها، على أنّها اكتشافات حديثة بعد أن نسيت زمناً طويلاً، ومنها طريقة امتصاص النبات لبعض الأدوية، كما

صنع ابن زهر، الذي كان يعالج المرضى المصابين بالقبض بإطعامهم عنباً أُشرب من بعض المسهلات. كما أنّ المسلمين هم الذين اكتشفوا الأشربة والمستحلبات والخلاصات العطرية، وهم أول من استعمل الحشيش والأفيون والزّوان في عملية التخدير. (لوبون، 2012، ص 504)

5- الابتكارات والتقنيات الصيدلانية وأثرها الحضاري في أوروبا: لم يكتف المسلمون بنقل التراث الطبي والصّيدلي اليوناني، بل قاموا باستيعابه وتطويره وأضافوا إليه الكثير من الابتكارات والاكتشافات. ثم انتقلت هذه المعارف الطبية والصّيدلية إلى أوروبا عبر العديد من المعابر الحضارية، وسنركّز على أهمّها، وهي جزيرة صقلية ومدرسة ساليرنو الطّبية وبلاد الأندلس.

أ- صقلية: مثلت صقلية معبراً هاماً للعلوم الطبية والصّيدلية العربية الإسلامية إلى أوروبا فقد استمرّ الوجود العربي الإسلامي بهذ الجزيرة قرابة ثلاثة قرون (من سنة 831 إلى سنة 1082) ونشأت بها نهضة علمية كبيرة. استمرت حتى إثر سقوط صقلية في أيدي النورمان بفضل تسامحهم الديني والاجتماعي، وانفتاحهم على الثقافات المختلفة وخاصة الثقافة العربية الإسلامية. فساهم العلماء المسلمون في إثراء بلاط ملوك النورمان بالمعارف والعلوم المتنوعة ومن ضمنها العلوم الطبية والصّيدلية. وألّف العالم الإدريسي كتاباً عن الأدوية المفردة، وترجمت إلى اللغة اللاتينية أمّهات المصنّفات الطبية والصّيدلية، مثل كتاب الحاوي للرازي وكتاب في الطبّ التجريبي لجالينوس في ترجمة لحنين بن إسحاق. كما ألّف كتب طبية وصيدلية انطلاقاً من مصادر عربية، مثل كتاب: تدير الجسد الذي كتب للملك النورماني فريديريكو. فأصبحت صقلية منارة للعلم والثقافة تشعّ على كامل أرجاء أوروبا.

ب- مدرسة ساليرنو الطّبية: نتيجة الإشعاع العلمي لجزيرة صقلية، نشأت بمدينة ساليرنو جنوب إيطاليا مدرسة للطبّ، استقطبت الأطباء والطلّبة من مختلف الأعراق والثقافات، ومن ضمنهم الأطباء العرب والمسلمون الذين ساهموا في نقل التراث الطبي والصّيدلي العربي إلى أوروبا. فظهرت بهذه المدرسة كتب طبية باللغة اللاتينية معتمدة على المصادر العربية، مثل كتاب يعرف باسم (Antidotarium) للطبيب دنولو في القرن العاشر وكتاب آخر باسم (Antidotarium Nicolcia) ظهر سنة 1100 ويعدّ أول دستور صيدلاني لمدرسة ساليرنو. " على أنّ أعظم من كان له تأثير في العلوم الطبية والصّيدلية، إنّما هو عالم عربي يدعى قسطنطين الإفريقي. (1020-1087م) وهو قرطاجنيّ المولد، طاف في البلاد الشرقية، ودرس الطب العربي وجمع المصادر الخاصّة به، ثمّ استقر بمدينة ساليرنو، حيث اعتنق المسيحية وأصبح راهباً في دير مونتي كاسينو وتسمّى باسم قسطنطين. ثم أخذ يترجم كتباً عربية إلى اللاتينية دون أن يذكر المصادر. وترجم جزءاً كبيراً من الكتاب الملكي لعلي بن عباس المجوسي وسماه باللاتينية (Pantegni) وكتاب زاد المسافر لابن الجزّار وكتاب طبّ العيون لحنين بن إسحاق، كما ترجم إلى العربية

عدّة رسائل لإسحاق الإسرائيلي (خاصّة في البول والحميات والأدوية المفردة). وكانت معظم هذه الكتب التي ترجمها قسطنطين تدرّس في مدرسة ساليرنو، وكان لها تأثير في الطبّ والصّيادلة الأوروبية." (حسين ، ص 432)

ج- الأندلس: رغم سقوط مدينة طليطلة تحت الحكم المسيحي، فقد بقيت ملتقى للثقافتين العربية الإسلامية والمسيحية. ونشأت بها مدرسة، عرفت بمدرسة طليطلة لترجمة المصنّفات العلمية العربية إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية. ومن أهمّ المترجمين بمدرسة طليطلة الإيطاليان: أفلاطون التيفولي وجيرارد الكريموني اللذان كانا يتقنان اللّغة العربية، وقد قاما بترجمة المئات من الكتب العربية في شتى أنواع العلوم، ومن ضمنها كتب الطب والصّيادلة، مثل كتب أبقراط والكندي "في معرفة قوى الأدوية المفردة" وكتاب "المنصوري" للرازي و"كتاب الأدوية المفردة" لابن وافد اللّحمي وكتاب "الملكي" لعلي بن عبّاس المجوسي وكتاب "تقويم الصحة" لابن جزلة وكتاب "التيسير" لابن زهر وكتاب القانون في الطب لابن سينا الذي ترجم ترجمات عديدة في أوروبا، وفسر مرارا، وعلّق عليه، ونلّص. حتّى غدا بمثابة إنجيل طبيّ بالنسبة للجامعات الأوروبية في فترة القرون الوسطى. (حسين، صص 426، 427)

تأثرت أوروبا بشكل كبير بعلم الصيادلة العربي الإسلامي خلال العصور الوسطى. وقد تجلّى هذا التأثير من خلال الترجمة والانتقال الثقافي. فقد قام العلماء المسلمون بترجمة الكثير من النصوص اليونانية والهندية والفارسية إلى العربية، ومن ثمّ ترجمتها إلى اللغات الأوروبية، ممّا أتاح للأطباء والصيادلة الأوروبيين الوصول إلى أسرار هذا العلم. وقد أسهم علم الصيادلة العربي الإسلامي في تقديم مفاهيم وتقنيات جديدة في علم الأدوية وطرق تحضيرها وتخزينها، ونذكر على سبيل المثال، أنه تمّ استخدام التقنيات الصيدلانية مثل التقطير والتبلور التي تمّ تطويرها من طرف العلماء المسلمين في أوروبا. وقد تبادلت أوروبا والعالم العربي الإسلامي الأدوية والعلاجات، حيث كان هناك تداول للمواد الطبية والأعشاب والمستحضرات الصيدلانية بين الثقافتين. كما تأثرت أوروبا بنماذج المستشفيات والمراكز الطبية التي كانت موجودة في العالم العربي الإسلامي، إذ تمّ تطبيق نماذج إدارية وطرق علاجية مشابهة في المستشفيات الأوروبية. وإضافة إلى ذلك اقتبست أوروبا المفاهيم الطبية الإسلامية، مثل مفهوم الحفاظ على الصحة وتوازن الجسم والعقل والروح، إذ قدّم علماء الصيادلة العرب مفاهيم جديدة حول الأمراض وكيفية علاجها. ومثّل هذا التّواصل مظهرًا من مظاهر التبادل الثقافي والعلمي بين العالم الإسلامي وأوروبا خلال العصور الوسطى، فقد ظهرت مدارس للطبّ تابعة لبعض الجامعات الأوروبية، ومن تلك المدارس نجد مدرسة بولونيا ورومه ومونبيليه وباريس وأكسفورد التي تأسست في القرن الثالث عشر، متأثرة بالتقاليد العربية الإسلامية. وقامت باستيعابها استيعابًا تامًّا، كما صاغت التراث

الطبي العربي الإسلامي صياغة جديدة حتى أصبح هو أساس الطب الحديث. (لوبون، 2012، ص 119)

الخاتمة:

لم يكتف المسلمون بنقل ثراث الحضارات السابقة في علم الصيدلة والأدوية، بل قاموا باستيعابه وتطويره والإضافة إليه، من خلال تأليف مصنّفات قيّمة، جمعت أنواع الأدوية المختلفة ووصفت طرق تحضيرها وبيّنت خصائصها وأساليب استعمالها، وقد تميّز علماء الصيدلة المسلمون بنزعتهم العلمية التطبيقية القائمة على المشاهدة والأبحاث الميدانية والتجارب المخبرية، وقد ساعدتهم توجّهي هذا المنهج العلمي العملي على ابتكار تقنيات جديدة لتحضير الأدوية واكتشاف مرّجات كيميائية لم تكن معروفة قبلهم، سمحت لهم بصنع أدوية فعّالة، أثبتت نجاعتها وقدرتها على علاج الأمراض المختلفة في البيمارستانات الكثيرة التي أنشئت في مختلف الأقاليم الإسلامية. وكنيجة لذلك كان للصيدلة العربية الإسلامية إشعاع حضاري كبير، وتأثير جليّ في كافة أرجاء أوروبا، إذ ترجمت العديد من المصنّفات الصيدلانية العربية إلى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية، وتسربت عبر المعابر الحضارية، مثل بلاد الأندلس وجزيرة صقلية ومدرسة ساليرنو الطبية، التي جرى فيها تواصل علمي خلاق ومثمر بين الشرق والغرب، أسهم في تطوير قدرة الإنسان على علاج الأمراض المختلفة، وتوفير الرفاهة الصحية، ومهد السبل لقيام علم الصيدلة الحديث.

المصادر والمراجع:

- 1- موقف الدّين ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق: نزار رضی)، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 2- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ط 3، بيروت، 1988، حديث رقم: 2930.
- 3- داود بن عمر الأنطاكی، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ج 1، المكتبة التوفيقية، 1008هـ.
- 4- ضياء الدّين ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج 1، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992.
- 5- عبد الله بن أحمد ابن البيطار، المغني في الأدوية المفردة، المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية، لندن، 1447م.

- 6- أبو الريحان البيروني، كتاب الصيدنة في الطب، مكتبة جامعة الرياض: قسم المخطوطات، الرياض، مخطوط رقم 3014 ، نسخة ماكس مايرهوف التي كتبها التبريزي، 678 هـ.
- 7- صابر جبرة. تاريخ الصيدلة، مؤسّسة هنداي، المملكة المتّحدة، 2020.
- 8- محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، جامعة الدول العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- 9- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (تحقيق: محمد شرف الدين بالتقيا)، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 10- خالد بن سليمان بن علي الخويطر، جهود العلماء المسلمين في تقدّم الحضارة الإنسانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، الرياض، 2004.
- 11- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش)، ج 1، دار يعرب، ط 1، دمشق، 2004.
- 12- ول ديورانت، قصة الحضارة، (ترجمة: زكي نجيب محمود)، مجلّد 13، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- 13- أبوبكر الرازي، الحاوي في الطب، (تحقيق: محمد محمد إسماعيل)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000.
- 14- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، (تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 1، 1977.
- 15- الحسين بن علي ابن سينا، القانون في الطب، ج 1، بيروت: دارالكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1999.
- 16- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلامية، مؤسّسة اقرأ للنشر والتّوزيع والترجمة، ط 1، القاهرة، 2009.
- 17- عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، منظمة الصحة العالمية- أكاديميا، بيروت.
- 18- أبو الحسن علي الطّبري، فردوس الحكمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- 19- علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2005.

- 20- شحاته قنواني، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط، دار أوراق شرقية، ط 2، بيروت، 1996.
- 21- طاش زادة كبرى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1985.
- 22- غوستاف لوبون، حضارة العرب، (ترجمة: عادل زعيتري)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- 23- داود المعروف بالطيار أبو المنى، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، مكتبة الجمهورية المصرية، القاهرة، 1351هـ.
- 24- علي بن عباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، جامعة الرياض: قسم المخطوطات، الرياض.
- 25- ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، (تحقيق: حسام الدين السامرائي)، مطبعة المعارف، بغداد، 1968.
- 26- جلال محمد موسى، منهج الحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1972.
- 27- علي بن حزم ابن النفيس، موجز القانون في الطب، مطبعة إيدوكيشن، كالكوستا- الهند: ، 1233هـ.
- 28- أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، كتاب الفهرست، المجلد 2، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009.

## معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية

### Challenges of Marketing Electronic Banking Services in Commercial Banks

عبد السلام سالم مسعود البوسيفي

قسم السمع والنطق - كلية التقنية الطبية صرمان - جامعة صبراتة- ليبيا

Z5973481@gmail.com

الملخص:-

تعتبر الخدمات المصرفية من أحد أهم الأنشطة الاقتصادية، حيث تسعى البنوك في كافة الدول إلى خلق بيئة مصرفية قادرة على مواكبة جميع التطورات الحالية، وذلك بالاستفادة من الثورة التكنولوجية والنظم المتطورة، ولعل من أبرز الأمور التي تريد البنوك اثباتها هي الخروج من بيئتها التقليدية واستخدام وتقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية لعملائها بغية رفع المستوى الخدمي المصرفي وارتقائه من جهة، والحصول على رضا الزبائن وتوسيع دائرة المتعاملين معها وزيادة القدرة التنافسية من جهة ثانية، لذلك عكف الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب بدراسته ودراسة التحديات التي قد تواجهه، ومن بين تلك الدراسات هذه الدراسة التي تهدف إلى التعرف على أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية، بعينة بلغت (100) من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في فروع مصارف الصحاري بمدينة طرابلس، كما استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لبلوغ أهدافها، واستعانت بالاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، واستخدمت هذه الدراسة العديد من الأساليب الإحصائية منها المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والنسبة المئوية، والوزن النسبي، واختبار(ت)، ومعامل الثبات ألفا كرونباخ، ومعامل الارتباط بيرسون، ومعامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن وجود عدد من المعوقات التقنية، والفنية، والإدارية، والأمنية، يتوافق كبير لأفراد عينة الدراسة بوزن نسبي بلغ (76.51%) حيث تصدرت المعوقات الإدارية قائمة تلك المعوقات، وتليها المعوقات التقنية، وتليها المعوقات الفنية، وأخيراً تتربع المعوقات الأمنية في آخر قائمة تلك المعوقات، كما أسفرت نتائج هذه الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث).

الكلمات المفتاحية:- معوقات - تسويق الخدمات - المصارف التجارية.

### **Abstract:-**

Banking services are considered one of the most important economic activities, as banks in all countries seek to create a banking environment capable of keeping pace with all current developments, by taking advantage of the technological revolution and advanced systems. Perhaps one of the most prominent things that banks want to prove is to leave their traditional environment and use and provide services. Electronic banking for its customers in order to raise and advance the level of banking service on the one hand, and to obtain customer satisfaction, expand the circle of those dealing with it, and increase competitiveness on the other hand. Therefore, many researchers and those interested in this aspect have devoted themselves to studying it and studying the challenges that it may face, and among those studies is this study, which aims To identify the most important obstacles to marketing electronic banking services in commercial banks, with a sample of (100) workers in the field of electronic banking and electronic marketing in the branches of desert banks in the city of Tripoli. The study also used the descriptive analytical approach to achieve its objectives. It also used the questionnaire as a tool for collecting data and information. This study also used many statistical methods, including the arithmetic mean, the standard deviation, the percentage, the relative weight, the t-test, the Cronbach's Alpha reliability coefficient, the Pearson correlation coefficient, and the reliability coefficient using the split-half method. The results of this study resulted in the presence of a number of technical obstacles. Technical, administrative, and security, with great agreement among members of the study sample, with a relative weight of (76.51%), where administrative obstacles topped the list of those obstacles, followed by technical obstacles, followed by technical obstacles, and finally security obstacles were at the bottom of the list of those obstacles, as the results of this study revealed. There are no statistically significant differences in the level of responses of the study sample members due to the gender variable (males/females).

**key words :-** Obstacles - marketing services - commercial banks.

## المقدمة:-

شهد العالم في العقود الأخيرة تطورات كبيرة في مجال الاتصالات وأنظمة المعلومات ومن أهم القطاعات التي تأثرت بالتطور التكنولوجي هو القطاع المصرفي الذي يعد من أهم ركائز الاقتصاد (محارمة، 2005، ص:1)، وفي ظل هذه التطورات التي زادت من سرعة أداء الخدمة وخفض التكلفة، فقد تحول العمل المصرفي من حالة المواجهة والاتصال بين العميل وموظف المصرف إلى حالة أخرى وهي التقاء العميل بالمقدم الآلي للخدمة فأصبح العميل يقوم بنفسه بإتمام الخدمة ويعمل عمل الموظف المصرفي (العلوان وآخرون، 2008، ص:411)، إلا أن تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية يحتاج إلى وجود سوق لها الأمر الذي يستلزم أن يكون هناك إقبال من العملاء عليها، وهذا يحتاج إلى جذب العملاء لطلب هذه الخدمات وتعريفهم بمزاياها، وكيفية استعمالها، فنضج الوعي لدى العملاء للعمل المصرفي الإلكتروني يحتاج إلى وقت ليس بالقصير (سفر، 2006، ص:70)، ونتيجة لما أفرزته المتغيرات العالمية من تحديات تنافسية كبيرة، نتيجة عولمة النشاط المصرفي وتحرير الخدمات المالية المصرفية لتلقي تحدياتها على عاتق الإدارة المصرفية للعمل على التكيف مع هذه التغيرات ومواجهة آثارها السلبية، والإفادة من المكاسب التي تحققها، أصبح تطوير الخدمات المصرفية، والاهتمام بجودة الخدمات، وتحقيق رغبات العملاء أحد المداخل الرئيسة لزيادة وتطوير القدرة التنافسية للبنوك (عبد القادر، 2007)، وفي ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة وتطور نظم المعلومات، وتعقد الظروف الخارجية المحيطة بالمنظمات والشركات والبنوك المتعددة، أصبح عالم الأعمال اليوم يتسم بالتعقد، والتسارع، وعدم الثبات، والمنافسات القوية لذلك أصبح من الضروري من حدوث إجراءات لاكتساب قدرة تنافسية، إذ أصبحت استراتيجية الأعمال والتي يطلق عليها أحيانا بالاستراتيجية التنافسية محور اهتمام كل من الباحثين والممارسين باعتبارها العامل الأساس لنجاح المنظمات وازدهارها (طلعت، 2009)، ومن أهم التحديات التي تواجه تسويق الخدمة المصرفية هي العولمة التي تواجهها المصارف العربية بشكل عام لذلك سوف تكون المنافسة حادة بين المؤسسات المالية العالمية المنتشرة في أصقاع الأرض، وسيكون الفوز للمصارف التي تمتلك الإمكانيات التي تتيح لها تقديم خدمة بجودة عالية وبسعر مناسب ومتطورة بالشكل الملائم لطبيعة العصر وتمتع بميزة تنافسية تميزها عن الآخرين وتلبي حاجات ورغبات العملاء مما يمكنها من حيازة رضاهم ويتيح لها مع مرور الوقت تقديم خدمات بتكلفة أقل وبتنوع شامل وبطريقة سهلة ومناسبة، وهذا يقتضي أن يتمتع المصرف بالحجم المناسب بحيث يمكنه من تقديم الخدمات المصرفية في أي مكان والاستعانة بالتكنولوجيا المتقدمة، فضلا عن امتلاك كوادر بشرية مؤهلة تأهيلا عاليا، وتنوع وتكامل خدماتها وبالجودة العالية التي يأملها العميل (معلا،

2003، ص:4)، ولعل من الأسباب الرئيسية للاقتصاد وحياء الأعمال هو توريد السلع والخدمات التي تشبع حاجات ورغبات المستهلكين وتلبية لهذه الاحتياجات والمتطلبات يتم تسويق السلع والخدمات بقصد توصيلها للعملاء، وهكذا يؤدي التسويق دوراً بارزاً ومهماً في حياة الاقتصاد والأعمال للبلد بوجه عام والمؤسسات والشركات ومنظمات الأعمال والمصارف التجارية بشكل خاص فكلنا نعلم مدى أهمية وظيفة التسويق وتعدد مجالاتها والياتها، ومن هنا ظهر التسويق الإلكتروني للخدمات المصرفية في المصارف التجارية (دراكر، 2003، ص:44)، لذلك كرس العديد من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب بدراسته ودراسة كل التحديات التي قد تواجهه ومن ضمن تلك الدراسات هذه الدراسة.

**مشكلة الدراسة:-**

تلعب الخدمات دوراً مهماً في المنظمات بشكل خاص واقتصاد الدول بشكل عام، لذا يقع على عاتق مقدمي الخدمات وإداراتها مسؤولية كبيرة ولاسيما في المصارف كونها تشكل محور النشاط الاقتصادي في أية دولة أو مجتمع (عبد العال، 2019)، وتسعى البنوك في كافة الدول باستمرار إلى تطوير خدماتها المصرفية، وذلك بالاستفادة من الثورة التكنولوجية والنظم المتطورة للخروج من بيئتها التقليدية، وتقديم خدمات مصرفية إلكترونية لعملائها بغية رفع مستوى الخدمات المصرفية المقدمة لهم، والارتقاء بها من جهة، والحصول على رضا العملاء وتوسيع دائرة المتعاملين مع البنك، وزيادة قدرته التنافسية من جهة أخرى (عارف وآخرون، 2017)، فقد تطورت الخدمات المصرفية مع تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتعالج التحديات والمشكلات التي تواجهها المصارف وبخاصة مع تزايد إقبال العملاء على خدماتها (Khan, 2017)، وفي السنوات الأخيرة ومع الإقبال المتزايد لأفراد المجتمع على البنوك للاستفادة من خدماتها المصرفية، باتت تلك البنوك تواجه مشكلة متفاقمة يوماً بعد يوم، تمثل بازدياد عملائها في مبانها وأروقها، فكان لا بد من اتخاذ البنوك لعدد من الخطوات والإجراءات لتقليل تلك الصعوبات من خلال اعتماد تقنيات جديدة لتقديم الخدمات المصرفية

(Nagaraj & Jegatheeswari, 2016)، حيث شهد القطاع المصرفي في السنوات الأخيرة تطورات عديدة من حيث الخدمات المصرفية المقدمة، والتي تختلف عن الخدمات التقليدية المعتادة (محلوس وآخرون، 2021، ص:116)، وبذلك ظهر عدد من المصطلحات في هذا المجال أبرزها الخدمات المصرفية الإلكترونية، وهي خدمات تقدمها معظم البنوك لتتيح للعملاء التعامل مع مختلف أنواع الأعمال المصرفية كالسحب والإيداع، والتحقق من أرصدة حساباتهم، وتحويل الأموال بين الحسابات، ودفع الفواتير إلكترونياً، وتقديم الطلبات المختلفة للحصول على قروض أو دفاتر الشيكات، والحصول على معلومات حول الحسابات والودائع أو الأسهم التجارية أو صناديق الاستثمار، كل ذلك باستخدام

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخاصة شبكة الإنترنت وباستخدام الأجهزة الإلكترونية كالمبيوتر، الهاتف المحمول، أو غيرها من الأنظمة والأجهزة الحديثة ( Hamoud,et al., 2018 ), وبالرغم من المزايا التي توفرها الخدمات المصرفية الإلكترونية للعملاء، إلا أن عدداً من الدراسات السابقة أظهرت أن نسبة الإقبال على الخدمات المصرفية الإلكترونية بين عملاء البنوك لا زالت قليلة ( Ling, , 2016 ), لذلك أصبح جديراً بالاهتمام دراسة سلوك العملاء وآرائهم فيما يخص الاتجاه نحو تبني هذه الخدمات، ومعرفة أهم العوامل المؤثرة على ثقتهم فيها، وسبل توجيه قراراتهم التي تحدد طبيعة سلوكهم المستقبلي (بن صالح، 2021)، ويضيف مسعودي (2016) ان من أبرز تحديات استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية التحديات التنظيمية حيث يتوجب على البنك الاستجابة بمرونة كافية لرغبات العملاء، والتجديد والابتكار بما يتلاءم والأذواق الفنية للأفراد وتحديات الاستخدام والتعقيد خاصة على مستوى العملاء، كصعوبة الاستخدام، وقلة الاقتناع، والثقة في استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية، وعدم توافر المهارات اللازمة لاستخدامها، وعدم توافر الأجهزة اللازمة لاستخدامها، لذلك قام الباحث بإجراء هذه الدراسة لتسليط الضوء بشكل أكبر على التحديات التي تواجه تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية، وقد اطمئن الباحث لما استقر في نفسه من معلومات وملاحظات أيدت كلها أهمية هذه الدراسة والتي أثبتت أن هناك حاجة ماسة للتعرف أكثر على المعوقات والتحديات التي تعترض إدارات المصارف التجارية لتقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية ذات جودة عالية للزبائن والعملاء.

#### تساؤلات الدراسة:-

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤل الدراسة الرئيس التالي: ماهي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية؟ والذي انبثق منه عدد من التساؤلات وهي:

1. ماهي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية من الناحية التقنية؟
2. ماهي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية من الناحية الفنية؟
3. ماهي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية من الناحية الأمنية؟
4. ماهي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية من الناحية الإدارية؟
5. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث)؟

**اهمية الدراسة:-**

- تبرز أهمية الدراسة الحالية في عدة نقاط والذي يمكن توضيحها على النحو التالي :
1. تفيد الدراسة في رصد الواقع الميداني لمعوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية.
  2. أصالة الدراسة إذ تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القلائل إن لم تكن الأولى في البيئة المحلية التي تدرس معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية.
  3. تعد هذه الدراسة إسهاماً علمياً في سبيل تحسين الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية.
  4. الوصول إلى نتائج يمكن على أساسها تقديم عدد من التوصيات والمقترحات التي قد تساعد المختصين في الجانب الاقتصادي للارتقاء بالخدمات المصرفية المقدمة للزبائن.
  5. قد تسهم الدراسة في الكشف عن الثغرات الموجودة في الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية.

**أهداف الدراسة:-**

يحاول الباحث في هذه الدراسة تحقيق الهدف الرئيس للدراسة والذي يتمثل في التعرف على أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية والذي انبثق منه عدد من الأهداف الفرعية وهي:

1. التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية التقنية.
2. التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الفنية.
3. التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الأمنية.
4. التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الإدارية.
5. الكشف عن الفروق في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/إناث).

**حدود الدراسة:-**

وتتمثل حدود الدراسة في :

1. الحد الموضوعي:- والذي يتمثل في معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية.
2. الحد المكاني:- والذي يتمثل في المصارف التجارية لبعض فروع مصارف الصحاري بمدينة طرابلس.
3. الحد الزمني :- خلال العام 2023م.

4. الحد البشري :- عدد من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس.

#### مصطلحات الدراسة:-

وتتمثل مصطلحات الدراسة في المصطلحات الآتية:

1. التسويق الإلكتروني:- هو الاستخدام الأمثل للتقنيات الرقمية بما في ذلك تقنيات المعلومات والاتصالات لتفعيل إنتاجية التسويق، وعملياته المتمثلة في الوظائف التنظيمية والعمليات والنشاطات الموجهة لتحديد حاجات الأسواق المستهدفة وتقديم السلع والخدمات إلى العملاء وأصحاب المصلحة في المنظمة ( الطائي وآخرون، 2006، ص:30).

2. الخدمات المصرفية:- هي العمليات التي لا تترتب على المصرف أي التزام بل هي خدمات يقدمها المصرف إلى زبائنه لقاء أجر يتقاضاه أو ودائع يقبلها من المدخرين ويعيد توظيفها بفائدة تفوق الفائدة التي يدفعها لأصحاب الودائع ( زيود وآخرون، 2005، ص: 65).

#### الإطار النظري:-

##### مفهوم الخدمة المصرفية:-

لقد أعطيت مفهوم الخدمة المصرفية تعاريف متعددة والتي إن اختلفت فإنها تشترك أحياناً في معنى أو أكثر، حيث نجد أنها عرفت بأنها مجموعة من المنافع المشتركة الموجودة في عقول المشتريين المحتملين ومن المؤمل شراؤهم للخدمة (العجارمة، 2005، ص:106)، كما عرفت بأنها كافة الأنشطة والعمليات التي يبرز فيها الجانب غير الملموس بشكل أوضح من الجانب الملموس والتي يتولد عنها منافع يمكن بيعها ( معلل وآخرون، 2005، ص:160)، كما أن الخدمة المصرفية هي مجموعة من العمليات التي يقوم بها البنك بتقديمها لعملائه، وهي نشاط أو مجموعة من الأنشطة التي يكون جوهرها غير ملموس والتي يكون الهدف منها تحقيق رضا الزبون، وقد ترتبط عملية إنتاجها بمنتج مادي أو لا ترتبط ولا توجد فيها انتقال للملكية وبهذا فقد اشتمل مفهوم الخدمة المصرفية بعدين أساسيين هما: البعد الفني، والبعد الوظيفي فالبعد الفني هو مجموعة من المنافع التي يسعى العميل إلى تحقيقها من استخدامه للخدمة المصرفية، ففي الخدمات الإلكترونية الحديثة كاستخدام الصراف الآلي (ATM) مثلاً يبحث الزبون عن الجودة الخدمية في دقة، وسرعة، وكفاءة الصراف الآلي وانعدام الأعطال فيه، أما في البعد الوظيفي الذي يتمثل في مجموعة الخصائص التي تتصف بها الخدمة المصرفية ففي حالة إيداع مبلغ من المال في المصرف يبحث الزبون عن

تعامل وسلوك العاملين والموظفين في المصرف وطريقة تعاملهم مع الزبون (أوسو وآخرون، 2008، ص:17).

### إدارة الخدمات المصرفية الإلكترونية:-

تحتاج الخدمات المصرفية الإلكترونية إلى عدة متطلبات أساسية تجب توافرها لإدارتها وهذه المتطلبات تتمثل بالآتي:

1. **البنية التحتية:-** الإدارة الإلكترونية تتطلب وجود مستوى مناسب و عال من البنية التحتية التي تتضمن سير الخدمات في ظلها بشكل سلس، والتي تتضمن شبكة حديثة للاتصالات والبيانات وبنية تحتية متطورة للاتصالات تكون قادرة على تأمين التواصل ونقل المعلومات بين المؤسسات الإدارية نفسها من جهة وبين المؤسسات والمواطن من جهة أخرى، فهما كانت البنية التحتية متقدمة تتأثر إيجاباً في نجاح الخدمات الإلكترونية، حيث أن توافر الوسائل الإلكترونية اللازمة وغيرها من الأجهزة التي تمكننا من الاتصال بالشبكة العالمية أو الداخلية في البلد وبأسعار معقولة تتيح لمعظم المواطنين الحصول على هذه الخدمات الإلكترونية وتسهيل إدارتها.
2. **عنصر الأمان:-** وهي تتمثل باستخدام تقنيات وأساليب متعددة لتوفير عنصر الأمان من أجل حماية شبكة وأنظمة البنك الداخلية من عمليات الهجوم الإلكتروني، حيث أن توفير الأمان الإلكتروني والسرية الإلكترونية على مستوى عال الحماية للمعلومات العملاء ولصون الأرشيف الإلكتروني من أي عبث والتركيز على هذه النقطة لها من أهمية خاصة في إدارة هذه الخدمات.
3. **الكوادر البشرية:-** إن من مستلزمات تطبيق الخدمات الإلكترونية وجود وتوفر كوادر بشرية مؤهلة القادرة على أداء الأنماط الجديدة من العمل القائم على التقنيات الحديثة، وهذا يتطلب تواصل التأهيل والتدريب للكوادر في مختلف الوظائف الفنية والمالية والتسويقية والاستشارية والإدارية، كما أنه يجب نشر ثقافة استخدام هذه الخدمات وطرق ووسائل استخدامها للمواطنين أيضاً.
4. **التقييم المستمر:-** من متطلبات استمرارية تطبيق الخدمات المصرفية التقييم الموضوعي والمستمر لفاعلية أداء أدواتها الإلكترونية وذلك بالاستعانة بالجهات والكوادر المتخصصة من أجل معرفة سلامة ادائها والوقوف على الصعوبات التي تواجه عملها واتخاذ القرارات والإجراءات المناسبة للحد منها.
5. **توافر خدمة الانترنت:-** إن توفر خدمة الإنترنت بين المواطنين بشكل واسع وبأسعار معقولة قدر الإمكان فإن ذلك يسهل فتح المجال لأكبر عدد ممكن من المواطنين للتفاعل مع الإدارة الإلكترونية في أقل جهد وأقصر وقت وأقل كلفة ممكنة.

6. وجود التشريعات والنصوص القانونية التي تسهل عمل الإدارة الإلكترونية وتضفي عليها المشروعية والمصدقية وكافة النتائج القانونية المترتبة عليها (يوسف، 2012، ص: 68-69).

### التسويق المصرفي الإلكتروني:-

يعد التسويق المصرفي الإلكتروني أحد حقول المعرفة التسويقية الحديثة التي حظيت باهتمام الكثير من الكتاب والباحثين وذلك نظراً لما يتصف به هذا الحقل من تخصصية شديدة ودرجة من التقاطع المعرفي بين مجموعة من المعارف العلمية كالتسويق، والعلوم المعرفية، والمالية، والعلوم السلوكية وغيرها، كما أصبح اليوم أحد ضروريات الحياة إذ يوجد أعداد هائلة من المستخدمين يتصلون بشبكة الإنترنت يومياً من جميع أنحاء العالم، والتي تشكل فرصاً تسويقية يمكن استثمارها وذلك بتحويلها إلى سوق مفتوح متنوع الجمهور لترويج الخدمات المصرفية المختلفة لهذا ونظراً للدور الحيوي الذي يقوم به التسويق المصرفي الإلكتروني على مستوى دعم الكيان المصرفي وبقائه واستمراره، فقد أدركت الإدارة في المؤسسات المصرفية أهمية هذا الدور خاصة مع ما تتصف به خدماتها من خصائص تكاد تنفرد بها دون سواها من الخدمات الأخرى، حيث برزت نتيجة لذلك معطيات واعتبارات أثبتت الدراسات والأبحاث أنها تحكم اختيار الفرد للمصرف الذي يتعامل معه، وظهرت اعتبارات أخرى كجودة الخدمة وطريقة التعامل مع الجمهور وخدمات ما بعد البيع كمعايير هامة في اختيار العملاء للمصرف وخدماته (معلا، 2007)، كما شهدت الصناعة المصرفية في الآونة الأخيرة تقدماً ملموساً في مجال السماح لعملاء البنوك بإجراء العمليات المصرفية من خلال شبكات الاتصال الإلكترونية، ومن المتوقع أن تنتشر هذه العمليات بشكل واسع في الفترة المقبلة خاصة في ظل التطور المستمر في مجال التقنية الخاصة بالعمليات المصرفية، ويقصد بالعمليات المصرفية الإلكترونية تقديم البنوك لخدمات المصرفية التقليدية أو المبتكرة من خلال شبكات اتصال إلكترونية تقتصر صلاحية الدخول إليها على المشاركين فيها وفقاً لشروط العضوية التي تحددها البنوك (معلا، 2007).

### مفهوم التسويق المصرفي الإلكتروني:-

يعد التسويق المصرفي الإلكتروني أحد حقول المعرفة التسويقية نظراً للدور الحيوي الذي يقوم به على مستوى دعم الكيان المصرفي وبقائه واستمراره (أبو خريص وآخرون، 2015، ص: 160)، حيث يشير التسويق المصرفي الإلكتروني إلى تطبيق مبادئ وتقنيات التسويق عبر وسائل الإعلام الإلكترونية وبشكل أكثر تحديداً عبر الإنترنت (داود وآخرون، 2017، ص: 70)، كما يسمح التسويق المصرفي الإلكتروني للعملاء بالوصول المباشر إلى المعلومات المالية، كما أنه يعمل على توسيع المعاملات المالية دون الحاجة للذهاب إلى المصرف (مطاي وآخرون، 2019، ص: 122)، ويعتبر التسويق المصرفي

الالكتروني من أفضل الأساليب في عملية التسويق إذ يؤدي إلى خلق فرص أمام المصارف ورجال التسويق فهو قائم على اختصار الوقت والجهد (Akingeie & Olorunleke,2010, p:210).  
أهمية التسويق المصرفي الالكتروني:-

- تكمُن أهمية التسويق المصرفي الالكتروني في الآتي :
1. تقديم خدمات متنوعة للمستخدمين عبر الانترنت مثل خدمة معرفة الرصيد وتسديد الفواتير ودفع المبالغ المستحقة وتحصيل الديون وتقديم الائتمان المصرفي.
  2. الحصول على المعلومات الكافية حول أي خدمة مصرفية ومميزاتها.
  3. انخفاض تكاليف التسويق المصرفي الالكتروني.
  4. يسهم استخدام تقنيات التسويق المصرفي في زيادة كفاءة التسويق ودعم العلاقة مع العملاء وزيادة حجم التعامل.
  5. يوفر التسويق المصرفي الالكتروني الوقت والجهد (الشعري، 2019، ص: 28).
- دراسات سابقة :-

ومن بين تلك الدراسات الدراسات الآتية:

1. دراسة قديمي (2007): تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على ماهية الصيرفة الالكترونية التي توفرها البنوك التجارية الاردنية وتحليل اهم معوقاتا ومخاطرها ومقومات نجاحها، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات موجّهة الى مدراء وموظفي دائرة الخدمات الالكترونية في جميع البنوك التجارية الأردنية للتعرف على آرائهم فيما يتعلق بالصيرفة الالكترونية في الأردن، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن وجود معوقات مثل غياب التشريعات، والوعي المجتمعي، وارتفاع كلفة الانترنت تحد من انتشار الصيرفة الالكترونية بالرغم من تمتعها بعدة مزايا منها الدقة والسرعة وانخفاض التكاليف.
2. دراسة (Ahmed, et, al,2013): تهدف هذه الدراسة إلى تقييم تأثير الوعي على موقف العملاء من الخدمات المصرفية عبر الإلكتروني في دلهي، والبحث في تأثير عوامل سهولة الاستخدام والفائدة، والأمن والخصوصية، والمخاطر المتوقعة على درجة الوعي لدى العملاء، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الارتباطي، كما استخدمت الاستبانة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (250) فرداً، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن الاختلاف في موقف العملاء من استخدام الخدمات المصرفية بدأ الإلكتروني تعتمد على كافة العوامل سابقة الذكر.

3. دراسة محمود وآخرون (2015): تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى واقع الخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة في المصارف الخاصة في محافظة اللاذقية، ومعرفة مستوى رضی العاملين في المصارف الخاصة على الخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة من قبلها، حيث استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لقياس رضی العاملين في المصارف الخاصة على مستوى الخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة في المصارف المذكورة، حيث تم تصميم وتوزيع استبانة على العاملين في تلك المصارف بغية قياس درجة جودة الخدمات والصعوبات التي تواجه العمل المصرفي الإلكتروني، وبعد تحليل البيانات باستخدام برنامج التحليل الإحصائي ال (SPSS) تبين عدم توفر جودة للخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة في المصارف الخاصة في منطقة الدراسة وفقاً للأبعاد التالية (الجودة، الشمولية، الصعوبات، الرضا) من وجهة نظر العاملين في المصارف الخاصة.
4. دراسة العضايلة وآخرون (2016): تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤثرة على استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية عبر الإنترنت من وجهة نظر العملاء في إقليم الجنوب في الأردن، وقد تضمنت عوامل الدراسة (مستوى المهارة التقنية، والفائدة المدركة والثقة، وتوافر المعلومات، وتصميم الخدمة) واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (339) فرداً، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن العوامل (مستوى المهارة التقنية، الفائدة المدركة، توافر المعلومات) كان لها أثر كبير ذو دلالة إحصائية على استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية عبر الإنترنت في حين تبين عدم وجود أثر دال إحصائياً لكل من (الثقة، وتصميم الخدمة) على استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية عبر الإنترنت، كما أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن مستوى استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية عبر الإنترنت في إقليم الجنوب لا يزال منخفضاً.
5. دراسة (Ling et al. 2016): تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العوامل المؤثرة على رضا العملاء تجاه الخدمات المصرفية الإلكترونية في ماليزيا، حيث استخدمت هذه الدراسة المنهج الارتباطي لبلوغ أهدافها، كما استعانت بالاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (200) موظف في مدينة (Melaka) في (Malaysia) وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن من أهم ثلاثة عوامل ترتبط برضا العملاء تجاه الخدمات المصرفية الإلكترونية هي تصميم الموقع الإلكتروني بين للخدمات المصرفية، ومحتواه، وسهولة الاستخدام والسرعة، بينما أشارت نتائج الدراسة إلى عدم ارتباط عاملي جودة الخدمات، وسرية المعلومات، وخصوصيتها برضا العملاء تجاه الخدمات المصرفية عبر الإنترنت.
6. دراسة (Gezu, et, al, 2017): تهدف هذه الدراسة إلى تقييم تبني الخدمات المصرفية الإلكترونية بين البنوك التجارية في إثيوبيا من وجهة نظر العملاء، كما استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي

والارتباطي، بعينة بلغت (11) بنكاً تجارياً في إثيوبيا، كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (450) فرداً، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن التكلفة، والثقة، والخصوصية، والأمان من العوامل المهمة في تبني الخدمات المصرفية الإلكترونية بين البنوك التجارية في إثيوبيا.

7. دراسة عارف وآخرون (2017): تهدف هذه الدراسة الى التعرف على واقع تطبيق الخدمات المصرفية الالكترونية لدى البنوك العاملة في محافظة السلیمانية من خلال ادارة هذه الخدمات والمعوقات التي تواجه هذه البنوك في تطبيقها، وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بعينة بلغت (59) وقد أسفرت نتائج هذه الدراسة الى ان هناك بدايات لتطبيق الخدمات المصرفية الالكترونية لدى البنوك العاملة في محافظة السلیمانية.

8. دراسة (Aboobucker,et,al ,2018): تهدف هذه الدراسة إلى معرفة العوامل التي تعيق قبول الخدمات المصرفية عبر الإنترنت (الأمان والخصوصية، والثقة، والمخاطر المتصورة وسهولة استخدام الموقع)، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (186) فرداً من العملاء الذين يستخدمون الخدمات المصرفية عبر الإنترنت في سيرلانكا، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن عامل الثقة وسهولة استخدام الموقع يعيقان قبول الخدمات المصرفية عبر الإنترنت بدلالة إحصائية، بينما الأمان، والخصوصية، والمخاطر المتصورة ليس لها أثر يعيق استخدام الخدمات المصرفية عبر الإنترنت بدلالة إحصائية.

9. دراسة (Hammoud, et, al, 2018): تهدف هذه الدراسة إلى البحث في العلاقة بين أبعاد جودة الخدمات المصرفية الإلكترونية ورضا العملاء لتحديد البعد الذي يمكن أن يكون له التأثير الأكبر على رضا العملاء، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، كما استعانت بالاستبانة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (258) من عملاء البنوك في القطاع المصرفي في لبنان وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن الموثوقية، والكفاءة، والسهولة في الاستخدام والاستجابة، والاتصال، وسرية المعلومات وخصوصيتها لها التأثير الكبير على رضا العملاء، وبينت أن أقوى بعد وله التأثير الأكبر على رضا العملاء هو الموثوقية.

10. دراسة عبد العال (2019) : تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم العوامل المؤثرة في استخدام الخدمات الإلكترونية البنكية للخصوصية والأمان، وسهولة الاستخدام، والترويج، والثقة وتدريب المعتمدين لدى عملاء البنك العربي، ومدى استخدامهم لها، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لبلوغ أهدافها، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (368) فرداً من معتمدي البنك العربي في فرع أريحا، وقد أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن هناك تأثيراً قوياً

للعوامل المؤثرة في الطلب على الخدمات الإلكترونية التي يقدمها البنك العربي المعتمدة من حيث الخصوصية، والأمان، سهولة الاستخدام، الترويج، الثقة وتدريب المعتمدين، كما أظهرت النتائج تنوع الخدمات الإلكترونية التي يستخدمها معتمدو البنك العربي سواء النقدية منها وغير النقدية، كما أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين العوامل المؤثرة في الطلب على الخدمات الإلكترونية وبين مدى استخدامها تعزى لمتغير الجنس وكانت لصالح الذكور، في حين أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير العمر، وطبيعة المعتمد، ومكان سكنه، ومستواه التعليمي، في حين أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى استخدام المعتمدين للخدمات الإلكترونية التي يقدمها البنك العربي تعزى لمتغير الجنس، ومتغير العمر، وطبيعة المعتمد، ومكان سكنه ومستواه التعليمي.

#### التعليق على الدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية:-

اتفقت كل الدراسات السابقة تقريباً بشكل أو بآخر في أهدافها، حيث تبلورت أهدافها إما في دراسة العوامل المؤثرة في انتشار الصيرفة الإلكترونية، أو في تقييم تأثير الوعي على موقف العملاء من الخدمات المصرفية الإلكترونية أو التعرف على واقع الخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة في المصارف التجارية، أو الكشف عن العوامل المؤثرة على رضا العملاء تجاه الخدمات المصرفية، أو محاولة التعرف على واقع إدارة الخدمات المصرفية الإلكترونية والتحديات التي تواجهها، ومحاولة إيجاد العلاقة التي تربط بين أبعاد جودة الخدمات المصرفية الإلكترونية ورضا العملاء، أما عن هدف دراسة الباحث فهدفت دراسة الباحث إلى التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية، أما عن الأدوات المستخدمة في كل الدراسات السابقة فكانت الاستبانة وهذا ما يتوافق مع الأداة التي استخدمتها هذه الدراسة، أما عن المناهج المستخدمة في الدراسات السابقة فاستخدمت كل الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي باستثناء دراسة لينج وآخرين (Ling et al. 2016)، ودراسة (Gezu, et, al 2017) حيث استخدمتا المنهج الارتباطي، أما دراسة Ahmed, et, al (2013) فقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الارتباطي معاً، أما عن دراسة الباحث فاستخدمت المنهج الوصفي التحليلي كمعظم الدراسات السابقة، أما عن نتائج الدراسات السابقة فأسفرت نتائجها في معظمها عن وجود عدد من العوامل المؤثرة في انتشار الصيرفة الإلكترونية، اختلفت هذه العوامل من دراسة لأخرى حسب العوامل التي تم دراستها في هذه الدراسات، وهذا ما أسفرت عنه دراسة الباحث والتي جاءت لسد الفجوة البحثية وهي التعرف على معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية، حيث أسفرت نتائج هذه الدراسة عن وجود

عدد من المعوقات التقنية، والفنية، والإدارية، والأمنية، حيث تصدرت المعوقات الإدارية قائمة تلك المعوقات، وتليها المعوقات التقنية، وتليها المعوقات الفنية، واخيرا تتربع المعوقات الأمنية في آخر قائمة تلك المعوقات، وبمقارنة نتائج الدراسات السابقة بنتائج دراسة الباحث نجد أن هناك توافق تقريبا بين هذه النتائج، حيث أسفرت كل النتائج عن وجود عدد من التحديات التي تواجه الخدمات المصرفية الإلكترونية والعوامل التي تؤثر في جودة الخدمات المصرفية الإلكترونية، باختلاف تلك العوامل والمعوقات التي تم دراستها من دراسة لأخرى.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:-

من الممكن إجمال ما استفاد منه الباحث من الدراسات السابقة في النقاط التالية:

1. استفاد الباحث من الدراسات السابقة في أخذ معلومات ذات قيمة علمية، وتعتبر سندا علمياً يمكن للباحث أن يقيس عليها معلوماته.
2. من خلال هذه الدراسات أصبح لدى الباحث القدرة على معرفة كيفية تناول الباحثين الآخرين لهذا الموضوع، وبالتالي تمكن الباحث من الوصول للثغرات التي لم يتحدثوا عنها ويقوم هو بالحديث عنها كسابقة علمية وإضافة معلومات جديدة.
3. استفاد الباحث من هذه الدراسات في معرفة الهيكلية العامة للبحث والتعرف عن قرب على كيفية كتابة البحث بالترتيب وبعناصره الكاملة، وماهية كل عنصر من هذه العناصر.
4. قامت الدراسة بالارتكاز على الدراسات السابقة في تحديد نقطة البداية والانطلاق لدراسته، فوقف عند الأمور التي توقفت عليها تلك الدراسات ثم أكمل وأضاف إليها وعليها معلومات جديدة.
5. وجود دراسات سابقة عديدة يؤكد على مدى أهمية الموضوع الذي تناوله الباحث في دراسته الحالية، وبالتالي إقناع القارئ بهذه الأهمية وزيادة جذب القراء، ومن خلال الاستطلاع والتغذية الفكرية التي أخذها الباحث من هذه الدراسات أمكنه تحديد عناصر دراسته أو بالأحرى تحديد الفرضيات والمتغيرات التي ستسير عليها دراسته.
6. كانت الدراسات السابقة من مصادر المعلومات الأساسية للباحث، فمن خلال هذه الدراسات قام الباحث باقتباس الكثير من المعلومات، وكذلك قام الباحث بإجراء العديد من العمليات المعرفية مثل المناقشات، والتحليلات، والمقارنات من خلال هذه الدراسات.
7. لا تعود الدراسات السابقة بالفائدة على الباحث وعلى الدراسة فقط، بل تعود بالفائدة على القارئ أيضاً، ولربما هذا الجانب لم يلتفت إليه الكثير، ولكن المتفكر فيه يجد أن هذه الاستفادة يلبسها القارئ بشكل جدي سواء لاحظ القارئ ذلك أم لم يلاحظ، فمنها أن القارئ من خلال وجود معلومات مقتبسة من

هذه الدراسات يجد تنوعاً في الطرح، ويجد أمامه قلب نقاشي وحواري بين الباحثين حيث تمثل كل دراسة وجهة نظر كاتبها، وهذا يجعل القارئ يندمج مع ما يقرأه ويتابع القراءة ويستفيد من المعلومات بشكل واسع، وكذلك فإن القارئ عندما يجد التحليلات، والنقاشات، والمقارنات يكون بذلك قد لمس تنوع في طريقة عرض المعلومات، ويمكن للقارئ من خلال هذه الدراسات أن يفهم توجه كاتب الباحث ويتوقع النتائج التي سيصل إليها الباحث من خلال تناوله للدراسات السابقة، كما أن تمنع القارئ في المعلومات المقتبسة من الدراسات السابقة يجعل لديه القدرة على تمييز الكثير من جوانب القوة والضعف في الدراسة التي يقرأها، وهذه الدراسات بشكل عام يمكن اعتبارها مادة تقدم العديد من الجوانب الخاصة بموضوع الدراسة للقارئ، وكذلك يمكن القول بأن هذه الدراسات يستفيد منها القارئ في كونها ذات طرح تاريخي في كثير من الأحيان فيتعرف القارئ على طبيعة تناول الموضوع على مر توارخ مختلفة.

إجراءات الدراسة:-

وللاجابة عن تساؤلات هذه الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للدراسات التي تهدف إلى دراسة الظاهرة كما هي في الواقع.

مجتمع الدراسة: ويتكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في جميع فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس والبالغ عددهم (300) موظف وعامل في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس.

عينة الدراسة: حيث تم اختيارها عن طريق تواصل الباحث مع عدد من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس، وقد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية من مجتمع الدراسة، وتمثل عينة الدراسة في:

1- العينة الاستطلاعية: وتشمل على عدد (20) من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس.

العينة الاستطلاعية	العدد الموزع	العدد المستدعى
ذكور	10	10
إناث	10	10
المجموع	20	20

## الجدول رقم (1) يوضح عينة الدراسة الاستطلاعية

2-العينة الفعلية: وتشمل علي عدد (100) من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس.

النسبة المئوية	العدد	العينة الفعلية
50%	50	ذكور
50%	50	إناث
100%	100	العدد الإجمالي

## الجدول رقم (2) يوضح عينة الدراسة الفعلية

أداة الدراسة:-

وتتمثل أداة الدراسة في الاستبانة حيث أخذت هذه الاستبانة من دراسة الباحثة رحاب فوزي عبد القادر، بعنوان معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية دراسة تطبيقية على مصرف الجمهورية بمدينة طرابلس، مجلة الدراسات الاقتصادية - كلية الاقتصاد - جامعة سرت المجلد الخامس - العدد الأول، للعام 2022م، حيث اشتملت الاستبانة على عدد (20) فقرة موزعة على عدة محاور كالآتي:

1. محور معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية من الناحية التقنية بعدد 5 فقرات.
2. محور معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية من الناحية الفنية بعدد 5 فقرات.
3. محور معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية من الناحية الأمنية بعدد 5 فقرات.
4. محور معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية من الناحية الإدارية بعدد 5 فقرات.

صدق وثبات أداة الدراسة:-

- 1- صدق المحكمين: تم عرض الاستبانة على عدد من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة لإبداء الرأي في فقراته بعدد (5) محكمين ثم أخذ آرائهم بعين الاعتبار.
- 2- صدق الاتساق الداخلي: تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية قوامها (20) من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس، وتم

استخدام معامل ارتباط بيرسون في حساب مدى ارتباط كل عبارة بأداة الدراسة، فكانت النتائج كالتالي:

الدلالة الإحصائية	معامل ارتباط بيرسون	محاور الاستبانة
دال عند 0.01	0.800	المعوقات التقنية
دال عند 0.01	0.815	المعوقات الفنية
دال عند 0.01	0.821	المعوقات الامنية
دال عند 0.01	0.835	المعوقات الإدارية
دال عند 0.01	0.817	معامل الارتباط الكلي

الجدول رقم (3) يوضح مدى ارتباط محاور الاستبانة بالاستبانة باستخدام معامل الارتباط بيرسون من خلال نتائج الجدول السابق تين لنا أن معاملات ارتباط العبارات بالاستبانة التي تتبعها كانت جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) مما يؤكد على أن جميع عبارات الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الصدق الداخلي.  
ثبات اداة الدراسة:-

ولحساب ثبات الاستبانة تم استعمال كلا من:-

1- معامل الثبات ألفا كرونباخ:- تم استخدام معامل الثبات (الفاكرونباخ) لحساب ثبات الاستبانة وذلك باستخدام البرنامج الاحصائي SPSS للبيانات التي تم الحصول عليها من العينة الاستطلاعية كما هو موضح بالجدول التالي :-

معامل الثبات الفاكرونباخ	محاور الاستبانة
0.822	المعوقات التقنية
0.845	المعوقات الفنية
0.789	المعوقات الامنية

معامل الثبات الفاكروناخ	محاور الاستبانة
0.877	المعوقات الإدارية
0.833	معامل الثبات الكلي

#### جدول رقم (4) يوضح حساب ثبات الاستبانة باستخدام معامل الثبات الفاكروناخ

من خلال نتائج الجدول السابق نستطيع القول بأن الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات.  
2- باستخدام طريقة التجزئة النصفية:-

حيث تمت تجزئة عبارات المقياس إلى نصفين العبارات الفردية في مقابل العبارات الزوجية، وتم استخدام معامل ارتباط بيرسون في حساب مدى الارتباط بين النصفين، وجرى تعديل الطول بمعامل سيبرمان وبراون وبمعامل حساب جتمان، فكانت النتائج كالتالي:

معامل الثبات	معامل الثبات	معامل الارتباط	محاور الاستبانة
سيبرمان وبراون	جتمان	بيرسون	
0.897	0.877	0.800	المعوقات التقنية
0.766	0.746	0.815	المعوقات الفنية
0.876	0.856	0.821	المعوقات الأمنية
0.878	0.858	0.835	المعوقات الإدارية
0.854	0.834	0.817	معامل الثبات الكلي

#### جدول رقم (5) يوضح حساب ثبات الاستبانة باستخدام طريقة التجزئة النصفية

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الثبات للاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات.  
جمع البيانات:- تم جمع البيانات عن طريق الاستبانة حيث تم إرسالها ورقيا لعدد من العاملين في مجال الصيرفة الإلكترونية والتسويق الإلكتروني في عدد من فروع مصرف الصحاري بمدينة طرابلس، وتم إرجاع عدد (100) استبانة من عدد (100) استبانة موزعة .

تحليل بيانات:- ولتحقيق أهداف البحث والإجابة عن أسئلتها والتحقق من فرضياتها قام الباحث باستخدام برنامج تحليل البيانات الإحصائية (SPSS) لمعالجة البيانات الإحصائية، وقد استخدم الباحث

لذلك الأساليب الإحصائية الآتية المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، والوزن النسبي، والتوزيع التكراري، واختبار (ت).

الأساليب الإحصائية المستخدمة في هذه الدراسة:-

والتي تتمثل في: المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والنسبة المئوية، والوزن النسبي، واختبار (ت)، ومعامل الثبات ألفا كرونباخ، ومعامل الارتباط بيرسون، ومعامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية. نتائج الدراسة:-

نتائج السؤال الأول:

والذي يمثل في: ما هي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية التقنية ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل فقرة من فقرات هذا المحور فكانت النتائج كالاتي :

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	درجة التوافق	الرتبة
لا تتوفر بالمصرف بنية تحتية تقنية كافية	3.50	1.10	70%	متوسطة	5
ارتفاع تكاليف الحصول على المعدات الالكترونية	3.76	0.95	75.2%	كبيرة	4
بط خدمة الانترنت من المزود	3.88	0.93	77.6%	كبيرة	2
لا يتوفر بالمصرف العدد الكافي من الخبراء في مجال التقنية المصرفية	3.80	0.99	76%	كبيرة	3
التكنولوجيا المستخدمة في المصرف غير حديثة	4.22	0.79	84.3%	كبيرة	1
المتوسط الحسابي العام	3.83	0.95	76.62%	كبيرة	

الجدول رقم (6) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لدرجات استجابة أفراد العينة على فقرات محور المعوقات التقنية

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق كبير لأفراد عينة الدراسة على فقرات هذا المحور، والذي يهدف للكشف عن أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية التقنية في المصارف التجارية بمتوسط

حسابي عام (3.83) وانحراف معياري عام (0.95) وبوزن نسبي بلغ (76.62%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعاً على فقرات هذا المحور كالتالي:-

1. العبارة الخامسة: (التكنولوجيا المستخدمة في المصرف غير حديثة) حيث جاءت

استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (4.22) وانحراف معياري (0.79) وبوزن نسبي (84.3%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

2. العبارة الثالثة: (بطء خدمة الانترنت من المزود) حيث جاءت استجابات أفراد

العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.88) وانحراف معياري (0.93) وبوزن نسبي (77.6%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.

3. العبارة الرابعة: (لا يتوفر بالمصرف العدد الكافي من الخبراء في مجال التقنية

المصرفية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.80) وانحراف معياري (0.99) وبوزن نسبي (76%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.

نتائج السؤال الثاني-

والذي يمثل في: ما هي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الفنية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل فقرة من فقرات الاستبانة فكانت النتائج كالتالي

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	درجة التوافق	الرتبة
صعوبة التنقل عبر المواقع الالكترونية	3.92	0.83	78.4%	كبيرة	2
بعض العملاء ليس لديهم القدرة التقنية الكافية	3.57	1.03	71.3%	متوسطة	5
تدريب العاملين غير كافي لمواكبة المستجدات	3.85	0.98	77%	كبيرة	3
عدم قيام المصرف بدوره في شرح	3.96	0.96	79.2%	كبيرة	1

الرتبة	درجة التوافق	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارات
					الإجراءات اللازمة لاستخدام الخدمات المصرفية الالكترونية
4	متوسطة	74.2%	1.14	3.71	الصعوبة في توصيل الخدمة المصرفية الالكترونية للعملاء
	كبيرة	76.02%	0.98	3.80	المتوسط الحسابي العام

الجدول رقم (7) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لدرجات استجابة أفراد العينة على فقرات محور المعوقات الفنية

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق كبير لأفراد عينة الدراسة على فقرات هذا المحور، والذي يهدف للكشف عن أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الفنية في المصارف التجارية بمتوسط حسابي عام (3.80) وانحراف معياري عام (0.98) وبوزن نسبي بلغ (76.02%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعاً على فقرات الاستبانة كآتي:-

1. العبارة الرابعة: (عدم قيام المصرف بدوره في شرح الإجراءات اللازمة لاستخدام الخدمات المصرفية الالكترونية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.96) وانحراف معياري (0.96) وبوزن نسبي (79.2%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

2. العبارة الأولى: (صعوبة التنقل عبر المواقع الالكترونية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.92) وانحراف معياري (0.83) وبوزن نسبي (78.4%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.

3. العبارة الثالثة: (تدريب العاملين غير كافي لمواكبة المستجدات) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.85) وانحراف معياري (0.98) وبوزن نسبي (77%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.

## نتائج السؤال الثالث:-

والذي يمثل في: ما هي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الأمنية ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل فقرة من فقرات الاستبانة فكانت النتائج كالاتي

الرتبة	درجة التوافق	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارات
3	متوسطة	%73.8	1.25	3.69	التشريعات القانونية محدودة في مواجهة الاختراقات للأنظمة والشبكات
5	متوسطة	%70.8	1.02	3.54	عدم تقبل بعض العملاء لفكرة التعامل بالإنترنت وإحساسهم بالمخاطر
1	كبيرة	%79	0.95	3.95	الخوف من الاحتيال الالكتروني
4	متوسطة	%73.2	1.06	3.66	الشبكة الالكترونية سهلة الاختراق
2	كبيرة	%76.8	0.89	3.84	قلة الضمانات المقدمة من المصرف تحول دون شعور العملاء بالأمان
	متوسطة	%74.72	1.03	3.73	المتوسط الحسابي العام

الجدول رقم (8) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لدرجات استجابة

أفراد العينة على فقرات محور المعوقات الأمنية

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق بدرجة متوسطة لأفراد عينة الدراسة على فقرات هذا المحور، والذي يهدف للكشف عن أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية في المصارف التجارية من الناحية الأمنية بمتوسط حسابي عام (3.73) وانحراف معياري عام (1.03) وبوزن نسبي بلغ (74.72%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعاً على فقرات الاستبانة كالاتي:-

1. العبارة الثالثة: (الخوف من الاحتيال الالكتروني) حيث جاءت استجابات أفراد

العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.95) وانحراف معياري (0.95) وبوزن نسبي

(79%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة ، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

2. العبارة الخامسة: (قلة الضمانات المقدمة من المصرف تحول دون شعور العملاء

بالأمان) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.84) وبانحراف معياري (0.89) وبوزن نسبي (76.8%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.

3. العبارة الأولى: (التشريعات القانونية محدودة في مواجهة الاختراقات للأنظمة

والشبكات) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.69) وبانحراف معياري (1.25) وبوزن نسبي (73.8%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة متوسطة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.

#### نتائج السؤال الرابع:-

والذي يمثل في: هي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في المصارف التجارية من الناحية الإدارية ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل فقرة من فقرات هذا المحور فكانت النتائج كالتالي:

الرتبة	درجة التوافق	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارات
1	كبيرة جدا	88%	0.77	4.40	لا توجد إدارة متخصصة بالتسويق الالكتروني في المصرف
4	متوسطة	72.6%	1.08	3.63	عدم تقبل بعض العاملين لتطبيق التسويق الالكتروني
3	كبيرة	79.4%	0.98	3.97	عدم إلمام كثير من إدارات المصارف بأهمية التسويق الالكتروني
5	متوسطة	68.2%	1.11	3.41	ارتفاع التكلفة المادية للتحويل للتسويق الالكتروني
2	كبيرة	84.3%	0.79	4.22	عدم وضوح الرؤية المستقبلية للتسويق الالكتروني لدى مدراء المصارف

الرتبة	درجة التوافق	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارات
	كبيرة	%78.5	0.94	3.92	المتوسط الحسابي العام

الجدول رقم (9) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لدرجات استجابة أفراد العينة على فقرات محور المعوقات الإدارية

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق كبير لأفراد عينة الدراسة على فقرات هذا المحور، والذي يهدف للكشف عن أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية في المصارف التجارية من الناحية الإدارية بمتوسط حسابي عام (3.92) وانحراف معياري عام (0.94) وبوزن نسبي بلغ (%78.5) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعاً على فقرات الاستبانة كالتالي:-

1. العبارة الأولى: (لا توجد إدارة متخصصة بالتسويق الإلكتروني بالمصرف) حيث

جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (4.40) وانحراف معياري (0.77) وبوزن نسبي (%88) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة جداً، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

2. العبارة الخامسة: (عدم وضوح الرؤية المستقبلية للتسويق الإلكتروني لدى مدراء

المصارف) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (4.22) وانحراف معياري (0.79) وبوزن نسبي (%84.3) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.

3. العبارة الثالثة: (عدم المام الكثير من إدارات المصارف بأهمية التسويق

الإلكتروني) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.97) وانحراف معياري (0.98) وبوزن نسبي (%79.4) وجاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.

نتائج السؤال الرئيس:-

والذي يمثل في: ما هي أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية في المصارف التجارية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل محاور الاستبانة فكانت النتائج كالتالي:

الرتبة	درجة التوافق	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	محاور الاستبانة
2	كبيرة	%76.62	0.95	3.83	المعوقات التقنية
3	كبيرة	%76.2	0.98	3.80	المعوقات الفنية
4	متوسطة	%74.72	1.03	3.73	المعوقات الامنية
1	كبيرة	%78.5	0.94	3.92	المعوقات الإدارية
	كبيرة	%76.51	0.97	3.82	المتوسط الحسابي العام

الجدول رقم (10) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية العامة لدرجات

#### استجابة أفراد العينة على محاور الاستبانة

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق كبير لأفراد عينة الدراسة على محاور الاستبانة، والتي تهدف للكشف عن أهم معوقات تسويق الخدمات المصرفية في المصارف التجارية بمتوسط حسابي عام (3.82) وبانحراف معياري عام (0.97) وبوزن نسبي بلغ (76.51%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعاً على محاور الاستبانة كالتالي:-

1. المحور الأول: (المعوقات التقنية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.83) وبانحراف معياري (0.95) وبوزن نسبي (76.62%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بنسبة كبيرة، حيث يأتي هذا المحور في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.
2. المحور الثاني: (المعوقات الفنية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.80) وبانحراف معياري (0.98) وبوزن نسبي (76.2%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بنسبة كبيرة، حيث يأتي هذا المحور في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.
3. المحور الثالث: (المعوقات الأمنية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.73) وبانحراف معياري (1.03) وبوزن نسبي (74.72%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بنسبة متوسطة، حيث يأتي هذا المحور في المرتبة (الرابعة) من حيث درجة التوافق.

4. المحور الرابع: (المعوقات الإدارية) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بالموافقة، بمتوسط حسابي (3.92) وبانحراف معياري (0.94) وبوزن نسبي (78.5%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذا المحور بنسبة كبيرة، حيث يأتي هذا المحور في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

وبمقارنة نتائج الدراسات السابقة بنتائج دراسة الباحث نجد أن هناك توافق تقريباً بين هذه النتائج، حيث أسفرت كل النتائج عن وجود عدد من التحديات التي تواجه الخدمات المصرفية الإلكترونية والعوامل التي تؤثر في جودة الخدمات المصرفية الإلكترونية، باختلاف تلك العوامل والمعوقات التي تم دراستها من دراسة لأخرى.

#### نتائج السؤال الخامس:-

والذي ينص على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/إناث)؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وقيمة (ت) ودرجة الحرية، لاستجابات أفراد عينة الدراسة فكانت النتائج كالآتي:

عدد فقرات الاستبانة	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
20 فقرة	ذكور	50	3.82	0.97	74	0.76	0.45
	إناث	50	3.92	0.94			

الجدول رقم (11) يوضح استخدام عدد من الأساليب الإحصائية لتحديد الفروق في مستوى

استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس

ويتضح من النتائج المتحصل عليها من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث) حيث بلغت قيمة ت (0.76) وهي قيمة غير دالة إحصائية، مما يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى (0.01).

الاستنتاجات:-

أسفرت نتائج هذه الدراسة عن:

1. وجود عدد من المعوقات التقنية التي تعيق تسويق الخدمات المصرفية الإلكترونية والمتمثلة في عدم توفر بنية تحتية تقنية كافية، ارتفاع تكاليف المعدات الإلكترونية، بطء خدمة الانترنت من المزود، لا

يتوفر بالمصرف العدد الكافي من الخبراء في مجال التقنية المصرفية، عدم استحداث التكنولوجيا المستخدمة في المصارف.

2. وجود عدد من المعوقات الفنية التي تعيق تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية والمتمثلة في صعوبة التنقل عبر المواقع الالكترونية، بعض العملاء ليس لديهم القدرة التقنية الكافية، تدريب العاملين غير كافي لمواكبة المستجدات، عدم قيام المصرف بدوره في شرح الإجراءات اللازمة لاستخدام الخدمات المصرفية الالكترونية، الصعوبة في توصيل الخدمة المصرفية الالكترونية للعملاء.

3. وجود عدد من المعوقات الأمنية التي تعيق تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية والمتمثلة في التشريعات القانونية محدودة في مواجهة الاختراقات للأنظمة والشبكات، عدم تقبل بعض العاملين لتطبيق التسويق الالكتروني، عدم اقتناع بعض العملاء لفكرة التعامل بالإنترنت وإحساسهم بالمخاطر، الخوف من الاحتيال الالكتروني، الشبكة الالكترونية سهلة الاختراق، قلة الضمانات المقدمة من المصرف والتي تحول دون شعور العملاء بالأمان.

4. وجود عدد من المعوقات الإدارية التي تعيق تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية والمتمثلة في عدم وجود إدارات متخصصة بالتسويق الالكتروني بالمصارف، عدم تقبل بعض العاملين لتطبيق التسويق الالكتروني، عدم إلمام كثير من إدارات المصارف بأهمية التسويق الالكتروني، ارتفاع التكلفة المادية للتحويل للتسويق الالكتروني، عدم وضوح الرؤية المستقبلية للتسويق الالكتروني لدى مدراء المصارف.

5. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/ إناث).

#### التوصيات:-

وبعد الرحلة التي خضناها في هذه الدراسة والطواف في فصولها يوصي الباحث ب:

1. توفير بنية تحتية تقنية كافية للمصارف التجارية.
2. توفير المعدات الالكترونية وبأسعار زهيدة.
3. التحسين من جودة الإنترنت داخل المؤسسات والمصارف التجارية.
4. إعداد وتوفير الكوادر البشرية المؤهلة تأهيلا جيدا في مجال التقنية المصرفية.
5. استعمال التكنولوجيا الحديثة داخل المصارف التجارية.
6. توعية المواطنين بطريقة استخدام التقنيات والتكنولوجيا الحديثة عن طريق بث المحاضرات التوعوية والندوات والبرامج المرئية والمسموعة للتعريف بهذه التقنيات وكيفية استخدامها.

7. على المصارف التجارية فتح قنوات التواصل مع الزبائن للرد على تساؤلاتهم وثقيفهم بكيفية استخدام التقنيات الحديثة والحصول على الخدمات المصرفية.
8. سن القوانين والتشريعات الرادعة لمواجهة الاختراقات للشبكات والأنظمة الإلكترونية بشكل عام والتابعة للمصارف التجارية بشكل خاص.
9. العمل على حماية الشبكات الإلكترونية من الاختراق.
10. العمل على توفير إدارات متخصصة بالتسويق الإلكتروني داخل المصارف التجارية.
11. تخفيض من التكلفة المادية للتحويل للتسويق الإلكتروني.
12. توضيح الرؤية المستقبلية للتسويق الإلكتروني من قبل إدارات المصارف التجارية للزبائن.
13. تحسيس الرأي العام داخل المجتمع والمؤسسات المصرفية بأهمية التسويق الإلكتروني.
14. على إدارات المصارف التجارية تقديم كافة الضمانات للزبائن والعملاء بكل ما يتعلق بمعاملاته المصرفية لزرع الثقة بين العميل والمصرف لما له من انعكاسات إيجابية على العميل والمصرف وعلى التسويق الإلكتروني بشكل خاص.
15. الحد من جرائم الاحتيال الإلكتروني عن طريق سن القوانين والتشريعات الرادعة، والرفع من مستوى الحماية للشبكة والخدمات المصرفية المقدمة للعميل.
16. التسهيل في إيصال الخدمات المصرفية الإلكترونية للعملاء.

المراجع :-

أولاً: المراجع العربية:

1. اسعد محمود، وحبيب الحارث (2015) دراسة واقع الخدمات المصرفية الإلكترونية المقدمة في المصارف الخاصة في محافظة اللاذقية من وجهة نظر العاملين فيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد (37)، العدد (6).
2. أحمد سفر (2006) العمل المصرفي الإلكتروني في البلدان العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون، طرابلس، لبنان.
3. إبراهيم طلعت (2009) استراتيجيات التخطيط الاقتصادي، القاهرة، دار الكتاب الحديث للنشر.
4. أيمن عبد العال (2019) العوامل المؤثرة في استخدام الخدمات الإلكترونية في البنك العربي «حالة دراسية - فرع أريحا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس فلسطين. متوفر على الرابط:

<https://dspace.alquds.edu/handle/20.500.12213/5374>

5. بشير العجارمة ( 2005 ) التسويق المصرفي، الأردن، عمان، دار الجامعة للنشر.
6. تامر محمد محارمة (2005) قياس جودة الخدمات المصرفية للبنوك الوطنية التجارية القطرية، دراسة ميدانية، دورية الإدارة العامة، المجلد الخامس والأربعون، العدد الثالث، معهد الإدارة العامة، الرياض، ص: 511-549.
7. نائر عمران قدومي (2008) العوامل المؤثرة في انتشار الصيرفة الالكترونية، دراسة تطبيقية على المصارف التجارية الاردنية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، المجلد (11)، العدد (2).
8. حميد الطائي، وآخرون (2006) الأسس العلمية للتسويق الحديث، عمان، الأردن دار اليازوري.
9. حسن يوسف (2012) البنوك الإلكترونية، القاهرة، المركز القومي للإصدارات القانونية.
10. خيرى على أوسو، ولؤي لطيف بطرس (2008) تقسيم مستوى جودة المصرفية من وجهة نظر الزبائن دراسة استطلاعية، مجلة تنمية الرافدين، العدد (89).
11. رائد العضائلة، وهشام المبيضين، ومحمد السميرات (2016) العوامل المؤثرة على استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية عبر الإنترنت من وجهة نظر العملاء دراسة ميدانية على إقليم الجنوب في الأردن، المجلة الأردنية لإدارة الأعمال، 12 (3): 531 - 545.
12. زكية محلوس، وحنان بقاط، ويزيد دوه (2021) مساهمة الخدمات المصرفية الإلكترونية في تحسين جودة الخدمة المصرفية، دراسة حالة الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط، بنك وكالة الوادي، مجلة التنمية الاقتصادية، (6) 1 ، 126 - 115.
13. عبد القادر بريش (2007) جودة الخدمات المصرفية كمدخل لزيادة القدرة التنافسية لدى البنوك، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا 13 (3): 105-98.
14. علي العلوان، وهاني الضمور (2008) العوامل المؤثرة على تبني المستهلك الأردني لتكنولوجيا الخدمة الذاتية (تكنولوجيا الصراف الآلي)، مجلة دراسات العلوم الإدارية، المجلد (35) العدد (2)، الجامعة الأردنية، عمان، ص: 411-441.
15. عبد الهادي مسعودي (2016) الأعمال المصرفية الإلكترونية، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
16. عمران على أبو خريص، ومصطفى أحمد شكشك ( 2015 ) التسويق الالكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية: دراسة ميدانية عن المصارف التجارية بمدينة زليتن، المجلة الجامعة، المجلد (2)، العدد (17).

17. عبد القادر مطاي، وكريمة بن شنيعة (2019) مدى مساهمة التسويق المصرفي الإلكتروني في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات المصرفية بالجزائر: دراسة حالة بنك الفلاحة والتنمية الريفية، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد (14)، العدد (7).
18. فضيلة سلمان داوود وآخرون (2017) قياس مستوى الأداء المصرفي وفق متطلبات إدارة الجودة الشاملة والتسويق الإلكتروني، بحث استطلاعي في عينة من المصارف الأهلية، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (23)، العدد (98).
19. لطيف زيود وآخرون (2005) تقييم أداء المصارف باستخدام أدوات التحليل المالي، دراسة ميدانية للمصرف الصناعي السوري، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، العدد (27) جامعة تشرين، سوريا.
20. ليث هيثم الخماس الشمري، وعبد الرضا فرج بدرابي (2019) أثر استخدام التسويق الإلكتروني في جودة الخدمة المصرفية: دراسة استطلاعية لعينة من العاملين في المصارف الخاصة العراقية، المجلد (14) العدد (53).
21. ماجدة بن صالح (2021) العوامل المؤثرة على ثقة العملاء في الخدمات المصرفية الإلكترونية، دراسة حالة البنوك الجزائرية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة قلمة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر.
22. محسن ابراهيم عارف، مهدي كاوه محمد (2017) واقع ادارة الخدمات المصرفية الالكترونية والتحديات التي تواجهها في اقليم كردستان العراق، مجلة جامعة التنمية البشرية ، المجلد (3) العدد (4).
23. ناجي معلا (2003) العلاقات العامة ودورها في المصرف الحديث، اتحاد المصارف العربية، ط3.
24. ناجي معلا، ورائف توفيق (2005) أصول التسويق المصرفي مدخل تحليلي، عمان: دار وائل للنشر.
25. ناجي معلا (2007) الأصول العلمية للتسويق المصرفي، دائرة المكتبة الوطنية عمان.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- 1-Ahmad, I. & Bansal, N. (2013). A Study on Impact of E-Banking Awareness on Customers Attitudes Towards its use. International Journal of Marketing & Financial Management, 1(1): 1-23.
- 2-Akinyele.T & Olorunleke, K, 2010, Technology and Services Quality in The Banking Industry: an Empirical Study of Various Factors in Electronic Banking Services, International Business Management.
- 3-Aboobucker, I., & Bao, Y. (2018). What obstruct customer acceptance of internet banking? Security and privacy, risk, trust and website usability and the role of moderators. The Journal of High Technology Management Research, 29(1): 109-123. doi.org/10.1016/j.hitech.2018.04.010.
- Drucker, P. (2003), "Managing Organizations", 1<sup>st</sup> ed, 4-
- 5-Gezu, G. & Sintayehu, T. (2017). Determinants of E-Banking Services Adoption among Commercial Banks in Ethiopia: Analysis of Banks' Customers Perspectives. International Journal of Scientific & Engineering Research, 8(6), on line journal, retrieved from: [www.ijser.org](http://www.ijser.org).
- 6-Hammoud, J.; Bizri, R. & El Baba, I. (2018). The Impact of E-Banking Quality on Customer Satisfaction Evidence From the Lebanese Banking Sector. Available at: <https://journals.sagepub.com/doi/full/10.1177/2158244018790633>.
- 7-Khan, H. (2017). E-Banking: Benefits and Issues. American Research Journal of Business and Management, 3(1): 1-7..
- 8-Ling, G.; Fern, Y.; Boon, L. & Huat, T. (2016). Understanding Customer Satisfaction of Internet Banking: A Case Study In Malacca. Procedia Economics and Finance, 37 (2016): 80- 85.
- 9-Nagaraj, R. & Jegatheeswari, P. (2016). A Study on the Customer Awareness of E- Banking Services in Madurai City. IJSDR, 1(8): 219-234..

مستقبل المنظمات في سياق ما بعد الحداثة  
أولويات في المنهج وطرق الاستشراف

The Future of Organizations in the Context of Postmodernism

Priorities in Methodology and Foresight Approaches

- د. لطفى بن لعوج / أستاذ محاضر أ / تخصص علم الاجتماع والأنثروبولوجيا / جامعة محمد بن أحمد -  
وهران 02.

البريد الإلكتروني: [benlaouedjlotfivigo@gmail.com](mailto:benlaouedjlotfivigo@gmail.com)

- سعودي لزهاري / المركز الجامعي نور البشير / البيض - طالب دكتوراه، تخصص علم الاجتماع التربوية /  
البريد الإلكتروني:

[Saoudilazhari95@gmail.com](mailto:Saoudilazhari95@gmail.com)

الملخص:

تعتبر الدراسات المستقبلية محاولة لاستكشاف المستقبل وفق الاستراتيجيات والمنهج، فهي ليست كنتيجة للفكر الحدائى بقدر ما هي قدرات تنبؤية وبدائل علمية منظمة، تتجاوز تلك العقبات التي يتخدها الفرد والجماعة داخل المنظمات الحديثة، فن المعلوم أن علم المستقبليات يحاول وصف المستقبل ورسمه وتحديدته بواسطة الحاضر ويهتم ببناء الأسس الفكرية الإدارية التنبؤية، كما أن للأنظمة الذكية فاعلية قصوى في استيعاب وثبت الظاهرة المراد استشرافها، فالتنبؤ بالمستقبل الظاهرة التنظيمية، إنما في حقيقة الأمر يتجلى في تلك الثقافة التنظيمية البشرية التي تنظر للسلوك البشري الآلي، كجزء من هذه المنظومة المؤسسية.

الكلمات المفتاحية: النظم الذكية، الاستشراف، الفردانية المرتبطة، فن التنبؤ، سيناريو.

ABSTRACT:

Future studies are considered an attempt to explore the future according to strategies and methodologies; they are not merely a result of modernist thought as much as they are predictive capabilities and organized scientific alternatives that transcend the obstacles faced by individuals and groups within modern organizations It is known that the science of futurism attempts to describe, draw, and define the future through the present, focusing on building predictive administrative intellectual foundations Moreover, intelligent systems have maximum effectiveness in understanding and stabilizing the phenomenon to be anticipated. foresight the future of organizational phenomenon, in fact, manifests in that human organizational culture which views mechanical human behavior as part of this institutional framework

## مقدمة:

احتلت قضايا المجتمع المختلفة مكان الصدارة ومن ثم ظهرت مؤشرات جديدة في فهم سياق تطور المؤسسة الخاصة والعامة في المجتمع الغربي، حيث سيتطلب نظرة مستقبلية في فلسفة التنظيم من حية القوة التأثيرية للفاعل الاجتماعي، داخل هذه المنظمات التي ما هي إلى وليدة الثورة الصناعية التي ظهرت ببريطانيا من جهة ومن متبقيات الفكر التنويري الفرنسي الذي عززها بمعارف وضعية ورؤية الإنسان للمجتمع من جهة أخرى، فهو خلاف يتخطى حدود المنظمة إلى فلسفة مستقبلية للتنظيم، فأكد أن هذه الوضعية المعقدة لهي محل الانشغال الأول لعلماء الاجتماع التنظيم، إنه ذلك التصور الخاص بمجال واحد من مجالات الحياة وذلك هو العمل العلمي ذاته.

لقد مهد التطور الملحوظ للمدرسة الكلاسيكية، بروز منظر متميز لنظرية التنظيم، إنه (جيمس غاردن مارش / James Garden March) الذي درس كيفية تطور التنظيمات وتكيفها مع محيطها والتأثير فيه بالتركيز على كيفية اتخاذ القرارات وتطبيقها، له كتاب نشره مع "هاربرت سيمون" بعنوان: «التنظيمات» بالإضافة إلى كتاب «النظرية السلوكية للتنظيم» فبعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة (يال Yale) حول كيفية سيطرت المجموعات على أفرادها، بالتحكم في توجهاتهم المعرفية، إلتحق بفريق البحث الحديث الذي أسسه الباحث "هربرت سيمون" بالمدرسة العليا للإدارة الصناعية بالمعهد التكنولوجي إلا أنه أحيل عن التدريس عام 1988 (عبد الكريم بوحفص، 2017، ص ص . 206 - 207).

فالارتباط بالتصور السلوكي للتنظيم هو الارتباط بسلوكيات الفاعلين داخل المنظمة المستقبلية بحكم التحولات الرقمية والمنهجية، من خلال الأدوار التراثية التي تولى لها، قد يفتح لنا آفاق تنويرية تشكل لنا الهاجس والأزمة القائمة بين المعرفة العلمية واستشراف المعرفة السلوكية التنظيمية ولم يكن ثمة فرق كبير بين نظرتنا للمنظمة كنسق تفاعلي تقسم فيه الأدوار والمهام، إلا بقدر تموضع السلطة داخل الهيكل التنظيمي وقدرة الانجاز لكل فاعل استراتيجي داخل هذه المؤسسة.

نحن بصدد نمو كمي لا بأس به من الناحية المؤسساتية والبشرية في مجال العلوم الاجتماعية ولكن هذا الأخير قد يعبر على منظور آخر، فنادرا ما يجد الفاعل الاجتماعي إنتاجا معرفيا موضوعياً، يطفى ظمأه لفهم الواقع المؤسساتي المعاصر بصورة موضوعية أو شاملة أو حتى جزئية لفهم لقدرة التنبئية وسياقات النظم ومخرجاتها في زمن التحديث، فلكي نفصل في هذا الرهان بشقيه الحدائي والتقليدي وما يترتب عن هذه الدراسات من مشروعية الشك والتشكيك وفضلا عن انعدام الموضوعية والتجريد.

فعلى غرار هذه التعريفات فإن للمنظمة دورة حياة، هي مرحلة عدم التوازن المقبول، وهو مرحلة الانطلاقة التي نتعث فيها المنظمة ثم مرحلة عدم التوازن المرفوض وهي المرحلة التي يهتم بها الأعضاء أو البعض منهم بالمزيد من القناعات وأخيراً، مرحلة فقدان التوازن والتعاون كمؤشر لزوالها إنَّ الإشكال المتبادر في سياق الألفية الثالثة يندرج في تساؤلات علمية إدارية ، كيف يجب التعامل مع مفهوم المنظمة في زمن ما بعد الحداثة والأنظمة الذكية؟ فما هي أهم المناهج والطرق التي يوظفها الباحث العملي لاستشراف المنظمات والسلوك الرقي داخل المنظمة؟

### مفهوم التنظيم:

التنظيم (Organisation): هي العملية التي تفرِّق بين جزء وآخر من الناحية الوظيفية والتي تنشئ في نفس الوقت مربكاً متكاملًا من العلاقات الوظيفية داخل الكيان الكلي، أما (المنظمة) فهي كيان منظم يهدف لتحقيق أغراض معينة ويتمتع بشخصية معنوية (أحمد زكي بدوي، 1982، ص 297).

فالنظام هو القيام بمجموعة من الممارسات والاستعمالات أو شكل مقبول من الإجراءات، بواسطتها ينضبط ويُنظَّم السلوك الاجتماعي، إذ تتشكل النظم الاجتماعية وتستديم بواسطة المجتمعات والجمعيات التي لم تلتزم بوظيفتها دونها، مثلاً: الزواج نظام ينظّم العلاقات الجنسية بين الأفراد والمعابد هي نظام ينظّم السلوك الديني (م. ماكيفر، 2000، ص 35).

### مبادئ التنظيم:

يمكن تحديد مبادئ التنظيم كما يلي:

مبدأ الكفاءة: يعتبر التنظيم كفاءاً إذا كان تكوينه يسمح بتحقيق أهداف المنشأة بفاعلية، بواسطة الأشخاص وبأقل كلفة ممكنة.

مبدأ التحديد الوظيفي: حيث يجب التحديد الواضح للنتائج المتوقعة والأنشطة المطلوب القيام بها.

مبدأ زيادة العلاقات التنظيمية: يترتب على إضافة المزيد من الأشخاص أو الوحدات التنظيمية في الهيكل التنظيمي، حيث زيادة عدد العلاقات التنظيمية بمعدل أكبر من عدد الأشخاص أو الوحدات التنظيمية المضادة (حفيفي صليحة، السنة الجامعية: 2018 - 2019، ص ص 37 - 38).

مبدأ التدرج: كلما زاد وضوح خط السلطة من قمة إدارة المنشأة حيث السلطة النهائية إلى مركز كل مرؤوس، كلما زادت عمليتي اتخاذ القرار والاتصال التنظيمي.

مبدأ التفويض: السلطة المفوضّة يجب أن تكون كافية لضمان قدرتها على تحقيق النتائج المتوقعة منها (حفيفي صليحة. نفس المرجع السابق، ص ص 37 - 38).

- التنظيمات الحديثة/ الألفية الثانية:

إلا أنه ومع بداية القرن العشرين خاض عالم الاجتماع تجربة رائدة في هذا المضمار من زوايا مختلفة، حيث ربط "ماكس فيبر" بين تكييف عمال الصناعات الكبيرة وأسلوب اختيارهم لهذا العمل ووضع في هذا الإطار دراسة بعنوان: «اختيار وتكيف عمال الصناعات الكبيرة» فيه عالج موضوعين أساسيين: الأصول الحضرية والجغرافية للعمال والظروف الموضوعية التي يواجهونها داخل المصنع (أحمد الأصغر، 2002، ص 109).

- بعد أزمة الكساد الكبيرة التي مسّت العالم سنة 1929م حتى 1935 برز المؤرخ الاقتصادي الأمريكي "ألفريد شالدنر" (Alfred Chadlner) بكتاب معنون بـ «إستراتيجيات وبنيات المؤسسة» الصادر سنة 1962 أكدّ فيه، على إقصاء هذه التراكمات الإصلاحية التي أسّست التنظيمات والمؤسسات الاقتصادية وأثرها على البنيات التنظيمية من خلال اعتماده المنهج المقارن في مقارنته الكبرى للمؤسسات الأمريكية، حيث توصل إلى أبرز نموذج تخصّص عن فترة الأزمات وما قبلها من التعديلات والإصلاحات، ذلك ما اصطُح عليه بالبنية التقسيمية (Structure Divisionnaire) التي نتجت عن اعتماد المسيرين وأرباب المؤسسات على الإستراتيجية التي تبناها المؤسسة في مواكبة السياسات الاقتصادية وأوضاع السوق (زرقة بولقواس، جانفي 2021، ص 315).

كما يعتبر "ل برتاني" (Lee Bertalanffy) من الأوائل الذين حاولوا وضع تصوّر للإنسان في المنظمات سنة 1937 ثم توالى بعد ذلك الدراسات بواسطة عدد كبير من المفكرين، لتشمل بعد ذلك الدراسات التي تتعلّق بالمنشآت الاقتصادية، سواءً من الناحية السوسولوجية أو من الناحية النظرية الوظيفية التقنية، إنها تهتمّ بالجوانب التنظيمية للمنشأة (العلاقات مع البيئة الخارجية، غايات وأهداف وإستراتيجيات، تنظيم وتسيير الموارد وعمليات الإنتاج) (أحمد دناقة، ماي 2022، ص 06).

وانطلاقاً من تصنيفات "ألكسندر برودي" عام 1945 تم استخدام مقياسين، الوضع/ الحالة: ناشط/ غير ناشط، مأجور/ غير مأجور و«التراتب المهني» وفقاً للأجر/ المؤهلات/ العلاقات/ وسط العمل، كذلك التمييز بين التقنيين والعمال اليدويين وبين الإداريين والمستخدمين، الصناعيين والحرفيين، إذ تتوافق كل تسمية مع اهتمامات خاصة (جيل فيريول، 2011، ص 141).

لكن يجب أن نحدّد بعد التنمية في هذا السياق وإلى فقد وضعنا ركائز التنظيم في مأزق البنيوية. كما كان المنظور التنموي حاضراً في أعمال "لارونس" و"لوروش" والذي اختزل في مؤلفه «التنظيم والبيئة» الذي كان له إسهام كبير في التغيير الذي أحدثه على مستوى الباراديغم المتعلق بموضوع التنمية التنظيمية، فقبل تاريخ نشر الكتاب/1967 كان السؤال المحوري الذي تدور حوله الكتابات الكلاسيكية

في مجال النماذج الإدارية، هو: ما هو الأسلوب الوحيد والأفضل في التدبير والإدارة؟ فمع النظرية الجديدة التي قدمها "لاورانس" و"لورش" والتي تنطلق من السؤال التالي: ما هو الأسلوب وما هي البنية الأنسب بالمقارنة مع وضعية معينة؟ أي أنّ الباراديغم الجديد تخلّى عن الوهم الذي كان سائداً عند رواد (مدرسة الإدارة العلمية خاصة) (أنظر. عبد الكريم بوحفص، المرجع سبق ذكره، ص 48)

<sup>1</sup> "كفريديريك تايلور" حول وجود طريقة في التدابير التي تصلح لكل التنظيمات (لحبيب معمري، 2009، ص 69).

كما عمل "جيمس موني" و"آلان رايلي" في شركة (جنرال موتورز) على إصدار كتاب بعنوان: «الصناعة تتقدم» سنة 1931 تناولوا فيها الجوانب الفنية لعمل المسئول بالمنظمة، إذ يركّز على أربعة مبادئ أساسية لأي تنظيم:

- 1- التدرّج الهرمي ويعني تسلسل الأوامر عبر الوظائف الإدارية من الأعلى إلى الأسفل في الهرم التنظيمي للمنظمة.
  - 2- التنسيق: هو تنظيم الجهود وترقيتها في مجموعة العمل الواحد لتحقيق الهدف.
  - 3- التخصص الوظيفي لكل عضو في المنظمة (حفيفي صليحة. نفس المرجع السابق، ص 65).
- كما شهد عام 1979 بداية انهيار بديل للنظام العالمي وهو نظام اشتراكية الدولة، حيث بدأ الاتحاد السوفييتي نظاماً جديداً، يشمل إعادة البناء والاستكشاف، إذ يعمل هذا الأخير على أسس من التخطيط المركزي والتوجيه البيروقراطي للمؤسسات مع الأسواق التي تعمل فقط على الهامش، إلا أنه كان موضع انتقاد ونخزية لعدم كفاءته وتدني إنتاجيته، مما جعل منه شاهداً حياً على تفوق النظام الرأسمالي وتمّ تناسي سجله التصنيفي ونموه الاقتصادي لها (جيمس فولتشر، 2011، ص 143).
- لقد مهد هذا لظهور ثورة تنظيمية (Révolution Organisationnel) تتجه نحو إقامة التنظيمات لأداء الوظائف المتخصصة، وقد شجّع على ظهور وانتشار هذا الاتجاه، بعض الخصائص البنائية للمجتمع الحديث، كوجود درجة عالية من التباين في الأدوار والمراكز وتأكيد مصالح المجتمع إضافة إلى تعقّد الحياة الاجتماعية والتغير الثقافي، إنها تصاحب الثورة الصناعية والتقدم العلمي التكنولوجي (أحمد زكي بدوي، 1982، ص 298).

- كما قسم جون سكوت تطور نظريات المؤسسة إلى عدة مراحل موزعة في الجدول التالي (محمد عبد القادر، 2022، ص ص. 98 - 99):<sup>2</sup>
- جدول رقم (1) تطور الفكر التنظيمي الغربي -

المتطور العام	المرحلة	الفترة الزمنية	العنوان العام	أهم الاقتراضات
إعتبار المؤسسة نسقا مغلقا	المرحلة (1)	1930 - 1900	الاتجاهات الكلاسيكية الميكانيكية	دعي بأن العقلانية مطلقة رى الفرد رجلا اقتصاديا عتبر العامل آلة
	المرحلة (2)	1960 - 1930	المدرسة السلوكية	عامل إنسان وليس آلة
إعتبار المؤسسة نسقا مفتوحا	المرحلة (3)	1980 - 1960	المدرسة الموقفية	لعقلانية محدودة كل موقف تعامل خاص به
	المرحلة (4)	بعد 1980	النظريات المعاصرة	لاعتراف بعقلانية الأفراد خد الثقافة بعين

<sup>2</sup> - (محمد عبد القادر، 2022، ص ص. 98 - 99)

الاعتبار				
----------	--	--	--	--

### ❖ عصر الشبكات ونظم إدارة المعرفة الذكية (الألفية الثالثة):

ظهر مفهوم المنظمة الذكية في السنوات الأخيرة من (القرن العشرين 20) حيث عرفها (Schwaninger) بأنها المنظمة التي تتخذ القرارات الإستراتيجية النوعية وتنفذها بشكل فعال لإنتاج أفضل الفرص، ذلك بتوليد القيمة بالحفاظ على أداءها العالي ... كما عرّفت بأنها المنظمات التي تهتم باستثمار العقول المتوفرة لديها من خلال نظام قيمة، كما تعتمد على الشفافية والإفصاح المعلوماتي وتنبذ الهياكل الهرمية والمراكز الوظيفية (عياد سعاد، 2020: ص 187).

ومع بداية الألفية، ضمت نظم دعم اتخاذ القرار، مبادئ إدارة المعرفة التي كان من الضروري تطبيقها لترسيخ قواعد المعرفة التنظيمية، مثل استخدام قواعد البيانات التي تمتلكها الهيئة لاستخلاص المعلومات والمعارف وتقديم التقارير المفيدة لصناع القرار، كما دعمت هذه النظم، تكامل المعلومات التنظيمية لدعم جميع الإدارات والمستخدمين النهائيين وتوفير الأدوات اللازمة لتحويل البيانات المتناثرة إلى معلومات وبيانات ذات معنى وقيمة (علي محمد الخوري، 2015، ص 84).

سيفرض ظهور الأشياء الذكية على مستوى العالم «التطبيع الانضباطي» الذي كان يخشاه "ميشال فوكو"، حيث يكمن هذا التطبيع في جعل الأفراد والأفعال متطابقة مع النموذج، إذ سيصبح كل فرد، نتيجة إحساس بالذنب أو خوفاً من أن لا يكون ضمن المعيار، رقيبا على نفسه وهذا يخالف مقولة: (بفضلنا اتسع مجال الفرد).

بإمكان [البائع داتا]، بعد أن غيرت من طبيعة الأشياء المحيطة بها، لقد حولتها إلى كيانات متواصلة، سعت إلى أن تجعل من الإنسان نفسه، موضوعاً، فثلا قامت شركة أمريكية بوضع تجارب لشريحة تحت الجلد، بوضع قفل، دون المس بفعاليتها، كأن تفتح قفلا إلكترونياً أو أن تقوم بدفع فاتورة بعض المشتريات، لقد تمت العملية سنة 2015 من (الشركة السويدية إينسيرل) وتخص 250 أجيلاً (مارك دوغان، 2020، ص 88).

ووفقاً لـ "باتريس فليشي" (Patrice flichy) فإن الانتشار المتزايد للتكنولوجيا الرقمية، بالخصوص الانترنت في العالم أثار ظهور ما يطلق عليه الفردانية المرتبطة (Individualisme connecté) التي تنتج بدءاً من التحولات التي تطرأ على الحياة الخاصة، حيث أصبح تكوين الفرد لذاته يكون في صلب شبكة

العلاقات التي ينسجها بنفسه ... لكن هناك أيضا نتائج التحولات التي تمس عالم المقابلة لا سيما ازدهار مقابلة الربط الشبكي ونمو الاستقلالية في العمل والأشكال الجديدة لاكتساب المهارات (ريمي ريفيلد، يوليو 2018، ص 36).

يتأسس اهتمام علم الاجتماع الرقمي على كون معطيات العصر الرقمي، تتحدّد في المنتجات المعلوماتية الرقمية، فهو عصر يتيح إمكانية تخزين البيانات وتحليلها، وفقا لأي معايير مقدمة لأي منظور غير محدّد، حيث أن كل البيانات تولّد وتنتج في المجتمع، إنّ النقطة المبدئية في «علم الاجتماع الرقمي» هي كلية الزمن الحقيقي (Total Of real Times) ف عاجلا أو آجلا سيكون أداء جميع الفاعلين، أفرادا أو جماعات ومنظمات، مدرّكين في هذا الفضاء الإلكتروني (على محمد رحومة، 1428، ص 56).

كما تدعي "هايلز" أنه في «المجتمعات المتقدمة في مجال التطور والاتصال بالشبكات يتضمن الوعي البشري قمة هرم ضخّم من تدفق البيانات ومعظمها يحدث بين الآلات» وهذا هو السياق الذي يستحدث فيه أتمتة أغلب الاتصالات بين الأجهزة الذكية، أين يتدخل الإنسان في جزء صغير جدا من تدفق الاتصال، في حين أن معظمه سيستمر من دون أن يشعر به أو حتى يدركه وما تصفه "هايلز" هو نفسه الذي يشير إليه "ثرفت" (Thrift) باسم: (اللاوعي التكنولوجي) في صورة تشغيل شفرة رقمية قوية، غير معروفة، تعتمد لإنتاج الحياة اليومية (كيت أورتون - جونسون ونيك بريو، يوليو 2021، ص 98).

إنّ الإنسان في العصر الرقمي (مرحلة ما بعد التكنولوجيا) من المنظور السوسيولوجي الكوني والفضاء الإلكتروني المطلق: هذا الإنسان، ليس سوى ذات افتراضية مرقّنة (مبرمجة آليا) ما طرح إشكالية جد عويصة في فهم علم الاجتماع التقليدي بشتى نظرياته وتياراته ... حيث يتحدّد «العامل المعلوماتي» وهو العامل التكنولوجي الاجتماعي كمحرك للجديلة الجديدة الذي أفرزها التطور المجتمعي (على محمد رحومة. نفس المرجع السابق، 1428هـ، ص 33).

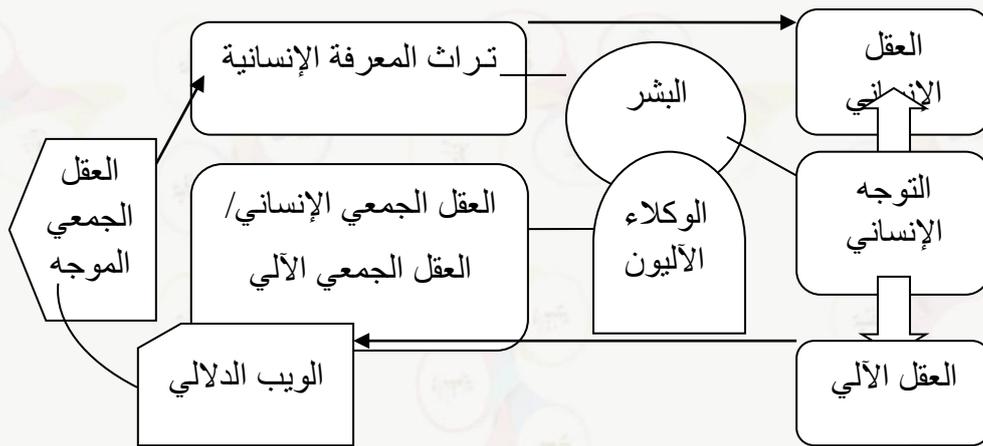
سوسيولوجيا المسألة تأخذ بعدا آخر، إذ مفهوم الضمير الجمعي أخذ سياقاً تحديثياً، فتشكل نوعين من العقل الجمعي يحاكي العقل الإنساني:

لعقل الجمعي الآلي: أطقت إحدى الشركات العاملة في مجال البرمجيات المتقدمة اسم «زيوس» على نظامها الخاص بتطوير إنتاج الوكلاء الآليين الأذكياء، بمواصفات تحاكي النظرير الإنساني، حيث يتميز بقدر من الاستقلالية التي تمكنه بالقيام بالمهام المسندة إليه من دون تدخل خارجي، إذ ينبوّ عن موكله في اتخاذ القرارات في حدود السلطة المخوّلة له (نبيل علي ، ديسمبر: 2009، ص 164).

1

لعقل الجمعي الموحد: يبني على مسارين متوازيين، المسار الإنساني الذي تحتشد عبره عقول بشرية متعددة لتقييم العقل الجمعي الإنساني والمسار الثاني الذي تحتشد عبره عقول آية عديدة تحملها أدمغة الوكلاء الآليين لتقييم هذا الأخير، ليندمج المساران كما يوضح الشكل التالي<sup>3</sup>:

شكل ( ) العقل الجمعي الموحد:



لقد عبرت شركة Skania عن المنظمة الذكية بصيغة معادلة، حيث اعتبرت أن المنظمة الذكية هي عبارة عن مجموعة رأس المال الفكري وتكنولوجيا المعلومات والقيم، توضح في المعادلة التالية:

المنظمة الذكية = رأس المال الفكري + تكنولوجيا المعلومات + القيم.

شكل ... الفرق بين المنظمة الذكية والتقليدية:

المنظمة الذكية (Smart Organisation)	المنظمة التقليدية (Traditional Organisation)
عمليات التدريب تهتم بتطوير الأفراد العاملين	عمليات التدريب على المهارات التقنية والفنية للأفراد
الاعتماد على اللامركزية في الهيكل التنظيمي	الاعتماد على المركزية في الهيكل التنظيمي
الاهتمام بالبيئة الداخلية والخارجية	الاهتمام بالبيئة الداخلية

<sup>3</sup> - (نبيل علي. نفس المرجع ، ص 165 )

تعامل الإدارة مع الأفراد كإنسان مأجور	تعامل الإدارة مع الأفراد كآلة
سرعة الاستجابة للتغيرات التكنولوجية المتقدمة بسرعة في بيئة العمل	بطء الاستجابة للتغيرات التكنولوجية المتقدمة بسرعة في بيئة العمل
تجنب الصراعات الداخلية	صراع الأدوار
الدقة في إنجاز المهام	نقص في دقة إنجاز المهام
الإنقاص من الظاهرة البيروقراطية والاستلاب	تنفسي ظاهرة البيروقراطية واستلاب العمال
عمليات المراقبة والتخطيط لمشاركة الأفراد العاملين	عمليات المراقبة والتخطيط للإدارة العليا فقط

### المنظمة واستشراف المستقبل:

الاستشراف لغة: مادة الشين والراء والفاء، أصل يدلّ على علوّ وارتفاع، فالشرف هو العلو والشريف الرجل العليّ... ويقال استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه ويقال للأنوف: الأشراف، الواحد شرف.

أما المشرف: المكان، تشرف عليه وتعلوه ومشارف الأرض أعاليها، قال الخليل: سهم شارف: دقيق طويل (محمد بن عمر بن سالم بازمول، رمضان/1432هـ، ص 126).

... كما أن العلاقة بين الاستشراف في اللغة والاستشراف اصطلاحاً، علاقة عموم وخصوص، فالاستشراف يرتفع فيه بالنظر المعوي عن الواقع للنظر إلى المستقبل، كما يرتفع مع من يعلو جبلاً أو شرفاً لينظر ما وراءه (محمد بن عمر بن سالم بازمول، المرجع سبق ذكره، ص 129).

لقد أدرك المستشرفون الأوائل "بيير واك" و"بيتر شوارتز" (peter Schwartz) حجم المأزق النظري والمعرفي للتنبؤ الكلاسيكي في تحليل الظاهرة المستقبلية، من خلال تسليطهم الضوء على ضعف القدرة التنبؤية المؤسسة من منظور التحليل الخطي والأحادي للمستقبل، فمساحة لا اليقين المستقبلي قد لا تتلاءم مع منطق التحليل الوضعي الثاوي ضمن مقاربة التنبؤ الكلاسيكي للبحث الاستشرافي، نخلق قاعدة افتراضات جديدة، نؤسس على منطق تعددي غير خطي، يمثل المستقبل فيه مجالاً منفتحاً لاحتمالات أو بدائل مستقبلية كنماذج تخطيط السيناريوهات (محمد خميس، ماي 2022، ص 351).

يعتبر عالم الاجتماع الأمريكي "س غلفيلين" (Colum Gilfillain) أول من استعمل تعبير علم المستقبل في أطروحة تقدم بها إلى جامعة كولومبيا لنيل درجة الدكتوراه عام 1902 وكان قد استخدم في مقاله عام 1920 وقد استخدم في مقاله عام 1907 مصطلح [Néllontologie] وهي كلمة لاتينية تعني أحداث المستقبل كما أطلقه عام 1943 عالم السياسة الألماني "أوسيب فلختايم" (Ossip Flechtheim) الذي كان يدعو لتدريس المستقبليات مند عام 1941 وكان يعني إسقاط التاريخ على بعد زمني لاحق، أما المستقبلية، فهي علم لم يكن في بدايته سوى أسلوب للتنبؤ وفق تصورات وخيال الكّاب والعلماء، غير أنه يعتمد الآن على مفهوم التحسب أو الاستشراف (فؤاد بلهودن، 2013، ص 17).

استخدم (Colum Gifillain) تعبير علم المستقبل، إذ يشير مصطلح استشراف في نظره إلى اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة، الخاصة بأوضاع المجتمع وعبر فترة مقبلة تمتد قليلا لأبعد من عشرين عاما، لتنتقل من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، من أجل اكتشاف أثر دخول عناصر مستقبلية في عوالم المجتمع، وبهذا الشكل استشراف المستقبل لا يستبعد إمكانية استكشاف نوعية وحجم المتغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما (أنظر محسن شريفة، نفس المرجع السابق، ص ص . 806 - 807).

هذا ما سيجعلنا نعيد التفكير في جملة من الرهانات والمفارقات تتجلى في التساؤلات التالية التالي:  
ماهي أهم مبادئ البحوث الاستشرافية؟

- كيف نتدخل التنظيمات في استشراف المستقبل لكل المنظومتين؟
- إنّ الألفية الثالثة كانت أكثر تحديا للمهام المستقبلية والتحديات والأساليب وآليات العمل في المنظمة، لذلك اهتمت على الجوانب والممارسات الآتية:
- المزيد من الممارسات في التفكير الاستراتيجي.
- تبني الحكمة في الإدارة الإستراتيجية.
- التلازم بين الإدارة الإستراتيجية والحكومة.
- التركيز على الميزة الفارقة المستدامة.
- إدخال التقنيات الحديثة في الإدارة الإستراتيجية مثل المقارنات المرجعية كبطاقة الأداء المتوازن، إعادة هندسة الأعمال/ الهندرة (عادل ناصر يعقوب، 2022، ص 32).

لعل عام 1943 كان العام الذي شهد صك اصطلاح علم المستقبل Futurologie الذي أتى ضمن أعمال "أوسيب فلشتهايم" Ossip/ k.felchhtheim حيث نجد في فرنسا أنّ العالم غاستون برجيه (G.berger) في سنة 1951 أنشأ مركزا دوليا للاستشراف، نشر في بداياته الأولى كراسات

الاستشراف، فأخذ هذا الأخير طابعه المؤسسي في منتصف الخمسينات على يده معتمداً بذلك على نقد القرار ثم أسس "غ. بارجيه" بعد ذلك في عام 1957 المركز الدولي للمستقبل المنظور والمنظورية (Prospective) (لوصيف عمار، ديسمبر 2015، ص ص. 256 - 256).

كما ركزت جهود "بارجيه" على مسألتين:

الأولى: الربط بين الأبعاد السياسية والتطور العلمي، بمعنى عدم فصل ما يجري في الحياة السياسية في المجتمع أو الدولة عن ما يحدث في ميدان التطور التكنولوجي والتطور بشكل عام.  
الثانية: التركيز في التحليل المستقبلي على الآثار بعيدة المدى والاتجاهات التي تسير فيها الظواهر المجردة (وليد عبد الحلي، 2002، ص 19).

ومن منظور علم الرياضيات، جاءت محاولة العالم الرياضي "أولف هلمر" (Olaf Helmer) وزميله الباحث "نيكولس ريتشي" عام 1959م دراسة حول نظرية المعرفة للعلوم غير الدقيقة، قادت إلى قاعدة فلسفية للتنبؤ هي أنّ شهادة الخبراء مسموح بها في الحقول التي لا تتطور بعد إلى درجة أن يكون لها قوانين علمية وسعياً لتطوير هذه القاعدة اشترك مع زميله في "راند نورمان دالكي" (Norman Dalkey) في وضع أساس نظري لاستخدام رأي الخبراء في التنبؤ من خلال أسلوب أسماه دلفي (Delphi) نسبة إلى معبد دلفي في أتيينا (السيد ياسين (تحت إشراف). 2004، ص 37).

فلقد كانت الدراسات الاستشرافية تخص مرحلة النماذج العالمية منصبةً بذلك على مستقبل النظام السياسي لدولة معينة، لكن انتقلت هذه الدراسات من مستوى الدولة الواحدة إلى مستوى عالمي، بمعنى أصبح التركيز على دراسة مستقبل المجتمع الدولي والنظام الدولي وظهرت في هذا المجال جهود نادي روما في الستينات من القرن الماضي، إذ لاحظ كل من رجل الأعمال الإيطالي "أوريليو بيثي" والمدير العلمي في منظمة التعاون والاقتصاد والتنمية "ألكسندر كنج" عام 1964م أنّ هناك عدداً من المشكلات العالمية تهدد النظام الدولي مثل الزيادة السكانية والتلوث والفقر، فانعقد اجتماع ضم ثلاثين عالماً يمثلون عشر دول في روما، فقاموا بالمزاوجة بين النماذج العالمية وظاهرة الاعتماد المتبادل (inter Dépendance) (وليد عبد الحلي، نفس المرجع السابق، ص 24).

كما أنه وفي عام 1960 أسس "بيتراند دوجوفينيل" مؤسسة المستقبلات الممكنة حيث ابتدأت بسلسلة من الدراسات كتبها عدد من كبار علماء في المستقبل السياسي رابطة المستقبلات الدولية وفي عام 1964م نشر "برتراند دوجوفينيل" كتابه: «فن التنبؤ والتوقع» «Art de la Conjecture» ليؤكد منفعة هذه الدراسات في الماضي والمستقبل (لوصيف عمار، نفس المرجع السابق، ص 257).

كما يتجه "ألفن توفلر" (A.Toffler) إلى أنّ بنية القوة الإدارية أصابها الانشطار وأنّ النسيج الهرمي للخبرة الإدارية والصفوة التنظيمية العليا التي ظلت حتى الثورة الصناعية الثانية تحكم قبضتها على وسائل الإنتاج والضبط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي داخل المجتمع، قد أصابه تحولات كبرى، مما يحقّق الاستجابة المرنة لمتطلبات السوق والتقنية، ففي ظل استشراف فرد المستقبل ومدى استقلالته وانتمائه لمجتمعه في ظل العلاقات الثلاثية التي تجمع تدوي عملية التصنيع والثورة التقنية ... مع الاهتمام بالفرد على غرار الجماعة (اعتماد محمد علام، 1994، ص 263).

إذ يؤكد "ألفين توفلر" أنّ معظم الابتكارات الموجودة في العالم تم التعبير عنها في الأشكال الأسطورية المختلفة من طيران أو غيره ... فالخيال العلمي في نظره يكون ضمن الأدبيات التي لا بد التعامل معها: مثل مدن متحركة، أنماط طاقة لا تنفذ، وسائل انتقال من دون طاقة، النانوتكنولوجيا، أي من الأدبيات التي يمكن أن تشكل ملهما يوسع دائرة بناء السيناريوهات المستقبلية (وليد عبد الحي، 2007، ص 40). في نفس الحقبة نشر العالم الإنجليزي "دنيس جابور" كتابه «اختراع المستقبل» ثم كان كتاب "تيودور جوردون" وتزايدت الكتابات لا سيما من جانب علماء الاجتماع الأمريكيين، أهمهم (Daniel Bell) ثم تكوّنت بعد ذلك الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم عام 2000 لتوقع نماذج اجتماعية أو مؤسسات جديدة (السيد ياسين (تحت إشراف). نفس المرجع السابق، ص 38).

أما في مجال الدراسات السياسية الاجتماعية كان التركيز على قضايا الدولة والمجتمع وتفاعلها وكان أبرز العلماء في هذا المجال: "جيمس ديتور" و"دانيال بلد" و"العالم الكندي" "كيمون فالاسكاكيس" (وليد عبد الحي. نفس المرجع السابق، ص 20).

وآخر توجه هذه المدارس في الفكر الاستشرافي «مدرسة آخر الموجات الطويلة والأزمات المباشرة بالأمل»: إذ تؤكد هذه المدرسة على أنّ (العقبات التنظيمية - الاجتماعية) هي العقبات والصعوبات التي تحوّل بنية الإنتاج وتعوق التغيرات الخاصة بتلك البنية التي تتطلبها التكنولوجيات الجديدة، إذ تهتم بإعادة إنتاج التحليل (Kondratie) وتفسيراته التي تقوم على أنّ هناك موجات متتابعة من النمو والركود الاقتصادي هي موجات من التجديد (السيد ياسين (تحت إشراف). نفس المرجع السابق، ص 74).

إلا أنه وفي الدراسات الاستشرافية وبالنصوص منها التطورية تستوقفنا عدة طرق تمتاز من حيث توظيفها لتحليل معطيات متباينة من حيث توظيفها للمتغيرات وحجم العينة المراد تحليلها وأهمها «طريقة تحليل التدرج السببي» إذ تركز هذه التقنية في جوهرها على توظيف معطيات نظرية ما بعد بنوية، يكون (الخطاب) هو محور التركيز فيها، سواء في وصف المشكلة أو تحليلها أو تصور التطورات المستقبلية لها.

ينطلق هذا التصور من منظور أن اللغة ليست محايدة وهذا ما يستشكل أساليب التحليل المستقبلية، فينظر إلى المستقبل من خلال لغة ومفاهيم معينة، دون أن تجعل من هذه اللغة بحد ذاتها موضع تساؤل من حيث تأثيرها في كيفية النظر للمشكلة، فهي تركز على لغة الخطاب، بعبارة أخرى تشكل الواقع بكيفية تجعل منه يغير المسارات المختلفة للواقع مستقبلا (وليد عبد الحي. نفس المرجع السابق، ص 34).  
لكن كيف يمكننا التسليم بلغة ليست محلية في جوهرها، تكون دافع للدلالات والمعاني الخاصة بتحليل دراسات يكون فيها المحلي ثابت ومنصهر في الشمولي الحدائي؟

#### ❖ القدرة التنبؤية للسلوك التنظيمي:

إنه عندما تمتلك شريحة واسعة من الأفراد بعض من الأنماط المعرفية، فإنها يمكن أن تتنبأ من السلوك الجماعي لهؤلاء، فمن خلال التركيز على مخزون جماعة ما من التخمينات وأساليب التفكير والبنى الذهنية، بإمكان المرء أن يتنبأ بالاستجابات الاجتماعية والسياسية وحدها، لقد أعطى الانفجار المعلوماتي الراهن أهمية سببية لأكثر الديناميكيات المعرفية، بما فيها على سبيل المثال: درجة البساطة، التعقيد، التجريد، العيني ومختلف مساعي معالجة المعلومات (اسكندر عبد النور، 2019، ص 43).  
إن لمستقبل أي منظمة سواء كانت رسمية أو غير رسمية، بدائل يتوجه فيها الباحث السبرنتيكي إلى طرح نماذج رياضية احتمالية، لصناعة سيناريوهات ذات أهداف تتماشى مع بنية النسق الداخلي والخارجي للمنظمة.

فبدائل المستقبل (Alternative future) ما هي إلى تعدد الخيارات والرؤى: إن الأفراد والجماعات الثقافات ليسوا مسيرين لارتداد طريق حتمي ينتهي بهم عند نقطة أحادية، تسمى مستقبلهم، لكن بفضل مناهج الاستشراف المختلفة، تمهيدا للمفاضلة فيما بينها، المر الذي يحفزنا ونحس في المستقبل إلى وضع عدة سيناريوهات متضاربة (سليمان محمد الخطيبي الكعبي، 1439هـ / 2018، ص 54).

لكن الإشكال المطروح في هذا السياق هو إشكال منهجي إبستمولوجي، يندرج ضمن الأزمات الكمية والكيفية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إننا قد نتساءل من جديد حول ما إذا كان علم الاحتمالات مختزلاً في منطق الواقعة الاجتماعية أو نزوع المرامي في سياقه السوسيولوجي.

إن أغلب الظواهر الاجتماعية التنظيمية مترابطة فيما بينها، فأقمت الدراسات الاستشرافية مصطلح أساسي في هذا المجال، ألا وهو التنبؤ الترابطي الذي يمثل سلسلة من التنبؤات المشروطة المترابطة مع بعضها البعض وفي هذه الحالة تكون المعادلة على النحو التالي: ستحدث (أ) إذا حدث (ب) ولكن (ب) ستحدث إذا حدث (ج) و(ج) مشروط حدوثها بحدوث (د) (وليد عبد الحي. نفس المرجع السابق، ص 60).

إن الإشكال القائم هنا هو كون إعطاء نوع من الامتيازات في المستقبل، فالتوقعات لا تستند إلى الماضي، بل إلى المستقبل، وهذا منهجياً قد يوحد لبساً في الفهم بسبب إسناد مفهوم البنية إلى المستقبل، ربما كان السبب هو انطلاق المرء من أنساق أنجزت في الماضي، أو تم رؤيتها من حيث ثبات وقائعها، بحيث يتم الحاجة إلى المرونة أو القدرة على التعميم فقط، من أجل تحديد أساليب السلوك المستقبلية (نيكلاس لومان، 2010، ص 401).

ولنضرب مثلاً على ذلك:

- تفكيك البنية الاجتماعية ستحدث بين تركيبتين من المجتمع إذا زاد الفساد الاجتماعي.
- يستمر الفساد الاجتماعي إذا زاد التميز الاجتماعي.

- تزايد في قيمة العدالة الاجتماعية إذا حضرت المساواة الاجتماعية بين الأفراد.

يؤكد في هذا السياق "بيرتراند دوجوفيل" على أن طول معاشة أفراد لظاهرة ما يحول دون رؤية التغيرات الطفيفة التي تصيبها لتأخذ اتجاهها فرعياً كمقدمة لتغير أوسع، يطلق عليه "جوفيلد" اسم «السلوك الشكلي»، أي البعد الخاص بشكل الحركة لا بجوهرها، ففي نظره التغير في بنية النظم السياسية سيؤدي إلى تغير في الأدوار والوظائف للنظم الفرعية لهذه النظم، فالظاهرة السياسية في نظره قد تخلق فرصة لوقوع حدث ما لكنها لا تحد بالضرورة طبيعة هذا الحدث، فقد يؤدي الحرمان الاقتصادي إلى عدم الاستقرار السياسي المتباين الشكل، فالتمكن من التنبؤ لا بد من معرفة الاتجاهات السائدة ومعرفة العلاقة بين الظواهر وسرعة الاتجاه (وليد عبد الحي. نفس المرجع السابق، ص 149).

إنه عندما يربط المرء البنى بالتوقعات يعطى الأولوية القصوى في مجمل النظرية لمنظور المستقبل، وقد أخذ التقسيم البارسونزي في نموذج الرباعي شكلاً مماثلاً لهذا، فقد كان هناك الجانب الأداتي المتوجه إلى المستقبل والجانب المنجز أو فعالية إرضاء الحاجات المتوجه حسب الوقت الراهن، فالماضي كان النسق ذاته (نيكلاس لومان. المرجع سبق ذكره، ص 401).

كما التفسير في الاستعمال العادي عنه في المفاهيم العلمية وفي المجالين فإننا نتحدث بالتناوب يختلف تصور عن تفسير للمفاهيم أو المصطلحات، القوانين أو التعميمات، فاستعمالات التفسير شديدة الاختلاف مقارنة بتصور التنبؤ، فحين نتحدث عن التنبؤ فنحن متأكدون بأننا لا نتحدث عن ما يمكن أن يسعى بمفاهيم التنبؤ أو مصطلحاته (قبلي حسن، 2020، ص 78).

فالمعنى السائد من خلال هذا أنه لا يمكن التسليم بأن المعنى السائد للتنبؤ هو أن الواقعة (أ) ستحدث في الزمن (ب) ولكن القدرة على إصدار مثل هذا الحكم، مرهون بما تسميه الدراسات الاستشرافية بالظروف التمهيدية للتنبؤ، أي توفر قدر كاف من المعطيات التي تضع أساس التنبؤ، من منطلق أن هذا

التنبؤ لبد أن يستند إلى نظرية أو فرضية للربط بين حركة الظواهر المختلفة التفسيرية (وليد عبد الحي . نفس المرجع السابق، ص 59).

إنّ هذا يتطلب استقصاءاً تقديرياً (Appréciative Induiry) محاولة جادة لصياغة رؤية فريدة من نوعها، من خلال التركيز على مواطن القوة للمنظمة، لا سيما أن معظم جهود مداخل التطوير التنظيمي موجهة لإصلاح نقاط الضعف وحل المشكلات داخل المؤسسة والبناء عليها لأجل التغيير المرجو والهدف هو البحث عن مكامن قوة المؤسسة واستكشافها وصقلها والعمل على تنميتها، تلك التي تعدّ الوسيلة الأفضل لبناء رؤية إيجابية للمستقبل، فتوجه مواردً للطاقة الايجابية وتطوير الملكات وسدّ الفجوات أو فض النزاعات (سليمان محمد الخطيبي الكعبي، نفس المرجع السابق، ص 54).

فالتنبؤ الرجعي قد يعزّز الأساليب السابقة، فهو أحد أساليب التنبؤ المعياري، حيث يعمل على الإجابة على السؤال التالي: ما المطلوب مستقبلاً؟ أي نعمل على تحديد المطلوب لتحقيق الأهداف وإذا كان التنبؤ التقليدي يقوم على أخذ واقعة في الحاضر ثم يتم تصور مسار مستقبلي لها (Forecast) فإنّ تقنية التنبؤ الرجعي (Back casting) تضع التصور المستقبلي أولاً ثم تعود للحاضر للبحث عن المتغيرات التي تدعم هذا التصور، فبدلاً من الحركة من الحاضر إلى المستقبل، فإننا نعود من المستقبل إلى الحاضر (فؤاد بلهون. نفس المرجع السابق، ص ص. 131 - 132).

إلا أن التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية يركز على البحوث الارتباطية المعالجة كميًا وكيفيًا ... فنجد على سبيل المثال «الارتباط متعدد الحدود» وهو طريقة إحصائية تكون فيها سلسلة المتغيرات المستقلة جزءاً من متغير واحد تابع، وهو في الحالة التي تمتلك قابلية تبني الأفكار المستحدثة، بعبارة أخرى، إنها قد تعبر عن درجة السبق التي يحرزها الشخص في مجال الإسراع إلى تبني الأفكار الجديدة، قبل غيره من الفاعلين الآخرين في التنظيم الاجتماعي الذي يُنسب إليه (أفريت . م . روجرز، 1962، ص ص . 149-150).

إننا دوماً ننتقل من صورة مستقبلية منشودة، فمثلاً: مؤسسة مقاولاتية، تريد أن تكون الأفضل خلال عشر سنوات وعليه يتم العمل عبر ثلاثة إجراءات:

إجراء الأول: تحديد تأثير التغيير على كل الفاعلين، من منهم المستفيد والمتضرر؟ ومن منهم سيكون عنصراً مساعداً أو عنصراً معرقلاً وتحديد مستوى تأثير كل عنصر على المشروع المستقبلي المنشود.

لإجراء الثاني: رسم الاستراتيجيات وتحديد بدقتها بحيث تكون متوافقة مع الأحداث المرسومة على خط الزمن المستمد من الحاضر إلى المستقبل.

لإجراء الثالث: تحديد المهام بدقة، للفاعلين وإسناد كل مهمة جزئية من جزئيات الإستراتيجية إلى الأقدار على إنجازها (فؤاد بلهون، نفس المرجع السابق، ص 132).

مورفولوجيا الهيكل التنظيمي / نحو سيناريوهات الممكنة:

يعتبر علم الإدارة وتحليل السياسات والتنظيم، مجال آخر من مجالات استخدام التحليل المورفولوجي ومن بين ما نشر في إطاره: بحث كل من "ريتشلد تروبي" وآخرون الموسوم بـ التحليل المورفولوجي لأنظمة التخطيط الخاصة بالوقاية الصحية وذلك سنة 1975 وبحث "أمير شريف" و"زهير إيراني" المقاربة المورفولوجية في إدارة صنع القرار، فضلا عن أبحاث ودراسات أخرى لها علاقة مباشرة بهذا المجال، مثل نمذجة صناعة القرار المالي لـ "بيتروسيل وموشسن" سنة 2007 والتحليل المورفولوجي لأسواق الأعمال لكل من "ستروباكا" و"نانونين" 2002 وكذلك استخدام التحليل المورفولوجي لتطوير نماذج جديدة للأعمال الذي قام بها "سايدنس تريكر" سنة 2014 (محمد سليم قلاله، 2020، ص 145).

المورفولوجيا هي دراسة الهيكل أو الشكل لشيء ما إلى مكوناته أو سماته الأساسية، حيث يمكننا التفكير بشكل منظم حول كل مكون أو سمة على حدة، صاغ هذه التقنية الباحث الأمريكي "زفيكي" أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ يسعى هذا التحليل المورفولوجي إلى السبر المنظم للخيارات المستقبلية الممكنة، انطلاقاً من دراسة كل التوافيق الناتجة عن تفكك نظام معين، إذ يستعمل هذا المنهج اليوم أساساً في بناء السيناريوهات (سليمان محمد الخطيب الكعبي، نفس المرجع السابق، ص 129).

أما السيناريو فهو مصطلح من أكثر المصطلحات شيوعاً في أواسط التخطيط المستقبلي والتخطيط الاستراتيجي، فهو توقع افتراضي نتابعي لحدوث الحوادث ذات العلاقة بهدف تركيز الاهتمام في العلاقات السببية ومجالات اتخاذ القرار، أين يتطلب ذلك تحليلاً للنظم، إذ يأتي السيناريو ليعطي صورة عن مخرجات النظام من الحوادث، فالسيناريوهات ليست تنبؤات وليست استراتيجيات وإنما هي فرضيات لما يكون عليه المستقبل والهدف من ذلك، النظر إلى التهديدات والفرص المتاحة المدعمة لاتخاذ القرار (بخيثة سعيد، 2000، ص 28).

كما أن السيناريو يقسم من حيث النوع كما يلي:  
- السيناريو الخالي من المفاجأة وهو يتسم بالاستمرارية.

- التفاوضي الأشياء ستتحسن في المستقبل.  
 - السيناريو التشاؤمي: الأشياء سوف تصبح أسوء.  
 - الكارثي وهو يفترض أشياء رهيبه سوف تحدث.  
 - سيناريو الانقلاب أو المعجزة (عبد الله بن فريح معيقل العلي، سبتمبر/أيلول 2025، ص7).  
 أما السيناريو الاتجاعي أو الممكن هو السيناريو الذي يفترض أنّ مسار الدعايات محكوم بمتغيرات متوافرة وإمكانية تغير ذلك محدودة، فلو أردنا التنبؤ بالزيادة السكانية في دولة نامية، فسنجد أنّ عوامل معينة تتحكم في هذه الزيادة مستوى الوعي، العادات والتقاليد، الظروف الاقتصادية فينبى السيناريو على أنها لن تحدث تغير للفاعلين، مما يجعل النتائج المستقبلية هي ذاتها القائمة حالياً (قواد بلهون، المرجع سبق ذكره، ص ص. 123 - 124).

ففيما يخص المراقبة التكنولوجية تتضمن هذه التقنية مرحلتين أساسيتين:

أ- بناء الفضاء المورفولوجي: تتعلق بتفكيك النظام أو الوظيفة المدروسة إلى أنظمة صغيرة، إذ يتطلب هذا الأمر تفكيراً معمقاً، يمكن إنجاز انطلاقا مع نتائج التحليل الهيكلية مع استقلالية المكونات، قدر الإمكان مع تغطية مجمل النظام المدروس، إلا أنّ كل عنصر يتخذ عدة أشكالاً، فالسيناريوهات الممكنة بقدر التوفيق والتشكيلات اللذان يشكلان، حقل الممكنات، الذي يدعى كذلك الفضاء المورفولوجي، فهو قابل للنمو بسرعة... فزيادة فرضية إضافية لمكونين فرعيين داخل المنظمة، قد يزيد من الفضاء المورفولوجي 80%.

إنّ أول ما يقوم به الفاعل في تحليله المورفولوجي هو تحديد مكونات النظام، إذ يرى ميشال غودي أننا لا يمكننا أن نحدّد مكونات النظام من غير أن نسبق ذلك بتحليل هيكلية وتحليل لدور الفاعلين في هذا النظام، ذلك بالتعرف على المتغيرات الرئيسية التي لها تأثير كبير في النظام المدروس من خلال مصفوفة التأثير المتبادل المطبقة على ترتيب معين والتي عادة ما يتم ملؤها على جميع التأثيرات المتبادلة بين متغيرات النظام، فإذا كان مشكلاً، مثلاً من 50 أو 70 متغيراً، خاصة عند البحث عن العلاقات فيما بينها، عند الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو أكثر من التأثير من خلال رفع أس المصفوفة إلى 2،3،4 إلى غاية بلوغها درجة الاستقرار (محمد سليم قلالة، نفس المرجع السابق، ص146).

ثانياً: اختزال الفضاء المورفولوجي: تتمثل في تقليص الفضاء المتشكل الأصلي إلى فضاء صغير مفيد، بإحاطة معايير التضييق للاستبعاد بعض معايير الانتقاء الاقتصادية التقنية والتي انطلاقا منها يمكن تفحص التوافق التوجيهية (سليمان محمد الخطيب الكعبي، المرجع سبق ذكره، ص ص. 129 - 130).

فهنا يتم استبعاد الكثير من التوليفات أو الترابط أو الاحتمالات الممكن استخلاصها من ربط اقتراضات التطور بعضها ببعض ويجري هذا، من خلال الاستبعاد العقلي الذي يقوم به الباحثين مع تبرير ذلك أو من خلال الاتفاق على جملة من المعايير تجري من خلالها، استبعاد عدد من التوليفات أو من خلال ما يسميه "ريتشاي": تقدير مدى الاتساق المتبادل، كما يتم اللجوء إلى أدوات كالرسوم البيانية العلائقية وتقنية الشبكات وطرق المعالجة الاحتمالية (محمد سليم قلالة . نفس المرجع السابق، ص150).

### - المنظمة ورأس المال المستقبلي:

رأس المال المستقبلي هو مزج بين رأس مال السوق والمنتجات والعلامات التجارية وبراءات الاختراع الملائمة لاحتياجات ورغبات الغد ورأس المال القدرات المنظمات القادرة على الاستفادة من المستقبل والتكيف معه.

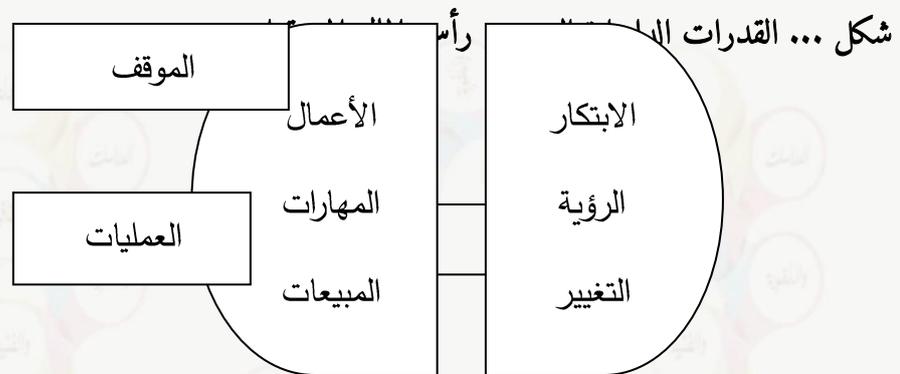
يمكن وصف هذه العملية كما يلي:

- الخطة المستقبلية: ملخص التحليل بشأن سياق السوق والقدرات المستقبلية الداخلية.

- خطة الإستراتيجية: ملخص الرؤى والتحركات الإستراتيجية اللازمة لتطوير رأس المال المستقبلي : السوق ورأس مال القدرات

- المحفظة المستقبلية: لوحة لتتبع مؤشرات الأداء والمشاريع ذات الصلة واتجاه

سياقات الأعمال (مات لندغرين، 2015، ص ص. 170 - 171).



هناك ثلاثة مستويات من رأس المال القدرات: الثقافة والعمليات والموقف في المنظمات ذات القدرات المستقبلية، إنها تأخذ شكلا متوازنا، فهي لا تتكرر فحسب، بل إنها تتبع أيضا، فهي لا تبرم الصفقات والعقود المستقبلية طويلة المدى، إن تلك المنظمات جيدة في كل من إدارة العمل وآليات تغييره، فإذا

قنا بدمج المستويات الثلاثة للقدرات بمحركات الأداء الخمس: (الرؤية/ التغيير/ الابتكار/ المهارة/ المبيعات) فإننا سندرك أنّ المهارات والمبيعات ذات صلة أقوى بالجانب التشغيلي من المنظمة (نصف الكرة الأيسر) بينما ترتبط الرؤية والابتكار والتغير بصورة أقوى بنصف الكرة الأيمن بشكل مختلف (مات لندغرين. المرجع سبق ذكره، ص ص. 164 - 165).

### لألفية الثالثة/ الأنثروبولوجيا والحاجات المستقبلية للمؤسسات:

إن أي موضوع لدراسة الإنسان داخل أي بنية مؤسسية يتطلب منهجا علميا دقيقا لتحديد الظاهرة التنظيمية كقضية مستقبلية وفيها يحتمل بدائل مستقبلية معدة مسبقا وهي: الأفراد داخل وخارج القبيلة في زمن ضعفت فيه روابط القرابة والعصبة، كما تفككت العائلة وظهرت الأسرة المستقلة اقتصاديا واجتماعيا واختفى نظام الملكية التقليدي، ثاني: النمط الاقتصادي والسياسي، حيث اختفت التبعية والتحالفات العشائرية... مع زيادة الاستهلاك والحد من تقديم السلع الاستهلاكية دون مقابل (عبد القادر الهواري ، 2020، ص ص. 162 - 163 )

وفي سياق آخر تؤكد ماري دوجلاس مركزية الإنسان في العلوم الاجتماعية قائلة: " ... إذا كنا متجهين نحو مرحلة علمية إنسانية فستكون هذه المرحلة هي مرحلة علم الإنسان وعليه فإن الإنسان بوصفه الطرف العارف سوف يدرك أخيرا ذلك الإنسان موضوع المعرفة والذي هو مفتاح كل علم طبيعي، فالإنسان هو كل ما يمكننا أن نعرفه " (Douglas - Mary anthers. 1964, p15). وفي هذا السياق قد تطرح الانعكاسية مشكلة الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهل سيجد الباحث في ميدان التجربة التي كان يفكر فيها بانفراد لضمان هذه الموضوعية؟ فهذا السؤال سيتم تعزيز المرجعية المثالية، في تحديد الميدان وتعريفه ليمت تجاوز الميدان كمكان فيزيائي محدد، فهل هو وحدة مشتركة تشمل الكل؟ فالاتجاه الانعكاسي Réflexive قد يؤول إلى إهمال هذا الفضاء الفيزيائي ليرز موقعه كفضاء إنساني مبني وفقا لآليات التعارف (Guy di -Méo, 28 mars-2006- www.odes.gnrs.fr, p43)

من أهم الطرق التي يعتمد عليها باحث الأنثروبولوجيا المستقبل طريقة دولاب المستقبل، فكل ظاهرة قد تكون نتيجة لظاهرة سابقة لها، فلو ألقينا حجر في نهر، فمجرد سقوطه، تبدأ سلسلة دوائر تظهر وبشكل متتابع ومتدافع في مكان سقوط الحجر وبالتالي من غير الممكن فصل حركة الماء العامة في كل جوانب النهر عن سقوط الحجر وفي هذا بعدين هما: أ - لكل حدث أو ظاهرة أو فعل، آثار مباشرة، تتمثل في مجموعة نتائج مترتبة عليه، فوت شيخ قبيل أو رئيس منظمة غير رسمية، قد يؤدي إلى التنافس على

مكانته، ب - كل نتيجة مباشرة للظاهرة أو حدث أو فعل، تولد بدورها نتائج مرتبطة بها وتلك النتائج ترتب عنها نتائج وهكذا توالي النتائج على غرار حلقات النهر في مثالنا الأسبق (عبد القادر الهواري ، 2020، ص189).

وهنا يجب أن نأخذ في الحسبان جوانب هذه العلاقة التي تخص الأنثروبولوجيا والفروع الأخرى بحكم أنها تراعي الحاجات البشرية وتحيط بالأساطير فتفصلها عن باقي التخصصات الأخرى وذلك بإبعادها عن المقاربات الثنائية، فتتوجه نحو ما يحدد بـ "غيرية أنثروبولوجية" "altérité anthropologique" نافية بذلك كل وضعية متقابلة أو عكسية فعلى سبيل المثال: مسألة التقليد والحدثة اللتان تؤكدان على درجة تعقد العلاقات والصعوبات القائمة على مخطط تداولي (Gérard berthoud : 1992, p145).

لقد أكد مالمينوفسكي على أن الحاجات الأساسية للفرد وإشباعها في المستقبل، يرتبط ارتباطاً وثيقاً باشتقاق حاجات جديدة، تفرض على الفرد والمجتمع نوعاً ثانوياً من الجبرية أو الإلزام، كما أن العلاقة بين أي نشاط وأي حاجة إنسانية، أساسية، يمكن إعتبارها وظيفية ويتفق علماء الأنثروبولوجيا أن ظاهرة التغير المستقبلي، يشمل جميع المؤسسات الصغيرة منها والكبيرة، فهو سبب بقائها ونموها، كما أن الحاجات المستقبلية عملية موازية، يعمل من خلالها المجتمع على الملائمة بين كيانه وتنظيماته، ذلك بإشباع الحاجات لأعضاء الجماعة والثقافة الواحدة (عبد القادر الهواري ، 2020، ص206).

لقد أكد علماء الأنثروبولوجيا المستقبلية صيرورة الإنسان كفاعل داخل المنظمات المحلية وغير الرسمية من منظورها الثقافي ليكون محكاً للنقد عند رواد الفكر البنيوي في حد ذاتهم وهذا ما نجده عند إجابات "رونالد بارتز" فمن الإجحاف أن نتكلم عن النشاط البنيوي (يقصد بارتز بذلك "الإنسان البنيوي" أي الإنسان الحالي أي الإنسان الحدائثي، هذا الإنسان الواقعي الذي يستمد واقعه من خلال التقسيم وإعادة التشكيل.

فهو لا يقوم بإعادة الإنتاج من خلال الواقع بل الإنسان له حاجات بيولوجية ونفسية واجتماعية تتنافى مع ما تفرضه منظومة الذكاء الصناعي والنظم الذكية في التعامل مع السياقات التنظيمية المؤسساتية، فهو يتطهر (يصطنع) فهذا الإنسان البنيوي L'homme structural يضيف هذا العالم الواقعي إلى عالم مصطنع لا يعكس تلك الصورة طبقة الأصل للطبيعة المبتدلة بذلك النموذج العقلائي (Edmond cross : 2003 .p12).

الخاتمة:

إن الباحث المستقبلي والذي يجد نفسه منغمساً في مجتمع ليس مجتمعه ينبغي عليه، بالفعل بذل جهد خاص لفهم ما يحدث في المنظمات المتميزة بخصوصيات ثقافية متنوعة ومغاير للثقافة والبيئة التي نشأ

فيها، فليس من السهل فهم حقائق المستقبل واستشرافه، دون الولوج إلى عمق البناء الاجتماعي والنمط الثقافي لهذا المجتمع معتمدين في ذلك على نظم ذكية، موظفين بذلك لغة التوقع وذلك لا يكون إلا وفق إستراتيجية متكيفة في الحياة اليومية فالذات الباحثة كذات تقوم بدراسة السلوك البشري والتنبؤ بأفعاله المستقبلية التي لا تكون إلا بإدراك الفرد لقراراته الإدارية التي اكتسبها من المواقف السابقة ومن ثم تفسيره الخاص للأحداث، كما سيهتم هذا المدخل بالمعاني التي يمنحها الفرد لهذه الأحداث.

كما يذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن العلم يستطيع أن يتطور وينمو عن طريق تجميع أجزاء قليلة من المعلومات وذلك بشرح الأجزاء في بناء المجتمع، كما لو كانت سليمة فنظرية عامة تسموا على التجريد وتندمج مع العقل التصوري

كما أن الإبقاء على الاعتقاد في حدود الفهم الاستشرافي هو ضمان لتطبيق العادة مع التجربة الإنسانية كما هو إلى وسيلة لتبديد الأوهام والأحكام السابقة، فلا شك أن ميزة الاعتقاد والاستدلال (المباشر) والمحاكمة هي تجاوز التجربة وتحويل الماضي إلى المستقبل، علما أنه ينبغي لموضوع الاعتقاد أن يتحدد بالاتفاق مع التجربة الإنسانية ومركزيتها.

#### ❖ قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إليزابيث وليكينز. مبادئ العلوم الاجتماعية، دار الكتب المصرية، ط1، ترجمة: فرقة متخصصة، الجيزة، مصر: 2016، ص 30
- 2- أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - إنجليزي / فرنسي - عربي، رياض الصلح سكوار، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان: 1982، ص 297
- 3- م.ماكيفر. المجتمع، مؤسسة فرانكلين للطباعة، ط1، ترجمة: د. على أحمد عيسى، القاهرة، مصر: 2000، ص 35
- 4- حفيفي صليحة. علم الاجتماع المنظمات - مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك، علوم اقتصادية وتجارية/ السنة الأولى جذع مشترك، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الجليلي بونعام، خميس مليانة/ السنة الجامعية: 2018 - 2019، ص ص 37 - 38
- 5- أحمد الأصفر - أديب عقيد. علم الاجتماع التنظيم ومشكل العمل، منشورات جامعة دمشق، السنة الرابعة مقرر علم الاجتماع العمل / كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا: 2002- 2003، ص ، ص 109
- 6- زرفة بولقواس - محمد عبد الرؤوف بن سبع. نماذج البنية التنظيمية عند هنري مينتزبرغ، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، الجزائر/ المجلد 10- العدد 01، جانفي 2021، ص 315

- 7- أحمد دناقة. محاضرات في نظريات التنظيم، منشورات مخبر البحث والدراسات في قضايا الإنسان والمجتمع، ط1، أفلو، الأغواط/، الجزائر: ماي 2022، ص 06
- 8- جيل فيريول . معجم مصطلحات علم الاجتماع، دار مكتبة الهلال، ط1، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، بيروت، لبنان: 2011، ص141
- 9- عبد الكريم بوحفص. تطور الفكر التنظيمي/ الرواد والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية، السداسي الأول، الجزائر: 2017، ص ص. 206 - 207
- 10- فهو كمهندس ومنفذ لاحظ ما أسماه التكامل النمطي La flânerie Systémique الذي يرجع حسبه إلى سببين، هما سلبية الإدارة التي تركت العادات السيئة تنتشر مع إقتناع العمال بأن أي مجهود إضافي يبذلونه لن يفيدهم في شيء... إذ يقوم هذا على تقويم سليم لطاقة العمل الإنتاجية بل مبنى على سجلات الإنتاج السابقة، التي تقدر عشوائيا معدل الإنتاج المطلوب وهو مبدأ عرفه العمال وحاول دوما الحفاظ عليه، مما جعل أصحاب المبادرة منهم يحدون ويتحكمون في كمية الإنتاج/ أنظر: عبد الكريم بوحفص. نفس المرجع السابق، ص 48
- 11- لحبيب معمري. التنظيم في النظرية السوسولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، ط1، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب: 2009، ص 69
- 12- حفيفي صليحة. نفس المرجع السابق، ص 65
- 13- جيمس فولتشر. مقدمة قصيرة عن الرأسمالية، دار الشروق، ط1، ترجمة: رفعت السيد علي، القاهرة، مصر: 2011، 143
- 14- أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - إنجليزي - فرنسي - عربي، رياض الصلح سكووار، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان: 1982، ص298
- 15- محمدي عبد القادر . سوسولوجيا التنظيمات - من أحادية البعد إلى التعدد ومن عقلانية التنظيم إلى عقلانيات الأفراد، مجلة أبحاث/، الجزائر، المجلد 7/ العدد 1، 2022، ص ص. 98 - 99
- 16- عياد سعاد، بوسهين أحمد. أثر الإدارة الإستراتيجية في بناء منظمة ذكية: دراسة حالة المؤسسة الوطنية للصناعات الإلكترونية ENIE، الجزائر: ص 187
- 17- علي محمد الخوري. إدارة المعرفة في القطاع العام - استعراض تجربة ناجحة لهيئة الإمارات للهوية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر: 2015، ص 84
- 18- مارك دوغان، كريستوف لابي. الإنسان العاري - الدكاتورية الخفية الرقمية، المركز الثقافي للكتاب، ترجمة: سعيد بنكراد، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: 2020، ، ص 88

- 19- ريمي ريفيلد. الثورة الرقمية - ثورة ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ترجمة : سعيد بلخبيث، الكويت، شوال/ 1439 هـ ، يوليو 2018، ص 36
- 20- علي محمد رحومة. علم الاجتماع الآلي - مقارنة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة/ 347، الكويت: دو المحجة، 1428، ص56
- 21- كيت أورتون - جونسون ونيك بريو. علم الاجتماع الرقمي - منظورات نقدية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة) ترجمة: هاني خميس، أحمد عبده، الكويت، يوليو 2021 - (484)، ص98
- 22- نبيل علي. العقل العربي ومجتمع المعرفة - مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الجزء الثاني، الكويت، ذو المحجة، ديسمبر: 2009، ص 164
- 23- سيد خلف عطا الله الجبوري. إمكانية بناء المنظمات الذكية من خلال استراتيجيات الريادية ودورها في مراحل إدارة الأزمات - دراسة تحليلية لعينة من كليات جامعة الموصل، ب.ط، جامعة الموصل، العراق: 1441 هـ/ 2020، ص65
- 24- محمد بن عمر بن سالم بازمول. الاستشراف الرؤية المستقبلية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، رمضان/ 1432هـ، العدد (43)، ص 126
- 25- محمد خميس. معضلة لا اليقين ومواجهة النزعة السببية في مقاربات الدراسات الاستشرافية- المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد 06، العدد 01، ماي 2022، الجزائر، ص351
- 26- فؤاد بلودن. الدراسات المستقبلية - الأسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: 2013، ص 17
- 27- عادل ناصر يعقوب. الإستراتيجية/ منهج الممارسات المتكاملة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، عمان، الأردن: 2022، ص 32
- 28- لوصيف عمار. الدراسات الإستشرافية: مقارنة مفاهيمية، مجلة العلوم الانسانية - عدد 44/ مجلد ب، ديسمبر 2015، الجزائر، ص ص. 256 - 256
- 29 - وليد عبد الحي . مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العلمي للدراسات السياسية، ط1، عمان الأردن: 2002، ص 19
- 30- السيد ياسين (تحت إشراف). مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم - أساليب - تطبيقات، مركز الكتاب للنشر، ط1، القاهرة، مصر: 2004، ص 37

- 31- اعتماد محمد علام . دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، المكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر: 1994، ص 263
- 32- وليد عبد الحلي. مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، أبوظبي، الامارات:2007، ص40
- 33- اسكندر عبد النور. العقل العربي - أنطولوجيا المجرّد والعيني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ترجمة: مصطفى حجازي، بيروت، لبنان: 2019، ص 43
- 34- سليمان محمد الخطيبي الكعبي. موسوعة استشراف المستقبل، قنديل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دبي، دولة الإمارات العربية، كانون الثاني/ يناير، 2018/1439، ص 54
- 35- نيكلاس لومان. مدخل إلى نظرية الأنساق، منشورات الجمل، الاصدارة الأولى،
- 36- قبلي حسن. التنبؤ العلمي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 8/ العدد:
- 37- محمد سليم قلاله. التحليل المورفولوجي وبناء السيناريوهات - استشراف - الكتاب الثاني، دراسات الجزائر، 2020، ص 145
- 38- بختة سعيد، عبد مرزوق الظهوري. التخطيط بالسيناريو واستشراف المستقبل، <https://mail.google.com/mail/U/D/#ingFFNDWMTX>، ص28
- 39- عبد الله بن فريح معقل العلي. الدراسات المستقبلية في الفكر العربي - الواقع والتحديات، المجلة العربية للإدارة تحت النشر / مج 45، المملكة العربية السعودية، الرياض، ع3- سبتمبر/ أيلول 2025، ص7
- 40- مات لندغرين. ، إدارة القرن الواحد والعشرين - القيادة والابتكار في اقتصاد الفكر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، الطبعة الأولى، ترجمة: د. هبة عجينة، القاهرة، مصر: 2015، ص ص. 170 - 171
- 41- عبد القادر الهواري. الأنثروبولوجيا المستقبلية - مدخل لدراسة مستقبل الشعوب والجماعات، بيليمانيا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2020، ص ص. 162 - 163.
- قائمة المراجع باللغة الأجنبية:
- 1 - Guy di Méo. Approches des terrains de recherche. Colloque- organisée par doc- géo ; bordeaux- 28 mars-2006-www.odes.gnrs.fr, p43
- 2- Douglas- Mary anthers .Ed. Man in society - patterns of humar. Organisations, doubles company tnc .new York 1964, p15

3 - Gérard berthoud. Anthropologie et société- pour circonscrire davantage et experts –terrains : attention zone d'expérience, Ed libraire Droz, Genève : 1992, p145

4 - Edmond Cros. La sociocritique. Ed l' harmattan 2eme Edition. Paris. France : 2003 .p12

## ظاهرة الوحي في فكر محمد شحرور

The phenomenon of revelation according to Shahrour

د/ راقية بنرباح المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بسببلة/تونس

rakiabenrabe90@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة مقارنة المفكر السوري محمد شحرور الحديثة لقضية الوحي، لهذا سنحاول الكشف عن رؤاه وتصوراتهِ والوقوف على أهم الآليات والمناهج التي توخاها في صياغة فهم يخالف التصورات السائدة والموروثة. كما سنعمل على إبراز مواطن الجودة في عمله.

الكلمات المفتاحية:

ظاهرة الوحي - فهم - شحرور

Abstract:

This research seeks to examine the modern approach presented by the Syrian thinker Muhammed Shahrour regarding the issue of revelation. Therefore, we will attempt to explore his visions and ideas, focusing on the key mechanisms and methods he employed to formulate an understanding that differs from prevailing traditional perceptions We will also work to highlight the new aspects of his work.

Keywords: The phenomenon of revelation - understanding- Shahrour

مقدمة

تنوعت تصورات المفكرين المعاصرين حول قضية الوحي تنوعاً كبيراً. وأحدثت قلقاً معرفياً لدى المثقفين والباحثين فقد تبنت مناهج جديدة خالفت نهج القدامى في فهم القرآن وتأويله. وهذه المناهج تدعو إلى تجاوز مناهج وآليات التفسير التراثي للقرآن من جهة وتلح على الأخذ بمناهج تنسجم مع العصر من جهة أخرى، وكان المفكر السوري محمد شحرور من بين حاملي لواء هذه الدعوة. ويستمد هذا المبحث أهميته من أهمية إشكالية الوحي وما تعلق بها من قضايا لذلك سنسعى إلى استنطاق ما قدم شحرور ساعين إلى الكشف عن المسبقات النظرية والمسلمات الفكرية التي تأسست في ضوئها ومحاولاته صياغة فهم حديث لقضية الوحي وهو ما يقتضي ضرورة اعتماد منهج تحليلي نقدي. فكيف صاغ شحرور تصوره للوحي؟ وماهي أهم أدوات القراءة التي استثمرها في معالجة هذه الإشكالية؟

## I. تجديد مفهوم الوحي

لا يزال الاتجاه الفكري الكلاسيكي يعمل على تثبيت معاني المفاهيم المركزيّة في الوعي الجمعي والمحافظة على المقولات التي تمثل أسس الدين الإسلامي ودعائمه، ومن ذلك تمّ ترسيخ الفهم المتوارث حول مفهوم الوحي وأشكاله وتجلياته وأطرافه، فهو عملية اتصال بين النبي والغيب بطرق مختلفة، فيأتي أحيانا مثل صلصلة الجرس أو يتمثل للنبي ملك في هيئة رجل وحيناً يكون الوحي بالنفث في الروح أو يكون في شكل منام. والجلي أن المدرسة الكلاسيكية تعتبر النبي مبلغاً للوحي ووعاء له ودوره الوحيد يتمثل في تبليغ الرسالة كما نزلت عليه بلغتها وألفاظها وتراكيبها.

لكن في المقابل نجد أن للفكر المعاصر رأياً مغايراً يعيد قراءة ما رسخه القدامى فأضحت هذه المسلمات موضوعاً للمساءلة والبحث والنقد. فتم إخضاع الوحي للمراجعة وفق المقاييس العلمية والمنهجية الحديثة. فالتأمل في أعمال محمد شحور يلاحظ أنه صاغ تصورات مخصوصة حول الوحي تخرجه من دائرة الغيبي والمتعالي. إذن يجدر بنا الإحاطة بهذه العملية وفق هذا الطرح والنظر في أنماطها وطرقها وأطرافها.

إن الفكرة المركزيّة التي تحتل حيزاً مهماً في فكر شحور هي تجديد مفهوم الوحي لنزع هالة القداسة التي تحيط به بغض النظر عن مصدره المتعالي، وهو ما يكشف ثورة القراءة الحديثة على مختلف التصورات الميتافيزيقية المفسرة له ليستحيل ظاهرة أو حدثاً حتى يكون قابلاً للدرس العلمي والموضوعي ويدركه الوعي في مختلف مستوياته لأنه يتماثل مع الظواهر الطبيعية والنفسية من خلال الانتقال به من الميثولوجي إلى الأنثروبولوجي، فالأنسنة تعتبر منطلقاً لتطبيق الآليات المعاصرة على النص الديني.

يعرف محمد شحور الوحي بأنه: "أحد أنواع المعرفة الخاصة: وقد جاء الوحي في اللسان العربي من فعل وحى وهو أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك والوحي: الإشارة وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحى كيف كان." (شحور، 2016، صفحة 375) وبذلك فالوحي يمثل شكلاً من أشكال المعرفة. فكيف قارب المفكر إشكالية أنماط الوحي وأطرافه؟ وما هي الخطة التي اعتمدها لأنسنة هذه الظاهرة المفارقة؟

## II. دراسة طرائق الوحي (الوحي تجربة كونية)

إنّ الخوض في هذا المبحث والتعمق في حيثياته وتفصيله من شأنه أن يقدم تفسيراً جديداً لطبيعة الوحي وحقيقته وفهمه وفق متغيرات الثقافة والتاريخ، فهذه الظاهرة لا تنفصل عن الحيز الإنساني الحايث وتقترب بالطبيعة الإنسانية والأبعاد النفسية والثقافية وهو ما يفترض تجاوز الفهم الكلاسيكي من خلال التأسيس لدراسات تدعو: "إلى زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه (....) وتجاوز التصور الساذج التقليدي الذي قذفته الأنظمة اللاهوتية." (أركون، 2005، صفحة 76).

وفي هذا الإطار يقترح شحور تمثلاً مخصوصاً لطرائق الوحي ومستوياته، فأكد أنّ الوحي ليس حكراً على الأنبياء فيشمل كل البشر، وكان دليلاً على ذلك أن عملية الوحي من الممكن أن تتم عن طريق توارد الخواطر أي الإلهام الإرادي وجاء هذا النوع في الآية "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين". (القصص الآية: 7).

ويعني توجيه خفي مجهول المصدر مقترن بجملة من الأوامر والتعليمات ونهي عن الخوف وتبشير، إذ أنّ ما أقدمت عليه الأم خارج عن نطاق الفطرة والغريزة. ويبين شحور معناه في قوله: "أنه ليس له علاقة بالأمور الشرعية التي تتعلق بأمر الكتاب إنما يرتبط بالمسائل الإجرائية والمعرفية حين الأزمات ولا يأتي إلى الإنسان عشوائياً." (شحور، 2016، صفحة 375).

إنّ الوحي في هذا المستوى وارد لكل البشر لأنه بمثابة فكرة أو خاطرة تستحوذ على تفكير الإنسان وتساعد على الخروج من مأزق ما أو مشكلة علمية مثلها هو الحال مع نيوتن وتفاحته، وتوسع بذلك دائرة الموحى إليهم. فالتدخل الإلهي ليس حكراً على الأنبياء إنما يمكن أن يشمل أناساً عاديين يوحى إليهم دون أن يصدر عن ذلك دين أو طقوس، فنعتبر أن ما قدمه أفلاطون وحيا بل هو بهذا الفهم وحي. (شحور، 2016) وبهذا يتخلى شحور عن المفهوم الاصطلاحي ويتبع المعنى الدلالي للفظ أوحى من إلهام وإيقاع الشيء في القلب.

من خلال ما قيل نستنتج أن القراءة الحديثة للقرآن تثبت فرضية نجد صداها عند العديد من رواد الفكر الحديث أن الوحي ليس ظاهرة خاصة بالإسلام، إنما هو تجربة تدرج ضمن السنة الكونية وليست حكراً على الأنبياء والمصطفين، وهذا ما عبر عنه جلال الربيعي بقوله أن الوحي هو: "طريقة في الاتصال بين القوى الخفية غير المرئية، والبشر إناثاً وذكوراً، أنبياء ومصطفين، وبشرا كيسين." (الربيعي، 2016، صفحة 18) سواء ذكرهم القرآن أو لم يذكرهم. والجدير بالذكر أن جذور هذا التصور يرجع بالأساس إلى العقلايين القدامى الذين اعتبروا أن النبوة ليست حكراً على الأنبياء لأن كل إنسان قادر على بلوغ مرتبة النبوة "وهي أكل المراتب التي يبلغها الإنسان بقوة الخيلة." (الفارابي، 1986، صفحة 116) مثلما يقول الفارابي كما نجد هذه الفكرة عند باروخ سبينوزا فيرى أن النبوة: "لا تطلب ذهنًا كاملاً بل خيالاً خصباً." (سبينوزا، 2005، صفحة 129).

بالرغم من أن هذه الفرضية ليست جديدة كل الجدة فإنها تزعم المفاهيم والمسلمات المستقرة في الوعي الجمعي والتي تُعرف الوحي كعملية مقدسة تخص الأنبياء والمصطفين الذين ذكرهم القرآن دون غيرهم، وهو ما يجعل أفكار وشحور تلقى معارضة من التيار الفكري المحافظ الذي يرفض تغيير المستقر والثابت.

يعمل الفكر المعاصر على إخضاع ظاهرة الوحي للتفسير العلمي وفق مناهج مؤنسة للميتافيزيقي لتقليص البون بين المطلق والنسبي أي بين الإلهي والبشري، على خلاف القراءة القديمة التي تقدم فهما للوحي يكرس لعلوية المفارق. ويتوضح توجه الأنسنة في دراسة أنماط الوحي التي أوحى بها إلى النبي محمد، وهو ما ذهب إليه شحور فوظف في تحليله المنهج المادي الذي يعتبر أن مصدر المعرفة الإنسانية "هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية." (شحور، 2016، صفحة 42) أي أن العالم الخارجي يمثل الحقيقة الموضوعية وبذلك فالمادة هي مصدر المعرفة. وهذا المبدأ الذي صرح به محمد شحور هو عين المبدأ الذي آمن به كارل ماركس (Karl Marx) وفلاديمير لينين (Vladimir litch Lénine) والماديون عموماً وقد عرف جوزيف ستالين (Josph Staline) المادية بقوله: "تقوم المادية الفلسفية على مبدأ آخر، وهو: أن المادة والطبيعة والكائن هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك أو الشعور، بصورة مستقلة عنه، وإن المادة هي عنصر أول لأنها منبع الإحساس والتصور والإدراك بينما الإدراك عنصر ثان مشتق، لأنه انعكاس المادة "انعكاس الكائن"، وأن الفكر هو نتاج المادة، لما بلغت من تطورها درجة عالية من الكمال." (ستالين، 1990، صفحة 29) ومن يقرأ لمحمد شحور سيلاحظ أن منطلقاته الأساسية كانت تعتمد المنهج الماركسي مع أسلوب اللف والدوران.

ويتبنى شحور هذا التوجه فيعتبر أن المادة تسبق الوجود، والفكر ليس إلا انعكاساً لها والمعرفة صادرة عنها بغض النظر عن مصدر هذه المعرفة حتى إن كان الوحي أو العقل، فيؤكد من خلال ذلك أن الوحي الذي جاء إلى محمد كان عن طريق الحواس التي تمثل وسيطاً في إيصال المعلومات إلى المخ الذي يقوم بتحليل وتركيب وإصدار الأحكام، وتمثل الحواس "واسطة المعرفة والإنسان بحاجة إليها." (شحور، 2016، صفحة 42)، يقول شحور: "كانت بداية الوحي للنبي صلعم بداية فؤادية حيث لو بدأ الوحي مجرداً لما صدق النبي صلعم نفسه ولظن نفسه أنه متوهم." (شحور، 2016، صفحة 284)، فقد تجلى جبريل للنبي صوتاً وصورة وكان النبي في وعيه دون أن يغمي عليه. وهذه الكيفية هي ضرورة بشرية، فالمعرفة الإنسانية تقوم بالأساس على الحواس،

وبذلك فالوحي المنزّل على النبي وفق هذا الطرح ذو طبيعة مادية، فقد كان يأتي من خارج دماغ النبي "من خلال قوانين موضوعية" جبريل "وليس من نشاطات الدماغ الذاتية." (شحور، 2016، صفحة 384) فقد تمت ترجمة الوحي إلى اللغة العربية خارج وعي النبي وتم بعد ذلك نقله إلى قلبه، وبذلك فالقرآن حقيقة يمثل موضوعية تخضع للمناهج العلمية الحديثة. يقول محمد شحور: "القرآن حقيقة موضوعية مطلقة وجودها خارج الوعي الإنساني وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، وعلى رأسها الفلسفة وكل العلوم الموضوعية من "كسمولوجيا وفيزياء وكيمياء، وأصل الكون

والبيولوجيا وسائر العلوم الطبيعية." (شحرور، 2016، صفحة 103)، ما يعني أن المفكر السوري يتبنى تصورا مخصوصا حول العلاقة بين الوجود في الأعيان وصور الموجودات في الأذهان، ومثلها وذكرنا سابقا فالمعرفة عنده تأتي من خارج الذات ومصدرها الحقيقي هو العالم المادي وليس صورا ذهنية تقابلها تمثلات ملموسة واقعية فالذكر "جاء وحيا ماديا من خارج إدراك محمد أي أنه صيغ خارج وعي محمد وأن التنزيل عملية مادية حصلت خارج إدراك محمد ودخلت إدراكه بالإتزال." (شحرور، 2016، صفحة 64)، فيرفض شحرور بذلك الموقف الفلسفي الذي يقول أن المعرفة الإنسانية تمثل استعادة لأفكار موجودة مسبقا في الذهن مستندا للآية " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والإبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (النحل الآية:78). وقد اعتبر الباحث السوري هذا الموقف قاعدة من بين القواعد التي وضعها لتأويل نصوص التنزيل.

لم يقتصر عمل المفكر السوري على الكشف عن طبيعة الوحي ومصدره، فقد تعرض بالدرس إلى أكثر طرائق الوحي إثارة للجدل وهي المنام (الرؤيا). والجلي أن المجتمعات الإنسانية عرفت قبل الإسلام وجوها مختلفة للرؤيا وكان لها دورا مهما في "الثقافات الإنسانية على الدوام من السومر إلى اليوم". إن الحلم أرقى من اليقظة العادية إخراجا وترميذا، فالعقل البشري عاجز عن إدراك المفارق والظاهرة الخارقة في اليقظة، فتم الوحي عن طريق الرؤيا لأن الحواس تكون أكثر فاعلية ويقظة أثناء النوم، وقد أرجع ابن خلدون ذلك إلى أن الله يقبض الأنفس في المنام حتى تنتقل إلى عالم غير مادي وغير جسماني. فينطلق شحرور من هذه الفكرة ويستثمرها ليميز بين الروح والنفس فيفرق بين الاصطلاحين الروح (Spirit) والنفس (soul). ونجد صدى هذا التصور في تفسير الخازن: " لكل إنسان نفسان، نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة، والنفس الأخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة، والنفس الأخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس (..). وقيل أن للإنسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح." (الخازن، 2004، صفحة 59)، وقد تبني شحرور هذا التصور، بخلاف الفقهاء الذين تعاملوا مع هذين المفهومين من منطلق التفسير اللغوي الترادفي وأهملوا البحث في القضايا الوجودية وفق تفسير علمي، فخلطوا بين الروح والنفس واعتبروها اسمان لمسمى واحدا. وقد رجح هذا الرأي ابن حزم وابن القيم الجوزية وابن تيمية ما يوحي بقصور ادراكهم للنسبي والمطلق أي بين الثابت والمتحرك الأمر الذي ساهم في تكريس الفكر المنغلق.

يبين المفكر السوري أن للنفس معنيان يتعلق الأول باعتبارها كائنا عضويا حيا يخضع للموت والحياة فيقول: " هذه النفس التي نطلق عليها مصطلح الجسد العضوي المادي والذي ينتقل من حال الحياة إلى

حال الموت والتحلل والعضوي والتغيير والفناء." (شحرور، 2016، صفحة 379)، أما المعنى الثاني فهو النفس الإنسانية وتعني الأحاسيس والمشاعر كالحب والكرهية والألم والراحة ولا تنطبق عليها ثنائية الحياة والموت إنما الوفاة. وينفصل هذين المعنيين في المنام والموت إذ يحدث المنام خلال "الوفاة المؤقتة للنفس" أي النوم، فيتراءى للنائم صورا وأحداثا تحتمل إما معنى مباشرا أو معنى رمزيا باعتبارها من المبشرات أو الرؤيا الصادقة.

لقد وظف شحرور هذا الطرح لمعالجة عدة قضايا شائكة منها عذاب القبر والإسراء والمعراج، فقدم تصورا عقلانيا ومنطقيا يسقط التصورات القديمة التي غلب عليها الأسطوري والخيالي، وانخرط في تنسيب مقولة الحقيقة المطلقة المتعالية عن مستويات التفكير والتجاوز والنقد وهو ما يدخل في إطار استراتيجيات القراءة الجديدة.

إن ما يحسب لشحرور أنه حاول تقديم رؤية عميقة لإشكالية الوحي خاصة عندما انطلق من مقارنة مفهوم الرؤيا كأساس ليتطرق إلى مسائل أنطولوجية معتمدا على الأسلوب اللغوي والمنهج المادي الماركسي.

لكن لا معنى لاتهمه للفكر القديم بالخلط بين المفاهيم، إذ نجد تباينا بين آراء المفسرين فمنهم من سوى بين اللفظين ومنهم من ميز بينهما واعتبر أن لكل منهما خصائص متباينة. فوقع شحرور في التعميم عندما اعتبر أن رأيا واحدا يمثل موقف كل علماء اللغة والتفسير الكلاسيكيين.

إضافة إلى أن هذه الألفاظ التي يدرسها حملت في القرآن أكثر من معنى وفقا للسياق الذي وردت فيه، فثلا نجد أن كلمة الروح أحالت إلى عدة دلالات منها ما تعلق بالوحي والملك المكلف به إضافة إلى مسألة الخلق. لكن الباحث يتلاعب بالمفاهيم فعوض النظر في الآيات التي تتحدث عن مسألة خلق الإنسان ليتمكن من صياغة تصور منطقي حول هذا المفهوم قام بإقصائها متعمدا. وقد أقر بذلك من خلال قوله: "لقد قننا باستثناء الآيات التي ورد فيها لفظ الروح والتي تتعلق بخلق البشر." (شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة : مدخل الى القصص وقصة آدم، 2015، صفحة 261) فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المستوى هو: هل من المنطقي إقصاء الآيات التي تتحدث عن الموضوع الذي يدرسه وهو الروح الإنسانية؟ وهو ما يخرج أيضا عن الضوابط التي أرساها في التأويل وهي الترتيل أي تجميع الآيات التي تخص موضوع البحث ودراستها.

لقد اعتمد شحرور مقاربات القدامى منطلقا لصياغة تصورات، فاستحضر المعاني التي أرساها الخازن والزجاج حول مفهومي الروح والنفس والتميز، كما تبني أفكار الفارابي الذي رأى أن قوة الخيلة تهيأ كل إنسان أن يكون نبيا. إذن لا يمكن للقراءة الحديثة الانفلات من التأثير بمقالات القدامى الفلسفية

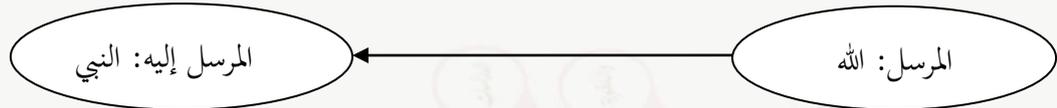
والفكرية، فيجد المفكر المعاصر نفسه منحرفا في توظيف هذه النظريات والسير على نهج أصحابها. فهل حقا أن ما تقدمه هذه القراءة يصنف ضمن الجديد والمبتكر؟ أم أن الأمر لا يخرج عن كونه تكرار لما قدمه السابقون والاكتفاء باللباسه لبوسا جديدا؟ لكن كيف كان تصوره لأطراف الوحي؟ وهل اكتفى بصياغة التمثلات القديمة التي تحصر عملية الوحي في أطراف معينة؟

### III. أطراف الوحي وفق القراءة المعاصرة للقرآن

إن التعريف السائد للوحي في المجال الإسلامي لا يخرج عن كونه خطابا سماويا يتضمن متكلمها يحيل إلى نفسه وهو الله وإلى متلقي الخطاب وهو الرسول إضافة إلى الوسيط أي جبريل أو "الروح الأمين". وقد وردت كلمة الروح في عدة مواضع في القرآن وجاءت بأكثر من مدلول وفق السياق. فنجد سياقاً يتعلق بالوحي أي بالملك الذي يمثل وسيطاً في عملية الوحي كما في قوله "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين." (الشعراء الآية: 193)، وقوله "قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين." (البقرة الآية: 97). فاتفق الفقهاء على أن المقصود بالروح الأمين هو جبريل، فاعتبر الوسيط الذي نقل الوحي إلى محمد بل وإلى الأنبياء جميعا. وأدى الفهم الكلاسيكي الذي أرساه القدامى إلى إكساب هذه الدلالات بعدا متعاليا. فتحول القرآن إلى نص منغلق أو مدونة (corpus) استعارة لتعبير محمد أركون. فالدلالات أضحت شيفرات مغلقة سدت منافذ التأويل أمام هذا الكيان الصامت خلافا لما يحمله القرآن من حيوية ودينامية وطاقت تأويلية. فما معنى الروح الأمين وفق شحور؟ هل هو جبريل مثلها ترسخ في الأذهان؟ وهل فعلا تمت عملية التنزيل عبر وسيط بين المفارق والمتعالى؟

يحاول محمد شحور إرساء تصور آخر للمسألة يقيم قطيعة حسب مفهوم باشار (Gaston Bachelard) مع منظومة المصطلحات التراثية. فربط الوحي بالروح (جبريل) التي تمثل المعرفة والقدرة على التشريع واستيعاب قانون عدم التناقض، والقدرة على التعامل مع المجرد عبر اللغة ذات المقاطع الصوتية البسيطة أو متكاملة المقاطع. وقد نقل جبريل أوامر الله يقول شحور: "وسمي جبريل روحا لأنه ينقل الأوامر (الرسالات) والمعلومات (النبوات)". (شحور، الكتاب والقرآن، 2016، صفحة 325)، وقد اعتمد هذه الفكرة للقول بالنبابة الإلهية، فقول هذه الروح في الإنسان هيئه ليكون خليفة لله في قوانين الربوبية باكتسابه القدرة على تسيير الوجود وعلى التشريع دون حاجة للنبوات. ويعتبر شحور أن مقاربتة هذه تمثل "الحلقة المفقودة في نظرية داروين حول الأنسنة." (شحور، الكتاب والقرآن، 2016، صفحة 135). إن هذا المفكر متأثر بنظرية داروين للتطور فيرى أن الإنسان تطور بخلاف القرود لأن الله نفخ فيه الروح مما أدى إلى أنسنته وتعالیه عن عالم الحيوان وصولا إلى مرحلة الرشد أو ختم النبوة "إيذانا

بدء مرحلة ما بعد الرسائل التي سينتقل دور الإنسان فيها من مجرد مسترشد بالوحي إلى تمام الاستقلالية والمسؤولية عن نفسه وعن تاريخه. " (شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة : مدخل إلى القصص وقصة آدم، 2015، صفحة 66) فنستنتج أن جبريل (الروح) ليس كائناً مفارقاً بل يمثل برامج الوعي والإدراك الموجودة داخل كل إنسان وهو ما يثبت القول أن الوحي تم دون وساطات وبذلك فالوحي ليس أمراً خارقاً. وتكون أطراف الوحي إذن بهذا الشكل:



كما نفهم من خلال ما قيل أنّ شحرور يستلهم ختم النبوة بمفهومها الفلسفي الذي بلوره الفيلسوف الهندي محمد إقبال وقبل ذلك كان المفهوم يشير إلى حدث تاريخي حصل لحظة انقطاع الوحي، فرأى إقبال أن الوحي سيرورة تمتد على كامل التاريخ البشري منذ الطفولة إلى النضج وهو صفة عامة من صفات الوجود لكن طبيعته وحقيقته تختلف باختلاف مراحل التدرج والتطور في الوجود، كما تتغير وفقاً لحاجات مستقبل الوحي. ويميز بين عالمين: عالم قديم يعتمد على العاطفة والغريزة والإيحاء وتكون النبوة من خلاله ضرورية. وعالم جديد في نمط تفكيره، إذ يعتمد على الاستدلال العقلي. وبعد اسقراءه لنصوص القرآن تبين له أن محمد يمثل علامة فارقة بين هاذين العالمين، فيعتبر أن ختم النبوة إشارة للتبشير باستقلال الإنسان عن كل أشكال الوساطات الخارجية عن العقل الإنساني ما يعني استبدال التقليد والترديد بالفهم والتجديد.

إنّ جوهر الوحي هو العقل الذي هياً الإنسان ليكون قادراً على التمييز ورسم مساره بنفسه ومسؤولاً عن أفعاله وأفكاره، وكأن تأويل ختم النبوة في الفكر المعاصر يعتبر منفذاً إلى قتل الإله في الإسلام مثلما قتل نيتشه (Friedrich Nietzsche) الإله في المسيحية.

لقد ساهم شحرور في إثراء فهم ختم النبوة بإمكانات جديدة يكون الإنسان بمقتضاها مسؤولاً عن حياته ومصيره مسؤولية تامة وله الحرية في تصريف أمور دنياه دون أن يكون مقيداً بحرفية النصوص المنزلة. وبذلك يتمسك الباحث بالاتجاه المقاصدي ويدفع به إلى غايته القصوى حتى يتخلص الإنسان من تعسف المؤسسة الدينية، ويتحرر الإسلام من النزعة الحرفية للنصوص.

لكن إذا كان الوحي أو الإلهام لغير الأنبياء يتم عن طريق العقل وحده دون الحاجة إلى كائن مفارق فهل فعلاً أن الوحي المحمدي تم دون وساطة الملك جبريل؟

نجد أن القراءة اللسانية والسيمائية تُسقط ما ذهب إليه شحرور عندما اعتبر أن الوحي تم دون وسيط، فقد تغافل عن إشكالية الصوت في الخطاب القرآني وتأرجحه بين الأحادية والتعدد خاصة وأن استبعاد

جبريل يخلق إشكالا خلال الحديث عن الوحي المباشر إذ نثير الآيات السبع الأولى من سورة النجم جدلا حول هويّة المتجلي، وتطرح قضية رؤية النبي لربه خلال عملية الوحي المباشر. فالسؤال الذي يطرح نفسه هل انكشف الله لمحمد؟

وقد انطلق بعض المفكرون المعاصرون من المنهج الألسني لحل هذا الإشكال بالتعامل مع القرآن كخطاب، مثل نصر حامد أبو زيد الذي وقف على عمق إحالات الضمائر وتعمد أنساقها التي تكشف عن أكثر من إمكانية للإحالة، فضميرا المتكلم أنا ونحن لا يميلان بالضرورة إلى الصوت الإلهي، إنما يميلان في العديد من المواضع إلى الرسول وجبريل. (Abu Zayd، 2004، صفحة 11) كما أن صوت الرسول يدخل بين صوتي الله وجبريل يشتهي اليهود أو مشركي قريش وبذلك يضاف صوتهم إلى العملية الحوارية ويتحول خطاب الله على لسان جبريل إلى خطاب منقول (discours rapporté). (Abu Zayd، 2004، صفحة 19) ويمكن أن تكون الإحالة إلى الصوت الإلهي بضمائر متنوعة بالإفراد أو الجمع، بالحضور أو الغياب بواسطة الضمير "هو" أو "أنت"، خاصة الفعل قل المقترن بضمير الغائب، فيكون المخاطب مجهولا ولا يمكن إدراكه إلا بالرجوع إلى السياق الخطابي (Abu Zayd، 2004، صفحة 19). ليستنتج أبو زيد أن صوت جبريل متضمن في الفعل قل فيكون بذلك عاملا وسيطا (actant intermédiaire). (Abu Zayd، 2004، صفحة 21)

نجد صدى هذا التصور في مقاربة هشام جعيط الذي تبنّى تكاثر الضمائر المستترة في المقاطع التي عدها أساسية في اكتشاف لحظات التجلي والوصول إلى أطراف عملية الوحي. فأشار إلى أن هذا التكاثر "صعب على المفسرين والمترجمين ردها إلى فاعل واضح". (جعيط، 2007، صفحة 50)

حاول البعض تجاوز هذا الإشكال من خلال تقديم تصور آخر لأطراف الوحي وذلك بالقول أن الشخص الميتافيزيقي لم يكن الله وأن محمد لم يرى سوى الوسيط المبعوث من الله. وهذا ما ذهب إليه جعيط فيرى أن سورة النجم وصفت التجربة الأولى كما برزت للنبي في شيء من الغموض لأنها فعلا مباغثة أولية. بقي أن الوحي كان مصدره الله المتعالي فيقول: "إن الناقل له مبعوث الله كما ورد في سورة التكوير، وكما سيره فيما بعد في الفترة المدنية: "قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله". وليس من المستحيل أن يعتبر القرآن في هذه الفترة أن محمدا "عبد" هذا الشخص الماورائي، وذلك لأن سورة النجم تريد أن تعبر عن انطباعات محمد الغامضة في أول لقاء، ومعنى ذلك أن محمد قد يكون ظن أن هذا الكيان هو الله، حتى كشف له القرآن فيما بعد أن الله لا يرى". (جعيط، 2007، صفحة 106). إذن نفهم من خلال هذه التصورات وجود طرف ثالث كان أداة الوصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة وبذلك تدور عملية الوحي بين ثلاثة أطراف:

المرسل إليه: النبي

الوسيط: جبريل

المرسل: الله

## خاتمة

حاولنا من خلال هذه المقالة تسليط الضوء على الضوابط المشكلة لقراءة محمد شحرور للوحي التي مثلت اجتهادا سعى من خلاله إلى تحقيق جملة من الأهداف منها محاولة تأسيس منظور معاصر للنظر في قضية الوحي مخالف لمعهد منهج التفسير التراثي. إضافة إلى تسطير فهم معاصر بناء على متقنيات منهج مخصوص للنظر في نصوص التنزيل، هذا وأنه اعتمد مسلك القطيعة (التي ليست مطلقة وإن كانت غالباً) ناظمه الكلي في قراءة القرآن مع الموروث الاسلامي المتصل رأساً بالقرآن منهجياً ومعرفياً.

## قائمة المصادر والمراجع

- أركون (محمد) : القرآن من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2005.
- جعيط (هشام) : في السيرة النبوية، الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط3، 2007.
- الخازن، باب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، 2004.
- الربيعي (جلال)، من القرآن إلى المصحف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2016.
- سبنوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير لبنان، ط1، 2005.
- ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، دار ابن سينا، ط1، 1990.
- شحرور (محمد) :
- ✓ القصص القرآني قراءة معاصرة : مدخل الى القصص وقصة آدم، دار الساقى ، ط3، بيروت 2015.
- ✓ الكآب والقرآن ، دار الساقى، بيروت، ط6، 2019.
- Abu Zayd Nasr Hamid , Rethinking the towards Qur'an, a human tic hermeneutics 1<sup>st</sup> ed SWR Publisher ,Amsterdam Netherlands , 2004.

## دور القنوات الفضائية في تعزيز حقوق الإنسان وحياته الأساسية

(دراسة وصفية تطبيقية على قناة العربية)

The Role of Satellite Channels in Promoting Human Rights and Basic Freedoms

(An Applied Descriptive Study on Al-Arabiya Channel)

د/ عبدالمولى موسى محمد موسى، أستاذ الاعلام المشارك، عميد كلية الاعلام والاتصالات، جامعة السودان للعلوم

والتكنولوجيا، السودان

00249912316908 - abdelmoula.musa@gmail.com -

بدور عبد الوهاب المنير، طالب باحث في الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان

[bedouralmounir74@gmail.com](mailto:bedouralmounir74@gmail.com) -

### المستخلص

عنوان البحث : فاعلية البرامج التلفزيونية الحوارية في تعزيز الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية، هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية الإعلام التلفزيوني من خلال القنوات الفضائية في التوعية بثقافة حقوق الإنسان. والكشف عن الطريقة التي تعالج بها القنوات الفضائية قضية حقوق الإنسان من خلال معرفة أسباب حرص الجمهور على متابعة برامجها التي تعمل على التوعية بثقافة حقوق الإنسان والوقوف على أكثر البرامج التلفزيونية التي تحمّل قضية حقوق الإنسان على القنوات الفضائية العربية " قناة العربية " وتمثلت مشكلة البحث في معرفة مدى فاعلية البرامج التلفزيونية الحوارية في تعزيز الوعي بحقوق الإنسان . وبعد تحديد المشكلة تم طرح عدة أسئلة أهمها : إلى أي مدى نجحت القنوات العربية الفضائية "قناة العربية " من حيث تبنيها لقضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الإعلامية الكفوءة ؟ وماهي أنواع وأشكال البرامج التلفزيونية التي تقدمها القنوات الفضائية العربية قناة العربية " ومدى تبنيها وخدمتها لقضية حقوق الإنسان ؟. إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي التحليلي لأخذ عينة من خبراء الإعلام والقانون والعلوم السياسية من أساتذة الجامعات، وقناة العربية الفضائية وبلغ عددها (60) مفردة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها : أن القنوات العربية الفضائية "قناة العربية " تسهم بدرجة كبيرة في عملية رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان من خلال البرامج الحوارية التي تقدمها. كذلك أكدت الدراسة أن قناة العربية الفضائية نجحت في تبني قضايا حقوق الإنسان وحياته الأساسية من خلال التنوع والمواكبة والتقنية العالية. كما أوصت الدراسة بعدة توصيات أهمها : تركيز الجهود البحثية الإعلامية على دراسة فاعلية الإعلام التلفزيوني من خلال البرامج التلفزيونية على القنوات الفضائية وأدوارها وأثارها على الحياة الإجتماعية، ثم توظيفها لرفع درجة الوعي.

الكلمات المفتاحية: القنوات الفضائية - تعزيز - حقوق الإنسان - البرامج التلفزيونية.

## Abstract

The Study aimed to identify the effectiveness of television media through satellite channels in raising awareness of culture of right. And to reveal the way in which satellite channels address the issue of human right by knowing the reasons of the culture of human rights. Ana find out more television programs that the issue of human rights on Arab satellite channels serves "AL-Arabia" and the research problem was knowing how effective it is TV talk show shows in promoting awareness of human rights. After identifying the problem, several questions were asked, the most important of which are: to which the extent to which the Arab satellite channels, AL-Arabia, succeeded in their adoption of human rights and fundamental freedoms issue Diversity, adaptation high technology and efficient media frameworks? What types and forms of television programs provided the channels Arab satellite channels" Al- Aarabia" and how far they have adopted and served the human rights issue? The study depended on the curriculum. The descriptive analytical survey of asample of media, law and political science exports from university professors and Al Arabiya, the satellite number was (60) singles.

The study reached a number of results, the most important of which are Arab satellite channels" Al-Arabiya" contribute significantly to the process Raising awareness of human rights through the talk show that they offer, The study also confirmed that Al-Arabiya satellite channel it has successfully embraced human rights and fundamental freedoms issues through diversity ,adaptation and high technology, The study also recommended several recommendation, the most important of which are: Focusing media research efforts on studding the effectiveness of television media through TV programs on satellite channels, their roles and effects on social life, and then employing them to raise awareness.

مقدمة :

جاء التحول الهائل في البث التلفزيوني بظهور البث الفضائي الذي يتطور كل يوم ليقدم سلاحاً جديداً بالغ الخطورة يستطيع أن يخترق كل الحدود ليقدم بالصورة المبهرة أفضل أسلحة الحروب الإعلامية. فكما قدم البث الفضائي لأنظمة الحكم سلاحاً قوياً في حروبها الإعلامية فقد فتح الآفاق أمام الجماهير المحاصرة إعلامياً لتطلع إلى مستقبل تنهار فيه أسوار الحصار الإعلامي . وأصبح في إستطاعة هذه الجماهير متابعة الأخبار والمواد السياسية التي حرمت من متابعتها لزم من طویل بفضل البث الفضائي.

وبفضل ثورة المعلومات وتكنولوجيا الإتصال الحديثة ، أصبحت وسائل الإعلام وخطابها واسع الإنتشار ذات قدرات عالية في تشكيل العقل وصنع الفكر وتوجيه الوجدان سواء في وطننا أو في العالم الأكثر تقدماً، ولذلك فإن الإهتمام بالتعريف بحقوق الإنسان وبتدعيم الحريات الأساسية ، وبتشجيع ودعم الإصلاح الديمقراطي الحقيقي يحتل اليوم مقدمة المهام لأنه الأكثر تأثيراً وإنتشاراً والأسرع نفاذاً ووصولاً.

هذا الواقع ماخذنا بالباحثان لدراسة ما يمكن أن تقدمه القنوات الفضائية من أدوار في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وغرس هذه الثقافة في نفوس الناس. وسيؤكد هذا البحث أو ينفي هذه الفرضية الأساسية التي بنى عليها الباحثان فكرتهما . لذا تهتم هذه الدراسة ببحث وتفصي ودراسة فاعلية الرسالة الإعلامية المقدمة عبر القنوات الفضائية عامة وقناة العربية الفضائية مجتمع الدراسة في تبني القضايا الإجتماعية متخذة من مفهوم حقوق الإنسان وحرياته الأساسية أحد هذه القضايا التي من المفترض أن يكون الإعلام التلفزيوني الفضائي ساهم في تعزيزها ، بإعتبار ثقافة حقوق الإنسان هي الأساس ، وإرتباط حقوق الإنسان بالتنمية والديمقراطية.

القنوات الفضائية يمكن أن تسهم بفاعلية كبيرة من خلال الرسائل الإعلامية الموجهة إلى الجمهور إذا ما استخدمت بطريقة إيجابية موضوعية في مساعدة الإنسان من الإستفادة من المعلومات والحقائق التي يتم بثها لتعمل على غرس الثقافة الحقوقية.

فقضية حقوق الإنسان والحريات التي يجب أن يتمتع بها أصبحت موضوع الساحة والشغل الشاغل لكل الناس وذلك ربما يرجع إلى أن العالم أصبح أكثر إنفتاحاً في ظل ثورة المعلومات

والتكنولوجيا أو ربما للتنافس الذي تزداد حدته كل لحظة بين القنوات الفضائية لتحقيق سبق الصحفي وإيكتساب أكبر عدد من الجمهور.

**مشكلة البحث:** لذا تتمثل في إيجاد الحلول والطرق التي تعمل على تعزيز ثقافة حقوق الإنسان ورفع درجة الوعي لديه وحمايتها من الإتهاك والظلم والإستبداد ، وبما أن الإعلام التلفزيوني أصبح مسيطراً على المجتمعات من خلال البث التلفزيوني الفضائي الذي يخترق كل الحدود لذا يتبنى البحث سؤال رئيس متمثلاً في مامدى فاعلية البرامج التلفزيونية المقدمة عبر القنوات الفضائية في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

### تساؤلات البحث:

#### يجب البحث عن التساؤلات الآتية:

1. ماهى أنواع وأشكال البرامج التلفزيونية التي تقدمها القنوات الفضائية " قناة العربية" ، ومدى تبنيها وخدمتها لقضية حقوق الإنسان ؟
2. ما أهم الأسباب التي تجعل المشاهد حريصاً على مشاهدة ومتابعة البرامج التلفزيونية التي تعمل على رفع درجة وعيه بحقوقه وحياته الأساسية ؟
3. مامدى تبني القنوات العربية الفضائية "قناة العربية" للقضايا الإجتماعية بصورة عامة وقضية حقوق الإنسان بصورة خاصة ؟
4. مامدى نجاح القنوات الفضائية العربية من حيث تبنيها لقضية حقوق الإنسان من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الإعلامية الكفوءة ؟
5. ماهي رؤية قناة العربية الفضائية ؟ وما هى خططها الإعلامية الإستراتيجية في تبني قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية ؟

#### أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث على النحو التالي:

1. أهمية دور القنوات الفضائية من خلال البرامج التلفزيونية التي تقدم عبرها في تعزيز الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

2. خلق إنسان يعي حقوقه كاملة ويتمتع بكل حرياته التي كرمها به الله سبحانه وتعالى.
3. أهمية تطوير العنصر البشري " القائم بالإتصال " وتزويده بالتدريب المستمر حتى يصبح إعلامي حقوقي من الدرجة الأولى.
4. إنتاج برامج تلفزيونية وفق خطط وأهداف إستراتيجية تعمل على غرس ثقافة حقوق الإنسان 5 إعطاء صورة جديدة للعدالة الإجتماعية التي لها أثر كبير تجاه التنمية البشرية .

#### أهداف البحث :

1. الوقوف على أكثر البرامج التلفزيونية التي تخدم قضية حقوق الإنسان على القنوات العربية الفضائية "قناة العربية".
2. معرفة مدى فاعلية الإعلام التلفزيوني الذي تقدمه القنوات الفضائية و معرفة أسباب حرص المشاهد على متابعة برامجها التي تعمل على التوعية بثقافة حقوق الإنسان.
3. الوقوف على قضية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من خلال دور القنوات الفضائية العربية في هذه القضية.
4. معرفة مدى نجاح أو فشل القنوات الفضائية العربية "قناة العربية" في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية.
5. محاولة بناء إستراتيجية لقناة إعلامية حقوقية تعمل على تبني وخدمة قضية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

#### فروض البحث :

1. القنوات العربية الفضائية تعمل وفق تخطيط إستراتيجي يعمل على تبني قضية حقوق الإنسان.
2. قناة العربية الفضائية لها تأثير مباشر على الحكومات والشعوب في صنع قراراتها ووضع سياساتها .
3. البرامج التلفزيونية على القنوات العربية الفضائية " قناة العربية " وسيلة فاعلة في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

#### منهج البحث :

هذه الدراسة تعتمد على منهج البحث المسحي الوصفي التحليلي والتاريخي لمسح عينة من خبراء الإعلام والعلوم السياسية والقانون ويعتمد على إستخدام بعض الأدوات البحثية مثل الإستقصاء والمقابلة والملاحظة.

### أدوات جمع البيانات :

الأدوات الثانوية: تعتمد هذه الدراسة على بعض الأدوات البحثية المتمثلة في جمع المعلومات والبيانات وهي المراجع العلمية والدراسات المختصة ، من كتب ومراجع ومعاجم ودوريات ومجلات ورسائل علمية ومواقع إلكترونية ومقابلات.

### الأدوات الأولية : إعتد الباحثان على الأدوات التالية :

أ/ الإستبانة : وهي أستخدمت كأداة رئيسة لإستقصاء الرأي الجمعي لعينة من الخبراء والمختصين في الإعلام والقانون والعلوم السياسية.

ب المقابلة : حيث أجرى الباحثان مقابلات مع خبراء الإعلام والمختصين العاملين في قناة العربية الفضائية .

### الإطار النظري

#### تمهيد :

بدأ الإهتمام المهني والمعرفي بالبرمجة التلفزيونية في وقت مبكر جداً في الولايات المتحدة الأمريكية، وتطورت إلى درجة بروز مختصين بارعين في المجال توصلوا إلى صياغة إستراتيجيات وتكنيكات مختلفة (تمار ، 2007 ، الانترنت).

بينما ظلت في الكثير من القنوات التلفزيونية الأوربية مجهولة إلى غاية الستينات من القرن الماضي ، والسبب في ذلك يعود إلى

إحتكار الدولة لملكية التلفزيون ، وبالتالي غياب التنافس بين القنوات التلفزيونية التي لم تشهد التعدد والتنوع الذي عرفته في العقد الأخير من القرن الماضي ، وربما يعود أيضاً إلى الفهم البسيط

والذي تحول إلى صورة نمطية ، ومفاده أن وجود البرامج التلفزيونية تفرض ذاتها على المشاهد ، وتستطيع أن تجذب أكبر عدد من المشاهدين ، بصرف النظر عن توقيتها وأيام بثها! لعل هذه الصورة النمطية أفرزتها الرؤية المفرطة لعقلانية المشاهد التي لا تأخذ بعين الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي للمشاهدة التلفزيونية في ظل التطورات التكنولوجية العاصفة التي مسحت بعض المهن التقنية من الوجود في العمل التلفزيوني واستحدثت أخرى ، وأمام تزايد متطلبات الإدارة الحديثة للقنوات التلفزيونية ، التي فرضها إقتصاد السوق، ما زالت وظيفة البرمجة التلفزيونية مجهولة لدى قطاع واسع من المشاهدين وغامضة لدى الكثير من المهنيين في المنطقة العربية ولا يزال بعض مسؤولي البرمجة التلفزيونية ذاهمين. لا يملكون مع الأسف الرؤية الواضحة لدورهم ووظيفتهم (دلاتي، 2005، الانترنت).

### مفهوم القنوات الفضائية :

القنوات الطبيعية هي أحد أشكال المنصات الإعلامية التي ظهرت خلال الفترة الأخيرة من القرن الماضي، والهدف منها تقديم محتوى ذي طبيعة إعلامية متنوعة ، ويعرف هذا المصطلح أيضاً بإسم المحطات التلفزيونية، ولقد سميت بهذا الإسم لأنها ترتبط بشكل مباشر مع الأقمار الفضائية ومنها تصل إلى مختلف أجزاء العالم وفق منطقة البث الذي يغطيه القمر الصناعي الفضائي ( الغضبان، 2010م (24). تعمل هذه القنوات من المختصين وذوى الخبرة في هذا المجال ، من مخرجين ومصورين ، وفنيين وصحفيين وإعلاميين ومنتجين ومنسقين ، وتتنصف هذه القنوات بصفة الشمولية ، أى تقديم محتوى إعلامي بجوانبه المختلفة التي يمكن من خلالها جذب عدد أكبر من المشاهدين ، أو تتم بصفة التخصص ، أى تناول جانب واحد من قطاعات الإعلام ، مثل السياسة والإقتصاد ، والرياضة ، والسينما، والترفيه ، والثقافة ، والفن ، والمنوعات والشؤون المحلية والإقليمية والدولية، ويسعى جميع القائمين على أى قناة فضائية مواكبة جميع الأحداث التي يمكن من خلالها إنجاح وتطوير القناة.

### الأهداف الإستراتيجية للقنوات الفضائية وسياستها الإعلامية

تحدد الخطة الإعلامية لإتحاد الإذاعة والتلفزيون سبعة أهداف إستراتيجية: (إتحاد الإذاعة المصرى، 1981، 86 )

1. الهدف الإستراتيجي الأول : تحقيق زيادة مساحة في الفضاء الخارجي وإحتلالها مكانة بارزة فيه بإطلاق عدد من الأقمار الإصطناعية (نايل سات لتصبح عنصراً فاعلاً في نادي الفضاء العالمي ،

ومنافساً بقنوتها المتخصصة لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين وتحقيق التكامل بين منظومة الإعلام العربي والدولي.

2. الهدف الإستراتيجي الثاني: التطوير الدائم والمستمر لقدرات الإعلام الإذاعي المسموع والمرئي وإمكانياته لتحقيق أقصى درجة ممكنة من الإستشارات بما يحقق السيادة الإعلامية داخلياً وخارجياً.

3. الهدف الإستراتيجي الثالث: الإرتقاء بمستوى الرسالة الإعلامية من حيث الشكل والمضمون بما يحقق فاعليتها ووصولها إلى الجماهير وتجاوب الجماهير معها في الداخل والخارج.

4. الهدف الرابع: دعم النظام العام للمجتمع والمساهمة في إثراء التطور الديمقراطي الذي يتم في إطار قيم المجتمع وتقاليده.

5. الهدف الإستراتيجي الخامس: الوصول بالإعلام الإذاعي المسموع والمرئي إلى أفضل أداء متميز ومتطور خدمة لأهداف التنمية الشاملة والمتكاملة للمجتمع.

6. الهدف الإستراتيجي السادس : المعالجة الموضوعية للقضايا المجتمعية والقومية بما يستند كل الطاقات للمساهمة في الجهود المبذولة في هذا الإطار.

7. الهدف الإستراتيجي السابع: تحقيق أقصى إستجابة ممكنة للحقوق الإعلامية للمتلقي ، بشكل يضمن التوازن بين تلك الإستجابة من ناحية ودور الإعلام الإذاعي المسموع والمرئي في خدمة أهداف التنمية من ناحية أخرى (رضا، 2009 ، 258 -259).

#### التخطيط لإعداد برنامج:

لا بد أن تخضع عملية التخطيط لإعداد أى برنامج للتخطيط الإستراتيجي والذي بدوره يقوم بكافة الخطوات الإستراتيجية المنظمة والتي تهدف إلى خدمة وتحقيق أهداف هذا البرنامج.

تمر عملية إعداد البرنامج بمراحل أساسية هي: (غباشي، 2008، م 35-36 )

إختيار الفكرة (الموضوع وإسم البرنامج يستطيع المعد من خلال المعاشة الكاملة للواقع المحيط به بمشكلاته وقضاياه وإهتماماته أن يجد الأفكار التي تناسب مع سياق البرنامج الذي يعده ، وتعتبر المتابعة الدائمة لوسائل الإعلام والقراءة والدراسات التي تقوم بها مراكز البحوث والجامعات كل هذه تمثل روافد مهمة لخلق أفكار جيدة لأن الفكرة هي رأس مال وبنك معلومات المعد).

## قوالب البرامج التلفزيونية :

الشكل أو القالب : هو الهيئة التي تقدم بها المادة الإذاعية ولا علاقة لها بالمحتوى المقدم أو الجمهور الذي يستهدفه البرنامج . (جامعة القاهرة ، 2012م، الانترنت).

يجب على معد البرامج التلفزيونية أن يتعرف على أنواع القوالب المختلفة التي من الممكن أن تخرج فيها البرامج التلفزيونية ، ويمكن إجمال هذه الأنواع كالآتي: (عبد النبي، 2010م، 191).

1. برامج الحديث المباشر وهي عبارة عن المادة الإعلامية التي يقدمها أحد المتخصصين إلى جمهور المشاهدين، ويعتمد على أسلوب السرد، ويكون الشخصية المتحدث أثر كبير في تحقيق الحديث أهدافه، إضافة إلى حسن الأداء، وسلامة اللغة ووضوح الهدف.

2. برامج المناقشات أو الندوات وهي من أكثر البرامج جاذبية لأنها تعكس وجهات نظر مختلفة وآراء متعددة وتضفي لونا من ألوان الجدية في النقد والتعبير عن الرأي ، ويصل فيها عدد الضيوف الى أربعة .

3. برامج الحوارات والمقابلات Discussion Programs And Interview And Talk

: Programs

هي من أكثر البرامج التلفزيونية إنتشارا ويضم هذا النوع ثلاث أقسام وهي: (الشميري، 2011م ، 62) أ/حوار الرأي ويعتمد على إستطلاع رأى شخصية معينة في موضوع ما.

ب/حوار المعلومات ويهدف الحصول على المعلومات أو البيانات التي تخدم هدفاً معيناً ج حوار الشخصية (عبد النبي ، م س ، 191-192 ) ويستهدف هذا القالب تسليط الضوء على شخصية ما وتقديم الجوانب المختلفة منها للمشاهد.

سياسة المؤسسة الإعلامية :

فقط العمل الذي تنتجه المؤسسة الإعلامية قد يمثل ضغوط على القائم بالاتصال ويحتم عليه إنتهاج فكر مهني معين وتمثل هذه الضغوط في عوامل خارجية وعوامل داخلية ، ونعني بالعوامل الخارجية موقع الوسيلة من النظام الإجتماعي القائم ، ومدى إرتباط المؤسسة بمصالحه

أما العوامل الداخلية فتشمل نظام الملكية وأساليب السيطرة والنظم الإدارية وضغوط الإنتاج. وتؤدي هذه العوامل دوراً مهماً في شكل المضمون المقدم للجمهور وتنتهي بالقائم بالاتصال إلى أن يصبح جزءاً من الكيان العام للمؤسسة الإعلامية.

حيث نجد أن كثير من القائمين بالاتصال يعتبرون أنفسهم موظفين في بيروقراطية جمع الأبناء فهم لا يعبرون عن أفكارهم بل يقومون بالتعبير عن أفكار صاحب المؤسسة الإعلامية وينتهجون نهجه (جامعة مستغانم ، الجزائر).

وبشكل عام تنطلق معظم السياسات الإعلامية من النظام السياسي وتوجهاته وأهدافه المركزية ، متبينة الفكر السياسي للدولة على مستوى السياسة الداخلية والخارجية، وعادة ما تعكس هذه السياسة فلسفة الدولة الإنمائية وسياسة المؤسسة الإعلامية الداخلية للتعبير عن مجمل النشاط الإقتصادي والاجتماعي والثقافي.

فسياسة المؤسسات الإعلامية في الدول العربية ما زالت تتأطر بمفاهيم محددة تملها عليها سياسة الدولة وليست لها إستراتيجيات واضحة فهي (المعشر ، 2007م ، الإنترنت).

1/ سياسة ينقصها التنسيق والتفاعل مع المؤسسات الاجتماعية والإقتصادية والتعليمية والتربوية والثقافية مما يجعلها تعاني من التناقض والتكرار.

2/ سياسات تحكمها النظرة القطرية الضيقة في كثير من توجهاتها ، وهنا يفقد عنصر التفاعل والحيوية.

3/ سياسات دون جهة تتولى رسم خططها وتنظيماتها.

4/ سياسات دون جهاز متطور من التخطيط والمتابعة الإعلام وحقوق الإنسان :

للإعلام عموماً بما في ذلك القنوات الفضائية والإذاعة والتلفزيون ووكالات الأنباء والصحافة المكتوبة دور كبير في تحسين وضع حقوق الإنسان في كل بلد من بلدان العالم ، فما هي حقوق الإنسان ؟ وماهي تداعياتها ؟

**مفهوم حقوق الإنسان :**

يقول محمد النجمي المقصود بحقوق الإنسان ( تلك المبادئ والقوانين العامة التي إتفقت عليها الأديان والقوانين الوضعية الدولية فيما يتعلق بإحترام الإنسان في مجال عقيدته، وحرية ، وثقافته، وفي مجال

حقوق المرأة والطفل والقضايا السياسية وحرية التفكير، وهي حقوق كفلتها الشريعة الإسلامية وجميع الأديان والقوانين الدولية (النجيمي ، 2003م، الإنترنت)

تعريف كوفي عنان الأمين السابق للأمم المتحدة من سنة (1997م - 2007م) لحقوق الإنسان 1998م، في الذكرى الخمسين لإعلان العالم لحقوق الإنسان تتعلق بكرامة الإنسانية، وبالرغم من التفاوت في نظرنا للإنسان فلا بد أن تكون هناك ثوابت أساسية متعارف عليها من كل الشعوب التي على الأرض، تشكل الحد الأدنى الذي لا يجوز الإخضرار دونه، لكي يضمن لهذا الإنسان الحقوق الأساسية والكرامة النفسانية والعيش الكريم.

### حقوق الإنسان والديمقراطية

إتخذ المجتمع العالمي خطوات واسعة على صعيد حقوق الإنسان وأعتبرها جزء من قواعد القانون الدولي العام الإنساني ، فعلى سبيل المثال هناك إتفاقيات جنيف والبروتوكولات الإضافية ،ومحددات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م إلى العهدين الدوليين للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والحقوق المدنية والسياسية 1966م إلى الإتفاقية الدولية للقضاء على كل أشكال التمييز العنصري 1965م ، وإتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة 1979 م ، هذا فضلاً على الصكوك الإقليمية لحقوق الإنسان وأجهزة الأمم المتحدة المتخصصة ولجانها ومفوضياتها في هذا المجال ، وتقارير مركز جنيف ومنشورات المنظمات غير الحكومية ، إلا أنه ما تزال مسيرة حقوق الإنسان تصطدم بعدة إنتهاكات في مطلع الألفية الجديدة في معظم القارات على الكرة الأرضية آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة (بول، 1986،96)

### حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية :

تتمتع حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية بمنزلة خاصة وبضمانات لا نظير لها في الشرائع الوضعية وذلك لتميزه في النظرة الشمولية لحقوق الإنسانية إنطلاقاً من كلمتي الله والإنسان ، فالله هو الخالق العالم المدير وقال تعالى : ( مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) {يوسف/40} فلا معبود إلا الله ولا خضوع ولا إنقياد إلا له سبحانه وتعالى وما عداه من البشر أما عبداً أو عبيداً ولا يتفاضلون فيما بينهم ولا يتعالى أحدهم على الآخر .

والإسلام جعل الإنسان المحور المركزي للمسيرة الإنسانية بحيث تصب كل معطياتها وطموحاتها في محصلة نهائية هي خير هذا الإنسان بإعتباره أكرم خلق الله في الوجود .  
والشريعة الإسلامية قررت للمسلمين حقوقاً تخصهم كأفراد وحقوقاً تشملهم كجماعات وبذلك التقدير حدد مدلول حقوق الإنسان وحرياته بما يصون كرامة الإنسان ويكفل حقوقه وحرياته. والإسلام وضع إطاراً من الشريعة لحفظ الحقوق الإنسانية فلا حقوق بلا حدود أي لا حقوق مطلقة ، فالمسلم عليه واجب مقدس تجاه حقوق الآخرين . عليه ألا يتجاوزها لأن في تجاوزها إعتداء على حقوق الغير.  
والحرية في الإسلام مستمدة من العقل وميزان العقل هو العدل والمساواة وهو ما قامت عليه الدعوة الإسلامية من خلال قانونها العادل القرآن الكريم وذلك رفعة لكرامة الإنسان والله يأمر بالعدل والإحسان بين كافة الناس.

والحقوق الإنسانية التي يقرها الإسلام ليست منة من حاكم أو جهة معينة بذاتها وإنما هي حقوق أذليه فرضتها الإدارة الربانية فرضاً لا يتجزأ نعمة من الله على الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم وسخر له ما في السموات وما في الأرض قال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ) {لقمان/20}

### دور الإعلام في تعزيز حقوق الإنسان:

تتخذ مساهمة وسائل الإعلام عموماً والقنوات الفضائية بصورة خاصة "قناة العربية الفضائية" في تحسين وضع حقوق الإنسان ببعدين هما :-

1/ بعد الفضح الفوري للإنتهاكات التي تتعرض لها حقوق الإنسان.

2/ بعد الوقاية من إنتهاك هذه الحقوق ، فكيف يكون ذلك . (الموسوعة الحرة ، الإنترنت )

### أولاً: بعد الفضح الفوري للإنتهاكات التي تتعرض لها حقوق الإنسان:

سابقاً أي قبل التسعينيات من القرن الماضي ، كل ما يمكن تسجيله هو أنه غابت حقوق الإنسان عن سماء الإعلام السمعي والبصري ، أما الصحافة بالأخص المعارضة منها كانت تتعامل مع حقوق الإنسان كقضية مبدئية ، أما حالياً وأخذاً بعين الإعتبار التطورات التي عرفتها حقوق

الإنسان على المستوى الدستوري وعلى مستوى الأجهزة الرسمية الحكومية والأجهزة المختلطة ذات الصلة ، أصبح للإعلام دوراً أكثر إنفتاحاً على قضايا حقوق الإنسان عموماً والإنتهاكات التي تتعرض لها هذه الحقوق والحريات خصوصاً . ومما لاشك فيه أن الدورات التكوينية التي تنظمها الهيئات النقابية والجمعية للصحافيين لفائدة أفرادها بالتعاون مع المراكز الوطنية والأجنبية المهتمة بتنمية مهنة الإعلام سيكون لها أثر إيجابي كبير في تطوير الأداء الحرفي للصحافيين وفق روح حقوق الإنسان ، وذلك كلما شملت التكوين على ثقافة حقوق الإنسان وعلى مهارات الكتابة بناء على قيمها كل العاملين في هذا القطاع ، وبناء على أن نتوخي برامجها بلورة وترسيخ نهج إعلامي مبني على حرية " نشر الآراء والمعلومات والمعارف المتعلقة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية وحرية نقلها إلى الآخرين وإشاعتها بينهم وفق ماتنص عليه صكوك حقوق الإنسان .

والفضح الفوري لإنتهاكات حقوق الإنسان يصبح من غير جدوي إذا لم يستند إلى عملية الرصد والتوثيق المنهجين لتلك الإنتهاكات ، وذلك يتطلب إجراء ثلاثة إجراءات هي : (صويلح ، 2008، الإنترنت )

. التأكد من الحقائق قبل تناولها .

. الشمولية في التوثيق : أي أن يتضمن الحديث عن الإنتهاكات توثيقاً مدعوماً بتفاصيل تشمل " إفادة بوضوح الإنتهاك الذي تعرض له الضحية ، المرجعية القانونية الدولية والوطنية التي تنص على الحق الذي أهدره ذلك الإنتهاك .

. المراقبة الحيادية للإجراءات التي أتبع في إنصاف الضحية أو في الإمعان في إنتهاك حقه ، أي تتبع المسطرة التي إتبعها الشرطة القضائية المحلية أو غيرها . في التحقيق حول الإنتهاك المعنى .

. واخيراً إعداد المادة للنشر .

ثانياً : بعد الوقاية من إنتهاكات حقوق الإنسان:

بالرغم من الفائدة الكبرى التي تتحقق وراء مبادرة الإعلام إلى رصد إنتهاكات حقوق الإنسان وتوثيقها ، وإعداد التقارير بصدها وبثها أو نشرها ، فإن دوره في حماية حقوق الإنسان وخاصة في سياق شروط الإنتقال نحو الديمقراطية ، لا يتوقف عند هذا الحد ، فلأن إنتهاكات حقوق الإنسان ليست دائماً عمودية المصدر، ولأن العنف والتسلط والتعزيب ، وعدم إحترام القانون والتدليس والإختلاس ،

والرشوة وغيرها من مظاهر الفساد والتحرش حيث تتحول إلى عادات سلوكية يومية ، سواء لدى الموظفين المكلفين بتنفيذ القوانين أو لدي باقي رموز السبط السياسية والإقتصادية ، يصعب على القوانين مهما تم تحسينها وعلى أجهزة الزجر المادي مهما بلغت قوتها أن تكبح من جماحها ، لذا لا يكون حرياً بالإعلام كما هو الحال لباقي مؤسسات التنشئة الإجتماعية ، أن يتجند في إطار حملة وطنية مستدامة تواجد بين الفضح الفوري لإنتهاكات حقوق الإنسان وبين التربية والتكوين من أجل الوقاية من تكرر حدوث مثل هذه الإنتهاكات أو غيرها .

### مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من خبراء وأساتذة الجامعات السودانية والمختصين في مجال الإعلام والعلوم السياسية والقانون بالجامعات السودانية بولاية الخرطوم ، كما شملت الدراسة كذلك على عدد من المهتمين والمختصين بهذا المجال في العلوم السياسية والقانونية ومجال حقوق الإنسان بمنظمات المجتمع المدني . وكذلك قام الباحثان برحلة علمية إلى دولة الإمارات العربية المتحدة للإستفادة من تجربة قناة العربية الفضائية في هذا المجال ، وقاما بإجراء عدد من المقابلات مع الإعلاميين من معدى البرامج الحوارية والقائمين بالإتصال .

### عينة الدراسة:

حددت الباحثة حجم عينة الدراسة ب (60) مفردة بإستخدام العينة القصدية أو العمدية بناء على إهتمامهم بموضوع حقوق الانسان وحرياته الأساسية وبناء على مشاهدة البرامج الحوارية بقناة العربية الفضائية موضوع الدراسة حتى يمكنهم تقويم الاداء بالنسبة لهذه البرامج وبناء على المستوى الثقافي والفكري لأفراد العينة. وقد تمثلت هذه العينة في ثلاثة طبقات كالتالي:

1. الطبقة الأولى خبراء الإعلام من أساتذة الجامعات، وقد تم توزيع 20 إستبانة.
  2. الطبقة الثانية: خبراء العلوم السياسية من أساتذة الجامعات، وقد تم توزيع 20 إستبانة .
  3. الطبقة الثالثة: خبراء القانون من أساتذة الجامعات، وقد تم توزيع 20 إستبانة.
- وبالتالي قامت الباحثة بتوزيع (60) إستبانة مرفقة معها قرص مدجج عليه عشرة حلقات من كل برنامج من البرامج موضوع الدراسة ، " الذاكرة السياسية بانوراما، تفاعلكم" بطريقة قصدية عمدية على عينة الدراسة ، وبلغ عدد الإستبانات المعادة (59) تم إستبعاد واحدة منها لعدم إكتمال البيانات

الأساسية في الإجابة عن الفقرات ، وبذلك يصبح عدد الإستبانة الصالحة للتحليل الإحصائي (58) إستبانة

وبعد إكمال الباحثة لتوزيع مقياس الدراسة بالسودان أتيحت لها الفرصة لزيارة قناة العربية الفضائية بدولة الإمارات العربية المتحدة ( مدينة دبي قامت الباحثة فيها بإجراء عدد من المقابلات مع خبراء الإعلام من معدى برامج ومخرجين وقائمين بالإتصال.

أداة الدراسة : لقد تم تحديد أداة الدراسة الرئيسة (الإستبانة ) والتي تم بواسطتها جمع البيانات والمعلومات لغرض الإجابة على تساؤلات الدراسة ، اتساقاً مع طبيعة الدراسة .

وقد مرت هذه الأداة (الإستبانة) بعدة مراحل منهجية حتى باتت قابلة للتطبيق الميداني في ضوء نتائج الصدق والثبات التي أجريت عليها.

اعتمدت الباحثة عند تصميمها للإستبانة على ما يلي:

أ/ مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة بالدراسة ، والإطلاع على الإطار النظري للدراسات المختلفة ذات العلاقة.

ب/ الإستفادة من بعض الأدوات التي تضمنتها الدراسات السابقة.

ج/ مقابلة الباحثة لعدد من الإعلاميين والمهتمين بحقوق الإنسان مما أسهم في بناء الإستبانة وتحديد مجالاتها.

صدق وثبات الإستبانة

الصدق الظاهري (صدق المحكمين)

تم عرض الإستبانة على كل من البروفيسور ( عكاشة ابو العلا ) المشرف الرئيس والدكتور عبدالمولي موسى محمد المشرف المعاون وبعد الأخذ بملاحظتهما ، عرضت الإستبانة على (6) محكماً من المختصين في الإعلام في الجامعات للإستفادة من ملاحظاتهم بغرض تحكيمها والتحقق من الصدق الظاهري لها .

الصدق الداخلي (يستخدم) معامل إرتباط بيرسون )

معامل إرتباط بيرسون لفقرات محور تقويم القنوات العربية الفضائية العربية من حيث تبنيتها لقضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية.

جدول رقم (1)

رقم	العبارة	معامل ارتباط بيرسون (r)	الإحتمالية Sig.	الإرتباط
1	أنواع وأشكال البرامج التي تقدمها القنوات الفضائية العربية ومدى تبنيتها لخدمة حقوق الانسان وحياته الاساسية.	*0.753	0.001	معنوي قوي
2	الأسباب التي تجعل المشاهد حريصا على مشاهدة ومتابعة البرامج الحوارية التي تعمل على رفع درجة وعيه بحقوقه وحياته الأساسية.	*0.737	0.000	معنوي متوسط
3	تبني القنوات الفضائية العربية للقضايا الاجتماعية بصورة عامة وقضية حقوق الانسان بصورة خاصة.	*0.694	0.000	معنوي قوي
4	هل حقاً نجحت القنوات العربية الفضائية في تبنيتها لقضية حقوق الانسان من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الاعلامية الكفوءة.	*0.622	0.003	معنوي متوسط

ملحوظة : " الارتباط دال احصائياً عند مستوى معنوية (0.05) و درجة حرية (79). شرح وتفسير جدول (1)

يتضح من خلال الجدول (1) بأن قيم اختبار معامل بيرسون (r) للإرتباط موجبة وأكبر من الصفر وأقل من الواحد الصحيح، وأن قيم الإحتمالية أقل من مستوى المعنوية (0.05) وهذا يؤكد وجود

وجود إرتباط ذو دلالة إحصائية. حيث كانت أقل قيمة لمعامل بيرسون هي (0.542)، وأكبر قيمة هي (0.756) وهذا يدل على أنّ هناك إرتباط يتدرج من متوسط إلى قوي وإتساقاً داخلياً لعبارات المحور وبالتالي صلاحيتها وقدرتها لقياس الهدف الذي وضعت من أجله.

معامل الإرتباط لبيرسون (r) لفقرات محور الرؤية المستقبلية لقناة العربية الفضائية من حيث تعزيز الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

جدول رقم (2)

رقم	العبرة	معامل ارتباط بيرسون (r)	الإحتمالية Sig.	الإرتباط
1	العمل وفق رؤية واضحة نحو خدمة الإنسان وحماية حقوقه في المقام الأول من خلال خلق مشاهد يعي حقوقه ويعمل على الدفاع عنها.	*0.750	0.000	معنوي قوي
2	الخطط البرمجية التي تعمل وفقها البرامج الحوارية على قناة العربية خاضعة لسلطة الدولة وتعمل على خدمة مصالحها.	*0.950	0.000	معنوي قوي
3	الكشف من خلال الرصد الدقيق والكشف عن المستور من جرائم ضد الإنسانية.	*0.904	0.000	معنوي قوي
4	التأثير المباشر على الحكومات والشعوب في صنع قراراتها وسياساتها المتعلقة بقضية حقوق الإنسان.	*0.839	0.000	معنوي قوي

ملحوظة : \* الارتباط دال احصائياً عند مستوى معنوية (0.05) و درجة حرية (79).

شرح وتفسير نتائج الجدول (2)

يتضح من خلال الجدول (2) بأن قيم إختبار معامل بيرسون (r) للارتباط موجبة وأكبر من الصفر وأقل من الواحد الصحيح، وأن قيم الإحتمالية أقل من مستوى المعنوية (0.05) وهذا يؤكد وجود إرتباط ذو دلالة إحصائية قوي. حيث كانت أقل قيمة لمعامل بيرسون هي (0.750)، وأكبر قيمة هي حوالي (0.950) وهذا يدل على أنّ هناك إرتباطاً قوياً وإتساقاً داخلياً لعبارات المحور وبالتالي صلاحيتها وقدرتها لقياس الهدف الذي وضعت من أجله.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة :

أولاً: التوزيعات التكرارية والنسبية والوسط الحسابي لإجابات عينة الدراسة على عبارة وحدة أنواع وأشكال البرامج

جدول (3)

م	العبارة	دائماً		بإنتظام		أحياناً		نادراً		لا تتقدمها		المتوسط الحسابي
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
1	برامج المناقشات أو الندوات والمحاورات أو المقابلات	45	27	25	15	23.3	14	5	3	1.6	1	4.1
2	برامج الحديث المباشر	26.7	16	40.0	24	26.7	16	6.7	4	0	0	3.9
3	البرامج الوثائقية.	31.7	19	36.7	22	25.0	15	3.3	2	3.3	2	3.9
4	البرامج الاستقصائية.	36.7	22	23.3	14	30.0	18	8.3	5	1.6	1	3.9

شرح وتفسير نتائج الجدول (3)

أظهرت النتائج كما يعرضها الجدول (3) أنّ برامج المناقشات أو الندوات والمحاورات أو المقابلات تقدم دائماً حسب رأي النسبة الغالبة من عينة الدراسة (45) ، وأشار ربع الباحثين (25%) إلى أنها تقدم بإنتظام. وجاء هذا النوع من البرامج في مقدمة البرامج المقدمة بمتوسط حسابي بلغ

(4.1). أما برامج الحديث المباشر، أكد أكثر من ربع المبحوثين (26.7%) إلى أنها تقدم دائماً، بينما أشار (40%) منهم إلى أنها تقدم بانتظام، وبمتوسط حسابي (3.9). ومثلها جاءت البرامج الوثائقية والبرامج الإستقصائية.

أفسحت الفضائيات المجال للحوارات المفتوحة ، وكان لبعضها الفضل في هذا ، وحينما إبتدأت بعض القنوات برامجها جاءت في لحظات كان الإنسان العربي قد فقد فيها المقدرة على الحوار مع الآخرين ، بل والمقدرة على الحديث مع نفسه خشية أن يسمعه أحداً ، أو يثي به .

وحينما تكون حرية الرأي وحرية التعبير مفقودتين يصبح الحوار الصريح سبيلاً لإطفاء ظمأ المتعطش للإستماع إلى الرأي الآخر. ولذلك جاءت البرامج الحوارية التلفزيونية بقوالها الثلاثة ( حوار معلومات حوار الرأي ، حوار الشخصية ) كمن يرمى حجراً في بركة ساكنة ، وبما أن برامج الحوار حاولت الإقتراب من قضايا كان الحوار فيها محظوراً ، وصار الناس يسمعون أصواتاً تعبر عما لا يستطيعون التعبير عنه. فقد ناقشت هذه النوعية من البرامج قضايا سياسية وفكرية، وإجتماعية والتي من ضمنها قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية .

ثانياً: التوزيعات التكرارية والنسبية والوسط الحسابي لإجابات عينة الدراسة على عبارة الأسباب التي تجعل المشاهد حريصاً على مشاهدة ومتابعة البرامج الحوارية التي تعمل على رفع درجة وعيه بحقوقه وحياته على قناة العربية الفضائية

جدول رقم (4)

م	العبارة	دائماً		بانتظام		أحياناً		نادراً		لا تقدمها		المتوسط الحسابي
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
1	الانسان وحقوقه وحياته.	16.7	10	45.0	27	31.7	19	5	3	1.7	1	3.7
2		40.0	24	31.7	19	15.0	9	8.3	5	5.0	3	3.9

المشاهدين												
4.1	1.7	1	6.7	4	20.0	12	26.7	16	45.0	27	3	التي تعمل علي غرس ثقافة حقوق الانسان
3.9	1.7	1	10.0	6	20.0	12	38.3	23	30.0	18	4	لانها تعمل علي ايجاد آليات تعمل علي حماية الأنسان وحقوقه من الاستبداد والظلم.
3.6	6.7	4	13.3	8	18.3	11	41.7	25	20.0	12	5	منبر لإتاحة حرية إبداء الرأي والتعبير عنه

## شرح وتفسير جدول (4)

يظهر الجدول (4) آراء الباحثين حول أهم الأسباب التي تجعل المشاهد حريصاً على مشاهدة ومتابعة البرامج الحوارية التي تعمل على رفع درجة وعيه بحقوقه وحياته الأساسية، ويتضح أن أهم تلك الأسباب هو "تقصي ومتابعة الأحداث وصولاً إلى الحقائق التي تعمل على غرس ثقافة حقوق الانسان" بمتوسط حسابي (4.1)، يليه من الأسباب كونها "تعمل على إيجاد آليات تعمل على حماية الأنسان وحقوقه من الإستبداد والظلم" و "للإمتاع الذي يحسه المشاهد عند مشاهدتها وإسلوبها الخاص في جذب وإستمالة المشاهدين بمتوسط حسابي (3.9) لكل منهما. وتلي هذه الأسباب من حيث الأهمية " للمعلومات والحقائق التي تقدمها لخدمة الانسان وحقوقه وحياته" بمتوسط حسابي بلغ (3.7)، وكان السبب الأخير هو " كونها تمثل منبراً يتيح حرية إبداء الرأي والتعبير عنه بمتوسط حسابي (3.6)

لم يعد الإنسان بحاجة إلى التفكير أصلاً، فالتلفزيون الفضائي يمد جمهوره بكل المعلومات التي يحتاجون إليها، وبدلاً من كدح الإنسان ليكون رأيه عن أمر معين أصبح العقل مليئاً بكل الآراء الجاهزة، وكل الموضوعات والكلمات التي يحتاج إليها في نقاشاته اليومية مع جيرانه وزملائه في العمل أو الجامعة. فنظرية الإستخدامات والإشباع التي ملخصها أن الإنسان يتابع وسائل الإعلام من أجل إشباع مجموعة من الحاجات والدوافع وعلى ذلك يتحدد إقباله عليها كماً وكيفاً وقد قسم العلماء هذه الحاجات إلى حاجات معرفية تشمل المعلومات والمعرفة ومعرفة ما يدور في الواقع والإستكشاف ومتابعة

الجديد وحل المشكلات . وهناك حاجات أخرى منها الاندماج العاطفي والاندماج الشخصي ، وغيرها من الحاجات الإنسانية .

فقبل ظهور البث الفضائي والقنوات الفضائية كانت مسألة تقصى الأحداث والوصول إلى الحقائق تكاد تكون معدومة وذلك بسبب أن التلفزيون المحلي والذي تملكه الحكومة في الغالب لا يقدم إلا ما يخدم سياسة الدولة فقط وكانت كثير من الأحداث والمعلومات غير معروفة للمشاهد ولكن مع إنتشار القنوات الفضائية والتنافس الكبير بينها في تحقيق سبق الصحف من خلال المتابعة المستمرة للأحداث المحلية والعالمية بالرغم من كثرتها وتسارع وتيرتها أصبح المشاهد قادراً على الحصول على ما يريد من معلومات وبيانات بكل سهولة ويسر ومن مصادر متعددة .

فقد أصبحت وسائل الإعلام تعتمد على تفاعل الجماهير ، وإتاحة الفرصة للتعبير عن آرائهم بحرية من خلال هذه النوعية من برامج الحوارات فإشراك المشاهد في هذا الحوار أتاح الفرصة للمشاهد لعرض أفكاره ومقترحاته لتقديم الحلول التي تعمل على زيادة رفع درجة الوعي بالحقوق الإنسانية.

ثالثاً : التوزيعات التكرارية والنسبية والوسط الحسابي لإجابات عينة الدراسة على عبارة : تبني قناة العربية الفضائية للقضايا الاجتماعية بصورة عامة وقضية حقوق الإنسان بصورة خاصة.

#### جدول رقم (5)

م	العبارة	دائماً		بانتظام		أحياناً		نادراً		لا تقدمها		المتوسط الحسابي
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
1	يخدم سياساتها الاعلامية واستراتيجية الدول	25.0	15	43.3	26	26.7	16	5.0	3	0.0	0	3.9
2	لتسهم في البناء الاجتماعي.	21.7	13	28.3	17	20.0	12	25.0	15	5.0	3	3.4

3.5	3.3	2	16.7	10	20.0	12	26.7	16	30.0	18	ذلك الحق في الحياة الكريمة .	3
3.7	3.3	2	15.0	9	20.0	12	35.0	21	26.7	16	وعدم التعرض لها	4
3.7	3.3	2	11.7	7	23.3	14	40.0	24	21.7	13	الانسان	5
3.6	1.7	1	13.3	8	25.0	15	41.7	25	18.3	11	الرأي واحترام الرأي الآخر.	6

## شرح وتفسير نتائج الجدول (5)

يظهر الجدول (5) آراء الباحثين حول تبني القنوات الفضائية العربية للقضايا الاجتماعية بصورة عامة وقضية حقوق الإنسان بصورة خاصة . وقد أظهرت النتائج أن القنوات الفضائية العربية تبني قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية ولكن فقط فيما يخدم سياساتها الإعلامية وإستراتيجية الدول بمتوسط حسابي (3.9) كما أنها تعمل على مناقشة ومتابعة انتهاكات حقوق الإنسان لتسهم في البناء الاجتماعي بمتوسط حسابي (3.4). كما ساهمت في غرس ثقافة حقوق الإنسان وحياته الأساسية في نفوس الناس بما في ذلك الحق في الحياة الكريمة . بمتوسط حسابي بلغ (3.5) . كما أنها عملت على تلبية احتياجات المشاهد من حيث تبنيها لحقوقه والدفاع عنها ولكنها غفلت عن تبنيها لبعض الانتهاكات الحقوقية وعدم التعرض لها بمتوسط حسابي (3.7) . وأثرت القنوات الفضائية على الحكومات والشعوب في صنع السياسات والقرارات التي تخدم قضية حقوق الإنسان بمتوسط حسابي (3.7) . كما أنها أتاحت مساحة واسعة من حرية التعبير واحترام الرأي الآخر بمتوسط حسابي (3.6)

بما أن الإنسان هو العنصر والمكون الرئيس في قضية حقوق الإنسان وهو المستهدف بالإعلام وبرامجه التي يقدمها ، والذي من شأنه أن يكون الجزء الأهم عند وضع الإستراتيجيات الإعلامية إلا أن قضية حقوق الإنسان تخضع لكثير من الإعتبارات كالتيسير أي تتبع للسياسة الدولية أو الإقليمية أو العالمية . فحقوق الإنسان يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام في إستراتيجيات القنوات الفضائية هي: أولاً : الحس الطبيعي الفطري للإنسان وهو التعاطف ، في هذا القسم : نجد أن مناصرة حقوق الإنسان لا تخضع للمساومة ، أي أن العمل الصحفي لا يجب أن يخضع لقوانين تحكمه وأن أساس وشرعة العمل الصحفي الحربة المطلقة التي تخدم الإنسان . فهنا نجد أن الإعلام يدافع عن حقوق الإنسان بصورة مطلقة . أما إذا نظرنا في القسم الثاني لحقوق الإنسان : وهو حقوق الإنسان كجزء من التطورات السياسية فالقنوات الفضائية تقوم بتغطية الأخبار السياسية في العالم بصورة عامة والعالم العربي بصورة خاصة فهي تسعى دائماً أن تكون زاوية حقوق الإنسان وإحترامها جزء من التغطية الإخبارية أما الجزء الثالث وهو حقوق الإنسان الميسر أي الذي يخضع للسياسة فحقوق الإنسان هنا ليست فكرة مطلقة فالقنوات الفضائية ليست محايدة في الغالب ولكنها تسعى بأن تكون موضوعية في طرحها لقضية حقوق الإنسان .

رابعاً: التوزيعات التكرارية والنسبية والوسط الحسابي لإجابات عينة الدراسة على عبارة: مدى نجاح القنوات العربية الفضائية في تبنيها لقضية حقوق الإنسان من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الإعلامية الكفوءة.

جدول رقم (6)

م	العبارة	دائماً		بإنتظام		أحياناً		نادراً		لا تتقدمها		المتوسط الحسابي
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
1	خاصة قضية حقوق الإنسان.	23.3	14	46.7	28	21.7	13	8.3	5	0.0	0	3.9

3.4	3.3	2	0.30	18	20.0	12	20.0	12	26.7	16	لسياسة الدولة والوسيلة الإعلامية.	2
3.5	0.0	0	13.3	8	26.7	16	28.3	17	31.7	19	الاجتماعي.	3
3.7	1.7	1	1.7	4	30.3	18	33.3	20	28.3	17	الثقافية	4
3.7	3.3	2	8.3	5	23.3	14	25.0	15	40.0	24	بالمصدقية والموضوعية والشفافية	5

## شرح وتفسير نتائج الجدول (6)

يظهر الجدول (6) آراء الباحثين حول مدى نجاح القنوات العربية الفضائية في تبنيها لقضية حقوق الإنسان من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الإعلامية الكفوءة. وقد أظهرت النتائج أن هناك تنوعاً في البرامج وإرتباطها بقضايا المجتمع خاصة قضية حقوق الإنسان ، وجاءت هذه العبارة بمتوسط حسابي (3.9) كما أنها مواكبة للأحداث المهمة والعصرية والحرص على نقل الحقيقة دون تحيز السياسة الدولة والوسيلة الإعلامية بمتوسط حسابي (3.4) كما أنها تعمل على تعزيز الصالح العام وخدمة التواصل الاجتماعي بمتوسط حسابي (3.5)

كما أنها تمتلك المقدرة الفنية والتقنية العالية ومواكبة العولمة وغزارة الإنتاجات الثقافية بمتوسط حسابي (3.7) . وتعمل القنوات الفضائية العربية على توظيف أطر بشرية كفوءة ملتزمة بالمصدقية والموضوعية والشفافية بمتوسط حسابي (3.7) .

أدى النمو الهائل في الإنتاج الفكري وتفجر المعلومات ، وإتساع هذا المجال بالمقابل نتاج التطور التقني في مجال الإعلام، فقد تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة المعلومات ، وذلك لأن التقنية ساعدت

في توفير الإتصال والحصول السريع على المعلومة والسرعة في نقلها وتناولها ، وبذلك خلق عصر جديد هو عصر التقنية . فالتقنيات الفضائية لا بد لها من توظيف تكنولوجيا الإتصال الحديثة والقدرات الذاتية ، ومواكبة الأحداث المهمة لمعالجة قضية حقوق الإنسان خاصة في ظل العولمة وما تفرزه من غزارة الإنتاجات الثقافية التي أصبحت مهدداً أساسياً للتراث والهوية الثقافية العربية والإسلامية ومما لا شك فيه أن ثقافة كل أمة هو صنو حضارتها ومرتكز نهضتها . وكذلك مع التقدم التقني الهائل وتعدد وسائل الإتصال الجماهيري تلح الحاجة إلى مقدمى برامج أكفاء يحملون على عاتقهم نقل الحقائق وإبراز الأحداث وتلبية حاجات الجمهور بروح من الصدق والمسؤولية ولعل من من أهم مسؤوليات القائم بالإتصال الدفاع عن حقوق الإنسان وتبني إتجاهات الجمهور، والمشاركة في الإصلاح الإجتماعي .

2 التوزيعات التكرارية والنسبية والوسط الحسابي لإجابات عينة الدراسة على محور الرؤية المستقبلية لقناة العربية الفضائية من حيث فاعليتها في تعزيز الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية:

جدول رقم (7)

م	العبارة	دائماً		يانتظام		أحياناً		نادراً		لا تقدمها		المتوسط الحسابي
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
1	ويعمل على الدفاع عنها.	36.7	22	28.3	17	21.7	13	11.7	7	1.7	1	3.9
2	مصالحها.	33.3	20	36.7	22	20	12	10	6	0	0	3.9
3	الانسانية.	18.3	11	38.3	23	28.3	17	11.7	7	3.3	2	3.6

3.4	5	3	20	12	26.7	16	25	15	23.3	14	4	بقضية حقوق الانسان.
-----	---	---	----	----	------	----	----	----	------	----	---	---------------------

شرح وتفسير نتائج الجدول (7) :

يظهر الجدول (7) أن آراء الباحثين جاءت متفقة في مجملها مع عبارات المحور ، حيث وافق الباحثين على أن البرامج الحوارية تعمل وفق رؤية واضحة نحو خدمة الإنسان وحماية حقوقه في المقام الأول من خلال خلق مشاهد يعي حقوقه ويعمل على الدفاع عنها . وجاءت العبارة بمتوسط حسابي (3.9) . ووافق أكثر من نصف الباحثين على أن الخطط البرمجية التي تعمل وفقها البرامج الحوارية التلفزيونية على قناة العربية خاضعة لسلطة الدولة وتعمل على خدمتها . وجاءت العبارة بمتوسط حسابي (3.9) . ووافق الباحثين بدرجة أقل على أن البرامج الحوارية تعمل على الكشف من خلال الرصد الدقيق والكشف عن المستور من جرائم ضد الإنسانية ، وجاءت الإجابات على هذه العبارة بمتوسط حسابي (3.6) . ووافق أقل من نصف الباحثين على أن قناة العربية في الرؤية المستقبلية تعمل على التأثير المباشر على الحكومات والشعوب في صنع قراراتها وسياساتها المتعلقة بقضية حقوق الإنسان . حيث جاءت هذه العبارة بأقل متوسط حسابي (3.4)

أحدثت التطورات في تكنولوجيا الإعلام الجديد تأثيرات عدة على البرامج التلفزيونية الحوارية منها التفاعلية أي التبادل والتفاعل ، وبذلك لم تعد الرسالة الإعلامية مجرد رسالة تقوم بإعدادها الدولة أو الجهة المالكة ويتلقاها الجمهور ولكنها أصبحت شبكة يتشارك في إدارتها وملكيته وصياغة سياساتها جميع الناس . لذا كان لابد لوسائل الإعلام بصورة عامة والقنوات الفضائية بصورة خاصة من إعادة صياغة برامجها التلفزيونية وفق رؤي وسياسات وخطط تختلف عن فلسفة العقود الماضية ، تأخذ في الاعتبار إتجاهات الجمهور ومواقفه وإعطاءه مساحة أكبر في المشاركة والتعبير من خلال توفير منصات لمتابعها للمشاركة وتوصيل آرائهم . وتعد حرية الرأي والتعبير من ركائز حقوق الإنسان وحياته الأساسية ،

وكذلك تتضمن حرية التعبير حرية الإعلام وذلك لأن المجتمع الديمقراطي يتسم بسيادة القانون وقيم المواطنة وحرية التعبير من ذلك كان لابد من زيادة الجرعات التي تعمل على تعزيز حقوق الإنسان من خلال هذه البرامج بالقدر الذي يجعل من المشاهد له قدرة كبيرة في التأثير على الحكومات في صياغة القوانين التي تعمل على حماية حقوقه وتكفل له العيش الكريم.

الخاتمة :

النتائج :

1/ أثبتت الدراسة أن قناة العربية الفضائية نجحت في تبني قضايا حقوق الإنسان وحياته الأساسية من خلال التنوع والمواكبة، والتقنية العالية، وان الصورة النهائية التي يتم بها عرض البرنامج من حيث الإخراج وفتيات العرض من صورة وألوان تتم بمهنية وموضوعية.

2 أثبتت الدراسة أن برامج الحوار والمناقشات والمقابلات يتم تقديمها عبر القنوات الفضائية العربية بصورة عامة وقناة العربية بصورة خاصة بصورة منتظمة، مما جعل نسبة المشاهدة والمتابعة عالية جداً لهذه النوعية من البرامج.

3 أثبتت الدراسة أن قناة العربية الفضائية قناة حقوقية تدافع عن الإنسان وحقوقه وعن حرية الفكر ولكن بما يخدم سياساتها وإستراتيجياتها، وإستراتيجية الدول التابعة لها، مما جعل تليتها لإحتياجات المشاهد ليس بالقدر الكافي، وذلك لأنها غفلت تبنيها لبعض الإنتهاكات الحقوقية للإنسانية وعدم التعرض لها.

4/ أكدت الدراسة أن البرامج الحوارية التلفزيونية على قناة العربية الفضائية تعمل وفق رؤية واضحة نحو خدمة الإنسان وحماية حقوقه، وخلق إنسان واعى بثقافة حقوق الإنسان.

5/ أكدت الدراسة أنه وبالرغم من أن قناة العربية الفضائية من خلال البرامج الحوارية التلفزيونية تنتهج الثقافة اللبرالية من حيث التعدد والتنوع في هذه النوعية من البرامج إلا أنها ليست لها تأثير مباشر على الحكومات في صنع قراراتها وسياساتها وذلك لأن هذه الحكومات هي في الغالب المالك الحقيقي لهذه القنوات.

مناقشة النتائج:

تفوقت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة لها في دراسة الدور الذي يؤديه الإعلام المرئي بصورة عامة و القنوات الفضائية بالأخص في خدمة وتبني قضية حقوق الإنسان ، ورفع درجة وعيه بحقوقه والحريات التي يجب أن يتمتع بها ، في أنها أثبتت أن القنوات العربية الفضائية قناة العربية " أسهمت بصورة واضحة في خدمة هذه القضية بل يمكن القول أنها نجحت بدرجة ممتازة في تبني قضية حقوق الإنسان وذلك من خلال حرصها على التنوع في تقديم المواد الإعلامية والتلويح في قولها وأشكالها والتي من شأنها العمل على جذب المشاهد وحرصه على المتابعة ، وكذلك من حيث التقنية العالية فقد استخدمت هذه القنوات كل ما هو جديد لرصد وتعقب الحقائق وعرض الصور بمهنية وموضوعية . هذه النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة حققت الهدف الثالث وهو الوقوف والتعرف على قضية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من خلال دور القنوات الفضائية العربية "قناة العربية" في هذه القضية . كما أنها أجابت على التساؤل الثاني والرابع، وهما : ما أهم الأسباب التي تجعل المشاهد حريصاً على مشاهدة ومتابعة القنوات الفضائية العربية "قناة العربية" التي تعمل على رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية ؟ مامدى نجاح القنوات العربية الفضائية "قناة العربية" من حيث تبنيها لقضية حقوق الإنسان من حيث التنوع والمواكبة والتقنية العالية والأطر الإعلامية الكفوءة؟ كما أنها حققت الفرض الأول والثالث من فروض الدراسة وهما : القنوات الفضائية العربية " قناة العربية" تعمل وفق تخطيط إستراتيجي يعمل على تبني قضية حقوق الإنسان . وأن البرامج التلفزيونية التي يتم تقديمها عبر هذه القنوات " قناة العربية" وسيلة فاعلة في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

كما أن الدراسة تفوقت على سابقتها في تأكيد أن برامج الحوار والمناقشات والمقابلات يتم تقديمها بصورة منتظمة على القنوات العربية الفضائية "قناة العربية" مما جعل نسبة المشاهدة والمتابعة عالية جداً لهذه النوعية من البرامج . وبما أن المناقشات تهدف إلى تبادل الآراء وتلاخ الأفكار حول الموضوعات والقضايا المثارة في الساحة والتي تسارعت وتيرتها بسرعه رهيبه مما يدفع المشاهد إلى التفكير سواء كانت هذه المناقشات جادة أو خفيفة . كذلك من أهداف المناقشات والندوات شرح وتفسير الأخبار مما يساعد على تكوين رأي عام ووجهات نظر محددة حيالها. كذلك تعمل البرامج الحوارية على تقديم المعلومات والحقائق إلى الناس بطريقة مبسطة وقرية إلى نفوسهم تغلب عليها التلقائية والعفوية . كذلك تهدف برامج الحوار والمناقشات إلى إزدياد ثقة المتلقي وقناعاته نظراً لإحساسه بالمشاركة أو أنه يحصل على

الأخبار من مصدرها مباشرة كل هذه الأهداف جعلت من برامج الحوار والمناقشات تحتل المرتبة الأولى من حيث الإنتظام في التقديم والحرص على المشاهدة والمتابعة . هذه النتيجة التي توصلت إليها الدراسة عملت على تحقيق الهدف الأول وهو الوقوف على أكثر البرامج التلفزيونية التي تخدم قضية حقوق الإنسان على القنوات العربية الفضائية قناة العربية". كما أنها أجابت عن التساؤل " ماهي ع وأشكال البرامج التلفزيونية المقدمة عبر هذه القنوات الفضائية " قناة العربية " ومدى تبنيتها وخدمتها لقضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية ؟ . كم أنها حققت الفرض الثالث لهذه الدراسة وهو: أن البرامج التلفزيونية على القنوات العربية الفضائية "قناة العربية" وسيلة فاعلة في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها خاضت في إستراتيجيات قناة العربية الفضائية وسياستها الإعلامية ، حيث أثبتت أن قناة العربية الفضائية قناة حقوقية تدافع عن الإنسان وحقوقه وحرية تفكيره ولكن بما يخدم سياستها وإستراتيجيتها الإعلامية وإستراتيجية الدول التابعة لها ، مما جعل تلبيتها لإحتياجات المشاهد ليس بالقدر الكافي وذلك لأنها غفلت عن بعض الإنتهاكات الحقوقية للإنسانية ولم تتعرض لها ولم تقدم عنها أى معلومات وذلك لأنها تتعارض مع هذه السياسات والإستراتيجيات الخاصة بهذه الدول . هذه النتيجة حققت هدف الدراسة الرابع وهو معرفة مدى نجاح أو فشل القنوات الفضائية العربية "قناة العربية" في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية . كما أنها أجابت عن التساؤل الثالث. وهو: مامدى تبنى القنوات العربية الفضائية "قناة العربية" للقضايا الإجتماعية بصورة عامة وقضية حقوق الإنسان بصورة خاصة ؟ كما أنها حققت جزء من الفرض الأول من حيث العمل وفق مطلقه تخطيط إستراتيجي يعمل على خدمة قضية حقوق الإنسان ولكن ليست هذه الخدمة بصورة مصد ولكن بما يتوافق وسياسات وإستراتيجيات القناة بل وإستراتيجية الدولة المالكة لهذه القناة أو التي يتم البث من أراضيها.

تفوقت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة لها في أنها أفردت مساحة واسعة للبرامج الحوارية التلفزيونية على قناة العربية الفضائية وذلك لفاعليتها وتأثيرها المباشر من خلال تبادل الآراء والأفكار وتلاقح العقول من أجل الوصول إلى الحلول لكافة القضايا الإجتماعية من خلال الحوار والنقاش الذي يدور في حلقات هذه البرامج فقد أكدت الدراسة أن البرامج الحوارية التلفزيونية على قناة العربية بكافة أشكالها وقواها تعمل وفق رؤية واضحة نحو خدمة الإنسان وحماية حقوقه ، وبالتالي خلق إنسان يعي

جيداً ثقافة حقوق الإنسان . فالحوار له أبعاد كثيرة لأنه له أكبر الأثر في تنمية قدرة الفرد على التفكير بشكل منهجي بعيداً عن العنف والإقصاء ، وهذا بدوره يساعد في التصدي للمشكلات الصعبة وإيجاد الحلول الأصح لها . وفي الوقت ذاته يعزز فكرة التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد. فوسائل الإعلام تساهم في تشكيل الوعي العام وتوجيهه ، فهذه الوسائل على اختلاف أنواعها من تلفزيون وصحف وإذاعة ومواقع التواصل الاجتماعي هي التي تقود فكر العالم بجميع سكانه وعلى اختلاف نوعياتهم وثقافتهم حيث تعمل على توجيه الرأي العام لنمط تفكير بعينه تجاه قضايا معينة . وهي بالتالي لا تؤثر فقط على فكر الرأي العام بل نتعدها إلى صناعات السياسة . لذا لا بد أن تبنى هذه الوسائل الإعلامية بما فيها القنوات الفضائية من خلال النشرات والبرامج الحوارية روح النقد البناء الذي يساهم في نهضة المجتمعات وليس تقويضها . وهذا في نفس الوقت لا يعنى إخفاء الحقائق وتجميل الصورة .

هذه النتيجة حققت الهدف الأول لهذه الدراسة وهو الوقوف على أكثر البرامج التلفزيونية التي تخدم قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية على قناة العربية الفضائية . كما أنها أجابت على التساؤل الأول وهو : ماهي أنواع وأشكال البرامج التلفزيونية التي تقدمها القنوات العربية الفضائية " قناة العربية" ومدى تبنيتها وخدمتها لقضية حقوق الإنسان ؟ كما أن هذه النتيجة حققت الفرض الثالث لفروض الدراسة وهو : البرامج التلفزيونية على قناة العربية الفضائية وسيلة فاعلة في رفع درجة الوعي بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

أثبتت الدراسة أنه وبالرغم من أن قناة العربية الفضائية تنتهج الثقافة اللبرالية من حيث التعدد والتنوع في تقديم البرامج التلفزيونية إلا أنها ليس لها تأثير مباشر على الحكومات والشعوب في صنع قراراتها وسياساتها وذلك لأن الحكومات هي في الغالب المالك الحقيقي لهذه القنوات الفضائية . حققت هذه النتيجة الهدف الخامس من الدراسة وهو محاولة بناء إستراتيجية لقناة إعلامية حقوقية تعمل على تبنى قضية حقوق الإنسان دون الخضوع لسياسة أو قوانين الدولة أو القناة . كما أجابت عن التساؤل : ماهي رؤية قناة العربية الفضائية ، وماهي خططها الإعلامية الإستراتيجية في تبنى قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية ؟ كذلك نفت هذه النتيجة الفرض الثاني لهذه الدراسة وهو : قناة العربية لها تأثير مباشر على الحكومات والشعوب في صنع قراراتها ووضع سياساتها .

التوصيات :

1/ التطلع إلى إنشاء قناة فضائية عربية حقوقية، مستقلة ذات إستراتيجية إعلامية لا تخضع للسياسات الحكومية أو قوانين تعمل على إعاقة العمل الإعلامي.

2 العمل على إعادة صياغة القوانين والتشريعات الإعلامية بصورة تعزز من الحريات الإعلامية بالقدر الذي يجعلها لا تخضع للأوضاع السياسية والأمنية والتشريعات الإعلامية المنظمة للعمل الصحفي وذلك لعظمة الدور الذي يلعبه الإعلام في معالجة قضية حقوق الإنسان.

3 بما أن العمل الإعلامي أصبح رديفاً للعمل الإنساني إذن لابد للمؤسسات الإنسانية التي تعمل على نصرة حقوق الإنسان أن تكون لها منصة إعلامية خاصة بها تبث من خلالها رسائل توعوية تثقيفية وموجهة للسلوك بما يخدم قضية حقوق الإنسان وحياته الأساسية.

4 ضرورة خلق إعلام ناضج ، يبني الإنسان العربي الواعي والقادر على أن يكون فاعلاً في حوار الثقافات ومصوناً ضد أخطار العولمة ، ومحافظاً على هوية الأمة وقيمها.

المراجع :

1. أنطوان خليل عون ، معد برامج ومحامى ، مقابلة في يوم 6/4/2019م الساعة الثالثة ظهراً.
2. السيد الغضبان ، الفضائيات العربية مالها وما عليها، سفير الدبلوماسية للنشر، القاهرة، 2010 م.
3. ريام دلاتي ، القيام بتصميم الشبكات بطريقة صحيحة ، أداء ونصائح مدراء البرامج ، 6 ديسمبر الإنترنت.
4. فهد عبدالرحمن الشميري التربية الإعلامية كيف تتعامل مع الإعلام، دار إقرأ الدولية ، الرياض ، د،ن،
5. إعلام جامعة القاهرة ، 31 يناير 2012م ، الإنترنت.
6. جامعة مستغانم الجزائر ، بحث حول القائم بالإتصال في المؤسسة الإعلامية، الإنترنت.
7. مروان المعشر ، مقال تحليلي بعنوان السياسة الإعلامية الناجحة ضرورة لا ترف، مركز كارينغي للشرق الأوسط. 16/9/2017م.
8. محمد النجيمي ، مقالات عبر الإنترنت، جريدة الرياض ، 13/10/2003م.
9. الموسوعة الحرة ، الكنيسة القبطية الكاثوليكية 2014 ، الإنترنت.
10. مصطفى صويلح ، دور الإعلام في حماية حقوق الإنسان ، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ، دراسات عبر الإنترنت ، 23/3/2008م.

11. محمد جمعة غباشي ، كيف تعد برنامجاً تلفزيونياً ، دار الفاروق الإستثمارات الثقافية ، الجيزة ، 2008م.
12. عدلى رضا، وعاطف عدلى رضا ،إدارة المؤسسات الإعلامية ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 2009م.
13. محمد عبد المقصود ، فن إعداد البرامج التلفزيونية ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، 2006م.
14. سليم عبد النبي ، الإعلام التلفزيوني ، دار أسامة للنشر ، عمان ، الأردن ، 2010م .
15. سوزى ،بول الشركات والبنوك متعددة الجنسيات ترجمة سعود عياش ، دراسات عربية ، العدد 9 1987م.
16. وسام كيروز، رئيس تحرير نشرات العربية ، ومعد لعدة برامج تلفزيونية منها بانوراما .
17. مقابلة في يوم 6/4/2019م، الساعة الخامسة مساءً. 17) مايا محمد خير حتاحيت معدة لبرنامج الحدث العراقي وبرنامج على خطى العرب. مقابلة في يوم 6/4/2019م الساعة الثانية ظهراً

## حجاجية المجاز في المقامة الفزارية لبديع الزمان الهمداني

### The argumentation of trope in the fazari Maqamah of Badie Al Zaman Al hamadani

د. سعيد السعدي، باحث في البلاغة وتحليل الخطاب جامعة شعيب الدكالي، المغرب

essaadisaid2016@gmail.com

**ملخص:** تعتمد المقامة على براعة الكاتب في استعراض مهاراته في الكتابة، الأمر الذي يدفعه إلى المبالغة في استعمال الأساليب البلاغية، ومن بين هذه الأساليب: المجاز بأنواعه. وهو ما يطرح إشكالا يتمثل في: دور المجاز في الخطاب المقاماتي بين الإمتاع والإقناع، والآليات التي يُسخرها في سبيل تحقيق ذلك. وتُفزع عن هذا الإشكال مجموعة من الأسئلة من قبيل: ما المجاز؟ وما أنواعه؟

كيف يؤدي المجاز دور الإقناع إلى جانب وظيفة الإمتاع؟  
ما هي الآليات التي يعتمد عليها المجاز في الإقناع؟

ولدراسة هذا الإشكال، والإجابة عن الأسئلة المتفرقة عنه، آثرنا تناول موضوع: "حجاجية المجاز في المقامة الفزارية لبديع الزمان الهمداني" بالدرس والتحليل، وفق مقاربة بلاغية حجاجية. منطلقين من فرضية أن القول المجازي يؤدي وظيفة الإقناع إلى جانب وظيفة الإمتاع، وهادفين إلى الكشف عن آليات المجاز الموظفة في المقامة من أجل الإقناع. الكلمات المفتاحية: الحجاج، المجاز، المقامة الفزارية، الآليات، الإقناع، مقاربة بلاغية حجاجية.

**Abstract:**The Maqamah depends on the writer's ingenuity in displaying his writing skills, which leads him to exaggerate the use rhetorical styles, including: all kinds of trope. Which raises a problem represented in: the role of trope in situational discourse, between entertainment and persuasion, and the mechanisms that are harnessed in order to achieves it.

A number of partial questions arise from this problem, such as:

- What's trope? and what are its types?
- How does trope perform the role of persuasion in addition to the function of entertainment?
- What are the mechanisms that trope relies on in persuasion?

In order to study this problem, and answer the questions arising from it, we preferred to study and analyze the theme: "The argumentation of trope in the Fazari Maqamah of Badie al-Zaman al-Hamadani", according to an argumentative rhetorical approach, based on the hypothesis that metaphorical speech performs the function of persuasion in addition to the function of entertainment, and aiming to reveal the mechanisms of trope employed in the Maqamah for the purpose of persuasion.

**Keywords:** argumentation, trope, the Fazari Maqamah, mechanisms, persuasion, argumentative rhetorical approach

## تمهيد

تعد المقامة فناً أدبياً أنشأه العرب، وهي تشبه القصة القصيرة إلى حد ما، وتدور أحداثها حول بطل من وحي خيال الكاتب، ويرويها راو خيالي أيضاً. وقد كانت لها أدوار متعددة منها الترفيهية والتعليمية، واشتهر العديد من المؤلفين في هذا المجال أبرزهم بديع الزمان الهمداني الذي تميزت مقاماته باستعراض براعته في الكتابة، فكان يلجأ إلى المبالغة في استعمال الأساليب البلاغية، وفي مقدمتها المجاز بأنواعه، من أجل الإقناع إلى جانب الإمتاع.

من هذا المنطلق، نسعى، في هذه الورقة، إلى الكشف عن دور المجاز في المقامة بين الإمتاع والإقناع، والآليات التي وظفها الهمداني في سبيل تحقيق ذلك، عبر الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما المجاز؟ وما أنواعه؟
- كيف يؤدي المجاز دور الإقناع في المقامة إلى جانب وظيفة الإمتاع؟
- ما هي الآليات التي يعتمد عليها المجاز من أجل الإقناع؟
- وللاجابة عن هذه التساؤلات، سنعمل على مقارنة المقامة الفزارية لبديع الزمان الهمداني مقارنة بلاغية حجاجية، وفق المباحث الآتية:

- 1- مفهوم المجاز
  - 2- مفهوم المجاز
  - 3- مفهوم المقامة
  - 4- آليات المجاز الموظفة في المقامة من أجل الإقناع
- وسنختم بأهم الخلاصات التي توصلنا إليها.

## 1- مفهوم المجاز

نشأت البلاغة عموماً والمجاز على وجه الخصوص نتيجة لأسباب متعددة، حيث عرفت صقلية اعتداء على أملاك السكان، من لدن بعض الطغاة كـ (هيرون وجيلون)، فتم نفي هؤلاء السكان وانتزاع ملكياتهم، لكن بعد إسقاط هاتين الطاغيتين، ورجوع الأهالي إلى مناطقهم، كانت هناك دعاوى لا حصر لها من أجل استرجاع الممتلكات، الأمر الذي حتم على أصحابها التحلي بالفصاحة من أجل إثبات مظلوميتهم والإقناع بأحقيتهم. (Gardes-Tamine:2002, PP23-24)

وقد تطور الأمر مع السفسطائيين الذين اتبعوا طرقاً متنوعة في تعليم الحكمة - حسبهم - وهي سبل يضيق المجال عن الخوض فيها، ليظهر بعد ذلك معلم البلاغة أرسطو الذي تحدث عن الخطابة وعدها "قدرةً أو ملكةً نستطيع أن نكتشف بها، على وجه نظري أو تأملي، ما يمكن أن يكون شأنه الإقناع في

كل حالة على حدة" (Aristote: 2007, P44)، فقد كان يرى أن هدف الخطابة يتمثل في الإقناع، لذلك حاول الموازنة بين وسائل الإقناع التي تخاطب العقل ووسائل التأثير التي تتوجه إلى العاطفة؛ إذ يقول في الصدد: "من بين وسائل الإقناع هناك:

- وسائل غير صناعية: وهي تلك التي لا دخل لنا فيها لأنها تعطي مسبقاً مثل الشهود والاعتراف تحت التعذيب، والوثائق وغير ذلك.

- وسائل صناعية: وهي التي يمكن لنا أن نعدّها بأنفسنا، حسب منهج معين (....) ووسائل الإقناع الصناعية التي تُعطى بواسطة الخطاب، على ثلاثة أنماط: أولها ما يتصل بأخلاق الخطيب، ويقوم ثانياً على الاستعدادات التي يوضع عليها المستمع، في حين يتعلق ثالثها بالخطاب نفسه." (Aristote: 2007, PP 44.45)

أما بيرلمان وتيكا فقد أحييا البلاغة القديمة بعد الانحسار الذي شهدته، وأسس مشروعاً حجاجياً جديداً تحت مسمى "البلاغة الجديدة"، انطلاقاً من كون هدف " كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يُطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان لدى السامعين، بشكلٍ يبعثهم على إنجاز العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو ما وُفق على الأقل في تهيئ السامعين لذلك العمل في اللحظة المناسبة" (Perelman & Tyteca:1988, P59)، فالمتكلم أو المحاج، حسبهما، لا يقدم للمستمع أموراً بديهية مسلماً بها دون نقاش أو اعتراض، وإنما يعرض عليه أموراً محتملة ومحل خلاف، فيحاول من خلال استثمار المقام ومن خلال اعتماد تقنيات بلاغية، أن يجعلها فرضيات راجحة على غيرها. أي أنه يسعى إلى إقناعه بطرحه اعتماداً على حجج متعددة.

وبالموازاة مع ذلك، أسس الفيلسوف وعالم المنطق ستيفان تولمين Stephen Toulmin نظريته الخاصة بالحجاج مركزاً على استخدام الحجج، وموضحاً أن الحججة "تتميز بوظيفتها التبريرية. فالحجة هي مختلف القضايا التي نقدمها كتأكيدات والتي تصاغ بشكل أو بآخر كأسباب" (Gautier & Breton: 2000, P56). لعل الحججة عند تولمين عبارة عن خليط من القضايا والأسباب، الأمر الذي جعله يرى أنها تؤدي مهمة تبريرية رئيسة، ويمكن أن تؤدي وظائف أخرى لكنها تبقى ثانوية، بل يمكن أن تكون مشوشة على الوظيفة التبريرية.

في حين اهتمت روث أموسي Ruth Amossy بالحجاج بالعواطف محاولة الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يثير الحجاج العواطف؟ فاستثمرت دراسات من سبقها في هذا المجال، وهو ما استدلت عليه بالقول: "يذكي الملقوظ العاطفي مشاعر الشفقة المرتبطة بمفهوم الظلم، ويرسخها في العقل الذي هو أساس العواطف الأخلاقية" (Amossy: 2014, p225)، فاستثارة العاطفة، حسبها، مرتبط بالعقل الذي يعد أساس العواطف بمختلف أنواعها، والمحرك لها.

وعليه، يمكن القول: إنه رغم اختلاف النظريات الحجاجية في السبل التي تتبعها من أجل الإقناع، إلا أنها تتقاطع في ضرورة استعمال حجج من أجل إقناع مخاطب بفعل أمر أو تغيير سلوك.

## مفهوم المجاز

-2

اهتم البلاغيون بدراسة المجاز منذ القدم؛ إذ كان أبو عبيدة سباقا إلى استخدام مصطلح المجاز في مؤلفه "مجاز القرآن"، لكنه لم يتكلم عنه كنظير للحقيقة، وإنما دل عنده على بيان المعنى (عتيق: 1985، صص 8-9)؛ أي أنه استعمله استعمالا موسعا.

أما الجاحظ فقد عمل على حصر مفهومه مستفيدا، في ذلك، من أفكار من سبقوه، من المعتزلة والفُرس والهنود واليونان، حول البلاغة، فأدرج ملاحظات حولها في مؤلفه "البيان والتبيين". كما تحدث في هذا المؤلف عن التشبيه والاستعارة عن طريق الأمثلة والنماذج مع التفريق بينها، لذلك لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وأدرج مصطلح "المثل" كمرادف للمجاز ومقابل للحقيقة. وبهذا كان أول من فطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز (عتيق: 1985، صص 10-11).

وقد توسع ابن قتيبة، من بعده، في نظريته إلى المجاز وأفرد له بابا كاملا في مؤلفه "تأويل مشكل القرآن"، لما رأى اختلاف الناس في تأويل المجاز وأخذ على وجه الحقيقة. (ابن قتيبة: 1973، صص 103)

وبعد ذلك بدأت تتضح معالم هذا الوجه البلاغي؛ إذ تعرض له ابن جني بالقول: "يَقَعُ الْمَجَازُ وَيُعَدَّلُ إِلَيْهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ لِمَعَانٍ ثَلَاثَةٍ وَهِيَ: الْإِتْسَاعُ، وَالتَّوَكُّيدُ، وَالتَّشْبِيهُ. فَإِنَّ عَدَمَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ كَانَتْ الْحَقِيقَةُ الْبَيِّنَةُ" (ابن جني: د.ت، ص 442)، فهو يعتبر اللجوء إلى المجاز يكون سعيًا لتحقيق ثلاثة أمور وهي: الاتساع في المعنى أو توكيده أو تشبيهه، لكن الأمر لا يستقيم، حسبه، دون وجود قرينة تمنع من إيراد الحقيقة؛ إذ يقول: "لَكِنَّ لَا يَقْضَى إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِقَرِينَةٍ تُسْقِطُ الشُّبُهَةَ". (ابن جني: د.ت، ص 442) في حين سعى الجرجاني إلى إعطاء المجاز تعريفا أكثر وضوحا مؤكدا أن "كُلُّ كَلِمَةٍ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ مَا وَقَعَتْ لَهُ فِي وَضْعِهَا مِمَّا لَمْ يَلْحَظْ بَيْنَ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ فِيهَا مَجَازٌ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: كُلُّ كَلِمَةٍ جُرَتْ بِهَا مَا وَقَعَتْ لَهُ فِي وَضْعِهَا مِمَّا لَمْ يَلْحَظْ بَيْنَ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ فِيهَا مَجَازٌ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: كُلُّ كَلِمَةٍ جُرَتْ بِهَا مَا وَقَعَتْ لَهُ فِي وَضْعِهَا مِمَّا لَمْ يَلْحَظْ بَيْنَ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ فِيهَا مَجَازٌ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: كُلُّ كَلِمَةٍ جُرَتْ بِهَا مَا وَقَعَتْ لَهُ فِي وَضْعِهَا مِمَّا لَمْ يَلْحَظْ بَيْنَ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ فِيهَا مَجَازٌ."

إِلَيْهِ وَبَيْنَ أَصْلِهَا الَّذِي وَضِعَتْ لَهُ فِي وَضْعٍ وَاضِعِهَا فَهِيَ مَجَازٌ" (الجرجاني: 1992، ص304)، حيث يرى بأن المجاز هو استعمال الألفاظ في محل غير المحل الذي وضعت له في الأصل، ولن يتم ذلك إلا بوجود ملاحظة أي علاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي.

أما السكاكي، فقد استفاد من سابقه، في هذا المجال، وحدد تعريفاً أدق للمجاز، مبيناً أنه "الكلمة المُستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع" (السكاكي: 1987، ص359)، فالمجاز، حسب، هو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في الأصل. غير أنه ربط ذلك بوجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، كما أضاف كلمة "بالتحقيق" رغبة منه في عدم إخراج الاستعارة من المجاز. وعموماً، يمكن القول إن المجاز يدل على كل لفظ أطلق وأريد به معنى آخر غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، لكن ذلك لن يتم إلا بوجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي. وتكون هذه العلاقة إما علاقة مشابهة كما هو الحال في الاستعارة، أو غير مشابهة شأن المجاز المرسل والمجاز العقلي. وينقسم المجاز إلى: مجاز عقلي وآخر لغوي يضم المجاز المرسل والاستعارة.

### مفهوم المقامة

-3

تعددت تعريفات المقامة، لكنها لم تخرج عن إطار كونها مجلساً أو موعظة أو حكاية. فقد نُقل عن شرح الشريشي أن المقامات هي: "المجالس، واحداً مقامة، والحديث يجتمع له، ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلساً، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة، ويجلس ببعضه أخرى؛ قال الأعلام: المقامة: المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير." (الشريشي: 1992، ص22).

في حين يرى أديب الزيات أن: "المقامات حكايات قصيرة تشتمل كل واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة (جلسة) وتنتهي بعظة أو ملحّة. ولحسن الديباجة وأناقة الأسلوب فيها المحل الأول." (الزيات: د.ت، ص243)

أما رشيد ناظم فيرى أن المقامة أصبحت "مصطلحاً أدبياً تُطلق على نوع من الكتابة الفنية على شكل أقصوبة منمقة في ألفاظها وأسلوبها، فيها شيء من الحوار، وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطلٍ أديبٍ متحايلٍ، يُراد بها وصف حالة نفسية، أو مفارقة أدبية، أو مسألة دينية، أو قضية علمية (....) وتتطوي على لونٍ من ألوان النقد أو التهكم والسخرية، أو التصحيح والتقويم، أو الثورة". (ناظم: 1989، ص327)

ويتقاطع هذا التعريف مع من يرى أن " فن المقامة من أهم فنون الأدب العربي، وخاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير، وهي صيغ حُلِيَّتْ بألوان البديع، ورُبِنَتْ بزخارف السجع وعُنِيَ العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية، ومقابلاتها الصوتية" (شوقي ضيف: د.ت، ص 5)

وقد كان بديع الزمان الهمداني "أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء، إذ عبّر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصورٌ أحاديث تُلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث". (شوقي ضيف: د.ت، ص 8)

وتتميز المقامات، عند بديع الزمان الهمداني، بخصائص متعددة يمكن أن تنطبق على المقامات عند غيره، حيث أنه: (شوقي ضيف: د.ت، ص 8)

- يصوغ الحديث في شكل قصص قصيرة يتأتى في ألفاظها وأساليبها؛
- يتخذ لقصصه جميعا راويا واحدا (عيسى بن هشام)، وبطلا واحدا (أبو الفتح الاسكندري) يظهر في شكل أديب شحاذ؛
- يُغيب العقدة أو الحبكة في قصصه.

وعموما، فمصطلح المقامة شهد تطورا انطلاقا من المجلس والموعظة مرورا بالحكاية والقصة القصيرة، وصولا إلى الفن الأدبي الذي يرمي إلى تعليم الناشئة صيغ التعبير من جهة، وإلى إظهار كفاءة الكاتب في التأليف من جهة أخرى.

#### 4- آليات المجاز الموظفة في المقامة الفزارية من أجل الإقناع

تعد المقامة الفزارية (الهمداني: 2005، ص 81) من مقامات بديع الزمان الهمداني التي وظف فيها الكاتب السرد اعتمادا على كفاءته في الكتابة وحصافته. وتدور أحداث هذه المقامة في بلاد فزاره حيث كان الراوي يتجول ويذرع أمصارها جيئة وذهابا رغبة في الوطن، ويصف المخاطر التي صادفته في طريقه والأهوال التي اعترضته، إلى أن باغته فارس مجهول متوشح سلاحه يقصده بسرعة فائقة، فلما تبادل أطراف الحديث، تبين له أنه شحاذ يسبح في الأرض بحثا عنم يوجد عليه بعطاياه. وعندما أقنع الراوي نفسه بضرورة أن يوجد عليه بعطاياه، طلب منه أن يظهر نبوغه في الشعر كما أظهر فصاحته في النثر. وبعد قرص بعض أبيات الشعر اكتشف أن محاوره ما هو إلا بطل المقامة أبو الفتح الإسكندري. وقد سعى الكاتب إلى استعمال أساليب بلاغية متنوعة في مقامته، من أجل سرد الأحداث وإظهار البراعة في التأليف من جهة، وإقناع المخاطب من جهة أخرى. في هذا السياق، سنتوقف عند أهم المحطات التي اعتمد فيها على المجاز ونوضح دوره الإقناعي.

يعد المجاز من الأساليب التي تفيد معنيين: معنى حقيقيا بوجود قرينة تمنع من ظهوره وآخر مجازيا. والمقامة الفزارية تزخر بالعديد من المجازات التي استعان بها الكاتب من أجل إقناع المتلقي بطرحه، فاستعان بداية الراوي عيسى بن هشام لإيصال رسالته، فجعله يجوب بلاد فزارة على ظهر نوعين من النوق سريعتا الانقياد وسهلتا التوجيه، فشبههما بالأسماك التي تشق الماء بسلاسة عندما قال: "كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ فِزَارَةَ مُرْتَحِلًا نَجِيَّةً. وَقَائِدًا جَنِيَّةً. يَسْبَحَانِ بِي سَبْحًا، وَأَنَا أَهْمُ بِالْوَطَنِ، فَلَا اللَّيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِهِ"، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية للإقناع بقدرتهما على سلك المفازات وقطع القفار بكل سلاسة، من أجل إدراك الوطن. الأمر الذي جعله لا يعبأ بالليل ووحشته، لذلك استعار له صفات الوعيد من الشخص القاسي الذي يهدد بإزالة العقاب على غيره، ووجه الشبه يتجلى في القسوة والتخويف، وهو يريد، بهذا، أن يقنع المخاطب بشجاعته وإقدامه وعدم تراجعته عن بلوغ مقصوده رغم الظروف المحيطة به.

وقد استمر في محاولة إقناع مخاطبه بشجاعته، فاستعار للبعد صفات الإلهاء والثني عن بلوغ المراد في قوله: "وَلَا الْبُعْدُ يَلْوِينِي بِيَدِهِ". وما يعزز ذلك أن هذا البعد ينطوي على مخاطر عديدة يأتي في مقدمتها وجود الأراضي الموحشة، مما قد يحول بين المتحدث وبلوغ مراده. لكنه وظف (لا) لنفي هذا الأمر وتأكيد عزمه وتصميمه على بلوغ مراده.

واسترسل الراوي في تقديم استعاراته فشبه النهار بالشجرة، في قوله: "فَظَلَّتْ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بَعْصَا التَّسْيَارِ". مستعيرا من الشجرة الورق، ووجه الشبه السقوط والانقضاء؛ فكما يتم إسقاط أوراق الشجر تتقضي ساعات النهار، من ناحية أخرى، جعل السير عصا ينثر بها الأوراق واحدة بعد الأخرى؛ أي أنه قطع بسيره النهار ساعة بعد ساعة.

بعد ذلك وظف استعارة أخرى في قوله: "أَخْوَضُ بَطْنَ اللَّيْلِ بِحَوَافِرِ الْخَيْلِ"، حيث شبه السفر ليلا بعبور بطن مخلوق عملاق على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه الشبه الظلمة والوحشة، وذلك من أجل إقناع المتلقي بشجاعته وقدرته على عبور الأراضي الموحشة المقفرة. ولتأكيد هذا الأمر أضاف أنه يقطع الأراضي على ظهر الخيل فاستعمل المجاز المرسل الذي يدل على الجزئية عندما وظف الحوافر وأراد الخيل. وقد ركز على الحوافر نظرا لأنها هي الأعضاء المهمة التي تستند إليها الخيل في التحرك والعدو. وقد واصل الحديث عن مغامراته، فوصف سرعة سيره وانسيابه في قطع المفازات بـ "أَسِيحُ سَيْحًا"، مشبها نفسه بالماء الذي يسيل على وجه الأرض دون أن يكون له وقع أو ضجيج، على سبيل الاستعارة المكنية، فحذف المستعار منه وترك ما يدل عليه "أسيح"، ووجه الشبه بين المتحدث والماء

1- نجبية وجنيبة: الناقة الكريمة، والنجبية من الخيل والإبل

يكن في سرعة التسلل وسهولة الانسياب، لا سيما أن الماء يتسرب بسهولة من أبسط منفذ، ويصعب إيقافه، وهو الأمر الذي أراد المتحدث، من خلاله، إقناع المتلقي بكونه خبيراً في قطع الفيافي واجتياز الصعاب.

بعد ذلك انتقل الراوي إلى وصف لقائه بشخص غريب مسلح، ظهر له فجأة، ووصف سرعته عندما استعار للصحاري الشاسعة صفة المطوي من الثوب المنشور في قوله: "يَطْوِي إِلَيَّ مَنْشُورَ الْفَلَوَاتِ". فكأن هذا الشخص بسرعه يطوي الفلوات حتى يضم أبعاد أطرافها ويصل إليه بسرعة، ولنا أن تتصور السرعة التي يطوي بها الثوب، فهما كانت مساحته فإنه يصير بعملية الطي جزءاً صغيراً، وفي مدة زمنية قصيرة.

ولم يتوقف الراوي عند هذا الحد، بل واصل حديثه، فسأل مخاطبه عن كيفية كسبه للرزق، فأجاب: أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلَادِ، حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفَنَةِ جَوَادٍ"، إذ تحدث المخاطب عن تنقله في البلاد وقطع مداخلها، فشبه أمصارها بالجيوب نظراً لكثرتها وتداخلها، على سبيل الاستعارة المكنية، محاولاً إقناع المتلقي بمقدرته على التنقل وقطع الفيافي، لكن ليس من أجل الحرب أو البحث عن شيء ثمين، وإنما من أجل البحث عنم يطعمه ويحسن إليه. كما قال: "وَيَ فُؤَادٌ يَخْدُمُهُ لِسَانٌ"، فاستعان بالمجاز العقلي عندما أسند فعل الخدمة للسان، والعلاقة سببية لأن اللسان لا يخدم وإنما صاحب اللسان، لذلك استعمل العضو (اللسان) وقصد الذات، والسبب يرجع إلى كون لفظة لسان أجدى حجاجياً.

كما وظف المجاز المرسل في قوله: "وَيَبَانُ يَرْقُهُ بَنَانٌ"، فالبنان لا يرقم وإنما الأنامل، لذلك فالتعبير بالبنان مجاز مرسل علاقته الكلية، فعدول الراوي، ومن ورائه الكاتب، عن لفظ الأنامل إلى لفظ البنان رمى من خلاله إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقي على أساس أن لفظة (البنان) أكثر تداولاً ومن ثم تكون أكثر وقعا وإقناعاً.

ولم يكتف بهذا الأمر بل أمعن في وصف هيئة صاحبه قائلاً: "طَلَعَ عَلَيَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغَرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِهَا غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ، وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ"، فقد شبه مجيئه بطلوع الشمس، وكما هو معلوم فالطلعة ترتبط بالخير وتكون بهية ومشرقة. غير أنه لما أراد وصف فراقه، شبه الأمر بغروب الشمس على سبيل الاستعارة المكنية، والقاسم بين طرفي التشبيه، التحول من حال إلى حال، فغروب الشمس يصحبه جو كئيب ناتج عن التحول من النور إلى الظلام، الأمر نفسه ينطبق على فراق هذا الشخص الذي خلف لدى مخاطبه حزناً. لكن رغم ذلك فهو خلف ذكريات طيبة، وهو ما جعل الراوي ينفي الغياب عن تذكاره في قوله: "لَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ" فأسند الغياب المنفي إلى التذكار على سبيل المجاز العقلي، كما أسند للآثار صفة المشيع على سبيل المجاز العقلي الذي علاقته الفاعلية، فالآثار لا تشيع وإنما صاحبها

هو الذي يقوم بهذا الفعل. وقد وظف "عدم الغياب" و"التشيع" لإقناع الغير بأهمية هذا الشخص الذي تراءى له.

وبعد اكتشاف حقيقة مخاطبه، أقنع نفسه بضرورة التصديق عليه، فقال: " وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْتِّحَ لَهُ وَتَسْحَ عَلَيْهِ<sup>2</sup> "، فحدث نفسه عن ضرورة العطاء، لكنه استدرك وأقر بضرورة أن يجزل له العطاء، فقال: (وتسح عليه)، مشبها كثرة العطاء بسح الماء وهو سيلانه من فوق مما يجعله غزيرا هاطلا بسرعة، على سبيل الاستعارة المكنية، والعلاقة بين المستعار منه والمستعار له هي الكثرة وعدم التوقف. وقد استعار السح للعطاء لإقناع المخاطب بأهمية التصديق والعطاء.

كما جاء في سرد الراوي أن صاحبه أنشد "بصوت ملاً الوادي"، على سبيل المجاز المرسل حيث أسند إلى الوادي صفة الامتلاء وعلاقته الكلية، فترديد الصدى يملأ بعض الوادي، وقد استعان بالمجاز للمبالغة في وصف شدة صوت هذا الشحاذ في إنشاد الأبيات الشعرية، مما يدل على تقمته بنفسه من جهة، وبلاغته وتمكنه مما ينشد من جهة أخرى. ف"المجاز يؤدي المعنى باختصار، ويصوره أفضل تصوير." (السعدي: 2022، ص16)

ومما قال:

" وَأرَوَعَ أَهْدَاهُ لِي اللَّيْلُ وَالْفَلَا  
وَنَحْسُ نَمْسِ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَّا  
وَلَا"

فأسند الراوي الفعل "أهداه" إلى الليل على سبيل المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، كما عطف الفلا على الليل، وهذا يدل على اشتراك إسناد الفعل (أهداه) إليهما، غير أن إسناد الفعل إلى الفلا جاء على سبيل المجاز العقلي الذي علاقته المكانية؛ فالليل والفلا لا يهديان، وإنما أراد المتحدث إقناع مخاطبه بشجاعته التي تمكنه من التجوال ليلا في الصحاري، الأمر الذي مكّنه من لقاء هذا الشهم الشجاع. كما عبر عن رجله هذا الشخص بنحس على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية لأن كل رجل تتكون من خمسة أصابع، والأصابع هي الأعضاء المهمة في الرجل وعليها يستند الإنسان، ولإظهار أهمية الأصابع جعلها لا تظأ الأرض إلا مساً تكاية عن سرعة صاحبها.

عَرَضْتُ عَلَى نَارِ الْمَكَارِمِ عَوْدَهُ  
فَكَانَ مَعَمًّا فِي السِّيَادَةِ  
مُخْـ

وللتدليل على طيب أصل هذا المخاطب، شبهه بالعود الذي يُذيع ما فيه من طيب أو خبث عندما تحرقه النار، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، كما شبه المكارم بالنار في الآن نفسه، ليخلص إلى نتيجة

<sup>2</sup> - تسخ: من سخ الماء إذا سال من فوق.

مفادها طيبة عوده؛ أي أن أصله طيب سواء من جهة الأب أم من جهة الأم، وقد استعان بهذه الاستعارة ليقنع المتلقي بكرم أصل هذا الشخص.

فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي  
وَلَمَّا يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى  
السَّبْقِ أَوْلَا

وبعد أن تحدث المتكلم عن مكاشفته لخصمه واختباره له في نظم الشعر، لجأ إلى مدح نفسه، في البيت أعلاه، فشبه عملية اختباره له بالشعر بعملية حمل السيف البتار على سبيل الاستعارة، وهي استعارة ترشيحية اقترنت بما يناسب المستعار منه وهو الفعل "هز" الذي يناسب حمل السيف. وقد لجأ إلى هذه الاستعارة لإقناع مخاطبه بنوعه في قول الشعر وتفوقه في هذا المجال، فهو يصف تفوقه في نظم الشعر وانسيابه في قرضه، كالسيف الحاد الذي يسهل عليه قطع الأجساد، كأنه يقول: "إنه لما هزني باختباره لم يهز إلا صارما أي سيفا قاطعا (٠٠) ولما ابتلاني في السبق إلى غايات الإجادة لم يلقني إلا أولا إلى السبق أي أولا في التقدم إليه" (المهذاني: 2005، الهامش، ص 85).

وفي الأخير نشير إلى اعتماد الراوي على المجاز اللغوي المتمثل في الاستعارة بكثرة، لإقناع المخاطب بمكاتبته وكرمه وخصاله الحميدة من جهة، وبحقيقة البطل رغم ادعائه الشجاعة والفصاحة من جهة أخرى، لأن "فضيلة الاستعارة تلتخص في تأكيد المعنى وتشيده والمبالغة فيه، وهذا التأكيد ذو طابع حجاجي وإقناعي على الرغم من إمكانية تداخله مع التأثيري والوجداني" (فروم: 2021، ص 469).

### خلاصات

ختاماً نشير إلى أنه بعد تحليل بعض المقاطع من المقامة الفزارية، وتبع صور المجاز التي اشتملت عليها، خلصنا إلى ما يأتي:

- المقامة فن أدبي يبرز براعة المؤلف في التأليف، مما يجعله يعدل في مواقع متعددة من مقاماته من لفظ إلى لفظ رغبة في التأثير في المتلقي، فيستحضر صوراً مجازية تنطلق من بيئة المخاطب، الأمر الذي يمنحها قوة حجاجية كبرى؛

- تعتمد المقامة في تسلسل أحداثها على عنصر التشويق من خلال المزوجة بين السرد والوصف، واكتشاف حقيقة البطل الذي يتحول في الأخير من بطل شجاع إلى مكدي يعتمد على قدراته اللغوية والمعرفية العالية، فضلاً عن

- يزوج المؤلف بين السرد والوصف مما يعطي للمقامة

- يعد المجاز انزياحاً عن المعنى المألوف، يشترط فيه اشتماله على قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، ويرجع إلى المتلقي الأمر في الحكم على الدلالة الحقيقية من المجازية؛

- يتعدد المجاز إلى عدة أنواع أهمها: الاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي، وهي أساليب تقوم على علاقات: مشابهة تخص الاستعارة، وغير مشابهة تهم المجاز المرسل والمجاز العقلي؛
- تعدد علاقات المجاز سواء المرسل أم العقلي يعطي لكل علاقة وظيفة مجازية تختلف عن غيرها مما يعني المقامة بالمحج الذي يوظفها الكاتب من أجل الإقناع؛
- أكثر الكاتب من الصور الحسية التي تعتمد على الاستعارة، لانطلاقها من الواقع الملموس، مما يقوي دلالتها، ويمنحها قدرة أكبر على الإقناع؛
- يؤدي المجاز بأنواعه، باعتباره نمطا من التعبير، أدوارا متعددة منها: التأكيد والتوسع والمبالغة، وهي أدوار تتضافر لتؤدي دورا أكبر يتمثل في الإقناع.

#### لائحة المصادر والمراجع

##### بالعربية

- ابن جني أبو الفتح، الخصائص، ج2، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ت.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر أحمد صقر، دار التراث، ط2، القاهرة، 1973.
- أحمد عبد المومن القيسي الشريثي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1992، ص22.
- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، قراءة وتعليق محمود شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، 1992.
- الزيات أحمد حسين، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر الطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، د.ت.
- السعدي سعيد، "المجاز والكناية: دراسة أسلوبية في قصيدة سيف يسابق المنايا للمنتهي"، مجلة أطلنيس، ع8، 1444هـ/2022م
- السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1987.
- شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، ط3، القاهرة، د.ت.
- عتيق عبد العزيز، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- فروم، هشام، "مجازية المجاز في الخطاب الدعوي الصوفي: المثني العربي الصوفي أنموذجا"، مجلة المعيار، م25، ع55، 2021م.
- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب، العراق، 1989.

- الهمذاني بديع الزمان، مقامات بديع الزمان الهمذاني، قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2005.

#### بالفرنسية

- Aristote, Talis. Rhétorique, trad. Jean Lauxerois, pocket, département d'Univers Poche, 2007.
- Breton, Philippe & Gauthier, Gilles, Histoire des théories de l'argumentation, éditions La Découverte, Paris, 2000.
- Gardes-Tamine, Joelle, La rhétorique, Armand colin/ VUEF, 2<sup>ème</sup> édition, Paris, 2002.
- Perelman, Chaim et Tyteca L. Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, 5<sup>ème</sup> édition, édition de l'université de Bruxelles, 1988.
- Ruth Amossy. L'argumentation dans le discours, Armand Colin, Paris, 2014

## بعض إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس على نهضة أوروبا

Some contributions of the Arab-Islamic civilization in Andalusia to the renaissance of Europe

مرابط محمد، قسم الرياضيات، جامعة الشلف، الجزائر

[m.merabet@univ-chlef.dz](mailto:m.merabet@univ-chlef.dz), [merabetmohamed02@gmail.com](mailto:merabetmohamed02@gmail.com)

"أوروبا جلست تتعلم تحت أقدام الأساتذة المسلمين لمدة 500 عام" المؤرخ الأمريكي جراهام Mark Graham

### ملخص البحث

نودّ في هذا العرض إلقاء الضوء على بعض من آثار علماء المسلمين في الأندلس على نهضة أوروبا على مدار ثمانية قرون من خلال أعمالهم العلمية التي تُرجم معظمها إلى اللاتينية. ويتناول هذا البحث ثلاثة محاور هي:

- (1) مدرسة المجريطي.
  - (2) نبذة حول أهم تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية على نهضة أوروبا.
  - (3) بعض من الشهادات المنصفة لتأثير الحضارة الإسلامية على نهضة أوروبا.
- الكلمات المفتاحية: الحضارة العربية الإسلامية، نهضة أوروبا.

### Research Summary

The main purpose of this research is to reveal some of the effects of Muslim scholars in Andalusia on the Renaissance of Europe over the course of eight centuries through their scientific works, most of which were translated into Latin. This research deals with three axes:

- 1) Al-Majriti School.
- 2) An overview of the most important influences of the Arab-Islamic civilization on the renaissance of Europe.
- 3) Some of the fair testimonies of the impact of Islamic civilization on the renaissance of Europe.

**Keywords** : Arab-Islamic civilization, European renaissance

## تصدير

مما لا شك فيه أن تأثير الحضارة العربية الإسلامية على العالم الغربي كان كبيراً في شتى المجالات ولا يحسد ذلك إلا مكابر. ورغم أن هناك أصوات في الغرب تتجاهل وتتصاعد من حين لآخر، وبل وتتفي أي مساهمة للعرب والمسلمين في مجال العلوم، وتطورها عبر العصور، ووصل بهم الأمر في إسبانيا - مثلاً - إلى تبيط جدران بعض مساجد الأندلس التي حوّلت إلى كنائس كي تحتفي تلك الآثار التي تبين مدى تطور مشيديها.

لقد انتقلت كثير من المؤلفات العلمية من المشرق نحو الأندلس في مختلف العلوم، والمجالات وترجم من لم يضع منها إلى اللاتينية، وأصبحت مراجع يعتمد عليها في التدريس في عديد الجامعات الأوروبية والغربية من خلال اعترافات بعض المستشرقين والعلماء والمؤرخين الغربيين ومن الثابت تاريخياً أنه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعاني من الجهل، والتخلف، والضياع كانت الحضارة الإسلامية في الأندلس تحمل المشعل الفكري الذي ملأ دنيا ذلك العصر علماً، ومعرفة. وقد تجملت قرطبة بمكتبات، ومساجد، وعمران أهلها لتكون حاضرة العلم والتمدن في الأندلس وأوروبا حتى قيل فيها

بَأَرْبَعِ فَاقَتِ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةً \*\*\* مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا  
هَاتَانِ ثِنْتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ \*\*\* وَالْعِلْمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهُ

وبذلك أصبحت قرطبة من أرقى مراكز العلم والمعرفة، والتي منها تعلمت أوروبا العلم والثقافة والتمدن. وامتازت الحضارة العربية في الأندلس بإنشاء المكتبات، والمساجد، والطرق، والجسور، وبناء المدن، حتى أصبحت فيها أول جامعة بالمفهوم الحديث وذاع صيت علمائها فكان منهم أقليدس الأندلس وأبو علم الجراحة وغيرهم مما جعل أوروبا تنهل من معارفهم عن طريق ترجمة أعمالهم وإرسال البعثات العلمية والتي أخذت تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى حتى بلغت سنة 312هـ في عهد الخليفة الناصر (553-622هـ/1158-1225م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة (السامرائي، 2000، ص 477). وكذلك نجد الراهب الفرنسي جريتر دي اورياك (حوالي 946-1003م) d'Orlhac Gerbert الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه بعد أن بلغ من العلم مبلغاً خيلاً لعامة فرنسا إذ ذاك أنه ساحر. فقد كان من أوائل المهتمين بالثقافة العربية، والمضمون التجريبي للعلم، وقد تربع بعد ذلك على عرش البابوية في روما تحت اسم سيلفستر الثاني. Sylvestre II.

نحاول في هذا المقال تسليط الضوء على مدرسة الجريطي (338-398هـ/950-1007م) كأول جامعة بالمفهوم الحديث من خلال تسليط الضوء على مؤسسها وأبرز تلاميذها، ثم نستعرض أهم تأثيرات إنجازات العلماء المسلمين في الأندلس على أوروبا. ونختتم هذا المقال ببعض شهادات المنصفين لفضل الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس على نهضة أوروبا.

### 1. مدرسة الجريطي

أسس الجريطي في قرطبة مدرسة؛ وهي عبارة عن معهد علمي لتعليم العلوم البحتة والتطبيقية، تخرج منه علماء في شتى ميادين العلم والمعرفة.

#### 1.1 من هو الجريطي؟

هو أبو القاسم مسلمة الجريطي (أو المدريدي) ولد بجريط (وهي اليوم مدريد عاصمة أسبانيا بناها محمد بن عبد الرحمن الأوسط (176-238هـ/792-852م) في القرن الثالث للهجرة (246هـ/860م) فوق مستودعات من المياه الجوفية ومجريت اسم مشتق من كلمة مجرى الذي يدل على مجموعة من المجاري والقنوات الجوفية والتي مازالت آثارها باقية حتى اليوم) بالأندلس، وذاع صيته زمن الحكم المستنصر بالله (ابن أبي أصيبعة، 1995، ص 482) (302-366هـ/915-976م) وتوفي بقرطبة (الزركلي، 2002، ص 224) عن عمر يناهز 57 سنة، وكانت قرطبة آنذاك عاصمة الأندلس.

تلقى الجريطي العلم على يد كل من أبي أيوب عبد الغافر بن محمد الفرضي أحد المهرة بعلم الهندسة في قرطبة (الأندلسي، 1912، ص 67) وأبي بكر بن أبي عيسى أحمد بن محمد الذي كان يجلس أيام حكم المستنصر بالله لتعليم الهندسة وسائر العلوم الرياضية (الأندلسي، 1912، ص 68). كما كان للجريطي رحلة نحو المشرق العربي (مصر وشبه الجزيرة العربية والعراق والشام) بحثاً عن العلم وعرض ما توصل إليه على العلماء، وكان موسوعي المعرفة، فبرع في الرياضيات، والفلك.

لقب الجريطي بـ أقليدس الأندلس (الشيخ أبو عمران، 1995، ص 447) لتعمقه في دراسة الرياضيات وما حققه فيها من مرتبة عظيمة ساوته بعالم الرياضيات اليوناني المشهور أقليدس (300-265 ق.م) Euclide كما لقب بإمام الرياضيين بالأندلس (الأندلسي، 1912، ص 68) ولقب أيضاً بالحاسب (هيل، 2004، ص 31).

#### 2.1 أهم آثار الجريطي:

لقد تألق الجريطي في الرياضيات والفلك تأليفاً وتصنيفاً، حيث ترجمت معظم أعماله إلى اللغة اللاتينية "ومما يؤسف له أن الجزء الأعظم من كتبه فقد، وقليل منها لم يعرف إلا من الاسم (سزكين، 2002، ص 31)". في الرياضيات ألف كتاب "ثمار العدد في الحساب"، الذي قال فيه صاعد الأندلسي (419-

462هـ/1029-1070م) "وله كتاب حسن في تمام العدد المعروف عندنا بالمعاملات" (الأندلسي، 1912، ص 69)، وله العديد من الإبداعات في نظرية الأعداد المتحابية (نصار، 2004، ص 34)، وله كتاب "إتمام رسالة في الشكل الملقب بالقطاع لثابت بن قرة" (221-288هـ/836-901م) في الهندسة وقد حاول في هذا الكتاب سد الثغرة الموجودة في برهان الشكل الملقب بالقطاع لثابت بن قرة لكنه لم يوفق في ذلك (سزكين، 2002، ص 428). كما أنه طور بعض نظريات الأعداد وهندسة أقليدس، وهناك العديد من الكتب والرسائل التي عمل على تأليفها وكتابتها في الرياضيات جعلت منه إمام الرياضيتين في عصره من بينها "كتاب حول فرض الضرائب واقتصاد الأندلس" و "كتاب الأوزان في علم الميزان". كما كان للمجريبي اهتمام بكتاب المجسطي لبطليموس (87-150م) وعكف على دراسته والتعليق عليه (الأندلسي، 1912، ص 69). وكان لآلة الأسطرلاب جزء من اهتمامات الجريبي فكتب عنها كتاب "حول بناء وتركيب الأسطرلاب". وله كذلك "رسالة في الأسطرلاب". كما كان له اهتمام بزيج الخوارزمي وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي في رسالة عنوانها "تحرير زيج محمد بن موسى الخوارزمي (164-232هـ/781-847م)".

### 3.1 تلاميذ الجريبي

"وقد أنجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالأندلس مثلهم فن أشهرهم ابن السمح وابن الصقار والزهرراوي وابن خلدون" (الأندلسي، 1912، ص 69). هؤلاء هم تلاميذ الجريبي الذين أشار إليهم صاعد الأندلسي (419-462هـ/1029-1070م)، حيث:

- كان ابن السمح الغرناطي (361-426هـ/426-1043م) فلياً ورياضياً ولد في قرطبة وعاش في غرناطة وتوفي بها. قال فيه صاعد الأندلسي "إن ابن السمح كان محققاً لعلم العدد والهندسة متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم" (الأندلسي، 1912، ص 69). كما كان ملماً بعلم العدد والهندسة من بين أهم مؤلفاته نجد:

• كتاب "المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب أقليدس".

• كتاب "ثمار العدد".

• كتاب "التعريف بصورة صنعة الأسطرلاب".

- كما اشتهر الرياضياتي والفلكي ابن الصقار (المكنى بأبي القاسم والملقب بالأندلسي) (توفي حوالي 426هـ/1035م) ببراعته في علمي الهندسة والفلك حتى قال عنه صاعد الأندلسي "كان متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم، وقعد في قرطبة لتعليم ذلك، فتخرج عليه عدد من مشاهير العلماء" (الأندلسي، 1912، ص 69). ومن آثاره نجد:

- كتاب "في العمل بالإسطرلاب".
- كتاب "زنج مختصر على مذهب السندهند".
- ولعل أشهر وأنجب تلاميذ المجريطي الطبيب والرياضياتي خلف بن عباس الزهراوي (325- بعد سنة 400هـ/936- بعد 1013م)، الذي يكنى كذلك أبي القاسم الزهراوي ويلقب برائد الجراحة الطبية وهو من مواليد بمدينة الزهراء لكنه عاش في قرطبة زمن الخليفة عبد الرحمن الثالث (277-350هـ/891-961م) وابنه الحكم الثاني (302-366هـ/915-976م)، وكان طيبهما، عُرف بين علماء أوروبا باسم Albucasis وفي قرطبة تعلم ومارس الطب والجراحة ويعد الزهراوي:
- من الأوائل الذين ابتكروا أدوات الجبر ومعالجة الكسور وبتتر الأعضاء (حمدان، 1996، ص 157).
- كونه من الرواد في معالجة تشوهات الفم والفك والأسنان المتخلخة أو التي تزغرت بضربة قاسية عليها (حمدان، 1996، ص 157)، وكان يستخدم عظام الثيران لصنع طقم أسنان أو ما يسمى بالبديل (حمدان، 1996، ص 157).
- من الذين برعوا في أمراض المسالك البولية بابتكاره آلة تعمل على فتح الانسداد الحاصل في الفتحة الخارجية للأطفال حديثي الولادة لتسهيل تبولهم (حمدان، 1996، ص 158).
- أول من نجح في إيقاف زيف الدم أثناء العمليات الجراحية وذلك بربط الشرايين الكبيرة (حمدان، 1996، ص 158).
- أول من صنع خيوطاً لخياطة الجراح وصنعها من أمعاء القطط (حمدان، 1996، ص 158).
- ومن آثاره نجد:
- كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" ويعد من أهم وأروع ما كتب في تاريخ العلوم الطبية العربية والإسلامية وهو مكون من 30 مجلد جمع فيه العلوم الطبية والصيدلانية في زمانه.
- كتاب "الأركان" هو كتاب في المعاملات على طريق البرهان (ابن أبي أصيبعة، 1995، ص 484).
- أما أبو مسلم عمرو بن أحمد بن خلدون الحضرمي (هو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ) (توفي حوالي سنة 449هـ/1057م)، فكان من أعلام وأشرف إشبيلية. اهتم واشتهر بتفوقه في الفلسفة، والهندسة، وعلم الأفلاك وحركات النجوم، والطب. ويرجع بعض المؤرخين عدم وجود مؤلفات منسوبة لأبي مسلم بن خلدون لانشغاله بالمجالس العلمية وما يدور فيها من نقاشات وتبادل خبرات في مجالات الطب.
- 2. نبذة حول أهم تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية على نهضة أوروبا
- لقد دام حكم العرب المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (92-197هـ /710-1492م)، لكن تطور علمي الرياضيات والفلك يعود إلى بداية القرن 4هـ/10م أي بداية عصر الخلافة

الذي ازدهرت فيها الحياة العلمية بصفة عامة، وهذا ما أكده صاعد الأندلسي بقوله "فتمادت على ذلك أيضاً، لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا العلوم الشرعية وعلوم اللغة إلا أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذووا الهمم منهم لطلب وتنهبوا لإشارة الحقائق" (الأندلسي، 1912، ص 62).

من علماء الأندلس الذين تفوقوا في علوم الجبر والحساب والهندسة والفلك، نجد جابر بن أفلح (509-540هـ/1100-1150م) الذي ولد في أشبيلية، وتوفي في قرطبة. وقد ألف الكثير في علم الفلك وحساب المثلاث. كما يعد أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي (835-891هـ/1422-1487م) واضع الترميز الرياضي. كما كان القلصادي عالماً بالنحو والفروض وفقها (المذهب المالكي) كما برز في علم الرياضيات وأبدع في علم العدد.

ويعتبر الرياضي والفلكي والكيميائي الأندلسي عباس بن فرناس (194-274هـ/810-887م) الذي اشتهر بمحاولته الطيران والتي أدت إلى وفاته، مخترع النظارات، والساعات الدقاقة المعقدة التركيب، والقبة السماوية التي صنعها في بيته.

ويعد أحمد بن أبي عبيدة الليثي القرطبي (152-234هـ/769-848م) الذي يعد من أقدم علماء الحساب والنجوم بقرطبة. ومن علماء الفلك البارزين في الأندلس نجد أبو إسحاق إبراهيم ابن يحيى الزرقالي (420-480هـ/1029-1087م) الذي يعد أكبر وأشهر من رصد النجوم في زمانه، وقد اخترع أسطرلاباً جديداً دُعي باسم صفيحة الزرقالي وشارك في وضع مبادئ جداول طليطلة التي عرفت بالزيج الطليطي. كذلك من علماء الفلك نجد عبد الرحمن بن عمر الصوفي (291-376هـ/903-986م)، الذي كان له خرائط للنجوم ذكر فيها أكثر من ألف نجم، ولقيمتها العلمية أطلق اسمه على مركز على سطح القمر (زيغريد هونكه، 1993، ص 137). كما أن يحيى بن الحكم المكنى بأبي زكرياء وكذلك الغزال الجياني (بجمله ووسامته سمي بالغزال) (156-250هـ/773-864م) وأصله من مدينة جيان وأقام في قرطبة. اهتم بالفلسفة والفلك وعُرف بعرف الأندلس.

كانت بداية الازدهار الطبي في الأندلس في عصر الخلافة أيضاً، الذي بدأ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (277-350هـ/891-961م) الذي حكم الأندلس في الفترة (300-350هـ/913-962م) وهذا ما يؤكدّه الطبيب والصيدلي الأندلسي ابن جلجل (332-بعد 377هـ/943-بعد 987م) إذ يقول "ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، فتابعت الخيرات في أيامه، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم، وقامت الهمم، وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين" (ابن جلجل، 1995، ص 97) وتابع ابن الخليفة الحكم المستنصر (302-

366هـ/915-976م) المسيرة حينما أمر بجلب المؤلفات العلمية المشرقية، حتى أصبحت غرناطة من أعظم مراكز العلم والثقافة في العالم في القرن 4هـ/10م.

لقد كان يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه القرطبي (توفي 315هـ/927م) والذي كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب متصرفاً بالعلوم. قال عنه صاعد الأندلسي " كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب، متصرفاً في العلوم، متفنناً في ضروب المعارف، بارعاً في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والأخبار والجدل، وكان معتزلي المذهب، ورحل إلى المشرق، ثم انصرف وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة" (الأندلسي، 1912، ص 54).

كما يعتبر "العرب المسلمين هم أول وضع الأقراباذين (كتب الأدوية)، وهم أول من أسس الحوانيت لبيع العقاقير والأدوية الطبية، وإليه ينسب الفضل في فصل الصيدلة عن الطب" (الملا، 1981، ص 143)، و"فرضوا على الأطباء أن يكتبوا ما يصفوا للمريض من أدوية على ورقة خاصة كانت تسمى بأسماء مختلفة، كالتذكرة، والوصفة، والنسخة، وسميت أخيراً الوصفة الطبية" (الملا، 1981، ص 142). زيادة على هذا "كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى في أوسط القرن العاشر" (زيغريد هونكه، 1993، ص 226)

في مجال الفن المعماري لقد شيد المسلمين في الأندلس عديد المدن والمباني (مساجد وقصور) والجسور التي بقيت شاهدة حتى يومنا هذا، نذكر منها:

- مدينة أبدة التي بدأ تشييدها في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/822-852م) وعرفت بأبدة العرب واكتملت في عهد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن (207-273هـ/823-886م)
- مدينة مرسية أمر ببنائها عبد الرحمن بن الحكم وكان أكبر مبانيها يدعى ميدان الدستور الجميل.
- مدينة مجريد (مدريد) التي تم بنائها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (207-273هـ/823-886م).
- قلعة رباح، وأمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (241هـ/855م).
- مدينة بطليوس التي أمر ببنائها الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م)
- مدينة الزهراء وهي مدينة عربية إسلامية بارعة الجمال وال عمران، أمر بتشييدها الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (277-350هـ/891-961م) تقع على سفح جبل العروس غربي قرطبة. وقد قيل فيها "ومن مباني العرب العظيمة في الأندلس مدينة الزهراء التي شيدها عبد الرحمن الناصر على بعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس وما زالت تحتفظ باسمها العربي في اللغة الأسبانية، وبني فيها قصره المشهور بقصر الحمراء" (العبادي، 1972، ص 414).
- مدينة المرية والتي أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن الناصر.

- مسجد قرطبة حيث كان مسجد قرطبة الجامع Mezquita Mayor de Cordoba أول جامعة قروسطية في أوروبا بالعصور الوسطى، ففي هذا الجامع كان الألوفا من الطلبة يتلقون العلوم الإسلامية الأساسية مثل التفسير والفقه والحديث وغيرها.
- لقد أقام العرب أكبر جسر على نهر التايمز في بريطانيا عرف باسم جسر هليشم Helichem وهذه الكلمة تحريف لاسم هشام خليفة الأندلس (354-403هـ/965-1013م) الذي أطلق الإنجليز اسمه على هذا الجسر عرفانا بفضله بأن أرسل إليهم أولئك المهندسين الأندلسيين.
- لقد شاركت الحضارة الإسلامية في سن قوانين أوروبا، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ والأديب وعالم الاجتماع الإنجليزي هربرت جورج ويلز (1866-1946م) Herbert George Wells في كتابه ملاح تاريخ الإنسانية حيث يقول "إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية" (السامرائي، 2000، ص 478 و 479).
- في ميدان الفلاحة فقد أحدث العرب في أوروبا ثورة زراعية حينما أدخلوا إلى حقول الأندلس الخصب زراعات جديدة من بينها القطن، والأرز والذرة والقمح وقصب السكر والتوت والموز والبرتقال والليمون، وأصبحت إسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الجديدة.
- كما برع المسلمون في تأليف الكتب الزراعية وتصنيفها وفقا لأنواع التربة وما يصلح للزراعة فيها. كما استصلح العرب المرتفعات وسفوح الجبال في الزراعة، ولم يتركوا شبرا إلا واستثمروه.
- وبخصوص صناعة الورق فأخذها المسلمون عن الصينيين، وشيدوا أول مصنع لصناعة الورق في بغداد في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (149-193هـ/766-809م) في أواخر القرة الثامن الميلادي، وهكذا انتشرت صناعته في الغرب الإسلامي والأندلس، حيث كانت مدينة شاطبة الواقعة قرب بلنسية بشرق الأندلس تشكل مركزا لصناعة الورق، حيث يذكر الإدريسي (493-559هـ/1100-1166م) هاته الصناعة بقوله "إنه يعمل من الكاغد (الورق)، ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغرب.

### 3. بعض من الشهادات المنصفة لتأثير الحضارة الإسلامية على نهضة أوروبا.

مما لا شك فيه أن تأثير المسلمين على الحياة العلمية في أوروبا زاد بفضل فتح الأندلس (92هـ/711م) حيث كانت تقع أوروبا فيما يسمى بالعصور الوسطى. ومما يؤكد فضل المسلمين على النهضة الأوروبية بعض الشهادات التي نسردها فيما يأتي:

يقول المستشرق الفرنسي لوي (لويس) بيير أوجين سديو (1808-1875م) Louis Pierre Eugène في كتابه خلاصة تاريخ العرب "من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ما سمح

به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفيسة تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء" (سيدو، 2018، ص 268).

وحول الأندلس وبصفتها همزة وصل بين الحضارة العربية الإسلامية في الشرق ونهضة أوروبا في الغرب تقول الباحثة والمستشرقة والطبيبة الألمانية زيغريد هونكه (1913-1999م) Sigrid Hunke "ولم تكن جبال البرانس لتمنع تلك الصلات، ومن هنا وجدت الحضارة العربية الأندلسية طريقها إلى الغرب" (زيغريد هونكه، 1993، ص 31).

وتضيف قائلة "وقد حمل مشعل الحضارة العربية عبر الأندلس ألوف من الأسرى الأوروبيين، عادوا من قرطبة وسرقسطة، وغيرها من مراكز الثقافة الأندلسية، كما مثل تجار ليون وجنوا والبندقية ونورمبرج دور الوسيط بين المدن الأوروبية والمدن الأندلسية، واحتكّت ملايين الحجاج من المسيحيين الأوروبيين في طريقهم إلى سنتياجو بالتجار العرب والحجاج المسيحيين القادمين من شمال الأندلس، كما أسهم سيل الفرسان، والتجار، ورجال الدين المتدققين سنوياً من أوروبا إلى إسبانيا في نقل أسس الحضارة الأندلسية إلى بلادهم، وحمل اليهود من تجار، وأطباء، ومتعلمين ثقافة العرب إلى بلدان الغرب، كما اشتركوا في أعمال الترجمة بمدينة طليطلة، ونقلوا عن العربية عدداً كبيراً من القصص والأساطير والملاحم" (زيغريد هونكه، 1993، ص 532).

وتزيد قائلة "إن سيلاً عراً من نتاج الفكر العربي، ومواد الحقيقة والعلم قد نَحَتْهُ أيدٍ عربية، ونَظَمَتْهُ وعَرَضَتْهُ بشكل مثاليّ قد اكتسح أوروبا... وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالمٌ واحد من العلماء إلا ومدّ يديه للكنوز العربية هذه؛ ليغرف منها ما شاء الله له أن يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب... ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالرّيِّ العميم من ينباع العربية، وأخذَ عنها إيماءاته، وظهر فيه تأثيرها واضحاً كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل وفي محتواه وأفكاره" (زيغريد هونكه، 1993، ص 305 و306).

وتقول أيضاً "إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سُلّم الحضارة -التي قفزها أبناء الصحراء، والتي بدأت من اللاشيء- هي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة لفريدة من نوعها؛ لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارَنَ بغيرها، وتدعونا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا؟!)" (زيغريد هونكه، 1993، ص 354).

كما تشير هونكه أيضاً إلى أن نهضة أوروبا كانت بداية الاحتكاك بالمسلمين إذ تقول: "ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً. واستيقظ الفكر الأوروبي على

قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته، الذي دام قروناً ليصبح أكثر غنى، وجمالاً وأوفر صحة وسعادة" (زيغريد هونكه، 1993، ص 541).

وفي الميدان الفلاحي تقول هونكه "أدخل العرب نظام الدورات الزراعية كزراعة الذرة بعد زراعة القمح شتاءً، واستخدموا الوسائل الحديثة للري فحفروا الآبار وشقوا القنوات ووسعوا شبكتها، فازدادت بالتالي مساحات الأراضي المروية والمحاصيل الزراعية... كما استصلح العرب المرتفعات وسفوح الجبال في الزراعة، ولم يتركوا شبراً إلا واستثمروه" (زيغريد هونكه، 1993، ص 497).

يشير الطبيب والمؤرخ الفرنسي لوبون غوستاف (1841-1931م) Gustave Le Bon بوضوح تام إلى فضل العرب على أوروبا فيقول "إن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا ممدنين، وأئمة لنا ستة قرون" (غوستاف، 1956، ص 579) ويضيف متحدثاً عن إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في المجال الفلاحي إذ يقول "أحدث العرب في أوروبا ثورة زراعية حينما أدخلوا إلى حقول الأندلس الخصبه زراعات جديدة من بينها القطن، والأرز والذرة والقمح وقصب السكر والتوت والموز والبرتقال والليمون، وأصبحت إسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الجديدة" (غوستاف، 1956، ص 347).

وها هو الكيميائي والمؤرخ الأمريكي (من أصل بلجيكي) جورج ألفريد ليون سارتون (1884-1956م) George Alfred Leon Sarton يدلو بدلو في مجال الاعترافات بفضل المسلمين على نهضتهم وتطورهم إذ يقول "حَقَّقَ المسلمون -عباقرة الشرق- أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكَتَبَتْ أعظم المؤلفات قيمة، وأكثرها أصالة، وأغزرها مادةً باللغة العربية، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى لقد كان ينبغي لأيِّ كائنٍ إذا أراد أن يَلْمَ بثقافة عصره وبأحداث صورها أن يتعلَّم اللغة العربية، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها، وأعتقد أننا لسنا في حاجة أن نبيِّن منجزات المسلمين العلمية في الرياضيات، والفيزياء، وعلم الفلك، والكيمياء، والنبات، والطب، والجغرافيا" (الملا، 1981، ص 110 و 111).

ومن بين الشهادات المنصفة أيضاً ما ذهب المؤرخ وأستاذ الدراسات الأندلسية في جامعة كامبريدج جون براند تريند (1887-1958م) John Brande Trend حيث يقول "وقد بقيت الأندلس -وهي جزءٌ من أوروبا- مُدَّةً ثمانية قرون (897-92هـ/711-1492م) منبر إشعاع حضاري خلال وجود المسلمين فيها، حتى أثناء ضعفها السياسي، وظهور دول ممالك الطوائف، وذلك بواسطة جامعاتها، ومدارسها، ومكتباتها، ومصانعها، وقصورها، وحدثاتها، وعلمائها، وأدبائها، حتى غدت محطَّ أنظار الأوروبيين التي كانت على صلواتٍ وثيقةٍ ومستمرَّةٍ ببلدانهم" (مبارك، 1996، ص 87). وفيما يخص

مكانة قرطبة ودورها انتقال الحضارة الإسلامية نحو بافي بقاع أوروبا قيل إن قرطبة التي فاقت كل حواضر أوروبا مدنيةً -أثناء القرن العاشر- كانت في الحقيقة محط إعجاب العالم ودهشته، كمدينة فينيسيا في أعين دول البلقان، وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبنة عن تلك المدينة؛ التي تحوي سبعين مكتبة، وتسعمائة حمام عمومي؛ فإن أدركت الحاجة حكام ليون أو النافار أو برشلونة إلى جراح، أو مهندس، أو معماري، أو خائط ثياب، أو موسيقي فلا يتجهون بمطالبهم إلا إلى قرطبة. وهذا ما أكده المفكر النمساوي ليوبولد فايس (1900-1992م) Leopold Weiss قائلاً "لسنا نبالغ إذ قلنا: إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يُدشن في مدن أوروبا، ولكن في المراكز الإسلامية؛ في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة" (أسد، 1987، ص 40).

ومن بين الاعترافات الحديثة بفضل الحضارة العربية الإسلامية على نهضة وتطور أوروبا الكلمة التي ألقاها ملك بريطانيا تشارلز Charles في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية تحت عنوان: (الإسلام والغرب) والتي جاء فيها:

"إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام، فإن هناك -أيضاً- قدرًا مساويًا من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي... فإسبانيا في عهد المسلمين لم تقم فقط بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية، بل فسرت تلك الحضارة وتوسعت بها، وقدمت إسهامات مهمة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم، والفلك، والرياضيات، والجبر -الكلمة نفسها عربية- والقانون، والتاريخ، والطب، وعلم العقاقير، والبصريات، والزراعة، والهندسة المعمارية، لقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدن تحضرًا في أوروبا. كما أن كثيرًا من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلًا من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي؛ فالدبلوماسية، وحرية التجارة، والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمي، وعلم الإنسان، وآداب السلوك، وتطوير الأزياء، والطب البديل، والمستشفيات جاءت كلها من تلك المدينة العظيمة. وفوق ذلك، فإن الإسلام يمكن أن يُعلِّمنا طريقةً للتفاهم والعيش في العالم؛ الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية؛ مما أدى إلى ضعفها، ويمكن في جوهر الإسلام حفاظه على نظرة متكاملة للكون؛ فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة، إن هذا الشعور المهم بالوحدانية والوصاية على الطابع القدسي والروحي للعالم من حولنا شيء مهم يمكن أن نتعلمه من جديد من الإسلام".

وفي هذا الإطار يعترف المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غابرييلي (1904-1996م) Francesco Gabrielli الذي شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية في جامعة روما في كتابه "محمد في

أوروبا Mohammed in Europa "بأن المسلمين" قدموا للحضارة الإنسانية الكثير وخاصة في حوض البحر المتوسط، وأنهم اثروا في كل ميادين الحياة في أوروبا، بل إن إنتاج العرب وأفكارهم وإبداعاتهم الفنية تشهد بأنهم كانوا أساتذة أوروبا" (محمد، 2011، ص 583). وهذا ليس بالأمر الغريب بما أن الأندلس في ظل الخلافة الأموية من أغنى البلدان الأوروبية وأكثرها ازدهاماً بالسكان، إذ بلغ عدد سكان قرطبة مليون نسمة، وأصبحت من أعظم مدن العالم، ويكفيها فخراً أن أهلها كانوا يمشون في شوارعها بعد غروب الشمس في ضوء المصاييح العامة، في حين مدينة لندن سبعة قرون بعد ذلك لا يوجد في طرقها مصباح عام واحد يضيء ليلاً.

كما أشاد ذات مرة الرئيس البرتغالي خورخي فرناندو برانكو دي سامبايو Jorge Fernando Branco de Sampaio الذي امتد حكمه من سنة 1996 إلى 2006 في خطاب له بفضله العرب والمسلمين على تطور جنوب أوروبا جاء فيه "نحن مدينون للتراث العربي-الإيبيري، الغني جداً بما كان له من تأثير في لغتنا، وفي أسماء الأماكن، وفي الأعراف والعادات الاجتماعية، وفي العمارة، وفي الفنون والأدب والخيلة الشعبية، وفي فن الطبخ، وفي الزراعة والتجارة، وهذا أمر نعتز به اليوم، بوعي جديد اكتسبناه بالتغلب على كثير من المخاوف، والحذر، والأحكام المسبقة، وعدم الفهم الذي امتد مئات من السنين

#### المراجع الكتب

- [1] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لبنان، دار مكتبة الحياة، 1995.
- [2] ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. طبعة المعهد الفرنسي. القاهرة 1955.
- [3] أسد محمد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت 1987. (ترجمة عمر فروخ).
- [4] الزركلي خير الدين، الأعلام، الجزء السابع، لبنان، دار العلم للملايين، 2002.
- [5] الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995م.
- [6] العبادي أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
- [7] الملا أحمد علي، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1981.
- [8] حمدان زهير، أعلام الحضارة العربية، الإسلامية، المجلد الخامس، سورية، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996.
- [9] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان 2000.

- [10] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة بيضون فاروق ودسوقي كمال وراجعه الخوري مارون عيسى، لبنان دار الأفق الجديدة، 1993.
- [11] دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، مطابع السياسة، الكويت، 2005 (ترجمة أحمد فؤاد باشا).
- [12] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط1، القاهرة، 1956.
- [13] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، لبنان، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912.
- [14] سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، المجلد الخامس، ترجمة مجازي عبد الله عبد الله، حميدة حسن محي الدين، عبد المجيد علي محمد المملكة العربية السعودية، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2002.
- [15] سيديو لويس، خلاصة تاريخ العرب، هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2018.
- [16] مبارك هاني وشوقي أبو خليل، دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوروبا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996.
- [17] نصار سالم، موسوعة عباقرة الإسلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
- المقالات العلمية
- [1] أحمد محمد عقلة الزيون، "أثر علماء المسلمين في نهضة أوروبا في العلوم الطبية والرياضية من النصف الثاني من القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلاديين"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 28، عدد 98، (2013).
- [2] بلعربي خالد، "تطور العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في تقدم الحضارة الإنسانية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 07، العدد 01، (2021).
- [3] بومدين هشام نمر، "تأثير مسلمي الأندلس في الحركة العلمية في أوروبا"، مجلة عصور جديدة، العدد 23، (2016).
- [4] محمد أحمد، "إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة رؤية جديدة"، مجلة دراسات تاريخية، العددان 115، 116، (2011).

## شعرية الفجوة شعرية للممكن: كمال أبو ديب نموذجاً

"The Poetics of Gap as a Poetics of the Possible : Kamal Abu-Deeb as a Model"

الأستاذ قابيل مسعدي

أستاذ باحث في اللغة والآداب العربية/ المعهد العالي للغات/ جامعة قابس/ الجمهورية التونسية

[+216 22712356: الهاتف / kabilmessadi@gmail.com](mailto:kabilmessadi@gmail.com)

ملخص باللغة العربية:

أسال مفهوم الشعرية الكثير من الخبر، وشغل العديد من النقاد شرقاً وغرباً دون أن ينتهي الأمر إلى تعريف دقيق وموحد، ومن ذلك ما أشار إليه كمال أبو ديب في مشروع النقد، فقد كان إضاءة مهمة قامت على تحديد مكونات الشعرية وتفسير خصائصها وتقديم قراءة ممكنة لهاناتها.

ولما كان المبحث بنوياً في جوهره لسانياً في تحليله وسميائياً في بعض تواجده فإن الأمر قد أفضى إلى نوع من المماثلة مع القراءة التمييزية التي ارتبطت بمفهوم الانزياح وإن اختلفت أدواته. فلاشتغال على الفجوة - مسافة التوتر قد قدم بديلاً ممكناً يحفز على القراءة وإعادة القراءة ضمن ما يُعرف بنقد النقد.

الكلمات المفتاحية باللغة العربية:

الفجوة، مسافة التوتر، الإقام، الاختراق، التضاد.

ملخص باللغة الإنجليزية:

The concept of poetics has spilled much ink and occupied many critics, both Eastern and Western, without arriving at a precise and unified definition. Among these contributions is what Kamal Abu Deeb pointed to in his critical project, which was an important illumination based on identifying the components of poetics, explaining its characteristics, and providing a possible reading of its stakes.

Since the subject matter is structuralist in its essence, linguistic in its analysis, and semiotic in some of its interconnections, it has led to a kind of analogy with the distinctive reading that was associated with the concept of deviation, even if its tools differed. Working on the gap - the distance of tension - has presented a possible alternative that stimulates reading and rereading within what is known as criticism of criticism.

الكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية:

The gap, Tension distance, Interpolation, Penetration, contrast.

المقدمة: لم يغب صوت أدونيس (علي أحمد سعيد) عن كتاب "في الشعرية" لكamal أبي ديب شاعرًا وناقدا. فقد كانت نصوصه الإبداعية مجالًا خصبا توّسل إليه البحث ليكشف عن شعرية جديدة أو عن زاوية غامضة لم تُضأ إلا بعد هذا المشروع التأسيسي النظري. أما أثر أدونيس الناقد فيمكن أساسا في قدحه لهذه الدراسة فهي أثر نقاش بين صديقين حول عمل جون كوهين. ولما كان الرهان من هذه الوريقات الكشف عن مفهوم ممكن للشعرية كان لزاما أن نبحث في المفاهيم السيارة التي استضافها أبو ديب في مشروعه ثم نثني بتحديد مسافة التوتّر الإيقاعية ثم التوقف عند الشعرية وفضاء التلقّي وصولا إلى تبيين المكوّن الشعري عند الصوفيّة وهو ما يفضي إلى التعرف إلى الشعر بين الحضور والغياب ومفهوم الفجوة بين الشعرية والنثر وتفسير مسافة التوتّر انتهاء بعنصري الشعرية والإضاءة الجديدة ومفهوم اللانحوية.

فما مفهوم الفجوة: مسافة التوتّر؟ وما خصائص الشعرية التي تحدّث عنها أبو ديب؟ وهل لهذا المشروع روافد معينة؟ وما مدى اختلافه عما سبقه من المشاريع النقدية؟ وهل يمكن أن تقدّم هذه الشعرية بديلا حقيقيا للرؤية النقدية العربية أولا وتصوّرا جديدا للقصيدة العربية الحديثة ثانيا؟

### 1 - محاولة لتحديد مفهوم الفجوة: مسافة التوتّر:

إنّ القراءة الأولى لكتاب "في الشعرية" تستحضر بالقوة دلائل الجرجاني في دقتها ونهجها واعتقادها في أثر النظم ذلك أنّ "كلّ تحديد للشعرية يطمح إلى امتلاك درجة عالية من الدقة والشمولية ينبغي أن يتمّ ضمن معطيات العلائقية أو مفهوم أنظمة العلاقات" (أبو ديب، 1987، ص: 12). فالكلمة مفردة أو منعزلة عن غيرها تعجز عن إنشاء مفهوم ممكن للشعرية وإنما هي العلاقات بين العناصر وحدها تستطيع أن تُوجد في كليتها معنى للشعرية وتؤشّر من خلال الخصيصة العلائقية المتواشجة بينها وبين ما يجاورها من الكلم سياقا شعريا ممكنا.

تبلور الشعرية حسب رؤية أبي ديب من خلال نظام بنيويّ علائقيّ يقوم على التفاعل بين المكونات في انضمامها، إذ "تنبعث بها الشرارة علاقة بين جسمين دون أن يكون أيهما قادرا بذاته على توليد هذه الشرارة" (أبو ديب، 1987، ص: 13). وهو ما تحدّث عنه أدونيس عندما عبّر عن ذلك بالتفاعل الكيميائي أو بكيماة اللغة.

ولاكتناه هذه الشعرية رأى أبو ديب أن ينفذ إليها عبر اللغة في مادتها المباشرة خطابا مقروءا أو في منبعها الأصلي وهو الفضاء الصوتيّ فهو "الشيء الوحيد الذي نستطيع إخضاعه للتّحليل المتقّصي" (أبو ديب، 1987، ص: 12)، واستبعد بذلك أبو ديب في أهداف دراسته الجوانب الخفية لهذه الشعرية

وما يتعلّق بأغوارها الأسطورية اللاواعية أو الدنيّة الاعتقاديّة أو غير ذلك ممّا انقطع عن نظام العلامات.

وضمن هذا المبحث البنيوي السيميائي للشعرية يتوقف أبو ديب عند مجموعة من المفاهيم السيّارة التي تختصّ بهذا النوع من الدرس ونعني بذلك مفهوم العلاقيّة والكلية والتحوّل. ويبدو أنّ هذه المفاهيم الثلاثة تتنافذ مع مقولة النظم للجرجاني أو دراسة أصحاب النقد الجديد (New criticism) وتتقاطع مع ما وصل إليه تودوروف في شعريته أو مع لوتمان في بنية النصّ الأدبيّ وتتجاوز مع سيميائيات الشعر لريفاتير مثلها تستدعي الوظيفة الشعرية لياكسون، بل يمكن أن تعود إلى أصلها حسب عبارة أبي ديب إلى ما قدّمه موكارفسكي في دراسته الرائدة لشعرية اللغة سنة 1940 ولعلّ هذا الجدل يعود إلى كتابات أرسطو ذاته.

إنّ البحث عن مفهوم الشعرية في الفكر النقدي يقتضي بداية تمييز الشعريّ عن اللاشعريّ أو الشعر عن اللاشعر، وهو ما سعت مدرسة الشكلايين الروس إلى بلورته وتحديد شروطه أو على غرار الموقف النقدي الذي يتبنّاه إيوت.

ويؤكّد أبو ديب أنّ هذا التمييز في حدّ ذاته يحمل في نفسه مشكلا، بل هو " أحد المزالق الأكثر خطورة في دراسة الشعرية من منظور الاختلاف" (أبو ديب، 1987، ص: 17). وقد عاد الكاتب في ذلك إلى دراسة تودوروف لعمل جون كوهين أي بنية اللغة الشعرية ذلك أنّ النظر في المختلف بين الشعر والنثر يثير المؤتلف بينهما وهو الأدب.

إنّ السيمات العلائقية للمكونات اللغوية الجزئية تختلف كذلك في درجات شعريتها حسب السياق، وهو ما عبّر عنه جورج لوتمان " بالوظيفة الأدائية" أو " بمتغيريّة الوظيفة". وقد نأى أبو ديب في هذا الإطار عن اعتبار الشعرية خصيصة ميتافيزيقية فهي نصية بالأساس وكلّ الطرائق التي سعت إلى تعليقها بالمواء كالأسطورة والسحر لم تقدّم تحديدا دقيقا لها، بل أمعنت في إغراقها في الاستحالة.

ورغم محاولة الجرجاني في دلائله تحليل هذه الظاهرة تحليلا نظميا وإقراره بخويّة معانيها فإنّه تحدّث عن جوانب لا يمكن إدراكها سوى بالهزة أو الحدس وهو الشآن نفسه الذي حدّده رولان بارت في مكونات الأعمال الأدبية وأطلق عليه اسم الهزة. وبهذا يحصر أبو ديب هدف هذه الدراسة في " اكتناه العلاقات التي تتنامى بين مكونات النصّ على الأصعدة الدلالية والتركيبيّة والصوتية والإيقاعية" (أبو ديب، 1987، ص: 18) ومن ذلك نتأت، حسب ظنّه، الشعرية.

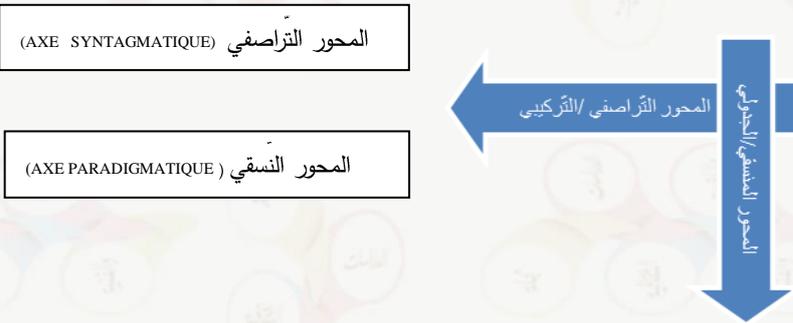
يتحرّك الشعريّ، وفق هذه الرؤيا اللسانية، ضمن محورين يشكّلان كينونة النصّ: أمّا المحور الأوّل فنسقيّ جدوليّ (Paradigmatique) والثاني تراصفيّ تركيبّيّ (syntagmatique). وبذلك تتجلى البنى

العميقة حسب عبارة تشومسكي في حوار بين الحضور والغياب أو بين المتجسد قولاً واللامقول أو بين النص وظله. فالنص في حاجة " دائماً إلى ظل في غيابه تنعدم الخصوبة الإنتاجية" (أبو ديب، 1987، صص: 18/17).

وقد ساهم النقد حديث في انكشاف العلاقة بين هذه البنى الجزئية بفضل تعدد المناهج النقدية على غرار النقد الأسطوري أو ما صدر من دراسات فرويد وباشلار في التحليل النفسي، " فدراسة بنية النص الداخلية لا تنفي أهمية دراسة النص في علاقاته الخارجية." (أبو ديب، 1987، ص: 20)، وهو ما تجلّى بوضوح في دراسة غولدمان رؤيا العالم. فالشعرية عند أبي ديب هي إحدى وظائف الفجوة: مسافة التوتّر ومن خصيصاتها اللغوية الأولى.

والملاحظ أنّ الكاتب قد وعى بأنّ تحديد مفهوم دقيق للشعرية أمرٌ عصيٌّ على الباحث إذ لا يمكن الإحاطة بتعريف واحد للشعرية أو الإمساك بحد من حدودها فالمفهوم متحرك غير مستقرّ أمام تراكم كثيف للنظريات حسب تصور أبي ديب.

إنّ الشعرية هي " الفضاء الذي ينشأ عن إقحام مكونات الوجود أو للغة أو لأيّ عناصر تنتمي إلى ما يسميه ياكبسون نظام الترميز (codé) في سياق تقوم فيه بينها علاقات ذات بعدين متميّزين" (أبو ديب، 1987، ص: 21). ويطرح هذان البعدان حسب رؤية أبي ديب جملة من المفاهيم المتضادة مثل الطبيعية واللاطبيعية أو التجانس واللاتجانس أو الألفة والتضاد ويمكن أن تمثل لذلك بالرسم التالي:



أما محور الاختيار بإمكاناته لا نهائية أي " أنه ليس ثمة من نقطة يمتنع عندها اختيار جديد" (أبو ديب، 1987، ص: 21) خاصة إذا ارتبط الأمر بالشعر. في حين تعود خيارات محور التركيب أو ما عبر عنه أبو ديب بالتراصفي إلى قواعد الأداء (performance) ومن هذه المسافة "تحدّد طبيعة الفجوة على مستويات متعددة تصويرية ودلالية وصوتية وتركيبية وإيقاعية وتشكيلية (morphological)" (أبو ديب، 1987، ص: 22) والأمر عند أبي ديب يمكن أن يخرج من المستوى اللغوي إلى مستوى الرؤيا في إطار السياق والمكونات وبذلك يمكن أن تفتح القراءة على سياق الموقف وسياق الثقافة مثلها عبر

ماليونفسكي أو من خلال التداخل النصي أو تناص كريستيفا، في حين تتعلّق المكونات بمجال الرؤى الفكرية أو التجارب الإيديولوجية.

وقد عاد أبو ديب إلى نصوص أدونيس التي اعتبرها نموذجاً قد تمثل هذا التداخل بين نظم العلاقات، بل أوجدت تجربة أحمد سعيد علاقات جديدة أحدثت الفجوة بين الانتماء والانتفاء يقول أدونيس:

وإذا ضاعت المرائف واسودت الخطوط  
أليس الدهشة الأسيرة

في جناح الفراشه... (أبو ديب، 1987، ص: 23)

وفي مقابل ذلك فإنه كلما انتفت الفجوة ضعفت شعرية النص وانعدمت وضائق مجالات الاختيار وإن حضر الوزن. ولعلّ مسافة التوسع وحركتها تتأثر بالتصوّر الرمزي بين الرمز والمرمز وهو ما يحدث من مفاجأة أو خلخلة أو انزياح عن توقّع أو عدول عن منتظر ومن ذلك يقدم أبو ديب تعريفاً آخر للشعرية يقوم أساساً على النفي أي أنها تعبر عن " اللاتجانس والانسجام واللاتشابه واللاتقارب " (أبو ديب، 1987، ص: 28).

إنّ الفجوة : مسافة التوتّر بهذا المعنى لا تكمن في غريب استعارة أو انزياح عمّا درج من الإيقاعات فحسب ولا تنحصر فيما ينشأ من تضاد الكلم أو من تفاعل اللغة العادية واللغة الخارقة فقط إنها مسافة حادة بيت المنتظر واللامنتظر وقد تصل إلى "ذروة معاكسة محيية" (أبو ديب، 1987، ص: 30) تخلخل الاختيار المتوقع بفضل رؤيا الشاعر الذي يبيء اللامتجانس مع المتجانس من خلال فاعلية الإيقام ( Juxtaposition ) والذي يعتبره أبو ديب مصدراً خصباً للشعرية بل " يعدّ هذا النمط أحد المشارب الأصلية للشعرية لأنه ينشأ من وضع مكونات وجودية لا متجانسة في بنية لغوية متجانسة " (حمادي، 2015، ص: 44).

إذن من الواضح أنّ الشعرية لا توجد في اللفظة مفردة وهو ما اتفق عليه النقاد منذ عبد القاهر الجرجاني، ولكن يبقى استخدام الشاعر معياراً محدداً لدرجة الشعرية.

## 2 - الفجوة: مسافة التوتّر الإيقاعية:

ينطلق أبو ديب بتحديد مفهوم الإيقاع ويرى أنّ شرطه الجوهرية يكمن في " انعدام الانتظام المطلق أي وجود فجوة: مسافة التوتّر بين المكونات الإيقاعية " (أبو ديب، 1987، ص: 52) وقد اعتبر هذا الشرط مطلقاً في تاريخ الشعرية على أنّ درجته تتفاوت من عصر إلى آخر. ويبقى لشعر أدونيس الفضل في الكشف عن هذا المفهوم بامتياز فمسافة التوتّر عنده أكثر حدة إذ يقوم " باستمرار على خلق فجوة:

مسافة التوتّر أكثر حدّة بين الانتظام الإيقاعي المتوارث واللاانتظام الإيقاعي الذي يخلقه الشاعر المفرد" (أبو ديب، 1987، ص: 52) . ومن أهم الأمثلة التي استند إليها أبو ديب في المشروع الشعري لأدونيس قصيدة " الصقر" فقد عدّها مثالا مدهشا للاختراق الحادّ للتشكيل الإيقاعي.

أما البنية الإيقاعية لقصيدة "تحوّلات الصقر" فهي عبارة عن شرائح إيقاعية متداخلة من خلال تناوب حركي من "النجوى الداخلية إلى الوصف". (أبو ديب، 1987، ص: 56) ولهذا التناوب أصوات تتناسب مع التحوّل الإيقاعي تجاوزا وحدة في يقينية تتآلف مع وقع البنى الإيقاعية في القصيدة الأولى أي الصقر والثانية أي "تحوّلات الصقر"، و بين القصيدتين رؤيا إيقاعية تفتجر عنها مسافة توتّر تكشف عن "علاقة الذات بالآخر وعلاقة الإيقاع الفردي بالإيقاع الجماعي علاقة ال (Parole) بال (Langue) متمثلين الآن لا لغويا فقط بل إيقاعيا أيضا." (أبو ديب، 1987، ص: 57)

ومن بين الثنائيات التي انشغلت بها دراسة أبي ديب ما تحدّث عنه تشومسكي و نعي بذلك مفهوميّ البنية السطحية والبنية العميقة وبين هاتين البنيتين يمكن أن تتحقّق الشعريّة باعتبارها " وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية" (أبو ديب، 1987، ص: 57). فكلمّا كانت مسافة التوتّر أبعد بين البنيتين انجست هذه الشعريّة وتكاثفت وصارت أكثر حدّة من شعريّة يمكن أن تغيب أو تنعدم إذا ما تطابقت هاتان البنيتان " فحين تنشأ خلخلة وتغير بين البنيتين تنبثق الشعريّة وتفتجر في تناسب طرديّ مع درجة الخلخلة في النصّ" ويمكن أن نلخص هذه الدرجات المتفاوتة في الجدول التالي:

الشعريّ	اللاشعريّ
الاحتمالات / الإمكانيات / الفجوة / التوتّر / الإيحاء / الاختراق / العمق.	التقرير / التّطابق بين البنية السطحية والعميقة / المباشرة / النظام.

إنّ الشعريّة التي تحدّث عنها أبو ديب لا تخرج عن مفهوم العلائقية ولا تكون الفجوة: مسافة التوتّر إلاّ اكتناها لعالم التوتّر بين البنية السطحية والبنية العميقة. ويكون هذا التوتّر على العديد من الأصعدة حدّها على أحمد سعيد في خمسة أمثلة كبرى بعد تحليله لنصّ أدونيس "قفا نبك" وهي:

- التوتّر الأوّل: التوتّر الموضوعي: ويتعلّق بالمسافة الموضوعية أي بنظم المكونات الجزئية اللغوية في أجزاء الجملة أو في بعض التراكيب.

- التوتّر الثاني: التوتّر التركيبي النحويّ: وهو أكبر من التوتّر الأول ويشمله وينشأ بين الجمل أو أجزائها أو في بعض المقاطع.

- التوتّر الثالث: التوتّر البنيويّ: ويتكوّن هذا التوتّر بين التشابكات " لا أفقيّاً، بل شاقوليّاً". (أبو ديب، 1987، ص: 62).

- التوتّر الرابع: التوتّر المنسقيّ: ويمثّل هذا التوتّر بين كلّ الوحدات الموجودة في المحور المنسقيّ.

- التوتّر الخامس: توتّر النصوص: وينشأ هذا التوتّر بين النصّ وصداه أو بين لغة النصّ واللغة الماورائية (Metalanguage).

فالشعريّ وفق هذه الرؤية لا يؤسس للتوازن خلقاً أو استعادة وإنما هو في حقيقته خلق لمسافة توتّر أيّ آتة " لا يخلق حالة، بل يخلق مسافة للتوتّر" (أبو ديب، 1987، ص: 62)، هو توتّر بين المواضيع أو التراكيب وقد يكون بين البنى في أشكالها المتعدّدة أو عبر خلخلة النظم العلائقية بين عناصر الجملة أو بين النصوص. فهي شبكات اصطدام أو ارتجاج أو ما يُعرف بهاجس الانفصام (أبو ديب، 1987، ص: 63) أو بلغة تشومسكي هو "الاستدخال" (Internalization) عينه بين المتحقّق والممكن بين المادّة المتكوّنة وشروط تكوّنهما. إنّ غياب التوازن هو ما يجعل القصيدة متحرّكة ضمن فاعليّات لغويّة بين المحتوى القاموسي والاستعمال الفردي بين الانفصال عن واقعها والاندغام فيه.

ولعلّ ما يحملّه الشعريّ من طاقة ما يسمح له من التحقّق في دائرة أوسع انطلاقاً من اللفظة المفردة إلى كتابة مغيرة أو " في استداريّة النصّ بوصفها تعبيراً عن كمن طاقة الشعريّة في أيّ نصّ لغويّ وإمكانية فيها حين يدخل هذا النصّ بنية دائريّة أكثر سعة ورحابة منه". (أبو ديب، 1987، ص: 69) وقد استفاد أبو ديب في تحليله لهذا الفيض الفكريّ أو الرؤيويّ من مقولة "هربرت ماركوز" حينما كشف عن موقفين مختلفين في الفنّ أمّا الأوّل فيتمثّل في البعد الواحد مصالحةً وقبولاً وهو التلاؤم ويُطلق على البعد الثاني رفضاً وتغييراً مفهوم البعد الممكن.

ولا تنشأ الفجوة إلّا في الموقف الثاني باعتباره موقفاً ثورياً حاداً للوجود لتكون الشعريّة بهذا المعنى " موقف تغيير وزعزعة وهجس بعالم جديد" (أبو ديب، 1987، ص: 70) أو مثلما رأى أدونيس أنّه تغيير وتصيير. وهذه الثورة التي تحدّث عنها أبو ديب ينبغي أن تنبع من اللغة ذاتها لتفجّر جماليّتها في سياق توتّر بين اللغة - الجماعة واللغة - الفرد ويتبلور هذا المعنى بين الواقع والممكن أي بين المتحقّق والمشروع الذي يمتاح طاقته من الثورة والحلم معاً ضمن فاعليّات التغيير " فكلّ شعر «ثوريّ» لا يقول « لا » بهذه الشموليّة والجدريّة هو شعر لا ثوريّ يتعكّز على ساق واحدة في مسيرته في العالم" (أبو ديب، 1987، ص: 77).

ومن جهة أخرى تلُوب شعريّة الفجوة: مسافة التوتّر بخالق النصّ وترى أنّ وصفته الشعريّة يمكن أن تفسّر "جنونه" أو "ثورته" ومن ذلك ما أشرته بعض القصائد عن أصحابها فهو "النبيّ المجنون المريض المقموع" (أبو ديب، 1987، ص: 81). فالتناظر بين الفنّان وعالمه يخلق فجوة: مسافة توتّر أيضا لتقدّم تعبيرة تجريبية غريبة قلقة كصاحبها " فيكون الفنّان في علاقة انفصام مكانيّ مع الآخر: فهو دائما خارج الآخر في مكان آخر في أسمى صورها تتجلّى هذه العلاقة في طغيان لغة المكان وصوره وأبعاده على تجسيد علاقة الذات بالآخر في الشعر". (أبو ديب، 1987، ص: 82) فكيف يمكن أن تكون هذه الشعريّة في توتّرها مع المتلقّي؟

3 - الشعريّة وفضاء التلقّي: ينشغل فضاء التلقّي بمفهوم الفجوة: مسافة التوتّر ويلتبس بمكوناتها العميقة " فالقراءة منذ وجدت هي عملية تقرير مصيريّ بالنسبة إلى النصّ" (حمادي، 2015، ص: 49). وقد عاد أبو ديب في ذلك إلى موقف رولان بارت عندما ميّز بين "نصّ اللذة" و "نصّ الغبطة" أو الهزّة. أمّا النصّ الأوّل فيخلع على قارئه الطمأنينة والرضا أمّا الثاني فهو خلخلة وإزعاج وتأزّم. ولما كان للمتلقّي دوره البناء في خلق دلالة النصّ بالنسبة إلى النقد الغربي المعاصر فإنّ اكتناه الفجوة في شعريّة النصّ لا تُكتمل إلاّ بتعدّد الرؤى وفق مفهوم "الانتظام" وهو "يعني ضمناً نشوء تمايز بين العناصر المكوّنة للكّابة ثمّ استغلال هذا التمايز لتوزيع العناصر في بنية يتشابك فيها التمايز باللائمات بروز الظاهرة واختفاؤها بصورة تؤدي إلى خلق نسق أو أنساق معينة توفر هذا الشرط". (أبو ديب، 1987، ص: 88) والمغايرة أو التمايز لا ينشآن إلاّ ضمن اختلاف أو تضادّ مع عناصر أخرى في النصّ ذاته أو تناقضها معها ممّا يحدث فجوة أو مسافة توتّر بينهما وكأنّ الشعريّة عند أبي ديب لا تخرج عن الضدية أو عن الثنائيات حضورا وغيابا ممّا ينشئ فجوة مسافة التوتّر و" تكون الشعريّة التجسيد الأسمى لخلق الثنائيات الضدية أحد أوجه الاستقطابية الأبرز" (أبو ديب، 1987، ص: 94) ويتبلور ذلك من خلال محوريّ الاختيار والتركيّب وفي تكاملهما علائقيّا تحتدّ الفجوة بل يمكن أن تتحوّل إلى فجوات. ولعلّ الأمر يشبه ما تحدّث عنه النقد الجديد من خلال أعمال "بروكس" أو "إميسون" و "ريتشارد" ونعني بذلك مفهوم المفارقة الضدية (Paradox) واللبس والتشابك الدلالي (Ambiguity).

إنّ ظاهرة الغموض التي كشف عنها أبو ديب عبر أعمال النقد الجديد تحاكي خلخلة التوقعات التي تحدّث عنها لدى المتلقّي أو ما عبر عنه بالفجوة: مسافة التوتّر.

3 - المكوّن الشعريّ عند الصوفيّة:

يرى أبو ديب أنّ الصوفيّة في ظاهرها بعيدة عن الشعريّة، بل يمكن أن نقول إنّها تناقضها فهي تدعو إلى التوحّد والحلول فلا وجود لتناقض بين عنصرين أو ظاهرتين ولا توتّر إذن فيها ولا فجوة لكنّها في

عمقها تشيّد في عالمها الخفيّ بالفجوة وتكاد أن تكشف عنها " لأنها أصلاً إيمان بوحدة أصلية انشطرت." (أبو ديب، 1987، ص: 103) فالانشطار قبل التّوحد هو ما يوحى بالمسافة التي كانت بين ذاتين أو زمنين أو مكانين ولا يكون تجاوز هذه الثنائيات إلاّ بوجود مسافة بينها " فجوهر التجربة الصّوفية إذن هو العيش في مسافة التّوتر الحادّة حيث تلوب الذات في شوقها وابتهاها وعظمة عذابها وقلقها" (أبو ديب، 1987، ص: 103).

وقد حدّد أبو ديب نمطين من الكتابة الصّوفية الأولى مذهبية والثانية تجريبية وبينهما فجوة بين الطّرح والإلغاء أو بين التّوهج والرّفص من حيث القلق والنّزوع والتمزّق والتّوتر، لذا عدت الثانية شعريّة على غرار تجربة النّفري أمّا الأولى فهي صوفية بالأساس مثل تجربة الشّريف الجرجاني. إنّ الفجوة: مسافة التّوتر في التجربة الصّوفية تتمثل أساساً في البعد الرّمزيّ والنّزوع نحو التّوحد وقد ينتهي الأمر إلى تمزّق الذات التي تصبو إلى التّوحد وكأنّها تقف على الأطلال لذا اعتبر أبو ديب أن ذكر الحبيبة أو استحضار الخمر أو غيرها هو تجسيد مباشر لإلغاء الفجوة. أمّا التّجسد الرّمزيّ " فإنّه خلق للفجوة بين المدرك واللامدرك المحسوس واللامحسوس، الغائب والحاضر واللازمي" (أبو ديب، 1987، ص: 104). وليس أدلّ على ذلك من موقف النّفري في قوله:

وقال لي: القرب الذي تعرفه مسافة  
والبعد الذي تعرفه مسافة وأنا

القريب البعيد بلا مسافة" (أبو ديب، 1987، ص: 104).

#### 4 - الشّعر بين الحضور والغياب ومفهوم الفجوة:

من أهمّ الثنائيات التي ترتبط بالشّعرية ثنائية الحضور والغياب وهي علاقة مباشرة بالمحور النسقي أو محور الاختيار الياكسوني. ولا يمكن أن نتحدّث عن نشأة الشّعرية دون تحديد هذا المكوّن " فكلّ تكوين شعريّ هو بلورة على المحور النسقي لعنصر من عدد لا نهائيّ من العناصر الممكنة: أي أنّه تحقيق لاختيار محدّد على حساب اختيارات عديدة ممكنة" (أبو ديب، 1987، ص: 106). فالحاضر الذي يختاره الشّاعر واحد ولكنه يُخفي وراءه العديد من الإمكانيات اللانهاية ثمّ تتمّ هذه العملية البنائية من خلال شبكة من العلاقات النحوية في محور التّراصّف وهو محور يقوم على عملية الضّمّ والتّرصيف وبذلك فإنّ الشّعرية هي ما يحدده المحوران النسقي والتّراصفي من اختيارات معجمية ونحوية.

لعلّ الغائب هو الحاضر بالقوة في مستوى تاريخ اللّغة أمّا الحاضر فهو الموجود بالفعل أو هو الحاضر الحقيقي في الكلام على حدّ عبارة دي سوسير وقد أقام كمال أبو ديب علاقة مشابهة طريفة حين قارن عمل المصوّر وعمل الفنّان الرّسام. فالأول يسجّل الجانب المرئيّ في بعد بصريّ واحد أمّا الثاني فمتعدّد في

أبعاده مبصرٌ للحاضر والغائب ومتشوّفٌ لهما، بل " يصبح فيها حضوره بعدا آخر لغيابه وغيابه بعدا آخر لحضوره. (أبو ديب، 1987، ص: 108) " ومن أهم الأمثلة التي اختارها أبو ديب للتعبير عن هذه الفجوة: مسافة التوتّر قصائد الشاعر اليوناني " يانيس ريتسوس " واعتبر قصيدته " نفس الحبل " غنيّة بحركة المدرك واللامدرك أو الحضور والغياب وينبجس ذلك بكثافة في قصيدته " دون روابط " إذ يقول:

هنا هنا

حاضرا

غائبا

في الغياب الشامل

وفي أسفل الطريق تقذف الرّيح القارسة

صورة ملونة

لفريق كرة قدم مشهور" (أبو ديب، 1987، ص: 110).

ومن أهم الأسئلة التي طرحها أبو ديب في هذا السياق " هل هناك موضوعات شعريّة وأخرى غير شعريّة؟ " (أبو ديب، 1987، ص: 111) وانطلاقا من هذه الإشكالية الرئيسة أثار العديد من المواقف النقدية حول الرؤية والرؤيا والبؤرة والبنى الشعريّة ليخلص إلى أن " المعايينة والرؤية والرؤيا جميعها تجسيد لبنى كلية تتم في سياق علاقات معقدة بين الذات والعالم واللغة تتشكّل حصيلة لها بنى كاملة مستقلة" (أبو ديب، 1987، ص: 111). ثم تحدّث عن الهواجس الشعريّة ورأى أنها طاقات أو بؤر من الشعريّة على غرار تجربة جلعامش الوجودية في صراعه الملغز مع الموت وهو الذي يتكوّن من ثلثين من الألوهة وثلث من الإنسانية لينتهي الأمر إلى عجز وضعف أمام حقيقة الموت وبذلك "يمكن اعتبار الزمنية والموت تجسيدين رئيسيين لوجود الفجوة مسافة التوتّر." (أبو ديب، 1987، ص: 111) وتكشف عن هذه الفجوة مجموعة من الثنائيات لعلّ من أهمها الإدراك والتخيّل أو الخصب والجفاف أو اليقين واللايقين أو المعرفة واللامعرفة وهوما عبّر عنه أبو العلاء المعري في قوله:

"صاح هذي قبورنا تملأ الأرض فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطاء ما أظنّ أديم الأرض إلّا من هذه الأجساد" (أبو ديب، 1987، ص: 112).

أو من خلال بيت أبي البقاء الرندي:

" لكلّ شيء إذا تمّ نقصان فلا يغربطيب العيش إنسان " (أبو ديب، 1987، ص: 112).

5 - الشعريّة والنثر:

انطلاقاً من دراسة سوزان برنار أعلن النقد الغربي الحديث عن ولادة شعرية قصيدة النثر. أما في التجارب العربية فيمكن العودة إلى مشروع أدونيس الشعري والنقديّ و من ذلك قصيدته " فارس الكلمات الغريبة" التي رأى كمال أبو ديب أنها تشكلت في إطار الفجوة: مسافة التوتّر وضمن رؤيا أدونيسية عميقة وقد نشأت بفضل الثنائيات الضدية التي تضع قارئ القصيد أمام إمكانات متعدّدة وتوقّعات ثرة يتيحها المحور النسقي فهي بين التجانس واللاتجانس بين الترابط والانفصام وصولاً إلى فجوة مفاجئة تحترق المنتظر وتربط بين المتنافر من الأفكار اللامتوقّعة " فنذ أرسطو إلى عبد القاهر الجرجاني و ياكبسون حتى لوتمان ثمّة إصرار على أنّ للشعر خصيصة تميّزه عن النثر هي قدرته على دمج ما لا يندمج من الأشياء على الجمع بين المتناثرات." (أبو ديب، 1987، ص: 125) فنظرية لوتمان حسب أبي ديب لا تخرج عن مفهوم الفجوة: مسافة التوتّر باعتبار أنّها تقوم على مبدأ " ضمّ ما لا ينضمّ " (أبو ديب، 1987، ص: 125) أو إخمات غير مألوفة أو تجاوز مفاجئ.

#### 6 - الفجوة: مسافة التوتّر وتفسير ظواهر معقّدة في اللغة والشعر:

لم يخلُ أيّ اتجاه نقديّ من إقرار قيمة الاستعارة في بناء الصورة الشعرية للقصيد وهو ما أقرّه ياكبسون في دراساته وذلك يربط الاستعارة بالشعر والكتابة بالنثر وهو ما تابعه " دافيد لودج". إنّ معاناة العلاقة بين الشعرية والاستعارية يفضي إلى مجموعة من الفجوات أو مسافات توتّر تكتننها رؤى متميزة تقحم العادي المتجانس مع اللاتجانس أو لغة اليقين مع اللاتيقين أو ما عبر عنه أبو ديب "باليقين المضادّ أو الكوميديا السوداء أو الفكاهة السوداء" (أبو ديب، 1987، ص: 132). ويعتبر الكاتب أنّ منع الشعرية كامن في لغة الإيحاء والتورية أو بمعنى المعنى بلغة الجرجاني في الدلائل مقابل التصريح والمباشرة. إنّها الفجوة الحادة بين المحتوى والرموز" فالشعر لغة تليح وإشارة وترميز لا لغة تقرير وتصريح" (أبو ديب، 1987، ص: 132).

ومن أهمّ الدراسات الحديثة التي استند إليها أبو ديب في حديثه عن الاستعارة دراسة " بول ريكور" وما أطلق عليه " بالتنافر الدلالي" (أبو ديب، 1987، ص: 133) أو "الانفصام الإشاري" (أبو ديب، 1987، ص: 133) بلغة " رومان ياكبسون" وهو إقرار بالفجوة: مسافة التوتّر ولكن بمصطلحات أخرى.

وفي إطار الحديث عن هاجس الفجوة يقدم أبو ديب مجموعة من المفاهيم المتبسة بمسافة التوتّر على غرار مفهوم " المغايرة أو التمايز أو الفرق" (أبو ديب، 1987، ص: 134). فالشعرية هي عبارة عن انحراف عن المباشرة والمعقولة لذا يعتبر بول فاليري الكاتب " صانع انحرافات" (أبو ديب، 1987، ص: 135).

وقد ميّز النقد الحديث على لسان رولان بارت بين الشّيء وأثره وحدّد الفجوة من خلال المسافة الحادّة التي يحدثها الشّيء لا الشّيء نفسه. وبهذا المعنى فإنّ الشّعريّة بالنسبة إليه ليست سوى " نظام سيميولوجي تراجمي" (أبو ديب، 1987، ص: 136) وذلك بخلق مسافة بين الأشياء والكلمات ومعناها.

7 - الشّعريّة والإضاءة الجديدة:

يمثل " يانيس ريتسوس" نموذجاً للشاعر الذي يُنطق الصّامت في اليوميّ ويضيء عتمته ويلتقط منه قيمه العميقة التي تتأى عن الظاهر العاديّ في الأشياء أمّا "نلسن غولدمن" فيرى أنّ الأنظمة الرمزيّة هي التي تعيد صنع العالم وتكشف عن عمقه وكثافته. وتلاحظ مجموعة الشكلايين الروس هذه الفجوة بين نظم الترميز ومألوف القول فاللغة على حدّ عبارة "جورج لويس بورخيز" هي " الإبهام ( Illusion) والاستعارة (Metaphor) لا الإعلان الصّريح" (أبو ديب، 1987، ص: 138). أي أنّ اللّغة الشّعريّة تتجاوز المعنى الواحد إلى ممكن المعنى إلى التعدّد والثراء.

8 - مفهوم اللانحويّة:

إنّ القراءة النحويّة للشعر تؤكّد على أنّه خُلق أو نُظم ليكون انحرافاً عن الكلام العادي فوظيفته تتجاوز التّواصل اليوميّ فهو " الاتّصال بين ما يمكن إدراكه وما لا يمكن إدراكه" (أبو ديب، 1987، ص: 139). والانحراف عند أبي ديب ليس سوى تعبير عن الفجوة: مسافة التّوتر. والتعبيرة تعود في الحقيقة إلى ما وصل إليه " جون كوهين" في تعريفه للشّعريّة أو "بول ريكور" في حديثه عن العمليّة الاستعارية.

والطّريف في موقف أبي ديب يتمثّل في طرحه لمجموعة من الإشكالات المتعلّقة بمفهوم العاديّ باعتباره المعيار الذي يمكن من خلاله أن يقيس مدى انحراف اللّغة عنه " فما هو العاديّ؟ وهل لغة الصحافة والحديث اليوميّ عاديّة؟ هل لغة النثر / الرواية/ القصّة هي العاديّة ثمّ ما علاقة العاديّ بالزّمن؟ هل العاديّ في مرحلة معيّنة من تطوّر اللّغة عاديّ دائماً وإلى الأبد غير خاضع لتأثيرات التطوّر الحضاريّ أم أنّ العاديّ متغيّر زمنيّاً؟" (أبو ديب، 1987، ص: 141).

وقد أشار الباحث "عبد السلام بالعجال" في إطار حديثه عن معيارية النّصّ إلى أنّ الشّعريّة طاقة تبحث عن الإبداع في كثافته وتجده أمام انفلات نصّ مراود مراوغ للقارئ أو لنقل أنّه مختال خارج عن المتصور. ويرى "العجال" أنّ أبا ديب قد حاول أن ينفرد برؤية بناها " على فكر ومنهج غربيّ حدائيّ" تجاوز في ذلك الشّعريّات العربيّة الفاعليّة التي تحدّث عنها ليست فجوة في الصّور الشّعريّة فحسب أو في

حضور الوزن وإنما هي " المفاجأة وخلخلة التوقعات" بين المنسجم والمتشابك والمتجانس واللامتجانس ومن المؤلف إلى غير المؤلف.

ولما كان تحديد العاديّ أمراً غير دقيق ظلّ الحديث عن الانحراف مشكلاً حقيقياً لا يمكن التملّص من إشكاليّة تحديده إلاّ من خلال "الانحراف الداخليّ أي الانحراف الحاصل فعلاً دلياً أو تصوّرياً أو فكرياً أو تركيبياً" (أبو ديب، 1987، ص: 141) وهو ما يعبر عنه ريفاتير بلا نحويّة النصّ. وينتهي أبو ديب بعد هذه الإشكاليّة إلى تحديد مفهوم جديد يمكن أن يفسّر هذه الفجوة الجديدة وهو مفهوم "التحوّلات" (Trasformation) وهو مفهوم شامل يندرج ضمن " مجال الثقافة والعلاقة بين الأنا والآخر". (أبو ديب، 1987، ص: 142).

#### الخلاصة

ظلّ أبو ديب تائهاً بين كلّ هذه المفاهيم للشعرية فلم يستطع أن يحيط بها إحاطة دقيقة ورأى أنّه لا يستطيع تحديد سوى المتاح منه وهو " جسد اللّغة المتكوّن شعراً" (أبو ديب، 1987، صص: 145/144). وقد أفاد في مشروعه النقدي من معايين نقدية مختلفة والملاحظ أنّ مصطلح "الفجوة" في حدّ ذاته يعود إلى دراسة كلّ من "انكاردن" و "آيزر" في إطار كشفهما عن علاقة النصّ بالقارئ " فلم يعد الفراغ لديهما هو الجزء غير المذكور في النصّ وإنما هو فسحة بين جزئين" (حمادي، 2015، ص: 39).

وأما مسافة التوتّر فقد تحدّث عنها "ياوس" في نظرية القراءة والتلقّي " حيث أخذ ياوس بمفهوم المسافة الجماليّة وهي البعد القائم بين ظهور الأثر الأدبيّ نفسه وبين أفق الانتظار". (حمادي، 2015، ص: 39). وإذا قرّنا بين شعرية أبي ديب وما وصل إليه جون كوهين ألفينا تقارباً في التّصوّر النقدي فهما يتحدّثان عن العدول عن المعيار أو عن الانزياح أو ليست الفجوة: مسافة التوتّر إلاّ " تشكيلاً آخر وتمطيطة جديدة للانزياح". (حمادي، 2015، ص: 39).

ثمّ لو اعتبرنا أنّ نظرية أبي ديب قد تجاوزت شعرية جون كوهين في تمييزها بين الشعر والنثر فإنّها بقيت ثابته تحت انحراف ثانٍ قريب جداً ممّا ساقه تودوروف في دراساته ونعني بذلك الانحراف الداخليّ " بين اللّغة المترسّبة وبين اللّغة المتبكرة وفي صورها الشعرية". (لخيسي، 2014، ص: 395). أمّا من حيث المفهوم فيعتبر أبو ديب أنّ الشعرية ليست سوى نظام من العلاقات أي أنّ المفردة أو الكلمة منعزلة عن غيرها تخلو من أيّ شعرية ذلك أنّ مآتها الرئيس هو النظم وهو ما يتقاطع مع نظرية

الجرجاني في الدلائل. فالفجوة التي تحدّث عنها أبو ديب بقيت سجيناً منهج بنيوي لا تكتنه سوى مستوى البناء اللغوي. فأين هي من شعرية متحررة متحركة أو متشظية متلاشية؟

### قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبو ديب (كمال)، في الشعرية، الطبعة الأولى، بيروت 1987.
- 2 - حمادي (حسنا): الفجوة: مسافة التوتّر كتاب كمال أبو ديب في الشعرية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير بإشراف الأستاذ محمد سعدون، جامعة بوزيايف الجزائر 2016/2015.
- 3 - نلميسي (شرفي): الشعرية: مفاهيم نظرية ودلالات جمالية، مجلة كلية الآداب واللغات جانفي - جوان 2014.

## جوانب إصلاحية في جهود الشيخ مصطفى ماء العينين.

### Reformative Aspects in the Efforts of Sheikh Mustafa Ma'al-Aynayn

د. الطاهر لمزيري.

- أستاذ العلوم الشرعية بمعهد العرفان للتعليم العتيق بأسفي - حاصل على الدكتوراه في القرآن وعلومه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - ابن زهر/ أكادير/ المملكة المغربية.

Taharlamziri9@gmail.com

#### - ملخص البحث باللغة العربية.

يسعى هذا البحث لإبراز جهود رصينة لأحد الأعلام المصلحين المخلصين وهو الشيخ مصطفى ماء العينين رحمه الله، وقد أكد البحث أن هذا العلم قد استطاع حمل مشعل التربية والإصلاح التي ورثها عن قبله من المصلحين، ثم جلى البحث جزءا مهما من حياته وأعماله العلمية والاجتماعية وغيرها مع التركيز المقصود على البناء الإنساني في جانبه المتعلق بالإصلاح من خلال مجموعة من المقومات الأساسية ذكرها البحث، نخلص البحث إلى أن الإصلاح بكل متعلقاته كان وسيبقى أمرا مركزا عند هؤلاء الأعلام إذ لا علم بدون عمل.

- الكلمات المفتاحية: الشيخ مصطفى ماء العينين - الإصلاح - الصحراء - البناء الإنساني.

#### Abstract.

This research seeks to highlight the great efforts of one of the reformers and sincere figures, Sheikh Maa Al-Ainin, may God have mercy on him. The research confirmed that this prominent figure was able to take up the torch of education and reform that he inherited from the reformers before him. Then the research revealed part of his life, his scientific and social works, as well as other works, with the intended focus - on the human structure in its relation to righteousness through a set of basic components mentioned in this research. The research concluded that reform with all its implications was and will remain a focus among these prominent figures, as there is no knowledge without work.

**Key words:** Sheikh Ma'Alinin reform, desert, human construction.

## تقديم.

الحمد لله رب العالمين ذي الجود والكرم، الملك الحق المبين المخرج الخلق من العدم، عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على شفيع الورى وسيد الناس المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فتعد الجهود الإصلاحية إحدى الأعمدة التي يبنى عليها الاستقرار المجتمعي المتوازن في مختلف مكوناته، ومن جهة أخرى؛ تعتبر هذه الجهود رافداً مكيّناً من روافد البناء الإنساني في جانبه الإيماني المتعلق بالخالق سبحانه وتعالى، فإذا ترقى المكلفون في جانبهم الإصلاحي المتعلق بالعلم والعمل والسلوك؛ كانت مآلات عيشهم على ما يؤملون ويرجون في خواطرهم، وحصلوا تقدماً ملموساً في إشباع العقل والروح وفق ما رسمه الشرع وبينه بعيداً عن أي تكلف أو ضرر، وهذا ما ترغب فيه الخليفة وتطلع إليه، خصوصاً بعدما صار بعض المكلفين يعيشون بعداً عن تعاليم الإسلام وهداياته، أو يتدينون تبعاً لهواهم ولما يوافق خواطرهم.

وبما أن الجانب الإصلاحي والتربوي مقوم أساس في هذا البناء الإنساني والمجتمعي؛ سعى أحد رموز الإصلاح والإخلاص وهو الشيخ مصطفى ماء العينين رحمه الله إلى ترسيخ هذا الرافد في المناطق الصحراوية وبالأخص بمدينة السمارة، وتحمّل المشاق والصعاب لعمارة هذا القطر بما يحقق حبور الناس وصلاحتهم، طارحاً وراءه كل لاهية أو محبطة، وعازماً بحق ويقين على تحقيق الإصلاح وبناء الإنسان من خلاله، فكان بحق رائد حركية إصلاحية وتربوية تميزت بتعدد الأنشطة واختلافها، وبذلك بقيت مدينة سمارة مدينة علم وعمل؛ شعارها ذكر الله تعالى، وحليه جديدها تدريس العلوم.

## - أهداف البحث :

يكمن الهدف من هذا البحث في إجلاء العلاقة المتينة بين العلم والتحصيل والعمل والتنزيل بالمفهوم الواسع الذي من جملة الإصلاح والإخلاص والتربية، وأن هذا الترابط كان أمراً مركزاً عند العلماء المصلحين الذين كرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة دينهم وأوطانهم. ومما يهدف البحث لبيان أيضاً : ذكر معالم ومحطات منيفة من حياة علم من الأعلام المغاربة الذين تمكنوا بقوة عزيمتهم وإخلاص جهدهم من ترسيخ مقومات البناء الإنساني بغية الإصلاح والتربية اللذين هما سبيل تحقيق الأمن والتدين الصحيح.

واعتمادا على ما سبق ذكره نتساءل، كيف استطاع هذا العلم الشيخ مصطفى ماء العينين ترسيخ معالم الإصلاح بين الناس في زمانه؟ وإلى أي حد أثر ذلك في البناء المجتمعي الصحراوي؟ والجواب عن ذلك يستلزم تجلية مقومات الجهد الإصلاحي عند هذا العلم من خلال ما يلي :

- المبحث الأول : طرف من حياة الشيخ مصطفى ماء العينين ونشاطه.

1- نسبه وولادته 2 - مكانته العلمية وطلبه للعلم 3- عمله الاجتماعي 4 - أسرته وشهرته بين الناس 5- الأقوال فيه ووفاته.

- المبحث الثاني : الإصلاح عند الشيخ مصطفى ماء العينين ومقوماته.

1 - مقوم البناء المعرفي 2 - مقوم البناء الروحي 3 - مقوم البيعة الشرعية.

- خاتمة تنظم خلاصات البحث.

- المبحث الأول : طرف من حياة الشيخ مصطفى ماء العينين ونشاطه.

تعددت الكتابات حول حياة الشيخ مصطفى ماء العينين، وأفردت التأليف وأقيمت الندوات في بيان جهوده وتجليه خفايا سيرته وأعماله، وحسي في هذا المبحث إيراد منتقيات من ذلك، ذاكرة أشهر محطات حياته وأجهرها بما رأيت مناسبا للذكر.

1- نسبه وولادته.

اختلف من ترجم للشيخ ماء العينين في اسمه بين (مصطفى ماء العينين) و(محمد مصطفى ماء العينين)، وقد اشتهر في المغرب باسم : محمد مصطفى، ولعل الصواب هو مصطفى ماء العينين كما أثبتته غير واحد من الباحثين، (ترجمة الشيخ ماء العينين المولد والنشأة والدراسة - مركز علم وعمران للدراسات والأبحاث وإحياء التراث الصحراوي - الرابطة المحمدية للعلماء - المملكة المغرب)، وبناء عليه أقول : هو الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد فاضل بن مأمين (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص : 365) ابن الشيخ خيار ابن الشيخ الجيه ابن الشيخ المختار (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 134)، إلى أن ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (المعسول في الإلغيين وأسائذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم، ج : 4، ص : 83).

وقد وُلد الشيخ ماء العينين في أقاصي الحوض الشرقي من بلاد شنقيطي 27 شعبان عام 1246 ( الرحلة المعينية، ص : 39 - إتحاف المطالع، ص : 385)، واشتهر وعرف في وسطه الذي يعيش فيه باسم ماء العينين الذي صار لقباً له يعرف به عند كافة الناس في زمانه. (الإعلام للمراكشي، ج : 7 ص : 174)، وقال رحمه الله في مطلع منظومته (ضوء الدهور) مشيراً إلى هذا اللقب:

يقولُ نجلُ فاضلٍ نجلُ مأمينٍ      علمهُ ملقباً ما العينينُ

(منظومة ضوء الدهور، (مخطوط متوفر بالشبكة بموقع الشيخ ماء العينين)، اللوحة: 02).

## 2- مكاتبه العلمية وطلبه للعلم.

يعتبر الشيخ ماء العينين من كبار العلماء والدعاة والمصلحين الذين عرفتهم الأقاليم الصحراوية في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وقد تمت له شهرة فائقة عظيمة من سنة 1270، (المعسول، ج : 4 ص : 83)، وذاع صيته في المشرق والمغرب وقصده القريب والبعيد، (الرحلة المعينية، ص : 20 - بلاد شنقيط، المنارة والرباط، ص : 281)، وقد أسعده الحظ كما قيل في ترجمته فنال ما ربما إذا سمعه من لا يعرفه يستغربه أو يعده من البهتان. (المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم، ج : 4 ص : 83).

أما طلبه للعلم ومراحل ذلك؛ فقد تلقى الشيخ دراسته على يد والده الشيخ محمد فاضل رحمه الله الذي يعد أول من جلس بين يديه، زيادة على الدراسة على أيدي عليّة أساتذة مدرسته التي شكلت قاعدة إسلامية نشرت إشعاع الإسلام وعلومه في كثير من أقطار غرب إفريقيا، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 140)، وقد ذكر أنه تعلق بمجلس والده فلم يفارق ذلك المكان الذي تربى فيه وطلب فيه العلم وحصله وتمكن منه، وقد ظهرت عليه علامات النبوغ المبكر، وقوة الحافظة واستحضار المسائل والشغف بالعلم، وتفرد فيه والده ما سيصير إليه شأنه من الرسوخ في العلم والتمكن منه، فجاءت فراسة الشيخ محمد فاضل موافقة لما أمّله. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 141).

## 3 - عمله الاجتماعي.

عُرِف عن الشيخ مصطفى ماء العينين اهتمامه الكبير بالعمل الاجتماعي الإنساني، ومما بين ذلك؛ أنه حينما صارت له في مدينة مراكش وغيرها أملاك طائلة من زوايا ودور وبساتين ومزارع (أدباء الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص : 365) وعطايا وصلات من السلاطين؛ كان يوزع ذلك على

أتباعه ومريديه (المعسول، ج : 4 ص : 93)، ولا يدخر ذلك لخاصة نفسه، وكان المجتمع الصحراوي المحيط به في ذلك الوقت يعيش أرغد عيشة بسبب كرم الشيخ وسابقة بذله، وكان معه في وادي السمارة من الساقية الحمراء وهو المكان الذي كان يعيش فيه؛ ما يقارب عشرة آلاف شخص، ما بين أرملة ومزمن وصحيح البنية وكل أصناف الناس، وكان أيضا يزوج الشخص ويدفع المهر من خاصة ماله، وكان يجهز المرأة لزوجها مع حسن معايشة وخفض جناح (الإعلام للراكشي، ج : 7 ص : 171)، إضافة إلى تحمل أعباء الدولة في مناطق نائية وشاسعة قربها بنشاطه وحسن تديره لعاصمة الدولة، وأخرجها بحكمته من حياة الفوضى. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 143).

#### 4 - أسرته وشهرته بين الناس.

ينتمي الشيخ مصطفى ماء العينين رحمه الله لأسرة علمية مكيمة مشهورة بالعلم والصلاح، موقفة نفسها على الجهاد في سبيل الله والذب عن حوزة الإسلام، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 135) وقد عُرِفَتْ واشتهرت باسم الأسرة المائعيَّة (سوس العالمية، ص : 140)، ويسمون في المغرب ب: أهل الشيخ ماء العينين، وفي بلاد موريتانيا يعرفون باسم: الأشياخ أو أهل الجيه المختار، ومن أهل الحوض من يفضل أن تطلق عليهم تسمية أهل الطالب مختار. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 135).

وقد تحدث المترجمون عن سبب شهرته وذيعان صيته بين أقرانه، فذكر من ذلك أن سبب شهرته هذه الأسرة العلمية، قال المختار السوسي رحمه الله : "وشهرته تتركز على أربعة أمور بل خمسة أولها : أن ذلك وراثته عن آباءه الشم الغطاريف الذين تسلسل فيهم العلم والصلاح أبا عن جد منذ أجيال متعددة فبنوا عليها، فإن بناءهم يكون أمتن وأشرف من بناء غيرهم من العصاميين." (المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم، ج : 4، ص : 83)، ويقول أيضا عن هذه الأسرة : " فكم من أدب طفح من أيدي آل ماء العينين، وكم مؤلفات صدرت عنهم، ولا يزال بعض أبنائه الاجلاء لصلبه احياء يضرب بهم المثل في الحفظ والاستحضار والتفنن والشعر الفحل العربي القح." (سوس العالمية، ص : 140)، وقد كان نسله بعده رحمه الله سائرا على طريقه في التعلق بالعلم ونشره، وكانت لهم مشاركات علمية وكتب نافعة زيادة على قرضهم للشعر العربي. ( قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 139).

#### 5- الأقوال فيه ووفاته.

اعتلى الشيخ مصطفى المكانة العالية بين الناس في زمانه وبعد زمانه، وقد فاق عدد مادحي الشيخ شعرا حمسمائة، وهذا راجع للمكانة التي تبوأها رحمه الله، ومما ألفت في هذا الباب كتاب "الأبجر المعينية في بعض المدائح المعينية"، لمؤلفه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين.

ومما قيل فيه رحمه الله: العلامة الوحيد، له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك، (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص: 365، الأعلام للمراكشي، ج: 7، ص: 171)، وقيل أيضا: هو الشيخ الشهير، والمربي الكبير، له أتباع في جل أنحاء المغرب في وقته، وتبرك به الناس وأخذوا عنه واستفادوا من علمه وكتبه. (إتحاف المطالع، ص: 365). وقيل: الشيخ ماء العينين وأتباعه لا يحتاج إلى كتابتنا نحن عليه، بل يكفي ما شهدت به أعداؤه عليه، إذ صاحبته عناية ربانية غريبة. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص: 137).

وقد انتهت حياة الشيخ رحمه الله وانتهى معه نشاطه وقوة عزيمته الوضاعة البانية، فوافته المنية رحمه الله في يوم الجمعة في الرابع والعشرين من شهر شوال عن سن عالية، عام ستة وثمانين ومائتين وألف. (إتحاف المطالع، ص: 365).

#### - المبحث الثاني: الإصلاح عند الشيخ مصطفى ماء العينين ومقوماته.

يعتبر القطر الصحراوي من الأقطار التي عضت على تدينها وما إليه بالنواجذ كما سبق بيانه، وقد كان لهم نشاط متفرد في حركاتهم المتعلقة بكل زوايا هذا التدين عبادة وعلم وسلوكا، وقد نزل الشيخ ماء العينين جزءا من هذا القطر الصحراوي وهو الساقية الحمراء كما أشير إليه قبل، ونزوله هذا كان القصد منه تثبيت مشروعه به بعدما كان مكانا خاليا لا أنيس به، فعمره وبني به الدور وغرس فيه النخيل. (الإعلام للمراكشي، ج: 7، ص: 171).

وإذا نظرنا في الجهود المتنوعة للشيخ ماء العينين فلن نجدتها مقتصرة على الجانب الجهادي والسياسي كما يذكر من ترجم له، بل تعدى ذلك إلى الجانب الفكري والروحي والثقافي، (صيانة الوقف في الفقه المالكي وتطبيقاته المعاصرة، وقف الشيخ ماء العينين نموذجا، ص: 137)، وقد لاحظ الناس هذا القصد عند الشيخ فأخذوا يتبركون به ويتربون بأخلاقه وجميل سمته، وأخذوا عنه علمه ونهلوا من معين درسه ومؤلفاته، (إتحاف المطالع بتصرف، ص: 365)، والملاحظ أن نشاط الشيخ العام كان نشاطا متفردا متميزا لا يحقق مثله إلا جيش من الأكفاء المخلصين، إلا أنه رحمه الله استطاع تحقيقه منفردا، بسبب إخلاصه وتفانيه وضبط الوقت ودقة البرنامج وعدم التساهل. (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص: 45).

أما مصطلح الإصلاح؛ فقد اتسع مفهومه في كتابات الباحثين، كل يبين المراد منه حسب سياق الفقرات الوارد فيها هذا التركيب، وإني لأقصد به هنا في جهود الشيخ مصطفى ماء العينين رحمه الله: السعي إلى تحقيق الاستقرار القلبي والذهني المنبعث من خلاص القلوب مما يشوش عليها تدينها ويمكن المكلفين من فعل عباداتهم بعيدا عن الارتعاب.

وقد استطاع الشيخ ماء العينين تحقيق ذلك من خلال مقومات بانية ذكرتُ منها ما يلي :

### 1 - مقوم البناء المعرفي.

تعتبر التأسيس المعرفي وطلب العلم أبرز المكونات الأساسية التي اعتمدها الشيخ ماء العينين لترسيخ مشروعه في العملية الإصلاحية التي تريح السالكين، فالعلم يُعرّف المسلم بعقيدته، ويقوي دعائم أركان الإيمان لديه، ويمكنه من تحقيق العبادات وفق الوجه الذي يرضاه الشرع ويقبله.

وهذا المعنى الذي سلكه الشيخ نجده مركزا عند علمائنا السابقين ممن ربطوا بين الجانب الروحي والجانب المعرفي، والغاية من ذلك أن يكون الوصل بالله تعالى مبنيا على دراية لا عن جهل، وفي هذا السياق يقول الإمام الجنيدي رحمه الله : " علمنا مقيد بالكتاب والسنة ، فن لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدين أفسد من اتبعه." ( عدة المريد الصادق، ص : 36).

فلا تصوف إلا بالتفقه في الدين وتعلم حلاله وحرامه، إذ لا تُعلم أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا حقيقة للعلم إلا بالعمل وسلوك طريق الأخيار الأتقياء، ولا عمل إلا بصدق التوجه وصفاء السريرة، ولا يصح هذا كله إلا بالإيمان الذي لا يصح شيء دونه، فهو بمنزلة الروح هما بمنزلة الجسد لا ظهور له إلا فيها، ولا كمال لهما إلا به. (الفقه والتصوف، مركز الإمام الجنيدي للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة/ الرابطة المحمدية للعلماء، د. طارق العلمي، 2016-07-29).

ونجد أهل الشيخ وهم أهل الجيه المختار سائرين على هذا المنهج الذي يعد قاسما مشتركا بينهم، والذي يتلخص في كسب العلم عن طريق الجد في تحصيله وتعليمه وصرف الطاقة لتعميم التربية، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 139)، ولهذا أقام الشيخ مدرسته وأسسها حتى كان لعلمائها اشتغال بالمباحثة في العلوم، تتعطر به أسنة المحدثين وتطير به الرِّبَّان. (المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم، ج : 4، ص : 85).

وبناء على هذه المقصد وغيره؛ تكونت قبيلة الشيخ ماء العينين في الساقية الحمراء بالسمارة، والتي كان تجمعها من أجل حفظ الحدود ونشر العلم، وتأسيس أولى نواة للحضارة في منطقة نائية تشكل نقطة وصل بين الجنوب والشمال. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 142).

أما الشيخ رحمه الله وهو بيت القصيد، فبدوره قد صرف جل وقته في تدريس العلم لأفواج تلاميذه الكثيرين، ينشر دعوته، ويث علمه، ويطبّق برنامجه ويحمي به ذماره، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 142).

ورغم اختلاف مستويات طلبته؛ إلا أنه يعلمهم ويحرص على إفادتهم في كل العلوم في التفسير والحديث والأصول والفقه والقواعد والنحو والبيان والمنطق، ومنهم من يعلمه اللغة والعروض والشعر إلى غير ذلك، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص: 46)، وغالب وقت تدريسه كان بعد صلاة الظهر، وفي أثناء درسه كان يسأل الطلبة فيجيب كل واحد عن مسأله، ويختّم مجلسه بالدعاء للإسلام والمسلمين ويؤمن هو الحاضرون، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص : 46 - 47)، ولم ينحصر درس الشيخ وتعليمه على الطلبة المتمرسين النجباء، وإنما تعدى ذلك إلى عامة الناس، يلقنهم مبادئ القراءة والكتابة اعتمادا على نصوص قرآنية ميسرة. (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص : 237)

أما عن جهود الشيخ في التأليف الذي هو من جملة ما سعى لنشره في وسطه؛ فنجده كان ذا قلم سيال مدرار، أسهم به في إثراء المكتبة العلمية بتأليف عديدة في فنون مختلفة، زيادة على الأشعار والأنظمة، (إتحاف المطالع، ص : 365)، وقد تجاوزت هذه المؤلفات 360 كتابا، ومنهم من أوصلها إلى 400 كتاب، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 142)، قال المختار السوسي رحمه الله : " أدرك من المشاركة في العلوم إدراكا عظيما تدل عليه تأليفه التي ما غادرت علما من العلوم إلا اقتبست منه حديثا وتفسيرا وعربية وأصولا وبيانا، بله التصوف الذي هو عش ذلك البيت، فعليه تأسس من أول يوم وبه اشمخر بناؤه." (المعسول، ج : 4 ص : 83).

وقد كان للشيخ أيضا مكتبة عامرة، فقد ورد في وصفها أنه عمرها بما يزيد عن مائة من الصناديق المملوءة بالكتب، إضافة إلى الرفوف المملوءة بكتب أخرى من شتى أنواع المعارف، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص : 46)، وقد هم المستعمر بإحراقها إبان الاستعمار انتقاما منه، وأشعلوا النيران فيها خلال هجمتهم على مدينة السمارة سنة 1913م، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص : 48)، لكن هذا لم يكن مانعا من مواصلة الشيخ مسيرة إصلاحه التعليمي والتربوي، وأمضى رضي الله عنه حياته كلها في العلم وفي تدريسه والتأليف في عالم الفنون، (المعسول، ج : 4 ص : 85)، وانتشرت

بسبب قوة عزمته البناءة علوم جمّة، وتخرج به فطاحل عظام من الصحراويين، فكان مثالا يقتدى به في خدمة الدين والوطن والتفاني في ذلك.

## 2- مقوم التزكية الإيمانية.

ظهرت الرّباطات والزوايا بالمناطق الصحراوية مع كل الأجيال التي عاشت في هذا المَصر، وبقي ذلك مستمرا بها إلى ظهور زاوية الشيخ ماء العينين في تاريخنا المعاصر، (المؤسسات الصوفية وتحصين الأمن الروحي بالصحراء المغربية، مقال منشور بموقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ. عبد الوافي الخرشبي)، وقد انتهج الشيخ فيها منهجا إصلاحيا حكيما، معتبرا أن مقام التزكية والتربية أسلوب حياة بان للحياة الروحية، فهو سليل بيت حكمة وتربية، وشيخ من الشيوخ المرين الذين لهم يد عالية في ذلك علما وعملا.

وقد كان تأسيسه لهذه الزاوية مبنيا على ملاحظته لكثرة أتباعه والتحاق والتفاف الناس به من مختلف الأقطار، فقرر في سنة 1898م بالضبط بناء هذه الزاوية التي كانت أول زاوية من حيث البنية العمرانية في الساقية الحمراء عموما، وفي إقليم السمارة خصوصا، (المؤسسات الصوفية وتحصين الأمن الروحي بالصحراء المغربية، مقال منشور بموقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ. عبد الوافي الخرشبي)، وقد كان قصده رحمه الله من ذلك أن تكون منارا للعلم وقلعة للجهاد (الرحلة المعينية، ص: 20)، وأن تخدم ما وضعه أمامه من مخططات دينية وعسكرية وتجارية وثقافية، (المؤسسات الصوفية وتحصين الأمن الروحي بالصحراء المغربية، مقال منشور بموقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ. عبد الوافي الخرشبي)، فشرع في عملية البناء، وكلف ابنه الشيخ الطالب خيار بمهمة السهر على أورش البناء. (المؤسسات الصوفية وتحصين الأمن الروحي بالصحراء المغربية، مقال منشور بموقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ. عبد الوافي الخرشبي).

وبعدما أرسى الشيخ ماء العينين هذه الزاوية وأوثق بناءها؛ شرع في ترسيخ منهجه السلوكي الذي أراد تثبيتته في محيطه، وسارع إلى تأكيد ذلك من خلال فعّاله ابتداء وهو الشيخ العالم المرابي الذي ينظر إليه الناس بعين الإكبار والانتساء، و كان يحرص شدة الحرص في زاويته على ممارسة الطاعة وفق ما ورد في سلوك الصحابة رضوان الله عليهم ومن حذا حذوهم من رجال السلف الصالح، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص: 143)، فكان شديد الاتباع رافضا كل ابتداء، واصطبغ أيضا هذا المنهج في زاويته المعينية بصيغة الاستمرارية، فالعملية التربوية مستمرة عنده تبدأ ببداية الحياة وتنتهي بنهايتها، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص: 238)، وقد ذُكر أنه قد بلغ عدد من تحلقوا حوله في

السامرة بعشرة آلاف بين ذكور وإناث، يتدارسون العلوم ويعمرون الأوقات بالأذكار مع حصول النفع التام لهم به. (المعسول، ج : 4 : ص : 84).

وقد هاجر عدد من الشناقطة من أرض بلادهم التي ولدوا بها قصد البحث عن مكان يجدون فيه المبتغى الروحي، ولم يجدوا ذلك إلا في مقام الشيخ ماء العينين، ومن هاجر من هؤلاء يؤيد الشيخ ويعينه فيما يقصده أحد رجالات الإصلاح، وهو محمد بن حبت، الذي انضم إلى الشيخ ماء العينين ومكث معه خمس سنوات، (بلاد شنقيط، المنارة والرباط، ص : 332)، ومنهم أيضا أمير أدرار الشهيد أحمد بن أحمد بن عيده، الذي مكث خمس سنوات عند الشيخ يقاوم مشاريع الاستعمار إلى أن استشهد، (بلاد شنقيط، المنارة والرباط، ص : 336)، وقصد الشيخ أيضا عدد من المناصرين في ركب بمقره بالسامرة بالصحراء، ولم يتباطأ الشيخ ماء العينين أن أرسل هذا الركب إلى سلطان المغرب، (بلاد شنقيط، المنارة والرباط، ص : 335)، فأبان هؤلاء المرابطون تعاضمهم الروحي القائم على انشغال القلب بالله تعالى، وحمل راية الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حوزة الإسلام ومهادنة جميع المسلمين، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 139)، وبهذه الجهود العلية رسخ منهج الشيخ عند الناس، وصاروا يسرون بسيره ويقتفون أثره.

### 3 - مقوم البيعة الشرعية.

يعد الدخول تحت البيعة الشرعية رافدا متينا من روافد البناء الإصلاحي في المجتمعات، فوجود هذا المقوم يشعر الناس بالاستقرار في مناحي تدينهم بسبب ما يجدون من ضمانٍ جازم لممارسة الحقوق الدينية بشتى مجالاتها وألوانها في جوٍّ وقور.

وقد كان لأهل الجيه المختار الذين ينتمي إليهم الشيخ ماء العينين روحٌ دينية ورباط جهادي نشأوا فيه، وكان ذلك مانعا لهم يصرف نظرهم عن التمسك بفكرة القبيلة الضيقة، ويجعلهم ينصهرون في الوطن بدون تلك النزعة العصبية. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 139).

أما منهج المغاربة وهم أهل تدين أصيل ثابت؛ فقد كان تدينهم هذا حصنا قويا وسياجا وثيقا لا يمكن معه اختلال ما يعتقدونه في ولاة أمورهم، وهذا مستمد من طبيعة النظام المغربي، الذي دام ملتزما بحماية ووقاية الثوابت الأصيلة، وكان ذلك حالةً مثاليةً في ثبوت المشروعية الدينية للحاكم، لأن إمارة المؤمنين لها آفاق بعيدة المدى، حيث توحد الأمة الإسلامية وتحفظ كليات الدين الخمس، وتحامي مقومات الدين وتسهر على تلبية الحاجات الدينية للناس باعتبارها حاجات ذات مغزى محافظ علي منهج

التدين، (إمارة المؤمنين ودورها في حفظ كليات الدين وقيمه الإثنين 20 مايو 2019 موقع : مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ : الأستاذة عائشة طه عبد الجليل).

وقد ابتغى هذا المقصد النبيل الشيخ ماء العينين رحمه الله بعدما جعله ملوك المغرب نائبا عنهم في الأقاليم الصحراوية منذ عهد المولى عبد الرحمن وكلفوه بتعميرها وحمايتها مما كان يهددها من أخطار أجنبية، (الرحلة المعينية، ص : 20).

ومن ذلك الوقت استحكمت وشائج الإخلاص والمحبة بينه وبين ملك البلاد، فأخلص للعرش أشد ما يكون الإخلاص، وأنعم عليه العرش غاية الإنعام، فصادت الثقة أهلها، وأسندت المسؤولية لمن أحسن القيام بها. (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 142).

وكان الشيخ دائم البيعة والطاعة لسلاطين العلويين، معترفا بشرعيتهم وخضوع الصحراء لحكمهم، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص: 203).

وكان يحث الناس ويجمعهم بهؤلاء السلاطين، ويرسخ فيهم أنهم مكن استقرارهم الروحي الذي يطلبون وينشدون، فسارع إلى توحيد صف الناس حتى يتبعوه في اختياره وما يمليه عليهم، وكان سباقا إلى مبايعة السلطان مولاي الحفيظ، فقدم إلى مدينة مراكش بجموعه وبايع السلطان واحتفل به السلطان وأكرمه، وبهذا خمدت الفتن الداخلية التي التهمت نارها المغرب. (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص : 365).

وتوالى الإكرام والاحتفاء على الشيخ ماء العينين، وعرف طريقه إليه بسبب نظره المتين الذي قصده من ضرورة التفاف الناس حول سلاطينهم، وكان ممن احتفى به أيضا وأعظمه في ذلك الوقت الملك عبد العزيز، لأن الاحتلال كان يهدد الناحية الصحراوية، (المعسول ج : 4 ص : 93)، وكان حظه في أيام السلطان مولاي الحسن أحسن منه في أيام أبيه وجده، (الإعلام للمراكشي، ج : 7 ص : 171)، فكان بذلك الشيخ ماء العينين وطنيا غيورا على البلاد، واضعا كل قدراته لصالح وطنه، ملتزما بالحدود التي تفرضها عليه بيعته وبيعة أسلافه للسلالة العلوية الشريفة، (الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، ص : 47).

وخلال مدة عشرين سنة من استقرار الشيخ ماء العينين في الصحراء؛ بلغ عدد من معه عشرة آلاف نسمة مكثوا محيطين به في تلك البلدة ثلاثين سنة يدافعون عن مقدسات البلاد ولما تحكمت قوة الاستعمار من جميع التراب الوطني المغربي تفرقت قبيلة الشيخ ماء العينين في جميع أنحاء المغرب دفاعا

عن الوطن تحت ظل العرش العلوي المجيد، (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 143-144)، إلى أن من الله برجوع الصحراء على يد أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله، فرجعت جميع فصائل أهل الشيخ ماء العينين إلى الصحراء كبقية إخوانها أبناء الصحراء الذين عادوا إلى ديارهم بعد خروج الاستعمار منها (قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، ص : 146)، وهذه العيشة الآمنة المطمئنة، وهذا التسديد الوافر كان بسبب حكمة الشيخ ورشاده الذي عمل عليه سنوات يرسخه بين الناس.

### - خاتمة.

تعد الجهود الإصلاحية المعيّنة إحدى الجهود المنيفة التي كان لها تأثيرها القوي على المناطق الصحراوية، وما ذكرته في هذا البحث هو مقتطعات منتقيات فقط من هذه الجهود الإصلاحية، وبعد ذكر ما تيسر بيانه في هذا البحث أكون قد خلصت إلى ما يلي :

- الشيخ مصطفى ماء العينين من رجالات التدين القويم، وممن كان ينادي بالإسلام الحق البعيد عن الأباطيل والترهات، سائرا على هدي أسلافه الأجداد المصلحين المخلصين، حائزا بحق كمال الاستضلاع والرسوخ، وداعيا بفعله وقوله إلى الوطنية الصادقة.

- أسهم البحث في بيان الترابط الوثيق بين التحصيل العلمي والتنزيل العملي لهذا العلم قصد الإصلاح والتربية، وقد كان هذا التلازم أمرا مركزا عند العلماء المصلحين الذين كرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة دينهم وأوطانهم ومن جملتهم الشيخ المصلح مصطفى ماء العينين رحمه الله.

- استطاع الشيخ مصطفى ماء العينين بناء مجتمع نام بقيمه المكيئة وتدينه القويم، وكان مثالا للعالم العامل الذي ظل ينشر تعاليم الإسلام بكل مناحيه، مسهما في إصلاح مجتمعه من خلال تبرز مقومات الإصلاح.

- حرص الشيخ ماء العينين دائماً دؤوب على تعميم الدرس التعليمي والتربوي دون تخصيصه بفئة دون فئة، ولا أدل على ذلك من ذلك الجم الغفير الذين ثملوا له من فطاحل الصوفية والعلماء الكبار من الصحراويين حتى بلغوا عددا وافرا كما سبق بيانه، وهذا كان له تأثيره القوي في نشاط حركة الأمن الروحي لدى الناس.

وتبقى أعمال الشيخ ماء العينين جهودا تحتاج مزيد بيان وتكشيف وتوصيف في كل زواياها، تعليما وتربية وسلوكا وتأليفا، وخصوصا ما أسهم به رحمه الله في ثوير المكتبة والدرس العلمي من مختلف

الجهات، فهذا يستحق مزيد فتش وتنقيب للوقوف على خفي جهده وباسق عمله رحمه الله، والحمد لله رب العالمين.

### - قائمة المصادر والمراجع.

1- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تأليف: عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

2 - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف: العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية: 1413هـ - 1993م، المطبعة الملكية - الرباط.

3 - بلاد شنقيط، المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، تأليف: الخليل النحوي، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/1987م.

4 - الرحلة المعينية، تأليف: ماء العينين بن عتيق، تحققها وقدم لها: د. محمد الظريف، الطبعة الأولى، 2004م.

5 - المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم، تأليف: العلامة محمد المختار السوسي، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1381هـ - 1961م.

6 - سوس العالمة، تأليف: العلامة محمد المختار السوسي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى، 1380هـ - 1960م.

7 - الشيخ ماء العينين، فكر وجهاد، تقديم: الدكتور اليزيد الراضي، تنسيق: النعمة علي ماء العينين، مطبعة النجاح الجديدة/الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1421هـ - 2001م.

8 - صيانة الوقف في الفقه المالكي وتطبيقاته المعاصرة، وقف الشيخ ماء العينين نموذجاً، إعداد: ماء العينين البشير، بحث لنيل الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله/كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس/فاس، السنة الجامعية: 2013 - 2014.

9 - عدة المرید الصادق، تأليف: الشيخ أحمد زروق، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م.

- 10 - الفقه والتصوف، مركز الإمام الجنييد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة/ الرابطة المحمدية للعلماء، د. طارق العلي، 2016-07-29.
- 11- قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، تأليف: الدكتور حمداتي شبيها ماء العينين، الطبعة الملكية : الرباط، 1419هـ - 1998م.
- 12- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، تأليف: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى.
- 13- المؤسسات الصوفية وتحصين الأمن الروحي بالصحراء المغربية، مقال منشور بموقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ. عبد الوافي الخرشبي.
- 14 - إمارة المؤمنين ودورها في حفظ كليات الدين وقيمه الإثنين 20 مايو 2019 موقع : مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ذ : الأستاذة عائشة طه عبد الجليل.
- 15 - ترجمة الشيخ ماء العينين، المولد والنشأة والدراسة، مركز علم وعمران للدراسات والأبحاث وإحياء التراث الصحراوي - الرابطة المحمدية للعلماء - المملكة المغرب.
- 16 - منظومة ضوء الدهور، (مخطوط متوفر بالشبكة بموقع الشيخ ماء العينين).

## شعرية الأوريغامي في القصة العربية الحديثة

The poetics of origami in the modern Arabic story

د. أحلام الطويل، الدكتوراه في اللغة والآداب والحضارة العربية من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

Dr. Ahlam Attawil

ahlamattawil@gmail.com

الملخص:

الأوريغامي هو فنّ طيّ الورق عند بعض شعوب شرق آسيا منذ القديم. استلهمه الفنّان الشرقيّ من خاصية الطّي في الطبيعة من حوله وأنتج أشكالاً هندسيّة متنوّعة أضفى عليها أحياناً هيبة وقداسة جعلتا منه فناً عالياً ذا مكانة خاصّة. ولئن التفت "جيل دولوز" إلى دراسة الطّي في علاقة بفنّ الباروك وبفلسفة "لينتز" مبرزاً جدليّة المادّة والروح، فإننا نوظف في هذا المقال هذا المصطلح لمقاربة النصّ القصصيّ الحديث وننخّذ من هذا الفنّ أداة بحث مباشرة الأعمال الأدبيّة الحديثة ووسيلة للكشف عن آليات اشتغال العناصر الأسلوبية واللغوية والبنائية في هذه الأعمال التي تطوى فيها الدلالات وتتناسل المعاني من بعضها البعض. ولعلّ اتّخاذنا لهذه الخاصية محرّك بحث لدراسة بعض الأعمال الأدبيّة سوف يتيح لنا إمكانيات جديدة من شأنها أن توسّع أفق البحث وتفضي بنا إلى مجاهل لم تُطرق من قبل في العمل. الكلمات المفتاحية: الشعرية - الأوريغامي - الطّي - الجوهر -

### Abstract :

Origami is the art of paper folding among some East Asian peoples since ancient times. The Eastern artist was inspired by the folding characteristic of nature around him and produced various geometric shapes, sometimes giving them prestige and holiness that made it a high art with a special status. « Gil de Luz » turned to the study of folding in relation to Baroque art and the philosophy of Leibniz, highlighting the dialectic of matter and spirit. In this article we employ this term to approach the modern narrative text and take this art as a research tool for approaching modern literary works and a means of revealing the mechanisms of operation of the stylistic, linguistic, and structural elements in these works, in which connotations are folded and meanings are reproduced from one another. While origami is defined as the art of folding paper, folding is an essential characteristic of nature and art. Perhaps using this feature as a search engine to study some literary works will provide us with new possibilities. It will expand the horizon of research and lead us to unknown areas that have not been explored before in the work.

**Keywords:** noodles - origami - folding - essence -

## المقدمة:

تتخذ في هذا البحث من مفهوم الأوريغامي مدخلا إلى شعرية القصة العربية الحديثة من خلال نموذج من المدونة القصصية العربية الحديثة. ولئن عُرف الأوريغامي بأنه فنّ طيّ الورق عند اليابانيين والصينيين، فإنه في الواقع مستوحى من خاصية الانحناء والالتفاف، جوهر كلّ شيء في الطبيعة. وبتعمّنا في عدد من الأعمال الأدبية الحديثة شعرا ونثرا وجدنا أنها قائمة في جوهرها على الطيّ، ووجدنا في هذه الخاصية الجوهرية محرك بحث قد يمكننا من مقاربتها والوقوف على طبيعتها الفنية واستكناه منابع الرؤيا فيها. ولبلوغ هذه الغاية انتقينا عملا قصصيا حديثا هو قصة "حروف الرمل" لمحمد آيت ميهوب، وهو عمل سبق أن صنّفناه "قصة شعرية" في بحثنا الموسوم بـ "القصة الشعرية في الأدب العربي الحديث" (الطويل، 2024) ورأينا أن نضع منهجية بحث تخوّل لنا أن نفكّك طبّيات السرد ونقف على انكساراتها وتبيّن كيفية ترتيب عناصرها الأساسية في مرحلة أولى، وتناول في مرحلة ثانية جوهر العمل وذراته الأصلية والروح الفنية التي تكفل تماسك هذه العناصر وتسري في جميع أوصاله. ونقدّم بذلك محرك بحث لا يكتفي بتفكيك عناصر المنجز السردّي والبحث في مكوناته كلّاً على حدة واستخلاص جملة من النتائج تختصّ كلّ نتيجة منها بمنحى معين من مناحي العمل، وإثما يبحث في كيفية التفاف العناصر حول بعضها البعض والشكل الأوريغامي الذي يتّخذه، ويتّصّى جوهر العمل العلويّ مركز ثقله الأوحد. ويفتح لنا بذلك العمل ويفرغ حمولته الفكرية ويمكننا من مقارنته من خلال زوايا نظر مختلفة.

## الأوريغامي: النشأة والمفهوم

يعود منشأ مصطلح الأوريغامي إلى الكلمة اليابانية المركّبة من "أوري" وتعني "الطيّ" وكلمة "قامي" وتعني "الورق"، ولقد ظهر هذا الفنّ خلال القرن السادس عندما استخدمه الرهبان البوذيون في الطقوس الاحتفالية الدينية. ويعدّ كتاب "سينبازورو أوريكاتا" (Hidden Senbazuru orikata) لـ"جي. روكوان" «G.Rokoan» الذي وضع سنة 1797 أول مؤلّف يتحدّث عن هذا الفنّ. وتعتمد تقنيات هذا الفنّ الأساسية على بناء نماذج تستند إلى مخطّطات بسيطة للطّيّات الأساسية وتنتهي إلى أشكال هندسية ثلاثية الأبعاد شديدة التعقيد. ولقد اتّسع مجال استخدام تقنيات الأوريغامي ليشمل الرياضيات والفيزياء والتكنولوجيا الحديثة مثل الهندسة الميكانيكية وهندسة الطيران والصناعات الفضائية، وذلك بتصميم هياكل معقدة قابلة للطيّ - مثلها نجد في المركبات الفضائية أو في مجال الطبّ بتصميم أدوات طبية قابلة للتوسع لتسهيل العمليات الجراحية الدقيقة.

ويعدّ طائر "الكركي" أحد أهمّ تصميمات الأوريغامي الكلاسيكية في اليابان وهو، حسب الأساطير القديمة، كائن روحيّ مقدّس يمنح الإنسان الحظّ الجيد والسّلام الأبديّ. وحديثا، ألهمت

أعمال الفنّان الياباني "أكيرا يوشيزاوا" الذي ابتكر تقنية الطّي الرطب العديد من المشتغلين بهذا الفنّ فوضعوا تصاميم أكثر تعقيداً وطوّروا تقنيات جديدة. ويختلف الأوريغامي باختلاف كيفية استخدام الورق، إذ منها التقليدي الأصلي الذي لا يقبل القصّ أو الإلصاق، ويعتمد على طي ورقة واحدة للحصول على أشكال فنية ثنائية الأبعاد أو ثلاثية. ومنها الأوريغامي المعياري الذي يستخدم ورقين أو أكثر لابتكار أشكال أكثر تعقيداً. وأمّا الأوريغامي المتحرّك فيعتمد على تصميم طيور وأشكال مختلفة يمكن تحريكها. وينتج الأوريغامي الرطب تأثيرات مختلفة وغير تقليدية بالاعتماد على ترطيب الورق قبل طيه، لإنشاء أشكال مرنة وإعطائها منحنيات مختلفة. وأمّا الأوريغامي النقي فيستخدم الطيات الأساسية فقط بالاعتماد على أشكال الأرض والطبيعة. وأمّا أوريغامي طي الشرائط فيعتمد لصنع نماذج صغيرة باستخدام شرائط ورق رقيقة بأسلوب الطي والتجعيد واللف والنسيج. وأمّا أوريغامي الفسيفساء فيتم عبر تصميم النموذج في شكل جبال وأودية لإنشاء أنماط متكررة، تظهر عناصرها المرتفعة بلون أدكن من الورق عند تعريضه لمصدر ضوء. ويعتمد الأوريغامي الكروي على الأشكال الكروية المصنوعة من عدة طبقات. ولقد طوّر بول جاكسون تقنية الأوريغامي المجدد التي تعتمد على تجعيد الورق قبل طيه، وقد مكّنته من إنشاء تصميمات أكثر واقعية. (Assis & Donovan) واستعراضنا لأساليب الطي هذه ضرورة منهجية في بحثنا هذا، سوف تمكّننا من تحديد الأوريغامي الخاص بكلّ نصّ أدبيّ على حدة.

2- الأوريغامي: خاصية جوهرية في الطبيعة:

يعتبر الطي خاصية جوهرية في الطبيعة ويمثّل حركة الحياة فيها، فالتفاف البتلات في البرعم الغضّ طيات، وتراكب طبقات الصّخور في الأرض طيات، والتجاعيد في الوجه طيات، وحركة الأمواج طيات، وثنايا الذاكرة طيات، تطوى كلّها ثمّ تتكشف، ثمّ تعود فتثنى وتنغلق على سرّ الوجود الأكبر، في حركة مستمرة لا نهاية لها.

ولعلّ الأوريغامي أو فنّ طي الأشياء وبسطها خاصية سارية في كلّ الفنون، وتمثّل بكلّ تنوعاتها الثيمات الأساسية في تاريخ الفنّ كلّ، من الأزّر المسبلة حول الأجساد المنحوتة في التماثيل الهيلينية، إلى انسداد الوشاح الأسود الشّيف على شعر الموناليزا في لوحة دافينشي، إلى انحناءات الغطاء الرأسيّ الشّرقّي في لوحة "الفتاة ذات القرط اللؤلؤي" 1665 للرّسام الهولنديّ "يوهانس فيرمير"، إلى ارتحاء الساعات الذّائبة في لوحة إصرار الذاكرة لسلفادور دالي، إلى حركة الدلالات المتراكبة في ثنايا اللّغة الشّعريّة تشكّل بمقتضاها جيولوجيا النصّ القصصي برّمته، وتمثّل قوة التخييل وسلطة الخيال الضّاغطة وقد اجتمع لها الغموض والإفصاح، والإخفاء والكشف، والانقباض والبسط، والظلّ والضياء، والقيّد والحريّة، والصّمت والصّوت، والسّكون والحركة.

## 3- مورفولوجيا الطّي في قصّة الحداثة:

ما القصّة الحديثة إن لم تكن طيبة تعقبها طيبة؟ كلّما فككنا منها واحدة وبسطناها سارعت بالانطواء على نفسها من جديد وأخفت ما بداخلها من دلالات، أو ربّما أحالتنا على طيبة أخرى ثانوية في قلبها. كلّ صورة فنيّة تطوي دلالة وتنطوي على دلالة، نحاول فتحها فتسارع بفكّ نفسها والانطواء من جديد وتجعلنا نسعى وراءها بين فكّ وطّي في ملاحظة متواصلة لا تني. نثقاسم قصّة الحداثة مع الأوريغامي، إذن، هشاشة البناء وصلابة الجوهر، وتنهض مثله على جماليّة الإغماض، فما انحناء سطح اللّغة وانكسار الدّلالة أو غيابها أحيانا في هذه اللّغة الشعريّة الطّاحنة المفعمة التي قطعت جميع أسبابها ورمامها وانفصلت عن الأرض إلاّ إعلان عن تحوّل العمل القصصيّ إلى كرة من ورق طافية على أفق قد زايه السّراب. ولذلك تفتضي الطّبيعة الفنيّة لقصّة الحداثة مقارنة نقديةً بآليات مختلفة باستطاعتها أن تُنور مادّتها اللّغويّة وأن تستكنه منابع الشّعور التي تغذيها وأن تنسرب بين انحناءاتها. ولعلّ البحث في صور الأوريغامي في هذه الأدبيّة المتفلّنة باستمرار محاولة لمحاصرة الظلال بين طيّاتها، وهو رحلة تيه باتجاه منابع الرّؤيا فيها.

وإذ يُعدّ الطّي خاصيّة كلّ شيء في الوجود، فإنّه سمة جوهريّة في الأعمال الأدبيّة عموما وفي الأشكال الحديثة شعرا كانت أو نثرا، يتخذ أبعادا أوسع يكتسب النّص من خلالها هندسة مختلفة تمنح قارئه القدرة على رؤيته انطلاقا من زوايا نظر مختلفة تنتهي كلّها إلى متاهة الدّلالة التي يحرص كاتب الحداثة على إخفاء منافذها طوال العمل. وتنطوي هذه النصوص، إذن، على أشكال متعدّدة من الطّيّات يرسم فيها كلّ نصّ انحناءاته الخاصّة لتتفيا ظلّالها دلالاته الخفيّة، وتكسر على حوافّها عناصر البنية.

ونعتقد أنّ تتبّع ثنایا النّصّ ومحاولة بسطها والوقوف على الأثر الذي تخلفه انكساراتها عمليّة بالغة الأهميّة في مقارنة هذه النصوص التي خرجت عن الكتابة التقليديّة والتمست تقنيات كتابة مغايرة، فلا نحتاج إلى تفكيكها لملاسة محتوياتها الفنيّة. ذلك أنّ التفكيك قد يستدعي فصل العناصر بعضها عن بعض والنظر إلى كلّ عنصر منها على حدة، وهو ما قد يؤدي إلى انحلال أو اصر الدّلالة فلا تعود القراءة مجدية ولا كاشفة عن جوهر المنجز الأدبيّ، ونلجأ بدلا من ذلك إلى فكّ طيّات العمل والوقوف على آليات البناء التي اعتمدها الكاتب وعلى طبيعة الانحناءات التي أحدثها وعلى كينيّة تكرارها، وتتبع الخطوط والانكسارات التي تمتدّ عليها شبكة الدّلالات، وتبين طبقاتها المترابطة.

وتقوم هذه المقاربة في تقديرنا على منهجية عمل تُقسّم النّصّ إلى طبقتين: طبقة تتألّف من الموادّ الأوّليّة التي تتشكّل منها عناصر المبنى الفنيّ، وطبقة أخرى تتألّف من الجوهر الذي يحركها.

أما في ما يتعلق بالقصة الحديثة فيمكننا أن نختزل عناصر البنية الفنية في مقوماتها السردية من شخصيات وأزمنة وأمكنة وأحداث وغيرها من الدعائم التي يستند إليها البناء السردى القصصي وتشكّل موادّه الأولى، التي لا يمكن أن يتطور بها المنجز السردى إلا إذا ما مدّت لها وشائج مع طبقة الجواهر التي باستطاعتها أن تسافر بها عبر تعرجات الروح، وتنثني بها في حركة طيٍ لانهائية.

وهذه الجواهر هي روح العمل وذراته الأصلية الثأوية في قلب طياته والمنغلقه على سرّها الأكبر، فلا نكتشف للباحث بسهولة وتظلّ محتفظة بالمسافات الفلكية التي تكفل دوران سائر عناصر العمل الأدبي حولها دون أن تقع عليها أو تنصهر فيها. فهي نظام محكم يراكم طبقات المنجز الأدبي ويعمل وفق معايير مضبوطة تحقق فريدة الجواهر وانسجام العناصر وترسي، في الآن نفسه، متاهة الدلالة. وقد نعثر في فلسفة لينينتز على تعريف لهذه الجواهر الفردة أو "المونادات" (والمونادة: في الأصل لفظ يوناني يعني الوحدة استخدمه أفلاطون ليدلّ به على "المثال" ويدلّ فلسفياً على الوحدة الأساسية للوجود وأما لينينتز فأطلقه على الجواهر البسيطة التي يتكوّن منها العالم وكلّ تغييراتها من باطنها ولا تتفاعل مع العالم الخارجي) (ابراهيم، صفحة 197)، المونادات التي تسكن كلّ الموجودات فهي على حدّ تعبير لينينتز: "الذرات الحقيقية للطبيعة أو بالاختصار عناصر الأشياء" (لينينتز، 2015، الصفحات 49-50)، وهي مونادات بسيطة غير مركبة وغير مادية وغير متحيّزة، لها خصائص متعدّدة فهي لا تتفاعل مع بعضها البعض وتظلّ منغلقة على ذاتها فلا تطلّ على العالم الخارجي ولا نوافذ لها. (لينينتز، 2015، الصفحات 49-50) وتحقق نظرية نظام وحدة الوجود الأولى هذه، حسب لينينتز، الانسجام الأزلي بين كل عناصر الموجودات وذلك باستبعادها لخصائص المادية للأشياء واحتزالها المادة ذاتها في الجوهر الخالص. لقد استطاعت فلسفة لينينتز أن تطلع على وحدة العالم وتنوّع اللامتناهي وأن تجمع بين انسجام الجمع واختلاف المفرد، وأن تحتفظ خلف واجهات الوضوح والانسجام والألفة والتفرد بأكبر أغاز الفكر الإنساني وبالمونادة الجوهر التي لا مداخل لها والتي تحتزل العالم كلّ في حركة طيٍ لا تنتهي.

ولقد ولج "جيل دولوز" Gilles Deleuze في مؤلّفه "الطية" Le pli إلى عمق هذا النظام الفلسفي الذي وضعه لينينتز وتبّع الوشائج التي ربطته بفنّ "الباروك" (وهو مصطلح جديّ وكلمة ذات أصل برتغالي barrocco وتعني اللؤلؤة المشوّهة. ولقد ظهر المصطلح أول مرّة في قاموس "تريفو" 1771، فورد تعريفه كما يلي: "في الرسم، إطار أو لوحة ذات طابع باروكي يعني ألاّ يتبع القوانين والنسب وأن يصرّ كلّ شيء حسب هوى الفنان". واستخدم في القرن الثامن عشر بمعنى ازدرائيّ لفرط التركيز وكثرة الزخارف خلافا لعصر التنوير الأكثر وضوحاً وواقعية) باعتباره فنّ التشوّهات والخدع البصرية والتناقضات العنيفة والمبالغات والتأثيرات القسرية. ولئن تمّ إدراج الباروك في الفترة الممتّدة بين نهاية القرن السادس عشر

وبدايات القرن الثامن عشر أي بين "المانيريسمو" *maniérisme* ( وهي حركة فنية امتدت بين القرنين السادس عشر والسابع عشر وعدت ردة فعل معاكسة لجماليات الفن الكلاسيكي وتمردا على المدرسة الاتباعية التي انتشرت في إيطاليا آنذاك والتي حددت الموضوعات التي يتناولها الفنانون وفق قواعد ثابتة) و"الروكوكو" *Rococo* (حركة فنية ازدهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر اهتمت بتمثيل المشاهد الريفية المحلية والرموز المستوحاة من الأساطير الكلاسيكية)، فإن "دولوز" لا يحدده بحقبة تاريخية أو بسياقات ثقافية معينة، وإنما يطلقه على كل العصور ليعبر به عن تركيبة الوجود كله: "فالباروك لا يتوقف عن الطي، يحني الطيات، ويعيد حنيها، ويدفعها إلى ما لا نهاية، طية فوق طية، وطية وفق طية". (Deleuze, 1988, p. 5) ويفصل "دولوز" بين طبقتين من اللانهاية، طبقة سفلية تتألف من عناصر المادة وتمتد حسب طيات معينة، وطبقة علوية تتألف من الروح الجوهر وتبوع نظام طيات مختلفا. وكل طبقة هي متاهة لا تتعدد فيها الطيات فحسب وإنما تنثني فيها كل طية بطرق مختلفة. (Deleuze, 1988، صفحة 5) ولا يمكننا، حسب "دولوز" أن نقف على أسرار الجوهر الفرد باتباعنا مسالك مستقيمة ولكننا نستكنه هذه الأسرار بتقنيننا تعرجات الروح عبر انحناءات المادة التي لا تنثني إلا بتعرضها لقوة ضاغطة تحوّل عناصرها إلى طيات تخفي كل طية منها عالمها الخاص.

يتحوّل الطيّ من هذا المنظور إلى محرك بحث يعمل وفق آليات مضبوطة من شأنها أن تكشف تركيبة العمل الأدبي وميكانيزمات اشتغاله وصلابة بنائه. وتمكّننا الخاصية الهندسية للطّي وأشكال المعمار المختلفة التي تصل حد الغرابة أحيانا من تحديد الشكل الهندسي الخاص بالأعمال الأدبية الحديثة وبسط طياتها وبيان جوهر المونادات التي التفت حولها عناصر تكوينها. وفي ما يتعلق بمقاربة الأعمال القصصية الحديثة، يمكننا أن نحدد منهجية عمل تتبع مراحل مختلفة تفضي كل مرحلة فيها إلى المرحلة التي تليها وتمهد لها. وينقسم عملنا الإجرائي إلى مرحلتين أساسيتين: فنتناول في المرحلة الأولى البنية السفلية للعمل التي ننظر خلالها في مدى تفاعل عناصرها وفق المعايير النقدية المضبوطة للعمل القصصي ووفق أنماط الأوريغامي التي تجليها الرسوم الهندسية للعمل. وتتناول في مرحلة ثانية البنية الفوقية أو طبقة الجوهر ومونادة العمل المغلقة بإحكام والتي لا تفتأ تغمر عناصر البنية السفلية بهالتها وتظل محتفظة بأسرارها إلى نهاية العمل، أو ربّما إلى ما أبعد من العمل.

أ-نعمد في مرحلة أولى، إذن، إلى تفكيك العناصر المادية الأولية للعمل القصصي، أي عناصر الطبقة السفلية: فننظر في مقومات القص التي يتوفّر عليها العمل من نتاج أحداث وزمنية مرتبطة بمآل هذه الأحداث (Adam, 1992, p. 46)، وشخصيات تنتظم انطلاقا منها سائر عناصر القص وتؤمن تحويل المسانيد من حالة إلى حالة قد يترتب عليها تحوّل في مضامين السرد، ومن حبكة تروي أحداثا وتنظّمها

وفق حكاية تامة لها وضع بداية ووسط ونهاية وتنتهج عليّة سردية تجعل الأحداث تتعاقب وفق منطق سببيّ خاصّ. ثمّ تؤول كلّ هذه العناصر إلى تقويم نهائيّ يخول إدراك هذه الوقائع وفهمها وفق المؤدى المستخلص من الحكاية. وننظر في هذه المرحلة أيضا في مدى استجابة العمل القصصيّ لهذه المعايير المضبوطة أو خروجها عنها والتماسه تقنيات حكي مغيرة.

ونحدّد في هذه المرحلة أنماط الأوريغامي التي يقوم عليها شكل الطّي في العمل إن كان تقليدياً يعتمد سطحا واحدا يَطوى إلى أشكال فنية مختلفة بهندسة بسيطة، أو معيارياً بتعدّد فيه معايير الطّي بتعدّد الأسطح المستخدمة من اثنين إلى أكثر لابتكار أشكال أكثر تعقيداً، أو كان متحرّكا تستمرّ أجزاءه في الاهتزاز لأغراض جمالية متنوّعة، أو نقياً يستخدم الطيّات الأساسية فقط بالاعتماد على أشكال الأرض والطبيعة، أو فسيفسائياً يعتمد تصاميم متكرّرة، تباين ألوانها حسب بروز عناصرها أو انخفاض تضاريسها، أو كروياً بتعدّد أوجه الطيّات فيه، أو مجدداً تتكرّر فيه النّدوب على السطح وترقّ طيّاته حتّى لا تكاد تُلحظ.

ونبسط في هذه المرحلة أيضا طيّات العمل وتتبع خطوط الثنّيات ونحدّد الشبكة الهندسيّة الثنائيّة الأبعاد التي يتوسّع وفقها العمل، فننظر في تواتر الاستعارات والصور، وفي الأساليب اللغويّة المعتمدة، وفي المعمار الداخليّ للمنجز القصصيّ.

ب- ثمّ في المرحلة الثانية إلى تحديد جوهر الطبقة العلوية واستكناه مواندة العمل التي تختلف من عمل قصصيّ إلى غيره إذ يفصح كلّ عمل عن جوهره بطريقة مختلفة. وننظر في تأثير هذا الجوهر الفرد في طبقات العمل وفي الصلّة التي يعقدها مع عناصر الطبقة السفليّة لتأمين متانة البناء وصلابة تكوينه، وتبنيّ وسائل التخفيّ والمواربة التي ينتهجها الكاتب لطمس كلّ المسالك الموصلة إلى هذا الجوهر من وسائل بلاغيّة ولغويّة وإغماض وتعمية، وننتهي إلى بيان أهميّة هذا الفصل بين طبقتي العمل في بنيته إن كان يمنحه صلابة أكثر أم يتسبب في تفكّك أو اصره.

ولقد انتقينا من المدونة القصصيّة العربيّة نموذجا قد أدرجناه ضمن جنس "القصّة الشعريّة" لما لمسنا فيه من استجابة لمقومات هذا الجنس الأدبيّ الذي يجمع بين خصائص السرد القصصيّ وأساليبه ولغة الشعر وأدواته وهو "حروف الرّمّل" (ميهوب، 1994) لـ "محمد آيت ميهوب". ورأينا أنّ تفكيك العمل إلى طيّاته الأساسيّة من شأنه أن يحرر طاقاته الفنيّة ويشعّع دلالاته الخفيّة.

4- شعريّة الأوريغامي في "حروف الرّمّل":

تعدّ قصّة "حروف الرّمّل" عملا سردياً مربكاً يراوح بين المقومات الحكائيّة الثابتة في السرد القصصيّ واللغة الشعريّة الطافحة والنسق العجائبيّ والواقعيّة السحرية. ولعلّ تصنيفها قصّة شعريّة

باعتبارها جنسا قصصياً هجيناً يجمع بين مقومات القصة وأساليب الشعر ويقع في منزلة بين الرواية والقصيدة يعدّ مرحلة ضرورية في مقارنة هذا العمل الفني الذي يتأبى عن الانفتاح ويغرق في الإبهام والالتباس، مثل أغلب النصوص الحداثيّة التي نحتاج للوصول إلى جوهرها الفنيّ أن نحيط بها من جميع جوانبها وأن نحصل شيئاً من النضج الذي تحدّث عنه روبرت شولز Robert Scholes في مؤلّفه "السّمياء والتأويل" « Semiotics and interpretation » إذ يقول: "ترفض هذه الأعمال أن تفتح لنا حتّى ننضج بما فيه الكفاية" (شولز، السّمياء والتأويل، 1994، صفحة 68) وإن كان "شولز" قد افترض في المتعاطي مع هذه النصوص "أن يكون لديه شيء من المؤرّخ وشيء من الفيلسوف (....) بل حتّى شيء من الشّخص العاديّ" (شولز، السّمياء والتأويل، 1994)، فإننا نعتقد أنّ مثل هذه النصوص تتطلّب كفاءة تأويلية متعدّدة الآفاق والتكوّينات وتستدعي خبرات ومعارف تُستقى من مشارب متنوّعة، وفي هذه الورقة البحثيّة نرى أنّ البحث في شعريّة الأوريغامي في هذا العمل الأدبيّ من شأنه أن يمكّننا من الكشف عن ظلاله وانكساراته والوصول إلى تحديد المونادة الجوهر فيه.

أ- نحت الظلال: الطيّ والبسط

ظلال الراوي:

يعدّ الشّكل السّرديّ لـ "حروف الرّمل" باعتبارها "قصة شعريّة" بناءً فينفسائياً يقوم على الانحرافات المتكرّرة والومضات والاستطرادات والأطياف الملوّنة واللّقطات الوصفية الموحية والرّموز المبهمة والانقطاعات المتعمّدة، يديرها راو يتفكّك إلى عدد من الرواة يصدرون عن مواطن تبثّر متنوّعة. ينطلق الحكيم بضمير المتكلم يديره راو سيرذاتيّ مغرق في تأملات وجوديّة ومنشغل بترتيب تفاصيل الذّكريّ نخت في صمت الزوايا المعتمة راويا "علّما" يلقّعه بضمير الغائب ويطلقه في السّرد، يتخفى وراءه حيناً ويكبّحه بلجام الواقع المرير الذي عليه أن يوقن به حيناً آخر، يقول: "استيقظ الرّسام عادل النّعمانى من غفوته اليوميّة على هسهسة خطوات عبرت الصّالة...". (ميهوب، 1994، صفحة 13) ، وراو بطل يوكل إليه سرد حكايته ويقدمه بضمير المتكلم هو الآخر: "أظنني نسيتهك وبرئت منك ثمّ تعودين كالشّفق القاسي وتطّحين بشراع سفينيّ وأرى العالم كلّ مملوءاً بضجيج ذكرياتك" (ميهوب، 1994، صفحة 185)، وراو هو شخصيّة مرجعيّة تاريخيّة، ذلك أنّ "آيت ميهوب" قد عمد إلى إدراج رسائل "كافكا" إلى حبيته في مواضع متفرّقة من القصة، غدت مثل الفكرة المهيمنة المتكرّرة leitmotiv التي تتردّد في جنبات العمل فيرتدّ إليها صدى كلّ شيء في عالم الحكاية: "وكتب كافكا إلى حبيته "فيليس" بتاريخ 23 نوفمبر 1912: عزيزتي، يا إلهي، كم أحبّك، لقد تقدّم الليل، وضعت جانبا قصّتي الصّغيرة التي لم يسبق أن اشتغلت فيها ليلتين متتابعتين وقد شرعت في الصّمت تأخذ هندسة قصة طويلة" (ميهوب،

1994، صفحة 158)، وراو هو المؤلف نفسه ينفرد بفصل يتوسط بقية الفصول وهو "الباب الخامس: ألوان الروح آثم حنين بعيد"، فيوقف السرد ليفجر بركان الألوان فكرا وحلما وأسطورة، ويقرر أن يكون من نزلاء الحكاية، ويكشف عن هويته بضمير متكلم ثالث: "الأبيض: للغريب وحدة ولي غربتان: كان كفن جدّي أول بياض أتأمّله" (....) "البنفسجي: احتراق الصّباح وردة تنفّس: من سني الأولى ، كنت أعشق الإيغال في كشوفه، لا أغمض من الليل إلا قليلا وفي ساعة بروزه ألم شظاياي وأستفيق تهزّني حمية اللّقى فأنظر إليه يتدرّى على سطح الوجود يذيب سواد الليل ويدعو بياض النّهار" (ميهوب، 1994، الصفحات 176-173-172-171-169)

ويمكننا القول إنّ العون السّرديّ وإنّ تعدّد في هذا العمل، وتفكّك من راوٍ عليم، إلى راوٍ مشارك في الأحداث، إلى راوٍ شخصيّة، إلى راوٍ هو المؤلف نفسه، إلى راوٍ هو شخصيّة مرجعية تاريخيّة، فإنّه لا يقدم سوى أنوات ملتفة حول بعضها البعض ومنقسمة على ذواتها لا تمتلك القدرة على أن تخلع عنها خساراتها، فتظلّ إلى نهاية العمل منزوية تمازل موتها منفردة، ولا يعود الراوي مجرد أسلوب صياغة تشكّل بموقعه الرواية، أو قناعا يتخفى خلفه الروائيّ ويمرر أفكاره ورؤيته الفنّية، بل يصبح كيانا أدبيا صعب المراس لا يملك المؤلف أن يحشره في زاوية رؤية محدّدة، أو أن يحصره في اتجاه معيّن، لأنّه كائن بخاصية تراكيبة، ولأنّه كينونة ملتقّة بمختلف طبقاتها حول جوهر مفرد يظلّ مخفيا إلى نهاية العمل. ولعلّ أطرف ما في الأمر هو أنّ هذا الراوي التّفكيكي هو ظاهرة أدبية لا تحتاج أن يمارس عليها قارئها فعل التّفكيك والتّحليل إلى عناصره الدّنيا بغرض استكناه أبعاده وإعادة تركيب المعنى، لأنّه راوٍ يتولّى بنفسه تفكيك نفسه، ويدخل بنفسه في حالة انعدام الوزن ويقلب بذاته المركزيّة السردية القائمة على أسبقية الحكاية على الراوي، ليصبح سابقا للحكاية، فهو راوٍ لا ينقل الأحداث وفق حبكة مضبوطة مسبقا ولكنه ينسج حباتها حسب أهوائه الخاصّة وفي كثير من الأحيان، يتخلّى عن فعل الحكيم ليأخذ المؤلف مكانه، فننتقل تبعا لذلك من السرد إلى الخطاب المباشر.

لقد نحت لنا الكاتب راويا بزوايا إسقاط متعدّدة وزوايا انعكاس مختلفة وبين السقوط والانعكاس تتراكب الظلال بين طيّ وبسط، فكلّ راوٍ يفرز من ظلّه راويا آخر وكلّ ظلّ يتفلّت من صاحبه ليستظلّ بآخر. ولكن مهما حاول هذا الراوي الإفلات من قبضة النّظام الدّلالي الذي أعدّه له الكاتب، فإنّه لا يتحقّق له وجود إلاّ بداخله، وكلّ ما يستطيع فعله هو "تأجيل" هذا الوجود، من أجل توسيع مجال الدّلالات التي يتحرّك بداخلها وبسط الثّنيات التي تلتفّ حوله والالتحام بجوهره. ولذلك فإنّ "عادل النعماني" حين أدرك أنّه وصل إلى لحظة أضحت فيها كلّ المعاني تكرر ذاتها وتهدّد بالانغلاق، قرّر أن يسلم نفسه للبحر ويعلن النّهاية في آخر فصل من القصة: "تأوه عادل النعماني وهو يلبس ماء البحر يحوم

حول قدميه وحزن لعدم قدومه هنا منذ أزمنة. كان قلبه فظًا فلم يفهم النداء. أثبت الحامل وسط الموج وعزى اللوحة البيضاء في غير اتجاه، لها في الجهات الست قدم وخطى. ومن وراء اللجة سمع أنين العالم وهو يضيق ويتكور حتى كأنه لم يكن" (مهبوب، 1994، صفحة 281).

-ظلال الشخصيات:

يفرغ الراوي شخصياته من دلالاتها ويجردّها من أية وظيفة سيكولوجية أو أثر واقعي، ويوكل إليها مهمة تأدية إيقاع الكلمات فتحمل عنها مفاتيح الصّول وتسهّل انتقالها على درجات السلم الموسيقيّ، مثل ظلال قلقة لا تنضبط لفكرة الوحدة والتناهي التي تحفل بها الرواية الكلاسيكية، لأنها لا تتنامى عبر السرد ولا تقوم بذاتها ولا يمكن أن يكون لها وجود بعيدا عن رغبات الراوي النّزقة، فهي شخصيات ثابتة الخصائص تمرّ عبر حقل السرد دون أن تكتسب منه ككلمة أو وزنا فتظلّ محافظة على خاصيتها الطاقية ولا تتحوّل إلى كينونات مادية تتفاعل مع ما حولها، وكأنّها "فوتونات" (الفوتونات: هي جسيمات أولية ما دون ذرية وهي التي تكوّن الضوء وهي جسيمات لا كتلة لها) ضوئية لم يكسبها عبورها "حقل هيغز" (حقل هيغز: يُنسب هذا الحقل الكموميّ إلى "بيتر هيغز" Peter Higgs وهو أوّل من تنبأ بوجوده سنة 1964، ثمّ أثبتت تجربة المصادم الهيدروني large hadron collider سنة 2012 وجوده، وهو عبارة عن حقل تمرّ منه جميع الجسيمات الأولية المكوّنة للمادّة وتكتسب كتلتها منه باحتكاكها بـ"بوزونات هيغز"، وذلك في فجر انبعاث الكون عقب الانفجار العظيم the big bang، وهو ما يفسّر كيفية اكتساب جسيماتٍ مثل الإلكترونات والبروتونات وغيرها لكلمة وعدم اكتساب جسيماتٍ أخرى مثل الفوتونات لها)، لم يكسبها هذا الحقل أيّ وزن لأنها لا تتفاعل معه مثل باقي جسيمات المادّة. فهي "شخصيات طاقية أيونية ionisée" (الأيونات: هي الذرات المشحونة إيجابا إذا فاق عدد بروتوناتها عدد إلكتروناتها، وهي المشحونة سلبا إذا فاق عدد إلكتروناتها عدد بروتوناتها) سالبة الشحنة غالبا، قد شخنها الكاتب بذاته قبل أن يُخرجها إلى عالمه الروائيّ، ويزجّ بها في واقع تخيليّ تترابك فيه كلّ الأبعاد وتواري على تخومه الدلالات. ولعلّ خلخلة بنية الشخصية، وتشدّرها بفراغاتها، وتفسخ أواصرها، وتوقّف اعتمادها على النسق السياقيّ الذي يجعلها تبدأ حكاية لتُنهيها، إنّما هو نتاج لرؤيا تفتنيّة لا تُفصح إلاّ عن انخراط لا إراديّ في هندسة قائمة على الطّي والانحناءات المتعمّدة. تعدّ خاصية التراكب والانطواء، إذن، السمة الأساسية لهذه الشخصيات المنكفئة على ذاتها والملتصقة على جدران الحكاية تجيل بصرها في الفراغ المطبق من حولها دون أن تفعل فيه. وشخصية البطل "عادل النعماني" في "حروف الرمل" التي تُفتّح منذ انطلاق الحكوي عبر سلسلة تجاربها التي لا تتجاوز عتبة الرسم ولا تبرح أطر اللوحات المثبتة على الحوامل الخشبية ما تلبث أن تعود للانغلاق على ذاتها فتتخلّى عن كلّ شيء فجأة

وتنطفئ في زبد البحر، ذات فجر، بعد أن تدرك عبثية الوجود وسرابية قبلة الحب الأولى، وتتخلى عن الحب وتذهب للبحث عنه في رسائل "كافكا" لحبيته "فيليس". وكذلك شخصية المرأة التي انفصلت عن اللوحة وسقطت بعريها البدائي على أرضية الرسم وقد ضاقت ذرعا بالألوان والظلال، وتخلصت من الأشكال والخطوط والأصباغ وشربت جوهر الحياة خيوطا من نور، تظلّ مشدودة إلى مبدعها الذي يستمرّ بغزل الورود والألوان على جسدها، يترصد انحنااته ويتيه بين تضاريسه.

تفكك الشخصيات في هذا العمل من تلقاء ذاتها فتخلع عنها أوشحتها وتداعى لانكساراتها مستنجة بالكاتب نفسه أحيانا كي يخلصها من أقدارها، يقول "عادل النعماني": "لقد هوت في هذه القيلولة وسقطت من اللوحة، أصبحت أرى فيها إصبعاً ينهض لانتهامي والشّماتة بي، أنا رسّام فاشل، فاشل، أعوض خيبة الحبّ بالألوان فإذا هي عقدة ذنب، أنقذني أيها الكاتب، وأعدّها إلى اللوحة" (ميهوب، 1994، صفحة 240)، فهي شخصيات تعاني العجز والتردّي ولا تقوى على الانفصال عن كاتبها، وتدعوه صراحة إلى إعادة ترتيب الأحداث وإرجاع عناصر اللوحة في أماكنها. إنها شخصيات واقعة تحت سيطرة الكاتب-الشخصية الذي يحرك كلّ خيوط اللعبة حتى النهاية ويستمرّ في طيّ أطراف الحكاية إلى أن تتلاشى بين أصابعه. هي شخصيات قد ولدت لحظة موتها، فلم تنلق دعوة الحياة، ولم تلامس زهرتها، ولم تحبّر لذائد فنتتها، ولم يكسبها مرورها بحقل السرد أيّ وزن فلم تتضاعف كتلتها ولم يزدد حجمها، ولم تعرف التحوّلات التي تجعل منها كائنا يتطوّر ويمو على طريقة الأبطال الكلاسيكيين، وما كان لها من همّ سوى هموم كاتبها، وقد انتزع منها خاصية الاستقرار والتحم بها وأخرجها للعالم مكتفية به وممتلئة بذاته، تحمل عنه أثقال الكتابة: "امتلائت الغرفة بأعقاب السجائر وبعج المكتب بفناجين القهوة ولكنّ الورقة ظلّت بيضاء دونما إثم، الأفكار واضحة في ذهني، متزاحمة تريد الانفلات. ولكنني ما إن أهدمّ بتشكيلها لغة وصوراً حتى أصطدم بالفراغ الزئبقي" (ميهوب، 1994، الصفحات 241-242)، هي أرواح من ورق منطوية على أحزانها ومنطوية إلى أقصى حدّ للطيّ يرصّفها مبدعها حوله مثل طيور الكركي كي تشيع السلام والطمأنينة، ثمّ ما يلبث أن يطيرها في حركة نزقة فيمتلئ بها الفضاء وتنتثر في عالم الحكاية.

#### -ظلال الزمن:

تتعدد الأزمنة في القصة الشعرية وتتقاطع اتجاهاتها وتتخلّق لحظة كتابتها في عودة مستمرة نحو أصول الحياة الأولى ونحو زمن طفوليّ حقيق لا يمتدّ ولا يتنامى. فتتمازج المفارقات الزمنية في "حروف الرمل" وتتلامس الأحقاب، تنطوي بعضها على بعض وتتخلّق الذكرى من الذكرى فيقفز "أنا" الراوي أو الكاتب من فراغ السرد ليعيد في مفارقة زمنية لم يسبق أن هيأ لها المؤلف أو برّر وجودها، ذكرى من

الطفولة البعيدة "كنت دائما أول من يستيقظ في عائلتي، ولم أكن أبالي وأنا طفل العاشرة بصراخ أمي تأمرني بالعودة إلى النوم عندما كنت في الصباحات الشتائية الباردة أذهب إلى المدرسة عند السادسة صباحا والقمر يواصل تسكعه الليلي... دائما كنت أجد عم مبروك الفطائري يعدّ أولى الفطائر فأتناول واحدة تلسعني حرارتها وأمضي وقتا وأنا أنفخ عليها" (ميهوب، 1994، الصفحات 241-242)، ثمّ نتواتر المفارقات على امتداد السرد "التلاميذ الصغار يتدافعون إلى الشارع، ها أنا بينهم صغيرا نحىلا أحمل حقيبة سوداء كبيرة وأخشى أن يجرفني التلاميذ الكبار الطوال وهم يجرون فألتصق بالحائط أحاذر في خطوي إلى أن أصل آخر الزقاق" (ميهوب، 1994، الصفحات 114-115)، "كان الليل الشتويّ ثقيلًا وثيدا بين كهوف الصمت في الغرفة الكبيرة ذات الفانوس الأصفر. وكانت أمي جالسة تطرز والكانون على خطوتين منها وخلفها الراديو الخشبيّ الكبير ينقل "تمثيلية الثلاثاء"، وكنت أجلس إلى الطاولة التي اشتراها أبي لزواجه بدينارين من نجار إيطاليّ وعلى الأرض تناثر ما مرّقت من أوراق، وكانت أمي كلّها سمعت ورقة تتمزق ترفع رأسها إليّ وتعود صامتة إلى طريزتها" (ميهوب، 1994، صفحة 183)، هو الكاتب ينجز رحلة وجوده عبر الحكاية، في لحظات يضغظ بداخلها أسئلة الفكر القاتلة، ويوقف آلة الزمنّ عامدا في أربع نقاط دوامية يحتزل فيها الكاتب الجهات الأربع، ويطوّق تجربة الحياة من جميع جوانبها، فيتنقل بين أزقة المدينة العتيقة والميناء القديم وسلام الجامع وحوش المدرسة وينتهي "كزورق صغير" بين قصاصات الأوراق الممزقة وهي "تستدير بالطاولة، بعضها منبسط والبعض مكور" (ميهوب، 1994، صفحة 184)، وقد استعصى عليه رسم حرف "p"، فيبدو له أحيانا أنه يشبه الياطر وأحيانا يشبه الفطر وأحيانا يشبه مظلة "بول"، فهو الطفل المأخوذ بحيرة الفكر، يلامس أشكال الوجود الأولى، ويهتّز وعيه الجماليّ البكر ويتساءل عن مغزى التشابه والتنافر بينها، وتخيّر الطيّات فيسطها باحثا عن سرّ الأسرار ثمّ ما يلبث أن يكورها من جديد ويحملها في جيبه ويمضي إلى الميناء القديم، يتسلّل من بين حلقات الصيادين، وكلّما وجد فراغا بين السفن والشباك رمى ببعض من أوراقه "وإذا بها تنخلّ بعد تكور وتلين بعد تكمّش" ويراها "وقد تعتبتها اللذة، تنهل من الماء وتشرب" ويخشى أن يرى فناءها فيتركها "بين أحضانها ويجري... وما كانت الأوراق تشكو أو تحتجّ..." (ميهوب، 1994، صفحة 185)، في دهشة اللقاء الأول مع الأوراق يخرج الطفل للعالم يختبر تجربة الكتابة ويتحسّس نتوءات الحروف، ويهره تحللّ الأوراق في مياه الميناء القديم وهي تسلمّ طياتها وتبسط تكويرها قبل أن تغرق في القاع وتغتسل من حبرها وتتخلّص من خطيئتها الأصلية، ويكون ذلك آخر ظهور له في القصة، فيختفي الطفل بعدها للأبد حاملا معه ظلال الذكريات الأولى.

تنكفئ كل شخصية على زمنها الخاص تطويه وتنطوي معه تحمله التفاصيل والأشياء وتحذب نسيجه المتمطي لتحوّله إلى طاقة جذب هائلة تشدّ إليها عناصر البنية القصصية بطريقة مختلفة. ليس الزمن في "حروف الرمل" مجرد إطار لبنية حديثة تتطور حيكها وفق مسار منطقي مضبوط، ولكنه انكسارات وظلال وتعرجات متممّة تفضي كلها إلى جوهر طفولي دفين. ولعلّ الانقطاعات والتقاطعات الزمنية التي تحدث عند الانتقال من حيز شخصية إلى آخر كفيّلة بتشكيل الأوريغامي الزمني للعمل الذي يجعل منه شبكة آماد مربكة وغير مفهومة للوهلة الأولى، ويجعل منه خطوطا متشعبة لا تكاد تبين بداياتها من نهاياتها. فكل شخصية تتحرك وفق لحظة بقم زمنية خاصة، ولا معنى عندها للزمن المطلق الذي يسري بالقيمة ذاتها على كل الشخصيات. غير أننا بالنظر إلى هذه الشبكة يمكننا أن نتبين الشكل الهندسي الرباعي الأبعاد الذي يطوره كاتب العمل عبر السرد حين ينحت شخصياته في مواقع محدّدة لا تبرحها إلى النهاية، ويجعلها تنازل أقدارها منفردة وتعيش داخل أزمنتها الخاصة ثم ينتهي بها الأمر إلى أن تغيض في لحظة الطفولية الأولى.

-أوريغامي البنية الحديثة:

تقوم "حروف الرمل" على بنية جدلية، تتطور وتشكل لحظة كتابتها، لأنها مشروع مفتوح باستمرار، فهي في حالة امتلاء متصل، وفعل الكتابة فيها عملية ابتناء قائمة على تفكيك العناصر السردية، وتمرد على جماليات الوحدة والتنامي والتماusk، وتجريب متواصل لا يقدم حكاية بقدر ما يفتح مجالاً للتأمل والتسأل. فعندما يفتتح كاتب "حروف الرمل" قصته بقوله: "كان يمكن أن أختار أشياء أخرى. وكان يمكن أن أقول أسماء أخرى، وأن ألون المسميات تلويها آخر وكان من اليسير عليّ أن أفتح من بين الغرف الضيقة بين أصابع السقف نوافذ لأحداث أخرى غير التي جدّف فيها البحارة قبل أن يمضي بهم الشفق إلى شواطئ الليل، شواطئ، شواطئه، شواطئها" (ميهوب، 1994، صفحة 9)، فهو يعلن عن أنها كتابة من نوع خاص لا تعيد تكريس السائد، ولا تقوم بتجسيد القيم الفنية الجاهزة، ويعدنا للسير في مسالك كتابة متشعبة تمضي بنا في كل الاتجاهات الممكنة. ولعلّ هذا الخيار في الكتابة هو الذي دفع الكاتب إلى تفتيت عناصر السرد من زمان ومكان وأحداث وتقديم بنية مفككة تعتمد على إنتاج حبكة متعدّدة، تبسط الحكاية في كل مرة بألية مختلفة ومن زاوية نظر جديدة، وتكشف في كل مرة عن جانب من محتويات المشهد القصصي، وترفض أن تنضبط للقواعد الجمالية المألوفة، فيتسلم الحكيم رواة مختلفون، يعملون على عرض الأحداث جيئة وذهابا على سلم الزمن، كل من منظوره الخاص، فينشأ من تفاعل مختلف أجزاء الحبكة صورة تحمل كل تصدعات الذات الكاتبة وتنتهي بها إلى بسط طياتها طواعية وإبراز انكساراتها.

تتكور طيات الحكمة في هذا العمل في شكل هندسيّ متعدد السطوح يعرض كلّ سطح منها مشاهد أحداث وشخصيات مختلفة فتتوالد مواطن التبئير من بعضها البعض وتضاعف زوايا الرؤية، وما الانقطاعات التي يتعمد الكاتب إحداثها بين هذه الأسطح إلاّ انكسارات هذه الطيات، تبدو جلية لوهلة كلّما حاول الكاتب بسطها، ثمّ ما تلبث أن تنفكّ من بين أصابعه وتعود للالتفاف حول نفسها من جديد، فالتناوب في ما بين حشد الرواة والتنقل بين ضمائر المتكلم والغائب يحدث بسرعة بالغة لا تتيح للقارئ أن يتبين التحوّلات السردية بوضوح، فلا يكاد يلحظ الحدود الفاصلة بين طية وأخرى وكأنّها تتحقّق بصورة طبيعية ومألوفة. ويتعمد الكاتب إحداث شرخ في منتصف الكرة الورقية التي أنفق جهده في لفّ أجزاءها بفصل أطلق عليه "ألوان الروح آثم حنين بعيد" يوقف فيه القصّ ويخاطب فيه بضمير المتكلم ألوان الطيف كلّها، يسألها ويعاتبها: "يا أيّها الأحمر! لماذا تعشق الاختفاء وخطاك تسمعها كلّ العيون، أعاشق أنت للنوم في جوف الحوت أم تخشى عليك من سحر اسمك؟" (ميوب، 1994، صفحة 169)، وللأبيض يقول: "بياضك يؤلمني، هو ذكريات الأغوار التي لم أزلها فيك وأحلامك التي لم أرها في منامي..." (ميوب، 1994، صفحة 171)، وأمّا الأزرق فهو: "بحر وسما وعيناك..." (ميوب، 1994، صفحة 172)، وأمّا الأخضر: "فيهرب من أعشاب البحر" (ميوب، 1994، صفحة 173) كلّما يناديه، والبنفسجيّ: "يتوهم اختناق اللحظة، إيقاف الخطوة، الليل في كفه سجين والنهار زائر لم يجز له العبور، عيناه ترقبان القمر ويده يحفر في المرآة كوة للأبدية ويغني لاستباق ما لا يستبق" (ميوب، 1994، صفحة 176). ينشطر النصّ بهذا الفصل إلى نصفين وينداح كلّ شطر على حدة ويتوقّف نابض السرد فجأة وتشتت الدلالات وتصير أثيرا تتشعب منه ألوان الحياة الغامضة فيتملكها شعور بالتحاليل روابط الأشياء وفكّ أواصرها وانهار وحدتها أو... ربّما بالنسجاء وانصهار عناصرها في غنائية شعرية طافحة تنضي بنا إلى متاهة الدلالة، مكنن المونادة الجوهر للعمل برمته.

ب- متاهة الدلالة في "حروف الرمل":

-طيّ على طيّ:

تتراكب طيات البنية الحديثة وتُحني الأسطح المتلاصقة باتجاه قلب الدائرة، مركز التفرّد اللانهائيّ، فتتوارد الشخوص والأطياف على الأزقة العتيقة وتمسّح بأدراج المسجد العتيق وتطلق المراكب الوردية، وتعلّق بصخور الميناء القديم، وتطبق الأبواب المشرعة على خطيئة الأزمنة الأولى، فتتوالد الحكايات من بعضها البعض وتتكسّن كلّها في الركن الخفيّ من متاهة الطيات. يقول "دولوز": "يقال عن المتاهة إنّها تضاعف لأنّ لها طيات متعددة، وليس المضاعف هو ذلك الذي تتعدّد أجزاءه ولكنّ المضاعف هو ذلك الذي يُطوى بطرق متعددة." (Deleuze، 1988، صفحة 5) ما كان للكاتب أن يبحث عن

دلالاته عبر مسالك مستقيمة أو أن يعثر على تعرجات الروح في استقامة السرد، وإنما كان عليه أن يحكم طبيّاته ويحفر لخبيثاته عميقا في انكساراتها، فنعث من حين لآخر على رسالة من رسائل كافكا لحبيته فيليس محبّة بين طيّ وطيّ أو تنوّهج من بين الشروخ "ألوان الروح" محمّلة "بأثام حنين بعيد"، او تتطير من بعض التوافد "روائح الأساطير" القديمة،...، ونعيد في كلّ مرّة ترتيب عناصر الحكاية، نقدّم راويا أو تؤخر آخر، ننضد لحظات السرد بين مفارقات واستباقات وارتدادات، نهيّ الأمكنة بيوتا وحجرات وأزقة قديمة وموانئ تمام على أسفلتها أحلام الصبا... نعدّ كلّ ما يلزنا لرحلة حكي طويلة بين مسالك المتاهة، فنتمو منذ البداية أنساق متوازية ومتداخلة يديرها رواة متعدّدون، تتقاطع أزمّنهم أو تتباعد، تتسع فضاءاتهم أو تضيق حدّ الاختناق، وقد يندفعون خارج إطار المشهد نحو أفق سريالي غير متوقّع، كأن يتدخل الراوي العليم بمقطع وصفيّ يوقف الحوار الدائر بين الشخّصيات: "فجأة ذابت الحيطان واندفع المهر يجري بين القذائف الحرام وصرخ الاعتراف التذاذ... نعم رأيتها! نعم رأيتها! ونسيت كلّ شيء، في حبال الدقائق الممتدة بين عيني ووجهها، قطع القطار الجبار صحارى اللوم والكبرياء وحين امّحت آخر وديان اللّغة، ناست بين وجهينا قطرة الحياة الأولى بعد أن سقطت من قلب التفاحة الخضراء وهامت في أفنان غيضة النوى...". (ميهوب، 1994، صفحة 26) ثمّ يستأنف الحوار كأن لم ينقطع وكأنّ برق لم يبرق وكأنّ لم تشتعل لذة في الأجساد الملتهبة، فيواري الكاتب مشهد التحام الجسدين في لفائف اللّغة المواربة ويتنقل بلا حرج بين ذكريات الشخّصية التي تحمل النصّ إلى آفاق بعيدة في لحظة سرد خاطفة. وهكذا يقوم النصّ برمته على طيّ تكويريّ تراكب فيه الطبقات وتلتف حول بعضها البعض، وتدور حسب نسق مغلق يقسمه الكاتب حين يشاء إلى أجزاء مقطعية تتكشف أخايدها وتبين مسالك المتاهة من خلالها ثمّ ما تلبث تنغلق وتعود الحبكة الكلاسيكية في التّشكّل بعد أن تنثرت في كلّ اتّجاه.

### ب-منابع الرؤيا:

لا تتبع عناصر السرد المسالك المنحنية من منطلق حركة ذاتية ولكن يتعرّض كلّ عنصر لقوة ضغط هائلة تجعله يمرّ من نقطة "ماس" *une tangente* مع مستويات العمل العليا. ونحن نعلم، مثلما أسلفنا الذكر في شرح منهج عملنا في هذا البحث، أنّ مستويات العمل العليا هي مكن مونداته الجوهر وهو مستوى، مثلما حدده دولوز، معزول تماما عن المستويات السفلية يؤثر فيها ولا يتأثر بها، وعناصر البنية السفلية التي تتمثّل في عناصر البنية السردية للعمل القصصي، تلامس محيط البنية الجوهرية أثناء اتّباعها لمساراتها المنحنية في نقاط "ماس" تعلّقها بالبنية العلوية وتكون كلّها متعامدة مع المركز الجوهر. بمعنى أنّ دوران عناصر السرد حول مونداته العمل لا يجعل منها أجزاء متناثرة وجزرا عائمة لا رابط

بينها، ولكنها بنية مترابطة تتراكم في شكل طبّيات تبيّن في دورانها في كلّ مرّة عن واجهة من المبني في حين تُحجب الأجزاء الأخرى بظلال الطيّات إلى أن يحين زمن كشفها. وينشّد كلّ جزء إلى هذا الجوهر، منبع الرّؤيا الأوحّد، برابط خفيّ يعمل الكاتب على طمسه ومحو أثره طوال العمل وهو ما نحاول استكناهه في هذه المرحلة التي نستنتق فيها طبقة العمل العلوية ممكن مونداته.

### ب- مونداة العمل: جوهر الطّي:

لا تفصح "حروف الرّمل" عن جوهر "مونداتها" بسهولة باعتبار أنّها عمل يستمدّ أديته من تضافر السّرديّ والشّعريّ، عبر مجموعة من الأنظمة اللغوية والأساليب البلاغية التي تقترب به من طبيعة الشعر الإيحائية وتشرف به على حافة الانغلاق والإبهام. وقد يمكّننا النظر في كيفية اشتغال علائق هاته الأنظمة الداخليّة، وكيفية ملامستها للمعنى العميق للنصّ من إدراك جوهر الطبقة العلوية للعمل وإحداث منافذ قسرية تفضي بنا إلى ممكن الرّوح فيها. وقد لا نجانب الصّواب حين نعلن أنّ مونداة هذا المنجز القصصيّ هي صدوره عن جوهر الفكر الرومنطقيّ حيننا، وغربة، وخيالاً، وشوقاً فاضحاً إلى أصول الحياة الأولى، وعودة أبدية إلى أزمنة النقاء الطّفوليّ، وروحا هائمة في فضاء من الألوان والرّؤى. يمكننا أن نقول، إذن، إنّ هذا العمل هو محاولة من الكاتب "ترميم أناه" (غوسدورف، 2018، صفحة 53)، على حدّ تعبير جورج غوسدورف Georges GUSDORF، كي يعود "مخبراً مركزياً للدلالات وبؤرة الكيمياء الكونية" (غوسدورف، 2018، صفحة 53)، فلا يكون شتاتاً على هامش واقعه الإنسانيّ، وإتّما يكون ملاذاً محصّناً للوعي "فيخضع لحيويته الواقع في كليته" (غوسدورف، 2018، صفحة 53). ومهما أحكم الكاتب إغلاق طيّاته وإخفاء جوهر عمله فإنّ مسالك المتاهة قد أفضت كلّها إليه، وابتدأ تاريخ العالم من جديد مع وعي طفل برز من العدم، مثلما نصّ على ذلك الميثاق الرومنطقيّ: "إنّ تاريخ العالم يبدأ من جديد مع كلّ وعي يبرز من العدم، على ضوء معرفة تشكّل نفسها من جديد لتحديد الفضاء الحيويّ لكلّ أنا يستأنف لحسابه الخاص المغامرة الإنسانيّة" (غوسدورف، 2018، الصفحات 53-54). ولقد أغلق الكاتب منافذ مونداته بوسائل متعدّدة من إغماض وإغماض وتكثيف وترميز وتعمية للمعنى، إذ يتشكّل المحتوى السّرديّ لـ "حروف الرّمل"، في سياق كتابة تتسم بانحرافات بارزة وحيود عن الجماليّات الرّاسية. ذلك أنّ التلاعب بخاصية التتابع في الأحداث الذي يعدّ مقوّمًا من مقوّمات البناء القصصيّ، والإمعان في كسر الزّمن وتفتيته أو حتى محوه، واختزال الشّخصيّات في كائنات رؤيوية فلسفية جوهريّة ثابتة لا تتطوّر، وعدم الاعتراف بتحوّل المسانيد، وعدم الاحتفال بالنظام السببيّ الذي يدمج الأحداث في حبكة تؤمّن توازن العمل، يجعلنا نسّم هذا المنجز القصصيّ بالمروق عن الثوابت السردية للعمل الروائيّ وبأنّه مغامرة سردية يخوضها صاحبها من أجل فهم أبعاد الذات

الإنسانية. ذلك أن هذا العالم القصصي المفكك ذا البناء الهش الذي يفتقر إلى المنطق العقلي المؤلف والتناهي العضوي المنظم، ويقوم على تعمية المعنى وإغماض الدلالة، يجد في حركات السرد المبتورة وفي صمت المعاني وفي لغة الشعر وفي القفزات المفاجئة وفي تلاشي الفعل وفي انزواء الشخصيات، الأداة المثلى للتعبير والصيغة الأنسب لإقامة المكونات البنائية للنص.

وتعتبر "حروف الرمل"، بهذا المعنى، نظاماً لغوياً قائماً بذاته، تتحدّد دلالاته ومعانيه، باشتغال علاقته الداخلية، وبمحتوياته المضمونية التي تخترق باستمرار حدود البنية اللغوية السطحية، لتلامس مستويات متراكبة من المعنى عبر الانزياح والرمز والإيحاء، والكثافة، والترجيح الإيقاعي الداخلي، الأمر الذي يمنحها طابعاً أسلوبياً يجعلها في منزلة بين منزلتين من القصة بمعناها الكلاسيكي، والشعر بما هو صور وعاطفة وموسيقى. وتنهض اللغة، إزاء بنية متصدّعة، وشخصيات مفرّغة الكيان، وأزمة متداخلة، وأمكنة هي أقرب إلى عوالم السحر والخرافة، بمهامّ متعدّدة، فتُشحن بحمولة رمزية، وتضطلع بالوصف والإيحاء والتصوير وتنظيم الإيقاع وتحقيق انسجام المعنى داخل مقولات الانكسار والتشظّي والتفتت التي تحكم هذا البناء القصصي، فينزح الكاتب إلى استخدام اللغة استخداماً يحفز طاقتها الشعرية، ويربطها بغنائية الذات المتلهّفة للحفر في مجاهل النفس. ولعلّ أهمّ مظاهر هذا الإغماض تتمثل في الانزياح التركيبي للجملة، من ناحية، والانزياح الدلالي الذي يتعلّق بأبعاد الصورة المجازية، من ناحية أخرى، وهما يفتحان النصّ على الشعر والتكثيف الإشاري والرميز، فتراكيب مثل: "ثمّ جاء البحر، صعد الدرجة الأولى وكنت آنذاك أرشّف من شفّيتك طعم الصنوبر، آخر غابة في الجنة" (ميوب، 1994، صفحة 36)، تأتي في شكل جمل منتظمة حسب ترتيب يحفظ لها الطبقة الأولى من المعنى الذي يحقّقه لها احترامها لقواعد التركيب النحوي، غير أنّ الدلالات فيها لا تحقّق وظيفتها التواصلية بطريقة مباشرة، وتوهنا للوهلة الأولى بانفصام الدالّ والمدلول وافتقاد المعنى، فلا يتسنى لنا تحقيق هذا التواصل إلاّ باللجوء إلى عمليتي "الترميز" و"فكّ الرموز" اللتين تحدّث عنهما "جان كوهن"، فنسير في العملية الأولى من الأشياء إلى الكلمات، ونسير في العملية الثانية من الكلمات إلى الأشياء، ونفصل المحتوى عن العبارة الخاصة به (كوهن، 1986، صفحة 33)، فتحرّر الفكرة ويصبح بالإمكان التعبير عنها بعبارات متعدّدة، ونعبر من لحظة الإنتاج الأولى، إلى اللحظة الشعرية، أي من لحظة "عرض الانزياح" إلى لحظة نفيه (كوهن، 1986، صفحة 194)، كما يقول "كوهن". ويعيد النصّ تشكيل معانيه التي افتقدتها في مستوى الدلالة المرتبط بالمطابقة الخاصة بالنثر، ويتوسّل بالإيحاء والانفعالات والعاطفة التي تمنحها إياه الصورة الشعرية.

وأما الصورة في "حروف الرمل" فتتعدد أوجهها رمزا واستعارة وأليغوريا، فهي قوة تجريدية تجد في الخيال مساحات للتفتح والاستقلال عن مدركات الواقع الحسي، وتنشئ متخيلا إيحائيا يتحرك بداخله النص فيبلغ أقصى دلالاته التعبيرية. وهو مجاز الفكر أكثر منه مجاز اللفظ، إذ هو مختلف عن الصور المألوفة والمتداولة في الكتابة الشعرية أو القصصية. إنها لغة قائمة أساسا على التخيل، قد تخلت فيها الدوال عن مدلولاتها لتكتسب مدلولات مختلفة، مشحونة بفكر صاحبها وبوجع الذات المرافق له: "الغراب الشتوي يتشاءب والورد الضبابي يئن من وجعه الرمل، الشاطئ كما يجب أن يكون وحشة وامتداد وترجيع، انخطى سؤال يتفيا لغز المسافة، لن تلتهمنا حبة الرمل" (ميهوب، 1994، صفحة 35) فلا تعود المدلولات، بهذا المعنى، معنية بالالتحاق بدوال تحيل عليها مباشرة وتجعل التقاط المعاني أمرا يسيرا ومتاحا، ذلك أنها دوال قد أفرغت من محتوياتها التقليدية وشحنت بمعان تناسب وحالة الارتباك والتيه والحيرة التي يعيشها حشد الرواة ومن ورائهم الكاتب نفسه. وتشي درجة التكثيف والتعمية في هذه الصور بوصول الكاتب إلى قناعة راسخة بقصور الواقع، من ناحية، وعجز اللغة، من ناحية أخرى، عن احتواء مساحات حزنه ولذلك كان لزاما عليه أن يدخل في تجارب تعبيرية جديدة من شأنها أن تحقق ذلك التفاعل الكيميائي بين العبارة ومدلولها، فيصبح النص نظاما لغويا تتحدد وظائفه عبر شبكة من العلاقات الداخلية التي تتجاوز البنية اللغوية السطحية لتستنطق مستويات أعمق من الدلالة والمعنى. ويصبح الترميز والإيحاء والتكثيف والانزياح، والإيقاع الداخلي الوسائل المثلى التي تنهض لغة القصة الشعرية من خلالها بمهامها الإبداعية في بنية مهتزة، بشخص هي أشبه بالظلال، وفي أماكن متعددة الأبعاد، وأزمنة متشظية. فمضمون "حروف الرمل" الذي هو مضمون شعري طافح بغنائية طاغية جعلت الرسام يلتحم بلوحته حد التماهي ويسلط عليها من طاقات خياله ما يخرج صورة المرأة فيها للحياة، قد أوقع الكاتب في حيرة قاتلة إزاء الذات بين ما تمتلكه من قدرات إبداعية تجعلها مصدر الخلق ومنبع الوجود، وما تفتقده من قدرات تجعلها حبيسة أشياء فتكون متعلقة تعلق العاجز بكل ما يحيط بها وإن كان صنيعا يدها. ولذلك فإن مضامين الذات التي هي مضامين شعرية بالأساس، ما كانت تحتاج تعاطيا سرديا كلاسيكيا أو حتى شبه كلاسيكي، وإنما كانت تحتاج معاملة خاصة تحكم طبي أجزاءها وتحفظ على أسرارها.

ولئن حرص الكاتب على تغليف موندته بكل وسائل التعمية والإغماض التي كان يعبر بواسطتها متخفيا بين طبقات منجزه السردية، فإن خربشات الطفل على جدران الحكاية قد أوصلتنا إلى جوهر الفكر الرومنطقي الذي يظهر بوضوح مع كل تجل للطفل، يرى أحيانا وهو يركض على سلالم المسجد العتيق، ويرى أحيانا أخرى وهو مستلق على صخور الميناء القديم، أو يرى وقد حملته سيل الأطفال في

المدرسة فينزوي يتحسس قصاصات الورق في جيبه. وتحيلنا هذه التجليات على منابع الذكرى الأولى ونقاء الأزمنة الطفولية تحلق فيها الروح متشوفة إلى العالم العلوي، مكن الجوهر المطلق. وما تنوع الكاتب الألوان واحتفاؤه بها إلا محاولة لتغطية أسطح الأورغامي الهندسي للعمل بطبقات الأصباغ وقد أطلق ريشة الرسام بين جنباتها.

وقد يذهب البعض إلى الاعتقاد أن الأشكال الأدبية الحديثة لا جوهر لها لأنها منذ أن توجهت نحو الذات أصبحت في الأغلب غير ذات موضوع، فقد تقلص المسافة بين الكاتب ومنجزه لدرجة يرق معها الموضوع المطروق حتى ليكاد ينعدم أو قد يتماهى تماما مع طارقه، وقد يغدو الطموح الأدبي الأعلى عند بعض الكُتاب مثل "فلوير" أن يتخلص من كل مواضيعه ويكتب كتابا عن لا شيء، يقول: "ما يبدو لي جميلا وما أريد كتابته هو كتاب عن لا شيء، كتاب لا رابط له بالخارج، كتاب يتماهى بذاته وبقوة أسلوبه الداخلي، مثلما تتماهى الأرض في الفراغ بلا عمد، كتاب لا يكون له موضوع أو يكاد، أو على الأقل يكون موضوعه غير مرئي تقريبا" (من رسائل جورج ساند جوستاف فلوير، رسالة بتاريخ 3 أبريل 1876). وقد يؤكد البعض أن أدب الحداثة الذي ولد في عصر تفككت فيه روابط الأشياء هو أدب المعاني والدلالات الضائعة التي انفصلت عن الواقع ونأت عنه في غيابات العبث والعدمية، غير أننا نعتقد أن هذه الأعمال الحديثة وإن تقلص فيها الموضوع أو تلاشى فإن جوهرها قائم لا محالة. ذلك أن افتقاد العمل جوهره يفضي به حتما إلى التفكك والتحلل، فتفصل طبياته وتطير في كل اتجاه ولا يعود ثمة مركز يجمعها. ولذلك فإن كل عمل أدبي لا بد أن ينطوي على مواندة جوهر تحقق توازنه الداخلي، وتكفل استقرار أركانه، وتطلق الروح السارية بين أوصاله.

وللفصل بين جوهر العمل وموضوعه يمكننا أن نحدد جملة من الشيمات تدور حولها أحداث "حروف الرمل" مثل الفن والحياة، أو معاني الحب، أو المرأة الروح والمرأة الجسد، أو شقاء الفنان بذاته، أو غيرها من المواضيع التي شغلت بال المؤلف أثناء الكتابة، لكن جوهره أو مواندته تتجاوز الموضوع وتتركز في مستويات الفكر العليا، وتظل منغلقة في بنيتها الفوقية على أسرارها، تختل عناصر السرد وتلاعب الدلالات بما ترشحه من معاني الأبدية، فهي تركيبة فكرية وروح فنية يختص بها المبدع دون سواه وتطبع مجمل عمله أو ربما مجمل أعماله، وهي التي تؤمن انحاء أجزاء المنجز الأدبي وتراكم طبياته على مركز الثقل الأوحده فيه. ومواندة "حروف الرمل" هي الروح الرومنطيقية الذي يحدث تجلياته الكبرى في كركرة الضحكات الطفولية أو في رسائل الحب الملتبته يرسلها كافكا لحبيبته، أو في أمواج البحر تحو أحزان العاشقين، أو في امتداد الأزرق والأخضر والأحمر والأبيض سماء وعميونا وغابات وحقولا، وهي هذا "المذاق الأول"، وهذا "المعطي المقترن مباشرة بالوجود المؤسس ليقظة الوعي الأصلي

يكسب الأنا خاصية مميزة" (غوسدورف، 2018، صفحة 54)، تعطي هذا الوعي الروماني علامته  
اختلافه وتفردته.

#### الخاتمة:

يتضح في خاتمة هذا البحث أنّ استنطاق بعض النصوص الأدبية ذات العوالم الغامضة والمحيّرة  
يقتضي منا أن نلتمس وسائل مختلفة للقراءة من شأنها أن تولجنا إلى مستويات أعمق من الدلالة. ولقد  
وجدنا في الأشكال الفنية للأوريغامي ضالتنا وحوّلناها إلى محرّك بحث استطعنا أن نفكّك بواسطته البنية  
الهندسية السفلية للعمل فنقف على طبيّاته وانكساراته وتنقل بين مفارقاته ورموزه وننزوي مع شخصه  
وأطيافه، واستطعنا أن نتسلّق إلى بنيته الفكرية العليا ونكشف عن موانعها الجوهرية، وعن الروح الفنية  
التي تسري في أوصاله وتسم هذا الفكر بفرادته واختلافه. وقد تمنحنا شعيرة الطي، من هذا المنظور،  
مجالاً أوسع لقراءات نقدية متعدّدة وغير تقليدية ذلك أنّ الرواية العربية في ظلّ ما تواجهه من مخاطر  
التجريب والاختبارات التقنية وصعوبات التلقّي ومحاذير القفز عن الواقع الأدبيّ تحتاج إلى مواكبة نقدية  
تأخذها من زوايا مختلفة وتعمّق أبعادها الجمالية والفنية باستخدام تقنيات مغايرة.

#### الهوامش:

- (الطويل) أحلام. (2024). القصة الشعرية في الأدب العربي الحديث (الإصدار 1، المجلد 1). برلين: المركز  
الديمقراطي العربي.
- (آيت ميهوب) محمد. (1994). حروف الرّمل. تونس: دار المغرب العربي للنشر.
- (شولز) روبرت. (1994). السيمياء والتأويل (الإصدار 1، المجلد 1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (غوسدورف) جورج. (2018). الإنسان الروماني (الإصدار 1، المجلد 1). (محمد آيت ميهوب، المترجمون)  
تونس: دار سينترا، معهد تونس للترجمة.
- (كوهن) جان. (1986). بنية اللغة الشعرية (المجلد 1). (محمد الولي، و محمد العمري، المترجمون) المغرب: دار  
توبقال.
- (ليبنتز) غوتفريد فيلهلم. (2015). المونادولوجيا (المجلد 1). (ألبير نصري نادر، المترجمون) بيروت: مكتبة الفكر  
العربي الجديد.
- (مدكور) ابراهيم. (بلا تاريخ). المعجم الفلسفي. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع.

(Adam) Jean-Michael .(1992) .*Les textes: Types et prototypes* .(المجلد 1) Paris: Nathan

(Assis) Michael و (Donovan) Michael .(بلا تاريخ) .origami britannica retrieved, article history .*britannica encyclopaedia*.

(Deleuze) Gilles .(1988) .*Le pli* .(المجلد 1) Paris: Edition de Minuit.

العلاج بالفن: رحلة إبداعية نحو الاستشفاء الاجتماعي

"الفن التشكيلي من التعبير إلى العلاج، وصولاً إلى التغيير السلوكي"

Art therapy : A creative journey towards social healing

"Visual arts from expression to therapy, leading to behavioral change"

أريج ذبيبي/ باحثة في الفنون التشكيلية - جامعة صفاقس، تونس

البريد الإلكتروني: [Arijdhibi02@gmail.com](mailto:Arijdhibi02@gmail.com)

الملخص:

يشكل العلاج بالفن، ولا سيما الفن التشكيلي، أداةً علاجية قوية تساهم في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للأفراد من جميع الأعمار، وخاصة الأطفال والشباب. يعتمد هذا النوع من العلاج على استخدام الفن كوسيلة للتعبير عن الذات واستكشاف المشاعر والأفكار، مما يساهم في تحسين التواصل، وتقليل التوتر، وتعزيز الثقة بالنفس. أثبتت الدراسات أن العلاج بالفن فعال في معالجة مجموعة واسعة من الاضطرابات النفسية، مثل الاكتئاب والقلق واضطرابات طيف التوحد. كما أنه يساهم في تطوير المهارات الحركية والإدراكية والاجتماعية، وتعزيز الإبداع والتفكير النقدي. يمكن دمج العلاج بالفن بفعالية مع العلاجات التقليدية الأخرى، مثل العلاج السلوكي المعرفي، لتحقيق نتائج علاجية أفضل. ويعد التعاون بين المتخصصين وتحديد أهداف علاجية واضحة، وبناء علاقة علاجية قوية، من العوامل الأساسية لنجاح هذا التكامل. ركز المقال على أهمية العلاج بالفن التشكيلي في تطوير الصحة النفسية للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث يوفر لهم فضاءً آمناً للتعبير عن أنفسهم وبناء علاقات اجتماعية صحية. كما ناقش دور الفن في التعليم وابتكار المعنى، وأكد على أهمية دمج الفن في المناهج الدراسية لتعزيز قدرات الطلاب المتعددة. وخلص المقال إلى أن العلاج بالفن ليس مجرد نشاط ترفيهي، بل هو أداة علاجية فعالة تساهم في بناء مجتمع أكثر صحة وسعادة.

الكلمات المفتاحية: العلاج بالفن، الفن التشكيلي، الصحة النفسية، الفعالية العلاجية، التعبير عن الذات، العلاجات التقليدية، العلاقة العلاجية، التكامل العلاجي.

### Abstract :

Art therapy, particularly visual art, has emerged as a potent therapeutic tool that significantly enhances the psychological and social well-being of individuals across all age groups, especially children and adolescents. This therapeutic approach leverages art as a medium for self-expression, exploring emotions and thoughts, thereby improving communication, reducing stress, and boosting self-esteem. Research has consistently demonstrated the efficacy of art therapy in addressing a wide range of psychological disorders, including depression, anxiety, and autism spectrum disorders. Moreover, it contributes to the development of motor, cognitive, and social skills, fostering creativity and critical thinking. Art therapy can be effectively integrated with traditional therapies, such as cognitive-behavioral therapy, to achieve optimal therapeutic outcomes. Collaboration among specialists, setting clear therapeutic goals, and establishing a strong therapeutic relationship are essential components of successful integration. The article emphasizes the significance of art therapy in enhancing the psychological well-being of children with special needs, providing them with a safe space for self-expression and building healthy social relationships. It also delves into the role of art in education and meaning-making, underlining the importance of integrating art into curricula to foster the development of diverse student skills. The article concludes that art therapy is not merely a recreational activity but a powerful therapeutic tool that contributes to building healthier and happier societies.

**Keywords:** Art therapy, Visual art, Mental health, Therapeutic efficacy, Self-expression, Conventional therapies, Therapeutic relationship, Therapeutic integration.

## مقدمة:

لطالما كانت الممارسة الفنية جزءاً لا يتجزأ من التكوين الإنساني، فهي تجسيد فطري للدافع البشري نحو التعبير والإبداع. وقد حظي الفن بمكانة مميزة في حياة الإنسان، كونه لغة معبرة تتخطى حدود الكلمات، قادرة على تجسيد المشاعر والأفكار والدفائن الداخلية. ومن هذا المنطلق، برز العلاج بالفن كأداة فعالة في مجالات الصحة النفسية، حيث يُتيح للفرد فرصة التعبير عن ذاته ومشاعره، مما يساعده على معالجة الصدمات، وتحسين التواصل، وتعزيز المهارات الاجتماعية. كما يساهم في التعامل مع الصراعات العاطفية، وزيادة معرفة الفرد بذاته، ومحاربة التوتر والاضطرابات العصبية. ويمتد تأثير العلاج بالفن ليشمل شريحة واسعة من الأفراد، ويقدم فوائد جمة للأشخاص من مختلف الأعمار، بدءاً من الأطفال، مروراً بالمرهقين، وصولاً إلى كبار السن، ناهيك عن ذوي الاحتياجات الخاصة مثل المصابين باضطراب طيف التوحد.

غالباً ما يواجه هذا النوع من العلاج تساؤلات حول فعاليته، حيث يعتبره البعض مجرد نشاط ترفيهي لا يؤثر بشكل جوهري على الحالة النفسية إلا أن بعض الدراسات تشير إلى دور الفن كعلاج تكميلي يساعد على التغلب على الاكتئاب، واحداث تغييرات ايجابية في الحياة. فلم يقتصر دوره فقط على التعبير والعلاج، بل امتد ليشمل المجالات السلوكية أيضاً. اذ أظهرت الأبحاث العلمية ان الفن بشتى أشكاله، يمثل لغة عالمية فاعلة في التواصل والتعبير، تتجاوز الحواجز اللغوية والثقافية. وأثبت ذلك من خلال البرامج العلاجية التي تعتمد على مجموعة متنوعة من الأنشطة الفنية كالمسرح والموسيقى والفنون البصرية. لذا، تسعى العديد من المؤسسات إلى تعميم العلاج بالفن في المستشفيات، خاصة للأطفال، حيث يعتمد العلاج بالفن التشكيلي على علاقة علاجية عميقة بين المعالج والطفل، بهدف تسهيل التواصل بينهما وتيسير عملية التعامل مع المرض، مما يؤدي إلى نتائج علاجية أفضل.

فما هو العلاج بالفن عامة وبالفن التشكيلي خاصة؟ ما هي الفوائد النفسية والاجتماعية والصحة الجسدية التي يمكن أن يحققها، لا سيما لدى الفئات الضعيفة مثل الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة؟ وكيف يمكن تحقيق التكامل بين هذا النوع من العلاج والعلاجات التقليدية الأخرى؟

1. العلاج بالفن:

العلاج بالفن هو مصطلح مركب يتكون من مفردتين: العلاج: فعل ماضٍ مبني للمفعول، يشير إلى إعادة التأهيل أو عملية الشفاء، سواء كان جسدياً أو نفسياً.

بالفن: "ب" حرف جر، يدل على الأداة أو الوسيلة. و"الفن" اسم، يدل على كل ما ينتج عن إبداع الإنسان، كرسم والنحت والموسيقى والمسرح وغيرها.

عندما نجمع هذين المفهومين، نجد أن "العلاج بالفن" هو مصطلح دال على عملية علاجية إبداعية، تجمع بين الجانب الطبي والجانب الفني، حيث تستخدم الفن كأداة للتعبير عن الذات بطريقة غير لفظية، وصولاً إلى تحقيق الشفاء والتوازن النفسي والعاطفي.

يشهد مفهوم العلاج بالفن تعدداً في التسمية، إذ يُطلق عليه "العلاج بالفن" "L'art thérapie" و"العلاج بالفنون الإبداعية" "thérapie par les arts créatifs" و"العلاج بالفنون التعبيرية" "Thérapie par les arts expressifs".

وعلى الرغم من تعدد هذه المسميات، فإنها جميعها تشير إلى حقل علاجي واحد يستخدم الفن كوسيلة للتعبير والتواصل والشفاء. إن هذا التعدد في التسمية يعكس ثراء المفهوم وتنوع آليات العمل فيه، حيث يسلم كل مصطلح الضوء على جانب مختلف من جوانب هذا الحقل العلاجي، مما يثير تساؤلات حول طبيعة العلاقة بين الفن والعلاج، وكيفية تفاعل هذه العلاقة مع مختلف الظروف النفسية والاجتماعية. فكيف يمكن، في ظل هذا التنوع، صياغة تعريف شامل ودقيق للعلاج بالفن؟ وما هي الآليات التي تربط بين العمليات الإبداعية والشفاء النفسي؟

يعد "العلاج بالفن" موضوعاً هجيناً يتركز بشكل أساسي على مجالات الفن وعلم النفس، ويشير هذا المصطلح حسب ما جاء في آخر تعريف له من "الرابطة الأمريكية للعلاج بالفن" "Association américaine d'art-thérapie" عام 2004 إلى "الاستعمال العلاجي للإنتاج الفني، وفي حدود علاقة مهنية، من قبل أفراد يعانون من مرض أو صدمة، أو مصاعب في الحياة، ومن قبل أفراد يسعون للنمو الشخصي. ومن خلال ابتكار الفن والتمتع في إنتاجه وعملياته يستطيع الأفراد أن يرفعوا من درجة إدراكهم لأنفسهم وللآخرين، والتأقلم مع أعراضهم المرضية، والضغط التي تتناهم، والصدمات التي يمرون بها، فيحسنون من قدراتهم المعرفية، ويستمتعون بمتعة الحياة الأكيدة من خلال عمل الفن" (AATA, 2004). وتعرفه الباحثة إجرائياً مصطفى (2015) في دراسة "العلاج بالفن وتنمية المهارات الاجتماعية لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد" بأنه: "استخدام علاجي من صنع الفن، ضمن علاقة مهنية مع الأطفال من ذوي اضطراب التوحد، وذلك بهدف تنمية مهاراتهم الاجتماعية". (ص. 109). كذلك، "يعرفه بوستاش وآخرون (Potash Chan, Wang & Cheng. 2015) بأنه نوع من العلاجات النفسية يجمع بين التواصل اللفظي وغير اللفظي. ويعرفه هيوت وهولتوم (Huet, & 2016)

(Holtum). بأنه عملية خلق إبداع مرئي والفحص والترجمة اللفظية لهذا الإبداع يسهل الوعي المعرفي والانفعالي، والنمو والتطور في الجلسة العلاجية" (نصير، 2019، ص.255).

يُعدُّ العلاج بالفن مجالاً متنامياً في حقل الصحة النفسية، حيث يستخدم الإبداع الفني كأداة تشخيصية وعلاجية فعالة. من خلال المشاركة في الأنشطة الفنية المتنوعة، حيث يتمكن الأفراد من التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم بطريقة غير لفظية، مما يساهم في استكشاف اللاوعي وكشف الصراعات الداخلية بطريقة صحية. إذ يوفر هذا الأسلوب بيئة آمنة للرضى للتعبير عن أنفسهم بحرية، وبالتالي التغلب على الصدمات والمشكلات النفسية. وهو ليس حكرًا على البالغين، بل يجد تطبيقات واسعة في علاج الأطفال، حيث يشكل الفن وسيلة ممتعة للتعبير عن أنفسهم ويعتبر أداة قيمة في علاج مجموعة واسعة من الاضطرابات النفسية، بما في ذلك الاكتئاب والقلق ومخلفات ما بعد الصدمة، وذلك لأنه يسمح للرضى بإعادة بناء معنى لحياتهم وتطوير آليات مواجهة أكثر صحة. علاوةً على ذلك، يُعدُّ العلاج بالفن أداة فعالة في مجال إعادة التأهيل النفسي، حيث يساهم بشكل كبير في استعادة الثقة بالنفس وتحسين جودة الحياة، لا سيما لدى الأفراد الذين يعانون من إعاقات ذهنية أو جسدية. فمن خلال المشاركة في الأنشطة الفنية خاصة التشكيلية منها، يتمكن هؤلاء الأفراد من تطوير مهاراتهم الحركية والإدراكية وتعزيز قدراتهم التواصلية.

يثير هذا السياق تساؤلات حول الطبيعة المتداخلة بين العلاج وإعادة التأهيل وماهية العلاقة بينهما في الممارسات الفنية؟

## 2. التأهيل/العلاج بالفن التشكيلي:

ان الفن وسط تعبيرى عن الذات، حيث يصل إلى أعماق النفس البشرية ويتمكن من التعبير عما عجزت الكلمات عن وصفه. إنه وسط تعبيرى دائم وملهوس، يحول المشاعر والأفكار إلى صور مرئية ثابتة، حينما تكون الكلمات قليلة وزائلة. وقد جاءت كلمة التأهيل مرادفة لكلمة العلاج في الفن التشكيلي ويقصد بها استعماله في إكساب الفرد مهارات فكرية واجتماعية وبدنية وانفعالية ولغوية. ويقصد بكلمة علاج هو التعامل مع الخامة الفنية لإنتاج عمل فني بهدف تغيير أو تعديل سلوك أو إكساب مهارة ما (بن مبارك سعد الياحي، 2022، ص.4). وأشارت الدراسات إلى أن العلاج بالفن التشكيلي فعال تجاه مجموعة واسعة من المشكلات النفسية، بما في ذلك "الوحدة النفسية (مثل: Wolf et al. 1985 Bolea

et al. 1986 Mohawk, 1989 Pond, 1998 - Brown et al., 2001-Devlin, 2006-  
( Hannemann, 2006

الإدمان (مثل: 2008- Diehls, 2007- Calligan et al., 2007- Dickson, 2007- Hanes, 2007-  
(Nosal, 2008

الاكتئاب (مثل: 2001 Sontag and Graham, 2007 Rebekah, 1990 McIntyre,  
(Brodie, 2007

والقلق (مثل: 2006 Hoog and Visser, 2006 Zarri and Massimo, 2000 Gabriel et al.,  
(2008

أو الأورام الخبيثة (مثال: دراسات تناولت استخدام العلاج بفن الرسم مع مرضى السرطان Gabriel  
2008 Hoog « Visser n » 2006 Zarri and Massimo, 2000 et al.) (محمد صابر عبد  
النيبي، ص 3-4).

كما أظهرت الدراسات أنه يمكن أن يحسن من جودة الحياة لدى الأفراد الذين يعانون من أمراض  
مزمنة مثل الاضطرابات العصبية كطيف التوحد إذ قد تعود جذور هذا التوحد إلى الطفولة، والعلاج  
بالفن يمكن أن يساهم في معالجتها من خلال توفير مساحة آمنة للتعبير عن المشاعر المكبوتة.  
يتم استخدام الفن كوسيلة للوصول إلى اللاوعي واستكشاف الأفكار الكامنة. فعندما يشارك الطفل في  
نشاط فني، فإنه لا يقوم فقط بتلوين ورقة أو نحت قطعة من الطين، بل يعبر عن تجاربه ومشاعره  
بطريقة رمزية لا يستطيع التعبير عنها بالكلمات. بالتالي، فإن العلاج بالفن ليس مجرد هواية، بل هو أداة  
قوية يمكن أن تحدث تغييرات إيجابية في حياة الطفل، مما يجعله يشعر بالتمكين والقبول.

في هذا السياق يؤكد براون وآخرون Brown et all (2001) أن "التعبير بالرسم يمكن أن يكون رمزياً  
وأقل خصوصية عن الكلمات" ( براون وآخرون، 2001، ص 4). أي أن الرموز والأشكال  
المستخدمة في الرسم قد تحمل معانٍ شخصية عميقة للفرد، ولكنها في الوقت نفسه قد تكون أقل تحديداً  
وأكثر مرونة من الكلمات. هذه الخاصية تجعلها أداة قوية في استكشاف العوالم الداخلية المعقدة. على  
سبيل المثال، قد يصور الفرد المنزل نفسه في جزيرة مهجورة ليعبر عن وحدته، فإن اللوحة أو النحت أو  
أي شكل فني آخر تصبح " انعكاسات شخصيته وقدراته واهتماماته وصراعاته" (برودي، 2007،

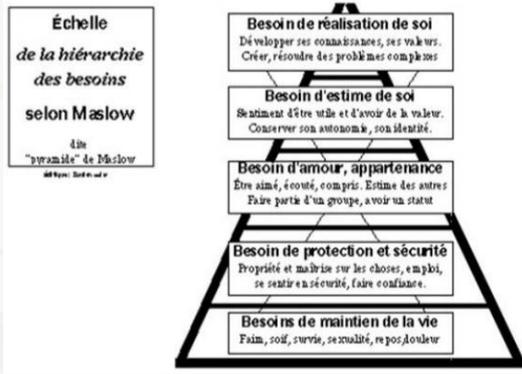
ص.2). وقد أشار شيلي Shelley إلى هذه الحقيقة بقوله إن "الفن هو الصرخة التي تصعد من أعماق النفس" (ريفيرا، 2008، ص.5).

تأخذ هذه القدرة على التعبير عن العوالم الداخلية للذات بشكل رمزي وغير مباشر أبعاداً أعمق، تجعل من الفن أداة قيمة في فهم التطور النفسي، خاصة في مرحلة الطفولة. فما هي الفوائد النفسية والاجتماعية والصحة الجسدية التي يمكن أن يحققها العلاج بالفن التشكيلي؟

3. فوائد العلاج بالفن في تحقيق الاستشفاء الاجتماعي:

في مرحلة الطفولة، تلعب الأنشطة الفنية دوراً محورياً في النمو، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي. فهي لا تقتصر على كونها وسيلة للتعبير، بل تتعدى ذلك لتشمل مجموعة واسعة من الوظائف النفسية والاجتماعية والمعرفية. يعتبر الفن التشكيلي بمثابة نافذة على عالم الطفل الداخلي، حيث يمكنه من خلاله استكشاف مخاوفه، وأحلامه، وتجاربه الحياتية. كما يساهم في تطوير مهاراته الحركية واللغوية، وتعزيز قدرته على التركيز. بالتالي، يشكل ركيزة أساسية لبناء شخصيته المتكاملة.

#### • الفن والنمو



"بناء على الاحتياجات المحددة لهرم ماسلو يتدخل الفن في نمو الطفل على مستويين الحاجة إلى احترام الذات و الحاجة إلى تحقيق الذات. فالفن يلبي جميع الحاجيات النفسية للطفل لأنه وسيط يسمح بالتواصل

هرم ماسلو.

Échelle de la hiérarchie des besoins selon

مع هذا الأخير ولكن أيضا البناء معه من خلال توفير الحماية له والأمن والحب واحترام الذات والثقة في النفس

وتحقيق الذات" (برباش، 2020).

يلعب الفن دوراً محورياً في النمو الشامل للطفل، حيث يتعدى كونه مجرد نشاط ترفيهي إلى أداة تعليمية وتعبيرية فاعلة. فمن خلال الممارسة الفنية المستمرة، يحفز الطفل قدراته الإدراكية والحركية، ويطور مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات والتعبير عن الذات. كما يمثل الفن نافذة على عالم الطفل الداخلي، حيث يعكس أفكاره ومشاعره وأحاسيسه بطرق قد تكون صعبة التعبير عنها لفظياً. تشير

الدراسات إلى أن التعبيرات الفنية، وخاصة الرسوم، توفر مؤشرات قيمة حول التطور الإنمائي للطفل، مما يساعد الباحثين والمعلمين على فهم احتياجاته وتقديم الدعم المناسب. تواتر الأنشطة الفنية يساهم في بناء شخصية الطفل المتكاملة، حيث ينمي لديه الثقة بالنفس ويقوي علاقته ببيئته. فن خلال الرسم والتصوير، على سبيل المثال، يتعلم الطفل مهارات حركية دقيقة تساهم في تحسين كتابته وقراءته، بالإضافة إلى تنمية خياله وإبداعه. وبالتالي، فإن الفن لا يقتصر على تطوير المهارات الحركية والمعرفية فحسب، بل يساهم أيضاً في تعزيز الصحة النفسية للطفل من خلال توفير وسيلة للتعبير عن مشاعره وتفريغ طاقته.

إن الفن يمثل لغة عالمية للتواصل، فهو يسمح للطفل بالتعبير عن ذاته بطرق فريدة ومبتكرة. كما أنه يعزز قدرته على التكيف والتفاعل مع العالم من حوله. لذا، فإن تشجيع الأطفال على الممارسة الفنية منذ سن مبكرة يعد أمراً بالغ الأهمية لنموهم الشامل. وكما قالت ماريا مونتيسوري Maria Montessori، فإن "الخيال يصبح عظيماً عندما يكتشف الإنسان قيمته وقوته ويستخدمه في الإبداع" (برباش، 2020). ولذلك، فإن الفن يوفر للطفل مساحة آمنة لاستكشاف خياله وتنمية إبداعه.

ولأن الفن يمثل وسيلة فعالة للتعبير والإبداع، فإنه يصبح أداة تعليمية قوية تساهم في تطوير مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات لدى الأطفال. فقدرته النشاط الفني على بناء المعاني وتوليد الأفكار تجعله أداة مثالية لتعزيز الفهم العميق للمفاهيم والموضوعات المختلفة. وبالتالي، بناء جسور قوية بين العقل والوجدان، مما يفتح آفاقاً جديدة للتعلم والمعرفة.

#### • أهمية الفن في التعليم وابتكار المعنى:

تؤكد الدراسات التربوية الحديثة أهمية إدراج الفن ضمن العملية التعليمية، إذ يتجاوز كونه مادة دراسية إلى أن يصبح أداة قوية لتنمية قدرات الطالب المتعددة. فبدج الفن في المناهج الدراسية، نخلق بيئة تعلم محفزة وممتعة تشجعه على الاستكشاف والتجريب.

تلعب الأنشطة الفنية دوراً حاسماً في تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى الطالب، حيث تدعوه إلى طرح الأسئلة، وتحليل المعلومات، وتكوين أفكار جديدة بطرق مبتكرة. كما تعزز قدرته على حل المشكلات، إذ يتعلم من خلال الممارسة الفنية كيفية مواجهة التحديات وتجاوز العقبات من خلال التجربة والخطأ خاصة في استعمال الألوان. علاوة على ذلك، يساهم الفن في تطوير المهارات الاجتماعية والتعاونية لدى الطلبة، حيث يتعلمون العمل الجماعي ضمن فريق، وتبادل الأفكار، واحترام

آراء الآخرين. والأهم من ذلك، أن الفن يساعدهم على فهم المفاهيم المعقدة بشكل أفضل وربطها بتجاربهم الحياتية. فعندما يقوم الطالب برسم تجربة علمية، أو تشكيل مجسمات تعبر عن مفهوم تاريخي، فإنه يقوم ببناء فهم أعمق وأشمل للمادة الدراسية. الفن يحول المعرفة النظرية إلى تجربة ملموسة، مما يجعلها أكثر استدامة في الذاكرة.

ولعل من أهم فوائد الفن في التعليم هو دوره في ابتكار المعنى. فهو يفتح آفاقاً جديدة للتفكير، ويحفز الخيال والإبداع. عندما يعبر الطالب عن نفسه فنياً، فإنه يخلق معنى جديداً خاصاً به، مما يعزز شعوره بالثقة والانتماء.

إن دمج الفن في التعليم هو استثمار في مستقبل أجيالنا، فهو يوفر لهم الأدوات اللازمة للتفكير النقدي والإبداعي، وحل المشكلات، والتواصل بفعالية، وابتكار المعنى. الفن ليس مجرد مادة دراسية، بل هو أسلوب حياة يعزز من نمو الفرد والمجتمع، ويتجاوز ذلك ليحرص على الصحة النفسية والاستشفاء الاجتماعي.

#### • الفن في سياق العلاج النفسي:

يعد التعبير الفني، وخاصة الفن التشكيلي من رسم وتشكيل، أداة بالغة الأهمية في مجال العلاج النفسي، لا سيما لدى الفئات التي تواجه صعوبات في التواصل اللفظي، كالأطفال والمراهقين. فن خلال الفن، يستطيع الفرد أن يعبر عن عالمه الداخلي من مشاعر وأفكار مخفية، دون الحاجة إلى ترجمة معقدة للكلمات.

يشير (Huet, V. 2015) إلى أن المزاوجة بين علم النفس والفن، وتحديدًا العلاج بالرسم، تتيح للمريض الدخول في حوار عميق مع المعالج من خلال اللغة الفنية. ويؤكد الباحث أن الاستبصارات التي يحققها الفرد من خلال هذا النوع من العلاج لا تقدر بثمن، خاصة للأفراد الذين يعانون من صعوبات في التعبير عن أنفسهم لفظياً. فالرسم يوفر لهم مساحة آمنة للتعبير عن أفكارهم وانفعالاتهم ومخاوفهم وتخيلاتهم (نصير، 2019، ص.255).

يتفق هذا الرأي مع ما لاحظناه عملياً، فالأطفال الذين يعانون من تجارب مؤلمة، كالإساءة أو العنف، غالباً ما يجدون في الفن ملاذاً آمناً للتعبير عن ما يختلج في داخلهم. فالألوان والأشكال التي يستخدمونها تحمل في طياتها دلالات نفسية عميقة يمكن للمختصين فك شفرتها. فالطفل العدواني، مثلاً، قد يلجأ إلى

تشكيل أشكال حادة في الصلصال للتعبير عن غضبه، بينما يعبر الطفل الخائف عن مخاوفه برسم رموز مظلمة وأشكال غريبة.

في سياق العلاقة العلاجية، يتيح تحليل الأعمال الفنية للمعالجين فرصة فريدة لاستكشاف العقل الباطن للمريض وكشف الدوافع الخفية التي تقف وراء سلوكه. فمن خلال التفاعل مع أعمال المريض الفنية، يمكن للمعالج أن يبني علاقة مبنية على الثقة، مما يساعده على اكتشاف جذور المشكلات النفسية ودعم المريض في فهم مشاعره ومخاوفه والتغلب عليها. ويرجع ذلك، كما أشارت دراسة بترو ووز Petrillo and Winner (2000)، "إلى آليات مثل التنفيس الانفعالي وإعادة التوجيه" (Petrillo and Winner, 2005, P.205). كما "أجرى بل وروبينس (2007) Bell and Robbins دراسة على (50) شابا وأعمارهم تتراوح بين (18 - 30) عاما واتضح من النتائج أن القيام بالرسم يحسن الحالة المزاجية، ويتفق هذا مع المعالجين الذين يرون أن الإنتاج الفني يخفف الضغوط، ويحدث سموا وارتفاعاً للحالة النفسية" (Bell & Robbins, 2007, P.71).

ولا تقتصر أهمية العلاج بالفن على الأطفال، بل تمتد لتشمل المراهقين أيضاً. ففي مرحلة المراهقة، التي تسم بالتحويلات الجسمانية والنفسية المتسارعة، يجد الفرد في الفن وسيلة للتعبير عن هويته المتشكلة والتعامل مع التحديات التي يواجهها.

أخيراً، يجدر بنا التأكيد على أن القيمة العلاجية للفن تكمن في عملية الإبداع نفسها، وليس في المنتج النهائي. فمن خلال التعبير عن الذات بحرية، يستكشف الفرد جوانب مختلفة من شخصيته ويعزز ثقته بنفسه. وبالتالي، فإن العلاج بالفن ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الذات، بل هو أداة قوية تساعد على النمو والتطور على المستويين النفسي والعاطفي.

بالتالي، يمكن القول أن الفن يتجاوز كونه وسيلة للتعبير عن الذات ليشكل ركيزة أساسية في التطور الإنساني تساهم في نمو الفرد الشامل، حيث يرافقه منذ طفولته ويمتد تأثيره ليطال مختلف مراحل حياته. في مرحلة الطفولة المبكرة، يمثل الفن نافذة على عالم الطفل الداخلي ويساهم في بناء شخصيته وتكوين هويته. أما في مرحلة الرشد، يلعب دوراً حيوياً في عمليات الشفاء النفسي. ولكن ماذا عن الأشخاص الذين يعانون من تحديات إضافية، هل يمكن أن يكون للفن دور أكثر خصوصية في مساعدة فئات معينة من المجتمع مثل الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة؟ هل يمكن للفن أن يكون أداة فعالة لمساعدتهم على التعبير عن أنفسهم والتكيف مع حياتهم؟

## 4. تأثير الفن التشكيلي على تطور الصحة النفسية للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة:

يمثل الفن التشكيلي حجر الزاوية في منظومة العلاج النفسي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ يتيح لهم فضاءً آمناً للتعبير عن عالمهم الداخلي بشتى تعقيداته ومشاعره، بصورة لا تستطيع الكلمات وحدها بلوغها. فمن خلال الرسم والنحت والتشكيل، يستطيع الطفل أن يحول مخاوفه، حزنه، فرحه، وحتى غضبه إلى أعمال فنية ملموسة، مما يساعده على فهم ذاته وتقبلها.

دراسات عديدة أكدت فعالية هذا النهج العلاجي، على سبيل المثال " Art Therapy Improves Nonverbal Communication Skills in Children with Autism " دراسة أجراها "جونسون وزملاؤه" عام 2018 على مجموعة من الأطفال المصابين بالتوحد، حيث وجد الباحثون أن المشاركة في برامج العلاج بالفن التشكيلي أدت إلى زيادة ملحوظة في مهارات التواصل غير اللفظي، مثل التعبير عن العواطف من خلال الحركات والإيماءات، مما يدعم دور الفن في تحسين التواصل الاجتماعي لدى هذه الفئة من الأطفال. كما أشارت دراسات أخرى مثل التي أجراها "جون سميث" في جامعة فلوريدا عام 2015 تحت عنوان " The Impact of Art Therapy on Behavioral Symptoms in Children with ADHD " إلى أن العلاج بالفن يساهم في تخفيف حدة الأعراض السلوكية لدى الأطفال المصابين بفرط الحركة ونقص الانتباه (ADHD)، وتحسين قدرتهم على التركيز والسيطرة على انفعالاتهم. فقد لوحظ أن الأطفال الذين شاركوا في جلسات علاج بفن الرسم، التلوين، والتشكيل بالطين أو المواد الأخرى، لمدة 8 أسابيع شهدوا تحسناً ملحوظاً، مقارنة بمجموعة أخرى من الأطفال لم تتلقى العلاج بالفن.

ولا يقتصر دور الفن على التعبير الذاتي فحسب، بل يتعداه إلى بناء علاقات اجتماعية صحية، إذ توفر الأنشطة الفنية الجماعية بيئة داعمة لتبادل الأفكار والمشاعر، مما يعزز الثقة بالنفس ويقلل من الشعور بالعزلة. كما أن المشاركة في هذه الأنشطة تساهم في تنمية المهارات الحركية الدقيقة والقدرات الإدراكية، مما يؤثر إيجاباً على التطور الشامل للطفل. ولعل من أبرز فوائد العلاج بالفن التشكيلي هو دوره في تعزيز الشعور بالكفاءة الذاتية والإبداع. فكل عمل فني يكمله الطفل يعزز ثقته بنفسه وقدراته، ويشجعه على استكشاف جوانب جديدة من شخصيته. وقد لوحظ من خلال دراسة " Art Therapy with Blind Children " التي أجراها فريق من المعالجين بقيادة "د. سوزان فان هورن" سنة 2020 على مجموعة من

الأطفال المكفوفين، أن المشاركة في ورش عمل فنية أسهمت في تطوير مهاراتهم الحسية، وزيادة قدرتهم على التعبير عن أنفسهم من خلال الألوان والملمس.

ولكن هل يقتصر دور الفن التشكيلي على الأطفال النموذجيين؟ بالطبع لا. فالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، هم الذين يعانون من إعاقات جسدية أو عقلية أو نموية، ويستفيدون بشكل خاص من هذا الأسلوب العلاجي. فالفن يوفر لهم لغة للتعبير عن أنفسهم قد تكون مفقودة لديهم في وسائل التواصل التقليدية. كما أنه يساعدهم على تطوير مهارات التواصل غير اللفظي، وتحسين قدرتهم على التكيف مع بيئتهم.

أظهرت دراسة أخرى أجريت على مجموعة من الأطفال المصابين بشلل دماغي أن العلاج بالفن ساهم في تحسين قدرتهم على التحكم في حركات أجسادهم، وتقليل التوتر العضلي. فتحت عنوان "تأثير العلاج بالفن على التحكم الحركي والتوتر العضلي لدى الأطفال المصابين بالشلل الدماغي" أجرى "د. أحمد محمد وزملاؤه" سنة 2022، دراسة على مجموعة من 30 طفلاً مصاباً بالشلل الدماغي، حيث تم تقسيمهم إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية تلقت جلسات علاج بالفن لمدة 12 أسبوعاً، ومجموعة ضابطة لم تلتق أي علاج إضافي. أظهرت النتائج تحسناً ملحوظاً في التحكم الحركي وتقليل التوتر العضلي لدى الأطفال في المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة، فاستخدام الفنون التفاعلية خاصة منها التشكيل بالطين أو المواد القابلة للتشكيل تساعد الأطفال على تحسين مهاراتهم الحركية الدقيقة والعامة، من خلال تحريك أيديهم وأصابعهم أثناء العمل الفني.

إذن، العلاج بالفن أداة علاجية بالغة الأهمية في تعزيز الصحة النفسية لدى الأطفال. إذ يستند إلى بناء علاقة ترابطية عميقة بين المعالج والطفل تتجاوز مجرد توفير المواد الفنية وتقديم التوجيه. جميع المعالجات الفنية تعتبر علاجات علائقية لأنها تتضمن تفاعلاً حسيًا ونشاطاً مشتركاً بين المعالج والفرد، مع التركيز على الاتصال. بهذا المعنى، يكون العلاج بالفن مفيداً من خلال المعاني الشعورية والحسية، فهذا الارتباط العاطفي يسمح للدماغ بإعادة تشكيل سلوكيات وعلاقات اجتماعية جديدة، لا سيما في حالات الاضطرابات العاطفية والسلوكية.

ولا يقتصر دور العلاج بالفن على مستوى الفرد، بل يشمل أيضاً الأسرة ككل بما أنها هي الركيزة الأساسية في حياة الطفل. فن خلال مشاركة الوالدين وتشجيع الطفل على الممارسة الفنية في المنزل،

يمكن تعزيز أثر العلاج وتعميق الفوائد التي يجنيها. بالتالي، دور العائلة في عملية العلاج بالفن لا يقل أهمية عن دور المعالج.

رغم أن الآليات الدقيقة لكيفية عمل العلاج بالفن لا تزال موضع دراسة، إلا أن الأدلة المتراكمة تشير إلى فعاليته في معالجة طيف واسع من الصعوبات النفسية لدى الأطفال. إذن، يمكن القول إن العلاج بالفن ليس مجرد نشاط ترفيهي، بل يمثل نهجاً علاجياً شاملاً وفعالاً يساهم في تطوير جوانب متعددة من شخصية الطفل، سواء كان نموذجياً أم ذو احتياجات خاصة. فهو لا يقتصر على علاج الأعراض، بل يستهدف تطوير القدرات الكامنة لدى الطفل، وتمكينه من العيش حياة أكثر اكتمالاً. ومع ذلك، فإن العلاج بالفن وحده قد لا يكون كافياً لعلاج بعض الاضطرابات النفسية، فهو جزء من منظومة علاجية أوسع، حيث قد يكون من الضروري دمج هذا النوع من العلاج مع العلاجات الطبية الأخرى لتلبية احتياجات المرضى بشكل كامل. فكيف يمكن تحقيق تكامل فعال بين العلاج بالفن والعلاجات التقليدية الأخرى؟

#### 5. التكامل الفعال بين العلاج بالفن التشكيلي والعلاجات التقليدية الأخرى

■ كيفية تحقيقه:

يعاني مجال العلاج النفسي للأطفال أحياناً من سوء فهم حول طبيعة بعض الأساليب العلاجية، مثل العلاج بالفن والعلاج باللعب. غالباً ما يُنظر إلى هذين النهجين على أنهما مجرد أنشطة ترفيهية، فالعلاج كاللعب يواجه التساؤلات من الآباء بأنه مجرد رسم وحرف يدوية. ولكن، كما أن العلاج عن طريق اللعب ليس مجرد لعب، فإن العلاج بالفن ليس مجرد رسم وتشكيل. بل يعتمد على أسس علمية سليمة، ويهدف إلى مساعدة الأطفال على التعبير عن أنفسهم، واستكشاف مشاعرهم، وبناء مهارات جديدة من خلال الممارسة الفنية.

يتشارك العلاج بالفن واللعب العديد من السمات المشتركة، حيث يعتمد كلاهما على التفاعل بين المعالج والطفل، وعلى توفير بيئة آمنة وداعمة تسمح للطفل بالاستكشاف والتجريب. ومع ذلك، هناك أيضاً فروق بينهما. فبينما يشجع العلاج باللعب الطفل على استخدام اللعب الرمزي للتعبير عن تجاربه، فإن العلاج بالفن يدعو إلى خلق منتجات فنية ملموسة، مثل الرسومات والنحت. هذا الاختلاف في الوسيلة يعكس اختلافاً في الأهداف، حيث يهدف العلاج بالفن إلى تطوير المهارات الإبداعية لدى الطفل، بالإضافة إلى مساعدته على فهم ذاته وعالمه.

من المهم الإشارة إلى أن العلاج بالفن واللعب ليسا نهجين متنافسين، بل يكملان بعضهما حيث يمكن دمجهما بطرق مبتكرة لتحقيق نتائج أفضل. فمن خلال الجمع بين اللعب والأنشطة الفنية، يمكن للمعالج أن يقدم للطفل تجربة علاجية أكثر شمولية، تساعد على التعامل مع مجموعة واسعة من المشكلات العاطفية والسلوكية.

علاوة على ذلك، يمكن دمج العلاج بالفن مع العلاجات التقليدية الأخرى، مثل العلاج السلوكي المعرفي، لتحقيق نتائج علاجية متكاملة. وذلك من خلال التعاون بين فريق متعدد التخصصات، حيث يتشارك الأطباء النفسيون والمعالجون بالفن في وضع خطط علاجية شاملة تلي احتياجات الطفل بشكل أفضل. هذا التكامل يسمح للمريض بالتعبير عن أنفسهم بحرية من خلال الفن، مما يساعدهم على استكشاف مشاعرهم وأفكارهم العميقة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للعلاج بالفن أن يحفز مناطق معينة في الدماغ مرتبطة بالإبداع والتفكير، مما يساهم في تحسين الحالة المزاجية وتقليل التوتر. وفهم هذا التكامل بشكل أفضل، يجب أن نستكشف الكيفية التي تتفاعل بها هذه العلاجات المختلفة مع بعضها البعض، وما هي الآليات النفسية التي تساهم في هذا التفاعل وكيفية حدوثة على المستوى العملي.

■ آلياته:

تعد مسألة دمج العلاج بالفن التشكيلي مع العلاجات التقليدية الأخرى سؤالاً بالغ الأهمية في مجال الصحة النفسية، حيث يمكن لهذا التكامل أن يعزز بشكل كبير من فعالية العلاج ويحقق نتائج أفضل للمريض. لعل أهم الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق هذا التكامل:

1. التعاون بين المتخصصين: يجب أن يتضمن فريق العلاج مجموعة متنوعة من المتخصصين مثل المعالجين النفسيين، وأطباء النفس، وفناني العلاج بالفن، وغيرهم. كما يجب أن يكون هناك تواصل مستمر بين جميع أعضاء الفريق لتبادل المعلومات حول حالة المريض وتطوراتها، وتنسيق الخطط العلاجية. مع احترام كل متخصص مجال عمله، ويقدر مساهمات الآخرين في عملية العلاج.
2. تحديد الأهداف العلاجية: يجب أن يعمل جميع أعضاء الفريق على تحديد أهداف علاجية مشتركة ومتوافقة مع حالة المريض حيث يمكن أن تكون أهداف قصيرة الأجل قابلة للقياس، وأهداف طويلة الأجل تعكس الرؤية الشاملة للعلاج. كما يجب إشراك المريض في عملية تحديد الأهداف، حتى يشعر بالملكية والمسؤولية تجاه علاجه.

3. تكييف العلاج بالفن: يجب تكييف أنشطة العلاج بالفن لتناسب احتياجات المريض وأهدافه العلاجية. ويمكن دمج عناصر من العلاجات التقليدية الأخرى في أنشطة العلاج بالفن، مثل تقنيات الاسترخاء أو تقنيات تعديل السلوك. كما يجب تقييم فعالية أنشطة العلاج بالفن بشكل مستمر، وتعديلها حسب الحاجة.

4. بناء علاقة علاجية قوية: يجب بناء علاقة مبنية على الثقة والاحترام المتبادل بين المعالج والمريض، فهدف العلاج بالفن الأساسي هو توفير بيئة آمنة وداعمة للمريض للتعبير عن مشاعره وأفكاره بحرية. كما يجب تشجيع المريض على المشاركة في الأنشطة الفنية ودعمه في تحقيق أهدافه

5. التكامل مع العلاجات الدوائية: يجب التنسيق مع الطبيب المعالج لتجنب التعارض بين العلاج بالفن والأدوية تجنباً لأي آثار جانبية قد تؤثر على قدرة المريض على المشاركة في أنشطة العلاج بالفن. مثلاً في العلاج السلوكي المعرفي، يمكن استخدام الفن لتحديد الأفكار السلبية وتغييرها، وتدريب المريض على مهارات جديدة للتكيف مع المواقف الصعبة.

إن دمج العلاج بالفن التشكيلي مع العلاجات التقليدية الأخرى يمثل تكاملاً فعالاً في مجال الصحة النفسية، خاصة في علاج الأطفال. هذا التكامل يعتمد على الاعتراف بالقيمة العلاجية للفن في التعبير عن الذات واستكشاف المشاعر، إلى جانب الفعالية المعروفة للعلاجات التقليدية في معالجة المشكلات النفسية. من خلال التعاون بين المتخصصين وتحديد أهداف علاجية مشتركة وتكييف أنشطة العلاج بالفن، يمكن تحقيق نتائج علاجية أفضل وأكثر شمولية. علاوة على ذلك، يساهم بناء علاقة علاجية قوية وتنسيق العلاج بالفن مع العلاجات الدوائية في تعزيز فعالية هذا النهج. إن هذا التكامل لا يقتصر على الأطفال فحسب، بل يمكن تطبيقه على فئات عمرية أخرى، مما يفتح آفاقاً جديدة للبحث والتطوير في مجال الصحة النفسية.

باختصار، يقدم العلاج بالفن التشكيلي، عند دمج مع العلاجات التقليدية، أداة قوية للمساعدة في التغلب على الصعوبات النفسية والعاطفية، وتحسين جودة الحياة بشكل عام.

**خاتمة:**

يمثل العلاج بالفن نهجاً علاجياً مبتكراً وواعداً، يجمع بين الإبداع والتعبير الذاتي والشفاء النفسي. إن قدرة الفرد على استكشاف عالمه الداخلي من خلال الفن توفر له أداة قوية لفهم أنفسهم وتجاوز الصدمات النفسية. وعلى الرغم من أن العلاج بالفن يعتبر أداة داعمة للعلاجات التقليدية، إلا أنه يوفر

مساحة آمنة وغير تقليدية للتعبير عن الذات. ومع ذلك، فإن نجاح هذا النوع من العلاج يتطلب تضافر جهود المعالج والمريض، بالإضافة إلى مزيد من الأبحاث لتحديد آليات عمله وتطبيقاته في مختلف السياقات الثقافية والاجتماعية. من خلال الاستثمار في هذا المجال، يمكننا تطوير برامج علاجية مبتكرة تساهم في تعزيز الصحة النفسية وبناء مجتمعات أكثر مرونة وسعادة.

### قائمة المراجع

#### المراجع العربية:

▪ نصير، ت. (2019). فاعلية استخدام العلاج بالرسم في التخفيف من الضغط النفسي لدى عينة من طالبات المدارس الثانوية في لواء بني كنانة. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، 6 (2). رقاد للدراسات والأبحاث.

▪ مصطفى، د. (2015). العلاج بالفن وتنمية المهارات الاجتماعية لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، 4 (4). دار سمات للدراسات والأبحاث.

▪ صابر، س. م. فاعلية استخدام العلاج بالفن الرسم في التخفيف من الوحدة النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة (دراسة كينيكية - علاجية). جامعة بنها. مصر. تم استرجاعه من:

[[https://bu.edu.eg/portal/uploads/Education/Mental%20Health/2273/publications/Sami%20Mohammad%20Saber%20\\_sa2.pdf](https://bu.edu.eg/portal/uploads/Education/Mental%20Health/2273/publications/Sami%20Mohammad%20Saber%20_sa2.pdf)]

▪ اليامي، ع. م. س. (2022). فنون الأطفال: استراتيجية مقترحة في تأهيل/علاج أطفال التوحد من خلال الفن التشكيلي. [ملف PDF]. الرياض، المملكة العربية السعودية.

تم استرجاعه من: [http://www.gulfkids.com.pdf/Autism\\_art.df](http://www.gulfkids.com.pdf/Autism_art.df)

▪ برباش، ن. (18 فبراير 2020). تأثير الفن على الصحة النفسية للطفل: تقرير مؤتمر جمعية "الشارع فن" [ملف PDF]. جمعية "الشارع فن". تم الاسترجاع من:

[https://cdn.artishoc.coop/1c656f09-7dd3-4f66-931d-](https://cdn.artishoc.coop/1c656f09-7dd3-4f66-931d-ca28e78230cd/v1/medias/eyJfcmFpbHM)

[ca28e78230cd/v1/medias/eyJfcmFpbHM"Onsi'WVzc2FnZSI6Ik9EZ3dPUT09Iiw](https://cdn.artishoc.coop/1c656f09-7dd3-4f66-931d-ca28e78230cd/v1/medias/eyJfcmFpbHM)

[iZxhwIjpuclWllCJwdXIi"iJtZ'RpYS9tZWRpYV9pZCJ9fQ===](https://cdn.artishoc.coop/1c656f09-7dd3-4f66-931d-ca28e78230cd/v1/medias/eyJfcmFpbHM)

[4f7ba3ef5d8931d54556ae0befbe7be835](https://doi.org/10.47780/jcals.v2i1.4f7ba3ef5d8931d54556ae0befbe7be835)”53b3da7343e7e1e805593d439f643/e5

[cd2b6864fb](https://doi.org/10.47780/jcals.v2i1.cd2b6864fb)/pdf

المراجع الأجنبية:

- American Art Therapy Association. (2004). news letter.
- *Bell, C., & Robbins, S. (2007). Effect of art production on negative mood: A randomized, controlled trial. Art Therapy: Journal of the American Art Therapy Association, 24(2).*
- Brodie, S. (2007). Art therapy and adolescent parental bereavement: Case study of a 14-year-old girl (Master's thesis, Concordia University).
- Brown, A., Colon, E., Garman, N., & Chambliss, C. (2001). Educational applications of art therapy: Increasing collegiality within campus residential areas. Retrieved [9 sept 2024] from [Website eric]. [www.eric.ed.gov](http://www.eric.ed.gov)
- Petrillo, L., & Winner, E. (2005). *Does art improve mood? A test of a key assumption underlying art therapy. Art Therapy: Journal of the American Art Therapy Association, 22(4).*
- Rivera, R. (2008). *Art therapy for individuals with severe mental illness* (Master's thesis, University of Southern California). ProQuest Dissertations Publishing, 145060.

تماهي مصطلح الشعرية اللسانية مع مصطلحات النقد العربي الحديث (الشاعرية و الأدبية و الجمالية ، نماذج)

The convergence of the linguistic poetic term with modern Arabic criticism terms (poetic, literary, and aesthetic, examples)

ميلود المطك، أستاذ اللغة العربية بالتعليم الثانوي المغرب

باحث وناقد، دكتوراه : تخصص النقد الحديث

البريد الإلكتروني: melodram8@gmail.com

الملخص:

تناول هذه الدراسة قضية المصطلحات النقدية الحديثة من خلال مفهوم "الشعرية"، وهو مصطلح ظهر بديلاً لـ"البلاغة الحديثة" من خلال التحول الذي أحدثته علم اللغة الحديث على يد دو سوسير، تزامناً مع أبحاث الشكلانيين الروس. فقد أثار استخدامه في الدراسات النقدية الحديثة جدلاً واسعاً بين العديد من الدارسين، نتج عنه فوضى في الاستعمال. ونتيجة لذلك، تعددت مفاهيمه واختلقت معانيه فظهرت مصطلحات أخرى تتداخل دلالاتها مع دلالاته إلى حد التماهي، حيث يعتقد العديد من العلماء أن المصطلح الأجنبي أصبح يشير إلى خصائص الأدب التي يمكن التعبير عنها بمجموعة من المفاهيم من بينها، الشاعرية أو الجمالية أو الأدبية.

الكلمات المفتاحية:

الشعرية، الترجمة، الأدب، الأدبية، الشاعرية، الجمالية،

**Abstract :**

This study addresses the issue of modern critical terminology through the concept of "poetics," a term that emerged as a substitute for "modern rhetoric" due to the transformation brought about by modern linguistics, particularly through the work of Saussure, alongside the research of Russian formalists. Its use in contemporary critical studies has sparked extensive debate among many scholars, resulting in a chaotic application. Consequently, its meanings have multiplied and varied, leading to the emergence of other terms whose connotations overlap with its own to the point of conflation. Many scholars believe that the foreign term has come to refer to one of the characteristics of literature that can be expressed as poetic, aesthetic, or literary.

## الشعرية الحديثة: الإرهاصات والأسس

شغلت الشعرية مشكلة الفكر النقدي في العالم منذ أرسطو، وما تزال تحتل موضعا مركزيا في أنظمة نقدية وجمالية كاملة. حيث أقامت حدا فاصلا بين الشعر و اللاشعر كما شغلت مدرسة كاملة، هي مدرسة الشكلانيين الروس نفسها بمحاولة اكتشاف الشعرية و تحديد شروط تكوينها أو واقع تبلورها. (ابو ديب 1987 ص 16)

معروف عند اللسانيين أن الشعرية *la poétique* لا تدرس الأشكال الأدبية الشادة *Anomalie* والمتفردة *Singularité* لجنس أدبي أو عمل نقدي ما، لكنها تطمح بالمقابل لأن تجعل من النقد الأدبي نقدا تفسيريا ولتحقيق ذلك، تلجأ في الغالب إلى اللسانيات باستخدام أدواتها اللغوية في تحليل النصوص والبحث عن ما يجعل من الأدب أدبا، فهي تسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم خلق كل عمل أدبي، حيث تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته وما يحيط به. فهي مقارنة للأدب في شتى جوانبه، وأن موضوعها ليس العمل الأدبي في حد ذاته، بل ما تستنطقه من خصائص الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وبذلك فالشعرية علم لا يعنى بالأدب الكائن بل بالأدب الممكن، أي العلم الذي يعنى بالخصائص المميزة التي تصنع فرادة الفعل الأدبي *acte littéraire* أي الأدبية *littérarité* (تودوروف 1990 ص 23)

ويستعمل مصطلح *poétique* صفة للتعبير عن " فن شعري " يكون معياريا في مقابل وصفية الشعرية *poétique*، ويمكن إدراج شعر هوراس ضمن الفن الشعري الذي يقوم على قواعد يجب احترامها و التقيد بها ) / TAMINE 2004 p1 HUBERT 26. وهي قواعد لم تعد مرتبطة بالنظم فقط وإنما تتجاوزها إلى كل عمل فني ( منشوريحيوي مجموع الخصائص و القواعد التي تميز مختلف الأجناس الأدبية، عن بعضها البعض و تهدف إلى توجيهه ) ( Albert 1912 p : 3 المبدع في أعماله الفنية )

هذه القواعد تعد الأسس الأولى لتطور مفهوم البلاغة الحديث الذي بدأ مع أرسطو ولم يتوقف بعد، من خلال القدرة على البيان والقدرة على الإفصاح يسميها التوحيدي ؛ بلاغة الشعر (التوحيدي 2011 ص 254)

فالبلاغة في شقها الشعري ( خصوصا حديثه عن الملحمة و التراجيديا) يرى أرسطو أن الشعرية تهتم بما هو شعري ( الجانين التخيلي و اللغوي ) و تهتم كذلك بشكل الأسلوب و طريقة بناء السرد ( كل ما يدخل في خانتي المتن الحكائي و المبنى الحكائي) أي تهتم بكل ما يجب أن تتشكل منه الحكايات حتى يتأتى لها النجاح ) ( TAMINE .HUBERT paris 2004 p 1 )

و منه فالشعرية لا تقتصر على النظم الشعري و إنما تتعدى إلى النثر في جانبه الأسلوبى , و الفرق الوحيد بينهما يكمن في كون الأول يهتم بالتواصل اليومي "من فكرة إلى فكرة" والثاني يهتم بالاستحضار الخيالي من صورة إلى صورة (FILLEOLET DELAS 13 P 1973) وهما معا يؤثران في المتلقي من خلال اللغة و الأسلوب حيث يجذبان إليه القارئ و يهيجان أحاسيسه ومشاعره (pourgoise 195: p 2001)

فقد أشار أرسطو إلى النظرية الأدبية من خلال اهتمامه بمفهوم المحاكاة و التمثيل بواسطة اللغة, لكن هذا لا يعني أنه تناول مفهوم الشعرية الحديث كما تبنتها النظرية الشكلانية و المدارس اللغوية التي سلكت نفس المنهج فيما بعد , حيث نظر إلى الشعرية من خلال تحديد الأجناس التخيلية (les genres fictifs) كالمحمة والتراجيديا والكوميديا و ارتكز في دراسته لقوانين الخطاب على بلاغة هذه الأجناس. (195: p) (pourgoise : 2001) بينما يرى مؤسس الشعرية الحديث ر-ياكسون أن الشعرية عنصر- من عناصر بنية النص (شعري أو نثر) -أساسي يمكنه أن يتحكم في باقي العناصر إذ يحولها ويحدد معانيها حسب ما يقتضيه السياق العام للنص (Jakobson 46 P 1977) تتضح فعاليته في العمل الأدبي و في غيابها تفقد باقي العناصر قيمتها و يتفكك النص لأنها تقوم بالوظيفة الأساس للعمل و هي الوظيفة الشعرية .

لهذا يمكن اعتبار الشعرية جزء من اللسانيات خاصة عندما يتعلق الأمر بالشعر حيث تقوم بتقييم الأعمال الأدبية و الحكم عليها ( Jakobson, 1963, p 210-211 ) فهي مجموعة من السمات أو الخصائص الجمالية التي تتفاضل بمقتضاها الأساليب الشعرية من نص إلى آخر أو من مرحلة إلى أخرى . (كنوني 2010 ص 5 ) تطلق على كل دراسة شعرية تشمل كل القواعد و السنن المرتبطة بتشكيل مختلف الأنواع الشعرية و كذلك ببناء الشعر المنظوم (PERRINE 1999 p: 233) فإذا أردنا تحديد ما هو شعري فذلك يفرض علينا معرفة غير الشعري كذلك و هذا ليس بالسهل تحديده اليوم ( P 31 Jakobson, 1977 ) مع تعدد الأشكال التعبيرية في الأدب وأنواعه وتداخل الأجناس. كي تتمكن من الفصل بين بنية الشعر و بين بنيات الأنواع الأدبية التي تقترب من الشعر و هو نفس المفهوم الذي عبر عنه جون كوهن عندما عرف الشعرية بأنها علم موضوعه الشعر ( COHEN 1966 P : 15 )

أ: الشعرية

يرى الكثير من الدارسين أن إعطاء تعريف جامع مانع للشعرية، أمر صعب وذلك أن منافذها متعددة واشتغالاتها مختلفة وامتداداتها واسعة، وقد تشابكت مصطلحاتها بين دلالات تاريخية وأخرى اشتقاقية، وثالثة مستحدثة، الأمر الذي أفضى بالنقاد العرب اختيار مصطلح الشعرية في أغلب

الصياغات، وهو المصطلح الثاوي وراء المادة المكونة في اللغة العربية (ش-ع-ر) مع العلم أن هذا الجذر الثلاثي يحوم في دلالاته حول كل ما له ارتباط بالحس (بوخاتم، 2005 ص 63) والشعور، ولم يستعمله النقد العربي القديم كمصطلح قائم بذاته بل استعمله مرات محدودة استعمالاً لغويًا على سبيل النسبة إلى الشعر، وتارة على سبيل الدلالة على الصفة الشعرية. (بومنجل، 2011 ص 279).

هو إذن مصطلح قديم حديث في الوقت ذاته، "قديم لأنه استخدم لأول مرة من قبل أرسطو عنواناً لكاتبه "بويطيقيا" أو "فن الشعر"، كما اعتاد العرب على ترجمته، وحديث لأنه اكتسب دلالات جديدة منذ مطلع القرن العشرين على أيدي الشكلايين الروس وممثلي حلقة براغ (فضل تامر 1994 ص 101)، وأصبح بارزا في الدراسات الحديثة وخاصة في العمل الأدبي الغزير الخيال المتفجر التعبير، يستعمل في الشعر والنثر على السواء، (القضاة، 1996، ص 66). أما المفهوم فقد تنوع بالمصطلح ذاته على الرغم من أنه ينحصر في إطار فكرة عامة تلتخص في البحث عن القوانين العلمية التي تحكم الإبداع، ويبدو أننا نواجه من جهة أولى مفهوما واحدا بمصطلحات مختلفة، ويبدو - بارزا - هذا الأمر في تراثا النقدي العربي، ونواجه مفاهيم مختلفة بمصطلح واحد من جهة ثانية، ويظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي أكثر جلاء.

إن الجهة الأولى تلتخص في مفهوم الشعرية العام، وقد اتخذ مصطلحات مختلفة منها: شعرية أرسطو، نظرية النظم الجرجاني، والأقاويل الشعرية عند القرطاجني، أما الجهة الثانية فتلتخص في النظريات التي وضعت في إطار مصطلح الشعرية ذاته، مع اختلاف التصور في سر الإبداع وقوانينه، كما هو الحال في نظرية التماثل عند "رومان ياكبسون" ونظرية الانزياح عند "جون كوهن" ونظرية الفجوة: مسافة التوتر عند "كجال أوديب". (ناظم، 1994، ص 11).

والراصد لحركة النقد العربي الحديث يستشعر الأزمة المصطلحية التي خلقتها الترجمات العديدة لمصطلح الشعرية، هذه الترجمات "ساهمت بشكل مباشر - في تضخم لغوي وإسهال نقدي (بريهامات، 2011 ص 315)، جعل العديد من النقاد العرب يختلفون في تبني هذه المصطلحات، كما اختلفوا في تحديد مفهوم دقيق للشعرية واعتبروها "علما غير واثق من موضوعه، إلى حد بعيد، ومعايير تعريفها - إلى حد ما - غير متجانسة، وأحيانا غير يقينية (سعدون 2011 ص 136) وأضحت من أشكال المصطلحات وأكثرها زئبقية وأشدّها اعتياصا، بل انغلق مفهومها وضاق بما كانت معه مجالا رحبا تدافعت فيه الدراسات والبحوث. (وغليسي، 2009، ص 8)

إذا كانت تلك حال مصطلح "Poétique" في ذاته، أي ما ينشأ حوله من تعددية في الاستعمال والمفهوم، فكيف يكون الحال حين تستعمل إلى جانبه مصطلحات أخرى غالباً ما تتداخل دلالاتها مع دلالاته إلى حد التماهي؟ فيصبح في نظر الكثيرين هو هي؟

يعتبر الكثير من الدارسين أن مفهوم الكلمة الأجنبية "Poétique" يحيل على إحدى سمات الأدب التي يمكن التعبير عنها في مقابل الشعرية، بالجمالية أو الشعرية أو الأدبية.  
ب- الشعرية والجمالية

إن سياق الحديث عن الشعرية يقود بالضرورة إلى التطرق لموضوع الجمال الذي أخرجه الفلاسفة الألمان من السياق اللاهوتي والأخلاقي لتكون له فلسفة خاصة، وأول مجال له هو الشعرية (سعدون 2011 ص 142)، حيث أصبحت مع بداية القرن الثامن عشر فرعاً من فروع علم الجمال الفلسفي (حسن ناظم 1994 ص 41). يعنى بدرس الأثر الفني من حيث مزاياه الذاتية ومواطن الحس فيه، بغض النظر عن البيئة والعصر والتاريخ وعلاقة هذا الأثر بشخصية صاحبه (محمد سعدون 2011 ص 142) ولما كانت الشعرية تتاج الفن، فمن البديهي أن ترتبط الشعرية بالجمال، بل أصبح الجمال، اليوم، شرطاً أساسياً لتحقيق الشعرية، "فكل تحليل أدبي سواء أكان بينوياً أم لا، لكي يحقق هدفه المنشود، فإن عليه أن يكون قادراً على تفسير القيمة الجمالية لعمل ما؛ أي له من القدرة ما يغير علة حكمنا على هذا العمل أو ذلك بالجمال دون غيره". (تودوروف تر المبخوت 1990 ص 79).

ومهما حاول بعض النقاد التفرقة بين الشعرية والجمال، فإن سمة الجمالية تظل لصيقة بالفن لأنه قد يستمد من القبح صفة الجمال، ومن ثمة لا يمكن فصل التجربة الشعرية عن الجمالية، رغم أن المنهج الشكلي ومن بعده المنهج البنيوي حاول الفصل بين القارئ والنص، والاعتماد على الوصف الشكلي، إلا أن محاولته باءت بالفشل، باعتراف تودوروف نفسه، قائلًا: "ولا ينبغي أن نقدم الوصف - وإن كان صحيحاً - على أنه تفسير للجمال". (تودوروف تر المبخوت 1990 ص 83)، فالأوصاف التي تقدمها الدراسات البنيوية والشكلانية بهدف البحث عن القوانين العامة للشعرية والغاؤها للجمالية كونها لا تتصف بالعلمية، لا يمكنها أن تميز النصوص جمالياً (سعدون 2011 ص 143) لأن ذلك مرتبط بحكم القيمة، وما دام حكم القيمة لا يخضع لمنطق العلمية، فإنه لا يعتد به عند أصحاب هذه المناهج، وبذلك فهذه المناهج قاصرة عن احتواء مفهوم الجمالية.

ونفس الرأي يذهب إليه "حسن ناظم" الذي يرى أنه "من الصعب وضع مطابقة بين الجمالية والشعرية، والحكم بالجمال عن نص معين هو حكم بدني وحديسي، وإن الدراسة التي تكشف عن شعرية نص معين لا يمكنها أن تكشف عن سر جماليته نظراً لاستحالة المطابقة بينهما، وإن كان الحكم المسبق

عليه -والذي يبقى بعد كشف شعرية - صحيفا ( ناظم، 1994 ص 42 ) ، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل مع "تودوروف": ما العمل إذن؟ أينبغي التخلي عن كل أمل في الحديث يوما ما عن القيمة؟ أينبغي أن نرسم حدا فاصلا بين الشعرية والجمالية؟. (تودوروف 1990 ص 83).

إن البحث عن العلاقة بين الشعرية والجمالية أمر لا مناص منه، غير أن كثيرا من النقاد الذين اهتموا بدراسة الشعرية مفهوما واصطلاحا أهملوا هذه العلاقة - إلا في حالات نادرة- عندما اعتمد البعض منهم مفهوم الجمالية بديلا عن الشعرية، وربما يكمن سر ذلك في الغموض الذي يكتنف مفهوم الجمالية وصعوبة القبض على ملامحه، لأنها مرتبطة برؤى فلسفية مرنة لا تستقر على حال من الأحوال.

### ج- الشعرية والشاعرية

عرف النقد العربي - قديمه وحديثه - الشاعرية بوصفها إشارة لغوية تعود جذورها إلى العصر اليوناني، حيث ورد في كتاب أرسطو "فن الشعر" بأن الإلهام مصدر الشعر ومبعث الشاعرية، وقد عرف عن العرب قديما أن لكل شاعر شيطانا يقول الشعر على لسانه (سعدون، 2011 ص 138).

ولازال العديد من المعاصرين يعتقد بأن الشعر إلهام، وتعبير عن أحاسيس الشاعر وكيانه، "إنها -إذن- خاصية إبداعية مردودة إلى الشاعر، وقيمة فنية عليا يمكن أن ترقى بشاعر دون آخر بما يستطيع أن يمس به جوهر الشعر، أو بما يقدر على الإتيان به دون غيره كإعجاز قولي (عزت جاد، 2002 ص 355) ورغم أن هذه الخاصية مرتبطة بالشاعر، إلا أنها قد ترد مرادفة لمفهوم الشعرية في الكثير من الكتابات النقدية العربية الحديثة، اعتبرها الدكتور "عبد الله الغدامي" بديلا اصطلاحيا عن مصطلح الشعرية، ذلك بقوله "وبدل من أن تقول "شعرية" مما قد يتوجه بحركة زئبقية نافرة نحو (الشعر)، ولا نستطيع كبح جماح هذه الحركة لصعوبة مطاردتها في مسارب الذهن، فبدلا من هذه الملابس، نأخذ بكلمة (الشاعرية) لتكون مصطلحا جامعا يصف (اللغة الأدبية) في النثر وفي الشعر، يقوم في نفس

العربي ، مقام "Poetics" في نفس الغربي(الغدامي , 1998 ص 21-22).

لكن السؤال الذي يطرح هنا، كيف غاب عن ذهن عبد الله الغدامي "أن الشعر الذي يربطه بمصطلح "الشعرية" لا يمكن أن ينفصل عن الشاعرية؟ ذلك أن الغدامي لم يفعل غير الاستجارة من رمضاء "الشعر" بنار "الشاعر"! اي الانتقال الاشتقاقي من الاسم إلى اسم الفاعل، و من النص إلى الناص(وغليسي 2009 ص 29).

وبذلك لا تفيد الشاعرية غير اتصاف الموصوف بصفته، وتخصيص السمة الإبداعية بصاحبها، حيث تنصرف الشاعرية إلى الشاعر، بينما الشعرية تنصرف إلى جمالية الشعر، وبذلك يختلف مفهوم

"الشاعرية" إلى حد كبير عن مفهوم "الشعرية"، ولا يشفع لمصطلح الشعرية أن تصبح شاعرية الشاعر هي شعرية (عزت جاد 2002 ص 356).

## د- الشعرية والأدبية

اعتبر الشكلايون - قبل ظهور اللسانيات الحديثة - العمل الأدبي بنية شكلية تتكون من مجموع الخصائص الفنية التي تقوم بمجموعة من الوظائف داخل نسق البيئة نفسها، وهذا ما أطلقوا عليه الأدبية Littéarité (بريهامات، 2011، ص 317).

ودخل هذا المصطلح دائرة النقد البيوي كجواب عن السؤال التقليدي: ما الأدب؟ وكان "رومان ياكسون" قد استخدمه لتعيين ما يميز الأدب، وذهب إلى أن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب بل الأدبية، وهي كل ما يجعل من عمل معين عملاً أدبياً (زيتوني 2002 ص 14).  
إلا أننا نجد مصطلحات تتأخم الأدبية وتلاصقتها، ومنها مصطلح الشعرية الذي يفوق الأدبية شيوعاً، ويطلقها أحياناً في المفهوم بدليل قول تودوروف: ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي. وبعبارة أخرى، فإن الشعرية تعني تلك الخصائص المجردة التي تصنع قراءة الحدث الأدبي أي الأدبية (الواسطي، 2007 ص 10-09).

وهكذا ففهوم الشعرية يكاد يطابق مفهوم الأدبية عند كثير من النقاد الغربيين، بل نجد بعض النقاد العرب يجعلون من الأدبية ترجمة لمفهوم الشعرية في كتاباتهم النقدية.  
هناك مصطلح آخر لصيق لمفهوم الأدبية Littéarité هو مصطلح Poéticité، حيث يتداخل معه وينصهر داخله، وفي نفس الوقت يخالفه ويقترّب من دائرة الشعرية. حيث نجده ينتقل بين سمات أدبية وسمات شعرية، بل يزيح مصطلح الشعرية وينوب عنه في بعض الترجمات العربية.  
هكذا نجد عبد السلام المسدي يترجم مصطلح Poéticité في قاموسه اللساني بمصطلح الشعرية (المسدي، 1984، ص 196)، وكذلك يسير عبد الملك مرتاض على أثر عبد السلام المسدي في ترجمة مصطلح Poéticité بمصطلح الشعرية، مؤكداً أن هذا المفهوم ينصرف إلى الصفة أو الحالة التي تميز كتابة ما، "فهذا المعنى في رأيه يقترب من مفهوم الأدبية (مرتاض، 1998 ص 312)، بينما يذهب كل من محمد الولي ومبارك حنون إلى ترجمة Poéticité "بالشاعرية"، وهي الوظيفة الشعرية التي تحدث عنها "ياكسون"، والتي تعتبر "عنصراً فريداً، عنصر لا يمكن اختزاله بشكل ميكانيكي إلى عناصر أخرى، فإذا ظهرت الشاعرية Poéticité أي الوظيفة الشعرية، بلغت في أهميتها درجة الهيمنة في أثر أدبي (باكسون 1988 ص 32).

وقريب من هذا المعنى ، يطالعنا سعيد علوش بمفهوم الأدبية؛ فهي في نظره "طابع ما هو خالص في الأدب، أي ما هو شاعري منذ بدايته (علوش، 1985، ص 32) ، فالأدبية عنده تقابل ما هو شاعري. ويبدو أن تعريفه للأدبية ينحو منحى تعريف ياكسون، الذي صاغ تعريفا لمصطلح الأدبية Littéralité ليقول إنها: "هي التي تجعل من إنتاج ما إنتاجا أدبيا (كوين، 2000، ص 259) ، أما صاحب كتاب شعرية تودوروف فيترجم Poéticité بالسمة الشعرية ( الميلود 1990، ص 69) وهي ترجمة - كذلك - تقترب من مفهوم الأدبية عند سعيد علوش، لتبقى هذه اللفظة تنتقل بين الأدبية والشعرية.

لكن الملاحظ هو أن الأدبية في علاقتها بالشعرية أكثر دينامية وشيوعا منه في علاقتها بمصطلح Poéticité الذي لا زال غامضا، وتكاد تجمع الكتابات الغربية على أن علاقة الشعرية بالأدبية هي علاقة الكل بالجزء، أو علاقة العلم بالموضوع، أو علاقة المنهج بالموضوع (وغليسي، 2009 ص 34) ، بل قد تعدى ذلك لتشمل الأسلوبية إلى جانب الأدبية. كما يذهب "عبد الله الغدامي" قائلا: "وتتحد الأسلوبية مع الأدبية ليتضافرا معا في تكوين مصطلح واحد، يضمهما ويوحدهما ثم يتجاوزهما وهو مصطلح Poetics (عزت جاد 2002 ص 272).

لكن بالنظر إلى التقاليد الثقافية العربية القائمة على معادلة أن الأدب = الشعر + النثر، كيف نفسر أن الشعر يدخل ضمن الأدب؟ أو بصيغة أخرى، "إذا وقعت الأدبية على أن تسأل: ما الذي يجعل عملا ما عملا أدبيا؟ فإن سؤال الشعرية يصبح: "ما الذي يجعل من عملا ما عملا شعريا؟" (ناظم، 1994 ص 35).

ارتبطت الشعرية في الثقافة العربية بالشعر، ومادام الأدب يشمل الشعر والنثر، فإنه من الطبيعي أن تكون الشعرية مشتقة منه، ومهما تحدث القدماء عن الشعرية ومصدرها، إلا أن بروز نظريات الشعرية الحديثة، ألغت ارتباط الشعرية بالشعر (فقط)، إذ أضحت تبحث في قوانين الخطاب الأدبي في كل من الشعر والنثر، ومادام الشعر والنثر يشكلان طرفا الأدب، فإنه من البديهي أن يدخل الأدب تحت عباءة الشعرية.

إن علاقة الشعرية بالأدبية يزداد قربا وتداخلا، وإن كانت الأدبية أسبق في الظهور في عالم النظرية النقدية الحديثة من الشعرية (الغدامي، 1998 ص 20) ، إلا أن التواطؤ والشيوع الذي عرفته الشعرية، جعلها تفوق الأدبية شهرة، وانتشارا في معظم الكتابات النقدية الحديثة.

هذا ويؤكد حسن ناظم "أن الأدبية مفهوم موازي لمفهوم الشعرية في أهدافه، وإلى حد ما في طرائقه، وعلى الرغم من صعوبة ضبط علاقتهما، وتمييز حدودهما، إلا أن الأدبية -تارة- تتخلى عن كونها

مفهوما نظريا مستقلا لتكون موضوعا لعلم الأدب، بالأحرى لتكون موضوعا للشعرية نفسها." إن نظرة دقيقة لاستراتيجية الشعرية، تظهر أن الأدبية هي موضوعها الأكيد، و ما دامت الشعرية ومن بين مهامها الأساسية- تستنبط الخصائص المجردة في الخطاب الأدبي، فإن هذه الخصائص هي التي تضيف على الخطاب أدبيته (ناظم، 1994 ص 36).

وبذلك تؤكد الشعرية تفوقها واحتواءها لمفهوم الأدبية مصطلحا ومفهوما، بل تصبح "علما عاما موضوعه الأدبية، يزوم القيام علما للأدب، غايته استنباط الخصائص النوعية والقوانين الداخلية للخطاب الأدبي في شموليته النوعية و الكمية" (وغسيلي 2009 ص 13). يسمح بتمييز ما هو أدبي من غير الأدبي.

لا يقف مفهوم الشعرية عند الأدبية أو عند الجمالية أو الشعرية، بل يزداد اتساعا وتنوعا عندما يتداخل مع مفاهيم أخرى، وبذلك تنفتح حدوده ويطول مجاله وتصعب في الأخير مقارنته. وكما اختلف الدارسون العرب في ترجمة الشعرية اصطلاحا، وفي تحديد مفهومها، وضبط موضوعها، ورسم الحدود والعلاقات التي ترتبط بها، فقد اختلفوا أيضا في تحديد الإطار الذي ينظمها، أهي نظرية أم علم، أم منهج.؟

#### • المراجع والمصادر باللغة العربية

- كمال ابو ديب في الشعرية مؤسسة الأبحاث العربية ش م م بيروت لبنان طبعة 1 سنة 1987
- بوخاتم مولاي علي مصطلحات النقد العربي السيماءوي ". (الإشكالية.والأصول.و الإمتداد).إتحاد كتاب.العرب دمشق 2005
- عبد الملك بومنجل، "المصطلحات المحورية في النقد العربي بين جاذبية المعنى وإغراء الحداثة"، ص 279.
- فضل تامر، "اللغة الثانية". ( في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث) المركز الثقافي العربي، ط1، 1994
- محمد أحمد القضاة، "الشعرية" مجلة الفيصل، السعودية، العدد 59، مجلد 57 السنة 61، (فبراير- مارس) 1996.
- حسن ناظم، "مفاهيم الشعرية" (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم) المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط1، 1994.
- عيسى بريهمات، "مصطلح الشعرية والأدبية" (في سياق المقارنة والعالمية) - الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، (09-10 مارس) 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

- محمد سعدون، "تأثر الشعرية العربية بالمنهج الغربية الحديثة (الملتقى الدولي الأول للمصطلح النقدي) . 10-09 مارس) 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
- يوسف وغليسي، "تحولات الشعرية في الثقافة النقدية العربية الجديدة" (بحث في مقومات المصطلح مجلة عالم الفكر، العدد 3، مجلد 37 يناير/مارس 2009 الكويت).
- محمد سعدون، "تأثر الشعرية العربية بالمنهج الغربية الحديثة. (الملتقى الدولي الأول للمصطلح النقدي) . 10-09 مارس) 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
- تزيطان تودوروف "الشعرية" ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة . دار توبقال، 1990
- عزت جاد محمد، "نظرية المصطلح النقدي" الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط 1 2002 .
- عبد الله محمد الغدامي "الخطيئة والتكفير" من البنيوية إلى التشرحية . ط4 . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1998
- عيسى بريهمات، "مصطلحا الشعرية والأدبية في سياق المقارنة والعالمية" ضمن الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي يوم (10-09 مارس) 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
- لطيف زيتوني، "معجم مصطلحات نقد الرواية" .
- محمد الواسطي، "مفهوم الأدبية في الخطاب النقدي". مجلة آفاق أدبية ع 1 آنفوبرانت، فاس 2007
- عبد السلام المسدي: "قاموس اللسانيات" مع مقدمة في علم المصطلح الدار العربية للكتاب طبعة 1984
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، الكويت عدد 240 - دجنبر 1998 .
- رومان باكيسون "قضايا الشعرية" ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، (سلسلة المعرفة الأدبية) ط 1 - 1988.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، نشر سوسبريس الدار البيضاء الطبعة الأولى 1985.
- جون كوين، النظرية الشعرية، (بناء لغة الشعر - اللغة العليا) ترجمة أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الجزء الثاني، ط4 2000.
- عثمان الميلود، "شعرية تودوروف" عيون المقالات، الدار البيضاء، ط1، 1990.
- كنوني محمد "شعرية القصيدة العربية المعاصرة" دراسة أسلوبية عالم الكتب الحديث إربد 2010
- أبو حيان التوحيدي الإمتاع و المؤانسة تحقيق هبتم خليفة الطعيمي ج2 المكتبة العصرية بيروت 2011

• المراجع الأجنبية

- J .G.TAMINE / M.C.HUBERT : dictionnaire de critique litteraire armand colin / sejar ; impression paris 2004
- L'abbé Albert Dion LES GENRES LITTERAIRES ( poétique et rhétorique) Québec imprimerie de la Cie de L'événement 1912
- J .G.TAMINE / M.C.HUBERT : dictionnaire de critique litteraire armand colin / sejar ; impression paris 2004
- DELAS D:/J FILLEOLET (liguistique et poetique coll langue et langage ed larousse paris 1973
- michel pourgoise : dictionnaire de rhetorique Armand colin / VUEF ; impression paris 2001
- Roman Jakobson (Huit questions de poétique) traduits en français par tzvetan todorov Éditions du Seuil 1977.
- Jakobson Roman, 1963, Essais de linguistique générale, Éditions Seuil, Paris
- PERRINE GALAND-HALLYN actius histoire de rhetorique dans l'europe moderne puf paris 1999
- Roman Jakobson Qu'est-ce que la poesie? (Huit questions de poetique)(traduits en francais PAR Marguerite Derrida editions du seuil, 1977
- COHEN JEAN la structure du longage poetique flamarion 1966

## أشكال التمثيل الثقافي في رواية "العجربة" لوئام المددي

"Forms of Cultural Representation in the Novel 'The Gypsy' by Weam Al-Maddadi"

لحسن مفيد (طالب دكتوراه)

جامعة مولاي إسماعيل - مكّاس، المغرب

العنوان الإلكتروني: [moufidlahcen53@gmail.com](mailto:moufidlahcen53@gmail.com)

### ملخص البحث

يتناول المقال رواية "العجربة" للكاتبة وئام المددي، وهي تستحضر موضوعة الهوية، وترصد تقاطعات لم تشتغل فيها اشتغال الناقد الاجتماعي أو السياسي، بل أخذت على عاتقها الحفر في تجايف المجموعات البشرية وخلصت إلى أن الصراعات الهويةية بين بني الإنسان يمكن حلها بالإنسان وحده. ووفقا لهذا المنطلق تعود الرواية إلى العجرب، وتتخذ منهم خلفية لدعوتها الإنسانية، وقد عملت على إنجاز مهمة التمثيل للهوية عبر تخيل الواقع بروح تتساءل عن جدوى الوجود الإنساني. وهكذا يتحول فعل الكتابة عند وئام المددي إلى إعادة خلق للعالم بتوليف عناصره توليفا جديداً يخرق المؤلف. الكلمات المفتاحية: التمثيل، العجرب، الهوية، المهمش

### Abstract

The article discusses the novel "The Gypsy" by the author Wiam El Maddi, which evokes the theme of identity and explores intersections not through the lens of social or political criticism, but by delving deep into the complexities of human groups. The novel concludes that identity conflicts among human beings can be resolved by humanity itself. Based on this premise, the novelist turns to the gypsies, using them as a backdrop for her humanitarian message. She represents identity by reimagining reality with a spirit that questions the purpose of human existence. In this way, Wiam El Maddi's writing becomes an act of recreating the world by reassembling its elements in a new, unconventional way.

**Keywords:** Representation, Gypsies, Identity, Marginalized

## مقدمة

تتنمي رواية "العجرية" إلى الروايات المغربية المعاصرة التي تجددت تيماتنا وتقنياتنا السردية وطبيعة الأسئلة المطروحة، وتبني الرواية وفق متخيل يعيد تركيب الموجود بتسريد الحلم، انطلاقاً من قناعة الروائية بأن "العوامل التخيلية محمّلة بالقيم، تقدم لنا وجهة نظر عن وضعنا ذاته، بطريقة تجعلنا نلتزم بالبحث في وضعنا الخاص" (إبراهيم ع.، 2016، صفحة 50). وهذا ما سعت إليه وثام المدي من خلال تتبع مسارات الشخصية الرئيسة وتشظيها الهوياتي بين عوالم مختلفة تعكس لنا وضع الإنسان المعاصر في بعده النفسي والثقافي.

تؤسس الرواية لمشروعها وفق مبدأ التخيل المبني من جهة على "عمليات الحلم والتذكر والاستيحاء والاستشراق" [ ... ] بما يغني إدراكنا للعالم بالصور الجديدة التي تبتكرها أو تحلم بها أو تستشرفها" (بوعزة، 2014، صفحة 185)، ومن جهة أخرى "على عمليات الفعل السردية الذي تبني به الرواية خطابها السردية، سواء على مستوى الحكاية (مستوى الأحداث)، أو على مستوى الخطاب (كيفية تقديم الأحداث)" (بوعزة، 2014، صفحة 186)، وبذلك فقد نسجت حواراً خفياً مع المتلقي حول القضايا الراهنة وفق انوجاد لاشعوري في متاهة السرد.

إن رواية "العجرية"، وهي تستحضر موضوع الهوية، لم تشتغل فيها اشتغال الناقد الاجتماعي أو السياسي، بل أخذت على عاتقها الحفر في تجايف المجموعات البشرية وخلصت إلى أن الصراعات الهويةية بين بني الإنسان يمكن حلها بالإنسان وحده. ووفقاً لهذا المنطلق تعود الروائية إلى العجر، وتتخذ منهم خلفية لدعوتها الإنسانية، وقد عملت الروائية على إنجاز مهمة التمثيل للهوية عبر تخيل الواقع بروح تتساءل عن جدوى الوجود الإنساني. وهكذا يتحول فعل الكتابة عند وثام المدي إلى إعادة خلق للعالم بتوليف عناصره توليفاً جديداً يخرق المؤلف.

يرتبط عنوان الرواية بمتنها، ليس كمؤث لفضاء الغلاف، بل هو بؤرة الحكاية، والعجرية امرأة اسمها مهتاب تعيش في منطقة الكوت بالعراق، تلتقي شاباً ينحدر من جنوب المغرب اسمه بدر، قدم إلى العراق من أجل المساهمة في التنمية الاقتصادية فيتزوجها وينقذها من زواج محتم كاد يُعقد على كراحتها. أنجبا صغيرة سمياها قرراً، ولأن العجر لا يتحملون الأعراف فقد شق بدر فم مهتاب بعدما وجدها ترقص لغرباء. وبعد هذا الحادث فقد ذاكرته وأصيب بالخرس، وبعد حلم جرت تفاصيله على امتداد القسم الأول من الرواية، يستعيد بدر ذاكرته ويتجدد لقاءه بابنته وزوجته في المغرب حيث تُستعاد هوية الثلاثة المفقودة.

## • تمثيل المهمش: مركزة الغجر

تتخذ الرواية من الغجر الصورة المقابلة للوجود الإنساني المضطرب بنزعات الكراهية والتفرقة، وتبني عبرهم جسراً نحو الأفق الإنساني الذي يمتناه الجميع، فهم لا يعيشون وفق الكيان القانوني الذي نسميه الدولة، بل هم وفق منطق النص "أبناء الازمان واللامكان، أبناء وطن يمتد كبقعة زيت إلى أن تشمل رقعته البسيطة كلها" (المددي، 2015، صفحة 31)، وتبعاً لذلك فهم شعب بلا أرض، استحالة وجودهم إلى تمزق وتشظ. لكن الغياب القانوني لأرضهم يقابله حضورهم في كل الأرض، ولئن اعتبروا على هامش الحضارات الإنسانية، فإن الكتابة بؤتهم المركز باستحضار بعض من تفاصيل حياتهم التي تحتزن قيماً بوهيمية لا تُقيم وزناً للتقاليد والأعراف الاجتماعية، لكنها ترسخ قيماً أخرى مبنية على الشغف بالحياة والسلام، وعلى هذا الأساس تشد بقية الحضارات، ما دون هؤلاء، عن القواعد الإنسانية و"مثلها يزيدري الناس الغجر باعتبارهم خارج دائرة التقاليد الاجتماعية، يزيدري الغجر بقية البشر ممن ليسوا بغجر باعتبارهم غير مهدين وعبيد الأرض... أما هم فسادة الأرض" (حيدر، 2008، صفحة 10) وهذا الاعتبار المركزي للذات هو الذي التقطته الرواية بحس تخيلي ومنحته معرفة استشرافية تنزع نحو الممكن والمختلف، وتبني وفقه تيمات الرواية، حيث تفقد الأعراف والتقاليد والقوانين معناها إذا لم تحتف بالإنسان في كليته وفي اختلافه.

ولعل الروائية ترغب في إعادة الاعتبار للهامش باستحضار الغجر الذين تربوا على قيم فطرية خالصة لا تنكر للتعايش الإنساني ولرحابة الوجود، ويتحول هذا الاستبدال، عبر مكمات السرد، إلى "عالم متماسك متخيل تُحاك ضمنه استراتيجيات التمثيل، وصور الذات عن ماضيها وكيانيتها وتدغم فيه أهواء، وتحيزات، واقتراضات تكتسب طبيعة البديهيات" (سعيد، الثقافة والإمبريالية، 2014، صفحة 16). حيث صار بإمكان المهمشين إسماع أصواتهم للعالم، وصوغ رؤاهم المختلفة والغنية، وإزاحة الأصوات المهيمنة التي فشلت في عقد حبل الاجتماع الإنساني.

وليست فكرة مركزة المهمش إحلالاً له وفق التراتبيات التي وضعها الآخر، بل هي آلية في الكتابة تمنح الحق للمهمش في الكلام بعدما سلب منه، وقد قال الغجر كلمتهم وبالتالي أنتجوا خطابهم وتمثيلهم الذاتي (بوعزة، 2014، صفحة 47) عبر الرواية من خلال صوتهم مهتاب، الشخصية البؤرة والفاعلة في الرواية، والتي تحضر راقصة جميلة " كهرة عربية أصيلة؟ أو كرهرة برية متفتحة في جوف الصحراء؟ [...] تحشوع مؤمن في محراب، كدموع توبة" (المددي، 2015، صفحة 27)، مفعمة بالحياة " اندلقت من جلتار ثغرها سيمفونية ضاحكة" (المددي، 2015، صفحة 28)، مقبلة على الآخرين ولو كانوا غرباء كما أقبلت على بدر البدوي القادم من واحات جنوب المغرب وتزوجته.

يشكل العجر مُطلقاً ورهاناً للرواية، وبذلك فالرواية بوح بحقائق جديدة تستدرجنا إليها الروائية لتقول لنا بأن هؤلاء الناس هم صورة لكل مضطهدي الأرض، وهو ما يعبر عنه مضمون حوار الحلم الذي دار بين شخصية غريب والمرأة ذات الوشاح الممزق: "ها نحن نرسو في مرفأ للألم.. نتجرع الآهات من فنجان الذكرى.. يمزقنا ماضيها المشترك بمدى الندم ويثرنا بتيلات ذابلات أمام شرفة للحاضر" (المددي، 2015، صفحة 15)، إذ يلتحم الغريب العربي بالمرأة العجورية ذات حلم اتفق على إذابة ذاتيهما معا في بوتقة الألم والآهات والماضي المشترك. إن الهوية الجديدة التي نتقن بها الذات في الرواية متداخلة ومتشابكة مع هويات متعددة، تجد مرجعها السرد في عالم العجر الذي يمكن أن يمنحنا دروساً في فن العيش.

تأطر موضوع الرواية ضمن تجربة متميزة، تستقي من خلالها الروائية الرؤية المتعددة لمسألة الهوية والمتوحدة ضمن الأفق الإنساني الرحب، و"نتعينها هنا فضاء نصياً لمقاومة من نوع خاص، ذلك أن المتاهة اللامحدودة للعالم تجبر السرد على أن ينجز رحلة باتجاه إعادة تملك ما بات مهدداً بالانقراض والزوال" (الخصراوي، 2017، صفحة 88)، وهذا ما عملت عليه الروائية باستثمار ممكثات السرد في سير أغوار ثقافة مهددة بالزوال واكتشاف مقومات بقاءها وتوليف عناصرها المتباينة مع عناصر ثقافية أخرى لتحدد للإنسانية أفقاً جديداً مبنياً على التعدد وعلى تخصيب الذوات وقبول المختلفين. هكذا يتحول استدعاء العجر في هذه المهمة النصية إلى تمثيل للأنثى الجمعية التي تعد الروائية جزءاً منها، وبذلك فالكتابة هنا هي كتابة عن الذات وعن الأنثى في امتدادها الواسع، ولا يعدو العجر هنا سوى ذات أخرى تشبهها في الألم.

#### • تمثيل الصراع بين الأنثى والآخر:

أخذت الرواية على عاتقها طرح مشكلات الأنثى في علاقتها بالآخر، ونبشت في قيم التعارض الذي يُنتج الاحتراب والدمار، وبذلك فالرواية تأكيداً للنزعة الإنسانية في الطرح. على أن النص قد تجاوز وظيفة التعبير إلى التعرية واختراق للعلاقة التي ظلت تربط الشرق بالغرب، إذ كان الشرق، وما يزال، مجالاً عجائبياً يستدعي الاكتشاف.

تذكرنا الرواية بالصور النمطية حول الشرق والغرب والتعارض القيمي بينهما، وتبدي صورة هذا التعارض بين البطلة (مهتاب) التي يستعير لها السرد صورة الشرق؛ ذلك الشرق الساحر بتفاصيله الجمالية لم ينتبه لها الغربي أثناء اكتشافه، فهتاب أو (مادرينا) التي اختارت أن تكون خادمة لتظل برفقة ابنتها (لونا) تُضمّر هذا الصراع المبطن، ويظهر ذلك في انفعالات (آن) المكتوية بنار الغيرة من جهة، والتعالي المرضي من جهة أخرى، وكان هذا الانفعال يسكن دواخلها، ودائماً تتساءل: "كيف لخادمة

مشرقية متشردة أن تهزم الروح الباريسية الأنيقة التي تسكنها؟" (المددي، 2015، صفحة 118)، على أن هذا الائتمان لا يفهم كتكريس لهذا الترميز الثقافي الذي ابتدعه الإنسان الغربي عن الشرق، بل هو تداعٍ حر لأصوات الرواية بكل أمراضها بغيّة كشف العلاج اللائق لها، وهو ما تبني عليه المؤلفة مشروعها الروائي.

وعلى غير المعتاد، فإن العلاقة بين الشرق والغرب في هذه الرواية تتأسس بخطاب مضاد يملك الشرق قوانين إنتاجه، ويفرض تمثيلاته على الآخر متحرراً من هيمنته، فإذا كانت "الثقافات المهيمنة تعتمد إلى إنتاج تمثيل انتقاصي عن الثقافات الخاضعة والمنضوية، بحيث يناط بهذا التمثيل مسؤولية إبقاء المهيمن مهيمنًا، والخاضع خاضعًا" (كاظم، 2004، صفحة 453) فإن السرد هنا اخترق هذا التمثيل المهيمن وأنتج تمثيلاً جديداً يعيد الاعتبار للأنا المهمشة باستثمار الممكنات التخيلية، وبذلك تزوج الرواية بين البعد الجمالي في السرد والبعد المعرفي لما تنتج خطاباً نقدياً متفنعاً باللغة، حيث تتحول اللغة إلى وسيلة فضح للآخر المتعجرف الذي لا يؤمن بقيم الاختلاف، وتصدر لغته عن تعال ينتقص من الآخر لما يركز نفسه.

تقدم الرواية شخصياتها بصورة متصادمة، وتحتزل كل منها تصوراتها عن الأخرى، فهتأب العجربة هي صورة للشرق، حيث الجمال والعفوية الذي يكسر أنفة الأوروبي التي ما فتئت شخصية آن تكرسها، وتقدم آن شخصية مغالية في الحط من الآخرين، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل تمتنى آن أن يصبح الآخرون صورة لها، وهو ما يكشفه الراوي عندما يستحضر رغبتها الداخلية، إذ "كانت تتمنى في قرارة نفسها لو كانت تلك الرأس الصغيرة تشع خصلات ذهبية وترصعها جوهرتان لازوردتان أوروبيتان، عوض كل ذلك السواد الشرقي الخفيف" (المددي، 2015، صفحة 98)، وهذه الحساسية الجمالية تصدر عن اعتقاد أوروبي بأن العرق الأبيض أفضل من غيره، و "بياض البشرة كان يمثل فكرة وحقيقة واقعة [...] ويعني التحدث بأسلوب خاص، والتصرف وفقاً لمجموعة محددة من القواعد [...] إذ كان ضرباً من ضروب السلطة التي تدعو الأجناس غير البيضاء بل والأجناس البيضاء نفسها للخضوع أمامها" (سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، 2006، صفحة 353). إن من شأن هذا الاعتقاد أن يرسخ في ذهن الأوروبي أفضلية الجنس الأبيض على بقية الأجناس، ومن ثمة سيسعى أصحابه إلى إقصاء الآخر كما حدث مع مهتاب، ويمتد الإقصاء حتى إلى زوجها الإسباني غريغوريو، إذ لم تكن ترى في طقوس الكورديا، التي كانت تمتعه، سوى طقوس بربرية، وبذلك فهي تقيم حداً فاصلاً بين ثقافة متنورة تبناها، وثقافة بربرية يتبناها الآخرون، وتمنح لنفسها الحق في تقييم الأبعاد الثقافية للجميع، ومثل هذه النظرة المتعالية تصدر باعتبار أن "الثقافة الغربية - الأوروبية هي ثقافة المعيار، والعقلانية والتطور والقيم

كلها يجب أن تكون مطابقة لنسخة الفكر الغربية- الأوروبية، ويجب إصلاح سائر الشعوب، أو الرضوخ للنموذج الغربي في الحياة" (بارسانيا وملك آباد ، 2017، صفحة 10).

وهكذا تتحول ساحة مصارعة الثيران من فضاء سردي متخيل إلى فضاء مفعم بالتأملات الثقافية، والسجلات المعلنة ممن يملكون قوة الحديث، ومبطنة ممن لا يملكون هذه القوة، ف "آن" الفرنسية المتعالية "تلعن بربرية الإسبان، وتعاتب غريغوريو على دمويته" (المددي، 2015، صفحة 112)، بينما تدخل مادرينا نفسها في مقارنة حضارية متسائلة عن جدوى "اتهام المسلمين بالبربرية والدموية كل عيد أضحى، بينما هم يتفننون بين نزوة وأخرى في تعذيب الثيران، وتعذيب البشر أيضا؟" (المددي، 2015، صفحة 113). وعلى ضوء هذه الرؤى المتناقضة يتحول النص إلى محاكمة تخيلية للقيم التي تجد مرجعها في الواقع.

على أنه مقابل هذا الإعلان عن محيكت الرواية بنبرة التعالي من لدن آن، يحضر الإسباني غريغوريو مدافعا عن نفسه، قائلا: " أتم الفرنسيون قاصرون عن فهم الفلسفة العميقة للكوريدا" (المددي، 2015، صفحة 112)، أما الشخصيات المضطهدة كهتتاب فتلوذ إلى الصمت ، وينوب عنها السارد في الإفصاح عما يمسه من جروح نفسية، ولا يسعها إلا الإقرار بالفشل الحضاري مؤكدة أن "الناس في وطنها ثيران آدمية رهنت نفسها للشقاء والألم، في حلبة مصارعة اسمها المشرق" (المددي، 2015، صفحة 113).

وفق هذا الأساس الذي يميل إلى الانتقاص من الآخرين، تشتق لنا سمات آن حتى لتبدو صورة متعجرفة لا يرى في الآخرين سوى الانحطاط والتخلف، إذ " إن الحديث عن التركز يُحيل دائما على التعالي والسمو والتفوق، وفي المقابل كان لزاما ظهور مصطلحات أخرى من قبيل التخلف، الانحطاط والضعف... حتى تكتمل الصورة التي يشتهي التركز أن يوجدها أو يوجد فيها" (مهادي، 2013، صفحة 172).

يتبين أن الخطاب المتعالي لا يعبر عنه داخليا ضمن حوار الذات مع نفسها، بل يصدر وجها لوجه من آن نحو الفتاة لونا عندما ترغب هذه الأخيرة في الرحيل من قسوة آن، حيث ترد عليها قائلة: " يكفيني أن أربي أبناء إدوارد، على الأقل هم فرنسيون أحقاد، تجري في عروقهم الدماء الزرقاء" (المددي، 2015، صفحة 152).

تُمنع الروائية في تقريننا من الغرب الذي نهمل عنه الكثير، المتعارض مع قيمه والمتوحش في معاملته للمختلفين حتى ولو كانوا أطفالا، فلا يحق لهم الاختيار، إذ يوضع هؤلاء الأطفال في مآزق نفسية كانت لونا بطله أحد هذه المآزق عندما وجدت نفسها في مركز للإيواء، حيث " كان المركز يعج بالآباء

المكولمين، خاصة من المهاجرين المغاربة الذين انتزع منهم أطفالهم بالقوة" (المددي، 2015، صفحة 153). إن سوء الفهم بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر تلقي بظلالها عبر تخوم الرواية، ويتحول الأطفال إلى عاهات نفسية شديدة التعقيد، لا سيما أن "أسماءهم ودياناتهم ستتغير طبقاً لاختيارات المحتضنين الجدد" (المددي، 2015، صفحة 153)، ولعل الالفت في موضوع التبني أن وقع الاختيارات تحضنه الدولة بمؤسساتها، ويتحول هذا النوع من العنف إلى عنف منظم يبيح للمؤسسة ما لا يبيح للأفراد وهو ما عملت الرواية على فضحه باقتدار.

على النقيض من شخصية آن المتعجرفة تمنح المؤلفة حق التعبير لصوت آخر يُكسر صورة عن الغربي المتشعب بقيم الأنوار، إنه يبير الذي " يؤمن بالانفتاح والتعدد الثقافي، ويؤمن بضرورة محاربة اليمينيين المتعصبين للعرق الفرنسي أو المسيحية الكاثوليكية" (المددي، 2015، صفحة 153) وبذلك فالكاتب هنا ليست مُحكمة تصدر عن حساسية ثقافية تجاه الآخر، بقدر ما هي ذاكرة حابلة بتناقضات المجتمعات، تجعل المتلقي منخرطاً في السجال الثقافي، ومُستنتجاً بمحض إرادته ضرورة رفض التعصب والانكفاء على الذات.

يقودنا تتبع هذه الشخصية في الرواية إلى التعاطف معها برغم انتمائها إلى الفضاء المغاير للأنا، إذ تمثل صورة المثقف المضطهد في البيئة الأوربية بسبب جنوح أفكاره عن السائد، وخضوعه لسلطة رمزية تندثر بالانفتاح والحرية، لكنها تخفي هذه القيم، فواقف الرجل في السياسة جرت عليه الويلات، منها سقوط ابنته أديل ضحية حادث سيارة مدير انتقاماً من والدها المتهم بمعاودة السامية، والذي تعرض لمضايقات كثيرة انتهت بمنعه من العمل في أي مكان واضطراره إلى بيع الخردة بضواحي باريس الفقيرة. إن الحفر عميقاً في تفاصيل هذه الشخصية يقودنا في النهاية إلى هوية مبنية وفق الاختلاف، وتنتأى عن التعصب والتزمت، وهذا مذهب الهوية ذات البعد الإنساني إذ " لا تعطى الهوية مرة وإلى الأبد، فهي تتشكل وتتحوّل على طول الوجود" (معلوف، 1997، صفحة 25). وهذا الإيمان بضرورة الاختلاف هو ما نتطلع إليه الرواية وتعمل على خلقه بالتخييل.

هكذا تُنتج رهانات الرواية عبر شخصياتها، فالآخر ليس أفكاراً ثقافية ذات بعد واحد، ويبير هو الحل للعقدة الثقافية، فهذه الشخصية تمثل العلاج للتمزق الهوياتي للونا، حيث تنطق بلسان أبعد عن الضيق والتعصب، وموغل في احتواء الآخر. فعندما يُعرف ببير نفسه يقول: "إنني أتعصب للعرق الإنساني، وأعتنق دين العقل" (المددي، 2015، صفحة 153)، وهذه الحالة من قبول العرق الإنساني في اختلافه من شأنها إنهاء حالة الاغتراب الوجودي للإنسان، لا سيما أوروبي ما بعد الحداثة الذي تأكلت عنده قيم الأنوار، وبات ينظر إلى الآخر كتهديد ثقافي يلزم أخذ الحيطة والحذر منه.

## • تمثيل الهوية: من التشظي إلى الاستعادة

تعكس لونا ثمة زواج بدر بمهتاب، فهي نموذج للهوية الممزقة الضائعة، إذ تمر ذاتها بتحولات عنيفة تدخلها مدارات التمزق والتشظي، فتتحول عقدها كشخصية سردية إلى عقدة ثقافية، وفي كل مرة تستجمع هويتها تُعاد للتفكك مجدداً، ويقابل لونا في الحلم شخصية قمر التي ينتهي بها المطاف ضائعة نحو أمواج الدماء السوداء، ويظل الضياع السمة التي تصاحب هذه الشخصية على امتداد صفحات الرواية. أما في تشخيص الحدث فيتبدى الضياع واضحاً في هذه الشخصية التي تتجاوزها مواقف متناقضة، فلم يكن العيش سهلاً بجانب غريغوريو وأن اللذين يصطنعان الأبوة والأمومة ويشعرانها بالحرمان، فهي طفلتهما المتبناة ومدارينا عرابتها التي تجهل بأنها أمها الحقيقية.

كانت لونا ترى في مدارينا الملاذ لها من قسوة آن، وكانت مستودع أسرارها، وكلما أحست بالضيق تفرغ لها مشاعرها، لكن الاختفاء المفاجئ لمدارينا إثر حريق افتعلته شب في كوخها المتاخم لبيت غريغوريو غير مسار الفتاة لونا مجدداً، وتُركت وحدها تتجرع آلام الفقد وتعيش على واقع الانشطار مع حصالتها التي تحوي هدية طلبت منها ألا تفتتحها إلا بعد مدة؛ فقد كانت العرابة تحتل مساحة الأم الحنون معوضة قسوة آن.

أول ملامح تشظي ذات لونا تجلي في حادث اختفاء مدارينا الذي سيلقي بظلاله على غريغوريو أيضاً، إذ بدا معذباً جراء هذا الفقد، وهذا ما زاد من غيرة آن، مما دفعها لأن تغادر البيت رفقة لونا نحو فرنسا لتستعيد حبا قديماً لها هناك، لكن هذا الفضاء الجديد الموحش للونا لم تستطع أن تألفه ولا أن تألف قسوة آن التي تزداد يوماً بعد آخر.

وثاني ملامح تشظي لونا هو السفر القسري نحو فضاء جديد زاد من انشطارها، فقد كان انتقال فتاة صغيرة من فضاء إسبانيا المألوف إلى فضاء باريس الموحش بمثابة شرح في شخصيتها، لا سيما إذا استحضرننا هشاشتها في تقبل هذه التبدلات المكانية مع ما صحبها من ظروف الاعترا ب نتيجة الاجتثاث من أرض الطفولة من جهة، واضطرارها إلى العيش مع حبيب آن وأبنائه من جهة ثانية، ولما استمر الحال ثلاث سنوات في الحرمان من عطف الأب وحنان الأم ترسخت عندها فكرة الهروب إلى واقع آخر مغاير.

أما الملمح الثالث في تشظي هذه الذات فهو لحظة الهروب، إذ تؤسس لحظة هروب لونا من بيت أبيها الجديدين الزائفين بداية لاكتشاف الذات عالماً جديداً، يبدو قاسياً في بدايته، ويعمق جراحها حالما تجد نفسها وحيدة في الشارع من دون مأوى.

على أن الهروب الاضطراري للونا كان جسرا ضروريا عبرت من خلاله نحو إغناء هويتها، حيث صادفتها أوسيان زوجة بيير التي رفقت بها واصطحبتها إلى مركز العناية بالأطفال ومن ثمة إلى بيتها، ومن حسن حظها أنها آوت إلى عائلة متفتحة على قيم التعدد والاختلاف، ف "بيير" رجل يساري سبق أن تبنى طفلاً مغارياً لم يغير له اسمه ولا دينه "فقد كان بيير يؤمن بالانفتاح والتعدد الثقافي، ويؤمن بضرورة محاربة اليمينيين المتعصبين للعرق الفرنسي أو المسيحية الكاثوليكية" (المددي، 2015، صفحة 153)، وقد كان هذا اللقاء فرصة للونا في سبيل الحفاظ على هويتها، إذ أبقى على اسمها على غير عادة الأبناء الذين تُستبدل أسماءهم وأديانهم وانتماءاتهم.

لكن اطمئنان لونا لهويتها لن يستمر طويلاً، ففي فضاء الإقامة الجامعية تمزق مجدداً، إذ ينزف جرح جديد لها عندما تصطدم مع إيلانة؛ الفتاة العراقية ذات الأصول الكردية، الكسيحة التي أصيبت في القصف فبترت رجلها اليسرى، ففي غمرة ثمالة، انفجرت لونا في وجهها ذات ليلة: "أنت كسيحة بكلك وكالعالم الذي تنتمين إليه [٠٠٠] تريدن أنت ومشرقك تدميرنا؟ أبداً، نحن الأقوى.. الغرب هو الأقوى، أنا أقوى منك يا إيلانة [٠٠٠] أما أنت فجرد كردية تنتمي إلى مشرق الموت والدمار..". (المددي، 2015، صفحة 177).

يبدو أن هذا الخطاب بالرغم من صدوره في لحظة ثمالة إلا أنه تداعج حر لعقدة التفوق التي تعاني منها لونا، فقد تربت في أسرة رسخت فيها هذه العقدة، مُعتقدة أنها الأفضل، وليس تحقير الآخر من لدن لونا ينطبق على إيلانة الكردية وحسب، بل يمتد إلى أصدقائها المغاربة الذين كانوا في مخيلتها " مجرد عبيد متاعيس، يعيشون كالبهائم، كائنات شبقية بهيمية لا تفكر إلا في تلبية شهوات الجسد" (المددي، 2015، صفحة 160). وفق هذا التمثل الاجتماعي للونا عن المغاربة بنت كينونتها، وهو ما منح لها نوعاً من التكيف وتبرير سلوكياتها مع إيلانة ما دامت تنتمي إلى أمة أوروبية متميزة عن بقية الأمم الأخرى. فقد استقر في لاوعياها أن "الأوروبيين المتحدرين عن الجنس الإغريقي يتسمون بميل فطري إلى ممارسة الحرية والعقل، بينما يتصف "الشرقيون" باستمراءهم العبودية، وعجزهم عن الممارسة العقلية الصحيحة" (إبراهيم ع، 1997، صفحة 25).

ولا يلبث شعور التفوق يستمر عندما تعلم لونا فحوى ما يوجد التي تركتها مهتاب، إذ لم تكن الهدية إلا صورة مهتاب ورسالة تعرف بهويتها كاملة: "تذكري دائماً أنك لست فرنسية ولا إسبانية، ولا مسيحية.. أنت مشرقية مسلمة..". (المددي، 2015، صفحة 191)، فلم تكن هذه الحقيقة صدمة نفسية لها وحسب، بل هي انكسار لشوكة التفوق، ومن ورائها كسر أنفة الآخر الذي ينتقص من الأنا غير عابئ بمشاعره وبانفعالاته، ويزداد الأمر حدة عندما يصير الرفض ديدنه، وتصبح لونا الغريبة بالماضي

والمشرقية في الحاضر عرضة لهذا الرفض: " أحس بالرفض يا عمي... الجميع يرفضني.. حين ارتديت هذا الشال صار الجميع يرمقني بريية وخوف" (المددي، 2015، صفحة 206).

لقد كانت هذه الحادثة مرآة للذات تعكس هويتها بالأمس، لمست من خلالها عنف الآخر في ممارسة سلطة الرفض والإهانة والإلغاء، وما كان للونا أن تحس بهذا كله لولا المسار العنيف الذي جعلها السرد تتخبط فيه، وهو تأكيد على أن مسار بناء الذات لا بد له من أن ينطلق برحلة بحث عن الكينونة، ويمر بأزمة ضياع غير محسوبة العواقب، ليصل في الأخير إلى حالة الاستقرار النفسي.

ينتهي الحال بلونا إلى الانقياد لتعدد هويتها الشخصية بين أب مغربي، وأم عجزية، وفضاءات متعددة بين الشرق والغرب، وهكذا يُستعاد جزؤها الضائع بين هويات متعددة ليذوب في ساحة جامع الفناء بمراكش حيث، حيث جعلت الساردة من رمزيتها اسم الساحة دلالة على الفناء الذي يفضي إلى العيش والتعايش، ففيها " تفتنى فيها كل الاختلافات، ساحة تجمع الجميع في بوتقة واحدة" (المددي، 2015، صفحة 221).

إن رؤية رواية " العجزية" تنسجم ورؤية الروايات المغربية الجديدة التي تتخذ من فرنسا جزءا من فضاءها السردية مع تعرية تناقضات المجتمع الفرنسي الذي رهن نفسه لليمين المتطرف متخليا شيئا فشيئا عن روح الأنوار، مثلما يرد عند محمد برادة في روايته "موت مختلف"، حيث تقدم شخصيتها الرئيسة مثقفة متنورة، متسلحة بأيديولوجيا التنوير، غارقة في تفاصيل اليومي الأوروبي، لكنها تصطدم بكابوس الرفض الذي يواجهها ابنها في فرنسا اليوم، والتي غدت تشرح أصول وهوية الناس وتصادر حقهم في المزج بين هويات متعددة تمنح للفرد الانفتاح والتوازن من خلال التهجين المُخَصَّب (برادة، 2016، صفحة 169).

وقد عملت الرواية على ارتياد أفق هذه الازدواجية في التعامل مع قضايا الهوية والانتماء، واشتغلت بتخصيب هوية لونا من خلال دفعها في مسار تهجن فيه هويتها، مسار يتراوح بين العنف جراء الجروح النفسية، والطف الذي يداوي هذه الجروح مؤقتا، وصولا إلى الاطمئنان حيث تُستعاد الروح الوجدانية للشخصية مجددا.

#### خاتمة

إن الرواية، وهي تفكك الهويات المتصارعة، تتخذ من لونا العجزية بطلتها وتهجنها بمحو كل سماتها الثقافية المميزة لتدخلها في فوضى الهوية، وتشتبك ذاتها مع بعضها "أنا خليط من الأجناس" (المددي، 2015،

صفحة 192). إنها انتماء إلى العجر الذين ينتمون إلى الأرض كلها وإلى السلالات كلها، ورسالة أمها تأكيد لهذا التهجين المفتعل في مسار الشخصية "لونا"، إذ "العجر حقا لا يؤمنون بالحدود" (المددي، 2015، صفحة 195)، وبذلك نجحت الروائية في تمثيل مجموعة من القضايا ببراعة سردية عبر أصوات متعددة؛ صوت سمع عاليا لأولئك العجر الذين فرض عليهم الصمت وحرموا حق الكلام، فكانت الرواية بوحا بهواجسهم، وصوت المهمشين أمام سلطة المركز الذي لا يتورع في اقتناص الفرص للانتقاص منهم مقابل إعلان سموه وتفوقه، وصوت قمر التي تمثل هوية ما بعد الحداثة؛ تلك الهوية المتشظية والمتسمة بالصراع النفسي بين الانتماء لحضارة الشرق أو الانتماء لحضارة الغرب، والتي تجد علاجها في ضرورة التخصيب بما يعنيه من دمج العناصر كلها، وكل رغبة في الارتباط بجانب واحد من هويتها هو سلخ لاواع لها.

إن رواية العجيرية، وهي تلمس خطواتها نحو سرد مغاير، استطاعت أن تضيف إلى حرقه الأسئلة الراهنة جمالية الحكاية من خلال السفر بالقارئ إلى فضاءات متعددة؛ المغرب، العراق، فرنسا، إسبانيا وفضاءات متخيلة، وأقنعتنا أن الحلول لمشاكلنا الهويةية هي على الأرض، وليس في سماء أخرى متخيلة، ومن خلال منح الحق للجميع في التعبير عن هويته والتصالح مع المختلفين مهما كانت اختلافاتهم. وأن هوية الذات في زمن ما بعد الحداثة هي هذا الاختلاف وهذا التهجين المخصب.

لائحة المصادر والمراجع:

• الكتب:

- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج1، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط 1، 2016.
- محمد بوعزة، سرديات ثقافية: من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014.
- وئام المددي، العجربة، المركز الثقافي للكتاب، ط1، الدار البيضاء، 2015.
- جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ط1، 2008.
- إدوارد سعيد ترجمة: كمال أبو ديب، الثقافة والإمبريالية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 4، 2014.
- إدريس الخضراوي، سرديات الأمة: تخيل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 2017.
- نادر كاظم، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- إدوارد سعيد ترجمة محمد عناني، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- منير مهادي، نقد التمركز وفكر الاختلاف: مقاربة في مشروع عبد الله إبراهيم، دار الروافد الثقافية- ناشرون، ط1، بيروت، 2013.
- أمين معلوف ترجمة نبيل محسن، الهويات القاتلة: قراءات في الانتماء والعولمة، دار ورد لطباعة والنشر، ط 1، دمشق، 1997.
- عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت 1997.
- محمد برادة، موت مختلف، دار الفنك، ط1، الدار البيضاء، 2016.

#### • المجالات:

- حميد بارسا نيا وهادي بيكي ملك آباد ترجمة حسن الصراف، مجلة الاستشراق في عصر ما بعد الحداثة أسسه وتناججه، دراسات استشرافية، ع 10، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2017.



"صورة الرجل في الأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية المغربية : الواقع وآليات التجويد  
- في الفترة ما بين 1919م إلى 2023م -"

The Portrayal of Men in Moroccan Cinematic Films and TV Series: Reality and Improvement  
Mechanisms - From 1919 to 2023

البصري سليمان: أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي بوزارة التربية الوطنية والتعليم والرياضة - المغرب

[Salman.elfarisi14@gmail.com](mailto:Salman.elfarisi14@gmail.com)

❖ ملخص البحث :

يتناول هذا البحث صورة الرجل في الأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية بالمغرب من حيث مضمونها، وعلاقتها بالواقع المعيش. وتكمن أهميته في قوة تأثير الفنون المرئية على المجتمعات المسلمة، وكثرة أخطارها وأضرارها، وهذا ما دفعنا إلى البحث عن البديل الفني لتجويدها. كما يسعى البحث إلى استخلاص صورة الرجل من خلال 36 فيلما، و17 مسلسلا بالاعتماد على منهج التحليل السيميولوجي، وتقنية التحليل النصي، لنكتشف أن صورته تنوعت باختلاف موضوع الفيلم والمسلسل. وقد توصل البحث في بيبلوغرافيا الأفلام الرجالية إلى عدم وجود بحث علمي في صورة الرجل في السينما والمسلسلات المغاربية، مما يعطي للبحث أهمية لتنتجها التي خلص إليها في كون هذه الأعمال الفنية قدمت عدة صور عن الرجل، فتارة تكون إيجابية، وتارة تأتي سلبية. وتبقى الصورة الواقعية والإيجابية هي الغالبة على العينة التي تم تحليل مشاهدتها، رغم أنها لم تسلم من جرأة سلبية في تناول مواضع تمس بقيم المجتمع المغربي وهويته.

❖ الكلمات المفتاحية : صورة الرجل المغربي - الأفلام السينمائية - المسلسلات التمثيلية - آليات التجويد

Summary :

This research examines the image of men in Morocco's film films and sketches in terms of their content and their relationship to living reality. Its importance lies in the strength of the visual arts' influence on Muslim societies, their many dangers and damage, which has led us to seek the artistic alternative to their perfection. The research also seeks to capture the man's image through 36 films, 17 series based on the semiological analysis approach, and text analysis technique, to discover that his image varied according to the film and series theme. Research in the bibliography of men's films found that there was no scientific research into the image of a man in cinema and Maghreb series s findings in the fact that these artworks presented several images of the man, A spell that is positive, a circle that comes negative, and a real and positive image remains predominant on the specimen that has been analyzed. s values and identity.

## ❖ المقدمة :

شغلت قضايا الرجل في المغرب العربي العديد من المخرجين والمهتمين، فدفعتهم لكثافة، وإنتاج، وإخراج أفلام سينمائية، ومسلسلات تلفزيونية ترتبط ارتباطا وثيقا بمواضيع رجالية، تعكس نظرة المجتمع على مر السنوات لمعاناة الرجل المغربي وهمومه في الحياة اليومية. وقد تميزت كل حقبة زمنية بإنتاجات تمثيلية ترصد أوضاع الرجال داخل المجتمع المغربي خصوصا، وتحاكي طبيعة الظروف الاجتماعية، والتحديات المطروحة أمامه. الشيء الذي أسهم في وجود أعمال تتعامل مع قضايا الرجل من زوايا ورؤى متفاوتة من مخرج إلى آخر، متأرجحة في ذلك بين ما هو فني وجمالي، وما هو تجاري ومادي.

والمتابع للفيلموغرافيا المتعلقة بالسينما والمسلسلات الطويلة المغربية منذ الاستقلال؛ يجد القضايا المجتمعية التي طرحتها عن شخصية الرجل لا تخرج عن السياقات السياسية، والاجتماعية، والثقافية؛ للمجتمع المغربي. وإذا لم تستطع بعض الأنشطة الفنية تجاوز الصور الكلاسيكية، والرؤى الجامدة حول القضايا الذكورية؛ فإن عينة من السينمائيين والمخرجين المغاربة استطاعوا بجرأتهم كسر ما هو متداول في الساحة الثقافية السينمائية، أو ما يمكن اعتباره في الأمس من "الممنوعات والمسكوت عنه"، وسعت إلى نحو الصورة النمطية حول الرجل التي كرسها بعض الأفلام المغربية، واستغرقت في تلبية متطلبات السوق التجارية وإن كانت على حساب القيم الإنسانية والأخلاقية، والتهمك على الدين، واللغة، والثقافة. إلا أن هذا يفتح للباحثين مجالاً خصباً لاستخلاص مجموعة من القراءات النقدية، والتأويلات الفنية لتوضيح مدى إنصاف أو عدم مصداقية العمل السينمائي والتلفزيوني في نقل واقع الرجل المغربي. هذا وتكون خطة البحث بعد المقدمة من ثلاثة فصول، وخاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات البحث على النحو الآتي :

الفصل الأول : مقدمات وممهّدات بحثية، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الفيلم

المبحث الثاني : تعريف فن السينما

المبحث الثالث : تعريف المسلسل

المبحث الرابع : تعريف التمثيل

الفصل الثاني : واقع الرجل في الأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية

الفصل الثالث : آليات تجويد فن السينما وفن التمثيل، وفيه مبحثين :

المبحث الأول : أهمية البدائل الفنية في الوقت الحاضر

المبحث الثاني : حلول وبدائل مقترحة لتجويد فن السينما وفن التمثيل

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات

#### ❖ الفصل الأول : مقدمات ومهدات بحثية

##### ▪ المبحث الأول : تعريف الفيلم Filmen

- الفيلم لغة : حسب كفين جاكسون "مشتق من كلمة Filmen باللغة الإنجليزية القديمة، وتعني أولا بلورة التصوير الضوئي، ثم الشريط الموثق المغطى بطبقة حساسة للضوء تسمح بتسجيل الصورة وحفظها. ومن باب التوسع أصبحت تعني العمل السينمائي، وجموع الأعمال المنظور إليها حسب مجالاتها، كالفيلم الخيالي..."<sup>1</sup> (كفين جاكسون، سنة النشر 2008م، ص 174).

- الفيلم اصطلاحاً : يعد "الاستعمال الأول للكلمة - حسب قاموس أوكسفورد بالإنجليزية - في المجال السينمائي يعود تاريخه إلى 1897م، حيث كانت تستخدم للإشارة إلى بكرة السيلوليد المستعملة في الفيلم السينمائي، ثم بدأ كلمة فيلم تكتسب معانٍ متنوعة منذ العقد الأول من القرن العشرين، ومن تلك المعاني فيلم سينمائي، أو فيلم روائي طويل"<sup>2</sup> (كفين جاكسون، سنة النشر 2008م، ص: 174 - 175).

أما التعريف الإجرائي للفيلم في دراستنا فهو "وسيلة من وسائل التعبير الفني، تقوم على تسجيل الصور المتحركة على شريط حساس، وإعادة عرضها بأجهزة ومعدات خاصة، والواقع أن كل صورة على حدى هي صورة ثابتة لا تتحرك، وتتابع الصور واستمرار عرضها هو الذي يوهم المشاهد بالحركة"<sup>3</sup> ( موقع: موسوعة مقاتل من الصحراء: الفيلم السينمائي).

##### ▪ المبحث الثاني : تعريف السينما Cinema

- السينما لغة : هي كلمة مختصرة للتعبير الفرنسي cinématographe، وهي تعني باختصار "الفن السينمائي كوسيلة تعبير مستقلة و متميزة، أو القاعة التي تعرض فيها الأفلام السينمائية"<sup>4</sup> (نفيسة نايلي، سنة النشر 2012/2013م، ص: 18).

- السينما اصطلاحاً : السينما مصطلح يُشار به إلى التصوير المتحرك الذي يُعرض للجمهور، إما في أبنية فيها شاشات كبيرة تسمى دور السينما، أو على شاشات صغيرة كالتلفاز. "ويعتبر الفن السينمائي وتوابعه من إخراج، وتمثيل؛ واحد من أكثر أنواع الفن شعبية. ويسميه البعض الفن السابع مشيرين بذلك لفن استخدام الصوت والصورة سوية من أجل إعادة بناء الأحداث على شريط خلوي، وهي فن، أو مهنة صناعة الأفلام"<sup>5</sup> (صلاح الدين أبو عياش، 2015م، ج1/ص678). وأما كون السينما هي الفن السابع، فقد أطلق هذا الاسم على "الفن السينمائي، وكان أول من أطلقه عليه هو الناقد الفرنسي الإيطالي الأصل ريتشيوتو كانودو Riciotto Camudo"<sup>6</sup> (أحمد كامل مرسي، وجدي وهبة، 1973م، ص 313).

والحاصل أن السينما نوع من الفنون المرئية، يعمل على إنتاج وإخراج أفلام تُعرض على شاشات كبيرة، أو على شاشات صغيرة مثل التلفاز، والحواسيب، والهواتف الذكية؛ من خلال الأداء المباشر للممثلين والممثلات.

#### ■ المبحث الثالث : تعريف المسلسل Serial

لم أجد فيما توفر لدي من مصادر كمعاجم مصطلحات الفنون، وموسوعات الآثار والفنون الإسلامية، ومعاجم الآداب والعلوم من عرّف هذا «المصطلح الفني» رغم وروده كثيرا في «موسوعة تاريخ السينما في العالم» و«موسوعة السينما (شيرمر)»، باستثناء كلمات متناثرة عامة عنه في «معجم المصطلحات السينمائية». والذي تحصل عندي من خلال محرك البحث جوجل أنه: "سلسلة حلقات درامية متتابعة تُذاع على التلفاز، وفي معظم الأحيان مقسمة لحلقات، وكل حلقة هي جزء من المسلسل؛ كل حلقة من المسلسل تقدم لنا أحداث معينة، ثم تنقطع في نقطة معينة وتكمل الأحداث في الحلقة التي تليها"<sup>7</sup> (موقع: Wikiwand).

وينقسم المسلسل إلى عدة أقسام، منها المسلسل الكوميدي، والمسلسل الدرامي، والمسلسل الاجتماعي، والمسلسل التاريخي، والذي يهمننا في هذا المقال هي الأنواع الثلاثة الأخيرة.

#### ■ المبحث الرابع : تعريف التمثيل Acting

- **التعريف اللغوي** : يأتي التمثيل في اللغة لعدة معان منها: التصوير، والتشبيه، والتسوية، والتشكيل، ومَثَلُ الشيء: صَفَتُهُ، ومنه قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) (سورة الرعد، آية 35)، "أي صفة الجنة، ومَثَلٌ ومَثَلٌ به مُثَلَةٌ وهو: أن يقطع بعض أعضائه أو يُسَوِّد وجهه"<sup>8</sup> (ابن منظور، دون سنة النشر، ج11/ص612).

- **تعريف التمثيل في كتب الفن** : فقد عرّفته بتعريفات كثيرة منها القديم، والحديث، والمجمل، والمفصل. وفي الأدب العربي أيضا عرّفه كثير من الأدباء والمفكرين والباحثين بتعريفات عدة، إلا أنها تدور حول معانٍ متّحدة وإن اختلفت عباراتها، ومن هذه التعريفات قول بعضهم "التمثيل هو الإتيان بأفعال وأقوال ذات معنى سامٍ لغرض التسلية والاعتبار"<sup>9</sup> (الدالي، 1433هـ/2012م، ص 52). وعرف آخر بقوله "التمثيل أقوال وأفعال مصطنعة تصدر من أشخاص بقصد التأثير"<sup>10</sup> (الدالي، 1433هـ/2012م، ص 270).

- **التعريف المختار** : نظرا لوجود تعريفات كثيرة للتمثيل وتباينها مبنياً ومعنا، يمكن القول أنها تعريفات غير جامعة مانعة إذا نظرنا إليها منفردة، أما إذا اجتمعت فقد تستوفي جميع جزئيات معنى التمثيل، لذا أرى أن التعريف الذي أسير عليه في هذا البحث هو ما عرّفْتُ به التمثيل بأنه: **أقوال وأفعال تصدر من**

الواحد أو الجماعة، لتقليد وتجسيد حادثة واقعية أو متخيلة قصد التأثير، وهو تعريف قد تجتمع فيه الحدود المشتركة في تلك التعريفات الكثيرة المختلفة.

وقريب من لفظ التمثيل مصطلح التمثيلية، الذي هو "عملٌ فنيٌّ منشورٌ أو منظومٌ، يؤلف على قواعد خاصة ليُمثل حدثاً حقيقياً أو مُختلقاً قصداً للعبارة"<sup>11</sup> (مجمع اللغة العربية، 1425هـ/2004م، ص854)، وعُرف الذي يزاول مهنة التمثيل، أو يقوم بأدوار التمثيلية بالممثل.

#### ❖ الفصل الثاني: واقع الرجل في الأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية

قدمت السينما والمسلسلات الوطنية مجموعة من الصور الرجالية أكثرها واقعي، وبعضها من نسج الخيال والأسطورة، إلا أنها تبقى في جوانبها تحاكي الشخصية الحقيقية للرجل المغربي. كما اختلفت هذه الصور - كحال صورة المرأة - باختلاف موضوع الفيلم والمسلسل، ويمكن حصر هذه الصور التي يغلب عليها التكرار والنمطية في الآتي:

#### - الصورة الأولى: صورة الرجل المثقف والمعلم

إن المتتبع للفيلموغرافيا المغربية المتعلقة بالأفلام السينمائية والمسلسلات التمثيلية يجد عددا لا بأس به من أفلام قدمت شخصية الرجل المغربي في ثوب المثقف والمربي، لكن بعضها للأسف قدم صورة سلبية عن المعلم، وعالج شخصيته بسطحية بعيدة عن الحقيقة وواقع الأسرة التعليمية. ومن تلكم الأعمال في السينما التي قدمت نظرة سلبية عن المعلم؛ فيلم "ابن الثلج" الذي أخرجه محمد الغرملي سنة 2002م، فقد برع هذا العمل في تشويه صورة المعلم، والتنقيص من نبل رسالته، وتقديم شخصيته للمشاهد بصورة سلبية شكلا ومضمونا. "جاءت شخصيته ساذجة وبليدة في قريته لا يعرف معنى التحضر، حيث يظهر في أحد المشاهد مرتديا بذلة سوداء قديمة وضيقة لا تنتمي إلى عصر الموضة. وفي مشهد آخر يمتنع المعلم عن الجلوس في أحد المقاهي بصحبة البطلة الغنية ريم إلا بعد أن تعهدت بدفع ثمن المشروبات. ولا يخفى ما في هذه المشاهد من رسائل تدل على أن المعلم فقير وبخيل وكائن متخلف لا يساير الموضة في لباسه"<sup>12</sup> (موقع الحوار المتمدن، 2006م).

وتتكرر النظرة الدونية لرجل التعليم الابتدائي في وسائل الإعلام المرئي في مسلسلين تلفزيونيين آخرين، أولهما: مسلسل "دواير الزمان"، ومسلسل "البئر والمطفية". ففي الأول للمخرجة فريدة بورقية سنة 2000م سلطت الكاميرا الضوء على "جزء من المعاناة الوجودية للمعلم في علاقته بمحيطه الاجتماعي، وتمظهرت في تدمره من المستوى الهزيل للتلاميذ، مما دفعه إلى حثهم على بذل جهود أكثر، وهذه على أي حال صورة إيجابية للمعلم، بيد أنها سرعان ما ستتلاشى بمجرد تورط المعلم في عملية جنسية تفضي إلى حمل شريكته، ثم تهربه بعد ذلك من المسؤولية، وهذا التهرب من المسؤولية دلالة على جبن المعلم عن

مواجهة أخطائه"<sup>13</sup> (موقع الحوار المتمدن، 2006م). وفي مسلسل "البئر والمطفية" لشفيق السحيمي سنة 2002م برزت "شخصية المعلم في الوسط القروي بملح آخر، فعوض أن تمثل فيه قيم العلم والمعرفة، انقلبت الآية وأصبح متلقيا لها، فلم يكن إلا كائنا بليدا يفتقر إلى الذكاء، بحيث يسيره الآخرون ويهزأون به"<sup>14</sup> (موقع الحوار المتمدن، 2006م). وفي ذلك إشارة خطيرة إلى الأمية الوظيفية والمعرفية التي توجد عليها شخصية المعلم.

ويبقى الاستثناء لبعض الأفلام والمسلسلات حظيت فيها شخصية المثقف والمعلم بصورة إيجابية كمسلسل "من دار لدار" لعبد الحمان ملين الذي عُرض في أربع مواسم على القناة الأولى المغربية، تم إنتاج الموسم الأول سنة 1996م، والموسم الرابع سنة 2002م، إذ يعالج مشاكل الخادמות وصراعهن مع مالكات البيوت. وفيه نجد الرجل المثقف والمعلم هو الذي أنقذ الخادمة من معاناتها الطويلة، وأخرجها من غيابات الجهل إلى رياض العلم والمعرفة بعد أن قام بتعليمها القراءة والكتابة، وأحسن إليها بالزواج بها.

#### - الصورة الثانية : صورة الرجل المتدين والفقير

قدمت السينما المغربية الرجل الفقير والمتدين كشخصية ضعيفة مُترهلة ومنشغلة بكتابة التمام، والولائم، وقراءة القرآن على الموتى. وفي أحسن الأحوال تظهر كشخصية سلبية لا تتفاعل مع ما أحداث المجتمع. ففي فيلم "حلاق درب الفقراء" عام 1982م يقدم المخرج محمد الركاب شخصية الفقير مشوهة بشكل لم يسبق له مثيل. فهو ذاك الشخص الضعيف الذي يزاول مهنة الحلاقة، ويخضع لأوامر رجل أعمال ثري يحكم الحي يقال 'أسي جلول'، والذي يتلاعب به كيف يشاء، ويقوم بتوظيفه لمآربه الخسيسة، ويصفه بمواصفات بهيمة وأنه حمار. "وفي منظر مُقرز ينحني الفقير ليقبل قدمي أسي جلول، ويعترف أمام العامة على أنه بهيمة، وحمار، فيسخر منه الناس ويضحكون، ويطلبون له الإسعاف على أساس أنه أحمق"<sup>15</sup> (موقع ميديا كوم). وفي أفضل الحالات يظهر الفقير في "السمفونية المغربية" لكامل كمال سنة 2006م وهو يقرأ القرآن على أحد الموتى، ويدعو بصورة سريعة مشوهة كأنه في سباق مع الخليل، لذلك لم يفهم الحاضرون قراءته، وهو الأمر الذي عبر عنه الممثل رفيق بوبكر بقوله: (أبا لحسن مات ومالقاش حتى اللي يقرأ عليه سورة صحيحة). وتستمر الحملة الفنية لتشويه شخصية الفقير والمتدين والإساءة إلى الرموز الدينية في فيلم "الشريف مول الباركة" للمخرجة سامية أقريو سنة 2021م الذي قدم صورة سلبية عن الشخص المتدين في صورة المكبوت جنسيا، والحربائي، والانتهازي، والخائن، والشهواني.... والفيلم على قيمته في معالجة موضوع استغلال الدين لقضاء المآرب الشخصية، فقد وقع في انزلاقات فنية وأخلاقية انتهت بالإساءة إلى الدين ورموزه، إضافة إلى مشاهد العري، والإغراء،

والشيطنة، والإيحاءات الجنسية؛ التي تجنّبها الذائقة الفنية، ولا تحترم قيم المشاهد المغربي، وأعرافه، وهويته.

إذا كانت هذه صورة المغربي المتدين في السينما المغربية طيلة عقود؛ فقد استطاع المخرج المغربي عز العرب العلوي أن يُعيد للمتدين والفقير صورته الحقيقية، ودوره المؤثر والمتميز في المجتمع. ففي فيلم "أندرومان" لسنة 2012م "جعله شخصية قوية، حاضرة بكل قوة في المجتمع، فاعلة، مهتمة بشؤون الناس وهمومهم، بل يسهر على إصلاح ذات البين، وجمع شتات الأسر حتى لا تنتفرق وتمزق، ويوجه، ويربي، ويحتضن"<sup>16</sup> (موقع الجريدة الإلكترونية ميديا كوم). وفي فلمه " كيليكيس دوار البوم" سنة 2018م زاد المخرج عز العرب العلوي من جرعة رد الاعتبار للفقير، فجعل منه مركزا للاستماع والإنصات لمنكوبي وهموم ساكنة القرية، يفتح بيته في وجه العامة، ويعطي مما عنده وإن كانت به خصاصة. وكانت وفاة شخصية الفقيه في الفيلم أحد أهم الأسباب التي قلبت الموازين في القرية، ودفعت إلى حراك أدى إلى إغلاق المعتقل الرهيب لسنوات الرصاص في فترة الستينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

أما على مستوى المسلسلات التلفزيونية فنجد هذه الصورة باهتة الحضور إن لم نقل منعدمة، فقليل هي المسلسلات التي تجسد هذه الشخصية، وحتى إن وجدت فيكون لها دور ثانوي تحضر أحيانا وتغيب كثيرا. ومن تلك المسلسلات التي مررت صورة مشرقة عن شخصية الفقيه والملتزم مسلسل "الصك وغنيمة" الذي عُرض سنة 2023م، وفيه نشاهد الفقيه في دور المشاور من لدن الساكنة، والمربي، ومُحفظ الصبيان القرآن، إضافة إلى دوره الأساس في الصلاة بأهل القرية.

#### - الصورة الثالثة : صورة الرجل المغرم والمُحب

ضر هذه الصورة بكل جلاء ووضوح في فيلم "مكتوب Mektoub" أول فيلم روائي طويل صور بالمغرب سنة 1919م، يحكي عن "قصة حب بين 'ولد طاهر' ابن رجل ثري من 'قبيلة الرحامنة' الذي يقع في حب وجمال الممثلة 'سعيدة بنى سعيد' التي شخصت دور المغنية 'طامو' - لتكون بذلك أول ممثلة مغربية - . وفي الفيلم ترد مجموعة من الأحداث منها 'كثورة الرحامنة'، التي كُلف ولد الطاهر بالتفاوض مع قادتها؛ وهو ما أدى به في الأخير إلى الرجوع مسجوناً في قفص حديدي قابلاً قدره، ورفضاً طلب 'طامو' العفو عليه، لأن ما وقع له مكتوب"<sup>17</sup> (موقع المغرب تايمز). كما تحضر أيضا في الفيلم الطويل لحفيد الزوغي: "الحب القاتل" الذي تم عرضه سنة 2004م، مجسدا قصة شاب من عائلة ثرية متعدد العلاقات النسائية، وتحاول والدته منعه من التلاعب بالفتيات، لكنه يصر على ذلك فيقع في غرام الخادمة التي تعمل في بيتهم ويقرر الزواج بها، لكن الأم تقف أمام هذا الزواج، وتقتل الجنين حفيدها الذي في بطن الخادم. كما نجد صورة الحب والغرام من جهة الرجل أيضا في فيلم "شمس القنديل"

لمخرجه فاطمة علي بوبكدي لسنة 2011م. وفيلم "أحلام مؤجلة" لعبد الرحيم مجد سنة 2015م، وغيرها كثير جدا.

أما على مستوى المسلسلات التمثيلية في حاضرة بشكل قوي كما الشأن في مسلسل "لمكتوب" لمخرجه علاء أكعبون سنة 2022م. تدور أحداثه حول قصة رجل أعمال خمسيني ثري توفيت زوجته فدخل في حالة حزن شديد، فيقع في حب ابنة مغنية لأنها تشبه زوجته الميتة، فيقرر الزواج بها متحديا عائلته وزوجته الثانية. وفي مسلسل "إلى ضاق الحال" نجد الفنان "حمزة الفاضلي" يلعب دور العاشق والغيور على محبوبته رغم معاناته مع مرض "العجز الجنسي"، وهو من المسلسلات الحسنة التي سلطت الضوء على موضوع الأمراض النفسية المزوج بالعشق والهيام، وتأثيرها على الفرد والحياة الزوجية.

#### - الصورة الرابعة : صورة الرجل الناجح والمسؤول

إذا كانت نسبة كبيرة من الأفلام والمسلسلات قد تناولت الرجل في قصص الحب والغرام، ومآلاتها المؤلمة أو السعيدة، والتي تعبر إلى حد ما بشكل من الأشكال عن غياب مسؤوليته اتجاه غريزته الإنسانية، ورغباته الشهوانية؛ فإن فيلم "عالال القلدة" من إخراج محمد إسماعيل سنة 2003م يلتقط صورا مختلفة للرجل المغربي المسؤول عن نفسه وأسرته، إذ يحكي قصة بائع متجول للخضر "ياحدي الداوير"، يعمل بجد واجتهاد لكي يتمكن من شراء الأدوية لابنته المصابة بمرض مزمن. وتذكر الصورة نفسها في فيلم "عرق الشتا" لحكيم بلعباس سنة 2016م، الذي يسلط الضوء على علاقة الفلاح بأرضه وانتظاره المطر، حيث تدور قصته حول فلاح بسيط يحاول إنقاذ أرضه من الحجز، بعد أن عجز عن سداد القرض الذي أخذه من أحد البنوك.

كما تظهر صورة الرجل الناجح والمسؤول في كثير من المسلسلات التمثيلية منها "الماضي لا يموت" سنة 2019م، وفيه يستعرض المخرج هشام الجباري قصة محامي ناجح ومشهور يحاول جاهداً الحفاظ على أسرته، لكن حياته وأسرته ستتغير وتتقلب رأساً على عقب عندما يقرر الترشح للانتخابات بسبب أعدائه. وعن الوصول إلى عالم الشهرة والمال من عربة يدوية، "وحانوت" صغير لبيع المأكولات السريعة ينقلنا مأمون الناصري عام 2022م في مسلسله "مول للمليح" الذي يحكي قصة شقيقين ورحلة صعودهما نحو الشهرة والأعمال، وكيف طورا من نفسيهما، وواجهتا تحديات البطالة، ومدافعة أعدال المهنة؛ حتى أصبحا من أشهر الطباخين ورجال الاعمال.

#### - الصورة الخامسة : صورة الرجل المتهاون وغير المسؤول

تم تصوير الرجل المتهاون وغير المسؤول في فيلم "الرقاص" لمخرجه عز العرب العلوي سنة 2010، الذي يروي قصة "ساعي بريد" متقاعد، عاش حياته باستهتار واللامسؤولية مع الأشخاص الذين يعرفهم والذين

لا يعرفهم، ليجد نفسه في السجن محكوم عليه بالإعدام كضريبة لأفعاله وتصرفاته غير المسؤولة. ويركز فيلم "المكروم" لمخرجه داوود اولاد السيد سنة 2005م، الذي يلخص قصة رجل مُتْهَانٍ في حقوق زوجته وواجباته اتجاه أبنائه، حيث يتمتع بطل الفيلم وهو بائع "الملابس البالية" من ختان ابنه الوحيد رغم كبره، لتتقلب حياته من الفقر إلى الغنى بعدما وجد مبلغا كبيرا من المال في أحد "أكياس الملابس" المستعملة، فيقرر البحث عن حياة جديدة بعلاقة غير شرعية، أملا في السعادة التي فقدها مع زوجته وأمها المُتسلطة عليه. والفكرة نفسها نجدها في الفيلم السينمائي "حفيد الحاج".

كما نجد هذه الصورة النمطية تتكرر في المسلسلات التلفزيونية، مثل مسلسل "جريت وجاريت" سنة 2022م، حيث يعكس فيه المخرج لميس خيرات معاناة وكفاح مجموعة من النساء من مختلف المجالات المهنية، والفئات العمرية، والطبقات الاجتماعية؛ في العمل وداخل البيت؛ في غياب مسؤولية الزوج عن رعاية الأبناء والاهتمام بهم، بسبب الوقوع في الخيانة الزوجية. وفي مسلسل "إلى ضاق الحال" لمراد الخودي سنة 2023م يلعب الممثل "سعيد باي" دور الزوج المُستفز، والبطلاني، وغير المسؤول. يستغل سذاجة زوجته وحبا ليسلب منها المال لإرضاء رغبته وإدمانه على الخمر والقمار.

#### - الصورة السادسة : صورة رجل الجنس

أضحت السينما المغربية المعاصرة تهتم بمضامين ذات جرأة سلبية باسم الواقعية والحرية، ارتكزت أساسا على الجنس، والشذوذ الجنسي، والدعارة، والكلام المبتذل. بل أمست بعض الأفلام تُخصّص مشاهد لعلاقات جنسية مباشرة متجاوزة التلميح إلى التصريح، تصور عجز الرجل المغربي عن كبح جماح غرائزه، وفشله في التحكم في شهواته. ويعد "المخرج المغربي عبد القادر لقطع" أول مخرج بدأ بأفلام المرأة والجنس في شريطه "حب في الدار البيضاء" سنة 1991م بشكل صريح على شاشة السينما بطريقة جريئة. ففي فيلم "رجاء" الذي أخرجه الفرنسي جاك دويلون سنة 2003م، تُشاهد قصة فتاة مغربية يتيمة تنقلها الظروف إلى العمل لدى رجل أجنبي، فيستغلها جنسيا لتقع معه في علاقات غير شرعية ظنا منها أنه يحبها. وإذا انتقلنا إلى "سميرة في الضيعة" لمخرجه لطيف لحو سنة 2007م تجد بطلة الفيلم تراود ابن أخت زوجها عن نفسه، وتسقطه في حبالها؛ لتروي عطشها الجنسي. وفي الفلم إشارات جنسية كثيرة منها ما يرتبط بالعادة السرية، والخيانة الزوجية، والعجز الجنسي عند الرجل، والرغبة الجنسية عند المرأة، مجسداً الثالوث الشائع في الدراما الغربية: زوج، وزوجة، وعشيق. أما المخرج عزيز السليماني في فيلم "حجاب الحب" سنة 2009م فيركز الكاميرا على امرأة تردي حجابا، وتقيم علاقات جنسية مع أحد الرجال الذي يرفض الزواج بها، مع تصوير مشاهد حميمية في الحمام، وفوق سرير النوم.

والجدير بالذكر أنه يمكن تقسيم "أفلام الجنس السينمائية" إلى نوعين: "نوع قارب الموضوع بشكل مباشر مع المخرج عبد القادر لقطع في فيلم: حب في الدار البيضاء، وفيلم: الباب المسدود. ومصطفى الدرقاوي في فيلم: الدار البيضاء باي نايت. ومحمد أبو الوقار في فيلم: حادة. وفاطمة الجبلي الوزاني في فيلم: في بيت أبي. ونبيل عيوش في فيلمه: مكتوب، و: لحظة ظلام. ويلي المراكشي في فيلمها: ماروك...بالإضافة إلى الأفلام السابقة التي قدمنا موجزا عنها. ونوع آخر تطرق إلى المسألة بشكل من التلميح، دون أن يصور مشاهد جنسية كما في فيلم: قفطان الحب لمومن السميحي، وأفلام الجيلالي فرحاتي: عرائس قصب، وأطفال الشاطئ الضائعين، وظفائر"<sup>18</sup> (موقع Ciné Rouge). والقائمة عريضة الذيل طويلة الميل.

#### - الصورة السابعة : صورة الرجل الخائن

تتصاعد وتيرة توظيف المشاهد الجنسية للرجل الخائن في فيلم "جناح الهوى" لعبد الحّي العراقي سنة 2011م حيث الشاب "التهامي" ابن العائلة المحافظة يقع في قصة عشق مع زوجة عسكري متقاعد ستكلفه مقاطعة عائلته، وهجران الزوجة التي اختارها له والده. كما تبرز مشاهد خيانة الزوج المغربي لزوجته في فيلم "بورن آوت Burn out" الذي أخرجه نور الدين الخماري عام 2017م، ويتطرق فيه إلى مواضيع عديدة كفساد رجال المجتمع الراقي من خلال قصة رئيس "مقاولة" له شخصية مركبة ومعقدة، ينتمي إلى فئة اجتماعية ميسورة، لكنه غير سعيد في حياته الزوجية، فيلجأ إلى اغتصاب أحد العاملات في شركته.

أما في المسلسلات التمثيلية فنجد هذه الصورة حاضرة بشكل مماثل للأفلام السينمائية، إذ تنقل نموذج الرجل الشهواني والعاث الذي لا يرى في المرأة سوى جسدها أو مالها ليحقق شهوته. ففي مسلسل "رضاء الوالدة" للمخرجة زكية طاهري سنة 2017م نجد صورة للخيانة بين الأصدقاء، عندما يتزوج الفنان "أسامة البسطاوي" بخطيبة صديقه المقرب "كريم" بطل الفيلم، ليكتشف بعد زواجه أنها ما زالت تُكن له مشاعر الحب والعاطفة. ويعد مسلسل "جريت وجاريت" للمخرج ليس خيرات سنة 2022م عنوانا مثاليا للزوج الخائن، لأنه يصور موضوع الخيانة الزوجية رغم الحب من طرق الزوجة والاهتمام والرعاية، من خلال دور الفنان "يوسف الجندي" الذي يصمم على خيانة زوجته ذات الجمال، والمركز المهني، والمادي المحترم. وتشارك الممثلة "ماريا لالواز" في مسلسل "عايشة" لمخرجه داني يوسف لسنة 2023م في تشخيص دور المرأة التي تعاني الخيانة الزوجية، وتدخل في صراعات مريرة مع زوجها. كما تحضر هذه الصورة في مسلسل "إلى ضاق الحال" لمراد الخودي سنة 2023م واضحة المعالم مع الممثل "سعيد باي".

#### - الصورة الثامنة : صورة الرجل الثائر والمتمرد

تم تصوير الرجل الثائر والمتمرد على أعراف الأسرة، وقوانين الدولة؛ في فيلم "القسم 8" لجمال بلجدوب سنة 2003م. يطرح فيه المخرج إشكالية تربوية لم يسبق تناولها في السينما المغربية، وهي "الشغب المدرسي" داخل المدرسة المغربية من طرف شباب مراهقين يتمردون على قوانين مؤسستهم التعليمية، ويصنعون المشاكل مع الأساتذة والتلاميذ دون احترام لحرمة المؤسسة، وميثاق القسم الدراسي، وفي غياب تام لمن يردعهم عن تصرفاتهم اللاتربوية وغير المسؤولة. وفي تمرد الرجل على أعراف المجتمع وعوائد القبيلة نجد فيلم "أنطو" لسنة 2022م الذي تؤسس من خلاله المخرجة فاطمة علي بوبكدي على فكرة التعايش بين الثقافات المختلفة، ونبد العنصرية. فمن خلال إقامته في السنغال؛ تزوج التاجر المغربي "عدنان" بامرأة جميلة مختلطة الأعراق، لكنه يخالف الأعراف والتقاليد المتوارثة فيتزوجها زواج متعة، ويحضرها معه إلى المغرب رغم إنتهاء عقد الزواج بها.

وإذا انتقلنا من دور العرض في السينما إلى الشاشة الصغيرة نجد هذه الصورة في مسلسل "نورة" للمخرجة جميلة برجي بنعيسى الذي بدأ عرضه سنة 2018م، فبين أحضان قبيلتين متصارعتين تنشأ قصة حب متمردة لبطل المسلسل تمردا على أعراف القبيلة، وقررا مواجهة الكل، وتحدي كل الصراعات والخلافات القائمة بين أسياد القبيلة.

#### - الصورة التاسعة : صورة الرجل الذكي والماكر

جسدت الأفلام البوليسية الرجل الذكي من خلال البحث في القضايا الإجرامية، سواء المتعلقة بقتل الأشخاص، أو البحث عن العصابات، والقضاء على أنشطتها الإجرامية. فقد حاول فيلم "رأس العين" للمخرج محمد لطفي سنة 2001م أن يبحث في قصة شابة تعمل في أحد المصانع قُتلت في ظروف غامضة، فتبدأ التحريات للكشف عن خيوط الجريمة في مشاهد مليئة بالذكاء الرجولي في علميات البحث والتحقيق. والأمر نفسه يقف عليه المشاهد في موضوع عصابات المخدرات التي تستهدف المدارس التعليمية من خلال فيلم "ليالي بيضاء" لجمال بلجدوب سنة 2004م. أما فيلم "الباحث" لجمال بلجدوب في عام 2007م فيتحدث عن شخصية أستاذ مادة الرياضيات بإحدى المدارس الثانوية يمتاز بذكائه، لكنه يستغله في حل رموز القمار، وبسبب طموحه في تحسين مستوى معيشته مع زوجته استخدم كل ما يملك للدخول في مغامرة كبيرة انتهت بخسارة كل ما أماله.

وفي الجهة المقابلة ينقل المخرج علي الطاهري المشاهد المغربي في مسلسل "الزطاط" لسنة 2022م إلى عوالم من الخيال والدراما حول شخصية رجل معروف بصدقه وذكائه بين الناس في توجيه القوافل التجارية، وحمايتها من قطاع الطرق أثناء رحلاتها التجارية بحيله، وما يقع له من مغامرات أثناء رحلاته الصحراوية. ومن المسلسلات التاريخية الأسطورية عن هذه الصورة، والتي حفرت في التراث المغربي

بما يخرجه من قصص، وحكايات، وأمثال، ونكات شعبية لها تأثيرها على وجدان المجتمع المغربي قديماً وحديثاً؛ مسلسل "حديدان" في جزأيه الأول في سنة 2009م، والثاني سنة 2013م لمخرجه فاطمة علي بوبكدي. حيث يُجسد المسلسل "شخصية حديدان" البارعة في الكذب، والمكر، والتحليل على الناس، مع حضور عنصر السخرية والكوميديا بشكل قوي. كما نجد هذه الصورة بقوة في مسلسل "حديدان في جيليز" سنة 2017م، ومسلسل "حديدان عند الفراغة" سنة 2019م لمخرجهما ابراهيم الشكيري، وأيضاً في مسلسل "حديدان و بنت الحراز" للمخرج محمد نصرات في سنة 2021م.

#### - الصورة العاشرة : صورة الرجل الصادق، والبريء، والساذج

تم تصوير الرجل الصادق، والبريء، والساذج في فيلم "علاش لا" لمحمد إسماعيل سنة 2005م. يسلمت فيه المخرج الضوء على قضايا مجتمعية مختلفة، إلا أن شخصيته المحورية المسماة "عنبر" الذي يبحث عن قوت يومه، يمتن العديد من الأشغال التي تعرضه لمواقف تملأها العفوية والصدق المطبوع بالبراءة والسذاجة في بعض الأحيان. كما تحضر الصورة في فيلم "الشريف مول البركة" للمخرجة سامية أقرسو سنة 2021م المسيء لشخصية "الفقيه" - كما سبق - أو من يعرف بالصلاح، وهو عمل مقتبس من أحد أعمال مولير بعنوان "Le Tartuffe" الذي يعالج موضوع استغلال الدين لقضاء مآرب شخصية، حيث تظهر شخصية "الشريف مول البركة" في صورة الرجل الورع التقي الذي يدعو إلى الله، فيقع "الحاج إدريس" الرجل الغني في الفخ بسذاجته، وتفته الزائدة، فتغير حياته وتكون عائلته أول ضحايا الشريف مول البركة. ويمكن أن نستشف هذه الصورة في المسلسلات التلفزيونية، مثل "الصك وغنيمة" لسنة 2023م، فالمخرج عهد بن سودة حاول أن يصور قصة خرافية وسط قبيلة يتزعمها قائد يمتلك نمرا في بيته، وهرابه يخلق الهلع والخوف بين سكان المنطقة، وعلى رأسهم شخصية "الصك" التي تمتاز بجبنها وبراءتها، ودعائها في الوقت نفسه.

#### - الصورة الحادية عشر : صورة الرجل النرجسي والأناني

توصف النرجسية بكونها الإعجاب المفرط في حب الذات، والتكبر والعجرفة في المواقف والتصرفات، لدرجة أن الرجل النرجسي يسبب اهتمامه المفرط نوعاً من المعاناة للمحيطين به. فالنرجسية يكون صاحبها متمركزاً حول ذاته، ويشعر بالعظمة وإحساس مبالغ فيه من أهمية الذات، بل النرجسية هي الدرجة الشديدة لحب الذات<sup>19</sup> (مجلة الإمامة، 2023م، ص 14). وقد حضيت شخصية الرجل النرجسي في الأفلام الدرامية السينمائية والتلفزيونية أهمية لا بأس بها، ففي قالب كوميدي عائلي استحضرت المخرج والممثل عبد الله فركوس في فيلمه "كورصة" سنة 2018م ثنائيتي النفاق الاجتماعي والنرجسية لأسرة ثرية تجمعها المصلحة المادية، كما يعرض الفيلم "مهنة سائق سيارة نقل أموات المسلمين" التي من

النادر أن يتم التطرق لها في السينما المغربية. وفي مسلسل "المكتوب" لخرجه علاء أكعبون سنة 2022م يجسد فيه الممثل "أيوب كريطع" شخصية رجل نرجسي يعتمد على زوجته وأسرته في تدبير أموره، ولا يكثر للآخرين مهما كانت نتيجة تصرفاته. كما جاءت هذه الشخصية في مسلسل "عايشة" لخرجه داني يوسف لسنة 2023م، حيث استطاع الممثل "جلال قريوا" الذي ظهر في عباءة الشاب النرجسي الذي يستغل سذاجة حبيبته تحت ذريعة الحب بغية تحقيق رغباته، وإن تسبب ذلك في كسر مشاعرهما، وإذابة أنوثتها.

#### - الصورة الثانية عشر: صورة الرجل العاق لوالديه، والبار بوالديه

اهتمت الإنتاجات الفنية البصرية والمرئية في سينما المغرب بموضوع رضى وعقوق الوالدين في مجموعة من الأفلام الطويلة والقصيرة، وفي مقدمتها "ولد مو" لخرجه داوود اولاد السيد سنة 2009م وبطولة عبد الله فركوس. يحكى الفيلم عن قصة أم تبحث عن زوجة لابنها المحبوب والمدلل، والذي يبادلها الحب والاحترام، ولا يقدم على عمل دون أخذ مشورتها. وفي الاتجاه المعاكس نجد الدراما المغربية عن عقوق الوالدين في فيلم "رضاة الوالدين" من إخراج إبراهيم الشكري سنة 2017م الذي يحكى معاناة أبوين ثريين تغيرت حياتهما إثر تفويت الوالد ممتلكاته لابنيه، ليقررا في النهاية الرحيل والعيش في دار المسنين، وبعدها تهال المشاكل والحوادث على أسرة الإبنين نتيجة لعقوق الوالدين والإساءة إليهما بعد البر والإحسان لهما.

وفي مسلسلات الشاشة الصغيرة تحضر صورة الرجل البار بوالديه في مسلسل "رضاة الوالدة"، حاولت فيه المخرجة زكية طاهري سنة 2017م إبراز معاناة الشاب المغربي من البطالة بعد حصوله على الشواهد الجامعية. وقد استطاعت بيان دور الأم، وبركة دعائها، ودعمها المعنوي في تحقيق النجاح، وتجاوز المحن ومشاكل الشباب اليومية.

#### - الصورة الثالثة عشر: صورة الرجل المريض ومن ذوي الاحتياجات الخاصة

اهتمت السينما المغربية خصوصا عكس المسلسلات التمثيلية منذ أزمنة طويلة بقضايا ذوي الإعاقات الجسدية والذهنية، ومعاناة هذه الفئة في المغرب، وما يواجهونه من صعوبات تمنعهم من التأقلم مع مختلف الشرائح المجتمعية، ومواصلة دراستهم، أو تحقيق أهدافهم وأمنياتهم. وقد استطاع الفيلم التلفزيوني "سنة أشهر ويوم" للمخرج عبد السلام الكلاعي سنة 2021م إثارة لمرض التوحد من خلال قصة حب جمعت بين فنان تشكيلي موهوب مصاب باضطراب التوحد مع زوجته، في توليفة فنية رائعة اجتمعت فيها مواضيع حساسة ومعقدة، ومشاعر إنسانية عميقة. ويعد فيلم "أحلام منتظرة" للمخرج محمد كغاط

سنة 2023م من أهم الأفلام التي نقلت معاناة الأشخاص ذوي الإعاقات الجسدية، إذ يسلط الضوء على بعض الصعوبات التي تحول دون تمكنهم من استكمال دراستهم.

وإذا كان هذا النوع من الأفلام فرض نفسه في الشاشات السينمائية، فهو قليل جدا في المسلسلات التمثيلية، وبعد البحث لم أجد سوى مسلسل واحد تطرق لهذا الموضوع، وهو "حميمو" للمخرجين زكية الطاهري وأحمد بوشعالة سنة 2015م. يحكي قصة شاب يعاني من مرض التوحد، وما لاقاه من إهمال زوجة شقيقه القاسية التي لا تريد أن يتعالج من أجل ضمان حق ابنها الذي سيولد مستقبلا.

#### - الصور الرابعة عشر: صورة الرجل المدمن على القمار

تصف مجموعة من "أفلام الحظ، واليانصيب، والرهان، والقمار" حال المقامرِين ونفسيَتهم، وتُحل مسألة الإدمان على هذه الألعاب وجوانبها السلبية، كما تقدم صورة واقعية مصغرة لطبقة هشة في المجتمع المغربي، وصراع هذه الطبقة من أجل الحصول على المال ولو كانت المقامرة بكل شيء مهما كانت قيمته، مع التركيز على مصير هؤلاء الأشخاص بعد الفوز أو الخسارة في لعبة الحظ هذه. وعلى سبيل المثال نجد فيلم "الباحث" للمخرج جمال بلجدوب سنة 2007م، الذي يتحدث عن شخصية أستاذ مادة الرياضيات يمتاز بذكائه، لكنه يستغله في حل رموز القمار، وبسبب طموحه في تحسين مستوى معيشته مع زوجته، استخدم جميع ما يملك من مال للدخول في مغامرة كبيرة انتهت بخسارة كل شيء. وفي الاتجاه المعاكس لهذه الصورة نجد فيلم "عطاتو ليام" لشوقي العوفير سنة 2011م يحكي قصة شاب فقير يربح في لعبة "اليانصيب Loto" ما مجموعه 3 مليار سنتيم. ويصبح محط اهتمام الجميع من أصدقائه، وعائلته، والإعلام. لكن هذا الفوز جعل من الممثل "عبد الله شيدشا" في شخصية "إبراهيم" الرجل المنقذ، حيث يُقرر مساعدة وتحقيق أحلام ساكنة الحي بتلك الأموال التي ربحها.

وعلى مستوى المسلسلات نجد هذه الصورة قليلة الحضور، ومنها مسلسل "الصلا والسلام" لزكية الطاهري سنة 2021م، الذي غاص بحلقاته في مجال تنظيم الأعراس والحفلات، وما يتعلق بها من مهن مغربية كـ "النكافة، والمُغني، والمُصور، والطباخ"، وغيرها من المهن المرتبطة بالأعراس والمناسبات. وقد استطاع الممثل "يوسف الجندي" أن يظهر في صورة مركبة تعاني من مجموعة من التحولات والاضطرابات النفسية بسبب إدمانه على القمار وتأثير ذلك على نفسيته، وعلاقته الأسرية، والاجتماعية.

إذا كانت هذه بعض صورة الرجل المغربي في فيلهوغرافيا الأعمال البصرية والمرئية في السينما والمسلسلات المغربية؛ فكيف رسمت هذه الأعمال صورة المرأة المغربية في الشاشة الكبيرة والصغيرة؟

#### - الصورة الخامسة عشر: صورة الرجل العنيف والمنتقم

قدمت السينما المغربية صورة الرجل المنتقم والعنيف مع زوجته، أو مع أفراد مجتمعه؛ لأسباب موضوعية أو ذاتية. فعن الانتقام للعرض والشرف يخوض فيلم "مكتوب" للمخرج نبيل عيوش الذي صدر سنة 1997م في قصة طيب يحاول الانتقام لشرف زوجته المغتصبة، ويقع في العديد من التحديات والصعاب في طريق الهروب من هذا الانتقام. وعن الانتقام للنفس من الغير يتناول فيلم "دموع إبليس" من إخراج هشام الجباري سنة 2015م قصة رجل تعليم يُعتقل بسبب قناعاته الفكرية والسياسية، ويقضي ما يقارب ثماني عشرة سنة في معاناة أليمة داخل السجن، وبعد معانقته للحرية يُقرر الانتقام ممن تسبب في سجنه، مع أحداث تشويقية مليئة بالانتقام والصفح. أما الفيلم التلفزيوني "مكاتب" لمخرجه حميد باسكيث في سنة 2022م فيسلط الضوء على شريحة مجتمعية قلما كانت موضوع أعمال فنية، وهن "النساء المشتغلات في الأسواق"، وما يواجهونه من إكراهات وصعوبات مجتمعية في كسب قوت عيشهن، بالموازاة مع معضلات العنف الزوجي. ففي هذا الفيلم يلعب الممثل "سعيد باي" دور الزوج العنيف، والاستغلالي لممتلكات زوجته، حيث يستغل خوفها وضعف شخصيتها لسلب المال منها بالقوة والعنف.

#### ❖ الفصل الثالث: آليات تجويد فن السينما وفن التمثيل

##### - المبحث الأول: أهمية البدائل الفنية في الوقت الحاضر

إن من الأولويات التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية في المرحلة الراهنة؛ البحث عن البدائل الشرعية في كل المجالات، ومن أهم هذه المجالات؛ مجال الفنون، واللهو، والترفيه التي استوطنت القلوب والنفوس، ودخلت كل البيوت بغير استئذان، حتى أصبح الناس اليوم غير قادرين على التخلص منها، والتحرر من أسرها وأخطارها. والحال أن الأمة في كل يوم تزداد صلتها بالفنون؛ اهتماما، وقربا، وحبًا، وممارسة، وتوظيفًا، وتطويرًا. وليس الحل في مقابل ذلك هو مقاطعة الأعمال الفنية والوسائل الحديثة من تلفاز، وإذاعة، وسينما... ولا هو التخلص منها أو التوقف عن تشغيلها، أو الإجهاز عليها، أو إلقاؤها في "مقلب الزبالة" كما اقترح الكاتب الأمريكي جيرى ماندر<sup>20، 21</sup> (بجك مروان، 1988م، ص 257). فوسائل الإعلام السمعية والبصرية أصبحت وسائل مدبجة تفرض نفسها بقوة بغير استئذان وبغير إرادة، من ثم كانت الحاجة إلى البدائل الشرعية ضرورة عصرية وحاجة ملحة.

وتزداد الحاجة كلما أصبحت الفنون واقعا لا يرتفع - والحال أنها كذلك اليوم -، وحاجة فطرية إنسانية. كما تزداد الحاجة إلى هذه البدائل الترفيهية إذا علمنا أن من سياسة الشريعة الإسلامية في البدائل أن الله سبحانه وتعالى ما حرم على عباده شيئا إلا وأبدلهم عوضا خيرا منه في العبادات، والمعاملات، وفي كل جوانب التشريع. وكذلك في الهدي النبوي نجد ذلك واضحا في منهجه التربوي والإصلاحية، فإنه إذا حرم

شيئا قدم لأصحابه البديل المشروع مقابل ذلك الأمر الممنوع، لفقهه وعلمه أن النفوس ضعيفة مجبولة على حب العوض والبديل، فقد كان نبي الأمة طبيب النفوس قبل أن يكون مشرعا بالنصوص إن صح التعبير، ونماذج ذلك من الكتاب، والسنة، وهدي السلف كثيرة جدا. يقول ابن القيم في روضة المحبين: "ما حرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه، كما حرم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا وعوضهم منه التجارة الربحية، وحرم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيال والإبل والسهام، وحرم عليهم شرب المسكر وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن، وحرم عليهم سماع آلات اللهو من المعازف والمثاني وأعاضهم عنها بسماع القرآن والسبع المثاني، وحرم عليهم الخبائث من المَطْعومات وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات"<sup>22</sup>(ابن الجوزية، 1983م، ص9).

من هنا طرح سؤال: ما الحلول والبدائل التي يمكن اقتراحها للنهوض بفن السينما وفن التمثيل في المغرب على وجه الخصوص، وفي الساحة الفنية عموما؟

#### - المبحث الثاني : حلول وبدائل مقترحة لتجويد فن السينما وفن التمثيل

مما سبق تبداوا الحاجة ماسة إلى خلق رؤية استراتيجية جديدة، هدفها تعديل وجهة السينما المغربية، والسير بها في طريق ينهض بعجلة المشروع الحضاري للدولة، ويسهم في الإصلاح، والتربية، والتعليم، ويورث القيم العليا، ويعمق الثوابت الدينية، ويحافظ على مقدسات الأمة. لتملأ الفراغ الحاصل في الساحات السينمائية العالمية، وتقوم الاعوجاج في الإنتاجات الفنية. لذا كانت الخطوط العامة لهذه الرؤية تتمثل في الآتي :

1. مشاركة الفقهاء والعلماء بعلمهم واجتهاداتهم، وتكون هذه المشاركة مبنية على روح الشريعة، مصحوبة بمراعاة فقه الواقع، وتغير أحوال الزمان والمكان، وتقديم البديل الشرعي لما يجحد في حياة الناس، مع التحرر من الجمود على النصوص والاكتفاء بإنتاج الأحكام، فالأمة اليوم أحوج ما تكون إلى "منظومة من فقه البدائل الشرعية" على ضوء مقاصد الشريعة، تسير المستجدات والوقائع مع الاحتراز من مخالفة النصوص.
2. إشراك النقاد السينمائيين والفنيين بتوجيهاتهم ونقدهم، وتقديم التدريبات الناجحة تمثيلا، وإخراجا، وكتابة، دون الاهتمام بالتقدي القولي فقط. فلاكتفاء بالتقييم القولي والكتابي لا يجدي نفعا في ظل الرؤية التغييرية.
3. تبني هذه الرؤية التجديدية من المؤسسات الفاعلة، والجمعيات الثقافية، والفنية بالمغرب، تدرسا، وبحثا، وممارسة. فليس من السهل تبني رؤية استراتيجية شاملة تجمع عناصر التمثيل السينمائي تقنيا،

وفنيا بمواصفات مغربية صرفة، سيما في واقع يعيش غزوا فنيا غربيا، وجرأة سلبية؛ باسم "الواقعية" ترتكز على الخطاب الجسدي.

4. تكافؤ الفرص في الاستفادة من الدعم السينمائي المادي والمعنوي لمخرجي الأفلام، فهناك مخرجين يُنتجون أعمالا فنية تجمع بين المتعة الفنية والجدية في معالجة المواضيع، والفرجة التي يبحث عنها المتلقي. ومن ثم فعدم المناصفة والتمييز في هذا الدعم وفي عرض أفلام هؤلاء وأولئك الذين يُنتجون أفلاما ذات خطاب الحب، والجنس، ولغة الجسد، وتتمرد على قيم المغاربة، وقيم الفن النظيف؛ يُوسّع باب استفحال فنون الفتنة، ويقصي أصحاب الأعمال الهادفة الرّسالية، سيما وأن "المبالغ المخصصة للدعم السينمائي تزداد كل سنة إلى ما يقارب 50 مليون درهما، هذا الارتفاع أدى أيضا إلى ارتفاع حجم الدعم المالي المخصص للأفلام المغربية التي كانت تحصل في بداية التسعينيات على 15 مليون سنتيم فقط، أما اليوم فأصبح الفيلم يحصل على ما فوق 400 مليون"<sup>23</sup> (الطالب مصطفى، 2010م، ص 67).

5. انخراط الأحزاب السياسية، والجماعات الإسلامية؛ في هذه الرؤية إذا اقتضت الضرورة، وقد تبني هذه المشاركة في الفنون حركة التوحيد والإصلاح بالمغرب، "فقد جعلت من سلم أولوياتها في مخططها الاستراتيجي الاهتمام بالمجالات والأشكال الفنية، من بينها مجال التمثيل: المسرح، السينما"<sup>24</sup> (مجلة الفرقان، 2010م، ص 9). كما نادى بهذا الانخراط عدد من المفكرين والعلماء المعاصرين، منهم نجيب الكيلاني<sup>25</sup> (الكيلاني، 1971م، ص 36-37). وأكد على هذه الدعوى أيضا أحمد الريسوني في كتاباته ومحاضراته عن الفن، حيث دعا الجماعات الإسلامية إلى الانخراط في المجال الفني بكل أنواعه، معتبرا إياه أداة من أدوات الإصلاح والتثقيف، مشددا على أهمية التمييز بين الفن النظيف وغير النظيف في هذا الانخراط.

وإن المشاركة الإيجابية والمدافعة الحضارية في مجالات الفنون المختلفة ومن ضمنها الحقل السينمائي؛ من الخيارات السليمة والطموحات المرجوة للدفع بعجلة هذا الفن إلى عالم تتألف فيه الصورة الفنية مع الرسالة الإسلامية رغم كل الصعوبات.

6. تبني الدولة بمؤسساتها وأنظمتها هذه الرؤية، لأنه مشروع إصلاحية تغييري يخترط فيه الجميع، "ففي غياب نموذج الدولة لا يمكن أن نرقى بالفن، وبدوقه، وجماله، ورسالته. فالأمة بمؤسساتها، ونظمتها، وأفرادها، وأجهزتها هي التي تصنع المشروع، وترسم التغيير"<sup>26</sup> (لقاء حوار مع الدكتور شاكر أحمد، سنة 2018م، جامعة الحسن الثاني).

إذا تأسس ما سبق فلاشك أن لكل دولة قانونا سياسيا إعلاميا في وضع الأعمال والعروض الفنية وهو ما يعرف بـ "دفتر تحملات"، لكن بالرجوع إلى القطاع الفني وما يُعرض فيه من أفلام، ومسلسلات؛ يجد المتتبع المخرجين، والمنتجين السينمائيين، والفنانين؛ لا يلتزمون بهذه السياسة الإعلامية كما لا حظنا في تحليل الأفلام والمسلسلات السابقة في صورة الرجل. وفيما يلي بعض المقترحات المرتبطة بهذا القانون التنظيمي، يمكن من خلالها تجويد هذا القطاع الفني :

1. سلامة مضمون التمثيلية من كل المخالفات الشرعية، ولا بد أن يكون موضوعها متفقا مع الإسلام وتعاليمه، غير مخالف لعقيدته، وتشريعاته، وأخلاقه.
2. سلامة طريقة أداء الممثلين والممثلات من التكسر، والإغراء، والإيحاءات الغرامية، والجنسية، لأن طريقة الأداء لها أهميتها. فقد يكون الموضوع سليماً لا بأس به ولا غبار عليه، ولكن طريقة الممثل في أدائه بالتكسر في القول، والفعل، وتعمد إثارة الغرائز الجائعة، وإغراء القلوب؛ يُخرج بالتمثيل عن رسالته المقصودة، وثمرته المنشودة.
3. وضع عقوبات قانونية للأفلام المخالفة لبنود دفتر التحملات، والعمل على تطبيقها على المخالفين.
4. فتح باب المنافسة أمام الشركات المنتجة للأفلام والتمثيلات على أساس دفتر التحملات.
5. تخصيص لجان علمية متخصصة في المجال الفني، والعلم الشرعي؛ تقوم بالتقييم، والمصادقة. وبانتقاء الأفلام التمثيلية التي تحترم المعايير الموضوعية وتراجعها، وتوصي بإجراء التعديلات الضرورية.
6. تقوم هذه اللجان بالمصادقة النهائية على هذه الأعمال بعد إجراء التعديلات التي أوصت بها.
7. تقوم شركات توزيع الأفلام التمثيلية بتوزيع هذه الإنتاجات على القنوات والأجهزة السمعية البصرية لعرضها على الجمهور.
8. تشكيل "لجان المراقبة والمتابعة" على تلك الشركات العارضة لمتابعة مدى احترامها لتقديم الأعمال المقدمة إليها دون زيادة، أو حذف، أو إضافة.
9. تحقيق التوازن بين مصلحة الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة، وذلك من خلال التنوع بين المشروعات الإنتاجية القصيرة الأجل لتخدم الأجيال الحاضرة، والمشروعات الإنتاجية الأساسية لخدمة الأجيال المقبلة<sup>27</sup> (محمد غالب حسان، 2013م، ص 225).
10. دعوة وزارة الثقافة والاتصال الوصية على "المركز السينمائي المغربي" إلى إقامة شركة إعلامية خاصة، تختار أرقى وأجود ما في الساحة الفنية المغربية من الأفلام العفيفة الهادفة، الاجتماعية، والتاريخية، والوثائقية، والدينية، والكرتونية، وتقوم بتوزيعها داخليا، وخارجيا. وذلك يساعد على إظهار تلك الأفلام من جهة، ودخولها سوق المنافسة ثانيا. وجعلها سفيرا لبلدان الغرب يتعرف

من خلالها على الحضارة والثقافة والتاريخ الإسلامي، فتمثل المغرب أحسن تمثيل في المهرجانات الدولية والوطنية، بدل تلك الأعمال الفنية المخالفة للشواهد الدينية، والطاعة في مقدسات الدولة.

#### ❖ الخاتمة :

من خلال معالجتنا لصورة الرجل في السينما والمسلسلات المغربية، نتوصل إلى أن كل الأفلام التي اعتمدنا عليها في التحليل اجتهدت في توظيف الرجل بصورة واقعية وإيجابية إلى حد كبير، وبشكل يتناسب مع مكانتها المجتمعية، دون أن تخلو من النظرة السلبية التقليدية في كثير من المشاهد والمقاطع التمثيلية، وهذا ما يدعم الصورة الذهنية السائدة عن الرجل في السينما والمسلسلات العربية عامة والمغربية خاصة. ومن خلال ما تقدم نسجل ما تم التوصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات :

#### - نتائج البحث :

- 1- تم الاعتماد في تحضير مادة البحث في صورة الرجل على 36 فيلماً و17 مسلسلاً، بالاعتماد على منهج التحليل السيميولوجي، وتقنية التحليل النصي، والمنهج التاريخي لكونولوجيا بداية وتطور السينما والمسلسلات المغربية.
  - 2- استطاعت السينما والمسلسلات المغربية أن تنوع في شخصية الرجل المغربي، من ثم يمكن الحديث بشكل عام عن خمس عشرة صورة للرجل، نقلت يومياته بين القوة والضعف، والإيجاب والسلب مع تفوق هذا الأخير على الثاني.
  - 3- ركزت أفلام ومسلسلات الدراسة على توظيف صور متنوعة للرجل المغربي، والرجل المثقف والمتعلم، والمتدين والفقير، والمغرم والمحب، والناجح والمسؤول، ورجل الجنس، والرجل الخائن...
  - 4- قدمت السينما والمسلسلات المغربية مجموعة متنوعة من الصور عن الرجل، فتارة تقدم له صوراً إيجابية، وتارة أخرى صوراً سلبية، وتبقى الصورة الواقعية والإيجابية هي الغالبة على العينة التي تم إخضاعها لتقنية التحليل النصي، والتحليل السيميولوجي لمضامين الأفلام والمسلسلات المختارة.
  - 5- أن هذه الأعمال الفنية من أفلام ومسلسلات رغم جودتها الفنية، والروعة الدرامية، وجديتها في نقل واقعية المجتمع المغربي والعربي لم تسلم من جرأة في تناول مواضيع تחדش بالحرية المجتمعية، وأحياناً تُسيء لحضرة ومكانة بعض المدن المغربية التي تم تصوير الفيلم السينمائي فيها.
- توصيات البحث : نُوصي القارئ والمهتمين بهذا المجال الفني المهم، والخطير، والرحب الواسع بما يلي :
- 1- دعوة النقاد الفنيين، إلى التزود بثقافة فنية وكفاءة شرعية، لتصويب الأنشطة الفنية والرفع من مستواها الفني والجمالي، بمتابعتها، وتفسيرها، وتحليلها، وتهذيبها، وتنقيتها مما يחדش بالذات الإبداعية، والذائقة الإنسانية.

- 2- ضرورة إشراك الفعاليات الوطنية المهمة بالسينما، والتلفزيون من أدباء، ونقاد، وحقوقيين، ومفكرين؛ في التفكير في قضايا الإبداع الفني، والمساهمة كل من موقعه في تصحيح مسار الفن التمثيلي ليتوافق وخدمة الهوية المغربية والثوابت الدينية.
- 3- إعادة النظر في وظائف وقوانين مؤسسة المركز السينمائي المغربي التي يرجع بعضها إلى الأربعينيات من هذا القرن، لتستجيب لتحولات وتغيرات عصر الصورة والعولمة.
- 4- دعوة الحركات الإسلامية، والمفكرين، والعلماء المعاصرين إلى المشاركة الإيجابية، والمدافعة الحضارية؛ في مجالات الفنون المختلفة، وعلى رأسها الحقل السينمائي للدفع بعجلة هذا الفن إلى عالم تتألف فيه الصورة الفنية مع الرسالة الإسلامية.

#### ❖ المصادر والمراجع :

##### - أولاً: الكتب

- 1- محمد بن موسى بن مصطفى الدالي، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، الرياض، سنة النشر 1433هـ/2012م.
- 2- نجيب الكيلاني، حول الدين والدولة، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، 1391هـ/1971م
- 3- كيفين جاكسون، السينما الناطقة، ترجمة علام خضر، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دون رقم الطبعة، سوريا، سنة النشر 2008م.
- 4- أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، الجزء 11، دار صادر، دون رقم الطبعة، بيروت - لبنان، دون سنة النشر.
- 5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، الطبعة الرابعة، مصر، سنة النشر 1425هـ/2004م.

##### - ثانياً: المقالات العلمية

1. مصطفى الطالب، السينما المغربية في العشرية الأخيرة تقدم في الإنتاج وتراجع في المضامين، مجلة الفرقان، العدد 64، تاريخ النشر 1431هـ/2010م.
2. صخر المهيف، صورة المعلم في الإعلام المرئي المغربي، موقع الحوار المتمدن، نشر بتاريخ: 2006م/14/9، العدد: 1673

##### - ثالثاً: الأبحاث المنشورة على المواقع الإلكترونية

1. أحمد جبيل، شخصية الفقيه في السينما المغربية: سينما عز العرب العلوي نموذجاً، بحث منشور على موقع الجريدة الإلكترونية ميديا كوم.
  - رابعا: المواقع والجرائد الإلكترونية
    1. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة
    2. موقع الجريدة الإلكترونية ميديا كوم
    3. موقع Ciné Rouge
- ❖ الهوامش :

<sup>1</sup> يفين جاكسون، السينما الناطقة، ترجمة علام خضر، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دون رقم الطبعة، سوريا، سنة النشر 2008م، ص 174

<sup>2</sup> السينما الناطقة، ص 174 - 175

<sup>3</sup> موسوعة مقاتل من الصحراء: الفيلم السينمائي، دون تاريخ النشر :

[http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/Founoun/sec01.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/Founoun/sec01.doc_cvt.htm)

<sup>4</sup> نفيسة نايلي، صورة المرأة من خلال السينما المغربية (دراسة تحليلية نصية لعينة من الأفلام الجزائرية، والتونسية، والمغربية)، دون دار النشر، دون رقم الطبعة، الجزائر، السنة الجامعية 2012/2013م، ص: 18

<sup>5</sup> صلاح الدين أبو عياش، معجم مصطلحات الفنون، الجزء الأول، دار أسامة، الطبعة الأولى، الأردن عمان، سنة النشر 2015م، ص 678

<sup>6</sup> أحمد كامل مرسي، وجدي وهبة، معجم الفن السينمائي، وزارة الثقافة والاعلام، دون رقم الطبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر 1973م، ص 313

<sup>7</sup> ينظر معلومات عن "المسلسل التلفزيوني" على موقع: Wikiwand

[https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84\\_%D8%AA](https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84_%D8%AA)

[D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%8A](https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84_%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%8A)

<sup>8</sup> أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، الجزء 11، دار صادر، دون رقم الطبعة، بيروت - لبنان، دون سنة النشر، ص 612.

<sup>9</sup> فن التمثيل: ص 9، نقلا من: محمد بن موسى بن مصطفى الدالي، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي، مكتبة الرشاد، الطبعة الثانية، الرياض، سنة النشر 1433هـ/2012م، ص 52 (لم يذكر المؤلف صاحب الكتاب الأول)

<sup>10</sup> أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي : ص 270

<sup>11</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، الطبعة الرابعة، مصر، سنة النشر 1425هـ/2004م، ص854  
<sup>12</sup> صخر المهيف، صورة المعلم في الإعلام المرئي المغربي، موقع الحوار المتمدن، نشر بتاريخ: 2006م/9/14، العدد: 1673:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=75512>

<sup>13</sup> المصدر السابق

<sup>14</sup> المصدر السابق

<sup>15</sup> أحمد جبيل، شخصية الفقيه في السينما المغربية، بحث منشور على موقع الجريدة الإلكترونية ميديا كوم: <http://www.mco.ma/?p=8442>

<sup>16</sup> شخصية الفقيه في السينما المغربية: سينما عز العرب العلوي نموذجاً، بحث منشور على موقع الجريدة الإلكترونية ميديا كوم

<sup>17</sup> بحث: مكتوب: Mektoub أول فيلم سينمائي يتم تصويره بالمغرب، بقلم S. Doukalli، نشر في موقع: المغرب تايمز، دون تحديد تاريخ النشر: <https://www.moroccotimes.info/2019/09/mektoub-premier-film-au-maroc.html> (بتصرف شديد)

<sup>18</sup> الجنس في السينما المغربية، لكبير داديسي، منشورات موقع: <https://cine-philia.com/2018/05/08/الجنس-في-السينما-المغربية/>

<sup>19</sup> طرفة بن العبد...مأساة الطفولة ونرجسية الشباب، مجلة اليمامة، مدينة الرياض، العدد 2785، السنة الثالثة والسبعون-الخمس 9 جمادى الأولى 1445هـ/ الموافق لـ 23 نوفمبر 2023م، ص 14

<sup>20</sup> له كتاب: "أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون"، وقد بحثت عن ترجمته في المراجع التي وقفت عليها فلم أعثر عليها.  
<sup>21</sup> مروان بكك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، دار طيبة، الطبعة الثانية، الرياض، 1408هـ/1988م، ص 257

<sup>22</sup> ابن قيم الجوزية، روضة المحبين وزهدة المشتاقين، دار الكتب العلمية، دون رقم الطبعة، بيروت - لبنان، طبع سنة 1403هـ/1983م، ص 9.

<sup>23</sup> مصطفى الطالب، السينما المغربية في العشرة الأخيرة تقدم في الإنتاج وتراجع في المضامين، مجلة الفرقان، العدد 64 / 1431هـ / 2010م، ص 67

<sup>24</sup> من مقال بعنوان: ورقة تصورية عن العمل الفني، صادق عليها المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح، من منشورات مجلة الفرقان، العدد 64 سنة 1431هـ - 2010م : ص 9

<sup>25</sup> نجيب الكيلاني، حول الدين والدولة، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، 1391هـ/1971م، ص 36-37

<sup>26</sup> مقتبس من لقاء حوارى مع الأستاذ أحمد شاكر، أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - عين الشق الدار البيضاء، أجريتها معه يوم الخميس 7 جمادى الآخرة 1439 هـ - 22 فبراير 2018م بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

<sup>27</sup> هذه الفكرة مستفادة من: محمد غالب حسان، منهجية إنتاج أفلام رسوم متحركة في الإعلام العربي الإسلامي، المجلة الأردنية للفنون، العدد 2 القاهرة 2013م، ص 225

## الايقونة المعاصرة بين الابداع الفني والتكنولوجيا

The contemporary icon between artistic creativity and technology

صبرين سهلاوي: طالبة دكتوراه

المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل،

sabrinesahlaoui8@gmail.com البريد الالكتروني

### ملخص:

تسعى هذه الدراسة الى ابراز الايقونة المعاصرة بما هي ابداع فني وابتكار الكتروني، وان حاجة التكنولوجيا لهذه الأداة ضرورية وكذلك أساسية، فهي المحرك الأول الذي يتحكم في عدة أجهزة مثل الهاتف والحاسوب وتمثل مفتاح البرمجيات والشبكات والتي لا يمكن ان تؤدي وظيفتها بمعزل عن الايقونة، انها وسيط يحمل في باطنها عدة خفايا واسرار حيث انها تعتبر نافذة تجمع العالم فن خلالها يتم تشكيل أنماط اتصال جديدة تمثل في بناء علاقات اقترابية مختلفة تتجاوز الحدود الزمنية والمكانية.

الكلمات مفتاحية: التكنولوجيا، الايقونة المعاصرة، مواقع التواصل الاجتماعي، الصورة

### Abstract :

This study seeks to highlight the contemporary icon as an artistic creativity and electronic innovation, and the need for technology for this tool is necessary as well as fundamental, as it is the first engine that controls several devices such as the phone and the computer and represents the key to software and networks, which cannot perform its function in isolation from the icon. It is an intermediary. It contains many secrets and secrets within it, as it is considered a window that brings together the world. Through it, new communication patterns are formed, represented by building different virtual relationships that transcend time and space boundaries.

**Keywords:** technology, contemporary icon, social networking sites, image

## 1. مقدمة

أثارت التكنولوجيا ثورة كبيرة على كافة مجالات الحياة بلا استثناء وأدت إلى تحول مفهوم الإنسان للواقع الذي يعيشه وأعلنت عن ولادة ثقافة حديثة تفرضها علينا الاجهزة المعاصرة، والتي خلقت في جوانب مختلفة أثرا عميقا، حيث أصبحت اساس المجتمع فلا يكاد يخلو منها ومن أي شكل من اشكالها، ولقد كان لها أثر واضح في تغيير المجتمعات من مجتمع صناعي الى اخر معلوماتي.

شهد القرن التاسع عشر موجة من الاختراعات مرت على خمس مراحل وثورات، كل واحد منها نظم حديث من التكنولوجيا، وكانت الثورة الخامسة أحد أبرز التطورات، والتي حدثت في القرن العشرين فلم تشهد الإنسانية عبر مر العصور انفجار للتقنيات والمعلومات والتواصل مثل الذي عاشه ويعاشره حاليا، وإننا نحيا عصر التغير الجذري في تعاملاتنا وعلاقتنا وفي طريقة التواصل، فقد ظهرت أساليب تكنولوجيا جديدة تتم انطلاقا من رموز صغيرة تسمى ايقونات تحمل في باطنها عالم معقد.

احتلت هذه الايقونات جميع الميادين بكافة اختلافاتها، فهي تلعب دورا أساسيا في عصرنا حيث أصبحنا نعيش زمن الايقونة بالتوازي مع زمن الكلمات، فقد صارت مقترنة بنا في كل جوانب الحياة انها أداة تعبيرية تختصر الواقع وتعيد انشاء المعقد الى مجسد سهل وبسيط وقد اختراعها الانسان لتجسيد أفكاره.

ان هذه الايقونات الالكترونية هي وجوه لتطبيقات والمواقع، فهي تصاميم صغيرة على الشاشة الرئيسية للهاتف او الحاسوب جاءت فكرة انشاها من الانتقال من الترميز الذاتي وهو إعادة انتاج الأفكار وتحريرها الى الترميز الموضوعي، والذي يمثل في تجسيد هذه الأفكار في هيئة عناصر ومكونات معبرة يمكن فهمها، فهي تحتوي على اشكال لها دلالات كما لها تمثيلات فكرية واجتماعية منتشرة في المجتمع ولقد أصبحت تمثل عماد التصميمات الفنية المتطورة بما تنتجه من لغة معاصرة استحوذت بها على الطاقة البصرية لدى البشرية وسجنت تفكيره.

وتعد هذه الأداة المستخدم الأساسي لتحديد التطبيقات، وتمثل تصميم مرئي مبني على عناصر في فراغ المنجز تم وفق منهج تعبيرى وجمالى، انها أحد اهم المظاهر الحديثة حيث انها تحولت الى مصدرا رئيسيا لنقل الاخبار ونشرها داخل فضاء اقراضى رقمي، وان هذا الحيز الالكترونى قام

بإزالة تلك الحواجز الجغرافية ومثل فتحاتها حيث نقل عملية التواصل الى افاقا واسعة، وهو ما جعل هذه الأداة في المقدمة دون منازع على انتاج تحولات جذرية في بنية العلاقات الاجتماعية وحتى العالمية، وتمثل هذه الأداة الأقرب للفرد خاصة وللإنسانية عامة ليست لأنها بسيطة الفهم وإنما لأنها وسيلة احتلت المجال الفني التشكيلي، وانتسبت له من حيث انها صورة بمعنى فكرة تشتمل على الاشكال والألوان الى غير ذلك.

وانطلاقا من ذلك دعنا الحاجة الى فهمها واكتشافها والبحث عما تخفيه، وهو ما سنسلط الضوء عليه من خلال طرح بعض الإشكاليات، والتي سنتطرق الى الخوض فيها في طيات هذا البحث.

هو ما يدفني ل طرح الإشكالية التالية:

- ماهي الايقونة المعاصرة؟
- هل الايقونة فن؟
- ما هو دور الايقونة في التكنولوجيا؟

- هل تختلف وتعدد الايقونة؟

#### • اهداف البحث

يهدف هذا البحث الى تحقيق ما يلي:

- الكشف عن ارتباط الايقونة المعاصرة بالفن ودورها في التكنولوجيا

#### • إشكالية البحث

الانجاز هذه البحث قمت بالاعتماد على تقسيم هذا البحث الى أربعة عناصر رئيسية، الى جانب تعريف أبرز المفاهيم المعتمدة وتقديم التعريفات المناسبة لها. بالنسبة للعنصر الأولى تتمثل، الفكرة في تعريف الايقونة الالكترونية وفيما يلي تطرقت إلى مسألة الايقونة المعاصرة كإبداع فني. وفي العنصر الثالث حاولت ابراز دور الايقونة في التكنولوجيا وفي النهاية، قمت بذكر امثلة عن الايقونة الالكترونية، ولقد أنهيت العمل بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذه الدراسة.

#### 2. تعريف الايقونة المعاصرة

ان هذه الايقونات تم ابتكارها لتكون الموجه الرئيسي لبعض الأجهزة، ولقد هيمنت على المجال البشري واتسعت في الوسط الثقافي حيث نجدها في كل الأماكن في الآلات الحديثة الى غير ذلك هذا الحضور الهائل لها جعل البشرية تتواصل عن طريقها وتستغلها في خدمته في كافة النواحي المختلفة، وباتت بذلك حاجة التكنولوجيا للأيقونات ضرورية وكذلك أساسية، فهذه الأداة تتحكم في الجهاز، بحيث لا يمكن فتح ملف الا من خلالها وبالتالي لا يمكن تخيل الايقونة وهذه الأجهزة الالكترونية بمعزل عما توفره من أساليب تواصلية، وقد تم تعريفها على انها "صورة تمثل برمجيات تمكن من إنجاز عمليات أو وثائق وقع إنجازها عن طريق تجسيد مكونات أخرى للحاسوب أو الملفات" (<https://cours-informatique-gratuit.fr/cours/les-> (icones/

كما انها تمثل نظام مقترن الوحدات ومفتاح لملف معين تم تخزينه في الجهاز، وتفتح من خلال النقر عليها ويستخدمها الفرد ويتفاعل معها من خلال حواسه بحيث ان فهمها وادراكها يتم عن طريق الإبصار " فالعين هي التي تشاهده وتدرکه ".

( وزاوي. بغورة، 2007، ص.102)

انها "مركب شكلي تم إنشاءه وصياغته في شكل مبسط وأصل الكلمة يونانية "eikon" وتعني الصورة وهي منظر أو تمثيل، أو تشبيه لشيء بالإشارة. وتستخدم أيضا، في الثقافة المعاصرة، في الفهم العام للرمز مثل الاسم، وقد تحتوي رسما أو تصويرا، يمثل شيئا آخر ذا أهمية أكبر من خلال المعنى الحرفي أو التصويري". (<https://www.marefa.org>)

وان شكلها قائم على الإيحاءات وهو ما جعلها ترتبط بالمجال الفني، فهي تشكيليّة بما تحمله من تعبيرات وألوان ودلالات و يختلف مفهوم الايقونة عن الصورة إلا أنه يأخذ منها ذلك النسق الشكلي، والذي يعبر عن موضوع وفكرة ذات ابعاد رمزيّة وكذلك تعبيرية، ووسيطا يشتمل على حيزا إلكترونيا يشتمل على الإنترنت " كإحدى تقنيات وأدوات الجيل الثاني للويب والتي ظهرت منذ عام 2000 إلى وقتنا هذا، حتى أصبحت ثورة في حد ذاتها حيث استخدمت منذ بدايتها لأجل الاتصال مع الآخرين من مختلف المواقع عن طريق إنشاء صفحات شخصية" ( )

<https://acakuw.com/archives/1148904>. 12

تحتوي على بيانات شخصية وكذلك معلومات " تسمى الشبكات الاجتماعية ومواقع التشبيك الاجتماعي، وهي عبارة عن مواقع تستعمل من طرف الأفراد من أجل إقامة العلاقات، وبناء جماعات افتراضية ذات اهتمامات مختلفة، ويمكن للاستعمل من خلالها أن ينشئ صفحاته الخاصة، وينشر فيها سيرته وصوره ومعلوماته، ويكتب مقالات ونصوص، وينشر تسجيلات فيديو". (إبراهيم بعزیز، 2011، ص 45-56).

هذا العالم الافتراضي والالكتروني الحديث، لا يعد مجرد تفاعل فقط بل حيز يشتمل على الكثير من النشاطات الاجتماعية، وكذلك الاقتصادية الى جانب السياسية التي تضم جميع أنشطة عالمنا الحقيقي، كما يحتوي على عديد الأشياء الأخرى، انه يجتمع بين الأشخاص من مختلف الأماكن، يقيمون فيما بينهم علاقات تفاعل وتعاون وتبادل الآراء واقامة حوارات ومناقشات خاصة في المواضيع الثقافية أكثر مما هو عليه الحال في حياتنا الواقعية ويمكن أن نصل هنا إلى شبه اتفاق، وهو أن هذه الايقونات تلعب دورا مهما واساسي في التكنولوجيا، فهي التي تسهل عملية التواصل بين الانا والآخر.

### 3. الايقونة المعاصرة كإبداع فني

ان هذه التكنولوجيا قد اثرت بشكل كبير على العالم بأسره حيث قربت المسافات، كما ساهمت وعمدت الى احداث ثورة في عالم الفن والذي تحرر لتصوير الايقونة في حد ذاتها عمل فني تشكيلي. ومن المعروف ان الايقونة هي المحرك الأول لعدة أجهزة مثل الهاتف والحاسوب، وتحمل بداخلها عدة خفايا واسرار، وتعتبر نافذة تجمع العالم، والذي يطل منها المستخدم على كل ما يدور من احداث ومعلومات واخبار في شتى بقاع الأرض الا انها قد تحولت الى أدوات لنشر وتأصيل الفنون التشكيلية وخاصة ان البحوث والدراسات اثبتت ان هذه المواقع التي تحمل الايقونة ساهمت في نشر التذوق الفني.

وبالتالي باتت علاقة الانسان بهذه الأداة موضوعا هاما لأعمال تشكيلية "بوصفها واحدة من اعقد علاقات الانسان تاريخيا مع محيطه وفيها مادة للفن القائم على الاشتباك بين الواقع والخيال والوهم والمفترض". (<https://www.alaraby.co.uk/%22>)

وهنا فان الايقونة تعتبر مثالا من انقى الأمثلة للفن المعاصر، فهي تتميز عن الرسم بوظيفتها التي تخضعها الى قواعد صارمة للغاية، سواء كان ذلك من الجانب التقني او الشكلي، انها فن بسيط

رغم ذلك لها القدرة على جذب البصر، واخذ المستخدم الى عالم الكتروني واسع ورحب وان الأيقونة ليست مجرد صور فنية تشكيلية تحمل ترانيم في الألوان فحسب، بل هي مصدر من مصادر التعبير عن أفكار وتمثل صورة تعبر عن عدة موضوعات ذات نسقا دلالي وجمالي. وبالتالي فان الصورة هي تعبير ابداعي وكذلك بصري يسلك بها سبل وترجوه الأفكار، كما انها " أكثر تجذرا في اللاوعي الإنساني، مما يجعل منها معطى انفعاليا قويا". (ريجيس دوبريه، 2013 ص.93)

وهنا فان الايقونة هي صورة وهي نتاج التشكيلي الفني انها مكون رمزي للحقائق والأفكار، وهو ما عبر عنه الفيلسوف هيقل بقوله إنها: «صورة فنية في ضوء نظرية المعرفة الحديثة» (عبد المنعم تليه، 1979 ص 104) وتمثل مادة تحمل عدة تأويلات مرئية تتجمع بداخلها جميع المحسوسات الخيالية والحقيقية.

تهيمن الايقونة في عصرنا الحالي وتلعب اليوم دورا رئيسيا في حياتنا وتطغى على الثقافة في جميع مظاهرها، حيث انها تسعى الى ترسيخ سيطرتها وهيمنتها من خلال الوانها والتي تحمل عدة دلالات الى جانب الرمز، والذي يمثل ابداع فني ويعبر عن مدلول عام، ونجد انه يمتزج بأشكال متنوعة فمنها ما تم تصميمه بالحروف واخرى بالأرقام ومنها ما تم بالأشكال الهندسية انها تصميم يعتمد على أساليب متنوعة وعلى اشكال مبنية على الاختزال والتجريد. وهنا فان الشكل هو عنصر رئيسي مسؤول عن تنظيم المكونات داخل الايقونة فغيابه يفقدها مفهومها الإبداعي ومعاييرها التنظيمية، وهذا النوع يطلق عليه النظام الشكلي بما انه يهتم بتوزيع العناصر وفق حدود بصرية معينة داخل الايقونة، فهو الذي يشتغل على تأسيس العلاقات الدلالية، والتي تحمل التشفيرات الرمزية.

#### 4. الايقونة المعاصرة ودورها في التكنولوجيا

أدت التكنولوجيا الى تغيير كبير في كل شيء، فمن خلالها لم يعد هناك حاجز امام الوصول الى مختلف المعارف، كما انها ساهمت في تطور طرق التعامل والتواصل، ولقد مثلت عدة وسائل في وسيلة واحدة و تم تعريفها على انها "انها مجموعة من التقنيات المتسلسلة لإنتاج مصنوع بطريقة عالية ومتطورة. (محمد مسن ، 2001 ص83)

ساهم هذا التطور التكنولوجي على التأثير على جميع مناحي الحياة الإنسانية العلمية الاقتصادية والثقافية الى غير ذلك، فقد طال مختلف جوانب الحياة وكان له أثر كبير في طريقة عيش الفرد وجعل الحياة تسير بشكل سريع، نأخذ التواصل من الجانب الاجتماعي ساعد على خلق نوع من المجتمعات سميت بأسماء تنسب الى التكنولوجيا الجديدة منها المجتمع الافتراضي، والذي يحكمه التفاعل ومن أبرز سماته التراسل الفوري ومن اهم الايقونات التي هيمنت على العقل البشري وصار لها استعمال متكرر نذكر ايقونة الفيس بوك، وايقونة الماسنجر الى غير ذلك، حيث انها نسم بسهولة استخدامها فعن طريقها يتم بناء العلاقات وتوفير التواصل البشري وهو مفهوم يستخدم لوصف تبادل الرسائل وكذلك المعلومات وأصبح هذا المفهوم جزء أساسي في العصر الحالي حيث انه يعمل على توفير نوع من التعاون وكذلك الانسجام بين الأشخاص. هذه الايقونات والتي من خلالها تحصل عملية التواصل بين الجهاز والانسان انما هي تمثل أداة ووسيط فرضي مركب حسب مواد ومعطيات خاصة وتحتوي بداخلها على بيانات تساعد مستخدميها على سهولة إيجاد مستخدمين اخرين، وتسمى مواقع المحادثة وتمكن المستخدم من التواصل مع مجموعة من الأشخاص، بحيث ان لكل شخص من المتحاورين بإمكانه رؤية ما يكتبه للشخص الاخر فضلا عن رؤية صورته وسمعه وصوته وتعتبر هذه التطبيقات من أكثر المواقع تفاعلا، فهي تستقطب جميع الفئات العمرية المتنوعة ومنها الشباب. نستخلص انطلاقا مما سبق تبياناه وذكره ان الايقونة المعاصرة تلعب دورا مهما في ترسيخ التواصل ليس لانها باتت ضرورة لا غنى عليها وانما لانها أداة ساعدت بشكل كبير في حل الكثير من المشاكل، وكان لها دور واضح في تخطي جميع الحواجز الجغرافية.

##### 5. التنوع الايقوني

هناك الكثير من نماذج الايقونات والتي لا يمكن المرور او الدخول للتطبيقات الا من عن طريقها، فلكل تطبيق صورة ايقونة خاصة به تتميزه عن غيره، وبالتالي فان الافكار والخيارات التصميمية للأيقونة متعددة ومختلفة من حيث الشكل والوظيفة بحيث تحضرها العلامة، ويحتزلها الرمز وكل واحد منه سلسلة لا نهاية لها من المعاني والدلالات وهو ما يعبر عنه طاهر عبد المسلم بقوله "إذا كانت الأيقونة هي قاعدة الموضوع ومفردته الأولى فإن المؤشر هو (علامة) بمعنى أنها مرحلة انتقالية باتجاه الاختزال التام والتمثيل في هيئة الرمز". (عبد مسلم طاهر، 2002، ص 44)

ولا يمكن الامام بها جميعا لذلك قمنا باختيار الايقونات والتي لها أهمية في حياتنا اليومية نذكر منها أيقونات جهاز الكمبيوتر، وأيقونات التواصل الاجتماعي أيقونات.

**أيقونات الحاسوب**

يتكون سطح مكتب الحاسوب من عدة أيقونات، تمثل صورة مصغرة تجسد برنامج أو ملف، وهي بمثابة رموز تسهل سرعة الوصول الى الملفات والبرامج المخزنة، ويتم فتحها من خلال النقر على الزر الأيسر للفأرة مما يسمح بظهور نافذتها على الشاشة.

- **أيقونة جهاز الحاسوب:** وهي أيقونة في شكل حاسوب وتسمى PC من خلالها يمكن الوصول الى عناصر الخزن المقترنة بالحاسوب فضلا للوصول الى عدة مجلدات رئيسية مثل ( Documents ) وغيرها.

- **أيقونة الملف الشخصي:** وهي أيقونة في شكل ملف وتدعى باسم مستخدم جهاز الحاسوب حيث يتم تحديدها انطلاقا من تشغيل النظام ومن خلال هذه الأيقونة يمكن الوصول الى مجلدات أخرى نأخذ كمثال على ذلك (downloads) وغيرها.

- **أيقونة الشبكة:** وهي أيقونة في شكل كرة أرضية تسمى بالفرنسية (network) يمكن من خلالها ضبط الشبكات السلكية المرتبطة بجهاز الحاسوب، كما يمكن من خلالها الوصول الى الحواسيب الأخرى المرتبطة مع هذه الشبكة.

**أيقونة لوحة التحكم:** وهي أيقونة في شكل لوحة زرقاء بداخلها تحمل عدة خطوط تمكن من تعديل الاعدادات الرئيسية لنظام التشغيل والتعامل معها والتحكم في لوحة المفاتيح، كما تساعد على حذف البرمجيات وغيرها.

وهناك الكثير من أيقونات الحاسوب والتي تختلف وتنوع من ناحية شكلها ووظيفتها لا يمكن الامام بها كلها لذلك اكتفينا بذكر بعضها.

- **أيقونات مواقع التواصل الاجتماعي**

ان مواقع التواصل الاجتماعي هي مجموعة من الشبكات الانترنت تمكن من انشاء ملفات شخصية، تساهم في تشكيل مجموعات وعلاقات الكترونية وتبادل المعلومات ومقاطع الفيديو وغيرها.

- **ايقونة الفيسبوك:** انتشرت هذه الايقونة بشكل كبير في كافة انحاء العالم فلا نجد جهاز او حاسوب لا يخلو منها وتتمثل في حرف f بالفرنسية، ويطلق على هذه الايقونة اللون الأزرق وتعد من أشهر المواقع التي ساهمت بشكل كبير في بناء صداقات وتعود تسميته الى دفتر ورقي يجمع صور الافراد والمعلومات.
- **ايقونة الانستغرام:** تتمثل هذه الايقونة في رمز لعدسة التصوير تحمل عدة ألوان مختلفة منها الأحمر والبرتقالي والبنفسجي، ويتيح هذا التطبيق لمستخدمه إمكانية نشر الصور ومقاطع الفيديو مع المستخدمين الاخرين الى غير ذلك.
- **ايقونة الواتساب:** وهي ايقونة تحمل بداخلها رمز الهاتف ويطلق على هذه الايقونة اللون الأخضر يتم تحميله على الهاتف لأجراء المحادثة بين جميع الافراد والأصدقاء الموجودين في قائمة الأسماء، ويفترض ان يمتلك من يستعمله البرنامج نفسه حتى يتمكن من التواصل مع الاخر، إضافة لذلك فانه يستخدم لأرسال الرسائل والصور وقد انتشر بشكل كبير.
- **6. الخاتمة**

خاتمة القول في بحثنا:

ان الايقونة المعاصرة تلعب دورا أساسيا في تسهيل عملية التواصل والتفاعل بين المستخدمين إضافة لذلك فان هذه الايقونات تعكس لنا تلك التغيرات الثقافية والاجتماعية اذ انها تعبر عن أفكار وكذلك قيم تتجاوز كل الحدود، فمن خلال مزج الفن بالتكنولوجيا نجد ان هذه الأداة صارت وسيلة مهمة في نقل التفاعل والرسائل سواء كان ذلك في الحيز الرقمي او في الفنون البصرية. انطلاقا من كل ذلك نستخلص ان هذه الايقونات الالكترونية الحديثة تعكس تزاوجا مثيرا للغاية بين الابتكار الفني والاختراع التكنولوجي مما يجعل لها دورا مهما في المشهد الثقافي المعاصر.

7. الهوامش

1. Stéphanie Dumas. 2008. Que sont les icônes. <https://cours-informatique-gratuit.fr/cours/les-icônes/>

1. وزاوي بغورة. مجلة الفكر العربية السيمائيات فضل العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة. العدد 3 مطبعة. بغداد. دار السياسة. (2007). صفحة 2.

3. مولاى صابر احمد. العولمة الثقافية والمواطنة العالمية. 2008. <https://www.marefa.org>

4. جريدة أكاديميا. شبكات التواصل الاجتماعي التكنولوجية إحدى تقنيات الجيل الثاني للويب. 4 يوليو، 2018.

<https://acakuw.com/archives/1148904>. 12

5. بعزیز إبراهيم. دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن. مجلة الإذاعات العربية، العدد 3 أبريل. (2011). صفحة 45-56. نوفمبر 2018. "عثمان بكاشي. شبكات التواصل الاجتماعي" كأداة فنية 6 <https://www.alaraby.co.uk/%22>

7. ريجيس دوبريه. حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء. دار افريقيا الشرق للنشر. (2013). صفحة 93.

8. تلميه عبد المنعم. مقدمة في نظرية الأدب. بيروت. دار العودة للطباعة. (1979). صفحة 104.

9. مسن محمد. التدبير الاقتصادي للمؤسسات. الجزائر منشورات الساحل. 2001 صفحة 83.

10. طاهر عبد مسلم. عبقرية الصورة والمكان التعبير - التأويل - النقد. عمان الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع. (2002). صفحة 44.

#### 8. قائمة المصادر والمراجع:

##### المراجع العربية:

1. بعزیز إبراهيم. دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن. مجلة الإذاعات العربية، العدد 3 أبريل (2011)
2. تلميه عبد المنعم. مقدمة في نظرية الأدب. بيروت. دار العودة للطباعة (1979).

3. ريجيس دوبريه. حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي. الدار البيضاء. دار افريقيا الشرق للنشر (2013).
4. طاهر عبد مسلم. عبقرية الصورة والمكان التعبير - التأويل - النقد. عمان الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع (2002).
5. مسن محمد. التدبير الاقتصادي للمؤسسات. الجزائر منشورات الساحل. (2001).
6. وزاوي بغورة. مجلة الفكر العربية السيمائيات فضل العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة. العدد 3 مطبعة. بغداد. دار السياسة (2007).

#### المجلات العلمية:

1. وزاوي بغورة. (2007). مجلة الفكر العربية السيمائيات فضل العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة. العدد 3 مطبعة. بغداد. دار السياسة

#### النصوص الالكترونية:

1. Stéphanie Dumas. 2008. Que sont les icônes. <https://cours-informatique-1-gratuit.fr/cours/les-icônes/>
2. جريدة أكاديميا. شبكات التواصل الاجتماعي التكنولوجية إحدى تقنيات الجيل الثاني للويب. 4 يوليو، 2018  
<https://acakuw.com/archives/1148904>. 12
3. عثمان كباشي. شبكات التواصل الاجتماعي " كأداة فنية 3  
<https://www.alaraby.co.uk/%22>
4. مولاي صابر احمد. العولمة الثقافية والمواطنة العالمية. 2008. <https://www.marefa.org>

## Interactive Narratives and Non-linearity:

### Bridging Ergodic Literature and Video Games

السرد التفاعلي وعدم الخطية: ربط بين الأدب الإرجوديكي وألعاب الفيديو

Dr. Rym GRIQUI, University of Carthage, Republic of Tunisia

g\_rym@hotmail.com

#### Abstract

In a context where literature and video games are often perceived as opposites, this article explores points of convergence between these two media, particularly through the concept of ergodic literature. This literary form, characterized by the active participation of the reader, echoes the immersive and interactive qualities of video games. The article examines three ergodic works : House of Leaves by Mark Z. Danielewski, If on a Winter's Night a Traveler by Italo Calvino and The Raw Shark Texts by Steven Hall ; to illustrate how non-linearity, interactivity, and narrative complexity enrich the reader's experience, in a manner similar to that of a gamer. This study highlights the importance of active participation and immersive storytelling to meet the expectations of the contemporary generation, who favor engaging and transformative reading and gaming experiences.

**Keywords:** Ergodic literature, video games, narrative complexity, Generation Alpha, digital culture.

#### المخلص

في سياقٍ غالباً ما يُنظر فيه إلى الأدب وألعاب الفيديو على أنهما متضادان، يستكشف هذا المقال نقاط التلاقي بين هذين الوسيطتين، لا سيما من خلال مفهوم الأدب التفاعلي الرقمي باعتبار أن هذا الشكل الأدبي، يتميز بالمشاركة النشطة للقارئ ويحاكي الصفات الغامرة والتفاعلية لألعاب الفيديو. تتناول هذه المقالة ثلاثة أعمال أدبية تفاعلية رقمية هي "بيت الأوراق (House of Leaves) " لمارك ز. دانييلوسكي، و"إذا كان في ليلة شتاء مسافر" (If on a Winter's Night a Traveler) لإيتالو كالفينو، و"نصوص القرش الخام" (The Raw Shark Texts) لستيفن هال؛ لتوضيح كيف أن الاخطية والتفاعلية والتعقيد السردية تمثل عناصر مثيرة لتجربة القارئ، بطريقة مشابهة لتجربة اللاعب أثناء ممارسته لألعاب الفيديو. كما تسلط هذه المقالة الضوء على أهمية المشاركة النشطة والسرد القصصي الغامر لتلبية توقعات الجيل المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الأدب التفاعلي الرقمي، ألعاب الفيديو، التعقيد السردية، جيل ألفا، الثقافة الرقمية.

## Introduction

At a time when the rise of digital media raised concerns that literature might fade away (Bradshaw, 2004), it now appears that literature and video games frequently go hand in hand, revealing numerous "points of convergence" that challenge the often-held view of opposition between these two forms of expression. Today, the worlds and structures of both media remain in constant interaction: video game creators often draw inspiration from literary narratives (Mingli, 2023), while many authors incorporate playful elements into their works. Beyond these mutual influences, some truly hybrid works explore the links and differences between literature and video games, illustrating that the boundaries between these two realms are not as rigid as they may seem.

At first glance, this convergence may appear absurd and contradictory: literature is traditionally perceived as a domain of deep reflection, carrying intellectual and aesthetic values, whereas video games are sometimes seen as superficial and trivial entertainment (Brougère, 1999). However, this reductive view fails to capture the richness and complexity of these two art forms. It is within this context that studying these convergences gains significance. Far from opposing each other, literature and video games complement and enrich each other, responding to the cultural and cognitive transformations of Generation Alpha, who are no longer content to be passive consumers but seek to actively participate in the creation of narratives. Analyzing these new dynamics allows us to understand how these two seemingly opposing media can offer immersive and engaging experiences suited to the expectations of our time.

Through the analysis of certain ergodic works and their alignment with the characteristics of video games, this article identifies the narrative mechanisms that make these reading experiences not only engaging but also relevant in today's cultural context. This study aims to demonstrate that the convergence

between literature and video games is not merely a stylistic coincidence but represents a necessary response to the shifts in our socio-cultural environment, where interactive and immersive narratives have become the preferred forms of storytelling.

### **Ergodic Literature: A Reinvention of Traditional Narration**

The fusion of arts and technology has given rise to new literary forms, as various scientific studies have shown. A prominent example is *Cybertext: Perspectives on Ergodic Literature* by Norwegian researcher Espen Aarseth (Aarseth, 1997), a pioneer in "Game Studies," which categorizes games alongside hypertext novels and text-based adventures. Aarseth introduces the concept of "ergodic literature" as a narrative form that represents a significant evolution by inviting the reader to take a more active role. This type of literature combines traditional narrative techniques with playful elements.

As defined by Aarseth, ergodic literature is characterized by an open and dynamic structure that requires active participation from the reader. Unlike traditional literary texts, where readers passively follow a predetermined narrative path, ergodic texts require readers to make choices that influence the story's development. This process engages the reader as an essential agent in constructing the story, a concept derived from the Greek terms "ergon" (work) and "hodos" (path), indicating the effort needed to explore the text.

In this sense, ergodic literature highlights a narrative complexity that pushes the story beyond the limits of traditional texts, even in its most basic and material terms. Such narratives merge different domains, extending writing beyond its traditional scope. The reader must play an active role in complex semiotic operations and changes to fully appreciate the text. Moreover, ergodic texts may

require simple physical tasks, like repeatedly turning the text, or more complex tasks, such as simultaneously operating across different domains.

Within this framework, the author crafts a multi-layered narrative, inviting the reader to partake in the creative process by exploring all its layers, ideally. Readers may choose not to follow all the created paths or only partially do so. In this regard, this type of text offers various types of fulfillment and levels of complexity that depend on the reader's choices. In such texts, plots and scenarios are entirely reinterpreted to generate a non-linear story progression, one that relies on the reader's direct involvement in following paths through footnotes, parallel plots, or counter-narratives. The boundaries of meaning are thus transcended, engaging the reader in a completely novel way (Peel 74-75).

In light of the elements presented thus far, ergodic literature clearly emerges as both an extension and transformation of classical literature, offering a way to explore meta-modernity (Médaglia, 2023). By introducing new dimensions of interaction and participation, ergodic literature brings an innovative dimension to literary practice, enabling a more active and engaging exploration of text. It opens up new perspectives for researchers and readers by offering narrative experiences that combine creativity and interaction. Thus, ergodic literature becomes a valuable field of study for understanding contemporary developments in storytelling and narration.

### **Ergodic Literature and Video Games in Convergence**

Ergodic literature incorporates features that enhance the reader's experience and transform the way they interact with narratives. These elements intersect with those found in video games, particularly in terms of interactivity, non-linearity, and engagement. The second part of this article will focus on analyzing three ergodic novels, which serve as concrete examples of what has been explored

theoretically. These works will highlight their main characteristics and explore the metamodern framework that emerges in this type of text.

### **Roman 1: House of Leaves**

One of the key elements that connects ergodic literature with video games is interactivity. In both mediums, the reader or player is not a passive spectator; they must actively engage with the content to discover more. This interactivity is crucial, as it transforms the way the story is experienced, making each interaction unique. The first novel examined, *House of Leaves* (2000) by Mark Z. Danielewski, is widely recognized as a quintessential example of ergodic literature.

This work stands out due to its complex and innovative arrangement, where the text is organized unconventionally. The pages are often filled with varied typography, unusual layouts, and blocks of text that do not follow a linear path. Some sections are printed in mirror image or spirals, forcing the reader to physically manipulate the book to access information. The footnotes add another layer of depth. They do not simply provide comments or explanations, but introduce parallel stories and reflections that enrich the main narrative. The house itself, enigmatic and ever-changing, mirrors the internal struggles of the protagonists. As a result, the reader must follow multiple narrative threads simultaneously, becoming an explorer navigating between different stories and perspectives, which enhances the reading experience.

This process of active exploration not only stimulates the reader's curiosity and interactivity but also invites them to transform reading into a labyrinthine navigation, establishing personal connections with the text. Each reader can uncover different meanings depending on their journey and personal experiences. Similarly, each navigation choice and interpretation contributes to the creation of a unique meaning. Thus, the book transforms into an innovative tool that

connects with the reader in a more engaged and profound way than traditional texts. This reader engagement is essential to ergodic literature.

### **Roman 2: If on a Winter's Night a Traveler**

Another essential commonality between ergodic literature and video games lies in the non-linear structure. Unlike traditional stories where the plot follows a well-defined linear path, these works offer freedom of exploration, allowing players or readers to determine their own progression through the narrative. This feature gives the experience a unique and immersive dimension, where each choice or route influences the unfolding of the story and its emotional impact.

In ergodic literature, a prominent example is *If on a Winter's Night a Traveler* by Italo Calvino (Calvino, 1979). The work is built on a series of nested stories, where the reader is constantly confronted with interruptions of the main plot and redirected to new fragments of stories. Each chapter presents the beginning of a different narrative, plunging the reader into a multiplicity of narrative worlds, never offering a definitive conclusion. This non-linear process forces the reader to actively engage in the construction of meaning through an unconventional path. The absence of linear progression and the need to choose which narrative thread to follow create a highly personal and immersive reading experience, where the meaning of the work emerges not only from the text itself but also from the way the reader approaches it.

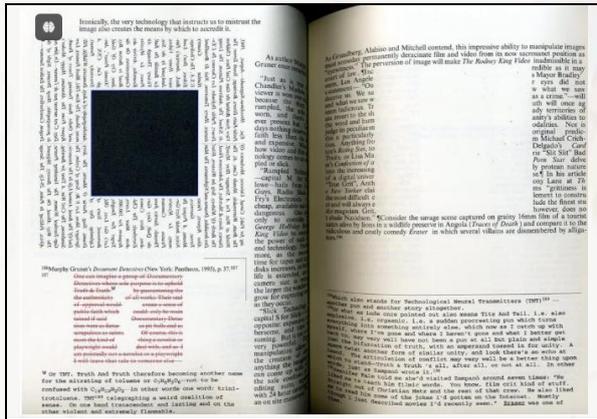
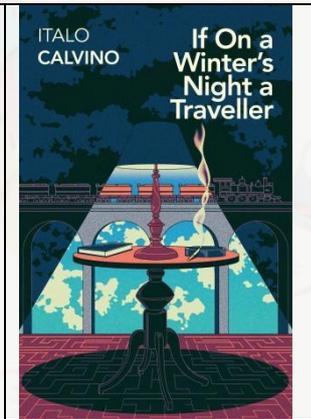
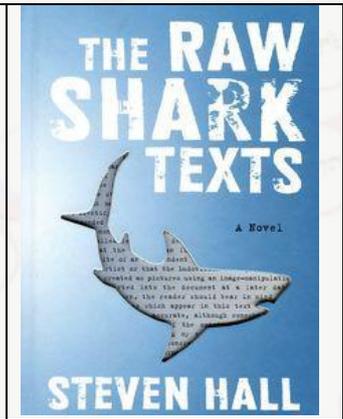
Furthermore, this non-linear structure challenges the traditional way we conceive of storytelling. Linear works generally follow a classic narrative progression with a defined beginning, middle, and end. In non-linear narratives, however, the reader has the power to redefine this order, transforming their role from a passive consumer to an active participant with the ability to make moral, intellectual, or emotional choices.

### **Roman 3: The Raw Shark Texts**

Narrative complexity is a key characteristic that links ergodic literature with video games, making the experience of interacting with these forms of art both demanding and rewarding. Both mediums engage the reader or player in deep, multidimensional plots that are often open to multiple interpretations. Ergodic literature is defined by this complexity, adopting unconventional narrative structures that require active involvement from the reader.

Take, for example, *The Raw Shark Texts* by Steven Hall (Hall, 2007), a work that blurs the line between literary fiction and visual art. The novel mixes text and images to explore deep themes such as memory, identity, and perception of reality. The narrative complexity lies in the way the story unfolds, forcing the reader to interpret visual and textual clues that form a cohesive whole. For example, some passages in the book are written to resemble shark figures or other visual shapes, introducing a dimension where the text becomes a kind of labyrinth that the reader must decipher. This innovative use of visuals and words compels the reader to question the very nature of narration. In *The Raw Shark Texts*, the protagonist, suffering from amnesia, struggles to rebuild his identity and memories, and the reader is involved in this discovery process. The reader's participation in this complex narrative goes beyond simple reading: they become an active participant in interpreting and reconstructing the text, just as in video games where the player co-constructs the story.

In both cases, the narrative complexity allows for pushing the boundaries of the medium. These works do not merely tell stories; they interrogate the way narratives are constructed, perceived, and understood, making the spectator or reader a true collaborator in creating meaning. Thus, the shared narrative complexity between ergodic literature and video games creates immersive and intellectually stimulating experiences, where active engagement is necessary to interpret the profound implications of the stories.

		
<p><b>Image 1: House of leaves</b></p>	<p><b>Image 2: If on a winter's night a traveler</b></p>	<p><b>Image 3: The Raw Shark Texts de Steven Hall</b></p>

These works reveal a profound transformation in the way media, such as literature and video games, are perceived. Indeed, the traditional boundaries between these forms of expression are gradually disappearing, allowing for the emergence of hybrid creations that transcend strict distinctions between genres. This demonstrates that the definition of a work no longer relies exclusively on its formal characteristics or its medium of origin, but on the experience it offers to the audience. The expectations of spectators, readers, or players, as well as publishing and distribution practices, now influence how these works are perceived and interpreted. As a result, the boundaries between literature and video games are no longer simply a matter of creation, but also of reception. This shift reflects a broader reconfiguration of contemporary culture, where media categories are becoming increasingly fluid and transmedia. This fluidity allows for greater flexibility in cultural creation and consumption, fostering innovation and openness to other mediums.

### Challenges and Issues of Ergodic Literature: Complexity and Accessibility

It is clear that ergodic literature represents a radical evolution within contemporary literature, pushing the boundaries of narrative art. As Anaïs Guilet argues, new media should not be seen as a threat to literature, but rather as a vector for its evolution (Guilet, 2013). This type of literature revitalizes the book and explores new formal and aesthetic possibilities. In this sense, ergodic literature appears as a response to the expectations of newer generations, such as Generation Alpha, the first to grow up immersed in a digital world (Höfrová et al., 2024). This approach caters to the needs of these readers, who differ significantly from previous generations in terms of cognition and social behaviors. However, ergodic literature also presents several challenges that warrant exploration.

Firstly, the complexity and interactivity of ergodic literature can make it a form of art perceived as elitist and difficult to access for the general public. Indeed, non-linear structures, often fragmented and multiple, require sustained and active engagement from the reader, going beyond the expectations of conventional literature. This exclusivity may discourage readers less familiar with such demanding formats, limiting the accessibility of ergodic literature and narrowing its potential audience. As a result, while innovative and captivating for a knowledgeable audience, ergodic literature risks remaining confined to a limited circle, thus hindering its broader dissemination and access to certain readers.

Furthermore, ergodic literature requires considerable cognitive investment from the reader, who must navigate a complex structure with multiple choices. This effort, both stimulating and potentially exhausting, may limit the immersive experience for some readers and hinder their long-term engagement. While complexity is one of the strengths of ergodic literature, it could discourage some readers, thus questioning the genre's ability to captivate a diverse audience over

time. Although the richness of ergodic literature lies in its ability to play with time, space, and narrative, this aspect may limit its appeal to a wider and more diverse audience, particularly those seeking a smoother and less demanding form of immersion. In this sense, the ability of this genre to maintain readers' interest over time becomes a central issue, one that could be addressed in future scholarly contributions.

On the other hand, the possibility of exploring multiple narrative paths in ergodic literature generates a diversity of interpretations and perspectives that enrich the work, but at the same time, it also produces meanings that are sometimes contradictory. This multiplicity of narrative trajectories blurs the traditional contours of literary interpretation, which often struggles to capture the full integrity of possible meanings in an ergodic text. Indeed, the linear and univocal approach of traditional analyses finds it difficult to grasp the richness and complexity of these works, where meaning is actively co-created by the reader as they make their choices. This challenge, far from being a mere obstacle, invites scholars to rethink their analytical tools and develop innovative methodologies capable not only of accounting for this interpretative diversity but also of structuring a critical discourse flexible enough to navigate this plurality of meanings.

### Conclusion

Ergodic literature, with its non-linear structures and multiple narrative paths, represents an innovative yet demanding form of literary expression. This article has highlighted the points of convergence between ergodic literature and video games, two art forms that, although typically seen as distinct, share key characteristics such as interactivity and the significant role of the reader or player in constructing the narrative. These similarities reveal creative and reception

dynamics that are redefining the boundaries between media and storytelling, exploring a space of enriching complementarity.

However, the challenges posed by ergodic literature reflect deeper issues around accessibility, engagement, and critical analysis, especially in a world where digital interactivity is becoming central. While this genre offers unprecedented opportunities to reinvent storytelling and meet the expectations of a younger, digitally immersed audience, it still faces limitations that hinder its adoption by a wider public. To overcome these obstacles, it is essential to develop analytical methodologies tailored to its specificities, thus enriching the critical discourse while making this literature more accessible.

In terms of future perspectives, research could further explore the intersections between ergodic literature and other immersive narrative forms, such as virtual reality, to push the boundaries of narrative interaction. It would also be relevant to investigate how ergodism could inspire literary education by integrating interactive works into pedagogical approaches, cultivating analytical skills in readers from a young age. These avenues open the door to a renewal of literature, adapted to the new expectations of a constantly evolving society, where the reading experience becomes a co-creation between the author, the text, and the reader.

### Bibliographie

- Aarseth E.J. *Cybertext. Perspectives on Ergodic Literature*. The Johns Hopkins University Press Ltd., London, 1997. 202 p.
- Bradshaw, T., & Nichols, B. (2004). *Reading at risk: A survey of literary reading in America* (Research Division Report No. 46). National Endowment for the Arts. <https://www.arts.gov>
- Brougère, G. (1999). Jeu. Questions pédagogiques. *Encyclopédie historique*, 315-329.

- Calvino, I. (2015). Si une nuit d'hiver un voyageur, trad. Rueff, Martin (Original work published 1979).
- Danielewski, M. Z. (2022). La maison des feuilles (C. Claro, Trad). Monsieur Toussant Louverture. (Original work published 2000).
- Francesca, Medaglia. (2023). Ergodic Literature as Representative of Metamodern Fiction. Metacritic Journal for Comparative Studies and Theory, doi: 10.24193/mjcst.2023.16.13
- Guilet, A. (2013). Pour une littérature cyborg : L'hybridation médiatique du texte littéraire (Thèse de doctorat, Université du Québec et Université de Poitiers, sous la direction de V. Gervais & D. Mellier).
- Hall, S. (2007). The raw shark texts. Canongate.
- Höfrová, A., Balidemaj, V., & Small, M. A. (2024). A systematic literature review of education for Generation Alpha. Discover Education, 3(1), 125
- Mingli, He. (2023). Videogame Adaptation of Literary Texts and Global Influences. 37-53. doi: 10.4324/9781003038368-5
- Peel, E. (2021). Narrologie contre nature et retour du lecteur refoulé. Récit , 29 (1), 71-90

## The historical, ideological, economic, financial dimensions their impact on public education and higher education

A realistic study of Sudan during the period 1956-2022

الأبعاد التاريخية، الأيديولوجية، الاقتصادية، المالية وتأثيرها على التعليم العام والتعليم العالي  
دراسة واقعية للسودان خلال الفترة 1956-2022

Prof.Dr. Salah Mohamed Ibrahim Ahmed, Professor of Economics, Dean of the Faculty of postgraduate studies and scientific research, White Nile University, Kosti, Sudan.

<https://orcid.org/0009-0009-0513-8248>

### Abstract:

The aimed of the research to shed light on the problems that hinder the process of public education, higher education, to know the dimensions that affect the progress of the teaching, learning process in Sudan, the research found the following most important results, through the narrative, the historical dimension, education in Sudan was based on strong foundations and pillars before independence, as education at that time was based on structural foundations from the British system, the research confirmed that education was effected by the ideology, ideas of the political regimes that govern the country according to its principles, its beliefs, visions, future plans, the research proved that public budget on education is characterized by weakness, scarcity, at a rate ranging between 2% to 10% of the total public budget, the most important recommendations, are paying attention to the educational, learning process, returning to the roots, origins that the colonialists established from the structure of the British education system, which was laid on the foundations, sound systems, the authorities of the Sudanese government should focus on supporting basic, secondary, university general education, and increasing wages, salaries to create job satisfaction for general education teachers, university professors in order to achieve the goals of education outcomes.

Keywords: historical dimension, ideological dimension, economic dimension, financial dimension, general education, higher education.

## Introduction

Education, in its two branches, upbringing and higher education and scientific research, suffers from chronic problems that have paralyzed Sudan and placed it among developing countries. It has also affected its economic system. Since independence in 1956, education has continued to suffer from problems and dilemmas that have accumulated and worsened and have not found effective solutions. Rather, education in Sudan has continued to go through devastating crises represented by the weakness and scarcity of spending on it, and fluctuations in the status of the stages of the educational ladder from the primary stage, primary stage, general secondary stage, middle and intermediate, and higher secondary, and fluctuations in the time periods of study starting from the 4-year-4-3-year system, the 6-year-3-3-year system, the 8-year-3-year system and other fluctuations in the years of study for the stages that the learner goes through. All of these fluctuations have confused the educational ladder and affected the educational curricula, in addition to the interventions imposed by the ruling political regime according to its ideology. These fluctuations have had a clear impact on the outcomes, and we will address this topic from several dimensions that have a clear impact on education. Which is called general education and includes Khalwas and pre-school education (kindergarten), primary, intermediate and secondary. As for higher education, it includes universities, colleges and institutes, whether governmental or private foreign private, so that we will address each dimension separately, and try to review the beginning of the history of education and how it began and the extent of the Sudanese people's response to this idea? Who are the pioneers and supporters of the idea so that it can be absorbed and accepted? And was there approval and response to educating both sexes, males and females, or was there acceptance of educating males and rejection and prevention of educating females? All these questions will be

answered by narrating the historical and social dimension, and we will also try to take you on a tour of the problems, obstacles and challenges that education in Sudan has faced since its inception, some of which have been overcome, while many have become obstacles and stumbling blocks that have hindered the progress of education, accumulated, worsened and prevented its progress and prosperity, leaving a gap that has contributed to the lack of education for children, adult illiteracy and dropout as a result of other dimensions that have played a major role in the delay and decline of education in Sudan in a striking manner and questioning the reconsideration of this vital and important subject through which countries are measured in terms of progress, advancement, development, prosperity, culture and civilization.

#### **The first section:**

#### **The methodological framework and previous studies:**

##### **(1-1) The research problem:**

The problem lies in the obstacles, impediments and challenges that faced general education and higher education and hindered its progress, and led to its decline and the weakness of its outputs and the inconsistency of its educational programs with the requirements of the labor market and the current era and the educational and functional gap left by the problems of education issues and the continuous and worsening increase of these dilemmas led to a decline in the scientific, cognitive and cultural balance of education outputs and the graduation of a huge and huge number of learners without a broad scientific reserve and a shallow culture that does not help it in global and local competition in the labor market and the variables and developments of the requirements of the era that are renewed moment by moment and second by second that do not know stopping, and require keeping pace and proceeding with what it imposes on you of advanced knowledge without going back.

### (2-1) Importance of the research:

The importance is limited to the role that education plays in the aspects of continuous daily life that know no limits to science and knowledge, as scientific and cognitive progress has become a sea without a coast, and education is the key to growth, development and prosperity, which leads to industrial, technological and environmental progress. The utmost importance is focused on helping decision-makers and policymakers, curricula and academic evaluation in the Ministries of Education and Higher Education and Scientific Research in making sound decisions and educational programs that lead to quality outputs.

### (3-1) Research objectives:

- 1- Shedding light on the problems that hinder the progress of general education and higher education.
- 2- Knowing the dimensions that affect the progress of the educational and learning process in general education and higher education.
- 3- Learning about the history of education in terms of the idea and who are the pioneers of education in Sudan.
- 4- Familiarizing with the obstacles and difficulties facing education since its inception and how to overcome them.
- 5- Drawing the attention of the authorities to pay attention to education and address the problems facing education with the aim of quality of its outputs in Sudan.

### (4-1) Research hypotheses:

- 1- There is a significant relationship between the historical dimension, general education and higher education.
- 2- There is a significant relationship between the ideological dimension, general education and higher education.

3- There is a significant relationship between the economic dimension, general education and higher education.

4- There is a significant relationship between the financial dimension, general education and higher education.

**(5-1) Research methodology:**

The historical descriptive statistical analytical method was used.

**(6-1) Reasons for choosing the topic:**

The painful situation that education is witnessing from the deterioration and collapse of infrastructure, weak educational outcomes, weak salaries and wages of teachers and professors, the strike of human cadres, the instability of education, and the overlap and confusion of the academic calendar.

**(7-1) Tools and means of collecting research data:**

Using a questionnaire, interviews, field visits, practical observation and real experiences.

**(8-1) Research limits:**

place limits: The Republic of Sudan, the Ministries of General Education and Higher Education and Scientific Research.

Time limits: The time period 1956 - 2022.

Objective limits: Historical, ideological, economic and financial dimensions and their impact on general education and higher education.

**(9 - 1) Sources of collecting research data:**

The research sources include primary sources, which are reports, field visits, observation and practical realistic observation, and secondary sources include books, references, magazines, periodicals, official newspapers and the Internet.

**(10 - 1) Research structure:**

The research consists of five chapters: The first chapter: The methodological framework and previous studies, the second chapter: The importance of

education and its components and the historical dimension, the third chapter: The ideological-political dimension, the fourth chapter: The economic dimension, and the fifth chapter: The financial dimension, theoretical analysis, results and recommendations for proposed solutions and a list of sources and references.

#### **(11-1) Previous studies:**

No previous studies were obtained that addressed the same topic with its dimensions as in the current study. Rather, educational problems remained discussed in workshops, meetings and forums, and no conferences were held to study the issues and problems of education in its school and university aspects. Moreover, the authorities in Sudan did not care about educational issues, but rather the problems that education suffered from were addressed through short emergency plans that dealt with solving only one problem and postponing the other problems indefinitely. Educational problems were also viewed as not posing a danger at the present time, and therefore their obstacles and future repercussions were not considered. We hope that this research will move a still person like throwing a stone into still waters.

**The second topic:** The importance of education, its components and the historical dimension

#### **(1-2) The importance of education and its components**

Countries rise, grow and develop through education, and from this standpoint, any country that wants to advance in all fields must put education in its sights and as one of its top priorities, because education is the main axis and the main pillar in the process of building state structures, and the most important component of prosperity and development, and the state rises and advances through education, and we find that the countries that have advanced have not advanced except by giving the utmost importance to the issues of education, higher education and scientific research, and therefore we find that there are

many experiences that have achieved unparalleled successes because their countries have given attention to the advancement of education and allocating a large percentage of public expenditures to spending on education in its general and higher aspects, and therefore they have achieved what they aspire to in terms of economic, social and political goals and comprehensive sustainable growth and development, and a living example of this is what the Asian tigers have achieved in terms of a major economic leap and leap, as well as what Malaysia and Rwanda, wounded by war, have achieved and their emergence into the vast space, and it can be said that any progress in all aspects of life is not It can only be achieved by advancing and paying attention to education and allocating a large space and position to solve the problems and issues of education and making education a top concern and priority of the state's tasks. Also, the state that neglects education issues suffers from backwardness and falling behind the ranks of advanced countries. If one looks at the history of peoples and civilizations, their renaissance, cultures and heritage; It becomes clear to him that building and developing countries and societies begins and continues from pre-school education and the school gate, as it is the first nucleus in forming the structure and the basic foundation for any civilized, social, cultural or political work, because the school is the basic building block for building the human resource from which life begins and societies are built, and the optimal framework for social, cultural, renaissance and civilizational upbringing, as it plays an important role in the process of conveying and consolidating educational and societal messages, and guides the person towards planting the seed of truth and a broader horizon and realizing the features of goodness, beauty and virtue and developing morals and the noble spirit that seeks to make others happy, as forming the most beautiful and ideal person is considered one of the most important necessities of the philosophy of civilization and social sciences in particular, and the problems

of education, higher education and scientific research are complex and thorny issues in our current era, due to their functional and structural interconnection between them, so we cannot in any way separate their variables as they are linked to each other, so we find the vast majority of global educational and teaching systems suffer from educational and teaching problems related to the foundations and basic elements of the educational and learning process, in terms of teachers and learners, Curricula, school construction, and administration are of a comprehensive nature that affects their cultural and civilizational identity, and affects the extent of their ability to meet the needs of the labor market and the era and achieve the aspirations and desires of their societies, which forced nations to focus all their efforts and endeavors to rebuild their educational systems permanently and continuously in line with their visions and future plans. In view of these problems and issues that plague the basic education system, the crisis of higher education and scientific research, countries must strive to restore what can be restored and maintain what can be maintained with the aim of the quality of services and outputs provided to society on the one hand, and the degree of functionality of these services with the renewal and development of societal needs on the other hand, especially what is required by the planned and targeted development programs in the short and long term, and that the widening gap between the requirements of the labor market and the capabilities of graduates (based on educational curricula) requires revisiting the policies of higher education and scientific research by finding mechanisms to control the quality of education and improve its outputs to reach a distinguished quality in terms of its inputs, processes, and outputs. In this regard, all problems and crises have been revealed. The education systems, higher education and scientific research suffered from patterns of fragility and fluctuations in making sound and decisive decisions to correct the course of these systems, and remove the distortions and obstacles

that constitute a major challenge between the higher education system and the pre-higher education system, which led to the disappearance and lack of integration and coordination between the two systems in developing curricula and educational methods and the close connection between them for the quality of the output.

### **(2-2) The historical dimension of education in Sudan:**

Education in Sudan According to the Transitional Constitution of the Republic of Sudan 2005, education in Sudan for the primary stages should be compulsory and free [1]. According to World Bank estimates for 2002, the literacy rate among adults aged 15 years and above is 60%, and in 2000, the rate was estimated at about 58% (69% for males and 46% for females), and the illiteracy rate among youth (15-24 years) is estimated at about 23%.

The educational process is managed under the umbrella of the Ministry of Education in addition to the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

### **(3-2) Traditional education in Sudan (edit section, 2022)**

The Arabs' entry into Sudan was preceded by the existence of a number of ancient kingdoms with educational and pedagogical systems, as the inscriptions and letters found in northern Sudan confirmed that the Sudanese had known writing since the Kingdom of Napata around 750 BC.<sup>2</sup> With the entry of the Arabs and Islam into Sudan, the spread of Quranic schools known locally as Khalwas, whose role was limited to memorizing the Holy Quran and the Noble Hadith, in addition to teaching the principles of the Arabic language and arithmetic, since the middle of the seventh century AD. The emergence of Khalwas in Sudan (edit section, 2022)

Its first appearance was during the rule of Sheikh Ajib Al-Manjalak 1570-1611 and it began as a compromise solution to the control of two religious trends over

education in Sudan at that time, namely the scholars of the Maliki school who refused to teach or pray boys in mosques, and the Sufi sheikhs who tended to seclude themselves away from people, so the Khalwas were built as houses attached to mosques.<sup>3</sup> They are known as The Khalwa has many names such as the Quranic, the Zawiya, the Jami' or the Masid, which is also used as a name for the mosque. The Khalwa is also usually known by the name of its Sheikh. The names of some famous Khalwas have dominated their entire region, such as the Khalwa of Wad al-Fadni and the Khalwa of Wad Kinan in the Gezira region in central Sudan, the Khalwa of al-Ja'ali in Kadbas in northern Sudan, the Khalwa of Sheikh Abu Izza in western Sudan, the Khalwa of Sheikh Ali Batay in Hamshkoreb in eastern Sudan, and others.

#### **(4-2) Education during the era of the Turkish-Egyptian rule (edit section, 2022)**

In 1863, five schools were opened in the capitals of the directorates, and these schools followed the Egyptian curriculum in education.

The first modern regular school was opened in Khartoum during the Turkish-Egyptian era in 1855 to educate the children of Turkish employees under the supervision of Rifa'a Rafi' al-Tahtawi during his exile to Sudan. <sup>7</sup>

#### **(5-2) Education during the Condominium Era**

Education Goals (Edit Section, 2022)

The British "James Curry" was appointed Director of the Education Department and Supervisor of Gordon Memorial College in 1900. He believed that education should be linked to the country's economic needs and set goals for education in Sudan, which can be summarized as follows:

1. Creating a class of skilled craftsmen that did not exist at that time.

2. Spreading education among the people to the extent that helps them know the basic rules of the state apparatus, such as the justice and impartiality of the judiciary.

3. Training Sudanese to fill minor government positions in the administration apparatus. This is to replace Egyptian and Syrian employees.

4. Another undeclared goal: which is to work on training Sudanese to work in the army so that the administration can gradually get rid of Egyptian officers and soldiers whose connection with Sudanese soldiers sometimes led to rebellion, influenced by the liberation movements in Egypt.

These goals governed education in Sudan from the beginning of the century until the establishment of the Bakht al-Rida Education Institute.

### **The educational ladder**

It consists of three stages, each of 4 years: 1. Primary. 2. Elementary or intermediate. 3. Secondary.

Kerry began establishing schools with one primary school in Omdurman in 1900, the number increased to seven schools by the end of the year, and the graduates of the Khalawi accepted them because there were no primary schools at that time. He also established a college to train teachers and judges in Omdurman in 1900, in addition to the Industrial School in Omdurman. Primary schools were later established to represent the beginning of the regular educational structure, and students then joined primary schools. (Edit section, 2022)

### **Gordon Memorial College**

Two months after the Battle of Karari, Lord Kitchener called on the British people to donate to establish a university college in Sudan to immortalize the name of Gordon Pasha. Kitchener estimated his financial needs at one hundred thousand pounds sterling. The British response was greater than Kitchener expected, as one hundred and twenty thousand pounds were collected in six

weeks. Lord Cromer laid the foundation stone on 5 January 1899. Kitchener then left Sudan for South Africa. Kitchener's vision for the college was to be a beacon of higher education in Sudan despite its humble beginnings as a primary school. Many opposed his idea, claiming that it was "overly ambitious" and that investing the money in establishing primary schools would have been more beneficial. However, time proved the foresight of Kitchener and James Curry, who said: "Although the impact of the college is limited now (at its establishment), it will increase with the completion of other educational institutions that feed it, and its value after fifty years will be incalculable." 8 Kitchener returned from South Africa to officially open Gordon Memorial College on 8 November 1902. In 1903, the Gordon College buildings were completed, and its nucleus was the Teachers College, which was moved from Omdurman to the college buildings, in addition to the transfer of Khartoum Primary School to the college buildings. A new training center was added to these schools, equipped with a workshop where students practiced carpentry and engineering drawing and received the principles of mechanical engineering. The year 1905 witnessed the beginning of the application of the secondary education system after the primary stage at Gordon College. The study was divided into two sections, the first section for two years to graduate surveyors and the second section for four years to graduate assistant engineers and observers. A special wing was added to the college for the military school to graduate Sudanese officers. There was a focus on students of African origin, and therefore only a limited number of students of Arab origin were accepted. 1906. A department was established to graduate teachers for primary schools, with a study period extending for four years after primary school. Thus, Gordon College became specialized in preparing administrators, technicians, and teachers to work in the government service. On February 29, 1924, Kitchener Medical School was

opened. It was established at the expense of the Sudanese government and the endowments of Ahmad Hashim al-Baghdadi, the Iranian merchant who donated all his wealth to the college. Kitchener School is considered the first medical school in North Africa to be established on a consistent and integrated curriculum and was not bound by the curriculum of medical colleges in England. Gordon College was transformed into a secondary school, as the primary department was abolished and it became composed of six departments: Sharia law. - Engineering. - Teachers' department. - Clerks' department. - Accounting department. - Department of Science. (Edit section, 2022)

#### **(6-2) Gordon Memorial College in 1936 University of Khartoum now**

In 1937, it was decided to link Gordon College curricula to the Cambridge University High School Certificate Examination in Britain, and obtaining this certificate qualifies the student to study at British universities. Establishment of a higher college of veterinary medicine in 1938, followed by the College of Engineering in 1939 and another for arts and law in 1940, and in 1944 all higher colleges except Kitchener Medical College were combined into one college, which became the first university college in Sudan, and the first batch of Gordon College students sat for the University of London certificate in 1946, and in 1946 the secondary section was transferred from Gordon College to the city of Omdurman to become Wadi Saydna and Hantoub School. In 1951, Kitchener Medical College was merged with Gordon College to form the University College of Khartoum, but the college remained in a relationship with the University of London. In 1956, the University College of Khartoum was transformed into the University of Khartoum, thus becoming the first African college affiliated with the University of London to become an independent university granting its own degree.

#### **(7-2) Omdurman Scientific Institute**

Mosque circles were organized in 1901 as a reaction to foreign education. Then, the colonial government agreed, based on the request of scholars, most notably Sheikh Qadi al-Islam Muhammad al-Badawi, to establish the Omdurman Scientific Institute, in which studies began in 1912 according to the old Al-Azhar system in Islamic and Arabic sciences and some modern sciences. Two regulations were drawn up for this system, one in 1913 and the other in 1925, and the three sections were integrated: primary, secondary and higher since 1924. It began to give globality from this date, and its graduates worked in teaching in institutes, the Ministry of Education, Sharia judiciary, preaching and guidance. A large number of its students joined Gordon College, Al-Azhar colleges, Dar al-Ulum, the University of Khartoum, Cairo University and some European universities. The institute followed this approach for a long time. In 1942, senior professors were borrowed from Al-Azhar colleges and institutes to raise the level of study in the secondary and higher departments, which today have become an institute for higher education students from all Sudanese secondary institutes. It has two colleges, one for Islamic law according to the curriculum of the Faculty of Sharia at Al-Azhar Al-Sharif, and the other for the Arabic language according to the curriculum of the Faculty of Arabic Language at Al-Azhar as well. In 1948, a Supreme Council was established for the Institute, consisting of eighteen members from the senior officials of the Ministry of Education, the University of Khartoum, the Institute, the Judicial Service, the Ministry of Works, merchants and notables, headed by the Chief Justice. The Council took great strides in the Institute, and established a study list for the new system that began to be implemented from that date. Four groups are now graduating from the secondary school certificate, which included the addition of the English language, natural and social sciences, and expansion in sports. In 1955, the Religious Affairs Department was established and became the

supervisor of the Institute, setting its budget and supervising it technically and administratively through its Sheikh, the Sheikh of Scholars, and its Scientific Board of Directors. It did a lot for the Institute, as it reviewed the curricula and formed committees to develop these curricula that achieve the new basic goals. For the first time in the history of the Institute, the Department established military training teams and focused on improving the conditions of teachers. Students of knowledge flocked to the Institute from all over Sudan and African countries, from Shinqit, Nigeria, Uganda, Ethiopia, Eritrea, Somalia, Senegal, and others, and from Aden, Hadramaut, and other Islamic countries. Asian, until the number of its students in 1959 reached about 1250 students, and the number of its teachers was about sixty teachers from Al-Azhar, Dar Al-Ulum, Cairo University, the Sudanese Ministry of Education, and its graduates. It has internal housing for more than three hundred students from the Sudanese regions and Islamic missions. It has a huge Arabic and English library that rivals the largest libraries, and includes most of the Islamic heritage. In addition to the institute, there are secondary institutes in the capitals of the regions in the north, east, west, and Al-Jazeera, and about forty primary institutes spread throughout the cities of Sudan. 9 The scientific institute developed in the mid-sixties of the twentieth century to become the University of Omdurman Islamic in 1965. (Edit section, 2022)

#### (8 - 2) The Technical Institute

In 1946, four training schools (technical schools) were established for students to join after completing the primary (middle) school. On the same date, a technical institute was established, later known as the Technical Institute, which later developed into the University of Sudan for Science and Technology (Edit section, 2022)

#### (9 - 2) Private Education

In 1927, the first private intermediate school was established in Omdurman through popular effort. A group of Sudanese participated in its establishment, headed by Sheikh Ismail Al-Azhari Al-Kabir, the Grand Mufti of Sudan. Sheikh Ahmed Hassan Abdel Moneim donated his house and a blank check without specifying a number that could be used for any number in defiance of the British, who claimed that there was no money for this purpose. In 1942, the activity of the Graduates Conference in the field of education emerged, as three intermediate schools were opened, one in Al-Gold, another in Madani, and the third in Omdurman. (Edit section, 2022)

#### (10-2) Bakht al-Rida

After the end of the Gordon College students' strike in 1930, the Governor-General appointed a committee to investigate the education systems. J. S. Ascott, the Chief Inspector of Education, submitted a memorandum criticizing the education policy and systems, and calling for fundamental reforms. Six months after receiving Ascott's memorandum, the Governor-General appointed a committee headed by Winter (the Director of the Education Department at the time), which included Mr. Ascott and the Administrative Secretary. F. L. Griffith was appointed as its rapporteur. The committee adopted Scott's views on focusing on primary schools and preparing teachers. One of the committee's most important directions was to establish a teacher training institute in a rural area and develop curricula for preparing teachers. The task of establishing this institute was entrusted to Mr. Griffith, who contacted the directors of the directorates to facilitate his task, but he did not find approval except from the director of the Ad Duwaym Directorate, a former classmate, who gave him a plot of land north of Ad Duwaym (the current location of Bakht al-Rida). He helped him with prisoners to clean the land and carry out construction work using local materials. In October 1943, the Sergeants' School (a school for preparing

teachers) was transferred from Gordon College to Bakht al-Rida 7. The duration of study at the beginning of the Sergeants' School and in Bakht al-Rida in its early years was four years after completing the primary school, then it was increased to five years in 1940, and to six years in 1944. The first technical inspection department in the history of education in Sudan was established. This department began its activity in Bakht al-Rida, and then it had branches in the directorates. The Bakht al-Rida department maintained its privacy related to knowing the needs of Teachers in the field of training, with follow-up of the implementation of curricula in the field, and the Central Teachers College was opened in Bakht al-Rida to train intermediate school teachers, and Bakht al-Rida entered in 1944 into a new experiment to develop the talents of children who completed the first educational stages in the field of free reading and self-education and to benefit from free time in directed activities, and to achieve this purpose, boys' clubs were established under the supervision of the institute, and the activity began in the city of Ad-Duwaim, then the clubs spread to other cities, and in order for these clubs to achieve their educational mission, a publishing office was established in 1946 in Bakht al-Rida, and its first production was the Boys' Magazine, which was issued in the same year as the first magazine addressing children in the Arab region. (Edit section, 2022)

#### (11 - 2) Adult Education (Edit section, 2022)

In 1944, the adult education experiment began in the village of Umm Jar as the first experiment in Sudan, and the experiment proved successful, which prompted the Ministry of Education to allocate a special department for adult education in 1952 headed by the ministry. (12-2) Women's Education Girls were educated in Quranic schools known as Khalwa, which taught religious sciences. The aim of these schools was not to prepare them to join the regular public education system. However, through the efforts of Sheikh Babiker Badri (the pioneer of

women's education in Sudan), the government established five primary schools for girls by 1920. The pace of development was slow due to the conservative customs and traditions that prevailed in Sudanese society at that time, which did not accept girls continuing their education after reaching adulthood. The situation remained as it was until 1940, when the first girls' school was opened, the Omdurman Middle School for Girls. By 1955, the number of girls' intermediate schools in Sudan had reached ten. In 1956, the Omdurman Secondary School for Girls was opened, which included about 265 students. It was the only secondary school for girls run by the government. By 1960, the number of primary schools for girls had reached 245, while the number of public secondary schools did not exceed 25 schools, and only two schools for higher secondary schools. There were no Vocational training schools for girls, with the exception of the Nurses Training College, in which only eleven students were enrolled. It is noted that nursing is considered by many Sudanese to be a respectable profession suitable for women. Girls' education achieved great gains within the framework of the reforms witnessed by the education sector in Sudan in the sixties and seventies of the last century, as the number of girls' schools rose to 1,086 primary schools, 286 intermediate schools and 52 vocational schools for girls, equivalent to one-third of the total government schools in Sudan. Ahfad University College (Ahfad University for Women) was the shining beacon in the history of women's education in Sudan, and its first brick was laid by Sheikh Babiker Al-Badri. As a primary school in 1922 AD, in Omdurman before it developed into a full-fledged university where 1800 female students receive various types of sciences and academic and professional studies such as training female teachers to teach in rural areas. (Edit section, 2022)

#### (13-2) Nuns' School in Khartoum

The Egyptian educational mission schools contributed greatly to the field of public education in Sudan, as their work was initially limited to educating the children of the Egyptian community, but later began to accommodate some Sudanese students. Among the largest of these schools are Gamal Abdel Nasser Secondary School in Khartoum and the Coptic College Primary, Preparatory and Secondary, and the Egyptian role in education in Sudan increased, so that its schools spread to a number of Sudanese cities such as the city of Al-Abyad in North Kordofan State, and the establishment of Cairo University, Khartoum branch (currently the University of Nilein).

Among the community schools in Sudan are also Christian missionary schools such as the American School, the Missionary School in Khartoum Bahri, the Comboni Schools in Khartoum, Khartoum Bahri, Omdurman and Port Sudan, and the Union School in Gedaref. The activity of missionary or evangelical schools extended to include a number of southern states in Sudan, which had a clear impact in spreading Christian teachings in southern Sudan. In addition, there are schools for other foreign communities, most of which operate in Khartoum at various levels, and some of them provide their services to all students, including Sudanese students, while others limit their educational activity to students and pupils of the communities to which they belong. Among these educational institutions are the Armenian School, Turkish, Canadian, Ethiopian, British schools and others. These schools teach the language of their original countries in addition to the Arabic language. (Edit Section, 2022)

#### (14 - 2) Education in the South (Edit Section, 2022)

In 1904 AD, the first government school was opened in the Bahr al-Ghazal Directorate (Governorate) in southern Sudan as an experiment that did not witness expansion due to opposition The missionary missions prevailing there, and in 1947 the Juba Conference was held to consider the future of southern

Sudan. The conference recommended unifying the education policy between the northern and southern regions of Sudan. In 1948, the first Sudanese Minister of Education, Professor Abdul Rahman Ali Taha, who was the deputy dean of Bakht al-Rida, was appointed. This development came after the establishment of the Legislative Assembly in 1949. The Legislative Assembly issued a decision to make Arabic the language of instruction throughout Sudan. In 1954, an international committee was assigned to make recommendations on secondary education, which included experts from Britain, Egypt, and India and a Sudanese rapporteur. The committee's recommendations included: adopting Arabic as the language of instruction at all levels of education in southern Sudan, abolishing the use of English or local dialects in teaching, and adopting Arabic as the language of instruction in all secondary schools in Sudan. Section.

### **Three: The Ideological-Political Dimension**

#### **(1-3) Education after Independence (Modify Section, 2022)**

After independence in 1956, Sudan inherited an educational system built on British curricula and structure. Successive national governments introduced changes to the educational system to achieve their goals, ideologies and ideas and keep pace with the development in the country and its political circumstances. The changing, and the demand for education increased after independence in a way that exceeded the state's allocated resources. In 1956, the education budget amounted to only 15.5% of the state's general budget, equivalent to 45 million Sudanese pounds, to support about 1778 primary schools with about 208,688 male and female students, 108 intermediate schools with 14,632 male and female students enrolled, and 49 government secondary schools with 5423 male and female students. The adult literacy rate reached 22.9%, and despite the efforts of successive governments, the rate had risen by 1990 to about 30%, in the face of

the steady increase in population and birth rates. (2-3) Education in the era of May (edit section, 2022).

The government of Jaafar Nimeiri, which took power in 1969, considered: “The education system in Sudan does not adequately meet the needs of social and economic development.” Therefore, it proposed to restructure it extensively. A national education conference was held in 1969, and the restructuring continued throughout the seventies until the new educational ladder was completed.

#### **General education** (edit section, 2022)

The first amendment to the educational ladder (edit section, 2022)

Its preparation was supervised by Dr. Mohi El-Din Saber, the Minister of Education at the time (and Director of the Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization) and consists of:

1. A primary stage for six years
2. A general secondary stage as a preparatory school for three years
3. A secondary stage that includes three types of schools:
  1. Academic higher secondary schools for three years that prepare students for higher education.
  2. Commercial and industrial technical schools to prepare a skilled technical cadre.
  3. Educational institutes to train primary school teachers.

High school students qualify through the Sudanese Certificate Examination for the post-secondary education stage represented by universities and higher technical institutes.

The number of public secondary schools in the 1980s was more than one-fifth of primary schools, i.e. an average of 260 public secondary schools compared to 1334 primary schools, while the number of higher secondary schools was only 190 schools. At this stage in particular, the number of private schools with

different levels of teaching quality doubled, especially in the triangular capital (Khartoum, Khartoum Bahri and Omdurman).

### (3 - 3) **Technical and vocational education** (edited section, 2022)

Despite the focus on technical and vocational education proposed by the government in 1980, with the encouragement of international advisory bodies, the number of vocational schools established in Sudan did not exceed five schools classified as academic higher secondary schools. The number of students enrolled in the academic secondary school course in the academic year 1976-1977 was eight times the number of those enrolled in technical schools, which created a shortage of skilled trained workers. In addition, technical school graduates suffered from problems of lack of training, the distance of curricula from the reality of work, lack of equipment, and low morale among students and teachers, which led to the previous education system focusing on theoretical academic teaching, and the low turnout among students in technical schools.

### **Obstacles** (edit section, 2022)

By the end of the Nimeiri era in the eighties, education had expanded significantly, and qualified schools spread throughout various rural areas, even to southern Sudan, benefiting from the short period of peace that Sudan enjoyed after the agreement with the Anya-Nya movement.

In addition to the establishment of a significant number of teacher training and qualification institutes, education was affected by the economic difficulties that Sudan suffered from during that period, as spending on education and teachers' salaries decreased.

### (4-3) **Higher Education** (Modified Section, 2022)

In addition to the existing universities, which are: University of Khartoum - Cairo University, Khartoum Branch. (University of Nilein, n.d.)

In October 1955 of the same year, the first Egyptian university in Sudan was established as a branch of Cairo University.

Cairo University, Khartoum Branch - Omdurman Islamic University.

Nimeiri established universities: University of Gezira in Wad Madani - University of Juba in Juba, which moved during the war years to the capital, Khartoum - Omdurman Ahlia University, which was established by popular effort in the city of Omdurman in the capital, Khartoum, in addition to eleven university colleges and twenty-three institutes. The colleges were specialized institutes that granted certificates and diplomas for shorter study periods than required in universities.

### (5-3) Education in the Salvation Era (Edited Section, 2022)

During the reign of the ruling regime for the period from 1989, the regime began the horizontal expansion of education in Sudan without a careful and accurate study by expanding in establishing and opening schools, colleges, institutes and public and private universities, without prior knowledge of the financial situation for the purpose of preparing the infrastructure, as approval was given and universities were opened with incomplete infrastructure and a lack of financial resources, deterioration and collapse in the educational infrastructure, a shortage of qualified trained cadres, weak salaries, wages and talents for general education and higher education, a shortage of aids, equipment, means and libraries and a shortage of educational books. The beginning was unsuccessful for political and ideological expansion, as the National Salvation Government announced comprehensive changes in the field of education in Sudan in September 1990, and 400 million Sudanese pounds were allocated for this purpose, and the government promised to double the amount in the event of the success of the first phase to change the existing education system in line with meeting the needs of Sudan-, and the new educational philosophy was based on

establishing a reference framework for this Reforms, in which education is based on “the permanence of human nature and religious values”, to be accompanied by a curriculum that includes all schools, institutes and universities and consists of two courses: a course The number of students enrolled in the academic secondary school course in the academic year 1976-1977 was eight times the number of those enrolled in technical schools, which created a shortage of skilled trained workers. In addition, technical school graduates suffered from problems of lack of training, the distance of curricula from the reality of work, lack of equipment, and low morale among students and teachers, which led to the previous education system focusing on theoretical academic teaching, and the low turnout among students in technical school institutes and universities and consists of two courses: a compulsory course and an optional course. The first compulsory course applies to all students without exception and in it all branches of knowledge that will be studied are inspired by the Holy Quran and recognized books of Hadith. As for the optional course, students are allowed to choose some specializations according to individual desires and inclinations. These broad reforms faced opposition from within the Sudanese educational institution itself. In early 1991, a presidential decree was issued stipulating the necessity of doubling the number of students accepted into universities, and that Arabic would become the language of instruction in Sudanese universities instead of English. The new educational system took into account “extending the productive life of the citizen”, reducing the cost of education, and achieving a boom in the rates of increasing educational institutions in it. The primary and intermediate stages (preparatory) were merged into one stage called the basic stage, which lasted eight consecutive years. Thus, the primary certificate exam was cancelled as a solution to the problem of many Sudanese students stopping at the primary education stage without receiving Adequate education, and this measure provided

the opportunity for a large number of them to continue their studies for two years or more. 10

The second amendment to the educational ladder (amended section, 2022)

**The current educational ladder consists of three levels:**

- The first level is the pre-school education stage and consists of kindergartens and daycare centers for children, and children are registered in it from the age of three or four until the age of six, and the duration of this stage is one or two years according to the desire of the parents.
- The second level is the basic stage, and begins with the first grade at the age of 6-7, and up to the eighth grade, and the volume of educational material and academic subjects increases annually, and with it the effort expended to absorb and interact with it doubles in line with the mental and physical development of the male and female student, and when either of them reaches the age of 13-14, they are prepared to sit for the secondary school entrance examination certificate.
- The third level is the multidisciplinary and field-based secondary school stage with unified certificates (academic, technical, religious). This level of study includes more advanced study methods, in addition to some basic academic subjects such as chemistry, biology, physics, geography, etc. The study period extends to three years and the ages of students range from 14-15 to 17-18. In addition to these types of schools, there are other government institutes and schools parallel to the official educational system such as religious, vocational and industrial institutes and vocational training centers 10

(6-3) **University education** (edit section, 2022)

**List of universities in Sudan**

University education in Sudan was limited to one university, the University of Khartoum - which ranked fourth in Africa academically [citation needed] - which was founded by the British during the period of the Anglo-Egyptian

condominium rule under the name Gordon Memorial College, in addition to another university affiliated with the Egyptian educational mission in Sudan, which is Cairo University, Khartoum branch. University education witnessed an expansion that began during the era of President Jaafar Nimeiri (1969-1985 AD), when the University of Juba was established in the southern region. The expansion continued after that until the number reached more than fifty universities and higher institutes, public and private, in all the states of Sudan, teaching many scientific, literary and artistic specializations, and receiving many foreign students due to its good regional reputation in terms of the academic level, teaching staff and the certificates it grants, in addition to the low cost of living compared to other countries. The University of Khartoum was once compared to elite international universities such as the British University of Cambridge [citation needed] and many prominent Sudanese experts graduated from it regionally and internationally. Among the prominent universities in Sudan are the University of Omdurman Islamic, the University of Medical Sciences and Technology (Mamoun Hamida), Ahfad University for Girls and others. Fourth topic: The economic dimension Tuition fees at Sudanese universities increased by more than 200% after a strike by school teachers in several states in Sudan due to their low salaries, with the implementation of a comprehensive closure of government schools, which is the third closure in one month. University students, led by the University of Khartoum and the University of Sudan for Science and Technology, also marched to the Ministry of Higher Education to protest the increase in tuition fees that were imposed and implemented recently. The students described the university fees as “exorbitant” and that they come as a prelude to the privatization of government universities, raising slogans including “No to the commodification of education” and “Yes to free education for all.” Following these protests, the University of Sudan

announced the suspension of studies indefinitely. The tuition fees crisis had escalated in several universities, including the University of Khartoum (the oldest Sudanese university). Sudanese universities entered into strikes during the past year, and due to the accumulated economic crises surrounding Sudanese citizens in several sectors, those belonging to the public and higher education sectors found themselves in the midst of these crises and had no solution but to use the weapon of sit-ins, which they first started with, then developed To strike and organize protests by students after they lost any hope in the response of the concerned authorities, and the universities indicated that they threw the ball into the court of the responsible authorities, who did not leave them any choice regarding their failure to "finance the requirements of the educational process and implement the slogan of completely free education", other than imposing tuition fees to support the requirements of higher education, and the extended university education crisis is the result of decades, as the previous regime began, after the coup it carried out in 1989, to issue decisions called the "Higher Education Revolution" and the new government at that time began to expand horizontally under the pretext that the legacy of the previous education system during the era of the government of Sadiq al-Mahdi did not allow for the absorption of more than 6% of the examinees for the Sudanese certificate each year, and the idea was to distribute higher education institutions in the states instead of crowding them in the capital, but this project was not accompanied by any noteworthy development, but rather universities were established amidst scarce resources in the states, and the number of universities in the capital, Khartoum, was doubled while the resources and services remained the same by approving private universities, and after the December revolution, the Minister of Finance in the first government of Abdullah Hamdok, Ibrahim al-Badawi In light of the structural crises that the Sudanese economy is suffering from, with the increase

in the wages of state employees, including teachers and university professors, by 569% according to the job ladder, which created a deficit in the general budget due to the increase in government consumption and public spending on wages and talents and the decline and weakness of production, and this also led to an increase in the inflation rate due to the issuance of large quantities of Sudanese pounds. Five months after the decisions of the Chairman of the Sovereignty Council, Lieutenant General Abdel Fattah Al-Burhan, which he imposed on October 25, 2021, he issued a decision to dissolve the boards of directors of public universities and dismissed 30 of their directors. Observers described that decision as an encroachment on the independence of universities and an escape from the commitment to responsibility towards the salary structure of university professors, especially since the "Professional Union of University Professors" had decided to strike, as a result of which university studies were suspended for months in protest against the Ministry of Finance's refusal to adopt a decision that had been issued by the resigned Prime Minister Abdullah Hamdok, and it was supposed to make adjustments to the salary structure to improve the conditions of university professors," said Salah Mohamed Ibrahim, a professor at the White Nile University in White Nile State, "The problems of higher education and scientific research in Sudanese public and private universities lie in the increase in tuition fees by more than 200%, especially in applied colleges, most notably medical and engineering sciences in universities in the capital, Khartoum, as the new tuition fees, according to the increase, range around more than two thousand dollars in public universities for special admission and private universities, and in theoretical colleges less than that, and in the states, tuition fees are less than those set in universities in Khartoum." Ibrahim added, "The state of higher education and scientific research in Khartoum has become extremely difficult and is plagued by problems of living hardship and crushing

inflation. The student needs daily expenses for his meals and his movement to and from the university, in addition to other educational aids. There are also registration fees, fees for obtaining the card and obtaining certificates after graduation and the graduation ceremony, and other costs.” He stressed that “the lack of security, the fluctuation of the academic year in universities in the capital, Khartoum, and the high cost of housing in The boarding schools, in addition to the disparity in tuition fees, have prompted many families to transfer their children to private and public universities in the states, especially outstanding students who benefit from the scholarship opportunities provided to them by the Ministry of Higher Education, which imposed on private universities to accept 2% of outstanding students. He explained that “this situation created a reverse migration to the states in search of stability and a safe life, and for students to be close to their families, as large numbers of state students were suffering from the deterioration of university conditions due to the instability in Khartoum.” Ibrahim pointed out that “although the universities in the states contained a large number of those who came to them and benefited from the scholarships, tuition fees remain an obstacle standing in the way of many students from continuing their education. Even if the problem of fees has been partially solved, the crisis of expenses and other problems remain, such as power outages for long hours, scarcity of drinking water for several months of the year, and high prices of gas, gasoline, bread, etc. There are families that support three or four children, all of whom are in universities and need additional sources of income. We find that many families cut back from their living expenses to educate their children, especially in applied colleges.” Such as medical sciences and nursing sciences, which are in high demand due to the availability of the internal and external labor market. Commenting on the continued increase in tuition fees, he said, “The increase in tuition fees included foreign students from neighboring

countries who began to return to their countries to complete their studies there.” He added, “Ironically, the economic crisis, along with the increase in tuition fees, forced most Sudanese families to immigrate with their children to complete their studies in other countries such as Egypt and Turkey, which are less expensive compared to Sudan.” (Independent Arabia - Hassan Hamed, Mona Abdel Fattah)

### Section Five: The Financial Dimension

We will review financial policies, their types, objectives, and tools, as it should be according to modern data and tools, and financial policy: Fiscal Policy: Fiscal policy is defined as a policy that links spending and government revenues that were put in place to confront economic fluctuations; This is in order to reduce or eliminate unemployment rates and inflation rates, in addition to achieving sustainable economic growth that can be controlled, as governments stimulate the economy in cases of recession by increasing the money supply, while in cases of economic expansion, the government limits rapid economic growth by imposing taxes to achieve a budget surplus, and also so that revenues exceed expenditures to operate independently of monetary policy, which attempts to achieve the same goals by controlling the money supply (Ahmed, 2009). When the executive authorities prepare the general budget, they do not take into account spending on education, but rather make spending on education a lower priority and do not allocate a specific percentage of the budget to it. Accordingly, spending on education remains at a modest percentage, which has affected the progress of performance and the advancement of education. Sudan, as a developing country, did not look at education issues and problems from a realistic perspective with an economic dimension, and did not give importance to spending on education. Public budgets were prepared according to the vision of the ruling regime and strengthening and consolidating its pillars. Spending was largely on security and defense due to the frequent military coups. The state budget, in terms of public

expenditures, was directed to the military and security strategy, as is the case in African countries that did not witness stability in their ruling systems. Spending on the security and military side occupies 80% of the total public budget, and thus spending on education and health is reduced. Therefore, we find that the cycle of poverty prevails in these countries from the spread of illiteracy, malnutrition, weak national income, and living hardship. Therefore, the countries did not focus on spending on education and allocated a small percentage in the budget that we are ashamed to mention, and sometimes it weakens and decreases until it reaches 1.3% of the total budget, while spending is spent on running the head of the ruling structure at a large rate. Therefore, this scarcity of spending on education directly affected education and the weakness of its outcomes. Education, the collapse of the educational infrastructure from collapsed, cracked schools that do not encourage the teaching and learning process, and the means, tools and equipment that discourage and frustrate the spirits, and this was reflected in education and its decline in a remarkable and terrifying manner. As well as the process of horizontal expansion in public education and higher education without an increase in spending, but rather an unusual decrease in the percentage of spending, as well as making room for public education and private and foreign higher education, and increasing the percentage of private admission to government universities by almost 50%, and that government universities spend a large percentage of their own resources on wages and talents, and thus there became a major financial dilemma and other financial problems that hindered the progress of education and weakened its performance and stagnated in an unprecedented manner.

### Financial Policy Tools

The policy tools are represented by government spending, subsidies and taxes, and changing any of them leads to a change in the level of total demand in

society, and thus affects the level of economic activity. Changing taxes may affect aggregate demand indirectly by affecting the level of consumption and investment, which are two main components of aggregate demand, and thus this affects the level of national product, the level of employment, and the general level of prices. Under conditions of recession or depression, the objectives of macroeconomic policies focus on raising the level of national product and its growth rate, in addition to raising the level of employment. Therefore, an expansionary fiscal policy is followed by increasing government spending or reducing taxes, which leads to an increase in aggregate demand, and thus both the level of employment and the level of national product increase, and the economic growth rate rises (Ahmed, 2009). The opposite occurs under inflationary conditions, where a contractionary fiscal policy is followed by reducing government spending or increasing taxes, which leads to a decrease in aggregate demand, and this limits inflation rates (Enaya, 2006). Economic growth should range between 2% and 3% annually, and natural unemployment rates should be between 4.7% and 5.8%, and inflation should be at its natural level, which is 2%. Among the tools used in fiscal policies are the following (Draz, 2002): Taxes: Taxes include both income and financial gains obtained from investments, real estate, and sales. Taxes provide the income that funds the government, but they are not desired by most people, because many taxable entities have low incomes that do not enable them to pay the taxes due. Government spending: As the population ages, the costs of medical care and social security increase. Government spending means the state's spending on goods and services such as purchasing military equipment (tanks - aircraft) and spending on public facilities and services (roads - building dams) and the salaries of judges, army officers, and salaries and wages of employees working in ministries and agencies (Al-Massir, 1990, p. 22) and so on. Government spending determines the relative weight of

both the public and private sectors in the country. By changing government spending, the level of aggregate demand is affected, and thus the level of national product, employment, and the general price level. Taxes include both direct taxes, which are imposed on individuals' incomes, and indirect taxes, which are imposed on goods and services (). We find that the most important types of monetary policy tools are represented in the following: A/ General tools are open market operations, discount rate mechanisms, and control of legal reserves. B/ Optional tools include control over the bond market's limit requirements, control over consumer and real estate credit, Q instructions, moral persuasion, and issuing directives (Abdullah, 2003). Monetary policy works hand in hand with fiscal policy to achieve economic goals and avoid the phenomenon of inflation. We also find that the most important goals of public finance are as follows: 1/ Controlling consumption. 2/ Mobilizing savings. 3/ Directing public spending. Public spending is of special importance and has occupied a prominent place in financial studies, not only because it is a means to satisfy public needs, but also because it is the only reason that the traditional theory focused on for the state to obtain public revenues. It is also a tool among other financial tools, and its role is clear in achieving economic stability. Traditional thought as a whole was associated with the concept of the guardian state, whose expenditures are characterized first by their small size, i.e. the necessity of limiting public spending, restricting it to the narrowest limits and limiting it. Perhaps the idea of the economist (Say) and his famous phrase: (The best expenditures are the smallest in size) is the best expression of this trend. Secondly, the neutrality of this public spending, and that it does not affect the national economic balance, nor the economic and social structure of the state (Farhoud, 1981, p. 18) Public spending: is cash amounts paid from the public treasury to satisfy public needs. This concept includes three elements: 1/ Cash amounts. 2/ The value of the expenditure is paid from the

public treasury 3/ The goal is to satisfy public needs that achieve a public benefit that is not enjoyed by a specific individual or a specific entity, and this requires the economy to rationalize public spending, meaning not to expand it. And to adhere to the neutrality of public spending and limit it to enabling the state to carry out its activity (Al-Massir, 1990, p. 104)

#### **Effects of fiscal policy:**

The effects of fiscal policy differ based on the basic orientations and goals of its subjects, as its effects differ from one class to another in society, and the most important of these effects are the following:

1- The effect of tax reduction on the middle class, which is usually the largest economic group in the state, as this class is forced to pay more taxes than the wealthier upper classes in cases of economic decline and high taxes (Shamiya, 1991, p. 190)

2- Expansionary fiscal policies cause an increase in the deficit, and thus reduce growth, and follow austerity policies.

3- The increase in wages causes inflation, thus trying to shrink the economy and harm the country's overall economy.

- Investors bidding on the local currency, thus increasing the cost of export more than import, which causes a shift to buying more foreign goods, and a decrease in demand for local goods, thus causing an imbalance in the trade balance (Abdullah, 2003)

Public spending rules: 1/ The rule of maximum benefit. 2/ The rule of economy and non-waste.

Public spending factors: are as follows: 1/ Satisfying a public need 2/ The level of economic activity. 3/ The state's ability to obtain public revenues. 4/ The inevitability of preserving the value of money. 5/ The general collective benefit (Al-Massir, 1990, p. 54)

### **Apparent reasons for the increase in public spending:**

There are apparent reasons for the increase in public spending, which are:

1/ The decrease in the value of money (inflation). 2/ The change in the financial rules of government accounts. 3/ The expansion of the country's territory and the increase in the number of states leads to public spending. (Al-Massir, 1990, p. 29)

The real reasons for the increase in public spending: There are real reasons for the increase in public spending, which are as follows:

1/ Administrative reasons. 2/ Economic reasons. 3/ Social reasons. 4/ Political reasons. 5/ Financial reasons. 6/ Security and defense reasons (Shamiya, 1991, p. 205).

The objectives of financial policy: Financial policy seeks to achieve the following objectives (Al-Massir, 1990, p. 22)

1. Financial balance: This means using the state's resources in the best way. For example, the tax system should be characterized by the qualities that make it suitable for the needs of the public treasury, in terms of flexibility and abundance, and at the same time suit the interests of the taxpayer in terms of fair distribution, collection dates, economy, etc., and also loans should only be used for productive purposes, etc.

2. Economic balance: meaning reaching the optimal production volume, which means that the government must balance the activity of the private and public sectors to reach the maximum possible production. The more private projects are capable of producing than public projects, the more the government must refrain from direct intervention, and limit its activity to guidance through advertisements and taxes if necessary.

3. The intermediate goal of financial policies is to influence the elements of total spending (consumer spending + investment spending + government spending +

net external spending). In other words: managing actual total demand and controlling its fluctuations in a way that enables achieving the desired level of total demand necessary to achieve the full operating income for the community's materials (Enaya, 2006)

**The research reached the following results:**

1/ Through the narrative and historical dimension, education in Sudan was based on strong pillars and foundations before independence, as education at that time was based on structural foundations from the British system.

2/ The research confirmed that education was affected by the ideology and ideas of the political systems that govern the country, and thus changes occurred in education to achieve the goals and ideology of the ruling party, its principles, beliefs, visions and future plans.

3/ The research proved that the economic living conditions, the instability of security and political conditions, and this economic dimension greatly affected the stability of education and the improvement of the education environment, and the deterioration and deterioration of education conditions as a result of the economic deterioration and economic distress.

4/ The research proved that public spending on education is characterized by weakness and scarcity, ranging from 2% to 10% of the total general budget, and the lack of interest of those who set general budgets in spending on education, and the lack of interest of the executive authorities in spending on education and giving it top priority and allocating a large percentage of the total budget to education.

5/ The research proved the deterioration and deterioration of education conditions, which was reflected in the weakness of education outcomes and the collapse of the infrastructure of general education and university higher

education, and the increase in the loss of learners and dropout in the education of young people, adolescents, young adults, adults, the elderly and women.

6/ The research confirmed the spread of Khalwas, kindergartens, primary and secondary schools, and universities, especially private, national and foreign education, to a large extent, and thus the state's policies have been directed towards privatizing public education and higher education.

7/ The research proved that women's education has recently spread and expanded significantly and remarkably, as females outperformed males in all Sudanese certificate exams, primary and intermediate, and women excelled in higher education in Sudanese universities.

8/ The transitional period came and abolished the primary and secondary stages, and returned the third intermediate stage without studying and did not find a suitable school environment for it by providing classrooms separate from the primary stage, and confusion occurred in the prescribed educational curriculum, and this was the result of a sectarian and intellectual dispute between the previous regime and the transitional regime.

#### **Recommendations:**

1/ Paying attention to the educational and learning process and returning to the roots and origins that the colonizer established from the structure of the British education system that was established on sound foundations and systems.

2/ The Sudanese government authorities should focus on supporting basic, secondary and university general education, and increasing wages and salaries to create job satisfaction for general education teachers and university professors in a way that achieves the goals of education outcomes.

3/ The state should adopt a free education policy to provide and expand opportunities and accommodate a significant number of people from all segments

of Sudanese society, and fill the gaps in educational loss and school dropout for children, young people and the elderly, and educate women and adults.

4/ The Sudanese government should give priority to spending on education, both general and higher, by allocating a significant percentage of no less than 50% of the state's general budget and specifying years to focus on spending on education in a large way to address the structural imbalances, distortions and obstacles facing the renaissance of education.

5/ The government should establish a fixed system for the educational ladder and curricula that are consistent with global developments, and move away from ideologizing education, politicizing it according to the ruling regimes, and taking education out of the circle and control and influence of the ruling regime.

6/ The government should seek to improve the economic conditions of the people by improving the Sudanese economy by increasing production and productivity, and creating wide job opportunities to accommodate the public in all areas of economic activities and reducing the unemployment rate.

7/ The government should not expand horizontally in schools and universities recently, and find a way to solve problems and overcome all obstacles and difficulties that education in Sudan is currently suffering from, according to a specific study and programming.

#### List of references:

1/ "Awareness / to spread awareness and increase knowledge". Archived from the original on 2020-04-05. Retrieved on October 2020.

2/ Ibrahim Ahmed Al-Adawi, (1977), Sudan's Awakening, Anglo-Egyptian Library, Cairo.

3/ Research | The Arab Encyclopedia Archived October 28, 2017 on the Wayback Machine website.

- 4/ Category: Articles with broken external links since {{Copy:month\_name}}  
{{Copy:year}}][Broken link] Archived April 7, 2020 on the Wayback Machine.
- 5/ Jump up to: A B Sudan Archived October 31, 2017 on the Wayback  
Machine...
- 6/ Eritrean Islamic Reform Movement [Broken link] Archived February 21,  
2014 on the Wayback Machine.
- 7/ Daraz, Diao Abdel Majeed (2002), Economics of Money and Banking,  
University Youth Foundation, 40 Dr. Mustafa Sharfa Street.
- 8/ Da'wat al-Haqq, Issue 33 Archived September 28, 2018 on the Wayback  
Machine.
- 9/ Sudan,  
<https://web.archive.org/web/20160327024437/http://www.moe.gov.sd/>
- 10/ Al-Shazly Issa Hamad Abdullah, (2003), The Impact of Fiscal and Monetary  
Policies on the Sudanese Balance of Payments, a study to obtain a doctorate  
degree, unpublished, Sudan University of Science and Technology, Sudan,  
Khartoum.
- 11/ Shamia, Ahmed Zuhair (1991), Public Finance, Amman, p. 205.
- 12/ Salah Mohammed Ibrahim Ahmed, (2009), The Role of Fiscal Policies in  
Economic Development in the White Nile State 1995-2005 A study to obtain a  
doctorate degree, Bakht Al-Rida University, Sudan, unpublished, Ad-Duwaim.
- 13/ Enaya, Ghazi Hussein, (2006), Financial Inflation, Alexandria University  
Youth Foundation, p. 22..
- 14/ Farhoud, Muhammad Saeed (1981), Principles of Public Finance, Publishing  
House, University of Aleppo, Syria, p. 18.
- 15/ Al-Masir, Muhammad Zaki (1990), State Expenditures, Dar Al-Nahda Al-  
Arabiya, Cairo, Egypt, pp. 22., 54, 29.

16/ Al-Masir, Muhammad Zaki (1990), Economics of Money, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, Egypt, p. 104.

17/ The website of the Independent Arabic newspaper, dated 4/1/2023.

18/ Wikipedia website, net, 2022.

19/ Archived copy on March 5, 2016 on the Wayback Machine website.

20/ Ministry of General Education.

The Sudan, Arcord of Achievment, J.S.R Duncan>William Blackwood and Sons Ltd, London and Edinburgh, 1952

Anthony Sylvester: Sudan Under Nimeri, The Bodley Head, London (1977 / )PDF) [https://web.archive.org/web/20120118141010/http://www.minerals.gov.sd/pdf/sudan\\_2005.pdf](https://web.archive.org/web/20120118141010/http://www.minerals.gov.sd/pdf/sudan_2005.pdf) في 18-01-2012. }}استشهاد .PDF) مؤرشف من الأصل | غير موجود أو فارغ (مساعدة)=title=ويب ({}): الوسيط |

Sudan country profile. Library of Congress Federal Research Division, December,2004

Library of Congress Country Studies

**Book review:** Translation, and the Manipulation of Difference: Arabic Literature in Nineteenth Century England by Tarek Shamma

مراجعة كتاب: الترجمة والتلاعب بالاختلاف: الأدب العربي في إنجلترا في القرن التاسع عشر،  
تأليف طارق شمة

Tarik ElFalih, Abdelmalek Essaadi University, Faculty of letters and Human Sciences Tetouane,  
Morocco

tarik.elfalih@etu.uae.ac.ma

**Abstract**

Tarek Shamma's Translation and the Manipulation of Difference: Arabic Literature in Nineteenth Century England investigates ideological and cultural forces that shape translation, notably in Arabic literature. Shamma begins with the long-standing dispute between free and literal translation, showing how translation philosophies treat linguistic and cultural differences differently. He agrees with Lawrence Venuti that free translation often serves ideological aims and criticises Western academia's marginalisation of literal translation. Shamma contrasts Eugene Nida's focus on establishing a "natural equivalent" in the target language with the cultural turn in translation studies, which makes translation politically fraught. Shamma explores Edward William Lane's English translation of The Arabian Nights to examine translation's colonial effects. He contrasts Lane's literalist approach with Antoine Galland's domesticated and exoticized French interpretation, showing how Galland adapted the tales to European literary preferences and colonial discourse. Galland's translation distorted, omitted, and fabricated narratives, encouraging curiosity with the Orient and imperialist prejudices. These activities demonstrate how translation shapes cultural identities and geopolitical structures, according to Shamma. He shows how translation is a zone of power by analysing colonial translation movements from exoticisation to literalism. Translation negotiates and produces ideologically constructed identities, he argues, by moulding perceptions of the "Other" and contributing to colonial rhetoric.

Translators mediate culture and participate in colonial power dynamics, as this study shows.

**Keywords:** Translation; Ideology; Colonial Discourse; Geopolitics; Cultural Differences

### ملخص

يبحث كتاب طارق شما في القوى الأيديولوجية والثقافية التي تشكل الترجمة، لا سيما في الأدب العربي. يبدأ شما بالنزاع الطويل الأمد بين الترجمة الحرة والترجمة الحرفية، موضحاً كيف تعالج فلسفات الترجمة الفروق اللغوية والثقافية بشكل مختلف. يتفق شما مع لورنس فينوتي على أن الترجمة الحرة غالباً ما تخدم الأهداف الأيديولوجية وينتقد تهميش الأكاديميات الغربية للترجمة الحرفية. يشير شما إلى تركيز يوجين نيدا على إنشاء "معادل طبيعي" في اللغة المستهدفة بالمقارنة مع التحول الثقافي في دراسات الترجمة، مما يجعل الترجمة محملة بالأبعاد السياسية. يستكشف شما ترجمة إدوارد ويليام لين الإنجليزية لكتاب ألف ليلة وليلة لفحص الآثار الاستعمارية للترجمة. يقارن بين النهج الحرفي لليان ونهج أنتوان غلاندي الفرنسي المدجن والمستشرق، موضحاً كيف قام غلاندي بتكييف الحكايات لتناسب التفضيلات الأدبية الأوروبية والخطاب الاستعماري. ترجمة غلاندي شوهت وحذفت وافتعلت السرديات، مما شجع الفضول تجاه الشرق والتحيزات الإمبريالية. تظهر هذه الأنشطة كيفية تشكل الترجمة للهويات الثقافية والهياكل الجيوسياسية، وفقاً لشما؛ يظهر كيف أن الترجمة هي منطقة قوة من خلال تحليل حركات الترجمة الاستعمارية من التزيين إلى الحرفية. يجادل بأن الترجمة تتفاوض وتنتج هويات مصنوعة أيديولوجياً من خلال تشكيل تصورات "الآخر" والمساهمة في البلاغة الاستعمارية. المترجمون يتوسطون الثقافة ويشاركون في الديناميكيات الاستعمارية للسلطة، كما يظهر من خلال هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الترجمة؛ الأيديولوجيا؛ الخطاب الاستعماري؛ الجغرافيا السياسية؛ الفروقات الثقافية

Tarek Shamma starts his book, *Translation, and the Manipulation of Difference: Arabic Literature in Nineteenth Century England*, with an introduction that discusses the issue of free translation versus literal one throughout history. He sheds light on the fact that translators and translation theorists have been arguing about the issues related to the field and each comes up with different terms. He argued that 'positions on the degree of permissible linguistic and stylistic deviation from the source text have given rise to full-fledged translation theories.

Regardless of the specific terminology employed – faithful/free, word-for-word/sense-for-sense, rank-bound/rank-unbound, overt/covert –the fundamental question remains the same: how should the translator handle the difference of the source text? Should it be emphasized or mitigated? Should the translation draw attention to itself or try to remain invisible?’ Then, he moves on to argue throughout the introduction about the marginalization of literal translation within the Western Academia. The later favours the free translation that serves many ideological tendencies of translators as he stated that one can safely accept Lawrence Venuti’s view that literal translation has been generally marginalized in modern translation studies in the West. The writer also highlights in the introduction the view of Eugen Nida about translation who claimed that the aim behind translation “consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style” (Nida and Taber 1969: 12)’ Nida attempted to emphasize that as translator of any text , one is supposed to look for the closest and natural equivalent in the target language focusing both on meaning in the first place and later on the form .Then , he argues that with the arrival of cultural turn in the field of translation studies, many views were reconsidered based on the fact that the act of translation is a political act par excellence . He stated how Venuti looks at translation as a “cultural political practice” (1995: 19/2008: 33). It is not only a reflection of a different culture but is engaged in the literary and ideological conflicts of the target culture itself. Thus (1996: 196-7): The effects of translation are felt home as well as abroad. On the one hand, translation wields enormous power in the construction of national identities of foreign cultures and hence can play a role in racial and ethnic conflicts and geopolitical

confrontations. On the other hand, translation enlists the foreign text in the maintenance or revision of literary canons in the target-language culture [...] All these social conditions permit translation to be called a cultural, political practice, constructing or critiquing ideology-stamped identities for foreign cultures, affirming or transgressing institutional limits in the target-language culture. Thus, translation act is no more considered as innocent, but as ideologically framed act within the discursive practices that frame the discipline. Translation is a space of power relations between the source text and the target text, on one hand, the translator stands as an agent to that discourse of power that determines the relation between the two and as a voice of resistance to the dominant source text while using the techniques of translation such as foreignization domestication etc on the other.

Later in the introduction, the writer investigates the problem of translation strategies and the ways it manipulates in the target language and could be therefore as an antidote to ethnocentrism and cultural insularity. The writer will use case studies from various translation projects to test Venute's and other assumptions and reveal their limits.

### Chapter one: 1. Colonial Representation and the Uses of Literalism Edward William Lane's Translation of The Arabian Nights

The writer sheds light on the two translations that shape the Western mind of *The Arabian Nights* and stand as a defining turning points, the French of Galland and the English of Lane. He will highlight on the way it was produced and translated by the French writer Antoinette Galland. The latter translation of the

Arabian Nights spread like a fire through Europe and France as stated 'By all accounts, the work was an outstanding and immediate success. It "spread like wildfire all over Europe" (Rosenthal 1974: 346), and pirated editions appeared almost immediately in The Hague (Macdonald 1930: 414). The first two volumes, published in 1704, were reissued the next year, and the book went through numerous reprints, including pirated editions (Macdonald 1932: 388)." After this success of the tales, the demand for more tales from Oriental zone will rise and more stories and studies will be held through. The author also claimed that the literary genre of the tales has influenced many authors in such as the case "in England, France, and other European countries throughout the eighteenth and part of the nineteenth centuries, and was employed by figures as diverse as Joseph Addison, François-Marie Voltaire, Benjamin Disraeli, Oliver Goldsmith, Gotthold Ephraim Lessing, Lord Byron, Charles Montesquieu, William Beckford, and Dr. Johnson.". The translation of the tales spread as fashion to England." *Les mille et une nuits* was translated into English shortly after its appearance in French.". Tariq Shama will try to investigate the reasons for this interest in the translation of the Arabian Nights by the English and French. On one hand, the tales in the Arabians Nights appeared to be different and a literary style of narrative full of emotions and spontaneity. Thus, it was seen as an escape from the classicist traditional narratives that was dominating the space in Europe. Also, this tendency of adapting the Arabian Nights style and techniques will be another factor that led to the rise of Romanticism in Europe. On the other hand , Europe relationships with East and Muslem countries in terms of politics , culture, military and trade also participate in this huge interest in the Arabian Nights reading and translations as stated here " On the other hand, in the larger

historical context of Europe's relationship with the East, and specifically Muslim countries, military and political developments in the late seventeenth and early eighteenth centuries made possible an appreciation of these cultures in entirely fresh ways.”

### Galland and his Readers:

In this part of the book, the author highlights the translation of Galland, the techniques used and the way he domesticated the source text to appeal to the readership in France. He changed names of characters and used spoken French language for addressing the king such as His majesty that is the source doesn't include. Shamma said “The hallmark of Galland's style was to domesticate the tales into the acceptable literary modes of the time, while consciously preserving, or even enhancing, their exotic flavour. Thus, in the “frenchified dialogue” (Gerhardt 1963: 20) of the *Nuits*, characters address each other as “*madame*”, “*monsieur*”, and “*seigneur*”; “*courtisans*” address their king as “*votre Majeste*” [Your Majesty]. People use “sequins” instead of dinars and are transported in “*equipages*”; and houses are equipped with porches. When he added descriptions such as “un [...] jardin [...] consacré aux fêtes et aux divertissements de la cour” [garden dedicated to fetes and diversions of the court] (1840 I: 3), or “sa maison était le rendezvous de toute la noblesse de la cour” [his house was a rendezvous place for all the nobles of the court] (1840 II: 44), it was obviously the French court of the eighteenth century that Galland had in mind.”. This sort of adaption that the translator opted for was done with the purpose to trigger the readers into the world of Oriental culture and market driven force as well. Therefore, on one

hand, the translator attempted to break the mode of narrativity that is dominating in the literary circles in his country, and on the other hand, he tried to invite his readers for a journey in the Orient. The latter is characterized by exoticism, fascination and wonders. Furthermore, Galland's translation served the politics of othering the other. His translation was stereotyping the Orient by mocking and comparing the way characters were reacting to each other. The author stated "Galland was careful to gloss over any customs that might have struck his readers as radically alien. As Mia Gerhardt observes, Galland was translating for an audience that "mocked at any word or gesture that departed from its own polite custom; it resented the bizarre" (1963: 19). Hence, in the story of "Noureddin and the Beautiful Persian" (1840 II: 134-181), Galland omitted a reference to circumcision; indeed, mention of this practice was suppressed in the entire translation. Also, in the context of the "Story of Ali Ebn Becar", the Arabic text talks about Haroun Alraschid's "concubines"; Galland has "dames ses favorites" [favourite ladies] (1840 II: 44). These changes resulted in "a certain vague generality in the description of manners, conduct and things of everyday life" (Gerhardt 1963: 73)." This sort of mockery that the translator used shows his agenda which serves the colonial discourse about the Orient by magnifying points of differences between the two worlds. The translator in this sense seems to deviate from the source text and to rewrite his own with no consideration to the ethical issues related to the field of translation. The translator also provides explanations for his readers about certain events in the stories so as not to distort their tastes " Thus, when Schahzenan discovers his wife in bed with "an officer of the guard", and proceeds to kill her, Galland provides him with a lengthy monologue in which he explains that, as king, he has

to punish wickedness within his dominion, and that he has a “just resentment” as a husband, and so on (Galland 1995: 2).” Th author added that the translation of Galland also distorted the original version by addition on the one hand , and omission of many passages and poetical lines on the other .These acts from the translator were haring the original and text , but still the translator moves on to create his own reading and fabrications to meet the requirement of his time , ideologically and literally such as the case here “ While it was necessary for Galland to acclimate the Arabic tales to the literary and social parameters of his time, it was equally important to stress their exotic character – for therein lay one of their primary attractions. Hence, Galland enveloped the tales in an ambiance of mystery, magic, opulence, and glamour – creating a world of kings and princesses, glorious palaces, intense passions, infatuated lovers, genies, and supernatural adventures. To be sure, the original work (in some ways an escapist popular fantasy about the magnificent life of the rich and powerful) did provide some grounds for this treatment. But there is no doubt that, as Hawari says (1980: 158),

*So much of the glamour of the Nights is [...] the work of Galland, and it follows that, as a translation, his work is crammed with material that is, strictly speaking, alien to the Arabic original in that it comes from another world, that of Galland's learning.*

This passage shows the translator and an agent to the colonial discourse that was mean to circulate among people at that time. His was of depicting and highlighting the exotic side of the Orient and creating mindscape that is so intense with the previous representations. Thus, this method followed by translators at that time was a clean announcement of the colonial discourse project that will be resulted in colonialism later on “the transition from Galland’s

imaginative exoticism to the literalist praxes of Burton and Lane was reflective of – indeed, caused by – the rise of European (and especially English) colonialism in the Middle East, beginning with the second half of the eighteenth century. Norman Daniel sees this emphasis on difference as integral to the growth of imperialism (1966: 61):

European literature began to make much of every difference between the two civilizations and veiled their basic resemblance. It is important that this was the background of the imperial movements which are the subjects of this book. It was from this literature that the young men appointed to posts in provinces of empire, in State, and Church, and commerce, had formed their first ideas of the Muslim world.”

### Galland Reconsidered

In this sub-chapter, the author will enlighten readers to the development in attitudes from Galland translation of Arabian Nights to the nineteenth century. The write draws a comparison between French and British perceptions about the orient in the translation of the Arabian Nights. For the writer, the English representation about the Orient is a bit realistic, he stated “For it was, in fact, colonial projects that created the need which Conant observed in England for more realistic representations of the East. In particular reference to the *Arabian Nights*, “with the growth of British mercantile interests in India and Egypt, the emphasis on information became a recurrent theme in writings about the *Nights* [...] the tales were seen as more impressive, and ultimately, more useful than travel accounts” (Musawi 1981: 27).” The write thinks that the translations were to be considered as means of colonialism and a way of representing realities in

the Orient. Thus, the seek for collecting data and information about the Orient was to be done through the translations and anthropological research. Later on, with the movements of travellers and a call for the reconsideration of tales from the Arabian Nights was hugely discussed among the public, so the blame was to be held on the French translation that the English version is derived from.

The writer moves on throughout the first chapter to discuss and shed light on the competition between France and Britain on the areas to colonize. Also, he discussed their interests of French and British in their colonies. The writer exemplified this by the French English conflictual history over Egypt, he stated “The French occupation was short-lived. It came to an end in 1801 when the last French troops remaining in Egypt capitulated to the joint invasion by the British, British Indian, and Ottoman forces. But the impact on the strategic significance of Egypt (not to mention its effects on the country itself) was immeasurable. As Leila Ahmed says: “Napoleon’s invasion of Egypt [...] dramatically focused attention on the country” (1978: 4). Egypt became a centrepiece of British foreign policy, as the virtual cessation of Ottoman influence in Egypt opened the country for European interference.” Then, the writer investigates the interest of Edward William Lane in Egypt, his project of research and interests for the ska of colonial discourse “Sometimes Lane removed details that he believed were not consistent with the society or history which the *Arabian Nights* was supposed to reflect. For example, when he found that the description in his standard copy of the king of the frame tale as hailing from the Persian dynasty of S.s.n was incompatible with actual history, he simply ignored it: “I have here omitted, in my translation, what would render the whole work full of anachronisms” (1840 I: 22). Yet the vast majority of the omissions and abridgements took place in the

latter volumes, especially the final, third one. These stories held no interest because whatever illustrative material they contained had already been discussed in Lane's notes on the previous stories; the bulk of his exposition of Egyptian society had by then been almost exhausted." The writer shows that Lane has participated in the construction of modes of representation that the colonial discourse intended to inculcate in the mindscape of the Westerners about the Orient and Egypt in particular.

## **Chapter two: The Exotic Dimension of Foreignizing Strategies *Richard Francis Burton's Translation of The Arabian Nights***

The second chapter starts with the investigation of Richard Francis Burton work and project about the Orient. He was considered one of the prominent translators from Arabic into English in the nineteenth century "His translations include the now classical *The Book of The Thousand Nights and a Night*, *The Perfumed Garden of the Cheikh Nefzaoui* and the *Kama Sutra of Vatsyayana*. Burton was also a traveller, a linguist, an "anthropologist", and an adventurer whose exotic exploits in Arabia, Africa, and South America fired the imagination of many of his contemporaries." For the writer, Burton's work forms a way to shock and shaken the perceptions of the British about the Orient on one hand, and to help them to understand those cultural differences of those inhabitants of their colonies on the other hand "Burton saw his works about the customs and beliefs of other cultures as a means of shocking his English readers out of their complacency and narrow-mindedness, and he professedly intended some of them (especially his translations from Eastern languages) to enlighten and educate the Victorians on issues that, in their "immodest modesty", they were reticent and

consequently ignorant about. At the same time, however, he emphasized the utility of his translations and representations to a better understanding by the British colonizers of the peoples they ruled.” Thus, the image of the Orient is subversive in his projects and work according to the writer. His attempt to make British understand their colonies was not done for the sake of coexistence and accepting their differences, but to control and subvert them. Therefore, one may consider Burton’s work as siding with the colonial policy to dominate and control the Orient for colonial reasons economically, politically and ideologically. After that, the writer talks abouts Burton and his activities as an official in the Orient. His controversial character that he was seen in his performance as being rebellious to the Victorian era and traditions. It is said that he was too open and hardly apply the conservative rules characterized the British Victorian society. This sort of character will lead the authorities in Britain to reconsider his service in the Orient and appoint him in Austria as kind of punishment to his rebellious behaviour. Furthermore, the writer highlights the experience of Burton in Meka Pilgrimage and his description of that; he stated “ The most significant event of Burton’s career before his translation of the *Arabian Nights* was his “pilgrimage”. In 1853, having obtained the financial support of the Royal Geographical Society and a one-year furlough from his military duties to “pursue my Arabic studies in lands where the language is best learned” (1855-56/1964 I: 1), Burton embarked on what was to become his most celebrated achievement and a defining moment of his career, the “pilgrimage” to Mecca and Medina. Burton’s original project was to remove “that opprobrium of modern adventure, the huge white blot which in our maps still notes the Eastern and Central regions of Arabia [i.e. “the Empty Quarter”]” (*ibid.*). But when the three years’ leave, he asked for (necessary for

“the task of spanning the deserts”) was denied, he was content with adventure for its own sake.” Here Burton’s attempt was to focus on Arabic language and culture by being exposed to it in the Arabic land, his justification of the reasons behind his interest in the Orient culture and language is to be his fascination and like for that. He thinks that the objective representation and description of the Orient is to be from the inside, being exposed to that environment and live among the natives, though his justification is to be seen through and orientalist doing anthropological surveys for the purpose of colonialism basically. Later, Tariq Shamma talks about literality and postcolonialism, he mentions the fact that any translator is an invader to some extent, he tries his best to foreignize the translated text and keeps its cultural and discursive practice. He said that “Translations that preserve, and emphasize, the alterity of the foreign text has been a constant theme in some modern reflections on translation, especially those with political orientation. It has almost become the standard argument that the task of the translator is to expose his/her own culture to the “experience of the foreign”, that is to register those cultural and linguistic aspects of the source text that do not conform to the values of the target community.” Thus, the translator stands as mediator or bridge between the two worlds, the one of the source texts and of the target language text. After that, the writer moves to talk about the privilege of word for word translations over other strategies and techniques. He also investigates the concept of difference by Derida, he thinks that the power relations that the translator is being involved in the S and T texts should be dealt with a total application of Jacques Derida’s notion of difference, for avoiding the alienation of either the source or the target text in the process of translation. he said that “the exhibitionary effect that literal translation assumes in situations of

radical power disparity is far from encouraging respect for the difference of foreign cultures. For the power to put on display, to dissect and analyse to the smallest detail, is the symbol – indeed, the actual realization – of the power to control and subjugate.” Therefore, this dualistic view is mainly for serving the colonial discourse over the colonized nations.

### Chapter three: Domestication as Resistance *Wilfrid Scawen Blunt's Translations from Arabic*

In this chapter, the writer tries to shed light on the technique of domestication used in the work of Blunt's translation. He said that Blunt's was siding with the colonized voices and was counter-attacking the colonial discourse and its violation of the way they represented the native communities. He said that “Wilfrid Scawen Blunt (1840- 1922) is an example of a translator who chose to violate the parameters which filter the works of a particular foreign culture, along with the socio-political power structures that generate them.” This position that Blunt took was considered as voice of resisting the colonial power. Thus, the work of Blunt is to be considered as giving the voice to voiceless from the colonized position. Blunt was fascinated by the Bedouins culture and political organization that characterized them. He said that he was trying to live among them and study their structure closely and from an objective point of view. It said that Blunt was enjoying the diversity, and he hated the empires and domination. This was the reason why he didn't side with the colonial power, and he preferred to give the voice to the communities under colonialism in his work. This view appears clearly in this quote” He hated big empires as being modern and vulgar; to him the world was a better place when divided up into smaller states, with

jolly little wars from time to time which involved no great extent of victory or defeat.” After that, Shamma talks about Blunt’s childhood and the events that impacted his life and among them the death of his mother. Blunt was also impressed by the Lord Byron, and he was acquainted with his work. Then, the writer of the book talks about Blunt’s encounter with Muslim east in Constantinople, it is said that it was very positive and well understood. His involvement in the political life said to be “Blunt maintained that “it was only by accident that [his] mind was gradually turned to politics” (1907/1980:4). His political activity was a lifelong battle against British imperialism, and it was in the Muslim and Arab world where his career started, and where he focused his energies for most of his life. In 1873, finding himself “in indifferent health, and to escape a late spring in England”, he embarked with his wife on their “first common journey in Eastern lands”. Thus, one may notice from this quote that Blunt was said siding with the colonized and the voiceless and he contributed to vice the resisting counter-discourse in his work. The author shows Blunt and his interaction among the Bedouins, his being involved in their daily routines to the extent that one of the Bedouins asked his help to convince one of the girl’s father for approving his marriage with his daughter. This close and strong relationship that Blunt had established with the natives made him feel their sufferance from the colonial domination. After that, the writer goes on narrating Blunt experiences in the Arab world and his attempt to save native from execution on one hand, and his denouncement of British colonialism to Muslem world on the other hand. He also tried to convince the English readers about the positive image of Islam and the natives in the Arabia. Shamma also sheds light on Blunt’s translation of some works in the book by providing examples of his Arabic and

English equivalents. Later in the conclusion, Tariq Shamma concluded his book with emphasis that “the translation of Arabic literature in nineteenth-century England could not be separated from the political and historical environment of representation, which over a long period had centred on polarized images and was further complicated by growing British and European colonial intervention in the Middle East.” This strategy that the colonizer followed in his domination made translators and their work under investigation by many scholars.

**Reference:**

Shamma, T. (2009). Translation and the Manipulation of Difference: Arabic Literature in Nineteenth Century England. London: Routledge

Unveiling Eugene O'Neill's *Long Journey into Night* and John Millington Synge's *The Well of the Saints*: A Comparative Examination through Julia Kristeva's Concepts of Abjection and Melancholia

كشف رحلة يوجين أونيل الطويلة في ليلة واحدة وبئر القديسين لجون ميلينجتون سينج: دراسة مقارنة من خلال مفاهيم جوليا كريستيفا للردية والكآبة

By Arezki KHELIFA/Associate-Professor at the Department of English, Faculty of Letters and Languages, Mouloud MAMMERI University of Tizi-Ouzou, Algeria

E-mail: [arezki.khelifa@ummt.dz](mailto:arezki.khelifa@ummt.dz)

**Abstract:**

This article propounds a psychoanalytic reading of J. M Synge's *The Well of the Saints* and Eugene O'Neill's *Long Day's Journey into Night* with reference to Julia Kristeva's concepts of *Melancholia* and *Abjection*. Subsequent and distinguishable from the works of S. Freud and C. G. Jung, Julia Kristeva's theory posits that language is, within a large societal and cultural context, requisite to the understanding and insightfulness into the darkest and most tortuous perceptiveness of the human psyche. Kristeva's psychoanalytic premise is used in this article as key to identifying the invisible, disrupting and individualized force of the 'other inside' each character, and to examining how it can either offer opportunity for personality empowerment and identity stability or impel subjective uncertainty and impotence. Through my analysis, I have drawn parallel between Synge's and O'Neill's modern personages, who are engaged in comparable identity struggles, yearning for success and transcendence. The paper also articulates that notwithstanding Synge and O'Neill belongingness to two distinct modern literature backgrounds, they devised that the issue of identity predicament is induced by psychic turmoil.

**Keywords:** *Abjection - Melancholia - Semiotic - Symbolic - 'Other inside'*.

## ملخص:

يقدم هذا المقال قراءة نفسية تحليلية لمسرحية "بئر القديسين" لج. م. سينغ و"رحلة طويلة إلى الليل" لأوجين أونيل، مستعرضاً مفاهيم "جوليا كريستيفا" حول: الحزن والاستخفاف. وتميّزت نظرية "جوليا كريستيفا" عن أعمال "سيغموند فرويد" و"كارل غوستاف يونغ"، برؤية مميزة مفادها أنّ اللغة في إطار سياق اجتماعي وثقافي واسع، تؤدي دوراً حيويّاً في فهم وتوضيح الأبعاد الأكثر عمقاً وتعقيداً للنفسية البشرية.

وتستخدم هذه المقالة فرضية التحليل النفسي "لكريستيفا" كفتح، لفهم القوة غير المرئية والمعطلة والفردية لـ "الآخر داخل" في كلّ شخصية؛ وللاستكشاف كيف يمكن أن تسهم في تمكين الشخصية واستقرار الهوية؟ أو إثارة عدم اليقين الذاتي والعجز. وتماشياً مع ما تم ذكره نسجت من خلال تحليلي توازناً بين شخصيات "سينغ" و"أونيل" المعاصرتين، اللتين تخوضان صراعات مشابهة حول الهوية، وتطمحان إلى النجاح والتفوق. أضف لذلك توضيح الورقة أنّه، على الرغم من انتماء "سينغ" و"أونيل" إلى خلفيات أدبية حديثة ومختلفة، فإنّ كليهما قدّم رؤية مفادها أنّ أزمة الهوية تنجم عن اضطراب نفسي

الكلمات المفتاحية: الاستخفاف - الحزن - السيميائية - الرمزي - "الآخر الداخلي".

## Introduction

*The Well of the Saints* 1902 - 03, a three-act comedy, narrates the story of two blind mendicants: Martin and Mary Doul, living in a distant area and time in Ireland. Synge set it in remote past in order that he could question and subvert its dominant cultural codes and norms. To impel that subversion, J.M. Synge has used 'blindness' as a metaphor to address some major issues of Irish society like identity. A saint has restored sight to Martin and Mary by pouring holly water over their eyes. Unexpectedly, this would bring disruption, bereavement and dispossession to their new life. At the end of the play, Synge makes the Douls show partiality toward a reversion to their previous blindness.

As for *Long Day's Journey into Night*, it tells the life story of the Tyrone, a typical Catholic Irish-American family. It may be considered as belonging to modern

tragedy because its characters [James Tyrone, Mary and their sons: Jamie and Edmund] have acquired a certain tragic stature while being engaged in the quest for personal dignity and integrity. They have endured great suffering and pain while trying to engage in developing their individual identities that family immediate environment impedes.

In order to understand why Martin and Mary prefer reverting to blindness, why James Tyrone, his wife and Jamie fail to attain identity comfort, and or why Edmund succeeds, an appeal is made to Julia Kristeva theory about subjectivity/identity as here below explained.

### **Julia Kristeva's Psychoanalytic Theory**

Julia Kristeva's psychoanalytic theory is not ensconced within a specific discipline. Her theoretical "Nomadism" (Young, 3: 2005) can be said to have taken roots in old literary criticism that showed its limits because it asserted the principles of value, order, control and identity that had been the premises of bourgeois liberalism, alienating 'Otherness' and heading forward to establishing a centralized sameness. It was contested by the Russian Formalism which, for the purpose of showing the literariness of a work of art, precluded to the critic going beyond its content. Thus, Kristeva offered another criticism as a replacement for both the Old Criticism and the Russian Formalism. She underlines the fact that "a whole world of presuppositions of an economic, social, aesthetic and political order intervenes between us and them (the texts) and shapes our response." (Hawkes, 127: 1977) She also advocates a new kind of subjectivity/identity, which embraces the 'Other'. In one sense, she has induced the collapse of "the Enlightenment's dream of discovering one story that can name us all" (Holand, 7: 1999). That dream of one same story to all humanity has crashed to leave space for a multitude of little narratives.

Kristeva endorses the study of the speaking being [subject/character] in relation to his surroundings to see what shapes, grants and generates the various meanings of a literary text. The speaking being is the place from which inner drives are discharged into the language, making it more expressive and revelatory. So, identity/subjectivity combines the perennially disagreeing but reconcilable inner [*The Semiotic*] and external [*The Symbolic*] worlds of any personality. Kristeva believes that the spoken words are always regulated by inner and external worlds. Language has significance only when energized by *The Semiotic*. The subject would come in touch with 'Otherness' after experiencing *The Thetic Phase* that corresponds to Freud's oedipal stage or to Lacan's mirror stage. Thereupon, s/he is introduced into the *Symbolic* realm, to which the *Semiotic* will remain a permanent and discrepant companion. Being in relation with others, the subject experiences, through the *Transference Process*, a to and fro of energy, desire and memory that will shape his/her future life and self-understandings. This unusual and uncustomary life often engenders sickly behaviours such as *Abjection* and *Melancholia*.

*Abjection*, whose striking case is the state of rejecting the mother by the child while constructing its identity, is a very difficult process; it helps revealing what Julia Kristeva calls *the nocturnal power*- the most intimate apocalypses of literary texts (McAfee, 50: 2004). At this point, the subject's psyche experiences a *double minded state* [Longing for *the narcissistic union* with mother and or loathing her for one's identity enhancement]. In all literature, that Kristeva considers to be mostly tales of sufferings, the characters (subjects) go through *Melancholia*. The melancholic/narcissistic depressed, for Kristeva in *Soleil Noir* or *Black Sun* (1987), is like *an orphan* in *the Symbolic realm*, for not having a sense of coherence, distinctness and self- identity. Driven by *death drive*, the sad, self-destructive and introvert melancholic may be secured to a more comfortable subjective dimension by the *Imaginary Father*.

## Discussion

### 1. Textual Transposition and Abjection in *The Well of the Saints*

The metaphor of blindness is the aesthetic praxis Synge employed to lay out the plot of *The Well of the Saints*. Blindness has been prevalent in European literature. In eighteenth century France, it was renown because of the removal of the cataract carried out by William Cheselden in 1728 (c.f. Schor, 90: 1999). This added to the enchantment of the Enlightenment philosophers about “The foreign spectator in an unknown country, and the man born blind restored to sight.” as Foucault remarks in *Birth of the Clinic* (Ibid. 92). Nonetheless, the ancient tale of *Cupid and Psyche* idealizes the blind narcissistic gaze of the lover.

Contiguous to Synge, Victor Hugo, in *L’homme qui rit* (1869), narrates a love story between *Gwynplaine*, a monstrous and disfigured man, and *Déa*, a blind woman, at the heart of which is a romantic pairing of opposites, referring to the binary thought of the Western world. In fact, Hugo might be thought to have reinvented the tale of *The Beauty and the Beast*, first consigned to literature by Gabrielle Susanne Barbot de Villeneuve in her *La jeune américaine, et Les contes marins* (1740). *Gwynplaine*, the *Beast* and *Cupid* show contrast and disjunction between a melancholic interiority and an exterior goodness. Synge seems to have transposed this in *The Well of the Saints*. Thus, *Cupid’s* erotic sensuality, Enlightenment naturalism, Kant’s autonomous free will, Hegelian’s externalization and Nietzsche’s internalization have, over two thousand years, forged the repressible Western character / subject, which both Kristeva and Synge assume that it can be transcended. The result would be the rehabilitation of the body and ecstasy of senses. (Schor, 109: 1999) Kristeva explains that when the forces of the abject break into the narrative via rhythm and obscene words, it is “the gushing forth of the unconscious, the repressed, suppressed pleasure” (Kristeva, 206:

1982) that forces its way to the outer symbolic world. This corroborates the perpetual discordance between the other inside every subject and the dominant cultural discourse of the western world-the main claim of this article.

Now that the overall picture of the philosophical and cultural terrain is canvassed, it would be more perspicuous to readers to understand Synge's thought, that endeavours to oppose subjective inwardness to the dominant and oppressing Western discourse. To start with, Act I opens by a very informative discussion between Martin and Mary Doul. It is set outside in an open space. Firstly, the two subjects/characters are blind though they were not born as such. Secondly, Synge makes them live together in order to induct and initiate other definitions to issues like love, gender, beauty and identity. Synge did probably not make the Douls blind at random. He might well have wanted to reject the misogynous love western culture has perpetuated from antiquity unto the modern era.

The other essential information of this opening discussion communes with jealousy, which, by reasonable assumption, can be the hidden side of the Douls' love story. Unlike the western literature lovers whose lives are ruined by separation, Mary and Martin seem unable to assist one another out in that harsh peasant world of Ireland. This central jealous sentiment would provide guidance to our quest for bringing to surface either the abject or the melancholic others inside Mary and Martin.

At the beginning of the play, Martin has mentioned with high regard the name of *Molly Byrne* before his own wife. He even takes Molly's defence when he says, "If it's she does be telling she's a sweet, beautiful voice you'd never tire to be hearing, if it was only the pig she'd be calling, or crying out in the long grass, maybe, after her hens" and adds in a very pensive way "It should be a fine,

soft, rounded woman, I'm thinking, would have a voice the like of that.” (Act I) On the one side, these words may refer to the fact that Martin does not believe his wife, who unceasingly says she is more beautiful than Molly, and that she deserves to receive his entire attention. On the other side, it can be thought that Martin is longing for some unidentified lost object, which causes his subjective uneasiness. The gentle and delicious voice of Molly Byrne might evoke something to the 'other inside' Martin, whereas the *queer cracked* voice of his wife is repulsive to him. In order to come to an awareness of the 'others inside' the Douls, their obscure past, of which Synge did not write, should be explored.

During his childhood, Martin grew up receiving into his *Chora* the values and psychical marks from his family and his immediate environment before experiencing the *Thetic phase* and entering the *Symbolic* realm, wherein he would gain full identity recognition and separate from his *abject* mother. He observes that, “for the time I was a young lad, and had fine sight, it was the ones with sweet voices were the best in face.” (Act I) He had known the main traits of beauty before he became blind at twelve or more. The unfortunate result had been that blindness came in some abrupt way to disrupt the process of Martin's identity construction by suspending his entrance into the *Symbolic* world. He cannot be *on the borderline of the Semiotic and the Symbolic*, for the first dominates; he would fail to enjoy a joyous life.

As a consequence, he has to regenerate another identity taking into account his new handicap, blindness. Because he could not to this despondent situation, he left his family wandering in the *seven counties of the east*. On the roads, Martin tramps, looking for another identity, and always bearing inner indulgence and love toward his family, his land and his mother. This *abjected mother* is never banished from his inner world. He is “like an orphan whose love for a lost mother swallows.” (Kristeva, 46: 1991, my trans) This memory prompts

altogether suffering, melancholy, exaltation and force inside him. He is a treacherous, brave and melancholic subject in process. He chooses eloping, carrying within himself his inner frustrations. On the roads, he might have met with Mary and married her. She is like him and has probably gone through the same experiences, for she informs us, “-- and I a dark woman since the seventh of my age?” (Act I) Both of them have become strangers, disavowing their origins to become citizens of the world, cosmopolitans whose voices are used by Synge to subvert and implode the main cultural discourse in Ireland.

Mary brings some relief to Martin, but she also reflects his dark and misunderstood *Semiotic* realm. All the inconveniencies and anxieties inside him are transferred into Mary. Therefore, she may now stand for *his abject mother*. Although she is his wife, he oftentimes rejects her, makes fun of her and does not believe her talk about her physical beauty. She represents the hated body of *the abject mother*, which he must get free from in order to achieve identity comfort. For her part, Mary also sees him as the representative of *the oppressing father*. As a result, their relation is more and more tumultuous and turbulent.

Both of them would adopt different attitudes toward their sight recovery. Martin feels an inner fear while Mary proves to be very enthusiastic. A short while before the arrival of the saint, Martin’s excitement is being turned into a misunderstood hesitancy and uncertainty, wrought by the ‘other inside’ him. In this regard and with discontent, he confesses, “*It’d be a long terrible way to be walking ourselves, and I’m thinking that’s a wonder will bring small joy to us all.*” (Ibid) Contrary to him, Mary gropes up to Timmy imploring him, “*You’re not huffy with myself, and let you tell me the whole story and don’t be fooling me more... Is it yourself has brought us the water?*” (Ibid) Either Martin’s fear or Mary’s enthusiasm are generated by their *Semiotic* realms. Something inside them turned

Martin from the state of excitement to that of doubt, and Mary's tranquillity to agitation and extreme enthusiasm.

The sight recovery has occurred and pushed outwardly Martin's and Mary's inner frustrations. Martin has become delirious and raving and been vehemently destabilized by the inner feelings. He is now driven by his inner frustrations as if his *old body* is being disintegrated and replaced by another one. He is becoming vulgar for nothing is forbidden to the 'other inside' him, that now comes to outer life. Ruthless, he calls people around him "*pitiful beasts*". The 'other inside' himself forces out those hidden obscenities and sexual frenzies. Martin does not know that he is not conforming to the social taboos about the issue of sexuality; all restraints and codes are being trampled by him.

The same would also happen to Mary though the 'other inside' her is not driven by sexual desires but by *an inner image of a father* who would help her to move onto another dimension of faith and happiness. Very similar to Martin, she has hated her blind husband because he could not secure her to this dimension, or assist her identity fulfilment. According to Kristeva, the return of the repressed - due to the sight recovery - makes the cosmopolitan subject in process either sexually perverted or ill. *The subject in process* is caught between deep-rooted interiorized parental prohibitions and the exterior pressures pent up inside itself. (Kristeva, 47 - 49: 1991, my trans) Both the pervert Martin and the sick Mary witness unfathomable disillusionment, and separate because of their altercation at the end of Act I.

From the moment Mary declares to her husband that, "*I wouldn't rear a crumpled whelp the like of you*" (Ibid), Synge makes her invisible till the end of Act II. She is ill, for she is lonely, sad and introverted into her inner *Semiotic* world which cannot provoke eulogistic identity transformation. She refuses to bear a

*crumpled whelp* - a child - to Martin, for she is now a *psychotic*, completely governed by her *Semiotic*. Her ugly Martin has not crystallized the image of the *Imaginary Father* who would help her understand the *Symbolic*, the external oppressing cultural world and be delighted on the borderline of both realms.

By contrast, Martin has set his frenzy and hysteria about sex and language free. He is a sexual pervert. His inner sexual desires are released. He calculatedly goes to work in Timmy's forge because the fiancée, Molly Byrne, reflects the body he desires. Onetime he has diverted Timmy, whom he compares to *an old scarecrow stuck down upon the road*, and rushes toward Molly Byrne near the well. Disrespectful to all morals, he announces to her, "It'd be little wonder if a man near the like of you would be losing his mind. Put down your can now, and come along with myself, for I'm seeing you this day, seeing you, maybe, the way no man has seen you in the world. Let you come on now, I'm saying..." (Act II) Not minding what others would say, he has attempted to rape her for *he takes her by the arm and trys [sic] to pull her away softly to the right*. His words are generated by the *Semiotic*. He has waited a long time for *seeing* her. He has repeated the word "seeing" at least three times because it is the '*other sexually pervert inside*' him who speaks now.

As to the comparison of Timmy to a *scarecrow*, it is "*an unusual liberation of language*" (Kristeva, 48: 1991, my trans). After his sight recovery, Martin very often speaks erotic, obscene and bizarre words. To Julia Kristeva, the '*other sexually pervert inside*' Martin does not hear what it says. Therefore, these utterances do not horrify Martin nor make him feel remorseful (c.f. Ibid. 49).

Martin's abusive use of his freedom would turn to a curse because Molly Byrne has declined his offer. Martin has sought to go back to Mary at the beginning of Act III. Just as Mary who has failed to grow onto a new joyous

person, Martin, who is always bearing that narcissistic wound, needs to sink deeper into his psyche to attain identity comfort. For a time, he has believed himself to be a strong subject, but now things are reversed. He, in a firm manner, refuses to recover his sight a second time, an illustrating example of body destruction. When the saint starts to cure Mary, Martin strikes the can from the Saint's hand and sends it rocketing across stage and defiantly says "... keep off now, and let you not be afeard; for we're *going on the two of us to the towns of the south...* [sic]" (Act III) Martin and Mary might well be drowned and die for they have to cross *deep rivers with floods in them*. Despite this danger, they need to continue seeking a never-reached identity easiness; they know inside themselves that *death* only would put an end to their suffering. Thus, Martin and Mary have failed to resist the mainstream cultural discourse and sunk into a darker psychic insanity, a shelter against the dominant society. (Chase, 4: 1999)

Hence, the cosmopolitan who, for Kristeva, has "*no father, no mother, no God and no master*" (Kristeva, 35: 1991, my trans), can sum up the whole metaphoric message which is meant by Synge in *The Well of the Saints*. To subvert the mainstream Irish culture and identity, he combined blindness with vagrancy. By liberating the Douls from morality restrictions of the family, the playwright displayed the polymorphic identity representation he devised for his country. Thus, those wanderings and intensive freedom are used to set in motion some of the author's new identity ideals. Being under the ecstasy of extreme pleasure and or foolishness, Martin and Mary are opposed to Timmy, the smith, and to the Saint, both of whom are powerful representatives of the millenary patriarchal system of the society.

Therefore, the '*other sexually perverted inside*' Martin and the '*other psychotic inside*' Mary are doomed to endure indifference, repugnance and misunderstanding from the external world. Their search for a new

subjectivity/identity remains bound to the hidden but never forgotten parents. Though the Douls continue distancing from them, they idealize them. Martin hates and loves his *abject mother*. Mary is seeking her *imaginary father* to secure her to a more comfortable identity state. Both of them have not succeeded. Thus, they come back to where they started their identity quest. Synge reunites Martin and Mary at the end of the play, making them help each other before ineluctable death. Finally, it would be noteworthy to take note of Martin's renewed sympathy toward Mary as an augury and contribution to the progress of feminist activism in the coming decades either in Ireland or in the Western world in general.

## 2. Melancholia and Revolt in *Long Day's Journey into Night*

This four act- play, posthumously published in 1956, is considered as an autobiographical text; Frederick Wilkins writes that “*Granted, O'Neill is an autobiographical writer, perhaps more than any other*” (Wilkins, 1: 1982). Eugene O'Neill has set the play in the Tyrone's holiday house on August 1912. The whole story takes place the same day, from eight and a half in the morning till midnight. Analogous to O'Neill's life, the play starts with an innocuous mood before ending in a severe awful one. The house has two distinguishable libraries. The sons' contains books by Nietzsche, Zola, Stendhal, Schopenhauer, Marx, Engels, Ibsen, Shaw, Wilde and all the modern authors. The father's one contains the works of Dumas, Hugo, Charles Lever and Shakespeare. O'Neill may hint to some intellectual and incompatible drives, opposing father Tyrone to his sons. O'Neill's aesthetic image has always viewed the American family as being a source to great disappointment, not always meeting the expectations of its members.

While introducing the parents in Act I, O'Neill points to the Irish typical beauty of Mary, the mother. Her soft and sugary voice reveals a profound natal

innocence seemingly preserved from the undesirable influence of the outer world. This may disclose Mary's oppressive loneliness, as shown by her incapacity to control her long fingers. She feels humiliated and nervous toward this physical handicap. As for James Tyrone, the father, he is described as being simple, miser, slow, placid and serene. James's personality seems to incarnate the Irish psychic heritage. O'Neill uses James's erstwhile mind to challenge America's mainstream discourse, corresponding to Jamie and Edmund.

Subsequently, uncovering the 'others inside' the Tyrones may help understand most of the family tergiversations and identity turmoil. The breakfast conversation between James and his wife builds up the reader's mind about the two characters. For example, it shows that James Tyrone is voracious, suspicious about his sons, and distrustful to making bank bargains; he prefers to buy plots of land instead. As far as Mary is concerned, it informs that she hardly recovers from an illness. When the sons are introduced on stage, Jamie, the elder brother, shows a precocious decrepitude and health impairment though he resembles his strong father. The younger Edmund has inherited his mother's personality traits; and like her but to a lesser degree, his hands reveal a nervous psychic state because of his tuberculosis. From the outset, O'Neill puts forth mutual accusations and guides the audience to the general mood of nervosas and suspicion which prevails throughout the whole play. The more the story moves forward, the more things grow complicated for each character.

To start with, the 'other inside' James Tyrone may have urged him to act in unusual ways with his wife and sons whom he displaced from hotel to another while he was tripping around the United States for his theatrical representations. In fact, James has made his family live in a very miserable way, for he has never thought of buying a house where the Tyrones would settle. This would perhaps have helped them to make friends and get neighbours; a fact which would have

changed the course of their lives. He has also enough money, but never agrees to spend it inadvertently. Unlike middle class American citizen, he does not own a house so as to enjoy a sociable life and integrate main stream cultural structures. Moreover, he does not to trust the American economic capitalist model, for he prefers buying land instead of making bank bargains. Thus, his doubtful point of view toward mainstream social and economic discourse engenders a deep psychological trouble inside him. The genuine reality of James seems to be that he is condemned to be a miser and live in a nomadic way, touring over the United States of America as demonstrated below.

In Act IV, James Tyrone remembers his mother and family. This souvenir may explain his emotional distress. He narrates the story of his father who decided to go back to Ireland to die. It was up for him, a boy of ten, and his mother to secure family survival in America. He also affirms that encountering another person braver or kinder than his mother would be impossible. However, he also talks about her nervous dread, “...Her one fear was she'd get old and sick and have to die in the poor house...” (Act IV). According to Kristeva's theory, James's identity is shaped by his mother's influence through *the Transference Process* which has transmitted a to and fro of energy, desire and memory into him. Like his mother, James Tyrone is a miser. His gluttony is due to the fact of desiring, like his mother, to preserve his health because he fears to be sent to the poor house. At ten, he would have started the process of founding his own identity by renouncing his identification to his *abject* mother. But, his father, who could have helped him achieving it, quitted home long ago. The result is that James has never succeeded to free himself from the influence of his *adored but abjected* mother. An ‘*other melancholic inside*’ himself is longing eternally for a *narcissistic union* with his mother. As adult, he continues to be that boy of ten whose subjectivity/identity is attuned to his mother's; that is why he is unable of gauging the importance for a

family to own a house, and for a father to be generous and lovable to his ill wife and sons. The ‘*other narcissistic melancholic inside*’ James would accompany him during his all life-time, always causing him trouble at home. According to Kristeva, James is, “*The rooted, who is deaf to the disagreement, [sic] and the wanderer, whose disagreement imprisons, [sic] camp each in front of the other.*” (Kristeva, 30: 1991, my trans) As a result, James would never succeed to offer emotional enthrallment and love to his wife and sons.

For her part, Mary seems to be closer to her father than to her jealous mother who argued against her marriage with James, the actor. Her father loved her very much. She had been enjoying a quiet and stable identity state, which is to be spoiled by her husband. For Kristeva, Mary is considered as *a subject in process* on the borderline between the two realms of *semiotic and symbolic* before marriage, since she had succeeded to free herself from her mother’s first love and be secured to *the Symbolic* world by her father. Nonetheless, difficulties began to appear after her departure with James Tyrone. In fact, her nervosas started a short while before Edmund’s birth. Although she affirms, “*I was so healthy before Edmund was born...*” (Act II, ii), she has not been well as inferred. She has suffered from *solitude* because she was straggled from a hotel to another by her husband. In other words, Mary associates the claim of owning a real house to her father, the archetype of her identity stability. Whereas, she relates the wanderings- source to all family problems- to her husband.

Her life in the hotels, characterized by communication deficiency, has plunged her more into seclusion and lonesomeness. She is closed off and very solitary. According to Kristeva, an identity disaster is actually operating since the *Semiotic* world is becoming more prominent than the *Symbolic* one. The result is that Mary has been bearing a ‘*psychotic other within*’ her. In order to rehabilitate her identity stability, the ‘*other psychotic inside*’ Mary has to revolt against the

*Symbolic*. This is why she recalls without interruption her dead father. She longs for him, for he at one time secured her to the *symbolic* and helped her live happy on the borderline between the two realms, the *Semiotic* and the *Symbolic*. Mary has also sought to bear children and be a mother. According to Kristeva's theory, *Mothering* would help Mary to reconcile with *Symbolic* world.

However, *Mothering* alone is not sufficient for ensuring identity stability to a woman. Mary has to be of *body and mind* -begetting children and having a career. Her husband has not offered her suchlike possibility. Added to this, her second child, Eugene, died from an illness which Jamie had perhaps transmitted to him. These two events have impeded the success of her psychic revolt. As a consequence, the '*other psychotic inside*' assails her, forcing her to take drugs. Thus, she endures a real regression, wishing to die. She confesses that "*I hope, sometime, without meaning it, I will take an overdose. I never could do it deliberately. The blessed Virgin would never forgive me, then*" (Act III). Even religion would not save her. So, her mental state deteriorates more and more. Despite her family philanthropy, Mary has failed to attain a sense of coherence and self-confidence which would help her merging into the *Symbolic* realm and be happy. Mary is driven to self-annihilation by the *Death Drive*. She confesses, "*Then in the spring something happened to me. Yes, I remember. I fell in love with James Tyrone and was happy for a time.*" (Act IV) A short time after meeting James, she began to experience identity predicament, making her have a reclusive desire for death. She feels indifference toward life like Meursault, Camus' estranged character. Like Meursault, Mary has known death through her father. The '*other psychotic inside*' her is withal not shocked by Edmund's illness for "*Shocks are for consciousness*" says Julia Kristeva (41: 1991, my trans). Mary is condemned to die, since "*The murderous and irreconcilable singularity which inhabits inside subjects*" like her "*would not permit them to found a new world*" (Ibid. 45, my trans). Resolute, Mary continues destroying

herself, for the *Symbolic* dominant world rejects her. Her husband cannot save her from self-annihilation.

As to Jamie's case, his health impairment informs about a destabilised psychic state due to an identity disaster; though, full family support has benefited him. He is portrayed by O'Neill as having his father's physical gauge. He was sent to a university and could have played theatre roles. But, he has managed to mishandle everything. At the age of thirty three, Jamie remains a jobless drunkard actor who is coiling around family home. Actually, he experiences a psychological distress which first appeared when Edmund was born. Edmund's birth coincided with Jamie's renouncement to identifying to his *abject* mother, and it ruined when the whole process. The new born brother riveted all of Mary's attention. At this same moment, Jamie entered into a double minded state. Toward his mother, he developed a natural longing for a narcissistic union and hatred. When a new identity is not fulfilled, Jamie has started to feel jealousy, hatred and resentment towards his mother and Edmund.

Jamie is angered and unfriendly; he did not want to join the university. In point of fact, Jamie throws what is impure within him over his mother and brother, aiming to create a singular and unified identity. For example, he does not marry because women reflect for him the image of his *abject* mother. In addition, he often hinders Edmund's plans of pursuing university studies although he loves him, too. He is as misogynous as Synge's *Deirdre of the Sorrows*. Like her, Jamie wants to drive his brother and mother to death. Inwardly tortured, he confesses, "Got to take revenge. On everyone else. Especially you. Oscar Wilde's "Reading Gaol" has the dope twisted. The man was dead and so he had to kill the thing he loved. That's what it ought to be. The dead part of me hopes you won't get well. Maybe he's even glad the game has got Mama again. He wants company, he doesn't want to be the only corpse around the house!" (Act IV) Corresponding

to the revelation of a text's *nocturnal powers* throughout *abjection*, Jamie endures tales of sufferings like Oscar Wilde's character cited in the above excerpt. The 'other melancholic inside' Jamie seeks to destroy himself and others around him- Edmund and Mary. The only person able to get Jamie out of this psychic depression is an *Imaginary Father*. Unfortunately, Mr Tyrone cannot meet his son's needs for two reasons. The first is that he suffers from the same psychic precariousness, due to grandfather's return to Ireland. The second is that father Tyrone cannot help himself ignoring Jamie's suffering because of being himself a melancholic; he may desire within to annihilate his son at his turn. To conclude, both James Tyrone and his son Jamie are condemned to suffering.

As far as Edmund is concerned, he declares to his father that, "It was a great mistake, my being born a man, I would have been more successful as a sea gull or a fish. As it is, I will always be a stranger who never feels at home, who doesn't really want and is not really wanted, who can never belong, who must always be a little in love with death!" (Act IV) Edmund knows that he can never belong to this patriarchal repressive mainstream discourse. So, he prefers instead to be *a sea-gull, a fish* and or die. When O'Neill informs about the danger of his illness in Act II, he has, with detachment, ignored it, not willing to experience a regression akin to his mother's. Contrary to his elder brother Jamie, Edmund is ready to combat life's odds and difficulties.

In Act III, Edmund desired his mother's indulgency, for Doctor Hardy confirmed his tuberculosis. As a consequence to her affectionate coldness, he distances himself from her, refusing to have dinner with. So now, Edmund seems to have acquired a necessary inner force to thrive and evolve alone in life. For Julia Kristeva, he is a subject in process who has been able to live on the borderline of the *Semiotic* and the *Symbolic* despite multiple impediments. He has made a lot of journeys around the world that have, time and again, brought him

back home unfulfilled, but he is always more determined to seek identity stability. Just as Christy Mahon in *The Play Boy of the Western World*, Edmund, “Is ready to flee away. No obstacle can stop him, and all the sufferings, the invectives or the rejections he experienced appear to be of no importance for him before his quest for the invisible and promised country he dreams of, and which must be called death.” (Kristeva, 14: 1991, my trans)

At home, Edmund has often shown symptoms of an ‘*other psychotic inside*’ himself. He retires to his room and reads a lot. He is keen on being alone and closed off. However, he has always operated a more or less successful revolt against the external world. The ‘*other psychotic inside*’ Edmund is secured to a dimension of permanent faith and identity stability by the *Imaginary Father* whom he reconciles with as shown in the discussion which opens Act IV, wherein Edmund reprimands his father because of the family-undergone privation and austerity. Nonetheless, Mr Tyrone has provided cogent arguments for his defence and Edmund feels unequivocal comprehensiveness toward his father. For Kristeva, the father has now helped his son reaching a self-understanding via the *Transference Process*.

Even though *Long Day’s Journey into Night* has thematic richness and meaning ingeniousness, O’Neill’s portrayal of his family seems to be the main literary mark in it. He represented his parents’ unsuccessful social integration in America as illustrated by his father’s distrustfulness of America’s institutions, and his mother’s tragic destiny. Mary might well represent the image of the unredeemable loss Irish cultural heritage in the host country. Jamie also falls short in satisfying the expectations of his family and society as a whole; he has not been able to grow onto an autonomous happy person. Incomparable to his parents and brother, Edmund succeeds to achieve extraordinary identity stability

because he has relied on himself as a self made-man. He could reconcile what is inside himself with the outer cultural norms of society, the key for success.

### Conclusion

In *Long Day's Journey into Night* and *The Well of the Saints*, O'Neill and Synge introduced unfamiliar artistic suggestions while addressing the issue of identity issue in Ireland and America. They focused on the inner fights of common characters struggling to gain full recognition and happiness. Concerning J.M Synge, whose fictional drama coincided with a period of social, cultural and economic instability political parties, institutions and cultural leagues gave spirit to, he showed interest into psychic marks of the identity fights engaged by Martin and Mary Doul. For his part, O'Neill discovered that the American family world offered an authentic life experience to the social and cultural forces at work in the United States of America. He was sublimated by the conflicts between members of a family, as seen with James Tyrone, his wife Mary and their sons Edmund and Jamie.

This unfamiliar aesthetic approach in Synge and O'Neill are in agreement with Julia Kristeva's psychoanalytic theory. Considering most of the challenges and struggles, each subject/character has had an inner zone inside itself, empowering it to revolt against cultural ascendancy of society. Despite the miscellaneous and inevitable failures, the characters appear to have aroused onto an incessant state of revolt, aiming at establishing new ethics and morality. Both playwrights put great emphasis on the psychic uniqueness of each character, for their identity is regulated by the *Semiotic* world, housing inner drives and psychic marks, and by the *Symbolic* world, imposing laws, codes and moral values. Though Synge and O'Neill wrote at distinct places and times, one may claim, as demonstrated here above, that they referred to the same identity predicament.

## References

- HAWKES Terrence, (1977), *Structuralism and Semiotics*. London, Routledge, (2003).
- KRISTEVA Julia, (1982), *The Power of Horrors*, Paris, Collection Folio Essai.
- KRISTEVA Julia, (1991), *Etrangers à Nous Mêmes*, Paris, Collection Folio Essai.
- MC AFEE Noelle, (2004), *Julia Kristeva*. London, Routledge.
- O'NEILL Eugene, (1989), *Long Day's Journey into Night*. Stuttgart, Philipp Reclam Jun, GmbH and Co.
- SYNGE John Millington, (1911), *The Well of the Saints: A Comedy in Three Acts*. Boston, John W. Luce and Company.
- HOLLAND Scott, (1999), "So Many Voices in My Head", in, *Cross Currents* 49 (n°1), pp. 1-17.
- CHESELDEN William, (1999). "Blindness as Metaphor", in, Schor, Naomi. *Differences*, Vol.11, pp. 89-113.
- YOUNG William, (2005), "Healing, Religion: Aesthetic and analysis in the Work of Kristeva and Clement", in, *Cross Currents* 55 (n°0), pp.1-13.
- CHASE Yoko Onizuka, (1999), "Eugene O'Neill's Poetics of Dionysus through his Presentation of *Xenoi*, *Metokoi* and *Barbaroi*", in, Harley Zimmerman, Volume 0. 1999, pp. 1-8.
- WILKINS Frederick, (1982). "Introduction: The Director's Perspective", in, Boston, Suffolk University. VI (n°3), pp. 1-22.



إصدارات

المركز الديمقراطي العربي

لدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

برلين - ألمانيا

ISSN : 2625-8943

رقم التسجيل

VR.3373.6326.B

لمزيد من المعلومات حول المجلة

يرجى زيارة موقعها على النت

<http://democraticac.de>